تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

الجزء الثامن



دار المعارف







تاريخ الطّبري



ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطبرى

تاريخ الرسل والملوك

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى

٢٢٤ – ٣١٠ هـ

الجزء الثامن

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

(الطبعة الثالثة منقحة)



دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل ·- القاهرة ج . م . ع .

بيان

يبدأ الجزء الثامن من هذه الطبعة بحوادث سنة ١٤٧ ، وينتهى بحوادث سنة ٢٢١ ؛ مشتملا على أخبار أشهر الخلفاء العباسيين : أبى جعفر المنصور ، والمهدى ، وموسى الهادى ، وهارون الرشيد ، ومحمد الأمين ، وعبد الله المأمون .

وقد امتازت أخبار هؤلاء — بجانب ما وقع فى عصرهم من الأحداث التاريخية الهامة ، مثل أخبار أبى مسلم مع أبى جعفر وأخباره مع الطالبيين ، وفتنة الأمين والمأمون — بكثرة ما ورد فيها من طرائف القصص وأخبار الشعراء وقصيدهم ، مع روائع الخطب ، ومطولات الرسائل ؛ مما يعدّ هذا الكتاب من المصادر الأصيلة فيها .

وقد رجع على المخطوطات التالية :

١ . ما يقابله من الجزء المصور من أصله المخطوط بمكتبة بتنه خدابخش بالهند ، وهو الجزء الذى سبق وصفه فى مقدمة الجزء السابع من هذه الطبعة ، والذى ذكرت فيه أنّه يبدأ بأثناء الكلام على حوادث سنة ١٢٩ ، وينتهى بأثناء الكلام على حوادث سنة ١٥٨ ، وقد رمزت إليه بالحرف [ه] .

٢ — جزء مصور عن أصله المخطوط المحفوظ بمكتبة أحمد الثالث ، برقم ٢٩٢٩ . وهو الجزء الثالث والعشرون من تجزئة الناسخ لهذه النسخة ؛ وعليه وقفية من المقر الأشرف الجمالى محمود الأستادار ، وهى نص الوقفية التى على غلاف الجزء الأول من نسخة أحمد الثالث لجميع أجزاء الكتاب . ويبدأ أوله بحوادث سنة ١٦٢ ، وينتهى بحوادث سنة ١٩٧ ، مكتوب بخط نسخى جيّد ، مضبوط بالحركات ، وينتهى كل خبر منه بعلامة وقف ، وتغلب عليه الصحة والإتقان ؛ شأنه شأن بقية ما وصل إلينا من أجزاء هذه النسخة ؛ ويبدو أنه كتب فى القرن السادس أو السابع الهجرى . ويبلغ عدد أوراقه ٢١١ ورقة ، وفى كل صفحة ١٩ سطراً ، وفى كل سطر ١٠ كلمات ، وقد رمزت إليه بالحرف [ا] .

٣ — جزء مخطوط محفوظ بدار الكتب برقم ١٦٠٢ تاريخ ، وهو الجزء الحادى عشر من تجزئة الناسخ لهذه النسخة أيضاً ، ويشتمل على الحوادث التى تبدأ من سنة ٢٠٥ ، وتنتهى إلى قبيل حوادث سنة ٢٤٦ . مكتوب بخط قديم معتاد ، خال من الضبط . ويقع فى ٢٣٣ ورقة ، تشتمل كل صفحة منه على ١٧ سطراً ، وبكل سطر ١١ كلمة تقريباً ، وقد رمزت إليه بالحرف [د] .

هذا عدا ما قمت به من مراجعة ما ورد فيه من نصوص الشعر والخطب والرسائل على دواوين الشعراء وكتب الأدب الأصيلة ، مثل : البيان والتبيين ، والكامل ، والعقد ، وعيون الأخبار ، وأثبت المقابلات فى الحواشى .

ومما هو جدير بالذكر أن مراجعة هذه المخطوطات قد أكملت كثيراً من مواضع النقص فى الطبعة الأوربية ، وصححت الألفاظ المحرفة والنصوص المبهمة فيها ، وإنى أتمنى على الزمان أن تظهر مخطوطات أخرى لهذا الكتاب ، وخاصة مما لم يقع إلينا من نسخة أحمد الثالث ، حتى يستكمل الكتاب تحقيقه فى طبعاته المقبلة إن شاء الله .

واللهم نسألك عوناً وهداية وتيسيراً .

مصر الجديدة فى ١٤ من شعبان ١٣٨٦ ﻫ .
٢٧ من نوفمبر ١٩٦٦ م .

محمد أبو الفضل إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة

ذكر الإخبار عن الأحداث التي كانت فيها

فمما كان فيها من ذلك إغارة إسترخان الخوارزمىّ فى جمع من الترك على المسلمين بناحية إرمينية وسبيه من المسلمين وأهل الذمّة خلقاً كثيراً ، ودخولهم تفليس ، وقتلهم حرب بن عبد الله الراوندىّ الذى تنسب إليه الحربية ببغداد . وكان حربٌ هذا — فيما ذُكر — مقيماً بالموصل فى ألفين من الجُنْد ، لمكان الخوارج الذين بالجزيرة . وكان أبو جعفر حين بلغه تحزّب[1] الترك فيما هناك وجّه إليهم لحربهم جبرئيل بن يحيى ، وكتب إلى حرب يأمره بالمسير معه ؛ فسار معه حرب ، فقتل حرب وهُزم جبرئيل ، وأصيب من المسلمين من ذكرت .

* * *

[ذكر الخبر عن مهلك عبد الله بن علىّ بن عباس]

وفى هذه السنة كان مهلك عبد الله بن علىّ بن عباس . واختلفوا فى سبب هلاكه ، فقال بعضهم ما ذكره علىّ بن محمد النّوفلىّ عن أبيه أن أبا جعفر حجّ سنة سبع وأربعين ومائة بعد تقدمته[2] المهدىّ على عيسى بن موسى بأشهر ، وقد كان عزل عيسى بن موسى عن الكوفة وأرضها ، وولّى مكانه محمد بن سليمان ابن علىّ ، وأوفده إلى مدينة السلام ، فدعا به ، فدفع إليه عبد الله بن علىّ سرّاً فى جوف الليل . ثم قال له : يا عيسى ؛ إنّ هذا أراد[3] أن يزيل النعمة عنى وعنك ، وأنت ولىّ عهدى بعد المهدىّ ، والخلافة صائرة إليك ؛ فخذه إليك فاضرب عنقه ، وإياك أن تخور[4] أو تضعف ، فتنقض علىّ أمرى الذى دبّرتُ .

٣/٣٢٩

(١) ج : « تحرك » .
(٢) ج : « تقدمه » .
(٣) ج : « يريد » .
(٤) ج : « تحور » .

ثم مضى لوجهه ، وكتب إليه من طريقه ثلاثَ مرات يسأله : ما فعل فى الأمر الذى أوعز إليه فيه ؟ فكتب إليه : قد أنفذتُ ما أمرت به ؛ فلم يشكّ أبوجعفر فى أنه قد فعل ما أمره به ، وأنه قد قتل عبد الله بن علىّ ؛ وكان عيسى حين دفعه إليه ستره[1] ؛ ودعا كاتبه يونس بن فَرْوَة ، فقال له : إنّ هذا الرجل دفع إلىّ عمَّه ، وأمرنى فيه بكذا وكذا . فقال له : أراد أن يقتلك ويقتله ، أمرك بقتله سرًّا ، ثم يدّعيه عليك علانية ثم يُقيدك به . قال : فما الرأى ؟ قال : الرأى أن تستره فى منزلك ، فلا تطلعْ على أمره أحداً ، فإن طلبه منك علانيةً دفعتَه إليه علانية ، ولا تدفعْه إليه سرًّا أبداً ؛ فإنه وإن كان أسرّه إليك ؛ فإن أمره سيظهر . ففعل ذلك عيسى .

وقدم المنصور ودسّ إلى عُمومته مَنْ يحرّكهم على مسألته هبةَ عبد الله بن علىّ لهم ، ويطمعهم فى أنه سيفعل . فجاءوا إليه وكلموه ورقّقوه ، وذكروا له الرّحِم ، وأظهروا له رقة ، فقال : نعم ، علىّ بعيسى بن موسى ؛ فأتاه فقال ٣٣٠/٣ له : يا عيسى ؛ قد علمتَ أنى دفعت إليك عمّى وعمك عبد الله بن علىّ قبل خروجى إلى الحجّ ، وأمرتُك أن يكون فى منزلك ، قال : قد فعلتُ ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فقد كلمنى عمومتك فيه ، فرأيتُ[2] الصّفح عنه وتخليةَ سبيله ؛ فأتنا به . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ألم تأمرنى بقتله فقتلته ! قال : ما أمرتُك بقتله ، إنما أمرتك بحبسه فى منزلك . قال : قد أمرتَنى بقتله ، قال له المنصور : كذبت ، ما أمرتك بقتله . ثم قال لعمومته : إنّ هذا قد أقرّ لكم بقتْل أخيكم ، وادّعى أنى أمرته بذلك ، وقد كذَب ، قالوا : فادفعه إلينا نقتله به ، قال : شأنكم به ، فأخرجوه إلى الرَّحَبة ، واجتمع الناس ، وشُهر الأمر ، فقام أحدهم فشهر سيفه ، وتقدّم إلى عيسى ليضربه ؛ فقال له عيسى : أفاعل أنت ؟ قال : إى والله ، قال : لا تعجلوا ، ردّونى إلى أمير المؤمنين ، فردّوه إليه ، فقال : إنما أردتَ بقتله أن تقتلَنى ؛ هذا عمّك حىٌّ سوىٌّ ، إن أمرتَنى بدفعه إليك دفعتُه . قال : ائتنا به ، فأتاه به ، فقال له عيسى : دبَّرتَ علىّ أمراً فخشيتُه ؛ فكان كما خشيت ؛ شأنَك وعمَّك . قال : يدخل حتى

(١) ج : « سيره » . (٢) ب : « وقد رأيت » .

أرى رأيى. ثم انصرفوا ، ثم أمر به فجُعل فى بيت أساسه مِلْح ، وأجرى فى أساسه الماء ، فسقط عليه فمات ؛ فكان من أمره ما كان . وتوفِّىَ عبد الله بن علىّ فى هذه السنة ودفن فى مقابر باب الشأم ؛ فكان أول من دفن فيها .

وُذكِر عن إبراهيم بن عيسى بن المنصور بن بُرَيْه أنه قال : كانت وفاة عبد الله بن علىّ فى الحبس سنة سبع وأربعين ومائة ، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة . ٣٣١/٣

قال إبراهيم بن عيسى : لما تُوفِّىَ عبد الله بن علىّ ركب المنصور يومًا ومعه عبد الله بن عيّاش ، فقال له وهو يجاريه : أتعرف ثلاثة خلفاء ، أسماؤهم على العين مبدؤها ، قتلوا ثلاثة خوارجَ مبدأ أسمائهم العين ؟ قال : لا أعرف إلا ما تقول العامّة ؛ إنّ عليًّا قتل عثمان —وكذبوا— وعبد الملك بن مروان قتل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وعبد الله بن الزبير وعمرو بن سعيد وعبد الله بن علىّ سقط عليه البيت ، فقال له المنصور : فسقط على عبد الله بن علىّ البيت ، فأنا ما ذنبى ؟ قال : ما قلت إنّ لك ذنبًا .

* * *

[ذكر خبر البيعة للمهدىّ وخلع عيسى بن موسى]

وفى هذه السنة خلع المنصور عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدىّ ، وجعله ولىّ عهد من بعده . وقال بعضهم : ثم مِنْ بعده عيسى بن موسى .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه وكيف كان الأمر فى ذلك :

اختُلف فى الذى وصل به أبو جعفر إلى خلعه ، فقال بعضهم : السبب الذى وصل به أبو جعفر إلى ذلك هو أن أبا جعفر أقرّ عيسى بن موسى بعد وفاة أبى العباس على ما كان أبو العباس ولاّه من ولاية الكوفة وسوادها ، وكان له مكرِما مجلاًّ ، وكان إذا دخل عليه[1] أجلسه عن يمينه ، وأجلس المهدىّ عن يساره ؛ فكان ذلك فعله به ؛ حتى عزم المنصور على تقديم المهدىّ فى الخلافة عليه . وكان أبو العباس جعل الأمر من بعده لأبى جعفر ، ثم من بعد ٣٣٢/٣

(١) ب ، هـ : « إليه » .

أبى جعفر لعيسى بن موسى ؛ فلما عزم المنصور على ذلك كلّم عيسى بن موسى فى تقديم ابنه عليه برفيق من الكلام ، فقال عيسى : يا أمير المؤمنين ؛ فكيف بالأيمان والمواثيق التى علىّ وعلى المسلمين لى من العتق والطلاق وغير ذلك من مؤكد الأيمان ! ليس إلى ذلك سبيل يا أمير المؤمنين . فلما رأى أبو جعفر امتناعه ، تغيّر لونُه وباعده بعض المباعدة ، وأمر بالإذن للمهدىّ قبله ؛ فكان يدخل فيجلس عن يمين المنصور فى مجلس عيسى ، ثم يؤذَن لعيسى فيدخل فيجلس دون مجلس المهدىّ عن يمين المنصور أيضًا ، ولا يجلس عن يساره فى المجلس الذى كان يجلس فيه المهدىّ ، فيغتاظ من ذلك المنصور ، ويبلغ منه ، فيأمر بالإذن للمهدىّ ثم يأمر بعده بالإذن لعيسى بن علىّ ، فيلبث هنيهة ، ثم عبد الصمد بن علىّ ، ثم يلبث هنيهة ، ثم عيسى بن موسى . فإذا كان بعد ذلك قدّم فى الإذن للمهدىّ على كل حال ، ثم يخالط فى الآخرين ، فيقدّم بعض مَنْ أخّر ويؤخر بعض مَنْ قدّم ويُوهم عيسى ابن موسى أنه إنما يبدأ بهم لحاجة تعرض ولمذاكرتهم بالشىء[1] من أمره ؛ ثم يؤذن لعيسى بن موسى من بعدهم ؛ وهو فى ذلك كله صامت لا يشكو منه شيئًا ، ولا يستعتب[2] . ثم صار إلى أغلظ من ذلك ؛ فكان يكون فى المجلس ٣٣٣/٣ معه بعض ولده ، فيسمع الحفْر فى أصل الحائط فيخاف أن يخرّ عليه الحائط ، وينتثر عليه التراب ، وينظر إلى الخشبة من سقف المجلس قد حُفر عن أحد طرفيها لتقلع فيسقط التراب على قلنسوته وثيابه ، فيأمر مَنْ معه من ولده بالتحويل ، ويقوم هو فيصلّى ، ثم يأتيه الإذن فيقوم فيدخل بهيئته والتراب عليه لا ينفضه ؛ فإذا رآه المنصور قال له : يا عيسى ، ما يدخل علىّ أحد بمثل[3] هيئتك من كثرة الغبار عليك والتراب ! أفكلّ[4] هذا من الشارع ؟ فيقول : أحسب ذلك يا أمير المؤمنين ؛ وإنما يكلمه المنصور بذلك ليستطعمه[5] أن يشكوَ إليه شيئًا فلا يشكو ؛ وكان المنصور قد أرسل إليه فى الأمر الذى

---

(١) ج : « الشىء » . (٢) ج : « يستغيث » . (٣) ج « مثل » .
(٤) ج ، ه : « فكل » . (٥) ج : ، ه « يستطعمه » .

أراد منه عيسى بن علىّ ، فكان عيسى بن موسى لا يحمد منه مدخلَه فيه ؛ كأنه كان يغرِى به . فقيل : إنه دسّ لعيسى بن موسى بعض ما يتلفه ؛ فنهض من المجلس ، فقال له المنصور : إلى أين يا أبا موسى ؟ قال : أجد غمزاً يا أمير المؤمنين ، قال : فنى الدار إذاً ! قال : الذى أجده أشدّ مما أقيم معه فى الدار ، قال : فإلى أين ؟ قال : إلى المنزل ؛ ونهض فصار إلى حَرّاقته ، ونهض المنصور فى أثره إلى الحرّاقة متفزّعًا له ، فاستأذنه عيسى فى المسير إلى الكوفة ، فقال : بل تقيم فتعالج ها هنا ، فأبى وألحّ عليه ، فأذن له . وكان الذى جرّأه على ذلك طبيبه بختيشوع أبو جبرئيل ، قال : إنى والله ما أجترئ على معالجتك بالحضْرة ، وما آمن على نفسى . فأذن له المنصور ، وقال له : أنا على الحجّ فى سنتى هذه ، فأنا مقيم عليك بالكوفة حتى تفيق إن شاء الله .

٣٣٤/٣ وتقارب وقتُ الحجّ ، فشخص المنصور حتى صار بظهر الكوفة فى موضع يدعَى الرّصافة ، فأقام بها أيامًا ، فأجرى هناك الخيل ، وعاد عيسى غير مرّة ، ثم رجع إلى مدينة السلام ولم يحجّ ، واعتلّ بقلة الماء فى الطريق . وبلغت العلّة من عيسى بن موسى كلّ مبلغ ؛ حتى تمعّط شعرُه ، ثم أفاق من علّته تلك ، فقال فيه يحيى بن زياد بن أبى حزابة البُرْجُمىّ أبو زياد :

أفلَتَ من شَرْبَة الطبيب كما ... أفلَت ظَبْىُ الصَّريم من قُتَرهْ
من قانصٍ يُنْفِذُ الفَرِيصَ إذا ... ركَّبَ سَهْمَ الحُتُوف فى وتَرهْ
دافَعَ عنك المَليك صَوْلَةَ لَيـ ... ـثٍ يُرِيدُ الأَسْدَ فى ذرَى خَمَرهْ[1]
حتى أتانا وفيه داخِلةٌ ... تُعرفُ فى سمعِهِ وفى بَصَرهْ
أزْعَر قد طارَ عن مفارِقِهِ ... وحْفُ أثِيثِ النَّباتِ من شَعَرهْ

وُذكر أنّ عيسى بن علىّ كان يقول للمنصور : إنّ عيسى بن موسى إنما يمتنع من البيعة للمهدىّ لأنه يربّص هذا الأمر لابنه موسى ، فموسى

(١) ج : « دافع عنه » .

الذى يمنعه . فقال المنصور لعيسى بن علىّ : كلّم موسى بن عيسى وخوّفه على أبيه وعلى ابنه ؛ فكلّم عيسى بن علىّ موسى فى ذلك ، فأيأسه ، فتهدده وحذّره غضب المنصور . فلما وجل موسى وأشفق وخاف أن يقع به المكروه ، أتى العباس بن محمد ، فقال : أىْ عمّ ، إنى مكلّمك بكلام ، لا والله ما سمعه منى أحدٌ قطّ ، ولا يسمعه أحد[1] أبداً ؛ وإنما أخرجه منى إليك موضعُ الثقة بك والطمأنينة إليك ؛ وهو أمانة عندك ؛ فإنما هى نفسى أنثلها[2] فى يدك . قال : قل يابنَ أخى ؛ فلك عندى ما تحبّه ، قال : أرى ما يُسام أبى من إخراج هذا الأمر من عنقه وتصييره للمهدىّ ؛ فهو يؤذَى بصنوف الأذى والمكروه ، فيُتهدّد مرة ويؤخَّر إذنه مرّة ، وتُهدّم عليه الحيطان مرّة ، وتدسّ إليه الحتوف مرّة . فأبى لا يعطى على هذا شيئاً ؛ لا يكون ذلك أبداً ؛ ولكنّ هاهنا وجهاً ، فلعله يعطى عليه إن أعطى وإلاّ فلا ، قال : فما هو يابن أخى ؟ فإنك قد أصبت ووفّقت[3] ، قال : يقبل عليه أمير المؤمنين وأنا شاهد فيقول له : يا عيسى ، إنى أعلم أنك لستَ تضنّ بهذا الأمر على المهدىّ لنفسك ؛ لتعالى سنّك وقرب أجلك ؛ فإنك تعلم أنه لا مدّة لك تطول فيه ؛ وإنما تضنّ به لمكان ابنك موسى ؛ أفترانى أدَعُ ابنك يبقى بعدك ويبقى ابنى معه فيلى عليه ! كلاّ والله لا يكون ذلك أبداً ؛ ولأثبنّ[4] على ابنك وأنت تنظر حتى تيأس منه ، وآمن أن يلىَ على ابنى . أترى ابنك آثر عندى من ابنى ! ثم يأمر بى ؛ فإما خنِقت وإما شُهر علىّ سيف . فإن أجاب إلى شىء فعسى أن يفعل بهذا السبب ؛ فأما بغيره فلا . فقال العباس : جزاك الله يابن أخى خيراً ، فقد فديت أباك بنفسك ، وآثرت بقاءه على حظك ، نعم الرأى رأيت ، ونعم المسلك سلكت !

٣٣٥/٣

٣٣٦/٣

ثم أتى أبا جعفر فأخبره الخبر ، فجزَى المنصور موسى خيراً ؛ وقال : قد أحسن وأجمل ، وسأفعل ما أشار به إن شاء الله ، فلما اجتمعوا وعيسى ابن علىّ حاضر ، أقبل المنصور على عيسى بن موسى ، فقال : يا عيسى ؛ إنى

(١) ج : « ولا أسمعه أحداً » . (٢) ج : « أبلها » .
(٣) كذا فى ب ﻫ ، وهو الصواب ، وفى ط : « ورققت » ، وفى ج : « ورفقت » .
(٤) ب : « لأبثن » .

لا أجهل مذهبك الذى تضمره ، ولا مداك الذى تجرى إليه فى الأمر الذى سألتك ؛ إنما تريد هذا الأمر لابنك هذا المشئوم عليك وعلى نفسه ؛ فقال عيسى بن علىّ : يا أميرَ المؤمنين ، غمزنى البوْل ، قال : فندعو[1] لك بإناء تبول فيه ، قال : أفى مجلسك يا أمير المؤمنين! ذاك ما لا يكون ، ولكن أقرب البلاليع منى أدلّ عليها[2] فآتيها . فأمر من يدلّه ، فانطلق . فقال عيسى ابن موسى لابنه موسى : قمْ مع عمك ، فاجمع عليه ثيابه من ورائه ، وأعطه منديلا إن كان معك ينشّف به ، فلما جلس عيسى يبولُ جمع موسى عليه ثيابَه من ورائه وهو لا يراه ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقال : موسى بن عيسى ، فقال : بأبى أنت وبأبى أبٌ ولدك ! والله إنى لأعلم أنه لا خير فى هذا الأمر بعدكما ، وإنكما لأحقّ به ؛ ولكن المرء مغرًى بما تعجّل ، فقال موسى فى نفسه : أمكننى والله هذا من مقاتله ؛ وهو الذى يغرى بأبى ، والله لأقتلنّه بما قال لى ، ثم لا أبالى أن يقتلنى أمير المؤمنين بعده ، بل يكون فى قتله عزاء لأبى وسلوّ عنى إن قتلت . فلما رجعا إلى موضعهما قال موسى : يا أميرَ المؤمنين ، أذكر لأبى أمراً ؟ فسرّه ذلك ، وظنّ أنه يريد أن يذاكره بعض أمرهم ، فقال : قم ، فقام إليه ، فقال : يا أبتِ[3] ؛ إن عيسى بن علىّ قد قتلك وإياىّ قتلات بما يُبلغ عنا ، وقد أمكننى من مقاتله ، قال : وكيف ؟ قال : قال لى كيت وكيت ، فأخبِرُ أمير المؤمنين فيقتله ؛ فتكون قد شفيت نفسك وقتلته قبل أن يقتلك وإياى ثم لا نبالى ما كان بعدُ . فقال : أفٍّ لهذا رأياً ومذهباً ! ائتمنك عمُّك على مقالة أراد أن يسرّك بها ، فجعلتَها سبباً لمكروهه وتلفه ! لايسمعنّ هذا منك أحد ، وعُدْ إلى مجلسك . فقام فعاد ، وانتظر أبو جعفر أن يرى لقيامه إلى أبيه وكلامه أثراً فلم يره ، فعاد إلى وعيده الأوّل وتهدده ، فقال : أما والله لأعجلنّ لك فيه ما يسوءك ويُوئسك من بقائه بعدك ، أيا ربيع ، قم إلى موسى فاخنقه بحمائله ، فقام الرّبيع فضمّ حمائله عليه ، فجعل يخنقه بها خنقاً رُويداً ، وموسى يصيح : اللهَ اللهَ يا أمير المؤمنين فىّ وفى دمى ! فإنى لبعيد مما تظنّ بى ، وما يبالى عيسى أن تقتلنى وله بضعة عشر نفراً ذكراً —

٣٣٧/٣

---

(١) ج : « فأدعو » . (٢) ب : « عليه » . (٣) ب : « يا أبه » .

كلهم عنده مثلى – أو يتقدمنى ؛ وهو يقول : اشدُد يا ربيع ، اثت على نفسه ، والرّبيع يوهم أنه يريد تلفَه ، وهو يراخى خناقه ، وموسى يصيح ، فلما رأى ذلك عيسى قال : والله يا أميرَ المؤمنين ما ظننتُ أنّ الأمر يبلغ منك هذا كله فمر بالكفّ عنه ؛ فإنى لم أكن لأرجع إلى أهلى ؛ وقد قتل بسبب هذا الأمر عبدٌ من عبيدى ، فكيف بابنى ! فها أنا أشهدك أنّ نسائى طوالق ومماليكى أحرار ، وما أملك فى سبيل الله ، تصرف ذلك فيمن رأيت يا أمير المؤمنين ؛ وهذه يدى بالبيعة للمهدىّ . فأخذ بيعته له على ما أحبّ ثم قال : يا أبا موسى ؛ إنك قد قضيتَ حاجتى هذه كارهًا ، ولى حاجة أحبّ أن تقضيَها طائعًا ؛ فتغسل بها ما فى نفسى من الحاجة الأولى ، قال : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : تجعل هذا الأمر من بعد المهدىّ لك ، قال : ما كنتُ لأدخل فيها بعد إذ خرجت منها. فلم يدَعْه هو ومَنْ حضره من أهل بيته حتى قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أنت أعلم . فقال بعض أهل الكوفة – ومرّ عليه عيسى فى موكبه : هذا هذا الذى كان غداً ، فصار بعد غد .

٣٣٨/٣

وهذه القصة – فيما قيل – منسوبة إلى آل عيسى أنهم يقولونها .

* * *

وأما الذى يحكى عن غيرهم فى ذلك ؛ فهو أنّ المنصور أراد البَيْعة للمهدىّ ، فكلّم الجُنْد فى ذلك ، فكانوا إذا رأوْا عيسى راكبًا أسمعوه ما كره ، فشكا ذلك إلى المنصور ، فقال للجند : لا تؤذوا ابنَ أخى ؛ فإنه جِلْدة بين عينىّ ، ولو كنتُ تقدّمت إليكم لضربت أعناقكم ؛ فكانوا يكفّون ثم يعودون ؛ فمكث بذلك زمانًا ، ثم كتب إلى عيسى :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى عيسى بن موسى . سلامٌ عليك؛ فإنّى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد ؛ فالحمد لله ذى المنّ القديم ، والفضل العظيم ، والبلاء الحسن الجميل ، الذى ابتدأ الخلق بعلمه ، وأنفذ القضاء بأمره ؛ فلا يبلغ مخلوقٌ كنهَ حقّه ، ولا ينال فى عظمته كُنْهَ ذكره ، يدبّر ما أراد من الأمور بقدْرته ، ويصدرها عن مشيئته ؛ لا قاضىَ فيها غيره ، ولا نفاذ لها إلا به ، يجريها على أذلالها ؛ لا يستأمر

٣٣٩/٣

فيها وزيراً[١] ، ولا يشاور فيها معيناً[٢] ، ولا يلتبس عليه شىء أراده ، يمضى قضاؤه فيما أحبّ العباد وكرهوا[٣] ؛ لا يستطيعون منه امتناعاً ، ولا عن أنفسهم دفاعاً ، ربّ الأرض ومَنْ عليها ، له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين .

ثم إنك قد علمتَ الحال التى كنا عليها فى ولاية الظلَمة ، كيف كانت قوّتنا وحيلتُنا ، لما اجترأ عليه أهل بيت اللعنة فيما أحببنا وكرهنا ، فصبرنا أنفسنا على ما دعونا إليه من تسليم الأمور إلى[٤] من أسندوها إليه ، واجتمع رأيُهم عليه ، نُسام الخسف ، ونوطأ بالعسْف ، لا ندفع ظلماً ، ولا نمنع ضيماً[٥] ، ولا نعطى حقّاً ، ولا ننكر منكراً ، ولا نستطيع لها ولا لأنفسنا نفعاً ؛ حتى إذا بلغ الكتابُ أجلَه ، وانتهى الأمر إلى مدّته ، وأذن الله فى هلاك[٦] عدوه ، وارتاح بالرّحمة لأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فابتعث الله لهم أنصاراً يطلبون بثأرهم ، ويجاهدون عَدُوّهم ، ويدعون إلى حبّهم ، وينصرون دولتهم ؛ من أرضين متفرّقة ، وأسباب مختلفة ، وأهواء مؤتلفة ، فجمعهم الله على طاعتنا ، وألّف بين قلوبهم بمودّتنا على نصرتنا ، وأعزّهم بنصرنا ، لم نلق منهم رجلاً ، ولم نشهر معهم إلا ما قذف الله فى قلوبهم ؛ حتى ابتعثهم لنا من بلادهم ، ببصائر نافذة ، وطاعة خالصة ، يلقوْن الظّفَر ، ويعودون[٧] بالنصر ، وينصَرون بالرّعب ، لا يلقون أحداً إلا هزَموه ، ولا واتراً[٨] إلا قتلوه ؛ حتى بلغ الله بنا[٩] بذلك أقصى مدانا وغاية منانا ومنتهى آمالنا وإظهار حقنا ، وإهلاك[١٠] عدوّنا ؛ كرامةً من الله جلّ وعزّ لنا ، وفضلاً[١١] منه علينا ، بغير حوْل منا ولا قوّة ، ثم لم نزلْ من ذلك[١٢] فى نعمة الله وفضله علينا ، حتى نشأ[١٣] هذا الغلام ، فقذف الله له فى قلوب أنصار الدّين[١٤] الذين ابتعثهم لنا مثل ابتدائه لنا أوّل أمرنا ، وأشرب قلوبهم مودّته ، وقسم فى صدورهم محبّته ، فصاروا

٣/٣٤٠

(١) ج : « خلقه » .
(٢) ج : « أحداً فى أمره » .
(٣) ج : « أو كرهوا » .
(٤) ج : « إلا لمن » .
(٥) ج : « ظلما » .
(٦) ج : « إهلاك » .
(٧) ج : « يفوزون » .
(٨) ج : « وافداً » .
(٩) ب : « لنا » .
(١٠) ج : « وهلاك » .
(١١) ج : « من به » .
(١٢) ب : « من » .
(١٣) ج : « شب » .
(١٤) ب : « أصحاب الدين » .

لا يذكرون إلاّ فضله ، ولا ينوّهون إلا باسمه ، ولا يعرفون إلاّ حقه ، فلمّا رأى أمير المؤمنين ما قذف الله فى قلوبهم من مودّته ، وأجرى على ألسنتهم من ذكره ، ومعرفتهم إياه بعلاماته واسمه ، ودعاء العامة إلى طاعته ، أيقنتْ نفس أمير المؤمنين أنّ ذلك أمر تولاّه الله وصنَعه ؛ لم يكن للعباد فيه أمر ولا قدرة ، ولا مؤامرة ولا مذاكرة ؛ للّذى رأى أمير المؤمنين من اجتماع الكلمة ، وتتابع العامّة ؛ حتى ظن أمير المؤمنين أنه لولا معرفة المهدىّ بحق الأبوّة ، لأفضت الأمور إليه . وكان أمير المؤمنين لا يمنع مما اجتمعت عليه العامّة ، ولا يجد مناصًا[1] عن خلاص ما دعوا إليه ، وكان أشدّ الناس على أمير المؤمنين فى ذلك الأقرب فالأقرب من خاصّته وثقاته من حرسه وشرطه ؛ فلم يجد أمير المؤمنين بدًّا من استصلاحهم[2] ومتابعتهم ؛ وكان أمير المؤمنين وأهل بيته أحقّ مَنْ سارع إلى ذلك وحرص[3] عليه ، ورغب فيه وعرَف فضله ، ورجا بركتَه ، وصدق الرّواية فيه ، وحمد الله إذ جعل فى ذرّيته مثل ما سألت الأنبياء قبله ؛ إذ قال العبد الصالح : ﴿ فَهَبْ لى مِنْ لَدُنْكَ وَليًّا * يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ آل يَعْقُوبَ واجعَلْهُ ربّ رَضيًّا ﴾[4] فوهب الله لأمير المؤمنين وليًّا ، ثم جعله تقيًّا مباركًا مهديًّا[5] ، وللنبىّ صلى الله عليه وسلم سميًّا ، وسلب مَن انتحل هذا الاسم ، ودعا إلى تلك الشبهة التى تحيّر فيها أهلُ تلك النية ، وافتتن بها أهلُ تلك الشقوة ، فانتزع ذلك منهم ، وجعل دائرة السوْء عليهم ، وأقرّ الحق قراره ، وأعلن للمهدىّ مناره ، وللدين أنصارَه ، فأحبّ أمير المؤمنين أن يعلمك الذى اجتمع عليه رأى رعيّته ؛ وكنتَ فى نفسه بمنزلة ولده ، يحبّ مَنْ سترك ورشدك وزينَك ما يحبّ لنفسه وولده ، ويرى لك[6] إذا بلغك مِنْ حال ابن عمّك ما ترى من اجتماع الناس عليه أن يكون ابتداءُ ذلك من قِبَلك ، ليعلم أنصارنا من أهل خراسان وغيرهم أنك أسرع[7] إلى ما أحبّوا ممّا عليه رأيُهم فى صلاحهم منهم إلى ذلك من أنفسهم ، وإنّ ما كان

٣٤١/٣

(١) ج : « ملاصا » .
(٢) ج : « استخلاصهم » .
(٣) ج : « وحرض » .
(٤) سورة مريم ٥ ، ٦ .
(٥) ب : « مهذباً » .
(٦) ب : « ذلك » .
(٧) بعدها فى ب : « الناس » .

عليه من فضل عرفوه للمهدىّ ، أو أمّلوه فيه ، كنتَ أحظَى الناس بذلك ، وأسرّهم به لمكانه وقرابتَه ؛ فاقبل نُصحَ أمير المؤمنين لك ، تصلُح وترشد . والسلام عليك ورحمة الله .

فكتب إليه عيسى بن موسى جوابها :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين من عيسى بن موسى . سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ؛ فإنّى أحمَد إليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ أما بعد فقد بلغنى كتابُك تذكر فيه ما أجمعتَ عليه من خلاف الحقّ وركوب الإثم فى قطيعة[1] الرّحِم ، ونقض ما أخذ الله عليه من الميثاق من العامة بالوفاء للخلافة والعهد لى من بعدك ، لتقطع بذلك ما وصل الله من حَبْله ، وتفرّق بين ما ألّف الله جمعَه[2] ، وتجمع بين ما فرّق الله أمره ، مكابرةً[3] لله فى سمائه ، وحوْلاً على الله فى قضائه ، ومتابعة للشيطان فى هواه ؛ ومَنْ كابر الله صرَعه ، ومن نازعه قمعه ، ومن ماكره عن شىء خدعه ، ومَنْ توكل على الله منعه ، ومَنْ تواضع لله رفعه . إنّ الذى أُسِّس عليه البناء ، وخُطّ عليه الحذاء من الخليفة الماضى عهدٌ لى من الله ، وأمرٌ نحن فيه سواء ؛ ليس لأحد من المسلمين فيه رُخصة دون أحد ؛ فإن وجب وفاء فيه فما الأوّل بأحقّ به من الآخر ، وإن حلّ من الآخر شىء فما حرّم ذلك من الأوّل ؛ بل الأوّل الذى تلا خبره وعرف أثره ، وكشف عما ظن به وأمّل فيه أسرع ؛ وكان الحقّ أولَى بالذى أراد أن يصنع أوّلاً ، فلا يدعوك إلى الأمْن من البلاء اغترارٌ بالله ، وترخيص للناس فى ترك الوفاء ؛ فإن مَنْ أجابك إلى ترك شىء وجب لى واستحلّ ذلك منى ، لم يحرْج إذا أمكنته الفرصة وأفتنته الرّخصة أن يكون إلى مثل ذلك منك أسرع ، ويكون بالذى أسّست من ذلك أبخع . فاقبل العاقبة وارض من الله بما صنع ، وخذ ما أوتيتَ بقوّة ، وكن من الشاكرين . فإن الله جلّ وعزّ زائدٌ[4] مَنْ شكره ، وعْداً منه حقّاً لا خُلْفَ فيه[5] ؛ فمن راقب الله حفظَه ، ومن أضمر خِلافه خذَله ؛ والله يعلم خائنة الأعين وما

٣٤٢/٣
٣٤٣/٣

(١) ب : « وقطيعة » .
(٢) ب : « وجمعه » .
(٣) ج : « مكايدة » .
(٤) ط : « زائداً » ، وهو خطأ .
(٥) ج : « له » .

تخفى الصدور . ولسنا مع ذلك نأمن مِنْ حوادث الأمور وبَغتَات[١] الموت قبل ما ابتدأت به من قطيعتى ؛ فإن تعجّل بى أمرٌ كنت قد كُفِيت مؤونة ما اغتممت له ، وسترتَ قُبْح ما أردتَ إظهاره ؛ وإن بقيتُ بعدك لم تكن أوغرت صدرى ، وقطعت رحمى ؛ ولا أظهرت أعدائى فى اتّباع أثرك، وقبول أدبك ، وعمل بمثالك[٢] .

وذكرتَ أن الأمور كلها بيد الله؛ هو مدّبرها ومقدّرها[٣] ومصدّرها عن مشيئته ؛ فقد صدقْتَ ؛ إن الأمور بيد الله ، وقد حقّ على من عَرَف ذلك ووصفه العملُ به والانتهاءُ إليه . واعلم أنّا لسنا جررنا إلى أنفسنا نفعًا، ولا دفعنا[٤] عنها ضرًّا، ولا نلنا الذى عرفتَه[٥] بحولنا ولا قوّتنا؛ ولو وُكِلْنا فى ذلك إلى أنفسنا وأهوائنا لضعُفت قوّتنا ، وعجزت قدرتنا فى طلب ما بلغ الله بنا ؛ ولكن الله إذا أراد عزماً لإنفاذ أمره ، وإنجاز وعده ، وإتمام عهده ، وتأكيد عَقْده ؛ أحكم إبرامَه ، وأبرم إحكامه ، ونوّر إعلانه[٦] ، وثبَّت أركانه ، حين أسس بُنْيانه ؛ فلا يستطيع العباد تأخيرَ ما عجّل ، ولا تعجيل ما أخّر ؛ غير أن الشيطان عدوٌّ مُضِلٌّ مُبين ؛ قد حذّر الله طاعتَه ، وبيّن عداوته ، ينزع بين ولاة الحقّ وأهل طاعته، ليفرّق جمعهم ، ويشتّت شملهم[٧] ، ويوقع العداوة والبغضاء بينهم ، ويتبرّأ منهم عند حقائق الأمور ، ومضايق البلايا؛ وقد قال الله عز وجل فى كتابه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٨]. ووصف الذين اتقوا فقال : ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[٩] ؛ فأعيذ[١٠] أمير المؤمنين بالله من أن يكون نيّته وضمير سريرته

٣٤٤/٣

(١) ج : « نقمات » .
(٢) ب : « وعمل مثالك » .
(٣) ج : « ومموردها » .
(٤) ب : « ندفع » ، ج : « رفعنا » .
(٥) ج : « نحن فيه » .
(٦) ج : « أعلامه » .
(٧) ج : « أمرهم » .
(٨) سورة الحج ٥٢
(٩) سورة الأعراف ٢٠١
(١٠) ب : « وأعيذ » .

خلاف ما زيّن الله به جلّ وعزّ مَنْ كان قبله ؛ فإنه قد سألتْهم أبناؤهم ، ونازعتهم أهواؤهم ، إلى مثل الذى هَمَّ به أمير المؤمنين ؛ فآثروا الحقَّ على ما سواه ، وعرفوا [١] أن الله لا غالب لقضائه ؛ ولا مانع لعطائه ؛ ولم يأمنوا مع ذلك تغيير النِّعم وتعجيلَ النّقم ؛ فآثروا الآجلة ، وقبلوا العاقبة ، وكرهوا التغيير ، وخافوا التبديل ؛ فأظهروا الجميل ؛ فتمَّم الله لهم أمورَهم ، وكفاهم ما أهمَّهم ، ومنع سلطانهم ، وأعزّ أنصارهم ، وكرّم أعوانهم ، وشرّف بنيانهم ؛ فتمّت النعم ، وتظاهرت المنن ، فاستوجبوا الشكر ، فتمّ أمر الله وهم كارهون . والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله .

فلما بلغ أبا جعفر المنصور كتابُه أمسك عنه ، وغضب غضبًا شديداً ، وعاد الجند لأشدّ ما كانوا يصنعون ؛ منهم أسد بن المرزبان وعُقْبة بن سلْم ونصر بن حرب بن عبد الله ؛ فى جماعة ؛ فكانوا يأتون باب عيسى ، فيمنعون مَنْ يدخل إليه ؛ فإذا ركب مشوْا خلْفه [٢] وقالوا : أنت البقرة التى قال الله : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٣] ، فعاد فشكاهم ، فقال له المنصور : ٣/٣٤٥ يابن أخى ، أنا والله أخافهم عليك وعلى نفسى ؛ قد أشربوا حبّ هذا الفتى ؛ فلو قدّمتَه بين يديك فيكون بينى وبينك لكفّوا . فأجاب عيسى إلى أن يفعل .

وذُكر عن إسحاق الموصلىّ ، عن الربيع ، أن المنصور لما رجع إليه من عند عيسى جواب كتابه الذى ذكرنا ، وقّع فى كتابه : « اسْلُ عنها تنلْ منها عِوَضًا فى الدنيا ، وتأمن تبعتَها فى الآخرة » .

وقد ذكر فى وجه [٤] خلع المنصورِ عيسى بن موسى قولٌ غير هذين القولين ؛ وذلك ما ذكره أبو محمد المعروف بالأسوارىّ بن عيسى الكاتب ، قال : أراد أبو جعفر أن يخلَع عيسى بن موسى مِنْ ولاية العهد ، ويقدّم المهدىّ عليه . فأبى أن يجيبَه إلى ذلك ، وأعيا الأمرُ أبا جعفر فيه ؛ فبعث إلى خالد بن برْمك ، فقال له : كلّمه ياخالد ؛ فقد ترى امتناعه من البيعة

---

(١) ه : «وعلموا» . (٢) ب ، ه : « حوله » . (٣) سورة البقرة ٧١ (٤) ج : « أمر » .

للمهدىّ ؛ وما قد تقدّمنا به فى أمره ؛ فهل عندك حيلة فيه ، فقد أعيتنا وجوه الحيَل ، وضلّ عنا الرأىُ ! فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ تضم إلىّ ثلاثين رجلاً من كبار الشّيعة ، ممن تختاره. قال : فركب خالد بن برمك ، وركبوا معه ، فساروا[١] إلى عيسى بن موسى ، فأبلغوه رسالة أبى جعفر المنصور ، فقال : ما كنتُ لأخلع نفسى وقد جعل الله عزّ وجلّ الأمر لى ؛ فأداره خالد بكلّ وجه من وجوه الحذَر والطمع ، فأبى عليه ؛ فخرج خالد عنه وخرجت الشّيعة بعده ، فقال لهم خالد : ما عندكم فى أمره ؟ قالوا : نبلّغ أمير المؤمنين رسالته ونخبره بما كان منّا ومنه ؛ قال : لا ، ولكنا نخبر أمير المؤمنين أنه قد أجاب ، ونشهد عليه إن أنكره ، قالوا له : افعل ، فإنا نفعل ، فقال لهم : هذا هو الصّواب . وأبلَغ أميرَ المؤمنين فيما حاول وأراد . ٣٤٦/٣

قال : فساروا إلى أبى جعفر وخالد معهم ، فأعلموه أنه قد أجاب ، فأخرج التوقيع بالبيعة للمهدىّ ، وكتب بذلك إلى الآفاق ؛ قال : وأتى عيسى ابن موسى لما بلغه الخبرُ أبا جعفر منكراً لما ادّعِىَ عليه من الإجابة إلى تقديم المهدىّ على نفسه ، وذكّره الله فيما قد همّ به . فدعاهم أبو جعفر . فسألهم فقالوا : نشهد عليه أنه قد أجاب ؛ وليس له أن يرجع ؛ فأمضى أبو جعفر الأمرَ ، وشكر لخالد ما كان منه ؛ وكان المهدىّ يعرف ذلك له ، ويصف جزالة الرأى منه فيه .

وذُكر عن علىّ بن محمد بن سليمان، قال : حدّثنى أبى ، عن عبدالله بن أبى سليم مولَى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : إنى لأسيرُ مع سليمان بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، وقد عزم أبو جعفر على أن يقدّم المهدىّ على عيسى بن موسى فى البيعة ، فإذا نحن بأبى نُخَيلة الشاعر ، ومعه ابناه وعبداه[٢] ؛ وكلّ واحد منهما يحمل شيئًا من متاع ، فوقف عليهم سليمان بن عبد الله ، فقال : أبا نُخَيلة ، ما هذا الذى أرى ؟ وما هذه الحال التى أنت فيها ؟ قال : كنتُ نازلا على القعقاع[٣] — وهو رجل من آل زرارة ، وكان يتولى ٣٤٧/٣

---

(١) ب : « فسار » . (٢) الأغانى : « ومعه ابنان له وعبد » .
(٣) الأغانى : « القعقاع بن معبد ، أحد ولد معبد بن زرارة » .

لعيسى بن موسى الشُّرْطة — فقال لى : اخرج عنِّى ؛ فإن هذا الرجل قد اصطنعنى ؛ وقد بلغنى أنك قلت شعراً فى هذه البَيْعة للمهدىّ ، فأخاف إن يبلغه ذلك أن يُلزمنى لائمة لنزولك علىّ ، فأزعجنى حتى خرجتُ . قال : فقال لى : يا عبد الله ؛ انطلق بأبى نُخيلة فبوِّئه فى منزلى موضعاً صالحاً ، واستوص به وبمَنْ معه خيراً . ثمّ خبّر سليمان بن عبد الله أبا جعفر بشعر أبى نُخيلة الذى يقول فيه :

عيسى فَزَحْلَفَها إلى محمدِ حتى تُؤدَّى من يد إلى يَدِ[1]

فيكم وتَغْنَى وهى فى تزيُّدِ فقد رَضِينا بالغلام الأَمْرَدِ

قال : فلما كان فى اليوم الذى بايع فيه أبو جعفر لابنه المهدىّ وقدّمه على عيسى ، دعا بأبى نُخيلة ، فأمره فأنشد الشِّعر ؛ فكلمه سليمان بن عبدالله ، وأشار عليه فى كلامه أن يُجزل له العطية ، وقال : إنه شىء يبقى لك فى الكتب ، ويتحدّث الناس به على الدّهر ، ويخلُد على الأيام ؛ ولم يزل به حتى أمر له بعشرة آلاف درهم[2] .

وذكر عن حيّان بن عبدالله بن حِبْران الحِمّانىّ ، قال : حدثنى أبو نُخيلة ، قال : قدمتُ على أبى جعفر ، فأقمت ببابه شهراً[3] لا أصلُ إليه ، حتى قال لى ذات يوم عبد الله بن الربيع الحارثىّ : يا أبا نُخيلة ، إنّ أمير المؤمنين يرشِّح ابنه للخلافة والعَهد ، وهو على تقدِمَته بين يدى عيسى بن موسى ، فلو قلتَ شيئاً تحثُّه على ذلك ، وتذكُر فضل المهدىّ ، كنت بالحرَى أن تصيب منه خيراً ومن ابنه ، فقلتُ :

٣٤٨/٣

---

(١) موضوعهما فى الأغانى :

لَيْسَ وَلِىٌّ عَهْدِنَا بالأَسْعَدِ عيسى فَزَحْلِفْهـا إلى محمّدِ

من عند عيسى معهداً عن معهد حَتَّى تؤدَّى من يدٍ إلى يد

وفى اللسان : « ويقال : زحلف الله عنا شرك ، أى نحى الله عنا شرك » ، واستشهد بالرجز .

(٢) الخبر فى الأغانى ١٨ : ١٥٠ ، ١٥١ (ساسى) ، مع اختلاف فى الرواية .

(٣) ج : « أشهرا » .

دُونكَ عبدَ الله أهلَ ذاكا خلافةَ الله الّتى أعطاكا[١]
أصفَاك أصفَاك بها أصْفَاكا فقد نَظَرنا زمَناً أباكا
ثمّ نظرناكَ لَها إيّاكا ونَحْنُ فيهمْ والهَوى هَوَاكَا
نعم ، فَنَسْتدْرِى إلى ذَرَاكا أسندْ إلى محمّدٍ عَصاكا
فابنُك ما اسْترْعَيْتَه كَفَاكَا فأحفَظُ النّاسِ لها أدْنَاكَا
فقد جَفَلتُ الرجْلَ والأوْرَاكا وحِكْتُ حتى لم أجِدْ مَحاكا
ودُرْتُ فى هذا وذا وذاكا وكلُّ قولٍ قلتُ فى سواكا

* زُورٌ وقد كفَّر هذا ذاكا *

وقلتُ أيضًا كلمتى التى أقول فيها :

إلى أمير المؤمنينَ فاعْمِدِى سِيرى إلى بحرِ البحورِ المُزْبِدِ[٢]
أنت الذى يا بن سَمِىِّ أحمدِ ويا بنَ بيتِ العربِ المُشَيَّدِ
بل يا أمِينَ الواحدِ المؤيَّدِ[٣] إنّ الذى ولّاك ربُّ المسجدِ
أمسَى ولىُّ عهدِها بالأسْعَدِ عيسى فَزَحْلَفَهَا إلى محمدِ
من قبلِ عيسى مَعْهَدًا عن معهدِ حتى تؤدّى من يدٍ إلى يدِ
فيكم وتغنَى وهى فى تَزَيّدِ فقد رضينَا بالغلامِ الأمْردِ
بل قدفرغنا غيرَ أن لم نَشْهَدِ[٤] وغيرَ أنَّ العقدَ لم يُؤَكَّدِ[٥]
فلو سمِعنا قَوْلَكَ[٦] امْدُدِ امددِ كانت لنا كَدَعْقَةِ الوِردِ الصَّدِى[٧]

٣/ ٩٤٩

(١) انظر الأغانى ١٨ : ١٥٢ .
(٢) الأغانى ١٨ : ١٥١ ، وفى ج : « فاغتدى » ، وقبله فى الأغانى :

* إلى الذى يندَى ولا يندى نَدِ *

(٣) ج : « المؤيد » .
(٤) ج : « فزعنا » .
(٥) ب : « العهد » .
(٦) الأغانى : « قولك » .
(٧) كذا فى الأغانى ، وفى ط : « بلة » .

فبادر الْبَيْعةَ وردَ الحُشَّدِ تَبينُ من يومك هذا أو غدِ(١)

فهو الذى تمَّ فما من عُنَّدِ وزاد ما شئتَ فَزِدْهُ يَزْددِ(٢)

وردِّهِ منك رداءً يَرْتَدِ فهو رداءُ السابقِ المُقلَّدِ

قد كان يُرْوَى أنها كَأَنْ ا قدِ عادت ولو قد فَعَلَتْ لم تَرْدُدِ(٣)

فَهْىَ تَرَامَى فَدْفداً عن فَدْفدِ حيناً ، فلو قد حان وردُ الوُرَّدِ

وحان تحويلُ الغوىّ المُفْسِدِ قال لها اللهُ هَلُمِّى وارشُدى

فأصْبَحَتْ نازلةً بالمعهـدِ والمختِدِ المحتدِ خيْرِ المحتد

لم يرْمِ تَذْمارَ النفوس الحُسَّدِ بمثل قَرمٍ ثابتٍ مُؤيَّدِ

لما انْتَحَوْا قَدْحاً بِزَنْد مُصْلِدِ بُلُوا بِمَشْزورِ القُوى المُسْتحصِدِ

يَزْدادُ إيقاظاً على التَّهَدُّدِ فَدَاوِلوا باللينِ والتَّعَبُّـدِ

* صَمْصَامَةٌ تأْكلُ كلَّ مِبْرَدِ *

قال : فرويت وصارت فى أفواه الخدم ، وبلغتْ أبا جعفر ، فسأل عن قائلها ، فأخبِرَ أنها لرجل من بنى سَعْد بن زيد مناة ، فأعجبه ، فدعانى فأدخلت عليه ؛ وإن عيسى بن موسى لعَنْ يمينه ، والناس عنده ، ورءوس القوّاد والجند ، فلما كنتُ بحيث يرانى ، ناديت : يا أمير المؤمنين ، أدننى منك حتى أفهمك وتسمع مقالتى(٤) فأومأ بيده ، فأدنيتُ حتى كنتُ قريباً منه ، فلما صرتُ بين يديه قلتُ — ورفعتُ صوتى — أنشده من هذا الموضع ، ثم رجعتُ إلى أوّل ٣/٣٥٠

---

(١) الأغانى :

فنادِ للبيعة جمعاً نحشدِ فى يومنا الحاضرِ هذا أو غدِ

(٢) الأغانى :

* واصنَعْ كما شئتَ وزِدْهُ يزددِ *

(٣) الأغانى : « ولو قد ذقلت » .

(٤) ج : « كلامى » .

الأرجوزة ؛ فأنشدتها من أوّلها إلى هذا الموضع أيضًا . فأعدتُ عليه حتى أتيتُ على آخرها ، والناس منصتون ، وهو يتسارّ بما أنشده ، مستمعًا له ؛ فلمّا خرجنا من عنده إذا رجلٌ واضعٌ يده على مَنكِبى ، فالتفتّ فإذا عقال بن شبّة يقول : أمّا أنت فقد سررْتَ أمير المؤمنين ؛ فإن التأم الأمر على ما تحبّ وقلتَ ، فلعمرى لتصيبنّ منه خيراً . وإن يك غير ذلك ، فابتغ نفقًا فى الأرض أو سلّمًا فى السماء . قال : فكتب له المنصور بصلة إلى الرّىّ ، فوجّه عيسى فى طلبه ، فلُحق فى طريقه ، فذُبح وسُلخ وجهه .

وقيل : قتِل بعد ما انصرف من الرىّ ؛ وقد أخذ الجائزة[١] .

وذكر عن الوليد بن محمد العنبرىّ أنّ سبب إجابة عيسى أبا جعفر إلى تقديم المهدىّ عليه كان أن سلْم بن قتيبة قال له : أيّها الرجل بايعْ ، وقدّمه على نفسك ؛ فإنك لن[٢] تخرج من الأمر ؛ قد جعل لك الأمر من بعده وتُرضِى أمير المؤمنين . قال : أوَ تَرَى ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فإنّى أفعل ؛ فأتى سلْم المنصورَ فأعلمه إجابة عيسى ، فسُرّ بذلك وعظُم قدْر سَلْم عنده . ٣٥١/٣ وبايع الناس للمهدىّ ولعيسى بن موسى مِنْ بعده . وخطب المنصور خطبته التى كان فيها تقديم المهدىّ على عيسى ، وخطب عيسى بعد ذلك فقدّم المهدىَّ على نفسه ، ووفى له المنصور بما كان ضمن له .

وقد ذكر عن بعضِ صحابة[٣] أبى جعفر أنه قال : تذاكرْنا أمرَ أبى جعفر المنصور وأمرَ عيسى بن موسى فى البَيْعة وخلْعه إياها من عنقه وتقديمَه المهدىّ ، فقال لى رجل من القوّاد سماه : والله الذى لا إله غيره ؛ ما كان خَلْعهُ إياها منه إلا برضًا من عيسى وركونٍ منه إلى الدّراهم ، وقلة علمه بقَدْر الخلافة ، وطلبًا للخروج منها ؛ أتى يومَ خرج للخلع فخلع نفسه ؛ وإنى لفى مقصورة مدينة السّلام ؛ إذ خرج علينا أبو عُبيد الله كاتب المهدىّ ، فى جماعة من أهل خُراسان ، فتكلم عيسى ، فقال : إنى قد سلّمت ولايةَ العهد

---

(١) الأغانى ١٨ : ١٥١ (ساسى) .
(٢) ج : « لم » .
(٣) ج : « أصحاب » .

لمحمد بن أمير المؤمنين ، وقدّمته على نفسى ، فقال أبو عبيد الله : ليس هكذا أعزّ الله الأمير ؛ ولكن قُلْ ذلك بحقّه وصدقه ؛ وأخبرْ بما رغبتَ فيه فأعطيت ، قال : نعم ، قد بعتُ نصيبى من تقدمة ولاية العهد مِنْ عبد الله أمير المؤمنين لابنه محمد المهدىّ بعشرة آلاف ألف درهم وثلاثمائة ألف بين ولدى فلان وفلان وفلان — سمّاهم — وسبعمائة ألف لفلانة امرأة من نسائه — سمّاها — بطيب نفس منى وحبّ ، لتصييرها إليه ، لأنه أولى بها وأحقّ ، وأقوى عليها وعلى القيام بها ؛ وليس لى فيها حقٌّ لتقدمته ، قليل ولا كثير ؛ فما ادّعيته بعد يومى هذا فأنا فيه مُبطِلٌ لا حقّ لى فيه ولا دعوَى ولا طلبة . قال : والله وهو فى ذلك ؛ ربما نسى[1] الشىء بعد الشىء فيوقفه عليه أبو عُبيد الله ؛ حتى فرغ ، حبًّا للاستيثاق منه . وختم الكتاب وشهد عليه الشهود وأنا حاضر ؛ حتى وضع عليه عيسى خطّه وخاتَمه ، والقوم جميعًا ؛ ثم دخلوا من باب المقصورة إلى القَصْر . ٣/٣٥٢

قال : وكسا أميرُ المؤمنين عيسى وابنه موسى وغيره من ولده كُسوة بقيمة ألف ألف درهم ونيّف ومائتى ألف درهم .

وكانت ولاية عيسى بن موسى الكوفة وسوادها وما حولها ثلاث عشرة سنة ؛ حتى عزله المنصور ، واستعمل محمد بن سليمان بن علىّ حين امتنع من تقديم المهدىّ على نفسه .

وقيل : إنّ المنصور إنما ولّى محمد بن سليمان الكوفة حين ولاّه إياها ليستخفّ بعيسى ؛ فلم يفعل ذلك محمد ، ولم يزل معظمًا له مبجّلاً .

* * *

وفى هذه السنة ولّى أبو جعفر محمدَ بن أبى العباس — ابن أخيه — البَصْرة فاستعفى منها فأعفاه ، فانصرف عنها إلى مدينة السلام ، فمات بها ، فصرخت امرأته البغوم بنت علىّ بن الربيع : واقتيلاه ! فضربها رجل من الحرس بجلويز على عَجيزتها ، فتعاوره خدمٌ لمحمد بن أبى العباس فقتلوه ؛ فطُلّ دمه .

وكان محمد بن أبى العباس حين شخص عن البصرة استخلف بها عُقْبة

(١) ج : « ترك » .

ابن سلم ، فأقره عليها أبو جعفر إلى سنة إحدى وخمسين ومائة .

* * *

٣٥٣/٣ وحجّ بالناس فى هذه السنة المنصور .

وكان عامله فيها على مكة والطائف عمّه عبد الصمد بن علىّ . وعلى المدينة جعفر بن سليمان . وعلى الكوفة وأرضها محمد بن سليمان . وعلى البصرة عُقْبة ابن سلم . وعلى قضائها سوّار بن عبد الله . وعلى مصر يزيد بن حاتم .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك توجيه المنصور حُميد بن قحطبة إلى إرمينيَة لحرب الترك الذين قتلوا حَرْب بن عبد الله، وعاثوا بتَفْليس، فسار حُميد إلى إرمينيَة، فوجدهم قد ارتحلوا، فانصرف ولم يلق منهم أحداً.

* * *

وفى هذه السنة عسكر صالح بن علىّ بدابق — فيما ذكر — ولم يَغْزُ.

وحج بالنّاس فيها جعفر بن أبى جعفر المنصور.

* * *

وكانت ولاة الأمصار فى هذه السنة ولاتها فى السنة التى قبلها.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك غزوة العباس بن محمد الصائفة أرض الروم ، ومعه الحسن بن قحْطبة ومحمد بن الأشعث ، فهلك محمّد بن الأشعث فى الطريق .

وفى هذه السنة استتمّ المنصور بناءَ سُور مدينة بغداد ، وفرَغ من خندقها وجميع أمورها .

* * *

٣/٣٥٤ وفيها شخص إلى حديثة[1] الموْصل ، ثم انصرف إلى مدينة السلام .

* * *

وحجّ فى هذه السنة بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله ابن عباس .

وفى هذه السنة عُزِل عبد الصمد بن علىّ عن مكة ، ووليَها محمد بن إبراهيم .

* * *

وكانت عمال الأمصار فى هذه السنة العمال الذين كانوا عمالها فى سنة سبع وأربعين ومائة وسنة ثمان وأربعين ومائة ؛ غير مكة والطائف ؛ فإنّ واليهما كان فى هذه السنة محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس .

---

(١) ج : « مدينة الموصل » .

ثم دخلت سنة خمسين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خروج أستاذ سيس]

فممّا كان فيها من ذلك خروج أستاذسيس فى أهل هَراة وباذَغيس وسِجِسْتان وغيرها من عامّة خُراسان، وساروا حتى التقوْا هم وأهل مَرْوالروذ، فخرج إليهم الأجثم المَرْورُّوذىّ فى أهل مَرْو الرّوذ، فقاتلوه قتالاً شديداً حتى قتِل الأجثم، وكثر القتل فى أهل مَرْوالرّوذ، وهزم عدّة من القوّاد؛ منهم معاذ بن مسلم بن معاذ وجبرئيل بن يحيى وحمّاد بن عمرو وأبو النّجْم السِّجستانىّ وداود بن كَرّاز؛ فوجّه المنصور وهو بالبردَان خازم ابن خزيمة إلى المهدىّ؛ فولاه المهدىّ محاربة أستاذسيس، وضمّ القوّاد إليه. ٣٥٥/٣

فذُكِر أن معاوية بن عبيد الله وزير المهدىّ كان يوهن أمر خازم، والمهدىّ يومئذ بنيسابور، وكان معاوية يخرج الكتب إلى خازم بن خزيمة وإلى غيره من القوّاد بالأمر والنهى. فاعتلّ خازم وهو فى عسكره، فشرب الدواء ثم ركب البريد، حتى قدم على المهدىّ بنيسابور، فسلّم عليه واستخلاه — وبحضرته أبو عبيد الله — فقال المهدىّ: لا عَيْنَ عليك من أبى عبيد الله، فقلْ ما بدا لك؛ فأبى خازم أن يخبرَه أو يكلّمه، حتى قام أبو عبيد الله، فلمّا خلا به شكا اليه أمرَ معاوية بن عبيد الله، وأخبره بعصبيّته وتحامُله؛ وما كان يرد من كُتبه عليه وعلى مَنْ قِبَله من القواد، وما صاروا إليه بذلك من الفساد والتأمّر فى أنفسهم؛ والاستبداد بآرائهم، وقلّة السمع والطاعة. وأنّ أمر الحرب لا يستقيم إلاّ برأس؛ وألاّ يكون فى عسكره لواء يخفق على رأس أحد إلاّ لواؤه أو لواء هو عقدَه. وأعلمه أنه غير راجع إلى قتال أستاذسيس ومَنْ معه إلا بتفويض الأمر إليه وإعفائه من معاوية بن عبيد الله؛ وأن يأذن

له فى حَلّ ألوية القوّاد الذين معه، وأن يكتب إليهم بالسمع له والطاعة . فأجابه المهدىّ إلى كلّ ما سأل .

فانصرف خازم إلى عسكره ، فعمل برأيه ، وحلّ لواء مَنْ رأى حلّ لوائه من القوّاد ، وعقد لواء لمن أراد ، وضمّ إليه مَنْ كان انهزم من الجنود ، فجعلهم حشواً يكثّر بهم[1] مَنْ معه فى أخرَيات الناس ، ولم يقدّمهم لما فى قلوب المغلوبين من رَوْعة الهزيمة ؛ وكان من ضُمّ[2] إليه من هذه الطبقة اثنين وعشرين ألفاً ، ثم انتخب ستة آلاف رجل من الجُنْد ، فضمهم إلى اثنى عشر ألفاً كانوا معه متخيَّرين ؛ وكان بكّارُ بن مسلم[3] العُقَيلىّ فيمن انتخب ، ثم تعبّأ للقتال وخندق . واستعمل الهيثم بن شعبة بن ظهير على ميمنته ، ونهار بن حصين السعدىّ على ميسرته ؛ وكان بكّار بن مسلم العقيلىّ على مقدّمته وتُرارخُدا على ساقته ؛ وكان من أبناء ملوك أعاجم خُراسان ؛ وكان لواؤه مع الزِّبْرقان وعلمه مع مولاه بسّام ، فمكر بهم وراوغهم فى تنقّله من موضع إلى موضع وخندق إلى خندق حتى قطعهم ؛ وكان أكثرهم رجّالة ، ثم سار خازم إلى موضع فنزله ، وخندق عليه ، وأدخل خندقه جميع ما أراد ، وأدخل فيها جميع أصحابه ، وجعل له أربعة أبواب ، وجعل على كلّ باب منها من أصحابه الذين انتخب ، وهم أربعة آلاف ، وجعل مع بكار صاحب مقدّمته ألفين ؛ تكملة الثمانية عشر ألفاً . وأقبل الآخرون ومعهم المروز[4] والفؤوس والزُّبُل ، يريدون دفْن الخندق ودخولَه ، فأتوا الخندق من الباب الذى كان عليه بكار بن مسلم ، فشدّوا عليه شدّة لم يكن لأصحاب بكار نهاية دون أن انهزموا حتى دخلوا عليهم الخندق .

فلما رأى ذلك بكّار رمى بنفسه[5] ، فترجّل على باب الخندق ثم نادى أصحابه : يا بنى الفواجر ، مِن قِبَلى يؤتى المسلمون ! فترجّل مَنْ معه من عشيرته وأهله نحو من خمسين رجلا ، فمنعوا بابهم حتى أجلوا القوم عنه ، وأقبل إلى الباب الذى كان عليه خازم رجلٌ كان مع أستاذسيس من أهل سجستان ، يقال له الحريش ؛ وهو الذى كان يدبّر أمرهم ؛ فلما رآه خازم

٣٥٦/٣

٣٥٧/٣

(١) ج : « بكثرتهم » . (٢) ج : « انضم » . (٣) ابن الأثير : « سلم » .
(٤) كذا فى هـ ، وفى ط : « المرور » . (٥) ب : « نفسه » .

مقبلاً بعث إلى الهيثم بن شعبة، وكان فى الميمنة – أن اخرج من بابك الّذى أنت عليه ؛ فخذ غيرَ الطريق الذى يُوصلك إلى الباب الذى عليه بكار ، فإنّ القوم قد شغلوا بالقتال وبالإقبال إلينا ، فإذا علوت فجزت مبلغ أبصارهم فأتهم من خلفهم . وقد كانوا فى تلك الأيام يتوقعون قدوم أبى عون وعمرو بن سلم ابن قتيبة من طَخارستان . وبعث خازم إلى بكار بن مسلم : إذا رأيت رايات الهيْثم بن شعبة قد جاءتْك من خلفك، فكبِّروا وقولوا : قد جاء أهل طَخارستان. ففعل ذلك أهلُ الهيثم ، وخرج خازم فى القلْب على الحريش السجستانىّ ، فاجتلدوا بالسيوف جلاداً شديداً ، وصبر بعضُهم لبعض ؛ فبينا هم على تلك الحال إذ نظروا إلى أعلام الهيْثم وأصحابه ، فتنادوْا[1] فيما بينهم ، وجاء أهل طخارستان ، فلما نظر أصحاب الحريش إلى تلك الأعلام ، ونظر مَنْ كان بإزاء بكار بن مسلم إليها ، شدّ عليهم أصحاب خازم فكشفوهم ، ولقيَهم أصحابُ الهيثم ، فطعنوهم بالرماح ، ورموْهم بالنُّشاب ، وخرج عليهم[2] نهار بن حصين وأصحابُه من ناحية الميسرة ، وبكارُ[3] بن مسلم وأصحابه من ناحيتهم[4] ، فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف ، فقتلهم المسلمون وأكثروا ؛ فكان مَنْ قتل منهم فى تلك المعركة نحواً من سبعين ألفاً ، وأسروا أربعة عشر ألفاً ، ولجأ أستاذسيس إلى جبل فى عِدّة من أصحابه يسيرة ، فقدّم خازم الأربعة عشر ألف أسير ؛ فضرب أعناقهم ، وسار حتى نزل بأستاذسيس فى الجبَل الذى كان لجأ إليه ، ووافى خازماً بذلك المكان أبو عون وعمرو بن سلم بن قتيبة فى أصحابهما ؛ فأنزلهم خازم ناحيةً ، وقال : كونوا مكانكم حتى نحتاج إليكم . فحصر خازم أستاذسيس وأصحابَه حتى نزلوا على حكم أبى عوْن ، ولم يرضوْا إلا بذلك ، فرضى بذلك خازم ، فأمر أبا عون بإعطائهم أن ينزلوا على حكمه ، ففعل ؛ فلما نزلوا على حكم أبى عون حكم فيهم أن يُوثَق أستاذسيس وبنوه وأهل بيته بالحديد، وأن يُعتق الباقون وهم ثلاثون ألفاً ، فأنفذ ذلك خازم من حُكْم أبى عون ، وكسا كلّ رجل منهم ثوبين ؛ وكتب

٣٥٨/٣

(١) ب : « فنادوا » .
(٢) ب : « إليهم » .
(٣) ب : « وكان بكار » .
(٤) ج : « ناحيته » .

خازم بما فتح الله عليه ، وأهلك عدوّه إلى المهدىّ ، فكتب بذلك المهدىّ إلى أمير المؤمنين المنصور .

وأما محمد بن عمر ، فإنه ذكر أن خروج أستاذسيس والحريش كان فى سنة خمسين ومائة ، وأن أستاذسيس هُزم فى سنة إحدى وخمسين ومائة .

* * *

وفى هذه السنة عزل المنصورُ جعفر بن سليمان عن المدينة ، وولاها الحسن ابن يزيد بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه .

وفيها تُوفّىَ جعفر بن أبى جعفر المنصور ، الأكبرُ بمدينة السلام ، وصلى عليه أبوه المنصور ، ودُفن ليلاً فى مقابر قريش ؛ ولم تكن للناس فى هذه السنة صائفة ؛ قيل إن أبا جعفر كان ولّى الصائفة فى هذه السنة أسَيْدًا ، فلم يدخل بالناس أرض العدّو ، ونزل مرج دابِق . ٣٠٩/٣

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الصمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس .

وكان العامل على مكة والطائف فى هذه السنة عبدُ الصمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس — وقيل كان العامل على مكة والطائف فى هذه السنة محمد ابن إبراهيم بن محمد — وعلى المدينة الحسن بن زيد العلوىّ ، وعلى الكوفة محمد ابن سليمان بن علىّ ، وعلى البصرة عُقْبة بن سلم ، وعلى قضائها سَوّار ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك ما كان من إغارة الكُرْك فيها فى البحر على جُدّة ؛ ذكر ذلك محمد بن عمر .

وفيها ولّى عمر بن حفص بن عثمان بن أبى صفرة إفريقيّة ، وعُزِل عن السند وولّى موضعه هشام بن عمرو التغلبىّ .

* * *

ذكر الخبر عن سبب عزل المنصور عمر بن حفص عن السِّنْد وتوليته إياه إفريقيّة واستعماله على السِّنْد هشام بن عمرو

وكان سبب ذلك — فيما ذكر علىّ بن محمد بن سليمان بن علىّ العباسىّ ٣/٣٦٠ عن أبيه — أنّ المنصور ولّى عمر بن حفص الصُّفْرىّ الذى يقال له هزارمَرْد السِّند — فأقام بها حتى خرج محمد بن عبد الله بالمدينة وإبراهيم بالبصرة ، فوجّه محمد بن عبد الله [إليه] [١] ابنَه عبد الله بن محمد الذى يقال له الأشتر ، فى نفر من الزيديّة [٢] إلى البصرة ، وأمرهم أن يشتروا مهارة — خيل عِتاق بها — ويمضوا بها معهم إلى السِّند ، ليكون سببًا له إلى الوصول إلى عمر بن حفص ؛ وإنما فعل ذلك به لأنّه كان فيمن بايعه من قوّاد أبى جعفر ، وكان له ميْل إلى آل أبى طالب ، فقدموا البصرة على إبراهيم بن عبد الله ، فاشترْوا منها مهارةً — وليس فى بلاد السِّند والهند شىء أنفق من الخيل العتاق — ومضوا فى البحر حتى صاروا إلى السند ، ثم صاروا إلى عمر بن حفص ، فقالوا : نحن قوم نخّاسون ، ومعنا خيل عتاق ، فأمرهم أن يعرضوا [٣] خيلَهم ، فعرضوها عليه ؛ فلما صاروا إليه ، قال له بعضهم : أدنِنى منك أذكر لك شيئًا ، فأدناه منه ، وقال [٤] له : إنّا جئناك بما هو خير لك من الخيل ، وما لك فيه

---

(١) من ب .
(٢) ب : « الزندية » ، ج : « الرندية » .
(٣) ج : « يحضروا » .
(٤) ب : « فقالوا » .

خير[١] الدنيا والآخرة ، فأعطنا الأمان على خَلَّتَيْن : إما أنك قبلت ما أتيناك به ، وإما سترت وأمسكت عن أذانا حتى نخرج من بلادك راجعين . فأعطاهم الأمان ، فقالوا : ما للخيل أتيناك ؛ ولكن هذا ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ، أرسله أبوه إليك ، وقد خرج بالمدينة ، ودعا لنفسه بالخلافة ، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة وغلب عليها ، فقال : بالرَّحب والسعة ، ثم بايعهم له ، وأمر به فتوارى عنده ، ودعا أهل بيته وقوادَه وكبراء[٢] أهل البلد للبيْعة ، فأجابوه ، فقطع الأعلام البيض والأقبِيَة البِيض والقلانس البيض ، وهيأ لبسته[٣] من البياض يصعد فيها إلى المنبر ، وتهيأ لذلك يوم خميس ؛ فلما كان يوم الأربعاء إذا حَرّاقة[٤] قد وافت من البصرة ، فيها رسول لخُلَيْدة بنت المُعارِك — امرأة عمر بن حفص — بكتاب إليه تخبره بقتل محمد بن عبد الله ، فدخل على عبد الله فأخبره الخبر ، وعزّاه ، ثم قال له : إنّى كنت بايعت لأبيك ، وقد جاء من الأمر ما ترى . فقال له : إن أمرى قد شُهِر ، ومكانى قد عُرِف ، ودمى فى عنقك ؛ فانظر لنفسك أوْ دعْ . قال : قد رأيت رأياً ؛ ها هنا ملِك من ملوكِ السند ، عظيم المملكة ، كثير التّبَع ؛ وهو على شِركه أشدّ الناس تعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو رجلٌ وفىٌّ ، فأرسِل إليه ، فاعقِدْ بينك وبينه عقداً ، وأوجّهك إليه تكون عنده ؛ فلستَ ترام معه . قال : افعل ما شئت ؛ ففعل ذلك ؛ فصار إليه ، فأظهر إكرامه وبِرّه برّاً كثيراً ، وتسللت إليه الزيدية حتى صار إليه منهم أربعمائة إنسان من أهل البصائر ؛ فكان يركب فيهم فيصيد[٥] ويتنزّه فى هيئة الملوك وآلاتهم ، فلما قتِل محمد وإبراهيم انتهى خبرُ عبد الله الأشتر إلى المنصور ؛ فبلغ ذلك منه ، فكتب إلى عمر بن حفص يخبره بما بلغَه ، فجمع عمر بن حفص قرابته ، فقرأ عليهم كتاب المنصور يخبرهم أنه إن أقرّ بالقصّة لم يُنظره المنصور أن يعزله ، وإن صار إليه قتله ، وإن امتنع حاربه . فقال له رجل من أهل بيته : ألقِ الذّنب علىّ ، واكتب

٣٦١/٣

(١) ج : « من الدنيا » . (٢) ب : « وكبر » .
(٣) ب : « لبسه » . (٤) الحراقة : ضرب من السفن فيها مرامى نيران ، يرى بها العدو من البحر . وفى ب : « جدافة » (٥) ابن الأثير : « فيتصيد » .

إليه بخبرى ، وخذنى الساعة فقيّدنى واحبسنى؛ فإنه سيكتب : احمله إلىّ ؛ فاحملنى إليه ، فلم يكن ليقدم[1] علىّ لموضعك فى السند ، وحال أهل بيتك بالبصرة . قال : إنى أخاف عليك خلاف ما تظنّ ، قال : إن قُتِلت أنا فنفسى فداؤك[2] فإنى سخىٌّ بها فداء لنفسك ؛ فإن حييت فمن الله . فأمر به فقُيِّد وحبس ، وكتب إلى المنصور يخبره بذلك ؛ فكتب إليه المنصور يأمره بحمله إليه ؛ فلما صار إليه قدّمه فضرب عنقه ، ثم مكث يروّى مَن يولِّى السِّند ! فأقبل يقول : فلان فلان ؛ ثم يعرض عنه؛ فبينا هو يوماً يسير ومعه هشام بن عمرو التغلبىّ ، والمنصور ينظر إليه فى موكبه ، إذ انصرف إلى منزله ، فلما ألقى ثوبه دخل الرّبيع فآذنه بهشام . فقال : أوَلم يكن معى آنفاً! قال : ذكر أن له حاجةً عرضت مهمة . فدعا بكرسىّ فقعد عليه ، ثم أذِن له ، فلما مثَل بين يديه قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنى انصرفت إلى منزلى من الموكب ، فلقيتْنى أختى فلانة بنت عمرو ، فرأيت من جمالها وعقْلها ودينها ما رضيتها لأمير المؤمنين ، فجئت لأعرضها عليه ؛ فأطرق المنصور ، وجعل ينكُت الأرضَ بخيزُرانة فى يده ، وقال : اخرج يأتك أمرى ؛ فلما ولّى قال : يا ربيع ؛ لولا بيت قاله جرير فى بنى تغلب لتزوّجت أخته وهو قوله :

لا تَطْلُبَنَّ خئولةً فى تَغْلِبٍ فالزَّنجُ أكرمُ منهُمُ أخوالا[3]

فأخاف أن تلد لى ولداً ، فيعيَّر بهذا البيت ؛ ولكن اخرج إليه ، فقل له : يقول لك أمير المؤمنين : لو كانت لك لله حاجة إلىّ لم أعدل عنها غير التزويج ؛ ولو كانت لى حاجةٌ إلى التزويج لقبلْت[4] ما أتيتَنى به ؛ فجزاك الله عمّا عمَدت له خيراً ، وقد عوّضتك من ذلك ولاية السِّند . وأمره أن يكاتب ذلك الملك ؛ فإن أطاعه وسلّم[5] إليه عبد الله بن محمد ، وإلاّ حاربه . وكتب إلى عمر بن حفص بولايته إفريقيّة . فخرج هشام بن عمرو التغلبىّ إلى السّند

٣٦٢/٣

٣٦٣/٣

---

(١) ب : « يقدم » .
(٢) ج : « فدى لك » .
(٣) ديوانه ٤٥٣ .
(٤) ج : « لفعلت » .
(٥) ج : « وأسلم » .

فوليها ، وأقبل عمر بن حفص يخوضُ البلاد حتى صار إلى إفريقيّة ، فلما صار هشام بن عمرو إلى السِّند كره أخذ عبد الله ، وأقبل يُرى الناس أنه يكاتب الملك ويرفّق به ، فاتصلت الأخبار بأبي جعفر بذلك ؛ فجعل يكتب إليه يستحثّه ، فبينا هو كذلك إذ خرجت خارجة ببعض بلاد السِّند ، فوجّه إليهم أخاه سَفَنّجا ، فخرج يجرّ الجيش وطريقه بجنَبات ذلك الملك ؛ فبينا هو يسير إذا هو برهج قد ارتفع من موكب ، فظنّ أنه مقدّمة للعدوّ الذى يقصد ، فوجّه طلائعه فرجعت ، فقالت : ليس هذا عدوّك الذى تريد ؛ ولكن هذا عبد الله بن محمد الأشتر العلويّ ركب متنزهًا ، يسير على شاطئ مهران ، فمضى يريده ، فقال له نُصّاحه : هذا ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد علمتَ أن أخاك تركه متعمداً ، مخافة أن يبوء بدمه ، ولم يقصدك ، إنما خرج متنزّهًا ، وخرجتَ تريد غيره . فأعرض عنه ، وقال : ما كنتُ لأدَعَ أحداً يحوزُه ، ولا أدع أحداً يحظَى بالتقرّب إلى المنصور بأخذه وقتله . وكان فى عشرة ، فقصد قصدَه ، وذمّرَ أصحابه ، فحمل عليه ، فقاتله عبدُ الله وقاتل أصحابُه بين يديه حتى قُتِل وقُتلوا جميعًا ، فلم يُفلِتْ منهم مخبّر ، وسقط بين القتلى ، فلم يشعر به . وقيل : إن أصحابه قذفوه [١] فى مهران لمّا قتِل ، لئلا يؤخذ رأسه ؛ فكتب هشام بن عمرو بذلك كتاب فتْح إلى المنصور ، يخبره أنه قصده قصداً . فكتب إليه المنصور يحمَد أمره ، ويأمره بمحاربة الملك الذى آواه ؛ وذلك أن عبد الله كان اتّخذ [٢] جوارى ، وهو بحضرة ذلك الملك ، فأولد منهنّ واحدة محمد بن عبد الله — وهو أبو الحسن محمد العلويّ الذى يقال له ابن الأشتر — فحاربه حتى ظفر به ، وغلب على مملكته وقتله ، ووجّه بأمّ ولد عبد الله وابنه إلى المنصور ، فكتب المنصور إلى واليه بالمدينة ، يخبره بصحّة نسب الغلام ، وبعث به إليه ، وأمره أن يجمع آل أبى طالب ، وأن يقرأ عليهم كتابه بصحة نسب الغلام ، ويسلمه إلى أقربائه .

٣/٣٦٤

* * *

وفى هذه السنة قدم على المنصور ابنُه المهدىّ من خُراسان ، وذلك فى

(١) ج : « قذفوا به » . (٢) ب : « أخذ » .

شوال منها — فوفد إليه للقائه وتهنئة المنصور بمقدَمه عامّة أهل بيته ، مَن كان منهم بالشأم والكوفة والبصرة وغيرها ، فأجازهم وكساهم وحملهم ، وفعل مثل ذلك بهم المنصور ، وجعل لابنه المهدىّ صحابةً منهم ، وأجرى لكلّ[1] رجل منهم خمسمائة درهم .

* * *

[ذكر خبر بناء المنصور الرّصافة]

وفى هذه السنة ابتدأ المنصور ببناء الرُّصافة فى الجانب الشرقىّ من مدينة السلام لابنه محمد المهدىّ .

* ذكر الخبر عن سبب بنائه ذلك له :

٣٦٥/٣ ذكر عن أحمد بن محمد الشرَوىّ ، عن أبيه ، أنّ المهدىّ لما قدم من خُراسان أمره المنصور بالمُقام بالجانب الشرقىّ ، وبنَى له الرُّصافة ، وعمل لها سوراً وخندقاً وميْداناً وبستاناً ، وأجرى له الماء ؛ فكان يجرى الماء من نهر المهدىّ إلى الرُّصافة .

وأما خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن خازم ، فإنه ذكر أنّ محمد ابن موسى بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس حدّثه ، أن أباه حدّثه ، أنّ الرّاوندية لما شَغَبوا على أبى جعفر وحاربوه على باب الذّهب ، دخل عليه قُثَم بن العباس بن عبيد الله بن العباس — وهو يومئذ شيخ كبير مُقدّم عند القوم — فقال له أبو جعفر : أما ترى ما نحن فيه من التياث الجُند علينا ! قد خفتُ أن تجتمع كلمتهُم فيخرج هذا الأمر من أيدينا ، فما ترى ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، عندى فى هذا رأىٌ إن أنا أظهرته لك فسَد ، وإن تركتَنى أمضيته ، صلَحت لك خلافتك ، وهابك جندك . فقال له : أفتُمضِى فى خلافتى أمراً لا تعلمنى ما هو ! فقال له : إن كنتُ عندك متّهماً على دولتك فلا تشاورْنى ، وإن كنتُ مأموناً عليها فدعنى أُمضِى رأيى . فقال له : فأمضِه . قال : فانصرف قُثَم إلى منزله ، فدعا غلاماً له فقال له :

(١) ج : « على كل » .

إذا كان غداً فتقدّمنى[١] ، فاجلس فى دار أمير المؤمنين ؛ فإذا رأيتَنى قد دخلتُ وتوسطتُ أصحابَ المراتب ، فخذ بعنان بغلتى ، فاستوقِفْنى واستحلفْنى بحقّ رسول الله[٢] ، وحقّ العباس وحقّ أمير المؤمنين لما[٣] وقفتُ لك ، وسمعتُ مسألتك وأجبتك عنها ؛ فإنى سأنتهرُك ، وأغلِظ لك القول ، فلا يهولنَّك ذلك منى ، وعاوِدْنى بالمسألة فإنّى سأشتِمك ، فلا يروعنّك[٤] ذلك ، وعاوِدْنى بالقول والمسألة ، فإنى سأضربك بسوطى ، فلا يشقّ ذلك عليك ، فقل لى : أىُّ الحيَّيْن أشرف ؟ اليمن أم مضر؟ فإذا أجبتك فخلّ عنان بغلتى وأنت حُرّ. ٣٦٦/٣

قال : فغدا الغلامُ ، فجلس حيث أمره من دار الخليفة ، فلما جاء الشيخ فعل الغلام ما أمره به مولاه ، وفعل المولى ما كان قاله له ، ثم قال له : قل ، فقال : أىُّ الحيَّين أشرف ؟ اليمن أم مضر ؟ قال : فقال قُثَم : مضر كان منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها كتاب الله عزّ وجلّ ، وفيها بيت الله ، ومنها خليفة الله . قال : فامتعضت اليمن إذْ لم يُذكر لها شىء من شَرَفها ؛ فقال له قائد من قوّاد اليمن : ليس الأمر كذلك مطلقاً بغير شرفة ولا فضيلة لليمن ، ثم قال لغلامه : قمْ فخذ بعِنان بغلة الشيخ ، فاكبحْها كبحاً عنيفاً تَطَأمَنُ به منه ، قال : ففعل الغلام ما أمره به مولاه حتى كاد أن يُقعِيَها على عراقيبها ، فامتعضتْ من ذلك مُضر ، فقالت : أيفعل هذا بشيخنا ! فأمر رجل منهم غلامه ، فقال : اقطعْ يد العبد ، فقام إلى غلام اليمانىّ فقطع يدَه ، فنفر الحيَّان ، وصرف قُثَم بغلته ، فدخل على أبى جعفر ، وافترق الجند ، فصارت مُضر فرقة ، واليمن فرقة ، والخُراسانيّة فرقة ، وربيعة فرقة ، فقال قثم لأبى جعفر : قد فرّقتُ بين جندك ، وجعلتهم أحزاباً كلّ حزب منهم يخاف أن يُحدث عليك حدثاً ، فتضربه بالحزب الآخر ، وقد بقى عليك فى التدبير بقيّة ، قال : ما هى ؟ قال : اعبُرْ بابنك فأنزله[٥] فى ذلك الجانب قصراً ، وحوله وحوّل [معك][٦] من جيشك معه قوماً ٣٦٧/٣

---

(١) ب : « فقدمنى » .
(٢) ب : « وحلفنى برسول الله » .
(٣) ابن الأثير : « إلاما » .
(٤) ج : « فلا يرعك » .
(٥) ج : « فابن له » .
(٦) من ج .

فيصير ذلك بلداً ، وهذا بلداً ، فإن فسد عليك أهلُ هذا الجانب ضربتَهم بأهل ذلك الجانب ، وإن فسد عليك أهل ذلك الجانب ضربتَهم بأهل هذا الجانب ، وإن فسدت عليك مُضر ضربتَها باليمن وربيعة والخراسانيّة ، وإن فسدت عليك اليمن ضربتَها بمن أطاعك من مُضر وغيرها .

قال : فقبل أمرَه ورأيه ، فاستوى له مُلْكه ؛ وكان ذلك سببَ البناء فى الجانب الشرقىّ وفى الرصافة وأقطاع القوّاد هناك .

قال : وتولّى صالح صاحب المصلّى القطائع فى الجانب الشرقىّ ، ففعل كفعل أبى العباس الطوسىّ فى فضُول القطائع فى الجانب الغربىّ ؛ فله بباب الجسر وسوق يحيى ومسجد خُضَير وفى الرّصافة وطريق الزواريق على دجلة مواضع بناء ، بما استوهب من فضل الإقطاع عن أهله ؛ وصالح رجل من أهل خراسان .

* * *

وفى هذه السنة جدّد المنصور البيْعة لنفسه ولابنه محمد المهدىّ من بعده ، ولعيسى بن موسى من بعد المهدىّ على أهل بيته فى مجلسه فى يوم جمعة ؛ وقد عمّهم بالإذن فيه ؛ فكان كلُّ مَنْ بايعه منهم يقبّل يده ويد المهدىّ ؛ ثم يمسح على يد عيسى بن موسى ولا يقبّل يده .

* * *

وغزا الصّائفة فى هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد .

* * *

[أمر عقبة بن سلم]

وفيها شخص عُقْبة بن سلْم من البصرة واستخلف عليها ابنَه نافع بن عقبة إلى البَحْرين ، فقتل سليمان بن حكيم العبدىّ وسبى أهلَ البحرين ، وبعث ببعض مَنْ سبى منهم وأسارى منهم إلى أبى جعفر ، فقتل منهم عِدّة ووهب بقيّتهم للمهدىّ ، فمنّ عليهم وأعتقهم ؛ وكسا كلّ إنسان منهم ثوبين من ثياب مرْو . ٣٦٨/٣

ثم عزل عُقْبة بن سلْم عن البصرة ؛ فذُكِر عن إفريك – جارية أسد بن المرزبان – أنها قالت : بعث المنصور أسد بن المرزبان إلى عُقبة بن سلم إلى البَحْرين حين قتل منهم مَنْ قتل ، ينظر فى أمره ، فمايله ولم يستقص عليه، وورّى عنه ؛ فبلغ ذلك أبا جعفر ، وبلغه أنه أخذ منه مالاً ، فبعث إليه أبا سويد الخُراسانى – وكان صديق أسد – وأخاه ، فلما رآه مقبلا على البريد فرِح ، وكان ناحية من عسكر عُقبة ، فتطاول له ، وقال : صديق . فوقف عليه فوثب ليقوم إليه ، فقال له أبو سويد « بنشين بنشين »، فجلس فقال له : أنت سامع مطيع ؟ قال : نعم ، قال : مُدّ يدَك، فمدّ يده فضربها فأطنّها ، ثم مدّ رجله ، ثم مدّ يده ثم رجله حتى قطع الأربع ، ثم قال : مُدّ عنقك فمدّ فضرب عنقه . قالت إفريك : فأخذتُ رأسه فوضعته فى حِجْرى ، فأخذه منى فحمله إلى المنصور . فما أكلتْ إفريك لحمًا حتى ماتت .

* * *

وزعم الواقدىّ أن أبا جعفر ولّى معن بن زائدة فى هذه السنة سِجسْتان .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله ابن عباس .

وكان العامل على مكة والطائف محمد بن إبراهيم ، وعلى المدينة الحسن ابن زيد ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان بن علىّ ، وعلى البصرة جابر بن تَوْبة الكِلابىّ ، وعلى قضائها سَوّار بن عبد الله ، وعلى مِصْر يزيد بن حاتم . ٣٦٩/٣

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك ما كان من قتل الخوارج فيها معنَ بن زائدة الشيبانىّ ببُسْت سِجِسْتان .

وفيها غزا حُميد بن قحطبة كابُل ، وكان المنصور ولاّه خراسان فى سنة ثنتين وخمسين ومائة .

وغزا — فيما ذكر — الصائفة عبدُالوهاب بن إبراهيم ولم يُدْرِب[1] .

وقيل إن الذى غزا الصائفة فى هذه السنة محمد بن إبراهيم .

وفيها عزل المنصور جابر بن توْبة عن البصرة ، وولاّها يزيد بن منصور .

وفيها قتل أبو جعفر هاشم بن الأشتاخَنج ، وكان عصى وخالف فى إفريقيّة ، فحمِل إليه هو وابن خالد المرورّوذىّ ، فقتل ابن الأشتاخَنج بالقادسيّة ، وهو متوجّه إلى مكة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة المنصور ؛ فذكر أنه شخص من مدينة السّلام فى شهر رمضان ، ولا يعلم بشخوصه محمد بن سليمان ، وهو عامله على الكوفة يومئذ ، ولا عيسى بن موسى ولا غيرهما من أهل الكوفة حتى قرُب منها .

٣٧٠/٣

وفيها عزل يزيد بن حاتم عن مصر ووليّها محمد بن سعيد .

* * *

وكان عمّال الأمصار فى هذه السنة هم العمال فى السنة الخالية[2] إلا البَصْرة فإن عاملها فى هذه السنة كان يزيد بن منصور ، وإلاّ مِصْر فإن عاملها كان فى هذه السنة محمد بن سعيد .

---

(١) الدرب : كل مدخل إلى بلاد الروم ؛ وأدرب القوم : إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم . (٢) ج : « الماضية » .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك تجهيز المنصور جيشاً فى البحر لحرب الكرك[١] ، بعد مقدمه البصرة ، منصرفاً من مكة إليها بعد فراغه من حجّه ، وكانت الكرك أغارتْ على جُدّة ، فلما قدم المنصور البصرة فى هذه السنة جهز منها جيشاً لحربهم ، فنزل الجسر الأكبر حين قدمها — فيما ذكر . وقدْمته هذه البصرة القَدْمة الآخرة .

وقيل إنه إنما قدمها القدمة الآخرة فى سنة خمس وخمسين ومائة ، وكانت قدمته الأولى فى سنة خمس وأربعين ومائة ، وأقام بها أربعين يوماً ، وبنى بها قصراً ثم انصرف منها إلى مدينة السلام .

* * *

وفيها غضب المنصور على أبى أيّوب الموريانىّ ، فحبسه وأخاه وبنى أخيه : سعيداً ومسعوداً ومُخلّداً ومحمداً ، وطالبهم . وكانت منازلهم المناذر ، وكان سبب غضبه عليه — فيما قيل — سَعْىُ أبان بن صدقة كاتب أبى أيوب إليه .

* * *

وفى هذه السنة قتل عمر بن حفص بن عثمان بن أبى صفرة بإفريقيّة ، قتله أبو حاتم الإباضىّ وأبو عاد ومن كان معهما من البربر ، وكانوا — فيما ذُكِر — ثلثمائة ألف وخمسين ألفاً ؛ الخيل منها خمسة وثلاثون ألفاً ، ومعهم أبو قُرّة الصُّفرىّ فى أربعين ألفاً ، وكان يسلَّم عليه قبل ذلك بالخلافة أربعين يوماً. ٣/٣٧١

وفيها حُمِل عبّاد مولى المنصور وهرثمة بن أعين ويوسف بن علوان من خُراسان فى سلاسل ، لتعصّبهم لعيسى بن موسى .

وفيها أخذ المنصور الناس بلبس القلانس الطّوال المفرطة الطول ، وكانوا — فيما ذكر — يحتالون لها بالقصب من داخل ، فقال أبو دلامة :

---

(١) ج : « الكرد » .

وكنا نُرَجِّى من إمامٍ زيادةً فزاد الإمامُ المصطفى فى القلانِسِ

تراها على هامِ الرِّجال كأنها دِنان يهودٍ جُلِّلَتْ بالبرانسِ

وفيها توفّى عبيد بن بنت أبى ليلى قاضى الكوفة ، فاستقضى مكانه شريك ابن عبد الله النخعىّ .

وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى الحَجورىّ ، فصار إلى حصن من حصون الروم ليلاً ، وأهله نيام ، فسبى وأسر مَنْ كان فيه من المقاتلة ، ثم صار إلى اللاذقيّة المحترقة ، ففتحها وأخرج منها ستة آلاف رأس من السَّبْى سوى الرّجال البالغين .

وفيها ولّى المنصور بكّارَ بن مسلم العُقيلىّ على إرمينيَة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن أبى جعفر المهدىّ .

وكان على مكة والطائف يومئذ محمد بن إبراهيم ، وعلى المدينة الحسن بن زيد بن الحسن ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان ، وعلى البصرة يزيد بن منصور ، وعلى قضائها سوّار ، وعلى مصر محمد بن سعيد . ٣٧٢/٣

وذكر الواقدىّ أن يزيد بن منصور كان فى هذه السنة والى اليمن من قِبَل أبى جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك خروجُ المنصور إلى الشام ومسيره إلى بيت المقدس وتوجيهه يزيد بن حاتم إلى إفريقيّة فى خمسين ألفاً — فيما ذُكِر — لحرب الخوارج الذين كانوا بها ، الذين قتلوا عامله عمر بن حفص. وذكر أنه أنفق على ذلك الجيش ثلاثةً وستين ألف ألف درهم .

وفى هذه السنة عزم المنصور — فيما ذكر — على بناء مدينة الرافقة ، فذُكر عن محمد بن جابر ، عن أبيه أنّ أبا جعفر لما أراد بناءها ، امتنع أهل الرّقة ، وأرادوا محاربته ، وقالوا : تعطّل علينا أسواقنا وتذهب بمعايشنا[1] ، وتضيق منازلنا ؛ فهمّ بمحاربتهم ، وبعث إلى راهب فى الصومعة هنالك ، فقال له : هل لك علم بأنّ إنسانًا يبنى ها هنا مدينة ؟ فقال : بلغنى أنّ رجلا يقال له مقلاص يبنيها ، فقال : أنا والله مقلاص .

وذكر محمد بن عمر أن صاعقة سقطت فى هذه السنة فى المسجد الحرام فقتلت خمسة نفر .

وفيها هلك أبو أيوب المورياني وأخوه خالد ، وأمر المنصور موسى بن دينار حاجب أبى العباس الطوسىّ بقطع أيدى بنى أخى أبى أيوب وأرجلهم وضرب أعناقهم ؛ وكتب بذلك إلى المهدىّ ، ففعل ذلك موسى وأنفذ فيهم ما أمره به .

وفيها ولّى عبد الملك بن ظَبْيان النميرىّ على البصرة .

وغزا الصائفة فى هذه السنة زُفَر بن عاصم الهلالىّ فبلغ الفرات . ٣/٣٧٣

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن إبراهيم ، وهو عامل أبى جعفر على مكة والطائف .

---

(١) ط : « بمعائشنا » . وهو خطأ .

وكان على المدينة الحسن بن زيد ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان ، وعلى البصرة عبد الملك بن أيوب بن ظَبْيان . وعلى قضائها سوّار بن عبد الله وعلى السِّنْد هشام بن عمرو ، وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد ابن سعيد .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك افتتاح يزيد بن حاتم إفريقيّة وقتلُه أبا عاد وأبا حاتم ومَنْ كان معهما ، واستقامت بلاد المغرب ، ودخل يزيد بن حاتم القيروان .

وفيها وجّه المنصور ابنَه المهدىّ لبناء مدينة الرّافقة ، فشخص إليها ، فبناها على بناء مدينته ببغداد فى أبوابها وفصولها ورحابها وشوارعها وسوّر سورها وخندقها ، ثم انصرف إلى مدينته .

وفيها — فيما ذكر محمد بن عمر — خندق أبو جعفر على الكوفة والبصرة ، وضرب عليهما سوراً ، وجعل ما أنفق على سور ذلك وخندقه من أموال أهله .

وعزل فيها المنصور عبدَ الملك بن أيوّب بن ظَبْيان عن البصرة ، واستعمل عليها الهيثم بن معاوية العتكىّ ، وضم إليه سعيد بن دَعْلَج ، وأمره ببناء سور لها يُطيف بها ، وخندق عليها من دون السّور من أموال أهلها ، ففعل ذلك . ٣٧٤/٣

وذكر أن المنصور لما أراد الأمر ببناء سُور الكوفة وبحفر خندق لها ، أمر بقسمة خمسة دراهم ، على أهل الكوفة ، وأراد بذلك علم عددهم ؛ فلما عرف عددهم أمر بجبايتهم أربعين درهماً من كل إنسان ، فجُبوا ، ثم أمر بإنفاق ذلك على سُور الكوفة وحفر الخنادق لها ، فقال شاعرهم :

يَالَقَوْمِىَ مَا لَقِينَا * مِنْ أَمِيرِ الْمؤْمِنِينَا
قَسَمَ الخمسة فينَا * وجَبَانا الأَرْبَعِينَا

وفيها طلب صاحب الروم الصُّلح إلى المنصور ؛ على أن يؤدّى إليه الجزية .

وغزا الصائفة فى هذه السنة يزيد بن أسيد السُّلمىّ .

وفيها عزل المنصور أخاه العبّاس بن محمد عن الجزيرة ، وغرّمه مالا ،

وغضب عليه وحبسه ، فذكر عن بعض بنى هاشم ، أنه قال : كان المنصور ولّى العباس بن محمد الجزيرة بعد يزيد بن أُسَيد ، ثم غضب عليه فلم يزل ساخطًا عليه حتى غضب على بعض عمومته من ولد علىّ بن عبد الله بن عباس أما إسماعيل بن علىّ أو غيره فاعتوره أهلُه وعمومته ونساؤهم يكلّمونه [1] فيه ، وضيّقوا عليه فرضِىَ عنه ، فقال عيسى بن موسى : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن آل علىّ بن عبد الله — وإن كانت نعمُك عليهم سابغةً — فإنهم يرجعون إلى الحسد لنا [2] ؛ فمن ذلك أنك غضبت على إسماعيل بن علىّ منذ أيام ، فضيّقوا عليك [3] . وأنت غضبان على العباس بن محمد ، منذ كذا وكذا ؛ فما رأيت أحداً منهم كلّمك فيه . قال : فدعا العباس فرضِىَ عنه . ٣٧٥/٣

قال : وقد كان يزيد بن أسَيْد عند عزل العباس إياه عن الجزيرة ، شكا إلى أبى جعفر العبّاس ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن أخاك أساء عزلِى ، وشتم عِرْضى ، فقال له المنصور : اجمع بين إحسانى اليك وإساءة أخى يعتدلا ، فقال يزيد بن أسَيد : يا أميرَ المؤمنين ؛ إذا كان إحسانُكم جزاء بإساءتكم ، كانت طاعتنا تفضُّلاً منا عليكم .

وفيها استعمل المنصور على حرب الجزيرة وخراجها موسى بن كعب .

* * *

وفى هذه السنة عزل المنصور عن الكوفة محمد بن سليمان بن علىّ ، فى قول بعضهم ، واستعمل مكانه عمرو بن زهير أخا المسيِّب بن زهير .

وأما عمر بن شبّة فإنه زعم أنه عزل محمد بن سليمان عن الكوفة فى سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وولاّها عمرو بن زهير الضبّىّ أخا المسيّب بن زهير فى هذه السنة . قال : وهو حفر الخندق بالكوفة .

* * *

ذكر الخبر عن سبب عزل المنصور محمد بن سليمان بن علىّ

ذكر أن محمد بن سليمان أُتِىَ فى عمله على الكوفة بعبد الكريم بن أبى العوْجاء

---

(١) ب : « يطلبونه » . (٢) ب : « لهم » .
(٣) بعدها فى ابن الأثير : « حتى رضيت عنه » .

ـ وكان خال معن بن زائدة ـ فأمر بحبسه . قال أبو زيد : فحدثني قُثَم بن جعفر والحسين بن أيوب وغيرهما أن شفعاءه كثُروا بمدينة السلام ، ثم ألحّوا على أبي جعفر ، فلم يتكلّم فيه إلا ظنّين ، فأمر بالكتاب إلى محمد بالكفّ عنه إلى أن يأتيه رأيُه ، فكلم ابنُ أبي العوجاء أبا الجبّار ـ وكان منقطعًا إلى أبي جعفر ومحمد ثم إلى أبنائهما بعدهما ـ فقال له : إنْ أخّرني الأمير ثلاثة أيام فله مائة ألف ، ولك أنت كذا وكذا ، فأعلم أبو الجبار محمداً ، فقال : أذكرتنيه والله وقد كنت نسيته ؛ فإذا انصرفت من الجمعة فأذكِرْنيه . فلما انصرف أذكره ، فدعا به وأمر بضرب عُنقه ، فلما أيقن أنه مقتول ، قال : أما والله لئن قتلتموني لقد وضعتُ أربعة آلاف حديث أحرّم فيها الحلال ، وأحِلّ فيها الحرام ؛ والله لقد فطّرتكم في يوم صومكم ، وصوّمتكم في يوم فطركم ، فضُربت عنقه . ٣/٢٧٦

وورد على محمد رسول أبي جعفر بكتابه : إياك أن تحدث في أمر ابن أبي العوجاء شيئًا ، فإنك إن فعلتَ فعلتُ بك وفعلتُ... يتهدّده. فقال محمد للرسول : هذا رأس ابن أبي العوجاء وهذا بدنُه مصلوبًا بالكُناسة ، فأخبِرْ أمير المؤمنين بما أعلمتك ؛ فلما بلّغ الرسولُ أبا جعفر رسالته ، تغيّظ عليه وأمر بالكتاب بعزله وقال : والله هممتُ[1] أن أقيده به ، ثم أرسل إلى عيسى بن عليّ فأتاه ، فقال : هذا عملك أنت ! أشرت بتولية هذا الغلام ، فوليتُه غلامًا جاهلا لا علمَ له بما يأتي ؛ يُقدم على رجل يقتله من غير أن يطّلع رأيي فيه ، ولا ينتظر أمري ! وقد كتبت بعزله ؛ وبالله لأفعلنّ به ولأفعلنّ . . . يتهدّده ، فسكت عنه عيسى حتى سكن غضبُه ، ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن محمداً إنما قتل هذا الرجل على الزّندقة ، فإن كان قتلُه صوابًا فهو لك ، وإن كان خطأ فهو على محمد ؛ والله يا أمير المؤمنين لئن عزلته على تفيّة ما صنع ليذهبنّ بالثناء والذكر ، ولترجعنّ القالة من العامّة عليك . فأمر بالكتب فمُزّقت وأقِرّ[2] على عمله . ٣/٢٧٧

وقال بعضهم : إنما عزل المنصور محمد بن سليمان عن الكوفة لأمور قبيحة

---

(١) ج : « لقد هممتُ » .
(٢) ج . « وأقره » .

بإعنته عنه ، اتهمه فيها ؛ وكان الذى أنهى ذلك إليه المساور بن سوّار الجَرْمىّ صاحب شُرطه ، وفى مساور يقول حمّاد[1] :

لحَسْبُك من عجيب الدّهر أنّى[2] أخاف وأتّقى سلطانَ جَرْمِ

* * *

وفى هذه السنة أيضًا عزل المنصور الحسن بن زيد عن المدينة ، واستعمل عليها عبدَ الصّمد بن علىّ ، وجعل معه فُلَيْح بن سليمان مشرفًا عليه .

وكان على مكة والطائف محمّد بن إبراهيم بن محمد ، وعلى الكوفة عمرو بن زهير ، وعلى البصرة الهيثم بن معاوية ، وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد بن سعيد .

---

(١) هو حماد عجرد ؛ وانظر أخباره فى الأغانى ٤ : ٣٢١ - ٣٨١ .

(٢) ب : « بحسبك » .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل عمرو بن شداد]

فمن ذلك ما كان من ظفَر الهيثم بن معاوية عامل أبي جعفر على البَصْرة بعمرو بن شدّاد عامل إبراهيم بن عبد الله على فارس ، فقتِل بالبصرة وصُلِب .

* ذكر الخبر عن سبب الظفَر به :

ذكر عمر أن محمّد بن معروف حدّثه ، قال : أخبرني أبي ، قال : ضرب عمرو بن شدّاد خادماً له ، فأتى عاملَ البصرة — إما ابن دعْلج ، وإما الهيثم ابن معاوية — فدلّه عليه ، فأخذه فقتله وصلَبه في المرْبَد في موضع دار إسحاق ابن سليمان . وكان عمرو مولًى لبني جُمح ، فقال بعضهم : ظفر به الهيثم ابن معاوية وخرج يريد مدينة السلام ، فنزل بقصر له على شاطئ نهر يعرف بنهر معقِل ، فأقبل بريد من عند أبي جعفر ، ومعه كتاب إلى الهيثم بن معاوية بدفع عمرو بن شداد إليه ، فدفعه الهيثم إليه ، فأقدمه البصرة ، ثم أتى به ناحية الرّحبة ، فخلا به يسائله ، فلم يظفر منه بشيء يحبّ علمَه ، فقطع يديْه ورجليه ، وضرب عنقه وصلَبه في مَرْبد البصرة .

٣٧٨/٣

* * *

وفي هذه السنة عزل المنصور الهيثم بن معاوية عن البصرة وأعمالها ، واستعمل سوّار بن عبد الله القاضي على الصلاة ، وجمع له القضاء والصّلاة . وولّى المنصور سعيد بن دعْلج شُرَط البصرة وأحداثها .

وفيها تُوُفّيَ الهيثم بن معاوية بعد ما عزل عن البصرة فجأة بمدينة السلام ، وهو على بطن جارية له ، فصلّى عليه المنصور ، ودفن في مقابر بني هاشم .

وفي هذه السنة غزا الصائفةَ زُفَرُ بن عاصم الهلاليّ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة العباس بن محمد بن علىّ .

* * *

وكان العامل على مكة محمد بن إبراهيم ، وكان مقيماً بمدينة السلام ، وابنه إبراهيم بن محمد خليفته بمكة ؛ وكان إليه مع مكة الطائف . وعلى الكوفة عمرو بن زهير ، وعلى الأحداث والجوالى والشُّرط وصدقات أرض العرب بالبصرة سعيد بن دعْلج ، وعلى الصلاة بها والقضاء سوّار بن عبد الله ، وعلى كُور دِجْلة والأهواز وفارس عُمارة بن حمزة ، وعلى كِرْمان والسِّنْد هشام بن عمرو ، وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد بن سعيد .

٣٧٩/٣

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك ابتناء المنصور قصرَه الذى على شاطئ دجلة ؛ الذى يدعَى الخُلْد ، وقسّم بناءه على مولاه الربيع وأبان بن صدقة .

وفيها قُتل يحيى أبو زكرياء المحتسب ؛ وقد ذكرنا قبلُ سببَ قتله إياه .

وفيها حوّل المنصور الأسواق من مدينة السلام إلى باب الكَرْخ وغيره من المواضع ، وقد مضى أيضًا ذكرُنا سبب ذلك قبل .

وفيها ولّى المنصور جعفرَ بن سليمان على البحرين ، فلم يتمّ ولايته ، ووجّه مكانه أميراً عليها سعيد بن دعْلج ؛ فبعث سعيد ابنَه تميماً عليها .

وفيها عرض المنصور جندَه فى السلاح والخيل على عينه فى مجلس اتّخذه على شطّ دِجْلة دون قُطْرَبُّل ، وأمر أهلَ بيته وقرابته وصحابته يومئذ بلبس السلاح ، وخرج وهو لابس درعاً وقلنسُوة تحت البَيْضة سوداء لاطئة مضرّبة[1] .

٣٨٠/٣ وفيها توفى عامر بن إسماعيل المسْلىّ . بمدينة السلام ، فصلّى عليه المنصور ، ودُفِن فى مقابر بنى هاشم .

وفيها تُوُفِّىَ سوّار بن عبد الله وصلّى عليه ابنُ دعلَج ، واستعمل المنصور مكانه عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبرىّ .

وفيها عقد المنصور الجسر عند باب الشعير ، وجرى ذلك على يد حُميد القاسم الصّيْرفىّ ، بأمر الربيع الحاجب .

وفيها عُزِل محمد بن سعيد الكاتب عن مصر ، واستُعمل عليها مَطر مولى أبى جعفر المنصور .

---

(١) كذا فى ب ه ؛ وهو الصواب ؛ وفى ط : « مصرية » .

وفيها وُلّى معبد بن الخليل السِّنْد ، وعُزِل عنها هشام بن عمرو ، ومعبد يومئذ بخُراسان ؛ كتب إليه بولايته .

وغزا الصائفة فيها يزيد بن أسَيد السُّلمىّ ، ووجّه سناناً مولى البطّال إلى بعض الُحصون ، فسبى وغنم .

وقال محمد بن عمر : الذى غزا الصائفةَ فى هذه السنة زُفر بن عاصم .

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علىّ بن عبد الله ابن عباس .

قال محمد بن عمر : كان على المدينة — يعنى إبراهيم هذا .

وقال غيرُه : كان على المدينة فى هذه السنة عبد الصمد بن علىّ ، وكان على مكة والطائف محمد بن إبراهيم ، وعلى الأهواز وفارس عُمارة بن حمزة ، وعلى كَرْمان والسِّنْد معبد بن الخليل ، وعلى مصر مَطَر مولى المنصور .

٣٨١/٣

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن تولية خالد بن برمك الموصل]

فمما كان فيها من ذلك توجيهُ المنصور ابنَه المهديّ إلى الرَّقة وأمرُه إياه بعزْل موسى بن كعب عن الموصل وتولية يحيى بن خالد بن بَرْمك عليها. وكان سببُ ذلك — فيما ذكر الحسن بن وهب بن سعيد عن صالح بن عطية — قال : كان المنصور قد ألزم خالدَ بن برمك ثلاثة آلاف ألف ، ونذر دمَه فيها ، وأجّله[1] ثلاثة أيام بها ، فقال خالد لابنه يحيى : يا بنيّ ، إني قد أوذيت وطُولبت بما ليس عندي ، وإنما يراد بذلك دمي ؛ فانصرف إلى حرمتك وأهلك ، فما كنت فاعلا بهم بعد موتي فافعله . ثم قال له : يا بنيّ ، لا يمنعنّك ذلك من أن تلقى إخواننا ، وأن تمرّ بعُمارة بن حمزة وصالح صاحب المصلَّى ومبارك التركيّ فتعلمهم حالنا .

قال : فذكر صالح بن عطية أنّ يحيى حدّثه ، قال : أتيتهم فمنهم من تجهَّمني وبعث بالمال سرًّا إليّ[2] ، ومنهم مَنْ لم يأذن لي ، وبعث بالمال في أثري . قال : واستأذنتُ على عُمارة بن حمزة ، فدخلت عليه وهو في صَحْن داره ، مقابل بوجهه الحائط ؛ فما انصرف إليّ بوجهه ، فسلّمت عليه ، فردّ عليّ ردًّا ضعيفًا ، وقال : يا بُنيّ ؛ كيف أبوك ؟ قلت : بخير ، يقرأ عليك السلام ويعلمك ما قد لزمه من هذا الغُرْم ، ويستسلفك مائة ألف درهم . قال : فما ردّ عليّ قليلا ولا كثيراً ، قال : فضاق بي موضعي ، ومادتْ بي الأرضُ . قال : ثم كلّمته فيما أتيته له . قال : فقال : إن أمكنني شيء فسيأتيك ، قال يحيى : فانصرفتُ وأنا أقول في نفسي : لعن الله كلّ شيء يأتي

٣٨٢/٣

(١) ب : « وأجله » .

(٢) ج : « على » .

من تيهك وعُجْبك وكبرك ! وصرت إلى أبى ، فأخبرته[1] الخبر ، ثم قلت له : وأراك تثق من عُمارة بن حمزة بما لا يوثق به ! قال : فوالله إنى لكذلك ؛ إذ طلع رسولُ عُمارة بن حمزة بالمائة ألف . قال : فجمعنا فى يومين ألفىْ ألف وسبعمائة ألف ، وبقيت ثلثمائة ألف بوجودها يتمّ ما سعينا له[2] ، وبتعذّرها يبطل . قال : فوالله إنى لعلى الجسر ببغداد مارًّا مهمومًا مغمومًا ؛ إذ وثب إلىّ زاجر ، فقال : فرخ الطائر أخبرك ! قال : فطويته مشغول القلب عنه ، فلحقنى وتعلّق بلجامى ، وقال لى : أنت والله مهموم ، ووالله ليُفرجَنّ الله همّك ، ولتمرّنّ غداً فى هذا الموضع واللواء بين يديك . قال : فأقبلتُ أعجب من قوله . قال : فقال لى : إن كان ذلك فلى عليك خمسة آلاف درهم ؟ قلت : نعم — ولو قال خمسون ألفًا لقلت نعم ، لبعد ذلك عندى من أن يكون — قال : ومضيتُ . وورد على المنصور انتقاضُ الموصل وانتشارُ الأكراد بها ، فقال : مَنْ لها ؟ فقال له المسيّب بن زهير — وكان صديقًا لخالد بن برمك : عندى يا أمير المؤمنين رأى ، أرى أنك لا تنتصحه[3] ؛ وأنك ستلقانى بالردّ ، ولكنى لا أدَع نصحك فيه والمشورة عليك به ، قال : قل ، فلا أستغشّك ، قلت : يا أمير المؤمنين ما رميتَها بمثل خالد ، قال : ويحك ! فيصلح لنا بعد ما أتينا إليه ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ إنما قوّمته بذلك وأنا الضامن عليه ، قال : فهو لها والله ، فليحضرنى غداً . فأحضِر ، فصفح له عن الثلثمائة ألف الباقية ، وعقد له . ٣٨٣/٣

قال يحيى : ثم مررتُ بالزاجر ، فلما رآنى قال : أنا هاهنا أنتظرك منذ غُدوة ، قلت : امض معى ، فضى معى ، فدفعتُ إليه الخمسة الآلاف .

قال : وقال لى أبى : أى بُنىّ ؛ إن عُمارة تلزمه حقوق ، وتنوبه نوائب فأته ، فأقرئه[4] السلام ، وقل له : إن الله قد وهب لنا رأىَ أمير المؤمنين ، وصفح لنا عما بقى علينا ، وولاّنى[5] الموصل ؛ وقد أمر بردّ ما استسلفت[6] منك . قال : فأتيته فوجدته على مثل الحال التى لقيتُه عليه ، فسلمت فما ردّ

---

(١) ج : « فأعلمته » .
(٢) ب : « عليه » .
(٣) ج : « تتنصحه » .
(٤) ط : « فاقرأه » وهو خطأ .
(٥) ج : « ووقد ولانى » .
(٦) ج : « استسلف » .

السلام علىّ ، ولا زادنى على أن قال : كيف أبوك ؟ قلت : بخير ، يقول كذا وكذا ، قال : فاستوى جالسًا ، ثم قال لى : ما كنتُ إلا قسطاراً[1] لأبيك ؛ يأخذ منى إذا شاء ، ويردّ إذا شاء ! قمْ عنى لا قمتَ ! قال : فرجعتُ إلى أبى فأعلمته ، فقال لى أبى : يا بنىّ ، هو عُمارة ومَنْ لا يعترض عليه !

قال : فلم يزل خالد على الموصل إلى أن توفّى المنصور ويحيى على أذرَبيجان ، فذكر عن أحمد بن محمد بن سوار الموصلىّ أنه قال : ما هِبْنا قطّ أميراً هيبتنا خالد بن برمك من غير أن تشتدّ عقوبته ، ولا نرى منه جَبَرِيّة ؛ ولكن هيبة كانت له فى صدورنا .

وذكر أحمد بن معاوية بن بكْر الباهلىّ ، عن أبيه ، قال : كان أبو جعفر غضب على موسى بن كعب — وكان عامله على الجزيرة والموْصل — فوجّه المهدىّ إلى الرّقة لبناء الرّافقة ، وأظهر أنه يريد بيتَ المقدس ، وأمره بالمرور والمضىّ على الموصل ، فإذا صار بالبلد أخذ موسى بن كعب فقيّده ، وولّى خالد بن برْمك الموصل مكانَه ، ففعل المهدىّ ذلك ، وخلّف خالداً على الموصل ، وشخص معه أخوا خالد : الحسن وسليمان ابنا برمك ، وقد كان المنصور دعا قبل ذلك يحيى بن خالد ، فقال له : قد أردتك لأمر مهمّ من الأمور ، واخترتُك لثغر من الثغور ؛ فكن على أهبة ؛ ولا يعلم بذلك أحد حتى أدعوَ بك . فكتم أباه الخبر ؛ وحضر الباب فيمن حضر ؛ فخرج الرّبيع ، فقال : يحيى بن خالد ! فقام فأخذ بيده ، فأدخله على المنصور ، فخرج على النّاس وأبوه حاضر واللواء بين يديه على أذرَبيجان ، فأمر النّاسَ بالمضىّ معه ، فمضوا فى موكبه ، وهنئوه وهنئوا أباه خالداً بولايته ، فاتّصل عملهما .

٣/٣٨٤

وقال أحمد بن معاوية : كان المنصور معجبًا بيحيى ، وكان يقول : ولد الناس ابناً وولد خالد[2] أباً .

* * *

وفى هذه السنة نزل المنصورُ قصرَه الذى يعرف بالخُلْد .

وفيها سخِط المنصور على المسيّب بن زهير وعزلَه عن الشُّرطة ، وأمر

---

(١) القسطار : منتقد الدراهم .

(٢) ط : « يحيى » ، وهو خطأ صوابه من ه .

بحبسه وتقييده ، وكان سبب ذلك أنه قتل أبان بن بشير الكاتب بالسياط ، لأمرٍ كان وجد عليه فيما كان من شركته لأخيه عمرو بن زهير فى ولاية الكوفة وخراجها ، وولّى مكان المسيب الحكم بن يوسف صاحب الحرب ، ثم كلّم المهدىّ أباه فى المسيّب ، فرضى عنه بعد حبسه إيّاه أيامًا ، وأعاد إليه ما كان يلى من شُرَطه .

وفيها وجّه المنصور نصرَ بن حرب التميمىّ واليًا على ثغر فارس .

وفيها سقط المنصور عن دابّته بجَرْجَرَايا ، فانشجّ ما بين حاجبيه ؛ وذلك أنه كان خرج لمّا وجّه ابنه المهدىّ إلى الرّقة مشيّعًا له ، حتى بلغ موضعًا يقال له جُبّ سُمّاقا ، ثم عدل إلى حَوْلايا ، ثم أخذ على النّهروانات فانتهى — فيما ذكر — إلى بَثْق[1] من النّهروانات يصبّ إلى نهر دَيَالَى ، فأقام على سَكْره[2] ثمانية عشر يومًا ، فأعياه ، فمضى إلى جَرْجَرايا ، فخرج منها للنظر إلى ضَيْعة كانت لعيسى بن علىّ هناك ، فصُرِع من يومه ذلك عن برذون له دَيْزج[3] ، فشُجّ فى وجهه ، وقدم عليه وهو بجَرْجَرايا أسارى من ناحية عُمان من الهند ، بعث بهم إليه تسنيم بن الحوارى مع ابنه محمد ، فهمّ بضرب أعناقهم ، فسألهم فأخبروه بما التبس به أمرهم عليه ؛ فأمسك عن قتلهم وقسّمهم بين قوّاده ونُوّابه .

٣٨٥/٣

وفيها انصرف المهدىّ إلى مدينة السلام من الرّقّة فدخلها فى شهر رمضان .

وفيها أمر المنصور بمَرَمّة القصر الأبيض ، الذى كان كسرى بناه ، وأمر أن يغرّم كلّ مَنْ وُجد فى داره شىء من الآجرّ الخُسْروانىّ ، مما نقضه من بناء الأكاسرة ، وقال : هذا فىء المسلمين ، فلم يتمّ ذلك ولا ما أمر به من مرمّة القصر .

وفيها غزا الصائفةَ معيوف بن يحيى من دَرْب الحدَث ، فلقى العدوّ فاقتتلوا ثم تحاجزوا .

---

(١) بثق النهر : كسر شطه لينبثق الماء ، واسم الموضع البثق ، بفتح وبكسر . وفى ج : « شق » . (٢) سكر النهر : سد فاه . (٣) فى اللسان : الدزج ، لا أعرف معناه ها هنا ، إلا أن الديزج معرب ديزه ، وهى لون بين لونين غير خالص» .

[ذكر الخبر عن حبس ابن جريج وعباد بن كثير والثورى]

وفى هذه السنة حبس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ، وهو أمير مكة – فيما ذكر – بأمر المنصور إياه بحبسهم : ابنَ جريج وعبّاد بن كثير والثورىّ ، ثمّ أطلقهم من الحبس بغير إذن أبى جعفر ، فغضب عليه أبو جعفر . ٣٨٦/٣

وذكر عمر بن شبّة أن محمد بن عمران مولى محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس حدّثه عن أبيه ، قال : كتب المنصور إلى محمد ابن إبراهيم – وهو أمير على مكة – يأمره بحبس رجل من آل علىّ بن أبى طالب كان بمكة ، وبحبس ابن جُريج وعباد بن كثير والثورىّ ، قال : فحبسهم ؛ فكان له سُمّار يسامرونه بالليل ؛ فلما كان وقت سَمَره جلس وأكبّ على الأرض ينظر إليها ، ولم ينطق بحرف حتى تفرّقوا . قال : فدنوتُ منه فقلت له : قد رأيتُ ما بك ، فما لك ؟ قال : عمَدتُ إلى ذى رحِم فحبستُه ، وإلى عيونٍ من عيون الناس فحبستُهم ، فيقدم أميرُ المؤمنين ولا أدرى ما يكون؛ فلعلّه أنّ يأمر بهم فيقتلوا ، فيشتدّ سلطانه وأهْلِكَ دينى ؛ قال : فقلت له : فتصنع ماذا ؟ قال : أوثر الله ، وأطلِق القوم ؛ اذْهَبْ إلى إبلى فخُذْ راحلةً منها ، وخذ خمسين ديناراً فأت بها الطالبىّ وأقرئه السلام ، وقل له : إنّ ابن عمّك يسألك أن تحلّله من ترويعه إياك ، وتركب هذه الراحلة ، وتأخذ هذه النفقة . قال : فلما أحسّ بى جعل يتعوّذ بالله من شَرّى ، فلما أبلغتُه قال : هو فى حلّ ولا حاجة لى إلى الرّاحلة ولا إلى النفقة . قال : قلت : إنّ أطيب لنفسه أن تأخذ، ففعل. قال : ثم جئتُ إلى ابن جُريج وإلى سفيان بن سعيد وعباد بن كثير فأبلغتهم ما قال ، قالوا : هو فى حلّ ، قال : فقلت لهم : يقول لكم : لا يَظهرَنّ أحد منكم ما دام المنصور مقيماً . قال : فلما قرب المنصور وجّهنى محمد بن إبراهيم بألطاف ، فلما أخبرَ المنصورُ أنّ رسول محمد بن إبراهيم قدم ، أمر بالإبل فضربت وجوهها . ٣٨٧/٣

قال : فلما صار إلى بئر ميمون لقيه محمد بن إبراهيم ، فلما أخبر بذلك أمر بدوابّه فضربت وجوهها ، فعدل محمّد ، فكان يسير فى ناحية . قال :

وعدِل بأبى جعفر عن الطريق فى الشقّ الأيسر فأنيخ به ، ومحمد واقف قُبالته ، ومعه طبيب له ؛ فلما ركب أبو جعفر وسار ، وعديلُه الرَّبيع أمر محمد الطبيب فمضى إلى موضع مناخ أبى جعفر ، فرأى نجْوه ، فقال لمحمد : رأيتُ نجوّ رجل لا تطول به الحياة ؛ فلما دخل مكة لم يلبث أن مات وسلِم محمد .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة أبى جعفر المنصور]

وفيها شخص أبو جعفر من مدينة السلام ، متوجهًا إلى مكة ؛ وذلك فى شوّال ، فنزل — فيما ذكر — عند قصر عبْدَوَيْه ، فانقضّ فى مقامه هنالك كوكب ، لثلاث بقين من شوّال بعد إضاءة الفجر ، فبقى أثرُه بيِّناً إلى طلوع الشمس ، ثم مضى إلى الكوفة ، فنزل الرُّصافة ، ثم أهلّ منها بالحجّ والعُمرة ، وساق معه الهَدْىَ وأشعرَه وقلّده ؛ لأيامٍ خلت من ذى القعدة . فلما سار منازل من الكوفة عرضَ له وجعه الذى توفِّىَ منه .

واختُلف فى سبب الوجع الذى كانت منه وفاته ؛ فذُكر عن علىّ بن محمد بن سليمان النوفلىّ ، عن أبيه ، أنه كان يقول : كان المنصور لا يستمرئ طعامه ؛ ويشكو من ذلك إلى المتطبِّبين ويسألهم أن يتخذوا له الجوارشنات[1] ؛ فكانوا يكرهون ذلك ويأمرونه أن يُقلّ من الطعام ، ويخبرونه أن الجَوارشنات تُهضم فى الحال ، وتُحدث من العلّة ما هو أشدّ منه عليه ؛ حتى قدم عليه طبيب من أطبّاء الهند ، فقال له كما قال له غيره ؛ فكان يتّخذ له سَفوفاً جَوارشناً يابساً ، فيه الأفاويه والأدوية الحارة ، فكان يأخذه فيهضم طعامه فأحمده . قال : فقال لى أبى : قال لى كثير من متطبّبى العراق : لا يموت والله أبو جعفر أبداً إلا بالبَطَن ، قال : قلت له : وما علمك ؟ قال : هو يأخذ الجوارشن فيهضم طعامه ؛ ويخلق من زئير مَعِدَتِه فى كلّ يوم شيئًا ، وشحم مصارينه ، فيموت ببطنه . وقال لى : اضْرب لذلك مثلاً ،

٣٨٨/٣

(١) فى اللسان : « الجوارشن : نوع من الأدوية المركبة ، يقوى المعدة ، ويهضم الطعام ، قال : وليست اللفظة بعربية » .

أرأيت لو أنك وضعت جرًّا على مَرْفع ، ووضعت تحتها آجرّة جديدة فقطرتْ ، أما كان قَطْرها يثقب الآجرّة على طول الدهر ! أو ما علمت أن لكلّ قطرة خدًّا ! قال : فمات والله أبو جعفر – كما قال – بالبطن[1] .

وقال بعضهم : كان بدءُ وجعه الذى مات فيه من حرٍّ أصابه من ركوبه فى الهواجر ، وكان رجلا محروراً على سنّه ، يغلب عليه المرار الأحمر ، ثم هاض بطنه ، فلم يزل كذلك حتى نزل بستانَ ابن عامر ، فاشتدّ به ، فرحل عنه فقصَّر عن مكة ، ونزل بئر ابن المرتَفِع ، فأقام بها يوماً وليلة ، ثم صار منها إلى بئر ميمون ؛ وهو يسأل عن دخوله الحرَم ، ويوصى الرّبيع بما يريد أن يوصيَه ، وتُوُفِّىَ بها فى السَّحَر أو مع طلوع الفجر ليلة السبت لستٍّ خلوْن من ذى الحجّة ، ولم يحضره عند وفاته إلاخدَمه والربيع مولاه ؛ فكتم الربيع موتَه ، ومنع النساء وغيرهنّ من البكاء عليه والصُّراخ ، ثم أصبح فحضر أهلُ بيته كما كانوا يحضرون ، وجلسوا مجالسهم ؛ فكان أول من دُعى به عيسى بن علىّ ، فمكث ساعة ، ثم أذن لعيسى بن موسى – وقد كان فيما خلا يقدَّم فى الإذن على عيسى بن علىّ ، فكان ذلك مما ارتيب به – ثم أذن للأكابر وذوى الأسنان من أهل البيت ، ثم لعامّتهم ؛ فأخذ الربيع بيعتَهم لأمير المؤمنين المهدىّ ولعيسى بن موسى من بعده ، علىَ يد موسى بن المهدىّ حتى فرغ من بيعة بنى هاشم ؛ ثم دعا بالقوّاد فبايَعوا ولم ينكل منهم عن ذلك رجلٌ إلا علىّ ابن عيسى بن ماهان ؛ فإنه أبى عند ذكر عيسى بن موسى أن يبايع له ، فلطمه محمد بن سليمان ، وقال : ومن هذا العلج ! وأمصّه[2] ، وهمّ بضرب عنقه ، فبايع ، وتتابع الناس بالبيعة . وكان المسيب بن زهير أوّلَ مَن استثنى فى البيعة ، وقال : عيسى بن موسى : إن كان كذلك . فأمْضَوْه .

٣٨٩/٣

وخرج موسى بن المهدىّ إلى مجلس العامة ، فبايع مَنْ بقِى من القواد والوجوه ، وتوجّه العباس بن محمد ومحمد بن سليمان إلى مكة ليبايع أهلَها بها ؛

---

(١) ب : « بالبطنة » .

(٢) يقال : أمص فلان فلانا إذا شتمه بالمصان ، والمصان : شتم للرجل يعير برضع الغنم من أخلافها .

وكان العباس يومئذ المتكلّم ، فبايع الناس للمهديّ بين الركن والمقام ، وتفرّق عدّة من أهل بيت المهديّ فى نواحى مكة والعسكر فبايعه الناس ، وأخذ فى جهاز المنصور وغسله وكفنه ، وتولّى ذلك من أهل بيته العباس بن محمد والربيع ٣٩٠/٣ والرّيان وعدّة من خدمه ومواليه ، ففرغ من جهازه مع صلاة العصر ، وغطّى من وجهه وجميع جسده بأكفانه إلى قُصاص شعره ، وأبدى رأسه مكشوفًا من أجل الإحرام ، وخرج به أهل بيته والأخصّ من مواليه ، وصلّى عليه — فيما زعم الواقديّ — عيسى بن موسى فى شعب الخُوز[١] .

وقيل : إن الذى صلّى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علىّ . وقيل : إنّ المنصور كان أوصى بذلك ؛ وذلك أنه كان خليفتَه على الصلاة بمدينة السلام .

وذكر علىّ بن محمد النوفلىّ ، عن أبيه ، أنّ إبراهيم بن يحيى صلى عليه فى المضارب قبل أن يُحمل ؛ لأن الربيع قال : لا يصلّى عليه أحد يطمع فى الخلافة ، فقدّموا إبراهيم بن يحيى — وهو يومئذ غلام حدَث — ودُفن فى المقبرة التى عند ثَنِيّة المدنيين[٢] التى تسمّى كَدا ، وتسمى ثَنيّة المَعْلاة ؛ لأنها بأعلى مكة ، ونزل فى قبره[٣] عيسى بن علىّ والعباس بن محمد وعيسى بن موسى ، والربيع والرّيان موْلياه ، ويقطين بن موسى .

* * *

واختلف فى مبلغ سنه يوم توفّى ، فقال بعضهم : كان يوم توفّىَ ابن أربع وستين سنة .

وقال بعضهم : كان يومئذ ابن خمس وستين سنة .

وقال بعضهم : كان يوم توفّىَ ابن ثلاث وستين سنة .

وقال هشام بن الكلبىّ : هلك المنصور وهو ابن ثمان وستين سنة .

---

(١) ب : « الحور » ، ج : « الحوز » . (٢) ب : « المدينتين » .
(٣) ب : « مقبره » .

وقال هشام : ملك المنصور اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة وعشرين يوماً .

٣٩١/٣

واختُلف عن أبى معشر فى ذلك ، فحدثنى أحمد بن ثابت الرازىّ عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عنه أنه قال : توفّى أبو جعفر قبل يوم التروية بيوم يوم السبت ، فكانت خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا ثلاثة أيام .

وروى عن ابن بكّار عنه أنه قال : إلا سبع ليال .

وقال الواقدىّ : كانت ولاية أبى جعفر اثنتين وعشرين سنة إلا ستة أيام .

وقال عمر بن شبّة : كانت خلافته اثنتين وعشرين سنة غير يومين .

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علىّ .

وفى هذه السنة هلك طاغية الروم .

* * *

ذكر الخبر عن صفة أبى جعفر المنصور

ذُكر أنه كان أسمر طويلاً ، نحيفاً . خفيفَ العارضين .

وكان وُلِد بالحُمَيْمة .

* * *

ذكر الخبر عن بعض سيره

ذُكر عن صالح بن الوجيه ، عن أبيه ، قال : بلغ المنصورَ أن عيسى ابن موسى قتل رجلا من ولد نصر بن سيّار ، كان مستخفياً بالكوفة ، فدُلّ عليه ، فضرب عنقه . فأنكر ذلك وأعظمه ، وهمّ فى عيسى بأمر كان فيه هلاكه ، ثم قطعه عن ذلك جهلُ عيسى بما فعل . فكتب إليه :

أما بعد ، فإنه لولا نظرُ أمير المؤمنين واستبقاؤه لم يؤخّرْك عقوبة قتل ابن نصر بن سيّار واستبدادك به بما يقطع أطماعَ العمال فى مثله ، فأمسكْ عمّن ولاك أمير المؤمنين أمره ؛ من عربىّ وأعجمىّ ، وأحمر وأسود ، ولا تستبدّنّ على أمير المؤمنين بإمضاء عقوبة فى أحد قِبَلَهُ تباعةٌ[1] ، فإنه لا يرى أن يأخذ

٣٩٢/٣

(١) التباعة ، مثل التبعة .

أحداً بظنّة قد وضعها الله عنه بالتوبة، ولا بحدَث كان منه في حرب أعقبه الله منها سِلْماً ستر به عن ذى غِلَّة ، وحجز به عن محنة ما في الصدور ؛ وليس ييأس أمير المؤمنين لأحد ولا لنفسه من الله من إقبال مدبر ؛ كما أنه لا يأمن إدبار مقبل . إن شاء الله والسلام .

وذكر عن عباس بن الفضل ، قال : حدّثني يحيى بن سُليم كاتب الفضل بن الربيع ، قال : لم يُرَ في دار المنصور لهوٌ قطّ ، ولا شيء يشبه اللّهو واللعب والعبث إلا يوماً واحداً، فإنّا رأينا ابناً له يقال له عبد العزيز أخا سليمان وعيسى ابنى أبي جعفر من الطلحيّة ،تُوُفِّيَ وهو حدَث ، قد خرج على الناس متنكّباً قوساً، متعمّماً بعمامة، متردّياً ببُرْد، في هيئة غلام أعرابيّ ، راكباً على قعود بين جُوالقيْن ، فيهما مُقْل ونعال ومساويك وما يهديه الأعراب ؛ فعجب الناس من ذلك وأنكروه . قال : فمضى الغلام حتى عبَر الجسر ، وأتى المهديّ بالرُّصافة فأهدى إليه ذلك ، فقبِل المهديّ ما في الجوالِق وملأهما دراهم؛ فانصرف بين الجُوالقين ؛ فعُلِم أنه ضَرْبٌ من عبث الملوك .

وذكر عن حمّاد التركيّ ، قال : كنت واقفاً على رأس المنصور ، فسمع جلبةً في الدار ، فقال : ما هذا يا حمّاد ؟ انظر ، فذهبتُ فإذا خادم له قد جلس بين[1] الجوارى، وهو يضرب لهنّ بالطنبور ، وهنّ يضحكن ، فجئت ٣٩٣/٣ فأخبرته ، فقال : وأىّ شيء الطنبور؟ فقلت : خشبة من حالها وأمرها ... ووصفتُها له ؛ فقال لى : أصبتَ صفته، فما يدريك أنت ما الطنبور ! قلت : رأيتُه بخُراسان، قال : نعم هناك ، ثم قال : هات نعلى ، فأتيته بها فقام يمشى رُويداً حتى أشرف عليهم فرآهم ، فلما بصروا به تفرّقوا، فقال : خذوه، فأخذ ، فقال : اضرب به رأسَه ، فلم أزل أضرب به رأسَه حتى كسّرتُه ، ثم قال : أخرِجْه من قصرى ، واذهب به إلى حمران بالكَرْخ ، وقل له يبيعه .

وذكر العباس بن الفضل عن سلاّم الأبرش ، قال : كنت وأنا وصيف وغلام آخر نخدم المنصورَ داخلاً في منزله ؛ وكانت له حجرة فيها بيت وفُسطاط وفراش ولحاف يخلو فيه ، وكان من أحسن الناس خُلُقاً ما لم يخرج

---

(١) ج وابن الأثير : « حوله » .

إلى الناس ، وأشدّ احتمالا لما يكون من عبث الصبيان ؛ فإذا لبس ثيابه تغيّر لونُه وتربّد وجهه ، واحمرّت عيناه ، فيخرج فيكون منه ما يكون ، فإذا قام من مجلسه رجع بمثل ذلك ؛ فنستقبله فى ممشاه ، فربّما عاتبناه .

وقال لى يومًا : يا بنىّ إذا رأيتَنى قد لبست ثيابى أو رجعت من مجلسى ؛ فلا يدنُوَنّ منى أحد منكم مخافة أن أعرّه بشىء .

وذكر أبو الهيثم خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم ، قال : حدّثنى عبد الله بن محمد — يلقب بمنقار من أهل خراسان وكان من عمال الرشيد — قال : حدّثنى معن بن زائدة ، قال : كنّا فى الصحابة سبعمائة رجل ؛ فكنا ندخل على المنصور فى كلّ يوم ، قال : فقلت للربيع : اجعلنى فى آخر مَنْ يدخل ، فقال لى : لستَ بأشرفهم فتكون فى أوّلهم ، ولا بأخسّهم نسبًا فتكونَ فى آخرهم ؛ وإن مرتبتك لتشبه نسَبك . قال : فدخلتُ على المنصور ذات يوم وعلىّ دُرّاعةٌ فضفاضة وسيف حنفىّ . أقرع بنعله الأرض ، وعمامة قد سدلتها من خلفى وقُدّامى . قال : فسلّمت عليه وخرجت ، فلمّا صرت عند السّتر صاح بى : يا معن ، صيحة أنكرتها ! فقلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : إلىّ ، فدنوت منه ، فإذا به قد نزل عن عرشه إلى الأرض ، وجثا على ركبتيه ، واستلّ عمودًا من بين فراشيْن ، واستحال لونه ودرّت أوداجه ، فقال : إنك لصاحبى يوم واسط ؛ لا نجوتُ إن نجوتَ منى . قال : قلت يا أمير المؤمنين ، تلك نصرتى لباطلهم ، فكيف نصرتى لحقك ! قال : فقال لى : كيف قلتَ ؟ فأعدتُ عليه القول ، فما زال يستعيدنى حتى ردّ العمود فى مستقرّه ، واستوى متربعًا ، وأسفَر لونه ، فقال : يا معن ، إنّ لى باليمن هنات ، قلت : يا أميرَ المؤمنين ليس لمكتوم رأى ، قال : فقال : أنت صاحبى ، فجلست ، وأمر الربيع بإخراج كلّ مَنْ كان فى القصر فخرج ، فقال لى : إن صاحب اليمن قد همّ بمعصيتى ، وإنى أريد أن آخذه أسيرًا ولا يفوتنى شىء من ماله ، فما ترى ؟ قال : قلت : يا أميرَ المؤمنين ، ولّنى اليمن ، وأظهِر أنك ضممتنى إليه ، ومرِ الربيع يُزيح علّتى فى كلّ ما أحتاج إليه ، ويخرجنى من يومى هذا لئلا ينتشر الخبر . قال : فاستلّ عهدًا من بين

٣/٢٩٤

٣٩٥/٣ فراشين ، فوقّع فيه اسمي وناولنيه ، ثم دعا الربيع ، فقال : يا ربيع ، إنا قد ضممنا معنًا إلى صاحب اليمن ، فأزِحْ علّته فيما يحتاج إليه من الكُراع والسلاح ، ولا يُمسي[1] إلا وهو راحل . ثم قال : ودّعني ، فودّعته وخرجتُ إلى الدهليز ، فلقيني أبو الوالي ، فقال : يا معن ، أعززْ عليّ أن تضمّ إلى ابن أخيك ! قال : فقلت : إنه لا غضاضة على الرجل أن يَضُمّه[2] سلطانه إلى ابن أخيه ، فخرجت إلى اليمن فأتيت الرّجل ، فأخذته أسيراً ، وقرأت عليه العهد ، وقعدت في مجلسه .

وذكر حمّاد بن أحمد اليمانيّ ، قال : حدّثني محمد بن عمر اليمامي أبو الرُّدينيّ ، قال : أراد معن بن زائدة أن يوفِد إلى المنصور قوماً يسلّون سخيمته ، ويستعطفون قلبَه عليه ، وقال : قد أفنيت عمري في طاعته ، وأتعبتُ نفسي وأفنيت رجالي في حرب اليمن ، ثم يسخط عليّ أن أنفقتُ المال في طاعته ! فانتخب جماعة من عشيرته من أفناء ربيعة ؛ فكان فيمن اختار مُجّاعة بن الأزهر ، فجعل يدعو الرّجال واحداً واحداً ، ويقول : ماذا أنت قائل لأمير المؤمنين إذا وجّهتُك إليه ؟ فيقول : أقول وأقول ، حتى جاءه مُجّاعة ابن الأزهر ، فقال : أعزّ الله الأمير ! تسألني عن مخاطبة رجل بالعراق وأنا باليمن ! أقصد لحاجتك ؛ حتى أتأتّى لها كما يمكن وينبغي ، فقال : أنت صاحبي ، ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عتيق المُزنيّ ، فقال له : شُدّ على عَضُد ابن عمّك وقدّمه أمامك ؛ فإن سها عن شيء فتلافه . واختار من أصحابه ثمانية نفر[3] معهما حتى تمّوا عشرة ، وودّعهم ومضوْا حتى صاروا

٣٩٦/٣ إلى أبي جعفر ، فلما صاروا بين يديه تقدّموا ، فابتدأ مُجّاعة بن الأزهر بحمد الله والثناء عليه والشكر ، حتى ظنّ القوم أنه إنما قصد لهذا ، ثم كرّ على ذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكيف اختاره الله من بطون العرب ، ونشر من فضله ؛ حتى تعجّب القوم ، ثم كرّ على ذكر أمير المؤمنين المنصور ، وما شرّفه الله به ، وما قلّده ، ثم كرّ على حاجته في ذكر صاحبه . فلما انتهى[4] كلامه ، قال

---

(١) ب : « ولا تمشي » .
(٢) ب : « يقدم » .
(٣) ب : « من قومه نفرا » .
(٤) ج : « انقضى » .

المنصور : أمّا ما وصفْتَ من حمد الله، فالله أجلّ وأكبر من أن تبلغه الصفات ، وأما ما ذكرت من النبيّ صلى الله عليه وسلم فقد فضّله الله بأكثر مما قلتَ ، وأما ما وصفتَ به أمير المؤمنين ؛ فإنه فضّله الله بذلك ، وهو معينه على طاعته إن شاء الله ، وأما ما ذكرت من صاحبك فكذَبت ولؤمتَ ، اخرج فلا يُقبل ما ذكرت . قال : صدق أميرُ المؤمنين ، ووالله ما كذبتُ في صاحبي . فأخْرجوا فلما صاروا إلى آخر الإيوان أمر بردّه مع أصحابه، فقال : ما ذكرتَ ؟ فكرّ عليه الكلام ؛ حتى كأنه كان فى صحيفة يقرؤه ، فقال له مثل القول الأوّل ، فأخرِجوا حتى برزوا جميعًا، وأمر بهم فوقفوا ، ثم التفت إلى مَنْ حضر من مُضر ، فقال : هل تعرفون فيكم مثل هذا ؟ والله لقد تكلّم حتى حسدتُه ، وما منعنى أن أتمّ على ردّه إلا أن يقال : تعصّب عليه لأنه ربَعيّ ، وما رأيتُ كاليوم رجلا أربطَ جأشًا ، ولا أظهر بيانًا ؛ ردّه يا غلام . فلما صار بين يديه أعاد السّلام ، وأعاد أصحابه ، فقال له المنصور : اقصد لحاجتك وحاجة صاحبك . قال : يا أميرَ المؤمنين ، معن بن زائدة عبْدك وسيفك وسهمك، رميت به عدوّكَ، فضرب وطعن ورمى ،حتى سهل ماحَزُن ، وذلّ ما صعُب ، واستوىما كان معوجًّا من اليمن ، فأصبحوا من خَول أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ! فإن كان فى نفس أمير المؤمنين هَنَة من ساعٍ أو واشٍ أو حاسد فأميرُ المؤمنين أولَى بالتفضل[1] على عبده ، ومن أفنى عمره فى طاعته . فقبل وفادتهم، وقبل العذر من معن؛ وأمر بصرفهم إليه؛ فلما صاروا إلى معن وقرأ الكتاب بالرضا قبّل ما بين عينيه ، وشكر أصحابه، وخلع عليهم وأجازهم على إقدامهم ، وأمرهم بالرّحيل إلى منصور ، فقال مُجّاعة :

٣٩٧/٣

آليتُ فى مَجْلسٍ من وائلٍ قَسَمًا ... ألا أبيعَك يا مَعْنُ بأطماعِ
يامَعْنُ إنك قد أوْلَيْتَنِى نِعَماً ... عمَّتْ لُجَيْمًا وخَصَّتْ آل مُجّاعِ
فلا أزالُ إليك الدهرَ مُنقَطِعًا ... حتى يُشيد[2] بِهُلكى هَتفَةُ الناعى

قال : وكانت نِعَمُ معن على مُجّاعة ، أنه سأله ثلاث حوائج ؛ منها أنه كان يتعشّق امرأة من أهل بيته ، سيدة يقال لها زهراء لم يتزوجْها أحد بعد ؛

(١) ج « بالفضل » .
(٢) ب : « تشد » .

وكانت إذا ذُكر لها قالت : بأىّ شىء يتزوجنى؟ أبجُبّته الصوف ، أم بكسائه ! فلمّا رجع إلى معن كان أوّل شىء سأله أن يزوّجه بها ، وكان أبوها فى جيش مَعْن ، فقال : أريد زهراء ، وأبوها فى عسكرك أيّها الأمير ، فزوّجه إياها على عشرة آلاف درهم وأمهرها من عنده . فقال له معن : حاجتك الثانية ، قال : الحائط الذى فيه منزلى بحجَر وصاحبه فى عسكر الأمير ، فاشتراه منه وصيّره له ؛ وقال : حاجتك الثالثة ؟ قال : تهب لى مالاً . قال : فأمر له بثلاثين ألف درهم ، تمام مائة ألف درهم ، وصرفه إلى منزله . ٣٩٨/٣

وذكر عن محمد بن سالم الخوارزمىّ — وكان أبوه من قُوّاد خراسان — قال : سمعتُ أبا الفرج خال عبد الله بن جبلة الطالقانىّ يقول : سمعت أبا جعفر يقول : ما كان أحوجنى إلى أن يكون على بابى أربعة نفر لا يكون على بابى أعفّ منهم ، قيل له : يا أميرَ المؤمنين ، مَنْ هم ؟ قال : هم أركان المُلْك ، ولا يصلح المُلْك إلا بهم ؛ كما أن السرير لا يصلح إلا بأربع قوائم ، إن نقصت واحدة وهَى ؛ أما أحدهم فقاضٍ لا تأخذه فى الله لومةُ لائم ، والآخر صاحب شُرْطة يُنصف الضعيف من القوىّ ، والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعيّة فإنى عن ظلمها غنىّ ، والرابع — ثم عضّ على أصبعه السبابة ثلاث مرات ، يقول فى كل مرة : آه آه — قيل له : ومَنْ هو يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصّحة .

وقيل : إنّ المنصور دعا بعاملٍ من عمّاله قد كسر خراجه ، فقال له : أدّ ما عليك ، قال : والله ما أملك شيئًا ، ونادى المنادى : أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : يا أميرَ المؤمنين ، هبْ ما علىّ لله والشهادة أن لا إله إلا الله ، فخلّى سبيله .

قال : وولّى المنصور رجلاً من أهل الشام شيئًا من الخراج (١) ، فأوصاه وتقدّم إليه ، فقال : ما أعرفنى بما فى نفسك ! الساعة يا أخا أهل الشأم ! تخرج من عندى الساعة ، فتقول : الزم الصّحة ؛ يلزمك العمل .

(١) ج : « خراج الشام » .

٣/٣٩٩ قال : وولّى رجلا من أهل العراق شيئًا من خراج السواد ، فأوصاه ، وتقدّم إليه ، فقال : ما أعرفنى بما فى نفسك ! تخرج الساعة فتقول : من عالَ بعدها فلا اجتبَر (١). اخرج عنى وامض إلى عملك ؛ فوالله لئن تعرّضْتَ لذلك لأبلغنّ من عقوبتك ما تستحقّه . قال : فولّيا جميعًا وصحّحا وناصحا .

ذكر الصبّاح بن عبد الملك الشيبانىّ ، عن إسحاق بن موسى بن عيسى ؛ أنّ المنصور ولّى رجلا من العرب حضرموت ، فكتب إليه والى البريد أنه يكثر الخروجَ فى طلب الصّيد ببزاة وكلاب قد أعدّها ، فعزله وكتب إليه : ثكلتْك أمك وعدمتك عشيرتك ! ما هذه العدّة التى أعددتها للنّكاية فى الوحش ! إنا إنما استكفيناك أمور المسلمين ، ولم نستكفك أمورَ الوحش ؛ سلّم ما كنت تلى من عملنا إلى فلان بن فلان ، والحق بأهلك ملومًا مدحورًا .

وذكر الرّبيع أنه قال : أدخِل على المنصور سهيل بن سالم البصرىّ ، وقد وُلّى عملا فعزل ، فأمر بحبسه واستئدائه ، فقال سهيل : عبدك يا أمير المؤمنين ، قال : بئس العبد أنت ! قال : لكنك يا أمير المؤمنين نِعمَ المولى ! قال : أمّا لكَ فلا .

قال : وذكر عن الفضل بن الربيع عن أبيه ، أنه قال : بينا أنا قائم بين يدى المنصور أو على رأسه ؛ إذ أُتِيَ بخارجىّ قد هزم له جيوشًا ، فأقامه ليضرب عنقه ، ثم اقتحمته عينه ، فقال : يابن الفاعلة ، مثلك يهزم الجيوش ! فقال له الخارجىّ : ويلك وسوءة لك ! بينى وبينك أمس السيف والقتل ، واليوم القذف والسبّ ! وما كان يؤمنك أن أردّ عليك وقد يئستُ من الحياة فلا ٣/٤٠٠ تستقيلها أبدًا ! قال : فاستحيا منه المنصور وأطلقه ، فما رأى له وجهًا حولا .

ذكر عبد الله بن عمرو الملحىّ أنّ هارون بن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادى ، قال : حدثنى عبد الله بن محمد بن أبى أيوب المكىّ ، عن أبيه ، قال : حدثنى عُمارة بن حمزة ، قال : كنت عند المنصور ، فانصرفت من عنده فى وقت انتصاف النهار ، وبعد أن بايع الناس للمهدىّ ، فجاءنى المهدىّ

(١) ج : « انجبر » .

فى وقت انصرافى ، فقال لى : قد بلغنى أنّ أبى قد عزم أن يبايع لجعفر أخى ، وأعطى الله عهداً لئن فعل لأقتلنّه ، فمضيت من فورى إلى أمير المؤمنين ، فقلت : هذا أمر لا يؤخّر ، فقال الحاجب : الساعةَ خرجْتَ ! قلتُ : أمر حدث ، فأذن لى ، فدخلت إليه ، فقال لى : هيه يا عمارة ! ما جاء بك ؟ قلتُ : أمر حدث يا أمير المؤمنين أريد أن أذكره ، قال : فأنا أخبرك به قبل أن تخبرنى ، جاءك المهدىّ فقال : كيت وكيت ، قلتُ : والله يا أمير المؤمنين لكأنّك حاضر[1] ثالثنا ، قال : قل له : نحن أشفق عليه من أن نعرضه لك .

وذكر عن أحمد بن يوسف بن القاسم ، قال : سمعتُ إبراهيم بن صالح ، يقول : كنا فى مجلس ننتظر الإذن فيه على المنصور ، فتذاكرنا الحجّاج ، فمنّا مَنْ حمده ومنا مَن ذمّه ، فكان ممن حمده معن بن زائدة ، وممّن ذمّه الحسن بن زيد ، ثم أذن لنا فدخلنا على المنصور ، فانبرى الحسن بن زيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما كنت أحسبنى أبقى حتى يُذكر الحجّاجُ فى دارك وعلى بساطك ، فيُثنى عليه . فقال أبوجعفر : وما استنكرت من ذلك ! رجل استكفاه قوم فكفاهم ؛ والله لوددت أنى وجدت مثل الحجاج حتى أستكفيه أمرى ، وأنزله أحد الحرمين . قال : فقال له معن : يا أميرَ المؤمنين ، إن لك مثل الحجاج عدّة لو استكفيتهم كفَوْك ، قال : ومَن هم ؟ كأنك تريد نفسك ! قال : وإن أردتَها فلم أبعد من ذلك ، قال : كلاّ لست كذاك ؛ إن الحجاج ائتمنه قوم فأدّى إليهم الأمانة ، وإنّا ائتمنّاك فخُنتَنا ! ٤٠١/٣

ذكر الهيثم بن عدىّ ، عن أبى بكر الهذلىّ ، قال : سرت مع أمير المؤمنين المنصور إلى مكة ، وسايرتُه يوماً ، فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تذهب فى الأرض ، وعليه جُبّة خزّ ، وعمامة عدنيّة ، وفى يده سوط يكاد يمسّ الأرض ، سرىّ الهيئة ، فلما رآه أمرنى فدعوتُه ، فجاء فسأله عن نسبه وبلاده وبادية قومه وعن ولاة الصدقة ، فأحسن الجواب ، فأعجبه ما رأى منه ، فقال : أنشدنى ، فأنشده شعراً لأوس بن حجر وغيره من الشعراء من بنى عمرو بن تميم ؛ وحدّثه حتى أتى على شعر لطريف بن تميم العنبرىّ ، وهو قوله :

---

(١) ساقطة من ب .

إنَّ قَنَاتِي لَنَبْعٌ لا يؤيِّسُها غمزُ الثِّقاف ولا دُهْنٌ ولا نارُ
متى أجِرْ خائفاً تأْمَنْ مَسارحُهُ وإنْ أخِفْ آمِناً تَقْلَقْ به الدارُ
إنَّ الأُمورَ إذا أوردتُها صَدَرَتْ إنَّ الأمورَ لها وِردٌ وإصدارُ

فقال : ويحك ! وما[1] كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر ؟ قال : كان أثقلَ العرب[2] على عدوّه وطأةً وأدركهم بثأر ، وأيمنهم نقيبة ، وأعساهم[3] قناة لمن رام هضمه ، وأقراهم لضيفه ، وأحوطهم من وراء جاره ؛ اجتمعت العرب بعُكاظ فكلّهم أقرّ له بهذه الخلال ؛ غير أن امرأ أراد أن يقصّر به ، فقال : والله ما أنت ببعيد النُّجْعة ، ولا قاصد الرميّة ، فدعاه ذلك إلى أن جعل على نفسه ألاّ يأكل إلا لحم قَنَص يقتنصه ، ولا ينزع كلّ عام عن غزوة يُبعد فيها أثره ، قال : يا أخا بنى تميم ؛ لقد أحسنتَ إذ وصفتَ صاحبك ولكنّى أحقّ ببيتيه منه ؛ أنا الذى وُصِف لا هو .

٤٠٢/٣

وذكر أحمد بن خالد الفُقَيْميّ أن عدّة من بنى هاشم حدّثوه أنّ المنصور كان شغلُه فى صدر نهاره بالأمر والنهى والولايات والعزْل وشحن الثغور والأطراف وأمْن السبل والنظر فى الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعيّة لطَرْح عالتهم والتلطّف لسكونهم وهدوئهم ، فإذا صلى العصر جلس لأهل بيته إلا من أحبّ أن يسامره ، فإذا صلّى العشاء الآخرة نظر فيما ورد عليه من كُتب الثغور والأطراف والآفاق ، وشاور سُمّاره من ذلك فيما أرب ؛ فإذا مضى ثلثُ الليل قام إلى فراشه وانصرف سُمّاره ، فإذا مضى الثلث الثانى قام من فراشه ، فأسبغ وضوءه ، وصفّ فى محرابه حتى يطلع الفجر ، ثم يخرج فيصلّى بالناس ، ثم يدخل فيجلس فى إيوانه .

قال إسحاق : حُدّثت عن عبد الله بن الرّبيع ، قال : قال أبو جعفر لإسماعيل بن عبد الله : صفْ لى الناس ، فقال : أهل الحجاز مبتدأ الإسلام

---

(١) ج : « ودن » . (٢) ج : « الناس » .
(٣) ج : « وأعساه » ، وعسى الشيء ، أى اشتد وصلب .

٤٠٣/٣

وبقية العرب ، وأهلُ العراق ركن الإسلام ومقاتلة عن الدين ، وأهل الشأم حِصْن الأمة وأسنّة الأئمة ، وأهل خُراسان فرسان الهيْجاء وأعنّة الرجال ، والتّرك منابت الصخور وأبناء المغازى ، وأهل الهند حكماء استغنوْا ببلادهم فاكتفوْا بها عمّا يليهم ، والروم أهلُ كتاب وتديّن نحّاهم الله من القرب إلى البعد ، والأنباط كان مُلْكهم قديمًا فهم لكلّ قوم عبيد . قال : فأىّ الولاة أفضل ؟ قال : الباذل للعطاء ، والمعرض عن السيئة . قال : فأيّهم أخرق ؟ قال : أنهكهم[1] للرعيّة ، وأتعبهم لها بالخُرق والعقوبة . قال : فالطاعة على الخوف أبلغ فى حاجة الملك أم الطاعة على المحبة ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، الطاعة عند الخوف تُسِرّ الغدر وتبالغ عند المعاينة ، والطاعة على المحبّة تضمر الاجتهاد وتبالغ عند الغفلة . قال : فأىّ الناس أولاهم بالطاعة ؟ قال : أولاهم بالمضرّة والمنفعة . قال : ما علامة ذلك ؟ قال : سرعة الإجابة وبذْل النفس . قال : فمن ينبغى للملك أن يتّخذه وزيراً ؟ قال : أسلمُهم قلبًا ، وأبعدهم من الهوى .

وذكر عن أبى عبيد الله الكاتب ، قال : سمعت المنصور يقول للمهدىّ حين عهد له بولاية العهد : يا أبا عبد الله ، استدِم النعمة بالشكر ، والقدرة بالعفو ، والطاعة بالتألّف[2] والنصر بالتواضع ؛ ولا تنس مع نصيبك من الدنيا نصيبَك من رحمة الله .

وذكر الزبير بن بكّار ، قال : حدثنى مبارك الطبرىّ ، قال : سمعت أبا عبيد الله يقول : سمعت المنصور يقول للمهدىّ : لا تبرِم أمراً حتى تفكّر فيه ؛ فإنّ فكر العاقل مرآته ، تريه حسنه وسيّئه .

وذكر الزبير أيضًا ، عن مصعب بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : سمعت أبا جعفر المنصور يقول للمهدىّ : يا أبا عبد الله ؛ لا يصلح السلطانُ إلاّ بالتقوى ، ولا تصلح رعيّته إلا بالطاعة ، ولا تعمّر البلاد بمثل العدل ، ولا تدوم نعمة السلطان وطاعته إلا بالمال ، ولا تَقدُّمُ فى الحياطة بمثل نقل الأخبار .

٤٠٤/٣

(١) ب : « أنهضهم » . (٢) ج : « التأليف » .

وأقدرُ الناس على العفو أقدرهم على العقوبة ، وأعجز الناس مَنْ ظلم مَن هو دونه . واعتبر عملَ صاحبك وعلمَه باختباره[1] .

وعن المبارك الطبرىّ أنه سمع أبا عبيد الله يقول : سمعتُ المنصور يقول للمهدىّ : يا أبا عبد الله ، لاتجلس مجلساً إلا ومعك من أهل العلم مَن يحدّثك ؛ فإن محمد بن شهاب الزّهرىّ قال : الحديث ذكر ولا يحبّه إلا ذُكور الرجال ، ولا يُبغضه إلاّ مؤنثوهم ؛ وصدَق أخو زُهْرة !

وذُكر عن علىّ بن مجاهد بن محمد بن علىّ ، أن المنصور قال للمهدىّ : يا أبا عبد الله ، مَنْ أحبَّ الحمد أحسن السيرة ، ومن أبغض الحمد أساءها ، وما أبغض أحدٌ الحمد إلا استذمّ ، وما استذمّ إلاّ كره .

وقال المبارك الطبرىّ : سمعت أبا عبيد الله يقول : قال المنصور للمهدىّ : يا أبا عبد الله ، ليس العاقلُ الذى يحتال للأمر الذى وقع فيه حتى يخرج منه ؛ ولكنه الذى يحتال للأمر الذى نخشيه حتى لا يقع فيه .

وذكر الفقيمىّ ، عن عتبة بن هارون ، قال : قال أبو جعفر يوماً للمهدىّ : كم راية[2] عندك ؟ قال : لا أدرى ، قال : هذا والله التضييع ؛ أنت لأمر الخلافة أشدُّ تضييعاً ؛ ولكن قد جمعتُ لك ما لا يضرّك معه ما ضيّعتَ ؛ فاتق الله فيما خوّلك .

٣/٤٠٥ وذكر علىّ بن محمد عن حفص بن عمر بن حماد ، عن خالصة ، قالت : دخلتُ على المنصور ؛ فإذا هو يتشكّى[3] وجع ضِرْسه ؛ فلما سمع حسّى ، قال : ادخلى ؛ فلما دخلت إذا هو واضع يده على صُدغيه ، فسكت ساعة ثم قال لى : يا خالصة ، كم عندك من المال ؟ قلت : ألف درهم ، قال : ضعى يدك على رأسى واحلفى ، قلت : عندى عشرة آلاف دينار ؛ قال : احمليها إلىّ ، فرجعت فدخلت على المهدىّ والخيزُران فأخبرتهما ؛ فركلنى المهدىّ برجله ، وقال لى : ما ذهب بك إليه ! ما به من وجع ؛ ولكنى سألته أمس مالاً فتمارض ، احملى إليه ما قلت ؛ ففعلتْ ، فلما أتاه المهدىّ ، قال :

---

(١) ج وابن الأثير : « باختياره » . (٢) ج : « دابة » . (٣) ج : « يشتكى » .

يا أبا عبد الله ؛ تشكو الحاجة وهذا عند خالصة !

وقال عليّ بن محمد : قال واضح مولى أبي جعفر ، قال : قال أبو جعفر يومًا : انظر ما عندك من الثّياب الخلْقان فاجمعْها ، فإذا علمت بمجيء أبي عبد الله فجئني بها قبل أن يدخل ؛ وليكن معها رقاع . ففعلت ، ودخل عليه المهديّ وهو يقدّر الرّقاع ، فضحك وقال : يا أميرَ المؤمنين ، من هاهنا يقول الناس : نظروا في الدينار والدرهم وما دون ذلك — ولم يقل : دانق — فقال المنصور : إنه لا جديدَ لمن لا يصلح خلقه ، هذا الشتاء قد حضر ، ونحتاج إلى كسوة للعيال والولد . قال : فقال المهديّ : فعليّ كُسوة أمير المؤمنين وعياله وولده ، فقال له : دونك فافعل .

٤٠٦/٣ وذكر عليّ بن مرثد أبو دعامة الشاعر ، أن أشجع بن عمرو السلميّ حدّثه عن المؤمّل بن أمَيْل — وذكره أيضًا عبد الله بن الحسن الخوارزمي أن أبا قدامة حدثه أنّ المؤمل بن أميل حدّثه — قال : قدمت على المهديّ — قال ابن مرثد في خبره : وهو ولي عهد ، وقال الخوارزمي : قدمت عليه الرّيّ وهو ولي عهد — فأمر لي بعشرين ألف درهم لأبيات امتدحته بها ؛ فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو بمدينة السلام يخبره أن المهديّ أمر لشاعر بعشرين ألف درهم ، فكتب إليه المنصور يعذله ويلومه ، ويقول له : إنما كان ينبغي لك أن تعطيَ الشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم . قال أبو قدامة : فكتب إلىّ كاتب المهديّ أن يوجّه إليه بالشاعر ، فطُلب فلم يُقْدَر عليه ، فكتب إليه أنه قد توجّه إلى مدينة السلام ، فوجّه المنصور قائدًا من قوّاده ، فأجلسه على جسر النهروان ، وأمره أن يتصفح الناس رجلاً رجلاً ممّن يمرّ به ؛ حتى يظفر بالمؤمّل ؛ فلما رآه قال له : من أنت ؟ قال : أنا المؤمّل بن أمَيل ، من زُوّار الأمير المهديّ ، قال : إياك طلبت . قال المؤمل : فكاد قلبي ينصدع خوفًا من أبي جعفر ، فقبض عليّ ثم أتى بي بابَ المقصورة ، وأسلمنيَ إلى الرّبيع ، فدخل إليه الربيع ، فقال : هذا الشاعر قد ظفرنا به ، فقال : أدخلوه عليّ ، فأدخلت عليه ، فسلمت فردّ عليّ السلام ، فقلت : ليس ها هنا إلا خير ، قال : أنت المؤمّل بن أمَيل ؟

قلت : نعم أصلح الله أمير المؤمنين ! قال : هيه ! أتيتَ غلامًا غِرًّا فخدعتَه!
٤٠٧/٣ قال : فقلت : نعم أصلح الله أمير المؤمنين ؛ أتيت غلامًا غِرًّا كريمًا فخدعتُه فانخدع ، قال : فكأنّ ذلك أعجبه ، فقال : أنشدني ما قلتَ فيه ، فأنشدته :

هو المهديّ إلّا أن فيه ... مَشابِهَ صورة القمَر المُنيرِ
تشابَهَ ذا وذا فَهُما إذا مَا ... أنارا مُشْكِلان على البَصِيرِ
فهذا فى الظلام سِراجُ ليلٍ[1] ... وهذا فى النهار سراجُ نورِ
ولكنْ فضَّل الرحمنُ هذا ... على ذا بالمنابِرِ والسَّرِيرِ
وبالمُلك العزيز فذا أميرٌ ... وما ذا بالأمير ولا الوزيرِ
ونَقْصُ الشَّهْرِ يُخمِدُ ذا ، وهذا ... منيرٌ عند نقصانِ الشهورِ
فيابن خليفةِ الله المُصفَّى ... به تعلو مُفاخَرةُ الفَخورِ
لئن فُتَّ المُلوكَ وقد تَوافَوْا ... إليك من السهُولَةِ والوُعُورِ
لقد سَبَقَ الملوكَ أبوك حتى ... بَقُوا من بين كابٍ أو حَسِيرِ
وجئتَ وراءه تجرى حثيثاً ... وما بك حينَ تجرى من فُتورِ
فقال الناسُ: ما هذانِ إلا ... بمنزلَةِ الخَليقِ من الجَديرِ[2]
لئن سبق الكبيرُ فأهلُ سَبْقٍ ... له فَضْلُ الكبيرِ على الصَّغيرِ
وإن بلغ الصغيرُ مَدَى كبيرٍ ... لقد خُلِق الصغيرُ من الكبيرِ

فقال : والله لقد أحسنتَ ؛ ولكن هذا لا يساوى عشرين ألف درهم . وقال لى : أين المال ؟ قلت : ها هو ذا ، قال : يا ربيع انزل معه فأعطه أربعة آلاف درهم ؛ وخذ منه الباقى . قال ؛ فخرج الرّبيع فحطّ ثقَلى ، ووزن لى أربعة آلاف درهم وأخذ الباقى . قال : فلمّا صارت الخلافة إلى المهدىّ ،
٤٠٨/٣ ولّى ابن ثوبان المظالم ، فكان يجلس للناس بالرُّصافة فإذا ملأ كساءه رقاعاً رفعها إلى المهدىّ ، فرفعتُ إليه يومًا رقعة أذكره قصتى ، فلما دخل بها ابن

(١) الزجاجى : « سراج نار » . (٢) أى هما سيان ، والخليق والجدير بمعنى واحد .

ثوبان ، جعل المهدىّ ينظر فى الرقاع ؛ حتى إذا نظر فى رقعتى ضحك ، فقال له ابن ثوبان : أصلح الله أمير المؤمنين ! ما رأيتك ضحكت من شىء من هذه الرّقاع إلا من هذه الرقعة ! قال : هذه رقعة أعرف سببَها ، ردّوا إليه العشرين الألف الدرهم ، فردت إلىّ وانصرفتُ[١] .

وذكر واضح مولى المنصور ، قال : إنى لواقفٌ على رأس أبى جعفر يوماً إذْ دخل عليه المهدىّ ، وعليه قَبَاء أسود جديد ، فسلّم وجلس ، ثم قام منصرفًا وأتبعه أبو جعفر بصرَه لحبّه له وإعجابه به ؛ فلما توسّط الرّواق عثر بسيفه فتخرّق سواده ، فقام ومضى لوجهه غير مكترِث لذلك ولا حافل به ، فقال أبو جعفر : ردّوا أبا عبد الله ؛ فرددناه إليه ، فقال : يا أبا عبد الله ، استقلالا للمواهب ، أم بطرًا للنعمة ، أم قلّة علم بموضع المصيبة ! كأنك جاهل بما لَكَ وعليك ! وهذا الذى أنت فيه عطاء من الله ، إن شكرتَه عليه زادك ، فإن عرفت موضع البلاء منه فيه عافاك . فقال المهدىّ : لا أعدمنا الله بقاءك يا أمير المؤمنين وإرشادك ؛ والحمد لله على نعمه ، وأسأل الله الشكر على مواهبه ، والخلَف الجميل برحمته . ثم انصرف .

قال العباس بن الوليد بن مزيد : قال : سمعت ناعم بن مزيد ، يذكر عن الوضين بن عطاء ، قال : استزارنى أبو جعفر — وكانت بينى وبينه خلالة[٢] قبل الخلافة — فصرت إلى مدينة السلام ، فخلوْنا يومًا ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، ما مالُكَ[٣] ؟ قلت : الخبر الذى يعرفه أمير المؤمنين ، قال : وما عيالُك ؟ قلت : ثلاث بنات والمرأة وخادم لهنّ ، قال : فقال لى : أربع فى بيتك ؟ قلت : نعم ، قال : فوالله لردّد علىّ حتى ظننت أنه سيموّلنى[٤] ، قال : ثم رفع رأسه إلىّ ، فقال : أنت أيسر العرب ، أربعة مغازل يدرْن فى بيتك .

٣/٤٠٩

---

(١) الخبر فى الأغانى ١٩ : ١٤٧ — ١٥٠ (ساسى) ، وتاريخ بغداد ١٣ : ١٧٧ — ١٨٠ وأمالى الزجاجى ٩٤ — ٩٦ .
(٢) ج : « حالة » ، ابن الأثير : « خلة » .
(٣) ج ، وابن الأثير : « مالك » .
(٤) ابن الأثير : « سيعيننى » .

وذكر بشر المنجّم ، قال : دعانى أبو جعفر يومًا عند المغرب ، فبعثنى فى بعض الأمر ، فلما رجعت رفع ناحية مصلاّه فإذا دينار ، فقال لى : خذ هذا واحتفظ به ، قال : فهو عندى إلى الساعة .

وذكر أبو الجهم بن عطيّة ، قال : حدّثنى أبو مقاتل الخراسانىّ ، ورفع غلام له إلى أبى جعفر أن له عشرة آلاف درهم ؛ فأخذها منه ، وقال : هذا مالى ، قال : ومن أين يكون مالك ! فوالله ما وليتُ لك عملاً قطّ ، ولا بينى وبينك رحم ولا قرابة ، قال : بلى ، كنتَ تزوّجتَ مولاة لعُيينة بن موسى ابن كعب فورّثتْك مالا ؛ وكان ذلك قد عصى وأخذ مالى وهو والٍ على السند ؛ فهذا المال من ذلك المال !

وذكر مصعب بن سلاّم ، عن أبى حارثة النهدىّ صاحب بيت المال ، قال : ولّى أبو جعفر رجلا باروسما ؛ فلما انصرف أراد أن يتعلّل عليه ، لئلا يعطيَه شيئًا ، فقال له : أشركتُك فى أمانتى ، ووليتك فيئًا من فىء المسلمين فخنتَه ! فقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ، ما صحبنى من ذلك شىء إلاّ درهم ، منه مثقال صررته فى كمّى ، إذا خرجت من عندك اكتريت به بغلا إلى عيالى ، فأدخل بيتى ليس معى شىء من مال الله ولا مالك . فقال : ما أظنك إلا صادقًا ؛ هلمّ درهمنا[1] . فأخذه منه فوضعه تحت لبده ؟ ٣/٤١٠ فقال : ما مثلى ومثلُك إلاّ مثل مجير أم عامر ، قال : وما مجير أم عامر ؛ فذكر قصة الضبع ومجيرها ، قال : وإنما غالطه أبو جعفر لئلا يعطيه شيئًا .

وذُكر عن هشام بن محمد أن قُثَم بن العباس دخل على أبى جعفر ، فكلّمه فى حاجة ، فقال له أبو جعفر : دعنى من حاجتك هذه ، أخبرنى لِمَ سميت قُثَم[2]؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أدرى ، قال : القُثَم الذى يأكل ويزِلّ ، أما سمعت قول الشاعر :

وللكُبراء أكلٌ كيف شاءُوا وللصُّغراء أكلٌ واقتِثامُ

---

(١) ب : « درهمك » .
(٢) ط : « قثماً » ؛ وهو ممنوع من الصرف .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى أنّ المنصور وهب لمحمد بن سليمان عشرين ألف درهم ولجعفر أخيه عشرة آلاف درهم ، فقال جعفر : يا أميرَ المؤمنين ، تفضّله عليّ وأنا أسنّ منه ! قال : وأنت مثله ! إنا لا نلتفت إلى ناحية إلاّ وجدنا من أثر محمد فيها شيئاً ، وفي منزلنا من هداياه بقيّة ؛ وأنت لم تفعل من هذا شيئاً .

وذكِر عن سوادة بن عمرو السُّلميّ ، عن عبد الملك بن عطاء — وكان في صحابة المنصور — قال : سمعتُ ابنَ هُبَيرة وهو يقول في مجلسه : ما رأيتُ رجلاً قطّ في حرب ، ولا سمعت به في سِلْم ، أمكرَ ولا أبدعَ ، ولا أشدّ تيقُّظاً من المنصور ، لقد حصرني في مدينتي تسعة أشهر ، ومعي فرسان العرب ، فجهدنا كلّ الجهد أن ننال من عسكره شيئاً نكسره به ؛ فما تهيّأ ، ولقد حصرني وما في رأسي بيضاء ؛ فخرجت إليه وما في رأسي سوداء ؛ وإنه لكما قال الأعشى : ٣/٤١١

يَقومُ على الرَّغْمِ مِنْ قومِه فيَعْفو إذا شاءَ أو يَنتَقِمْ

أخو الحرب لا ضَرَعٌ واهنٌ ولم يَنْتَعِلْ بنعال خَدِمْ

وذكر إبراهيم بن عبد الرحمن أن أبا جعفر كان نازلاً على رجل يقال له أزهر السمّان — وليس بالمحدِّث — وذلك قبل خلافته ؛ فلما وليَ الخلافة صار إليه إلى مدينة السلام ، فأدخِل عليه ، فقال : حاجتك ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، عليّ دين أربعة آلاف درهم ، وداري مستهدّمة ، وابني محمد يريد البناء بأهله ؛ فأمر له باثني عشر ألف درهم ، ثم قال : يا أزهر ؛ لا تأتنا طالبَ حاجة ؛ قال : أفعل . فلما كان بعد قليل عاد ، فقال : يا أزهر ، ما جاء بك ؟ قال : جئت مسلّما يا أمير المؤمنين ؛ قال : إنه ليقع في نفسي أشياء ؛ منها أنك أتيتنا لما أتيتنا له في المرّة الأولى ؛ فأمر له باثني عشر ألف درهم أخرى ، ثم قال : يا أزهر ، لا تأتنا طالبَ حاجة ولا مسلّما ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ ثم لم يلبث أن عاد ، فقال : يا أزهر ، ما جاء بك ؟ قال :

دعاء سمعته منك أحببت أن آخذه عنك ، قال : لا ترده ، فإنه غير مستجاب ؛ لأنى قد دعوت الله به أن يريحنى من خلفتك[1] فلم يفعل ، وصرفه ولم يعطه شيئاً .

وذكر الهيثم بن عدىّ أن ابن عيّاش حدّثه أنّ ابن هبيرة أرسل إلى المنصور وهو محصور بواسط ، والمنصور بإزائه : إنى خارج يوم كذا وكذا وداعيك إلى المبارزة ، فقد بلغنى تجبينك إياى ؛ فكتب إليه : يابن هبيرة ، إنك امرؤ متعدّ طورك، جار فى عنان غيّك ، يعدك الله ما هو مصدّقه ، ويمنّيك الشيطان ما هو مكذّبه ، ويقرّب ما الله مباعده ؛ فرويداً يتمّ الكتاب أجله ؛ وقد ضربتُ مثلى ومثلك ؛ بلغنى أن أسداً لقى خنزيراً ، فقال له الخنزير : قاتلنى ، فقال الأسد : إنما أنت خنزير ولستَ لى بكفء ولا نظير ، ومتى فعلتَ الذى دعوتنى إليه فقتلتك، قيل لى : قتلتَ خنزيراً ؛ فلم أعتقد بذلك فخرا ولا ذكْراً، وإن نالنى منك شىء كان سُبّة علىّ، فقال : إن أنت لم تفعل رجعت إلى السباع فأعلمتُها أنك نكلتَ[2] عنى وجبنت عن قتالى ، فقال الأسد : احتمال عار كذبك أيسر علىّ من لطخ شاربى[3] بدمك . ٣ / ٤١٢

وذُكِر عن محمد بن رياح الجوهرىّ ، قال : ذُكر لأبى جعفر تدبير هشام بن عبد الملك فى حرْب كانت له ، فبعث إلى رجل كان معه ينزل الرُّصافة — رُصافة هشام — يسأله عن ذلك الحرب ، فقدم عليه فقال : أنت صاحب هشام ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فأخبرنى كيف فعل فى حرب دبرها فى سنة كذا وكذا ؟ قال : إنه فعل فيها رحمه الله كذا وكذا ، ثم أتبع بأن قال : فعل كذا رضى الله عنه ؛ فأحفظ ذلك المنصور ، فقال : قم عليك غضب الله ! تطأ بساطى وتترحم على عدوّى ! فقام الشيخ ،وهو يقول : إن لعدوّك قلادة فى عنقى ومنة فى رقبتى لا ينزعها عنى إلا غاسلى ؛ فأمر المنصور بردّه ، وقال : اقعد ، هيه ! كيف قلتَ ؟ فقلت : إنه كفانى الطلب ، وصان وجهى عن السؤال ، فلم أقف على باب عربىّ ولا أعجمى منذ رأيته ، أفلا

(١) ب : « خلقتك » . (٢) ابن الأثير : « تكلب » .
(٣) ابن الأثير : « شرابى » .

يجب عليّ أن أذكره بخير وأتبعه بثنائى ! فقال : بلى ، لله أمٌّ نهضت عنك ، وليلة أدّتك ، أشهد أنك نهيض حُرّة وغراس كريم ؛ ثم استمع منه وأمر له ببرّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما آخذه لحاجة ، وما هو إلاّ أنى أتشرّف بحِبائك ، وأتبجّح بصِلتك. فأخذ الصّلة وخرج ، فقال المنصور : عند مثل هذا تحسن الصنيعة ، ويُوضع المعروف ، ويجاد بالمصون ، وأين فى عسكرنا مثله ! ٤١٣/٣

وذكر عن حفص بن غياث ، عن ابن عيّاش ، قال : كان أهل الكوفة لا تزال الجماعة منهم قد طعنوا على عاملهم ، وتظلّموا على أميرهم ، وتكلّموا كلامًا فيه طعن على سلطانهم ؛ فرُفع ذلك فى الخبر ، فقال للربيع : اخرج إلى مَنْ بالباب من أهل الكوفة ، فقل لهم : إن أميرَ المؤمنين يقول لكم لئن اجتمع اثنان منكم فى موضع لأحلقنّ رءوسهما ولحاهما ، ولأضربنّ ظهورهما ، فالزموا منازلكم ؛ وابقوا على أنفسكم . فخرج إليهم الربيع بهذه الرسالة فقال له ابن عياش : يا شبه عيسى بن مريم ، أبلغ أمير المؤمنين عنا كما أبلغتنا[1] عنه ، فقل له : والله يا أميرَ المؤمنين ما لنا بالضَّرْب طاقة ، فأمّا حلْق اللّحى فإذا شئت — وكان ابن عياش منتوفاً — فأبلغه ، فضحك ، وقال : قاتله الله ما أدهاه وأخبثه !

وقال موسى بن صالح : حدّثنى محمد بن عقبة الصيداوىّ عن نصر بن حرب — وكان فى حرس أبى جعفر — قال : رُفع إلىّ رجلٌ قد جىء به من بعض الآفاق ، قد سعى فى فساد الدولة ، فأدخلته على أبى جعفر ، فلما رآه قال : أصْبَغ ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : ويلك! أما أعتقتُك وأحسنتُ إليك ! قال : بلى ، قال : فسعيتَ فى نقضِ دولتى وإفساد ملكى ! قال : أخطأتُ وأمير المؤمنين أولى بالعفو . قال : فدعا أبو جعفر عُمارة — وكان حاضراً — فقال : يا عُمارة ؛ هذا أصبغ ، فجعل يتثبّت فى وجهى ، وكأنّ فى عينيه سوءاً ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : علىّ بكيس عطائى ، فأتِىَ بكيس فيه خمسمائة درهم ، فقال : خذها فإنها وَضَحٌ ، ويلك ، وعليك ٤١٤/٣

---

(١) ب : « بلغتنا » .

بعملك — وأشار بيده يحرّكها — قال عُمارة : فقلت لأصبغ : ماكان عنَتى أمير المؤمنين ؟ قال : كنتُ وأنا غلام أعمل الحبال ، فكان يأكل من كسبي. قال نصر : ثم أتِيَ به ثانية ، فأدخلته كما أدخلتُه قبلُ ، فلما وقف بين يديه أحدّ النظر إليه ، ثم قال : أصبغ ! فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فقصّ عليه ما فعل به ، وذكره إياه ، فأقرّ به ، وقال : الحمق يا أمير المؤمنين ؛ فقدمه فضرب عنقه .

وذكر عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ ، قال : حدّثني أبي ، قال : كان خضاب المنصور زعفرانيًّا ، وذلك أن شعره كان ليِّناً لا يقبل الخضاب ، وكانت لحيته رقيقة ؛ فكنت أراه على المنبر يخطُب ويبكي فيسرع الدمع على لحيته حتى تَكِفَ لقلة الشعر ولِينه .

وذكر إبراهيم بن عبد السلام ، ابن أخي السنديّ بن شاهك السنديّ ، قال : ظفر المنصور برجل من كبراء بني أمية ، فقال : إني أسألك عن أشياء فاصدُقني ولك الأمان ، قال : نعم ، فقال له المنصور : منْ أينَ أُتِيَ بنو أميّة حتى انتشر أمرهم ؟ قال : من تضييع الأخبار ، قال : فأيّ الأموال وجدوها أنفع ؟ قال : الجوهر ، قال فعند مَنْ وجدوا الوفاء ؟ قال : عند مواليهم ، قال : فأراد المنصور أن يستعين في الأخبار بأهل بيته ، ثم قال : أضعُ من أقدارهم ، فاستعان بمواليه .

٣/٤١٥ وذكر عليّ بن محمد الهاشميّ أنّ أباه محمد بن سليمان حدّثه ، قال : بلغني أن المنصور أخذ الدّواء في يوم شاتٍ شديد البرد ، فأتيته أسأله عن موافقة الدواء له ، فأدخلت مدخلا من القصْر لم أدخله قطّ ، ثم صرتُ إلى حُجيرة صغيرة ، وفيها بيتٌ واحد ورواق بين يديه في عرْض البيت وعرْض الصحن ، على أسطوانة ساجٍ ، وقد سدل على وجه الرّواق بواريّ[1] كما يصنع بالمساجد ، فدخلت فإذا في البيت مِسْح ليس فيه شيء غيره إلا فراشه ومرافقه ودِثاره ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، هذا بيت أربأ بك عنه ، فقال : يا عمّ ، هذا

---

(١) البواري : جمع بارية ؛ وهي الحصير المنسوج .

بيت مبيتى ، قلت : ليس هنا غير هذا الذى أرى ، قال : ما هو إلا ما ترَى.

قال : وسمعته يقول عمّن حدّثه ، عن جعفر بن محمد ، قال : قيل إنّ أبا جعفر يُعرَف بلباس جُبّة هَرَوِيّة مرقوعة؛ وأنه يرقّع قميصه ، فقال جعفر : الحمد لله الذى لَطف له حتى ابتلاه بفقر نفسه — أو قال : بالفقر فى مُلْكه .

قال : وحدّثنى أبى ، قال : كان المنصور لا يولّى أحداً ثم يعزله إلا ألقاه فى دار خالد البطين — وكان منزل خالد على شاطئ دجلة ، ملاصقاً لدار صالح المسكين — فيستخرج من المعزول مالاً ، فما أخذ من شىء أمر به فعُزل ، وكُتِبَ عليه اسم مَنْ أخذ منه ، وعزل فى بيت مال ، وسمّاه بيتَ مال المظالم ، فكثر ما فى ذلك البيت من المال والمتاع . ثم قال للمهدىّ : إنى قد هيّأت لك شيئاً تُرضِى به الخلق ولا تغرم من مالك شيئاً ، فإذا أنا متّ فادع هؤلاء الذين أخذتُ منهم هذه الأموال التى سميتُها المظالم ، فاردد عليهم كلّ ما أخذ منهم ؛ فإنك تستحمد إليهم وإلى العامة ؛ ففعل ذلك المهدىّ لما ولِىَ . ٤١٦/٣

قال علىّ بن محمد : فكان المنصور ولّى محمد بن عبيد الله بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث البلقاء ، ثم عزله ، وأمر أن يُحمَل إليه مع مال وُجِد عنده ، فحُمِل إليه على البريد ، وألفِىَ معه ألفا دينار ، فحملت مع ثقله على البريد — وكان مصلى سُوسَنْجِرْد ومضربة ومرفقة ووسادتين وطستاً وإبريقاً وأشناندانة نحاس — فوجد ذلك مجموعاً كهيئته ؛ إلا أن المتاع قد تأكّل ، فأخذ ألفى الدينار ، واستحيا أن يخرج ذلك المتاع ، وقال : لا أعرفه ، فتركه ، ثم ولّاه المهدىّ بعد ذلك اليمن ، وولّى الرشيد ابنه الملقب ربرا المدينة .

وذكر أحمد بن الهيثم بن جعفر بن سليمان بن علىّ ، قال : حدثنى صباح ابن خاقان ، قال : كنت عند المنصور حين أُتِىَ برأس إبراهيم بن عبد الله ابن حسن ، فوُضع بين يديه فى تُرس ، فأكبّ عليه بعض السيّافة ، فبصق فى وجهه ، فنظر إليه أبو جعفر نظراً شديداً ، وقال لى : دقّ أنفه ، قال : ٤١٧/٣ فضربت أنفه بالعمود ضربة لو طُلب له أنف بألف دينار ما وجد ، وأخذته

أعمدة الحرس ، فما زال يُهشّم بها حتى خمد ، ثم جُرّ برجله .

قال الأصمعيّ : حدثني جعفر بن سليمان ، قال : قدم أشعب أيام أبي جعفر بغداد ، فأطاف به فتيان بني هاشم فغنّاهم ، فإذا ألحانه طريّة وحلقه على حاله ، فقال له جعفر : لمن هذا الشعر ؟

لِمَنْ طَلَلٌ بِذَاتِ الجَيْـ ـشِ أمسى دارِساً خَلَقَا[1]
عَلَوْنَ بظاهِرِ البَيْدا ءِ فالمَحْزُون قد قَلِقَا

فقال : أخذت الغناءَ من معبد ؛ ولقد كنت آخذ عنه اللحن ، فإذا سئل عنه قال : عليكم بأشعب ؛ فإنه أحسن تأديةً له منّي .

قال الأصمعيّ : وقال جعفر بن سليمان : قال أشعب لابنه عبيدة : إني أراني سأخرجك من منزلي وأنتفي منك ، قال : ولِمَ يا أبه ؟ قال : لأني أكسب خلق الله لرغيف ، وأنت ابني قد بلغتَ هذا المبلغ من السنّ ، وأنت في عيالي ما تكسب شيئاً ، قال : بلى والله ، إني لأكسب ؛ ولكن مثل الموزة لا تحمل حتى تموت أمها .

وذكر عليّ بن محمد بن سليمان الهاشميّ ؛ أن أباه محمداً حدّثه أن الأكاسرة كان يُطيَّن لها في الصيف سقفُ بيت في كلّ يوم ، فتكون قائلة الملك فيه ، وكان يؤتى بأطنان القصب والخلاف طُوالاً غلاظاً ، فترصف حول البيت ويؤتى بقطع الثلج العظام فتجعل ما بين أضعافها ؛ وكانت بنو أميّة تفعل ذلك ؛ وكان أوّل من اتخذ الخيْش المنصور .

٤١٨/٣

وذكر بعضهم : أن المنصور كان يطيَّن له في أول خلافته بيتٌ في الصيف يَقيل فيه ؛ فاتخذ له أبو أيوب الخوزيّ ثياباً كثيفة تبلّ وتوضع على سبايك ، فيجد بردها ، فاستظرفها ، وقال : ما أحسبُ هذه الثياب إن اتخذت أكثف من هذه إلا حملت من الماء أكثر مما تحمل ؛ وكانت أبرد ، فاتُّخذ

---

(١) الأغاني ٤ : ٣٩ (ساسي) ، ونسبهما مع ثالث إلى الأحوص . وفي ياقوت ٢ : ١٩٣ ، ونسبهما مع بيتين آخرين إلى جعفر بن الزبير بن العوام .

له الخيش، فكان ينصب على قبّة، ثم اتخذ الخلفاء بعده الشرائج، واتّخذها الناس.

وقال علىّ بن محمد عن أبيه: إنّ رجلا من الرّاونديّة كان يقال له الأبلق، وكان أبرص، فتكلم بالغلوّ، ودعا بالرّاونديّة إليه، فزعم أن الرّوح التى كانت فى عيسى بن مريم صارت فى علىّ بن أبى طالب، ثم فى الأئمة، فى واحد بعد واحد إلى إبراهيم بن محمد، وأنهم آلهة، واستحلّوا الحرُمات؛ فكان الرجل منهم يدعو الجماعة منهم إلى منزله فيُطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته؛ فبلغ ذلك أسد بن عبد الله، فقتلهم وصلبهم، فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم، فعبدوا أبا جعفر المنصور وصعدوا إلى الخضراء، فألقوْا أنفسهم، كأنهم يطيرون، وخرج جماعتهم على الناس بالسّلاح، فأقبلوا يصيحون بأبى جعفر: أنت أنت! قال: فخرج إليهم بنفسه، فقاتلهم فأقبلوا يقولون وهم يقاتلون: أنت أنت. قال: فحُكى لنا عن بعض مشيختنا أنه نظر إلى جماعة الراونديّة يرمون أنفسهم من الخضراء كأنهم يطيرون، فلا يبلغ أحدهم الأرض إلا وقد تفتّت، وخرجت روحه. ٤١٩/٣

قال أحمد بن ثابت مولى محمد بن سليمان بن علىّ عن أبيه: إن عبد الله ابن علىّ، لما توارى من المنصور بالبصرة عند سليمان بن علىّ أشرف يومًا ومعه بعض مواليه ومولى لسليمان بن علىّ، فنظر إلى رجل له جمال وكمال، يمشى التّخاجى، ويجرّ أثوابه من الخُيلاء، فالتفت إلى مولًى لسليمان بن علىّ، فقال: من هذا؟ قال له: فلان ابن فلان الأموىّ، فاستشاط غضبًا وصفق بيديه عجبًا، وقال: إن طريقنا لَنَبِك[1] بعد، يا فلان – لمولى له – انزل فأتنى برأسه، وتمثّل قول سَديف:

علامَ، وفيمَ نَترُكُ عبدَ شمسٍ لها فى كلِّ راعيةٍ ثُغاءُ!
فما بالرَّمْسِ فى حَرّانَ منها ولو قُتِلَتْ بأَجْمَعِها وفاءُ

(١) النبكة: أكمة محددة الرأس؛ وربما كانت حمراء؛ ولا تخلو من الحجارة.

وذكر عليّ بن محمد المدائنيّ أنه قدم على أبي جعفر المنصور – بعد انهزام عبد الله بن عليّ وظفر المنصور به ، وحبسه إياه ببغداد – وفد من أهل الشأم فيهم الحارث بن عبد الرحمن ، فقام عدّة منهم فتكلّموا ، ثم قام الحارث ابن عبد الرحمن ، فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ! إنا لسنا وفدَ مباهاة ، ولكنا وفد توبة ؛ وإنا ابتلينا بفتنة استفزّت كريمَنا ، واستخفّتْ حليمَنا ، فنحن بما قدّمنا معترفون ، ومما سلف منّا معتذرون ، فإن تعاقبْنا فيما أجرمنا ، وإن تعفُ عنا فبفضلك علينا ؛ فاصفح عنا إذْ ملكت ، وامنن إذ قدرت ، وأحسنْ إذ ظفرت ، فطالما أحسنت ! قال أبو جعفر : قد فعلت .

٤٢٠/٣

وذكر عن الهيثم بن عديّ عن زيد مولى عيسى بن نهيك ، قال : دعاني المنصور بعد موت مولاي ، فقال : يا زيد ، قلت : لبّيك يا أمير المؤمنين ؛ قال : كم خلّف أبو زيد من المال ؟ قلت : ألف دينار أو نحوها ، قال : فأين هي ؟ قلت : أنفقتْها الحرّة في مأتمه . قال : فاستعظم ذلك ، وقال : أنفقت الحرّة في مأتمه ألف دينار ! ما أعجب هذا ! ثم قال : كم خلّف من البنات ؟ قلت : ستًّا ، فأطرق مليًّا ثم رفع رأسه ، وقال : اغدُ إلى باب المهديّ ، فغدوت فقيل لي : أمعك بغال ؟ فقلت : لم أومر بذلك ولا بغيره ؛ ولا أدري لِمَ دعيت ! قال : فأعطيتُ ثمانين ومائة ألف دينار ، وأمِرتُ أن أدفع إلى كلّ واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار . ثم دعاني المنصور ، فقال : أقبضت ما أمرنا به لبنات أبي زيد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : اغد عليّ بأكفائهنّ حتى أزوّجهنّ منهم ؛ قال : فغدوتُ عليه بثلاثة من ولد العكيّ وثلاثة من آل نهيك من بني عمّهنّ ، فزوّج كلّ واحدة منهنّ على ثلاثين ألف درهم ، وأمر أن تحمل إليهنّ صدقاتهنّ من ماله ، وأمرني أن أشتريَ بما أمر به لهنّ ضياعًا ، يكون معاشهنّ منها ، ففعلت ذلك .

وقال الهيثم : فرّق أبو جعفر على جماعة من أهل بيته في يوم واحد عشرة آلاف درهم ، وأمر للرّجل من أعمامه بألف ألف ، ولا نعرف خليفة قبله ولا بعده وصل بها أحدًا من الناس .

٤٢١/٣

وقال العباس بن الفضل : أمر المنصور لعمومته : سليمان ، وعيسى ،

وصالح، وإسماعيل؛ بنى علىّ بن عبد الله بن عباس، لكلّ رجل منهم بألف ألف معونةً له من بيت المال. وكان أول خليفة أعطى ألف ألف من بيت المال؛ فكانت تجرى فى الدواوين.

وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ، قال: حدّثنى الفضل بن الربيع، عن أبيه، قال: جلس أبو جعفر المنصور للمدنيّين مجلساً عامًّا ببغداد — وكان وفد إليه منهم جماعة — فقال: لينتسب كلّ من دخل علىّ منكم، فدخل عليه فيمن دخل شابٌّ من ولد عمرو بن حزم، فانتسب ثم قال: يا أميرَ المؤمنين، قال الأحوص فينا شعراً، منعنا[1] أموالنا من أجله منذ ستين سنة، فقال أبو جعفر: فأنشدنى، فأنشده:

لا تَأْوِيَنَّ لحَزمىٍّ رأيتَ به فقرًا وإن أُلقِىَ الحَزْمىُّ فى النار[2]
النَّاخِسِين بِمَرْوانٍ بذى خُشُبٍ والداخلين على عثمانَ فى الدار

قال: والشّعر فى المدح للوليد بن عبد الملك؛ فأنشده القصيدة، فلما بلغ هذا الموضع قال الوليد: أذكرتَنى ذنب آل حَزْم، فأمر باستصفاء أموالهم. فقال أبو جعفر: أعِدْ علىّ الشعر، فأعاده ثلاثاً، فقال له أبو جعفر: لاجرم، إنك تحتظى بهذا الشعر كما حرمت به، ثم قال لأبى أيّوب: هات عشرة آلاف درهم فادفعها إليه لغنائه إلينا، ثم أمر أن يكتب إلى عماله أن تردّ ضياع آل حزم عليهم، ويُعْطَوْا غلاّتها فى كل سنة من ضياع بنى أمية، وتقسّم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناسخ، ومن مات منهم وفّر على ورثته. قال: فانصرف الفتى بما لم ينصرف به أحد من الناس. ٣/٤٢٢

وحدّثنى جعفر بن أحمد بن يحيى، قال: حدّثنى أحمد بن أسد، قال: أبطأ المنصور عن الخروج إلى الناس والركوب، فقال الناس: هو عليل، وكثروا، فدخل عليه الربيع، فقال: يا أميرَ المؤمنين، لأمير المؤمنين طولُ البقاء، والناس يقولون، قال: ما يقولون؟ قال: يقولون: عليل؛ فأطرق قليلا ثم قال: يا ربيع، ما لنا وللعامّة! إنما تحتاج العامة إلى ثلاث خلال، فإذا

---

(١) ط: «أمنعنا» وهو خطأ. (٢) الأغانى ١: ٢٦.

فُعل ذلك بها فما حاجتهم! إذا أقيم لهم مَنْ ينظر فى أحكامهم فينصف بعضَهم من بعض ، ويـُؤمِن سبلـَهم حتى لا يخافوا فى ليلهم ولا نهارهم ، ويسدّ ثغورهم وأطرافهم حتى لا يجيئهم عدوّهم ؛ وقد فعلنا ذلك بهم . ثم مكث أيامـًا ، وقال : يا ربيع ، اضرب الطبل ؛ فركب حتى رآه العامة .

وذكر علىّ بن محمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : وجّه أبو جعفر مع محمد بن أبى العباس بالزنادقة والمُجـّان ، فكان فيهم حماد عَجْرد ، فأقاموا معه بالبصرة يظهر منهم المجُون ؛ وإنما أراد بذلك أن يبغّضه إلى الناس ، فأظهر محمد أنه يعشق زينب بنت سليمان بن علىّ ، فكان يركب إلى المِربد ، فيتصدّى لها ؛ يطمع أن تكون فى بعض المناظر تنظر إليه ؛ فقال محمد لحمّاد : قل لى فيها شعراً ، فقال فيها أبياتـًا ، يقول فيها :

يا ساكنَ المِرْبَدِ قد هِجْتَ لى شَوْقاً فما أنفكُّ بالمِرْبَدِ[1]

قال : فحدّثنى أبى قال : كان المنصور نازلاً على أبى سنتين ، فعرفت الخصيب المتطبّب لكثرة إتيانه إياه ؛ وكان الخصيب يُظهر النصرانيّة وهو ٣/٤٢٣ زِنديق معطّل لا يبالى مَنْ قتل ، فأرسل اليه المنصور رسولاً يأمره أن يتوخّى قتل محمد بن أبى العباس ، فاتّخذ سمـًّا قاتلاً ، ثم انتظر علـّة تحدث بمحمد ، فوجد حرارة ، فقال له الخصيب : خذ شربة دواء ، فقال : هَيـِّئها لى ، فهيّأها ، وجعل فيها ذلك السمّ ثم سقاه إياها ، فمات منها . فكتبت بذلك أمّ محمد بن أبى العباس إلى المنصور تعلمه أنّ الخصيب قتل ابنـَها . فكتب المنصور يأمر بحمله إليه ؛ فلما صار إليه ضربه ثلاثين سوطـًا ضربـًا خفيفـًا ، وحبسه أياما ، ثم وهب له ثلثمائة درهم ، وخلاّه .

قال : وسمعتُ أبى يقول : كان المنصور شَرَط لأمّ موسى الحميرية ألاّ يتزوّج عليها ولا يتسرّى ، وكتبت عليه بذلك كتاباً أكّدته وأشهدت عليه شهوداً ، فعزب بها عشر سنين فى سلطانه ؛ فكان يكتب إلى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز يستفتيه ، ويحمل إليه الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق

(١) الأغانى ١٤ : ٣٧٤ ، من أبيات ، وروايته : « يا قمر المربد » .

فيعرِض عليه الكتاب ليفتيه فيه برُخصة ؛ فكانت أمّ موسى إذا علمتْ مكانه بادرتْه ، فأرسلت إليه بمال جزيل ، فإذا عرض عليه أبو جعفر الكتاب لم يفته فيه برُخصة ، حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد ؛ فأتته وفاتها بحُلوان ، فأهديت له فى تلك الليلة مائة بِكْر ؛ وكانت أم موسى ولدت له جعفراً والمهدىّ .

وذكِر عن علىّ بن الجَعْد أنه قال : لما قدم بختيشوع الأكبر على المنصور من السوس ، ودخل عليه فى قصْره بباب الذهب ببغداد، أمر له بطعام يتغدّى به ، فلما وضعت المائدة بين يديه ، قال : شراب ، فقيل له : إن الشّراب لا يُشرب على مائدة أمير المؤمنين ، فقال : لا آكل طعاماً ليس معه شراب ، فأخبِر المنصور بذلك ، فقال : دعوه ، فلما حضر العشاء فعل به مثل ذلك ، فطلب الشراب ، فقيل له : لا يُشرب على مائدة أمير المؤمنين الشراب ، فتعشّى وشرب ماء دِجلة ، فلما كان من الغد نظر إلى مائه ، فقال : ما كنت أحسب شيئاً يُجزى من الشراب ، فهذا ماء دِجلة يجزى من الشراب . ٣/٤٢٤

وذكر عن يحيى بن الحسن أن أباه حدّثه ، قال : كتب المنصور إلى عامله بالمدينة أن بِعْ ثمار الضياع ولا تبعها إلا ممّن نغلبه ولا يغلبنا ؛ فإنما يغلبنا المفلس الذى لا مال له ، ولا رأى لنا فى عذابه ، فيذهب بما لنا قِبَله ولو أعطاك جزيلا ، وبعْها من الممكن بدون ذلك ممّن ينصفك ويوفيك .

وذكر أبو بكر الهُذلىّ أنّ أبا جعفر كان يقول : ليس بإنسان من أسْدِىَ إليه معروف فنسيه دون الموت .

وقال الفضل بن الربيع : سمعت المنصور يقول : كانت العرب تقول : الغَوَى الفادح خير من الرّىّ الفاضح .

وذكر عن أبان بن يزيد العنبرىّ أن الهيثم القارئ البصرىّ قرأ عند المنصور ﴿ولاَ تُبذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ...[1] ، إلى آخر الآية ، فقال له المنصور ، وجعل يدعو : اللهم جنّبنى وبنىّ التبذير فيما أنعمت به علينا من عطيّتك .

(١) سورة الإسراء ٢٦ .

قال : وقرأ الهيثم عنده : ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾

٤٢٥/٣ فقال للناس: لولا أنّ الأموال حصن السلطان ودعامة للدين والدنيا وعزّهما وزينتهما ما بتّ ليلة وأنا أحرز منه ديناراً ولا درهماً ، لما أجد لبذل المال من اللذاذة ؛ ولما أعلم فى إعطائه من جزيل المثوبة .

ودخل على المنصور رجل من أهل العلم ، فازدراه واقتحمته عينُه ، فجعل لا يسأله عن شىء إلا وجد عنده ، فقال له : أنّى لك هذا العلم ! قال : لم أبخل بعلمٍ علمتُه ، ولم أستح من علم أتعلّمه . قال : فمن هناك !

قال : وكان المنصور كثيراً ما يقول : مَنْ فعل بغير تدبير ، وقال عن غير تقدير ، لم يعدم من الناس هازئاً أو لاحياً .

وذكر عن قحطبة ، قال : سمعت المنصور يقول : الملوك تحتمل كلّ شىء من أصحابها إلا ثلاثاً : إفشاء السرّ ، والتعرّض للحُرْمة ، والقدح فى الملك .

وذكر علىّ بن محمد أنّ المنصور كان يقول : سرُّك من دمك ، فانظر مَنْ تُمَلِّكه .

وذكر الزبير بن بكّار ، عن عمر ، قال : لما حُمِل عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدىّ إلى المنصور بعد خروجه عليه ، قال له : يا أمير المؤمنين ، قِتْلة كريمة ! قال : تركتَها وراءك يابن اللخناء !

وذكر عن عمر بن شبّة ، أنّ قحطبة بن غُدانة الجشمىّ — وكان من الصحابة — قال : سمعت أبا جعفر المنصور يخطب بمدينة السلام سنة اثنتين وخمسين ومائة ، فقال : يا عباد الله ، لا تظالموا ، فإنها مظلمة يوم القيامة ، والله لولا يدٌ خاطئة ، وظلم ظالم ، لمشيت بين أظهركم فى أسواقكم ؛ ولو علمت مكان مَنْ هو أحقّ بهذا الأمر منى لأتيتُه حتى أدفعه إليه .

وذكر إسحاق الموصلىّ ، عن النضر بن حديد ، قال : حدّثنى بعض

---

(١) سورة النساء ٣٧ .

الصحابة أنّ المنصور كان يقول : عقوبة الحليم التعريض ، وعقوبة السفيه التصريح . ٤٢٦/٣

وذكر أحمد بن خالد ، قال : حدثني يحيى بن أبي نصر القرشيّ ، أن أبانًا القارئ قرأ عند المنصور : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ... ﴾ [1] ، الآية فقال المنصور : ما أحسن ما أدّبنا ربّنا !

قال : وقال المنصور : مَنْ صنع مثل ما صُنع إليه فقد كافأ ، ومن أضعف فقد شكر ، ومن شكر كان كريمًا ، ومن علم أنه إنما صنع إلى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم ، ولم يستزدهم من مودّتهم ، فلا تلتمس من غيرك شكرَ ما آتيتَه إلى نفسك ، ووقَيْتَ به عرضَك . واعلم أن طالب الحاجة إليك لم يكرم وجهه عن وجهك ، فأكرم وجهَك عن ردّه .

وذكر عمر بن شبّة أن محمد بن عبد الوهاب المهلبيّ ، حدّثه ، قال : سمعت إسحاق بن عيسى يقول : لم يكن أحدٌ من بني العباس يتكلّم فيبلغ حاجته على البديهة غير أبي جعفر وداود بن عليّ والعباس بن محمد .

وذكر عن أحمد بن خالد ، قال : حدّثني إسماعيل بن إبراهيم الفهريّ ، قال : خطب المنصور ببغداد في يوم عرَفة – وقال قوم : بل خطب في أيام منى – فقال في خطبته : أيها الناس ؛ إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه وتسديده ، وأنا خازنه على فيئه ؛ أعمل بمشيئته ، وأقسمه بإرادته ، وأعطيه بإذنه ؛ قد جعلني الله عليه قُفلا ، إذا شاء أن يفتحني لأعطياتكم وقَسْم فيئكم وأرزاقكم فتحني ، وإذا شاء أن يُقفلني أقفلني ؛ فارغبوا إلى الله أيها الناس ، وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه ؛ إذ يقول تبارك وتعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [2] أن يوفقني للصواب ويسدّدني للرشاد ، ويلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، ويفتحني لأعطياتكم ٤٢٧/٣

(١) سورة الإسراء ٢٩ . (٢) سورة المائدة ٣ .

وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم ، إنه سميع قريب .

وذكر عن داود بن رشيد عن أبيه ، أنّ المنصور خطب فقال : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأومن به وأتوكّل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له . . فاعترضه معترض عن يمينه ، فقال : أيّها الإنسان ، أذكّرك مَنْ ذكرت به . . . فقطع الخطبة ثم قال : سمعًا سمعًا ؛ لمن حفِظ عن الله وذكّر به ، وأعوذ بالله أن أكون جبّارًا عنيداً ، وأن تأخذني العزّة بالإثم ؛ لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين . وأنتَ أيها القائل ؛ فوالله ما أردتَ بها وجه الله[1] ؛ ولكنّك حاولتَ أن يقال : قام فقال فعوقب فصبر ، وأهوِنْ بها ! ويلك لو هممتُ ! فاهتبلها إذ غفرت . وإياك وإياكم معشر الناس أختها ؛ فإنّ الحكمة علينا نزلتْ ، ومن عندنا فصلت ؛ فردّوا الأمر إلى أهله ، توردوه مواردَه ، وتُصدروه مصادرَه . . . ثم عاد فى خطبته ، فكأنه يقرؤها من كفه ، فقال : وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وذكر عن أبى توبة الرّبيع بن نافع ، عن ابن أبى الجوزاء ، أنه قال : قمت إلى أبى جعفر وهو يخطب ببغداد فى مسجد المدينة على المنبر فقرأت : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ ﴾ [2] ، فأخذت فأدخلت عليه ، فقال : مَن أنت ويلك ! إنما أردتَ أن أقتلك ، فاخرج عنى فلا أراك . قال : فخرجت من عنده سليماً .

٤٢٨/٣

وقال عيسى بن عبد الله بن حميد : حدّثنى إبراهيم بن عيسى ، قال : خطب أبو جعفر المنصور فى هذا المسجد — يعنى به مسجد المدينة ببغداد — فلما بلغ : اتقوا الله حق تقاته ، قام إليه رجل ، فقال : وأنت يا عبد الله ، فاتّق الله حق تقاته . .. فقطع أبو جعفر الخطبة ، وقال : سمعا سمعًا ، لمن ذكّر بالله ؛ هات يا عبد الله ، فما تّقِى الله ؟ فانقطع الرجل فلم يقل شيئًا ، فقال أبو جعفر : الله الله أيها الناس فى أنفسكم ، لا تحملونا من أموركم[3] ما لا طاقة لكم به ،

---

(١) ابن الأثير : « ما أردت بهذا القول وجه الله »   (٢) سورة الصف ٢ .
(٣) ب : « أنفسكم » .

لا يقوم رجل هذا المقام إلا أوجعتُ ظهره ، وأطلت حبسه . ثم قال : خذه إليك يا ربيع ، قال : فوثقنا له بالنجاة – وكانت العلامة فيه إذا أراد بالرجل مكروهاً قال : خذه إليك يا مسيّب – قال : ثم رجع فى خطبته من الموضع الذى كان قطعه ، فاستحسن الناس ذلك منه ، فلما فرغ من الصلاة دخل القصر ؛ وجعل عيسى بن موسى يمشى على هينته[1] خلْفَه ، فأحسّ به أبو جعفر ، فقال : أبو موسى ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ قال : كأنك خفتَنى على هذا الرجل ! قال : والله لقد سبق إلى قلبى بعضُ ذلك ؛ إلا أن أمير المؤمنين أكثر علماً ، وأعلى نظراً من أن يأتى فى أمره إلا الحقّ ، فقال : لا تخفنى عليه . فلما جلس قال : علىّ بالرجل ، فأُتِىَ به ؛ فقال : يا هذا ؛ إنك لما رأيتَنى على المنبر ، قلت ؛ هذا الطاغية لا يسعنى إلا أن أكلّمه ، ولو شغلت نفسك بغير هذا لكان أمثَل لك ؛ فاشغلها بظماء الهواجر ، وقيام الليل ، وتغبير قدميك فى سبيل الله ؛ أنطه[2] يا ربيع أربعمائة درهم ، واذهب فلا تعد .

٤٢٩/٣ وذكر عن عبد الله بن صاعد ، مولى أمير المؤمنين أنه قال : حجّ المنصور بعد بناء بغداد ، فقام خطيباً بمكة ، فكان مما حفظ من كلامه : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ﴾[3] ، أمرٌ مُبْرَم ، وقول عدْل ، وقضاء فَصْل ؛ والحمد لله الذى أفلج حجته ، وبعداً للقوم الظالمين ؛ الذين اتخذوا الكعبة عَرَضاً[4] ، والفىء إرثا ، وجعلوا القرآن عضين[5] ؛ لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فكم ترى من بئر معطّلة وقَصْرٍ مشيد ؛ أهملهم[6] الله حتّى بدّلوا السنة ، واضطهدوا العترة[7] ، وعندوا واعتدْوا ، واستكبروا وخاب كلُّ جبار عنيد ؛ ثم أخذهم ؛ فهل تحسّ منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزاً !

وذكر الهيثم بن عدىّ ، عن ابن عياش ، قال : إن الأحداث لما تتابعت

---

(١) ط : « هيئته » وما أثبته من ب .
(٢) س : « أعطه » ، وهما بمعنى .
(٣) سورة الأنبياء ١٠٥ .
(٤) ابن الأثير : « غرضا » .
(٥) عضين ؛ أى فرقاً .
(٦) س : « أمهلهم » .
(٧) ابن الأثير : « وأهملوا العبرة » .

على أبي جعفر ، تمثّل :

تفرّقت الظِّباءُ على خِداشٍ   فما يَدْرِى خداشٌ ما يَصِيدُ[١]

قال : ثم أمر بإحضار القوّاد والموالى والصحابة وأهل بيته ، وأمر حمّادا التركىّ بإسراج الخيل وسليمان بن مجالد بالتقدّم والمسيّب بن زهير بأخذ الأبواب ، ثم خرج فى يوم من أيامه حتى علا المنبر . قال : فأزِمَ عليه طويلا لا ينطق . قال رجل لشبيب بن شيبة : ما لأمير المؤمنين لا يتكلم ! فإنه والله ممّن يهون عليه صعاب القول ، فما باله ! قال : فافترع الخطبة ، ثم قال :

٣ / ٤٣٠

ما لى أُكفكِفُ عن سَعْدٍ ويشتمنى   ولو شتمتُ بنى سَعْدٍ لقد سكنوا[٢]

جهلا علىَّ وجُبْناً عن عَدُوِّهمُ   لبئست الخَلّتان الجَهْلُ والجُبُنُ

ثم جلس وقال :

فألقيتُ عن رأسى القناعَ ولم أكنْ   لأكشِفَهُ إلا لإحْدَى العظائم

والله لقد عجزوا عن أمرٍ قمنا به ، فما شكروا الكافى ؛ ولقد مهّدوا فاستوعروا وغمطوا الحقّ وغمصوا ، فماذا حاولوا ! أشرب رنْقا على غَصَصٍ ، أم أقيم على ضيم ومضَض ! والله لا أكرم أحداً بإهانة نفسى ؛ والله لئن لم يقبلوا الحق ليطلبُنّه ثم لا يجدونه عندى ؛ والسعيد مَنْ وُعظ بغيره . قدّم يا غلام ، ثم ركب

وذكر الفقيمىّ أنّ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن مولى محمد بن علىّ حدّثه ، أن المنصور لما أخذ عبد الله بن حسن وإخوته والنّفر الذين كانوا معه من أهل بيته ، صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

يا أهلَ خُراسان ، أنتم شيعتُنا وأنصارنا وأهلُ دولتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا مَنْ هو خيرمنا ، وإنّ أهلَ بيتى هؤلاء من ولد علىّ بن أبى طالب

---

(١) الأغانى ١٢ : ٢٢٩ .   (٢) من قصيدة لقعنب بن أم صاحب فى مختارات ابن الشجرى ٦ — ٨ . وفيها : « مالى أكفكف عن وهب » .

تركناهم والله الذى لا إله إلا هو والخلافةَ ، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير ؛ ٤٣١/٣
فقام فيها علىّ بن أبى طالب فتلطّخ وحكّم عليه الحكَمين ؛ فافترقت عنه الأمة ، واختلفت عليه الكلمة ، ثمّ وثبت عليه شيعتُه وأنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته فقتلوه ، ثمّ قام من بعده الحسن بن علىّ ؛ فوالله ما كان فيها برجُل ؛ قد عرِضت عليه الأموال ، فقبلها ، فدسّ إليه معاوية ؛ إنّى أجعلك ولىّ عهدى من بعدى ، فخدعه فانسلخ له مما[1] كان فيه ، وسلّمه إليه ، فأقبل على النساء يتزوّج فى كلّ يوم واحدة فيطلّقها غداً ؛ فلم يزل على ذلك حتى مات على فِراشه ، ثمّ قام من بعده الحسين بن علىّ ، فخدعه أهل العراق وأهلُ الكوفة ؛ أهل الشّقاق والنفاق والإغراق[2] فى الفتن ، أهل هذه المَدَرة السوداء — وأشار إلى الكوفة — فوالله ماهى بحرب فأحاربها ، ولا سلم فأسالمها ، فرّق الله بينى وبينها ، فخذلوه وأسلموه حتى قتِل ، ثم قام من بعده زيد بن علىّ ، فخدعه أهل الكوفة وغرّوه ؛ فلما أخرجوه وأظهروه أسلموه ؛ وقد كان أتى محمد بن علىّ ، فناشده فى الخروج وسأله ألاّ يقبل أقاويل أهل الكوفة ، وقال له : إنا نجد فى بعض علمنا ، أنّ بعض أهل بيتنا[3] يُصلَب بالكوفة ، وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوبَ ؛ وناشده عمّى داود بن علىّ وحذّره غدر أهل الكوفة فلم يقبل ؛ وأتمّ على خروجه ، فقتِل وصُلِب بالكُناسة ، ثم وثب علينا بنو أميّة ، فأماتوا شرفنا ، وأذهبوا عزّنا ؛ والله ما كانت لهم عندنا ترِة يطلبونها ؛ وما كان لهم ذلك كله إلاّ فيهم وبسبب خروجهم عليهم ؛ فنفوْنا من البلاد ، فصرْنا مرة بالطائف ، ومرّة بالشأم ، ومرّة بالشّراة ؛ حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصاراً ، ٤٣٢/٣
فأحيا شرَفنا ، وعزّنا بكم أهل خراسان ، ودمغ بحقّكم أهلَ الباطل ، وأظهر حقنا ، وأصار الينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقرّ الحق مقرّه ، وأظهر مناره ، وأعزّ أنصاره ، وقُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين . فلما استقرّت الأمور فينا على قرارها ؛ من فضل الله فيها وحكمه العادل لنا ، وثبوا علينا ، ظلماً وحسداً منهم لنا ، وبغياً لما فضّلنا الله به عليهم ، وأكرمنا به من خلافته وميراث نبيه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) س : « منها وبما » . (٢) ب : « والإعراق » .
(٣) س : « بيت نبينا » .

جَهْلاً علىّ وجُبْناً عن عدوّهمُ لبئست الخَلّتان الجَهْل والجُبْنُ

فإنىّ والله يا أهلَ خراسان ما أتيت من هـٰذا الأمر ما أتيت بجهالة ، بلغنى عنهم بعض السقم والتعرّم ، وقد دسست لهم رجالا فقلت : قم يا فلان قم يا فلان ، فخذ معك من المال كذا ، وحذوت لهم مثالاً يعملون عليه ؛ فخرجوا حتى أتوْهم بالمدينة ، فدسُّوا إليهم تلك الأموال ؛ فوالله ما بقى منهم شيخ ولا شابّ ، ولا صغير ولا كبير إلاّ بايعهم بيعةً ، استحللت بها دماءهم وأموالهم وحلّت لى عند ذلك بنقضهم بيعتى ، وطلبهم الفتنة ، والتماسهم الخروج علىّ ؛ فلا يرون أنى أتيتُ ذلك على غير يقين . ثم نزل وهو يتلو على درَج المنبر هذه الآية : ﴿ وحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبلُ إنَّهُمْ كَانُوا فى شَكٍّ مُرِيبٍ﴾[1] .

٣/٤٢٢ قال : وخطب المنصور بالمدائن عند قتل أبى مسلم ، فقال :

أيُّها الناس ؛ لا تخرجُوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ، ولا تُسرُّوا غشّ الأئمة ، فإنه لم يُسرّ أحد قطّ منكرةً إلا ظهرت فى آثار يده ، أو فلتات لسانه ، وأبداها الله لإمامه ؛ بإعزاز دينه ، وإعلاء حقه . إنا لن نبخسكم حقوقكم ، ولن نبخس الدّين حقه عليكم . إنه مَنْ نازعنا عُرْوة هذا القميص أجزرناه خبىَ هذا الغمْد . وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا ، على أنه مَنْ نكث بنا فقد أباحَ دمه ، ثم نكث بنا ، فحكمنا عليه حكمه على غيره لنا ؛ ولم تمنعنا رعاية الحقّ له من إقامة الحقّ عليه .

وذكر إسحق بن إبراهيم الموصلىّ أن الفَضْل بن الرّبيع أخبره عن أبيه ، قال : قال المنصور : قال أبى : سمعتُ أبى ؛ علىّ بن عبد الله يقول : سادة الدنيا الأسخياء ، وسادة الآخرة الأنبياء .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى ، أن المنصور غضب على محمد بن جُمَيْل الكاتب — وأصله من الرّبَذة — فأمر ببطحه[2] ، فقام بحجّته ، فأمر بإقامته ،

---

(١) سورة سبأ ٥٤ . (٢) بطحه : ألقاه على وجهه .

ونظر إلى سراويله ، فإذا هو كتّان ، فأمر ببطحه وضربه خمس عشرة درّة ، وقال : لا تلبس سراويل كتّان فإنه من السرف .

وذكر محمد بن إسماعيل الهاشمىّ ، أن الحسن بن إبراهيم حدّثه ، عن أشياخه ، أن أبا جعفر لما قتل محمد بن عبد الله بالمدينة وأخاه إبراهيم بباخمرى وخرج إبراهيم بن حسن بن حسن بمصر فحمل إليه ، كتب إلى بنى علىّ بن أبى طالب بالمدينة كتاباً يذكر لهم فيه[١] إبراهيم بن الحسن بن الحسن وخروجه بمصر ، وأنّه لم يفعل ذلك إلا عن رأيهم ، وأنهم يدأبون فى طلب السلطان ، ويلتمسون بذلك القطيعة والعقوق ، وقد عجزوا عن عداوة بنى أمية لمّا نازعوهم السلطان ، وضعفوا عن طلب ثأرهم ؛ حتى وثب بنو أبيه غضباً لهم على بنى أمية ، فطلبوا بثأرهم ، فأدركوا بدمائهم ، وانتزعوا السلطان عن أيديهم ، وتمثّل فى الكتاب بشعر سُبيع بن ربيعة بن معاوية اليربوعىّ : ٣/٤٣٤

فَلولا دِفاعِى عنكُمُ إذ عَجَزْتُمُ وباللهِ أَحْمِى عنكُمُ وأُدافِعُ

لَضاعَتْ أُمورٌ منكُمُ لا أرى لها كفاةً وما لا يَحْفَظُ اللهُ ضائعُ

فَسَمُّوا لنا مَنْ طَحْطَحَ الناسَ عنكُمُ ومن ذا الذى تُحْنَى عليه الأصابعُ!

وما زال منّا قد عَلِمْتُمْ عليكُمُ على الدهر إفْضالٌ يُرَى ومنافِعُ

وما زال منكُمْ أَهْلُ غَدْرٍ وجَفْوةٍ وبالله مُغْتَرٌّ وللرَّحْم قاطعُ

وإن نحن غِبْنا عنكُم وشَهِدْتُمُ وَقائعَ منكمْ ثَمَّ فيها مقانِعُ

وإنا لنَرْعاكم وترعون شأْنَكم كذاكَ الأُمور ؛ خافضاتٌ روافِعُ

وهل تعْلُوَنْ أقدامُ قوْمٍ صُدورَهمْ وهل تعْلُوَنْ فوق السَّنام الأكارِعُ!

وَدَبَّ رِجالٌ للرِّياسَةِ منكمُ كما دَرَجَتْ تحتَ الغديرِ الضَّفادعُ؟

وذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، قال : كان أرزاق الكتاب والعمّال أيام أبى جعفر ثلثمائة درهم ؛ فلما كانت كذلك لم تزل[٢] على حالها إلى أيام المأمون ، فكان أوّل مَنْ سنّ زيادة الأرزاق الفضل بن سهل ، فأمّا ٣/٤٣٥

(١) س : « فعل » . (٢) س : « ولم يزل كذلك » .

فى أيام بنى أمية وبنى العباس فلم تزل الأرزاق من الثلثمائة إلى ما دونها ، كان الحجّاج يُجرى على يزيد بن أبى مسلم ثلثمائة درهم فى الشهر .

وذكر إبراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى ، أنّ ولاة البريد فى الآفاق كلّها كانوا يكتبون إلى المنصور أيام خلافته فى كلّ يوم بسعر القمح والحبوب والأُدْم ، وبسعْرِ كلّ مأكول ، وبكلّ ما يقضى به القاضى فى نواحيهم ، وبما يعمل به الوالى وبما يرد بيتَ المال من المال ، وكلّ حدث ، وكانوا إذا صلّوا المغرب يكتبون إليه بما كان فى كلّ ليلة إذا صلّوا الغداة ؛ فإذا وردت كتبهم نظر فيها ، فإذا رأى الأسعار على حالها أمسك، وإن تغيّر شىء منها عن حاله كتب إلى الوالى والعامل هناك، وسأل عن العلّة التى نقلت ذاك عن سعره ؛ فإذا ورد الجواب بالعلّة تلطف لذلك برفقه حتى يعود سعره ذلك إلى حاله ؛ وإن شكّ فى شىء مما قضى به القاضى كتب إليه بذلك ؛ وسأل من بحضرته عن عمله ؛ فإن أنكر شيئاً عمل به كتب إليه يوبّخه ويلومه .

وذكر إسحاق الموصلىّ أن الصبّاح بن خاقان التميمىّ ، قال : حدّثنى رجل من أهلى ، عن أبيه ، قال : ذُكِر الوليد عند المنصور أيام نزوله بغداد وفروغه من المدينة ، وفراغه من محمد وإبراهيم ابنى عبد الله ، فقالوا : لعن الله الملحد الكافر — قال : وفى المجلس أبو بكر الهذلى وابن عياش المنتوف والشّرقىّ ابن القطامىّ ، وكل هؤلاء من الصحابة — فقال أبو بكر الهذلىّ : حدّثنى ابن عمٍّ للفرزدق ، عن الفرزدق ، قال : حضرت الوليد بن يزيد وعنده ندماؤه وقد اصطبح ، فقال لابن عائشة : تغنَّ بشعر ابن الزِّبَعْرَى : (٤٣٦/٣)

لَيْتَ أَشْيَاخِى بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جزَعَ الخَزْرَجِ من وقعِ الأَسَلْ[1]

وقتلْنا الضِّعْفَ من ساداتِهِمْ[2] ... وَعَدَلْنا مَيْلَ بَدْرٍ فاعْتَدَلْ

فقال ابن عائشة : لا أغنّى هذا يا أمير المؤمنين ؛ فقال : غنّه وإلاّ جدعتُ لهَواتِك ، قال : فغنّاه ، فقال : أحسنت والله ! إنه لعلى دينِ ابن الزِّبَعْرَى يوم قال هذا الشعر . قال : فلعنه المنصور ولعنه جلساؤه ؛ وقال:

---

(١) من أبيات له فى ابن هشام ٣ : ٩٧ . (٢) س : « وقتلنا الصيد » .

الحمد لله على نعمته وتوحيده .

وذكر عن أبى بكر الهذلىّ . قال : كتب صاحب إرمينيَة إلى المنصور : إن الجند قد شَغَبوا عليه ، وكسروا أقفال بيت المال ، وأخذوا ما فيه ، فوقّع فى كتابه : اعتزل عملنَا مذمومًا ، فلو عقلت لم يشغبوا ، ولو قويت لم ينتهبوا .

وقال إسحاق الموصلىّ ، عن أبيه : خرج بعضُ أهل العبث على أبى جعفر بفلسطين ، فكتب إلى العامل هناك : دمه فى دمك إلا توجّهه إلىّ ؛ فجدّ فى طلبه ، فظفر به فأشخص ؛ فأمر بإدخاله عليه ، فلمّا مثل بين يديه ، قال له أبو جعفر : أنت المتوثّب على عُمّالى ! لأنثرنّ من لحمك أكثر مما يبقى منه على عظمك ، فقال له — وقد كان شيخًا كبير السنّ — بصوت ضعيف ضئيل غير مستعلٍ :

أتَرُوضُ عِرْسَكَ بَعدَ ما هَرِمتْ ومنَ العَناء رياضَةُ الهَرِمِ

قال : فلم تتبيّن للمنصور مقالته ، فقال : يا ربيع ، ما يقول ؟ فقال : يقول : ٣ / ٤٢٧

العَبْدُ عبدُكمُ والمالُ مالكُمُ فَهلْ عذابُكَ عنى اليومَ مُنْصَرِفُ !

قال : يا ربيع ، قد عفوتُ عنه ؛ فخلّ سبيله ، واحتفظ به ، وأحسن ولايته .

قال : ورُفع رجل إلى المنصور يشكو عامله أنه أخذ حدًّا من ضيعته . فأضافه إلى ماله ، فوقّع إلى عامله فى رقعة المتظلم : إن آثرتَ العدل صحبتْك السلامة ، فأنصف هذا المتظلّم من هذه الظلامة .

قال : ورفع رجل من العامّة إليه رقعة فى بناء مسجد فى محلته . فوقّع فى رقعته : من أشراط الساعة كثرة المساجد ، فزد فى خطاك تزدد من الثواب .

قال : وتظلّم رجل من أهل السواد من بعض العمال ، فى رقعة رفعها إلى المنصور ، فوقّع فيها : إن كنت صادقًا فجئ به ملبّبا فقد أذنّا لك فى ذلك .

وذكر عمر بن شبّة أنّ أبا الهذيل العلاّف حدّثه ، أن أبا جعفر قال : بلغني أن السيّد بن محمد ماتَ بالكرْخ — أو قال : بواسط — ولم يدفنوه ، ولئن حقّ ذلك عندي لأحرقنّها . وقيل: إن الصحيح أنه مات في زمان المهديّ بكَرْخ بغداد ، وأنهم تحامَوْا أن يدفنوه ، وأنه بعث بالرّبيع حتى ولي أمره، وأمَره إن كانوا امتنعوا أن يحرق عليهم منازِلهم ، فدُفع ربيع عنهم .

وقال المدائنيّ : لما فرغ المنصور من محمد وإبراهيم وعبد الله بن عليّ وعبد الجبار بن عبد الرحمن، وصار ببغداد، واستقامت له الأمور ، كان يتمثّل هذا البيت :

٣/٤٣٨ تبيت من البلوَى على حدّ مُرهَفٍ مرارًا ويكْفي الله ما أنت خائفُ

قال : وأنشدني عبد الله بن الربيع ، قال : أنشدني المنصور بعد قتل هؤلاء :

وربَّ أمورٍ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً وللقلب من مَخشاتِهنّ وَجيبُ (١)

وقال الهيثم بن عدىّ : لما بلغ المنصور تفرّقَ ولد عبد الله بن حسن في البلاد هربًا من عقابه ، تمثّل :

إنَّ قناتى لَنبْعٌ لا يُؤيّسها غَمزُ الثّقاف ولا دُهْنٌ ولا نارُ
متى أجِرْ خائفاً تأْمَنْ مَسَارحُه وإن أُخِفْ آمِناً تَقلَقْ به الدارُ
سيرُوا إلىَّ وغُضُّوا بعضَ أعْيُنِكم إنى لكل امرئٍ من جاره جارُ

وذكر عليّ بن محمد عن واضح مولى أبي جعفر ، قال : أمرني أبو جعفر أن أشترىَ له ثوبيْن ليّنين ، فاشتريتهما له بعشرين ومائة درهم ، فأتيته بهما ، فقال : بكم ؟ فقلت : بثمانين درهمًا ، قال : صالحان ، استحطّه ؛ فإنّ المتاع إذا أدخِل علينا ثم رُدّ على صاحبه كسره ذلك . فأخذتُ الثوبين من صاحبهما ، فلما كان من الغد حملتُهما إليه معي ، فقال : ما صنعت ؟ قلت : رددتهما

(١) س : « من وحشاتهن » .

عليه فحطّنى عشرين درهما ، قال : أحسنتَ ؛ اقطع أحدَهما قميصًا ، واجعل الآخر رداء لى . ففعلتُ ، فلبس القميص خمسة عشر يومًا لم يلبس غيرَه .

وذكر مولًى لعبد الصمد بن علىّ ، قال : سمعتُ عبدَ الصَّمد يقول : إنّ المنصور كان يأمر أهلَ بيته بحسن الهيئة وإظهار النعمة وبلزوم الوشْىِ والطّيب ؛ فإن رأى أحداً منهم قد أخلّ بذلك أو أقل منه ، قال : يا فلان ، ما أرى وبيص[1] الغالية فى لحيتك ؛ وإنى لأراها تلمع فى لحية فلان ؛ فيشحذهم بذلك على الإكثار من الطّيب ليتزين بهيئتهم وطيب أرواحهم عند الرّعيّة ، ويزيّنهم بذلك عندهم ؛ وإن رأى على أحد منهم وشياً طاهراً عضّه بلسانه . ٤٣٩/٣

وذكِر عن أحمد بن خالد ، قال : كان المنصور يسأل مالك بن أدهم كثيراً عن حديث عجلان بن سُهيل ، أخى حوثرة بن سُهيل ، قال : كنّا جلوسًا مع عجلان ، إذ مرّ بنا هشام بن عبد الملك ، فقال رجل من القوم : قد مرّ الأحول ، قال : مَن تعنى ؟ قال : هشامًا ، قال : تسمّى أمير المؤمنين بالنّبَز[2] ! والله لولا رحمِك لضربت عنقك ، فقال المنصور : هذا والله الذى ينفع مع مثله المحيا والممات .

وقال أحمد بن خالد : قال إبراهيم بن عيسى : كان للمنصور خادم أصفرُ إلى الأدْمة[3] ، ماهر لا بأس به ، فقال له المنصور يومًا : ما جنسك ؟ قال : عربىّ يا أمير المؤمنين ، قال : ومنْ أىّ العرب أنت ؟ قال : من خَوْلان ، سُبيتُ من اليمن ، فأخذنى عدوٌّ لنا ، فجبّنى فاسترقّت ، فصرت إلى بعض بنى أميّة ، ثم صرت إليك . قال : أمّا إنك نعم الغلام ؛ ولكن لا يدخل قصرى عربىّ يخدُم حُرَمى ؛ اخرج عافاك الله ؛ فاذهب حيث شئت !

وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود بن معاوية بن بكر — وكان من الصحابة — أنّ المنصور ضمّ رجلا من أهل الكوفة ، يقال له الفُضيل بن عمران ، إلى ابنه جعفر ، وجعله كاتبه ، وولاّه أمرَه ، فكان منه بمنزلة أبى عبيدالله

---

(١) الوبيص : اللمعان . (٢) النبز ، بالتحريك : اللقب ، وقد يعير به .
(٣) الأدمة : السمرة .

٣ : ٤٤٠ من المهدىّ ، وقد كان أبو جعفر أراد أن يبايع لجعفر بعد المهدىّ ، فنصبت أم عبيد الله حاضنةُ جعفر للفُضيل بن عمران ، فسعتْ به إلى المنصور ، وأومأت إلى أنه يعبث بجعفر . قال : فبعث المنصور الرّيان مولاه وهارون بن غـَزْوان مولى عثمان بن نهيك إلى الفُضَيل – وهو مع جعفر بحديثة الموصل – وقال : إذا رأيتما فُضيلاً فاقتلاه حيث لقيتماه ، وكتب لهما كتاباً منشوراً ، وكتب إلى جعفر يعلمه ما أمرهما به ، وقال : لا تدفعا الكتابَ إلى جعفر حتى تفرُغا من قتله . قال : فخرجا حتى قدِما على جعفر ، وقعدا على بابه ينتظران الإذن ؛ فخرج عليهما فُضيل،فأخذاه وأخرجا كتاب المنصور ، فلم يعرِض لهما أحدٌ ؛ فضربا عنقه مكانه ، ولم يعلم جعفر حتى فرغا منه – وكان الفُضيل رجلاً عفيفاً ديّنا – فقيل للمنصور : إنّ الفضيل كان أبرأ الناس مما رُمِىَ به ، وقد عجِلتَ عليه . فوجّه رسولا ، وجعل له عشرة آلاف درهم إن أدركه قبل أن يقتَل ، فقدم الرسول قبل أن يجفّ دمه .

فذكر معاوية بن بكر عن سويد مولى جعفر ،أنّ جعفراً أرسل إليه ،فقال : ويلك ! ما يقول أمير المؤمنين فى قتل رجل عفيف ديّن مسلم بلا جـُرْم ولا جناية ! قال سويد : فقلت : هو أمير المؤمنين يفعل ما يشاء ؛ وهو أعلم بما يصنع ؛ فقال : يا ماصّ بـَظْر أمّه ، أكلّمك بكلام الخاصّة وتكلمنى بكلام العامة ! خذوا برجله فألقوه فى دِجْلة . قال فأخذت ، فقلت : أكلّمك ، فقال : دعوه ، فقلت : أبوك إنما يُسأل عن فُضيل ، ومتى يُسْأَلُ عنه ، وقد قتل عمّه عبد الله بن عبد الله بن علىّ ، وقد قتل عبد الله بن الحسن وغيره من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

٣ : ٤٤١ ظلماً ،وقتل أهل الدّنيا ممن لا يحُصى ولا يعدّ ! هو قبل أن يُسأل عن فضيل جـُرذانة تجبّ خصى فرعون[1] قال: فضحك ، وقال : دعوه إلى لعنة الله .

وقال قعنَب بن محرز : أخبرنا محمد بن عائد مولى عثمان بن عفان أن حفصاً الأموىّ الشاعر ، كان يقال له حفص بن أبى جـُمعة ، مولى عبّاد بن زياد ، وكان المنصور صيّره مؤدباً للمهدىّ فى مجالسه ، وكان مدّاحاً لبنى أمية فى أيام بنى أميّة وأيّام المنصور ، فلم ينكِر عليه ذلك المنصورُ ،ولم يزل مع المهدىّ

(١) كذا فى : ط .

أيام ولايته العهد ؛ ومات قبل أن يلى المهدىّ الخلافة . قال : وكان مما مدح به بنى أميّة قوله :

أَيْنَ رَوْقَا عبد شمسٍ أَيْنَ هُمْ ... أين أهلُ الباع منهم والحَسبْ!

لم تكُن أَيْدٍ لهم عندكُمُ ... ما فَعلتم آل عبدِ المطلبْ!

أَيها السّائل عنهمُ أولو ... جُثَث تلمعُ من فوْق الخشبْ

إنْ تجُذُّوا الأَصلَ منهمْ سَفهاً ... يالَقَوْمٍ للزمان المنقلِبْ !

إنْ فاحلبُوا ماشئتمُ فى صَحْنكمْ ... فسَتُسقَون صَرَى ذاك الحَلبْ

وقيل: إن حفصاً الأموىّ دخل على المنصور ، فكلّمه فاستخبره ، فقال له : من أنت ؟ فقال: مولاك يا أميرَ المؤمنين ، قال : مولًى لى مثلك لا أعرفه ! قال: مولى خادمٍ لك عبد مناف يا أمير المؤمنين ؛ فاستحسن ذلك منه ؛ وعلم أنه مولًى لبنى أميّة ، فضمّه إلى المهدىّ ، وقال له : احتفظ به .

* * *

ومما رُثى به قول سَلْم الخاسر :

عجباً للذى نَعَى الناعيانِ ... كيف فاهَتْ بموته الشَّفتَانِ !

مَلِكٌ إن غدَا على الدّهرِ يوماً ... أصبحَ الدّهرُ ساقطاً للجِرانِ

لَيْت كفًّا حثَتْ عليه تراباً ... لم تَعُدْ فى يمينها ببَنَانِ

حين دانَتْ له البلادُ على العَسْـ ... ـفِ وأغضَى من خوفه الثَّقَلانِ

أَينَ ربُّ الزَّوْراءِ قد قلّدَتْهُ الْـ ... ـملكَ ، عشرون حجّةً واثنتَانِ

إنّما المرءُ كالزناد إذا ما ... أخـذَتْهُ قوادحُ النِّيرانِ

ليس يَثْنِى هَواه زَجرٌ ولا يَقْـ ... ـدَحُ فى حَبْله ذَوو الأَذهانِ

قَلَّدَتهُ أَعِنَّةُ المُلكِ حتّى ... قادَ أَعداءَه بغيرِ عِنانِ

يُكْسَرُ الطّرْفُ دونه وترى الأَيْـ ... ـدِىَ من خوفِهِ على الأَذقانِ

ضمّ أطرافَ مُلكه ثم أضحَى ... خَلْفَ أقصاهُمُ ودونَ الدّانى

هاشِمِىُّ التّشمير لا يَحْمِلُ الثِّقْـ ... ـلَ على غاربِ الشَّرُودِ الهِدَانِ

٤٤٢/٣

ذو أناةٍ ينسَى لها الخائفُ الخو فَ وعزمٍ يُلوِى بكلِّ جَنَانِ
ذَهَبَتْ دونه النفوسُ حِذارًا غير أنَّ الأَرواحَ فى الأَبدانِ

* * *

ذكر أسماء ولده ونسائه

فمن ولده المهدىّ — واسمه محمد — وجعفر الأكبر ، وأمّهما أروى بنت منصور أخت يزيد بن منصور الحميرىّ ؛ وكانت تكنى أم موسى ؛ وهلك جعفر هذا قبل المنصور .

وسليمان وعيسى ويعقوب ؛ وأمهم فاطمة بنت محمد ، من ولد طلحة بن عبيد الله .

وجعفر الأصغر ، أمّه أمّ ولد كرديّة ، كان المنصور اشتراها فتسرّاها ، وكان يقال لابنها : ابن الكرديّة .

وصالح المسكين ، أمّه أم ولد روميّة ؛ يقال لها قالى الفرّاشة .

والقاسم ، مات قبل المنصور ، وهو ابن عشر سنين ، وأمه أم ولد تعرف بأم القاسم ، ولها بباب الشأم بستان يعرف إلى اليوم ببستان أمّ القاسم .

٣ : ٤٤٣ والعالية ، أمّها امرأة من بنى أميّة ، زوّجها المنصور من إسحاق بن سليمان ابن علىّ بن عبد الله بن العباس . وذكر عن إسحاق بن سليمان أنه قال : قال لى أبى : زوّجتُك يا بنىّ أشرف الناس ؛ العالية بنت أمير المؤمنين . قال : فقلت : يا أباه ، مَنْ أكفاؤنا ؟ قال : أعداؤنا من بنى أميّة .

* * *

ذكر الخبر عن وصاياه

ذكر عن الهيثم بن عدىّ أن المنصور أوصى المهدىّ فى هذه السنة لما شخص متوجِّهًا إلى مكة فى شوّال ، وقد نزل قصر عَبْدويه ، وأقام بهذا القصر أيامًا والمهدىّ معه يوصيه ، وكان انقضّ فى مقامه بقصر عبدويه كوكبٌ ، لثلاثٍ

بقينَ من شوّال بعد إضاءة الفجر ، وبقى أثره بَيِّنًا إلى طلوع الشمس ، فأوصاه بالمال والسلطان ؛ يفعل[1] ذلك كلّ يوم من أيام مقامه بالغداة والعشىّ ، لا يفتر عن ذلك ، ولا يفترقان إلاّ تحريكاً . فلما كان اليوم الذى أراد أن يرتحل فيه ، دعا المهدىّ ؛ فقال له : إنى لم أدع شيئًا إلا قد تقدمتُ إليك فيه ، وسأوصيك بخصال[2] والله ما أظنك تفعل واحدة منها — وكان له سَفَط فيه دفاتر علمه، وعليه قُفل لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحداً ؛ يصرّ مفتاحه فى كمّ قميصه . قال : وكان حمّاد التركىّ يقدّم إليه ذلك السّفط إذا دعا به ، فإذا غاب حماد أو خرج كان الذى يليه سلمة الخادم — فقال للمهدىّ : انظر هذا السَّفَط فاحتفظ به؛ فإنّ فيه علم آبائك. ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ؛ فإن أحزنك[3] أمر فانظر فى الدّفتر الأكبر ؛ فإن أصبتَ فيه ما تريد، وإلا فالثانى والثالث ؛ حتى بلغ سبعة ؛ فإن ثقل عليك فالكرّاسة الصغيرة ؛ فإنك واجد فيها ما تريد، وما أظنّك تفعل ، وانظر هذه المدينة ؛ فإياك أن تستبدل بها ؛ فإنها بيتك[4] وعزّك ، قد جمعتُ لك فيها من الأموال ما إن كُسِر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذّرية ومصلحة الثّغور ؛ فاحتفظ بها . فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً. وما أظنك تفعل. وأوصيك بأهل بيتك: أن تُظهر كرامتهم وتقدّمهم[5] وتكثّر الإحسان إليهم ، وتعظّم أمرهم ، وتوطئ الناس أعقابهم ، وتولّيهم المنابر ؛ فإنّ عزّك عزّهم وذكرهم لك ، وما أظنك تفعل . وانظر مواليك ، فأحسن إليهم وقرّبهم واستكثر منهم فإنهم مادّتك لشدة إن نزلت بك ، وما أظنك تفعل . وأوصيك بأهل خُراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتُك الّذين بذلوا أموالهم فى دولتك ، ودماءهم دونك . ومَن لا تخرج محبتك من قلوبهم ؛ أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم على ما كان منهم ، وتخلُف مَن مات منهم فى أهله وولده ، وما أظنّك تفعل. وإياك أن تبنى مدينة الشرقيّة فإنك لا تتم بناءها ، وما أظنّك تفعل. وإيّاك أن

٣/٤٤٤

---

(١) س : « ففعل » .
(٢) ب : « بخلال » .
(٣) ب : « حزنك » .
(٤) ب : « مدينتك » .
(٥) س : « وتقدمتهم » .

تستعين برجل من بنى سُليم ، وأظنّك ستفعل . وإياك أن تدخل النساء فى مشورتك فى أمرك ، وأظنك ستفعل .

وقال غير الهيثم : إنّ المنصور دعا المهدىّ عند مسيره إلى مكة ، فقال : يا أبا عبد الله ، إنى سائر وإنى غير راجع ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ! فاسأل الله بركة ما أقدم عليه . هذا كتاب وصيتى مختومًا ، فإذا بلغك أنى قد متّ ، وصار الأمر إليك فانظر فيه ، وعلىّ دينٌ فأحبّ أن تقضيه وتضمنه ، قال : هو علىّ يا أميرَ المؤمنين ، قال : فإنه ثلثمائة ألف درهم ونيّف ، ولست أستحلّها من بيت مال المسلمين ، فاضمنها عنى ، وما يفضى إليك من الأمر أعظم منها . قال : أفعل ، هو علىّ . قال : وهذا القصر ليس هو لكَ ، هو لى ، وقصرى بنيته بمالى ، فأحبّ أن تصيّر نصيبك منه لإخوتك الأصاغر . قال : نعم ، قال : ورقيقى الخاصّة هم لك ، فاجعلهم لهم ، فإنك تصير إلى ما يُغنيك عنهم ، وبهم إلى ذلك أعظم الحاجة . قال : أفعل ، قال : أمّا الضّياع ، فلست أكلّفك فيها هذا ، ولو فعلتَ كان أحبّ إلىّ ، قال : أفعل ، قال : سلّمْ إليهم ما سألتك من هذا ، وأنت معهم فى الضياع . قال : والمتاع والثياب ، سلّمه لهم ، قال : أفعل . قال : أحسنَ الله عليك الخلافة ولك الصُّنْع ! اتق الله فيما خوّلك وفيما خلّفتُك عليه . (٣/٤٤٥)

ومضى إلى الكوفة ، فنزل الرُّصافة ، ثمّ خرج منها مهلاًّ بالعمرة والحجّ ، قد ساق هديه من البُدْن ، وأشعر وقلّد ؛ وذلك لأيام خلتْ من ذى القعدة .

وذكر أبو يعقوب بن سليمان ، قال : حدثتنى جمرة العطّارة — عطّارة أبى جعفر — قالت : لما عزم المنصور على الحج دعا ريْطة بنت أبى العباس امرأة المهدىّ — وكان المهدىّ بالرىّ قبل شخوص أبى جعفر — فأوصاها بما أراد ، وعهد إليها ، ودفع إليها[1] مفاتيح الخزائن ، وتقدّم إليها وأحلفها ، ووكّد الأيمان ألاّ تفتح بعض تلك الخزائن ، ولا تُطلع عليها أحداً إلا المهدىّ ؛ ولا هى ؛ إلاّ أن يصحّ عندها موته ، فإذا صحّ ذلك اجتمعتْ هى والمهدىّ وليس معهما (٣/٤٤٦)

---

(١) س : « لها » .

ثالث ؛ حتى يفتحا[1] الخزانة. فلما قدم المهدىّ من الرىّ إلى مدينة السلام ، دفعت إليه المفاتيح ، وأخبرته عن المنصور أنه تقدم إليها فيه ألاّ يفتحه ولا يُطلع عليه أحداً حتى يصحّ عندها موته .فلما انتهى إلى المهدىّ موتُ المنصور وولِىَ الخلافة ، فتح الباب ومعه ريطة ؛ فإذا أزجّ[2] كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبيين ، وفى آذانهم رقاع فيها أنسابهم ؛ وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدّة كثيرة ، فلما رأى ذلك المهدىّ ارتاع لما رأى ، وأمر فحفرت لهم حفيرة فدُفنوا فيها ، وعمِل عليهم دكان .

وذُكِر عن إسحاق بن عيسى بن علىّ ، عن أبيه ، قال : سمعتُ المنصور وهو متوجّه إلى مكة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وهو يقول للمهدىّ عندَ وداعه إياه : يا أبا عبد الله ؛ إنى وُلدت فى ذى الحجّة ، ووليت فى ذى الحجة ، وقد هجس فى نفسى أنى أموت فى ذى الحجة من هذه السنة ؛ وإنما حدانى على الحجّ ذلك ، فاتق اللهَ فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدى ؛ يجعل لك فيما كَرَبك وحزَنك مخرجاً — أو قال : فَرجًا ومخرجًا — ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب . احفظ يا بنىّ محمداً صلى الله عليه وسلم فى أمّته يحفظ الله عليك أمورَك . وإياك والدّم الحرام ، فإنه حَوْبٌ عند الله عظيم ، وعارٌ فى الدنيا لازم مقيم . والزم الحلال ؛ فإنّ ثوابك فى الآجل ، وصلاحك فى العاجل . وأقم الحدود ولا تعتدِ فيها فتبور ؛ فإن الله لو علم أنّ شيئًا أصلحُ لدينه وأزجرُ من معاصيه من الحدود لأمر به فى كتابه . واعلم أنّ من شدّة غضب الله لسلطانه ، أمر فى كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على مَنْ سعى فى الأرض فساداً ، مع ما ذخر له عنده من العذاب العظيم ، فقال : ﴿ إِنَّما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الأَرْضِ فَسَادًا ﴾[3] الآية . فالسلطان يا بنىّ حبْل الله المتين ، وعُروته الوثقى ، ودين الله القيّم ، فاحفظه وحُطْه وحصّنه ، وذُبّ عنه ، وأوقع بالملحدين فيه ، واقْمع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمَثُلات بهم ؛ ولا تجاوز ما أمر

٤٤٧/٣

(١) ب : « ففتحت » . (٢) الأزج : ضرب من الأبنية .
(٣) سورة المائدة ٣٣ .

الله به فى محكم القرآن . واحكم بالعدل ولا تشطط ؛ فإن ذلك أقطعُ للشَّغَب ، وأحسم للعدوّ ، وأنجع فى الدواء . وعفّ عن الفىء ، فليس بك إليه حاجة مع ما أخلّفه لك ؛ وافتتح عملك بصلة الرّحِم وبرّ القرابة . وإياك والأثَرة[1] والتبذير لأموال الرّعية . واشحن الثغور ، واضبط الأطراف ، وأمّن السبل ، وخصّ الواسطة ، ووسّع المعاش ، وسكّن العامة ، وأدخل المرافق عليهم ، واصرف[2] المكاره عنهم . وأعدّ الأموال واخزنها . وإيّاك والتبذير ؛ فإنّ النوائب غير مأمونة . والحوادث غير مضمونة ؛ وهى من شِيَم الزّمان . وأعدّ الرجال والكُراع والجند ما استطعت . وإيّاك وتأخيرَ عمل اليوم إلى غد ، فتتدارك[3] عليك الأمور وتضيع . جِدّ[4] فى إحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولا فأولا ، واجتهد وشمّر فيها ، وأعدد رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ، ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل . وباشر الأمور بنفسك ، ولا تضجر ولا تكسل ولا تفشل ، واستعمل حسنَ الظنّ بربك ، وأسئ الظن بعمّالك وكتابك[5] . وخذ نفسك بالتيقظ ، وتفقّد مَنْ يبيت على بابك ، وسهّل إذنك للناس ، وانظر فى أمر النزاع إليك ، ووكّل بهم عينًا غير نائمة ، ونفسًا غير لاهية ، ولا تنم فإنّ أباك لم ينمْ منذ ولِىَ الخلافة ، ولا دخل عينه غمض إلاّ وقلبه مستيقظ . هذه وصيّتى إليك . والله خليفتى عليك .

٣/٤٨٠

قال : ثم ودّعه وبكى كلّ واحد منهما إلى صاحبه .

وذكر عمر بن شبّة عن سعيد بن هريم ، قال : لما حجّ المنصور فى السنة التى تُوفّىَ فيها شيّعه المهدىّ ، فقال : يا بنىّ ، إنى قد جمعتُ لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلى ، وجمعت لك من الموالى ما لم يجمعه خليفة قبلى ، وبنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها ؛ ولست أخاف عليك إلا أحدَ رجلين : عيسى بن موسى ، وعيسى بن زيد ؛ فأما عيسى بن موسى

---

(١) ابن الأثير : « الأشرة » .
(٢) ابن الأثير : « وادفع » .
(٣) س : « فتدال » .
(٤) ابن الأثير : « خذ » .
(٥) س : « ورجال كفايتك » .

فقد أعطانى من العهود والمواثيق ما قبلتُه ، ووالله لو لم يكن إلا أن يقول قولا لما خفتُه عليك ، فأخرجه من قلبك . وأما عيسى بن زيد فأنفق هذه الأموال واقتل هؤلاء الموالى ، واهدم هذه المدينة حتى تظفر به ، ثم لا ألومك .

٤٤٩/٣

وذكر عيسى بن محمد أنّ موسى بن هارون حدّثه ، قال : لما دخل المنصور آخرَ منزل نزلَه من طريق مكة ، نظر فى صدر البيت الذى نزل فيه ، فإذا فيه مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم .

أَبا جعفرٍ حانَتْ وَفاتُكَ وانقَضَتْ سِنُوك ، وأَمرُ اللهِ لا بدَّ واقِعُ
أَبا جعفر هل كاهنٌ أَو مُنجِّمٌ لك اليومَ من حَرِّ المَنِيَّةِ مانعُ !

قال : فدعا بالمتولّى لإصلاح المنازل ، فقال له : ألم آمرك ألاّ يدخل المنزل أحدٌ من الدعّار! قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ والله ما دخلها أحد منذ فُرِغ منها ، فقال : اقرأ ما فى صدر البيت مكتوباً ، قال : ما أرى شيئًا يا أميرَ المؤمنين ، قال : فدعا برئيس الحجَبة ، فقال : اقرأ ما على صدر البيت مكتوبًا ، قال : ما أرى على صدر البيت شيئًا ، فأملى البيتين فكُتِبا عنه ، فالتفت إلى حاجبه فقال : اقرأ لى آية من كتاب الله جل وعزّ تشوّقنى إلى الله عزّ وجلّ ، فتلا : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[1] ، فأمر بفكّيه فوُجئا . وقال : ما وجدت شيئًا تقرؤه غير هذه الآية ! فقال : يا أميرَ المؤمنين ، مُحِى القرآن من قلبى غير هذه الآية ، فأمر بالرّحيل عن ذلك المنزل تطيُّرًا مما كان ، وركب فرسًا ، فلما كان فى الوادى الذى يقال له سَقَر – وكان آخر منزل بطريق مكة – كبا به الفرس ، فدقّ ظهره ، ومات فدفن ببئر ميمون .

وذكر عن محمد بن عبد الله مولى بنى هاشم ، قال : أخبرنى رجل من العلماء وأهل الأدب ، قال : هتف بأبى جعفر هاتف من قصره بالمدينة فسمعه يقول :

٤٥٠/٣

(١) سورة الشعراء ٢٢٧ .

أَما وربِّ السُّكونِ والحَرَكِ إنَّ المنايا كثيرةُ الشَّرَكِ
عليكِ يانفسُ إن أسأتِ وإنْ أحْسَنْتِ بالقَصْدِ ، كلُّ ذاكَ لَكِ[1]
ما اخْتلَفَ الليلُ والنهارُ ولاَ دارَت نُجومُ السماءِ فى الفَلَكِ
إلا بِنَقْلِ السُّلْطان عن مَلِكٍ إذا انقضَى مُلكُهُ إلى مَلِكِ
حتى يُصيرَا به إلى مَلِكٍ ما عِزُّ سُلطانه بِمُشْتَرَكِ
ذاكَ بديعُ السماءِوالأَرض والمُرْ سِى الجبالِ المُسخِّرُ الفلَكِ

فقال أبو جعفر : هذا والله أوان أجَلِى .

وذكر عبد الله بن عبيد الله ، أنّ عبد العزيز بن مُسلم حدّثه أنه قال : دخلت على المنصور يومًا أسلِّم عليه ؛ فإذا هو باهت لا يُحير جوابًا ، فوثبت لما أرى منه ، أريد الانصراف عنه ، فقال لى بعد ساعة : إنى رأيت فيما يرى النائم ؛ كأن رجلا ينشدنى هذه الأبيات :

أأخىَّ أخفِض مِن مُنَاكا فكأَنَّ يَوْمَكَ قد أتَاكَا
ولقد أَرَاك الدَّهرُ مِنْ تَصريفِه ما قَدْ أَراكَا
فإذا أَرَدْتَ النَّاقِصَ الـ عبـدَ الذَّلِيلَ فأَنت ذَاكَا
مُلِّكْتَ مـا مُلِّكْتَـهُ والأَمرُ فيه إلى سِوَاكَا

فهذا الذى ترى من قلقِى وَغمِّى لما سمعت ورأيت . فقلت : خيراً رأيتَ يا أمير المؤمنين . فلم يلبث إلى أن خرج إلى الحجّ فمات لوجهه ذاك . ٣/٤٥١

* * *

وفى هذه السنة بُويع للمهدى بالخلافة ، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس بمكة ؛ صَبيحةَ الليلة التى تُوفِّىَ فيها أبو جعفر المنصور

(١) س : « فى اليوم كان لك » .

وذلك يوم السبت لستّ ليال خلونَ من ذى الحجّة سنة ثمان وخمسين ، كذلك قال هشام بن محمد ومحمد بن عمر وغيرهما .

وقال الواقدىّ : وبويع له ببغداد يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من ذى الحجة من هذه السنة .

وأمّ المهدىّ أم موسى بنت منصوربن عبد الله بن يزيد بن شَمَّر الحِميرىّ.

خلافة المهدىّ محمد بن عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس

* * *

ذكر الخبر عن صفة العقد الذى عُقِد للمهدىّ بالخلافة حين مات والده المنصور بمكة

ذكر علىّ بن محمد النوفلىّ أن أباه حدّثه ، قال : خرجت فى السنة التى مات فيها أبو جعفر من طريق البصرة ؛ وكان أبو جعفر خرج على طريق الكوفة ، فلقيتُه بذات عِرْق ، ثم سرت معه ، فكان كلّما ركب عرضتُ له فسلّمت عليه ، وقد كان أدنف وأشفى على الموت ، فلما صار ببئر ميمون نزل به ، ودخلنا مكة ، فقضيتُ عُمرتى ، ثم كنت أختلف إلى أبى جعفر إلى مَضْربه ، فأقيم فيه[1] إلى قريب من الزّوال ، ثم أنصرف — وكذلك كان يفعل الهاشميّون — وأقبلت علّته تشتدّ وتزداد ، فلما كان فى الليلة التى مات فيها ، ولم نعلم ؛ فصليت الصبح فى المسجد الحرام مع طلوع الفجر ، ثم ركبتُ فى ثوبىّ[2] متقلداً السيف عليهما ، وأنا أساير محمد بن عون بن عبد الله بن الحارث — وكان من سادة بنى هاشم ومشايخهم ؛ وكان فى ذلك اليوم عليه ثوبان مورّدان قد أحرم فيهما ، متقلّداً السيف عليهما — قال : وكان مشايخ بنى هاشم يحبّون أن يُحرِموا فى المورّد لحديث عمر بن الخطاب وعبد الله بن جعفر وقول علىّ بن أبى طالب فيه[3] . فلما صرنا بالأبطح لقينَا العباس بن محمد ومحمد بن سليمان فى خيل ورجال يدخلان مكة ، فعدلنا إليهما ، فسلّمنا عليهما ثم مضينا ، فقال لى محمد بن عون : ما ترى حال هذين ودخولهما مكة ؟ قلت : أحسب الرّجُل قد مات ؛ فأرادا أن يحصّنا مكة ؛ فكان ذلك كذلك ، فبينا

٤٥٢/٣

---

(١) ج : « معه » . (٢) ب ، ج : « نوبتى » .
(٣) ج : « فى ذلك » .

نحن نسير ، إذا رجل خفيّ الشَّخْص[1] في طِمْرين ، ونحن بعد في غَلَس ، قد جاء فدخل بين أعناق دابتيْنا ، ثم أقبل علينا ، فقال : مات والله الرجل ! ثم خفي عنّا ، فضينا[2] نحن حتى أتينا العسكر ، فدخلنا السُّرادق الذى كنا نجلس فيه في كلّ يوم ؛ فإذا بموسى بن المهديّ قد صدِّرَ عند عَمود السرادق ؛ وإذا القاسم بن منصور في ناحية السُّرادق — وقد كان حين لقينا المنصور بذات عِرْق ، إذا ركب المنصور بعيرَه جاء القاسم فسار بين يديه بينه وبين صاحب الشرطة ، ويؤمَر الناس أن يرفعوا القصص إليه — قال : فلما رأيته في ناحية السرادق ورأيت موسى مصدَّرًا ، علمت أنّ المنصور قد مات . قال : فبينا أنا جالس إذ أقبل الحسن بن زيد ، فجلس إلى جنبي ، فصارت فخذه على فخذى ، وجاء الناس حتى ملئوا السرادق ، وفيهم ابن عيّاش المنتوف ؛ فبينا نحن كذلك ، إذ سمعنا همسًا من بكاء . فقال لى الحسن : أترى الرجل مات ! قلت : لا أحسب ذلك ؛ ولكن لعله ثقيل ، أو أصابته غَشْيَة ، فما راعنا إلا بأبى العنبر الخادم الأسود خادم المنصور ، قد خرج علينا مشقوق الأقبيَة من بين يديه ومن خَلْفه ، وعلى رأسه التراب ، فصاح : وا أمير المؤمنيناه ! فما بقى في السرادق أحدٌ إلاّ قام على رجليه ، ثم أهووا نحو مضارب أبى جعفر يريدون الدّخول ، فمنعهم الخدم ، ودفعوا في صدورهم . وقال ابن عياش المنتوف : سبحان الله ! أما شهدتم موت خليفة قطّ ! اجلسوا رحمكم الله . فجلس الناس ، وقام القاسم فشقّ ثيابه ، ووضع التراب على رأسه ، وموسى جالس على حاله . وكان صبيًّا رَطْبًا ما يتحلحل .

ثم خرج الرّبيع ، وفى يده قِرطاس ، فألقى أسفله على الأرض ، وتناول طرفه ، ثم قرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى مَنْ خلّف بعده من بنى هاشم وشيعته من أهل خُراسان وعامة المسلمين — ثم ألقى القرطاس من يده ، وبكى وبكى الناس ، فأخذ القرطاس ، وقال : قد أمكنكم البكاء ؛ ولكن هذا عهد عهده أمير المؤمنين ، لا بدّ من أن نقرأه عليكم ، فأنصتوا رحمكم الله ؛ فسكت الناس ، ثم رجع إلى القراءة — أما بعد :

٣/٤٥٣ ، ٣/٤٥٤

(١) ج : « يخفى شخصه » .
(٢) ب : « ثم مضينا » .

فإنى كتبتُ كتابى هذا وأنا حىٌّ فى آخر يوم من الدّنيا وأوّل يوم من الآخرة ، وأنا أقرأ عليكم السلام ، وأسأل الله ألاّ يفتنكم بعدى ، ولا يُلبِسكم شيَعًا ، ولا يُذيق بعضكم بأس بعض . يا بنى هاشم ، ويا أهلَ خراسان ... ثم أخذ فى وصيّتهم بالمهدىّ ، وإذكارهم البيعة له ، وحضّهم على القيام بدولته ، والوفاء بعهده إلى آخر الكتاب .

قال النوفلىّ : قال أبى : وكان هذا شيئًا وضعه الربيع ؛ ثم نظر فى وجوه النّاس ، فدنا من الهاشميّين ، فتناول يد الحسن بن زيد ، فقال : قم ياأبا محمد ، فبايعْ ، فقام معه الحسن ، فانتهى به الرّبيع إلى موسى فأجلسه بين يديه ، فتناول الحسن يدَ موسى ، ثم التفت إلى الناس ، فقال : يأيها الناس ، إن أمير المؤمنين المنصور كان ضربنى واصطفى مالى ؛ فكلّمه[1] المهدىّ فرضى عنى ، وكلمه فى ردّ مالى علىّ فأبى ذلك ، فأخلفه المهدىّ من ماله وأضعفه مكان كل عِلْق عِلْقين ، فمَن أولى بأن يبايع لأمير المؤمنين بصدر منشرح ونفس طيبة وقلب ناصح منّى! ثم بايع موسى للمهدىّ ، ثم مسح على يده . ثم جاء الربيع إلى محمد بن عون ، فقدّمه للسنّ فبايع ، ثم جاء الرّبيع إلىّ فأنهضنى ؛ فكنت الثالث ؛ وبايع الناس ؛ فلما فرغ دخل المضارب ، فمكث هنيهة ثم خرج إلينا معشر الهاشميّين ، فقال : انهضوا ، فنهضنا معه جميعًا ، وكنا جماعة كثيرة من أهل العراق وأهل مكة والمدينة ممن حضر الحج ، فدخلنا فإذا نحن بالمنصور على سريره فى أكفانه ، مكشوف الوجه ؛ فحملناه حتى أتينا به مكّة ثلاثة أميال ؛ فكأنى أنظر إليه أدنو من قائمة سريره نحمله ؛ فتحرّك الريح ، فتطيّر شَعْر صدغيه ؛ وذلك أنه كان قد وفّر شعره للحلق ؛ وقد نصل خِضابه ؛ حتى أتينا به حفرته ، فدلّيناه فيها . ٣/٤٥٥

قال : وسمعت أبى يقول : كان أوّل شىء ارتفع به علىّ بن عيسى بن ماهان ؛ أنه لما كان الليلة التى مات فيها أبو جعفر أرادوا عيسى بن موسى على بَيْعة مجدّدة للمهدىّ — وكان القائم بذلك الربيع — فأبى[2] عيسى بن موسى ،

---

(١) ب : « وكلمه » .
(٢) ب ، س : « فأتى » .

فأقبل القوّاد الذين حضروا يتربّون ويتباعدون[١] ؛ فنهض علىّ بن عيسى بن ماهان ، فاستلّ سيفه ، ثمّ جاء إليه ، فقال : والله لتبايعنّ أو لأضربنّ عنقك ! فلمّا رأى ذلك عيسى ، بايع وبايع الناس بعده .

وذكر عيسى بن محمد أنّ موسى بن هارون حدّثه أن موسى بن المهدىّ والربيع مولى المنصور وجّها منارة مولى المنصور بخبر وفاة المنصور وبالبيْعة للمهدىّ ، وبعثا بعدُ بقضيب النبيّ صلى الله عليه وسلم وبُرْدته التى يتوارثها الخلفاء مع الحسن الشروىّ ، وبعث أبو العباس الطوسىّ بخاتم الخلافة مع منارة ؛ ثم خرجوا من مكة ، وسار عبد الله بن المسيّب بن زهير بالحربَة بين يدى صالح بن المنصور ، على ما كان يسير بها بين يديه فى حياة المنصور[٢] . فكسرها القاسم بن نصر بن مالك ؛ وهو يومئذ على شُرْطة موسى بن المهدىّ ؛ واندسّ علىّ بن عيسى بن ماهان لما كان فى نفسه من أذى عيسى بن موسى ، وما صُنع به للراونديّة ، فأظهر الطعن والكلام فى مسيرهم[٣] . وكان من رؤسائهم أبو خالد المرورّوذىّ ، حتى كاد الأمر يعظُم ويتفاقم ؛ حتى لبس السلاح . وتحرّك فى ذلك محمد بن سليمان ، وقام فيه وغيره من أهل بيته ؛ إلاّ أن محمداً كان أحسنَهم قياماً به حتى طفئ ذلك وسكن . وكتب[٤] به إلى المهدىّ ، فكتب بعزل علىّ بن عيسى عن حَرس موسى بن المهدىّ ، وصيّر مكانه أبا حنيفة حرب بن قيس ، وهدأ أمر العسكر . وتقدّم العباس بن محمد ومحمد ابن سليمان إلى المهدىّ ، وسبق إليه العباس بن محمد . وقدم منارة على المهدىّ يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة ، فسلّم عليه بالخلافة ، وعزّاه ، وأوصل الكتب إليه ، وبايعه أهل مدينة السلام .

٣، ٤٥٦

وذكر الهيثم بن عدىّ عن الربيع ، أنّ المنصور رأى فى حجّته التى مات فيها وهو بالعُذَيب — أو غيره من منازل طريق مكة — رؤيا — وكان الربيع عديله — وفزع منها ، وقال : يا ربيع ، ما أحسبنى إلا ميّتاً فى وجهى هذا ؛ وأنك تؤكد[٥] البيْعة لأبى عبد الله المهدىّ . قال الربيع : فقلت له : بل

(١) ج ، س : « ويباعدون » .
(٢) ب ، س : « فى حياته » .
(٣) ب : « سيرهم » .
(٤) ب : « فكتب » .
(٥) ج : « وإنا نؤكد » .

يبقيك الله يا أمير المؤمنين ، وَيبْلُغ أبو عبد الله محبّتك فى حياتك إن شاء الله.
قال : وثقل عند ذلك وهو يقول : بادر بى إلى حَرَم ربى[١] وأمنه ، هارباً من ذنوبى وإسرافى على نفسى ؛ فلم يزل كذلك حتى بلغ بئر ميمون ، فقلت له : هذه بئر ميمون ، وقد دخلتَ الحرَم ، فقال : الحمد لله ، وقضى من يومه .

قال الربيع : فأمرت بالخيَم فضُربت ، وبالفساطيط فهُيِّئَتْ ، وعمدْت إلى أمير المؤمنين فألبسته الطويلة والدرّاعة ، وسندته ، وألقيت فى وجهه كلّة رقيقة يُرَى منها شخصه ، ولا يفهم أمره ، وأدنيت أهلَه من الكلّة حيث لا يُعلم بخبره ، ويُرى شخصُه . ثم دخلت فوقفت بالموضع الذى أوهمهم أنه يخاطبنى ، ثم خرجت فقلت : إن أمير المؤمنين مُفيق بمنّ الله ، وهو يقرأ عليكم السلام ، ويقول : إنى أحبّ أن يؤكّد الله أمرَكم[٢] ، ويكبت عدوّكم ، ويسرّ وليّكم ؛ وقد أحببت أن تجدّدوا بيعة أبى عبد الله المهدىّ ؛ لئلا يطمع فيكم عدوٌّ ولا باغٍ ، فقال القوم كلهم : وفّق الله أمير المؤمنين ؛ نحن إلى ذلك أسرع . قال : فدخل فوقف ، ورجع إليهم ، فقال : هلمُّوا للبَيْعة ، فبايع القوم كلُّهم ؛ فلم يبق أحدٌ من خاصّته والأولياء ورؤساء مَنْ حضره إلا بايع المهدىّ ، ثم دخل وخرج باكيًا مشقوق الجيْب لاطمًا رأسه ، فقال بعض مَنْ حضر : ويلى عليك يابن شاة ! يريد الربيع — وكانت أمّه ماتت وهى ترضعه فأرضعته شاة — قال : وحفِر للمنصور مائة قَبْر ، ودفن فى كلها ، لئلا يعرف موضع قبره الذى هو ظاهر للناس ، ودفِن فى غيرها للخوف عليه .

٤٥٧/٣

قال : وهكذا قبور خلفاء ولَد العباس ، لا يعرَف لأحد منهم قبر .

قال : فبلغ المهدىّ ، فلما قدم عليه الربيع قال : ياعبدُ ؛ ألم تمنعك جلالة أمير المؤمنين أن فعلتَ ما فعلت به ! وقال قوم : إنّه ضربه ؛ ولم يصحّ ذلك.

قال : وذكر مَنْ حضر حجّة المنصور ، قال : رأيت صالح بن المنصور وهومع أبيه والناس معه ؛ وإنّ موسى بن المهدىّ لفى تُبّاعه[٣] ، ثم رجع الناس وهم خلْف موسى ، وأن صالحًا معه .

٤٥٨/٣

---

(١) ب : « الله » .
(٢) ح : « يوطن الله أمركم » .
(٣) ج : « فى تباعد » .

وذكر عن الأصمعيّ أنه قال : أوّل مَنْ نعى أبا جعفر المنصور بالبصرة خَلَف الأحمر . وذلك أنّا كنّا فى حلقة يونس . فمرّ بنا فسلّم علينا . فقال[1] :

* قد طَرَّقَت بِبِكرِها أمّ طَبَق[2] *

قال يونس : وماذا ؟ قال :

تُنتِجوها خبرَ أضخم العُنُقْ موتُ الإمام فِلقَةٌ مِنَ الفِلَقْ

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علىّ ، وكان المنصور — فيما ذكر — أوصى بذلك .

وكان العامل فى هذه السنة على مكة والطائف إبراهيم بن يحيى بن محمد ابن علىّ بن عبد الله بن عباس ، وعلى المدينة عبد الصمد بن علىّ ؛ وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبىّ أخو المسيّب بن زهير — وقيل : كان العامل عليها إسماعيل بن أبى إسماعيل الثقفىّ . وقيل : إنه مولى لبنى نصر من قيس — وعلى قضائها شريك بن عبد الله النَّخعىّ ؛ وعلى ديوان خراجها ثابت بن موسى ، وعلى خُراسان حميد بن قَحطبة ، وعلى قضاء بغداد مع قضاء الكوفة شريك ابن عبد الله .

وقيل : كان القاضى على بغداد يوم مات المنصور عبيد الله محمد بن صفوان الجُمَحىّ وشريك بن عبد الله على قضاء الكوفة خاصّة . وقيل : إن شريكًا كان إليه قضاء الكوفة ، والصلاة بأهلها .

وكان على الشُّرَط ببغداد يوم مات المنصور — فيما ذكر — عمر بن عبد الرحمن أخو عبد الجبار بن عبد الرحمن . وقيل كان موسى بن كعب . ٣/٥٩؛

وعلى ديوان خراج البصرة وأرضها عُمارة بن حمزة . وعلى قضائها والصلاة عبيد الله بن الحسن العنبرىّ ، وعلى أحداثها سعيد بن دعلج .

وأصاب الناس — فيما ذكر محمد بن عمر — فى هذه السنة وَباء شديد .

---

(١) ج ، س : « ثم قال » .
(٢) ج : « طوقت » ، س : « طرفت » ، ب : « طبقت » .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة العباس بن محمد الصّائفة فيها حتى بلغ أنقِرة ؛ وكان على مقدّمة العباس الحسنُ الوصيف فى الموالى، وكان المهدىّ ضمّ إليه جماعة من قُوّاد أهل خُراسان وغيرهم . وخرج المهدىّ فعسكر بالبَرَدان وأقام فيه حتى أنفذ العباس بن محمد ، ومن قطع عليه البعث معه ، ولم يجعل للعباس على الحسن الوصيف ولايةً فى عَزْل ولا غيره ، ففتح فى غزاته[1] هذه مدينة للرّوم ومطمورة معها ، وانصرفوا سالمين لم يُصَبْ من المسلمين أحد .

وهلك فى هذه السنة حُميد بن قحطبة ، وهو عامل المهدىّ على خُراسان ، فولّى المهدىّ مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد .

وفيها ولّى حمزة بن مالك سِجِسْتان، وولّى جبرئيل بن يحيى سَمَرْقَنْد.

وفيها بنى المهدىّ مسجد الرّصافة . ٣/٤٦٠

وفيها بنى حائطها ، وحفر خندقها .

وفيها عزل المهدىّ عبدَ الصمد بن علىّ عن المدينة؛ مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عن مَوْجدة ، واستعمل عليها مكانه محمد بن عبد الله الكثيرىّ ثم عزله ، واستعمل عليها مكانه عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان الجُمَحِىّ .

وفيها وجّه المهدىّ عبدالملك بن شهاب المِسمعىّ فى البَحْر إلى بلاد الهند، وفرض معه لألفين من أهل البصرة من جميع الأجناد، وأشخصهم معه، وأشخص معه من المطوّعة الذين كانوا يلزمون المُرابطات ألفًا وخمسمائة رجل ، ووجّه معه قائداً من أبناء أهل الشأم يقال له ابن الحُباب المذحجىّ فى سبعمائة من أهل الشأم ، وخرج معه من مطوّعة أهل البصرة بأموالهم ألف رجل ، فيهم

---

(١) ب : « غزاتهم » .

٣/٤٦٠ — فيما ذكر — الربيع بن صُبيح ؛ ومن الأساوريين والسبابجة أربعة آلاف رجل ، فولى عبد الملك بن شهاب المنذر بن محمد الجارودىّ الألف الرجل المطّوّعة من أهل البصرة ، وولّى ابنه غسان بن عبد الملك الألفى الرّجل الذين من فرض البصرة ، وولّى عبد الواحد بن عبد الملك الألف والخمسمائة الرجل من مُطّوّعة المرابطات ، وأفرد يزيد بن الحباب فى أصحابه فخرجوا ؛ وكان المهدىّ وجّه لتجهيزهم حتى شخصوا أبا القاسم محرز بن إبراهيم ، فمضوا لوجههم ؛ حتى أتوا مدينة باربَد من بلاد الهند فى سنة ستين ومائة .

وفيها تُوُفّىَ معبد بن الخليل بالسند ؛ وهو عامل المهدىّ عليها ؛ فاستعمل مكانه روح بن حاتم بمشورة أبى عبيد الله وزيره .

وفيها أمر المهدىّ بإطلاق مَنْ كان فى سجن المنصور ، إلا من كان قبلَه تِباعة من دم أو قتل ، ومَنْ كان معروفًا بالسعى فى الأرض بالفساد ، أو مَنْ كان لأحد قِبلَه مظلمة أو حقّ ، فأطلقوا ، فكان ممّن أطلق من المَطْبَق يعقوب بن داود مولى بنى سُليم ، وكان معه فى ذلك الحبس محبوسًا الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب .

* * *

وفيها حوّل المهدىّ الحسن بن إبراهيم من المطبق الذى كان فيه محبوسًا إلى نُصير الوصيف فحبسه عنده .

ذكر الخبر عن سبب تحويل المهدىّ الحسن بن إبراهيم من المطبق إلى نُصير

٣/٤٦٢

ذكر أن السبب فى ذلك ، أن المهدىّ لما أمر بإطلاق أهل السجون ، على ما ذكرت[1] ، وكان يعقوب بن داود محبوسًا مع الحسن بن إبراهيم فى موضع واحد ، فأطلق يعقوب بن داود ، ولم يُطلق الحسن بن إبراهيم ، ساء[2] ظنه ، وخاف على نفسه ، فالتمس مخرجًا لنفسه وخلاصًا ، فدسّ إلى بعض ثقاته[3] ،

(١) ب : « كما ذكرت » .
(٢) ب : « فساء » .
(٣) س : « على ثقاته » .

فحفر له سَرَبًا من موضع مُسَامت للموضع الذى هو فيه محبوس ، وكان يعقوب بن داود بعد أن أطلق يـُطيف بابن علاثة[١] — وهو قاضى المهدىّ بمدينة السلام[٢] — ويلزمه ، حتى أنس به ، وبلغ يعقوب ما عزم عليه الحسن ابن إبراهيم من الهرب ، فأتى ابن عـُلاثة ، فأخبره أن عنده نصيحة للمهدىّ ، وسأله إيصالَه إلى أبى عبيد الله[٣] ، فسأله عن تلك النصيحة ، فأبى أن يخبره بها ، وحذّره فوتَها ، فانطلق ابن عـُلاثة إلى أبى عبيد الله ، فأخبره خبر يعقوب وما جاء به ، فأمره بإدخاله عليه ؛ فلما دخل عليه سأله إيصاله إلى المهدىّ ، ليعلمه النّصيحة التى له عنده ، فأدخله عليه ، فلما دخل على المهدىّ شكر له بلاءه عنده فى إطلاقه إياه ومَنَّه عليه ، ثم أخبره أنّ له عنده نصيحة ، فسأله عنها بمحضر من أبى عبيد الله وابن عـُلاثة ، فاستخلاه منهما ، فأعلمه المهدىّ ثقته بهما ، فأبى أن يبوحَ له بشىء حتى يقوما ، فأقامهما وأخلاه ، فأخبره خبرَ الحسن بن إبراهيم وما أجمع عليه[٤] ، وأنّ ذلك كائن من ليلته ٤٦٢/٣ المستقبلة ، فوجّه المهدىّ مَن يثق[٥] به ليأتيَه بخبره ، فأتاه بتحقيق ما أخبره به يعقوب ، فأمر بتحويله إلى نُصَير ، فلم يزل فى حبسه إلى أن احتال واحتيل له ، فخرج هاربًا ، وافتـُقِد ، فشاع خبره ، فطُلب[٦] فلم يـُظـْفَر به ، وتذكّر المهدىّ دلالة يعقوب إيّاه كانت عليه ، فرجا عنده من الدّلالة عليه مثل الّذى كان منه فى أمره ، فسأل أبا عبيد الله عنه فأخبره أنه حاضر — وقد كان لزم أبا عبيد الله — فدعا به المهدىّ خاليًا ، فذكر له ما كان من فعله فى الحسن ابن إبراهيم أوّلاً ، ونصحه له فيه ، وأخبره بما حدث من أمره ، فأخبره يعقوب أنه لا علم له بمكانه ، وأنه إن أعطاه أمانًا يثق به ضمن له أن يأتيَه به ، على أن يتمّ له على أمانه ، ويصله ويُحسن إليه . فأعطاه المهدىّ ذلك فى مجلسه وضمنه له . فقال له يعقوب : فالْهُ يا أميرَ المؤمنين عن ذكره ، ودَعْ طلبه ،

---

(١) اسمه محمد بن عبد الله بن علاثة الكلابى ، استقضاه المهدى سنة ١٦١ . انظر تاريخ بغداد ١٢ : ٣٠٧ . (٢) س : « ببغداد » .

(٣) هو أبو عبيد الله معاوية بن يسار ، من موالى الأشعريين ، كاتب المهدى ونائبه قبل الخلافة وبعدها . وانظر الفخرى ١٦٦ .

(٤) ب ، ج : « وما أجمع به » ، س : « وما أجمع عليه به » .

(٥) ب : « يوثق » ، ج : « وثق » . (٦) س : « فطلبه » .

فإن ذلك يوحشه. ودعني وإياه حتى أحتال فآتيك به. فأعطاه المهدىّ ذمة. وقال يعقوب : يا أمير المؤمنين. قد بسطت عدلك لرعيّتك. وأنصفتهم، وعممتَهم بخيرك وفضلك. فعظم رجاؤهم. وانفسحت آمالهم ؛ وقد بقيت أشياء لو ذكرتُها لك لم تَدَع النظر فيها بمثل ما فعلت في غيرها. وأشياء مع ذلك خلف بابك يُعمل بها لا تعلمها ، فإن جعلت لى السبيلَ إلى الدخول عليك، وأذنتَ لى فى رفعها إليك فعلتُ. فأعطاه المهدىّ ذلك. وجعله إليه. وصيّر سُليمًا الخادم الأسود خادم المنصور سببه فى إعلام المهدىّ بمكانه كلّما أراد الدخول ، فكان يعقوب يدخل على المهدىّ[1] ليلاً. ويرفع إليه النصائح فى الأمور الحسنة الجميلة من أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغُزاة وتزويج العزّاب ، وفكاك الأسارى والمحبّسين والقضاء على الغارمين. والصدقة على المتعفّفين ، فحظى بذلك عنده. وبما رجا أن يناله به من الظفَر بالحسن بن إبراهيم ، واتّخذه أخا فى الله، وأخرج بذلك توقيعًا ، وأثبت فى الدواوين. فتسبّب مائة ألف درهم كانت أوّل صلة وصلَه بها ، فلم تزل منزلته تنمى وتعلُو صُعُدًا. إلى أن صيّر الحسن بن إبراهيم فى يد المهدىّ بعد ذلك ؛ وإلى أن سقطت منزلتُه ، وأمر المهدىّ بحبسه. فقال علىّ بن الخليل فى ذلك :

٤٦٤/٣

عجبًا لتصريف الأمو ... ر مَسَرّةً وكَراهيَه[2]

والدّهرُ يلعبُ بالرِّجا ... ل له دوائرُ جاريَه[3]

رَثّتْ بيعقوب بن دا ... ود حِبَالُ معاويه[4]

وعَدَتْ على ابن عُلاثة الـ ... قاضى بوائقُ عافيه[5]

قلْ للوزير أبى عُبيـ ... د الله : هلْ لك باقيهْ !

يعقوب ينظرُ فى الأمو ... ر وأنتَ تنظرُ ناحيهْ

٤٦٥/٣

(١) س : « عليه ». (٢) الأغانى ١٤ : ١٧٨.

(٣) لم يرد هذا البيت فى رواية الأغانى. (٤) معاوية : اسم الوزير أبى عبيد الله.

(٥) عافية بن يزيد الأزدى ؛ قاضى المهدى أيضًا.

أدخلتــــه فعَـــلا عليـ لك ، كذاك شؤمُ النّاصيهْ[١]

* * *

وفى هذه السّنة عزل المهدىّ إسماعيل بن أبى إسماعيل عن الكوفة وأحداثها .
واختُلف فيمن ولّى مكانه ؛ فقال بعضهم : ولّى مكانَه إسحاق بن الصّباح الكندىّ ثم الأشعثىّ بمشورة شَريك بن عبد الله قاضى الكوفة . وقال عمر ابن شبّة : ولّى على الكوفة المهدىُّ عيسى بنَ لقمان بن محمد بن حاطب ابن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمح . فولّى على شُرَطه ابنَ أخيه عثمان بن سعيد بن لقمان . ويقال : إن شريك بن عبد الله كان على الصّلاة والقضاء، وعيسى على الأحداث ، ثم أفرد شريك بالولاية ، فجعل على شُرَطِه إسحاقَ بن الصباح الكندىّ ، فقال بعض الشعراء :

لَسْتَ تَغْدو بأَنْ تَكونَ وَلَوْ نِلْـ ـتَ سُهيْلاً صَنيعَةً لِشَرِيكِ

قال : ويزعمون أن إسحاق لم يشكر لشريك ، وأن شريكًا قال له :

صَلّى وَصَامَ لدُنْيا كان يَأْمُلها فَقدْ أصابَ ولا صلَّى ولا صَامَا

وذكر عمر أنّ جعفر بن محمد قاضى الكوفة ، قال : ضمّ المهدىّ إلى شريك الصلاة مع القضاء، وولّى شرَطه إسحاق بن الصباح ، ثم ولّى إسحاق بن الصباح الصلاة والأحداث بعد ، ثم ولّى إسحاق بن الصباح بن عمران ابن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكوفة ، فولى شُرَطه النعمانَ بن جعفر الكندىّ ، فمات النعمان ، فولّى على شُرَطِه أخاه يزيد بن جعفر . ٣/٤٦٦

وفيها عـَزل المهدىُّ عن أحداث البصرة سعيد بن دَعلَج ، وعزل عن الصلاة والقضاء من أهلها عبيد الله بن الحسن ، وولّى مكانهما عبد الملك بن أيّوب بنَ ظَبيان النُّميرىّ ، وكتب إلى عبد الملك يأمره بإنصاف مَنْ تظلّم

---

(١) بعده فى رواية الأغانى :

وأَخَذْتَ حَتْفَكَ جاهِدًا بيمينك المستراخِيَــهْ

من أهل البصرة من سعيد بن دعلج ، ثم صُرفت الأحداث فى هذه السنة عن عبد الملك بن أيّوب إلى عُمارة بن حمزة ، فولاّها عُمارة رجلاً من أهل البصرة يقال له المِسْوَر بن عبد الله بن مسلم الباهلىّ ، وأقرّ عبد الملك على الصلاة .

وفيها عُزِل قُثَم بن العباس عن اليمامة عن سخطة . فوصل كتابُ عزله إلى اليمامة ، وقد تُوُفّىَ فاستعمل مكانه بشر بن المنذر البَجَلىّ .

وفيها عزل يزيد بن منصور عن اليمن ، واستعمل مكانه رجاء بن رَوْح .

وفيها عزل الهَيْثم بن سعيد عن الجزيرة ، واستعمل عليها الفضل بن صالح .

وفيها أعتق المهدىّ أمّ ولده الخيزران وتزوّجها .

وفيها تزوّج المهدىّ أيضًا أم عبد الله بنت صالح بن علىّ ، أخت الفضل وعبد الله ابنى صالح لأمّهما .

وفيها وقع الحريق فى ذى الحجة فى السفن ببغداد عند قصر عيسى بن علىّ ، فاحترق ناس كثير ، واحترقت السفن بما فيها .

وفيها عُزِل مطر مولى المنصور عن مصر ، واستعمل مكانه أبو ضمرة محمد بن سليمان . ٣/٤٦٧

وفيها كانت حركة من تحرّك من بنى هاشم وشيعتهم من أهل خُراسان فى خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ، وتصيير ذلك لموسى بن المهدىّ ؛ فلمّا تبيّن ذلك المهدىّ كتب — فيما ذكر — إلى عيسى بن موسى فى القُدوم عليه وهو بالكوفة ، فأحسّ بالذى يُراد به ، فامتنع من القدوم عليه .

وقال عمر : لما أفضى الأمر إلى المهدىّ سأل عيسى أن يخرج من الأمر فامتنع عليه ، فأراد الإضرار به ، فولّى على الكوفة رَوْح بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب ، فولّى على شُرَطه خالد بن يزيد بن حاتم ؛ وكان المهدىّ يحبّ أن يحمل رَوْح على عيسى بعض الحمل فيما لا يكون عليه به حجّة ، وكان لا يجد إلى ذلك سبيلا ، وكان عيسى قد خرج إلى ضَيْعة له بالرُّحبة ؛ فكان لا يدخل الكوفة إلاّ فى شهرين من السنة فى شهر رمضان ، فيشهد الجُمَع[1]

(١) س : « الجمعه » .

والعيد . ثم يرجع إلى ضَيْعته . وفى أوّل ذى الحجة ، فإذا شهد العيد رجع إلى ضَيْعته ، وكان إذا شهد الجمعة أقبل من داره على دوابه حتى ينتهى إلى أبواب المسجد فينزل على عتبة الأبواب ، ثم يصلّى فى موضعه ؛ فكتب رَوْح إلى المهدىّ أن عيسى بن موسى لا يشهد الجُمَع ، ولا يدخل الكوفة إلاّ فى شهرين من السنة ؛ فإذا حضر أقبل على دوابّه حتى يدخل رَحَبة المسجد ؛ وهو مصلّى الناس ، ثم يتجاوزها إلى أبواب المسجد ، فتروث دوابّه فى مصلّى[1] الناس ؛ وليس يفعل ذلك غيره ؛ فكتب إليه المهدىّ أن اتّخذ على أفواه السِّكك التى تلى المسجد خشبًا ينزل عنده الناس ، فاتّخذ روح ذلك الخشب فى أفواه السكك — فذلك الموضع يسمى الخشبة — وبلغ ذلك عيسى بن موسى قبل يوم الجُمعة ، فأرسل إلى ورثة المختار بن أبى عبيدة — وكانت دار المختار[2] لزيقة[3] المسجد ، فابتاعها وأثمن بها ، ثم إنه عمّرها واتخذ فيها حمّامًا ، فكان إذا كان يوم الخميس أتاها فأقام بها ، فإذا أراد الجمعة ركب حماراً فدبّ به إلى باب المسجد فصلّى فى ناحية ، ثم رجع إلى داره . ثم أوطن الكوفة وأقام بها ، وألحّ المهدىّ على عيسى فقال : إنك إن لم تجبنى إلى أن تنخلع[4] منها حتى أبايع لموسى وهارون استحللتُ منك بمعصيتك ما يستحَلّ من العاصى ، وإن أجبتنى عوّضتك منها ما هو أجدى عليك وأعجل نفعاً . فأجابه ، فبايع لهما وأمر له بعشرة آلاف ألف درهم — ويقال عشرين ألف ألف — وقطائع كثيرة .

٤٦٨/٣

وأما غير عمر فإنه قال : كتب المهدىّ إلى عيسى بن موسى لما همّ بخلعه يأمره بالقدوم عليه ، فأحسّ بما يُراد به ، فامتنع من القدوم عليه ، حتى خيف[5] انتقاضه ، فأنفذ إليه المهدىّ عمّه العباس بن محمد ، وكتب إليه كتابًا ، وأوصاه بما أحبّ[6] أن يبلغه ، فقدم العباس على عيسى بكتاب المهدىّ ورسالته إليه ، فانصرف إلى المهدىّ بجوابه فى ذلك ، فوجّه إليه بعد قدوم العباس عليه محمد بن فرّوخ أبا هريرة القائد فى ألف رجل من أصحابه

٤٦٩/٣

---

(١) س : « مصلى للناس » .
(٢) س : « دارهم » .
(٣) لزيقة المسجد ، أى بجانبه .
(٤) ج : « تختلع » .
(٥) س : « خاف » .
(٦) ج : « يحب » .

من ذوى البصيرة[١] فى التشيّع ، وجعل[٢] مع كل رجل منهم طبلاً ، وأمرهم أن يضربوا جميعًا بطبولهم عند قدومهم الكوفة ، فدخلها ليلاً فى وجه الصبح ، فضرب أصحابه بطبولهم ، فراع ذلك عيسى بن موسى رَوْعًا شديداً ، ثم دخل عليه أبو هريرة ، فأمره بالشخوص ، فاعتلّ بالشكوى فلم يقبل ذلك منه ، وأشخصه من ساعته إلى مدينة السلام .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة يزيد بن منصور — خال المهدىّ — عند قدومه من اليمن ؛ فحدّثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . كذلك قال محمد بن عمر الواقدىّ وغيره . وكان انصراف يزيد بن منصور من اليمن بكتاب المهدىّ إليه يأمره بالانصراف إليه وتوليته إياه الموسم وإعلامه اشتياقه إليه وإلى قربه .

وكان أمير المدينة فى هذه السنة عبيد الله بن صفوان الجُمحىّ ، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها إسحاق بن الصباح الكندىّ ، وعلى خراجها ثابت ابن موسى ، وعلى قضائها شريك بن عبد الله ، وعلى صلاة البصرة عبد الملك ابن أيوب بن ظَبْيان النميرىّ ، وعلى أحداثها عُمارة بن حمزة ؛ وخليفته على ذلك المسوَر بن عبد الله بن مسلم الباهلىّ ؛ وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن . وعلى كُور دِجْلة وكُور الأهواز وكُور فارس عُمارة بن حمزة . وعلى السِّند بِسطام بن عمرو ، وعلى اليمن رجاء بن روْح . وعلى اليمامة بشر بن المنذر ، وعلى خراسان أبو عون عبد الملك بن يزيد ، وعلى الجزيرة الفضل بن صالح ، وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد بن سليمان أبو ضمرة .

٣/٤٧٠

---

(١) ج : « النصرة » .
(٢) س : « وحمل » .

ثم دخلت سنة ستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خروج يوسف البرْم]

فمن ذلك ما كان من خروج يوسف بن إبراهيم، وهو الذى يقال له يوسف البَرْم بخُراسان منكرًا هو ومَن تبعه ممن كان على رأيه على المهدىّ – فيما زُعِم – الحال التى هو بها وسيرته التى يسير بها، واجتمع معه – فيما ذكر – بَشر من الناس كثير، فتوجّه إليه يزيد بن مزيد فلقيه، واقتتلا حتى صارا إلى المعانقة فأسره يزيد، وبعث به إلى المهدىّ، وبعث معه من وجوه أصحابه بعدّة؛ فلما انتهى بهم إلى النّهروان حُمِل يوسف البَرْم على بعير قد حُوِّل وجهه إلى ذنَب البعير وأصحابه على بعير، فأدخلوهم الرُّصافة على تلك الحال، فأدخلوه على المهدىّ، فأمر هَرْثمة بن أعين فقطع يدَىْ يوسف ورجْليه، وضرب عنقه وعنق أصحابه، وصلّبهم على جِسْر دجلة الأعلى، مما يلى عسكر المهدىّ، وإنما أمر هرثمة بقتله؛ لأنه كان قتل أخًا لهرثمة بخراسان. ٣/٤٧١

* * *

[ذكر خبر خلع عيسى بن موسى وبيعة موسى الهادى]

وفيها قدم عيسى بن موسى مع أبى هريرة يوم الخميس لستٍّ خلوْن من المحرّم – فيما ذكر – الفضل بن سليمان فنزل داراً كانت لمحمد بن سليمان على شاطئ دجْلة فى عسكر المهدىّ، فأقام أيامًا يختلف إلى المهدىّ، ويدخل مدخلَه الذى كان يدخله؛ لا يكلَّم بشىء، ولا يرى جفوة ولا مكروهًا ولا تقصيراً به؛ حتى أنس به بعض الأنس، ثم حضر الدار يومًا قبل جلوس المهدىّ، فدخل مجلسًا كان يكون للربيع فى مَقْصورة صغيرة، وعليها باب، وقد اجتمع رؤساء الشّيعة فى ذلك اليوم على خلعه والوثوب عليه؛ ففعلوا ذلك

وهو فى المقصورة التى فيها مجلس الربيع ، فأغلق دونهم المقصورة ، فضربوا الباب بجُرُزهم وعَمدهم ؛ فهشَموا الباب ، وكادوا يكسرونه ، وشتموه أقبحَ الشَّتْم ، وحصروه هنالك ؛ وأظهر المهدىّ إنكارًا لما فعلوا ، فلم يردعهم ذلك عن فعلهم ؛ بل شدُّوا فى أمره ؛ وكانوا بذلك هو وهم أيامًا ، إلى أن كاشفه ذوو الأسنان من أهل بيته بحضرة المهدىّ ، فأبوا إلاّ خلعَه ، وشتموه فى وجهه ؛ وكان أشدَّهم عليه محمد بن سليمان .

فلما رأى المهدىّ ذلك من رأيهم وكراهتهم لعيسى وولايته ؛ دعاهم إلى العهد لموسى ، فصار إلى رأيهم وموافقتهم ، وألحّ على عيسى فى إجابته وإياهم إلى الخروج ممّا له من العهد فى أعناق الناس وتحليلهم منه ؛ فأبى ؛ وذكر أن عليه أيمانًا محرّجة فى ماله وأهله ؛ فأحضر له من الفقهاء والقضاة عدّة ، منهم ٤٧٢/٣ محمد بن عبد الله بن عُلاثة والزّنجىّ بن خالد المكىّ وغيرهما ؛ فأتوْه بما رأوا ، وصار إلى المهدىّ ابتياع ماله من البيعة فى أعناق الناس بما يكون له فيه رضًا وعوض ، ممّا يخرج له من ماله لما يلزمه من الحِنْث فى يمينه ؛ وهو عشرة آلاف ألف درهم ، وضياع بالزّاب الأعلى وكَسْكَر . فقبل ذلك عيسى ، وبقى منذ فاوضه المهدىّ على الخلع إلى أن أجاب محتسبًا عنده فى دار الديوان من الرُّصافة إلى أن صار إلى الرضا بالخلع والتسليم ، وإلى أن خُلع يوم الأربعاء لأربع بقين من المحرّم بعد صلاة العصر ، فبايع للمهدىّ ولموسى من بعده من الغد يوم الخميس لثلاث بقين من المحرّم لارتفاع النهار . ثم أذن المهدىّ لأهل بيته ، وهو فى قبة كان محمد بن سليمان أهداها له مضروبة فى صحن الأبواب ، ثم أخذ بيعتَهم رجلا رجلا لنفسه ولموسى بن المهدىّ من بعده ؛ حتى أتى إلى آخرهم . ثم خرج إلى مسجد الجماعة بالرُّصافة فقعد على المنبر ، وصعد موسى حتى كأنه دونه . وقام عيسى على أوّل عتبة من المنبر ، فحمد الله المهدىُّ وأثنى عليه ، وصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأخبر بما أجمع عليه أهلُ بيته وشيعته وقوّاده وأنصاره وغيرهم من أهل خُراسان من خلع عيسى بن موسى وتصيير الأمر الذى كان عقد له فى أعناق الناس لموسى بن أمير المؤمنين ؛ لاختيارهم له ورضاهم به ؛ وما رأى من إجابتهم إلى ذلك ؛ لما رجا من مصلحتهم ٤٧٣/٣ وألفتهم ، وخاف مخالفتهم فى نيّاتهم واختلاف كلمتهم ، وأن عيسى قد

خلع تقدُّمَه ، وحلَّهم مما كان له من البيعة فى أعناقهم ، وأنَّ ما كان له من ذلك فقد صار لموسى بن أمير المؤمنين ، بعقد من أمير المؤمنين وأهل بيته وشيعته فى ذلك ؛ وأن موسى عاملٌ فيهم بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم بأحسن السِّيرة وأعدلها ، فبايعوا معشر مَن حضر ، وسارعوا إلى ما سارع إليه غيرُكم ؛ فإنّ الخير كله فى الجماعة ، والشرّ كله فى الفرقة . وأنا أسأل الله لنا ولكم التوفيق برحمته ، والعمل بطاعته وما يرضيه ، وأستغفر الله لى ولكم .

وجلس موسى دونه معتزلاً للمنبر ؛ لئلا يحول بينه وبين من صعد إليه ، يبايعه ويمسح على يده ، ولا يستر وجهه ، وثبت عيسى قائمًا فى مكانه ، وقُرِئ عليه كتاب ذكر الخلع له ، وخروجُه مما كان إليه من ولاية العهد وتحليله جماعة مَن كان له فى عنقه بيعة ، مما عقدوا له فى أعناقهم ؛ وأن ذلك من فعله وهو طائعٌ غير مكرَه ، راضٍ غير ساخط ، محبّ غير مجبَر . فأقرّ عيسى بذلك ، ثم صعد فبايع المهدىّ ، ومسح على يده ، ثم انصرف ، وبايع أهل بيت المهدىّ على أسنانهم ؛ يبايعون المهدىّ ثم موسى ، ويمسحون على أيديهما ؛ حتى فرغ آخرهم ؛ وفعل مَنْ حضر من أصحابه ووجوه القوّاد والشِّيعة مثل ذلك ، ثم نزل المهدىّ ، فصار إلى منزله ، ووكّل ببيعته مَن بقى من الخاصّة والعامّة خاله يزيد بن منصور ، فتولّى ذلك حتى فرغ من جميع الناس ، ووفّى المهدىّ لعيسى بما أعطاه وأرضاه مما خلعه منه من ولاية العهد ، وكتب عليه بخلعه إياه كتابًا أشهد عليه فيه جماعة أهل بيته وصحابته وجميع شيعته وكتّابه وجنده فى الدّواوين ؛ ليكون حجّة على عيسى ، وقطعاً لقوله ودعواه فيما خرج منه . ٣ ، ٤٧٤

وهذه نسخة الشرط الذى كتبه عيسى على نفسه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب لعبد الله المهدىّ محمد أمير المؤمنين ولولىّ عهد المسلمين موسى بن المهدىّ ، ولأهل بيته وجميع قوّاده وجنوده من أهل خُراسان وعامّة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ؛ وحيث كان كائنٌ منهم ، كتبتُه للمهدىّ محمد أمير المؤمنين ، ولىّ عهد المسلمين موسى بن محمد ابن عبدالله بن محمد بن علىّ ؛ فيما جُعل إليه من العهد إذ كان إلىّ ، حتى اجتمعت كلمة المسلمين ، واتّسق أمرهم ، وائتلفت أهواؤهم ، على الرضا بولاية موسى بن المهدىّ

محمد أمير المؤمنين ، وعرفتُ الحظّ فى ذلك علىّ والحظّ فيه لى ، ودخلتُ فيما دخل فيه المسلمون من الرضا بموسى بن أمير المؤمنين ، والبيعة له ؛ والخروج مما كان لى فى رقابهم من البيعة ؛ وجعلتكم فى حِلٍّ من ذلك وسَعة ، من غير حرج يدخل عليكم ، أو على أحد من جماعتكم وعامة المسلمين . وليس فى شىء من ذلك ، قديمٍ ولا حديث لى دعوى ولا طلبة ولا حجّة ولا مقالة ولا طاعة على أحد منكم ، ولا على عامة المسلمين ولا بيعة فى حياة المهدىّ محمد أمير المؤمنين ولا بعده ولا بعد ولىّ عهد المسلمين موسى ، ولا ما كنت حيًّا حتى أموت . وقد بايعت لمحمد المهدىّ أمير المؤمنين ولموسى بن أمير المؤمنين من بعده ، وجعلت لهما ولعامة المسلمين من أهل خُراسان وغيرهم الوفاء بما شرطْت على نفسى فى هذا الأمر الذى خرجت منه ، والتّمام[1] عليه . علىّ بذلك عهد الله وما اعتقد أحد من خلقه من عهد أو ميثاق أو تغليظ أو تأكيد على السّمع والطاعة والنصيحة للمهدىّ محمد أمير المؤمنين وولىّ عهده موسى ابن أمير المؤمنين ، فى السرّ والعلانية ، والقول والفعل ، والنّية والشدّة والرّجاء والسرّاء والضّراء والموالاة لهما ولمن والاهما ، والمعاداة لمن عاداهما ، كائنًا مَنْ كان فى هذا الأمر الذى خرجت منه . فإن أنا نكبت[2] أو غيّرت أو بدّلت أو دَغَلت[3] أو نويْت غير ما أعطيت عليه هذه الإيمان ، أو دعوت إلى خلاف شىء مما حملت على نفسى فى هذا الكتاب للمهدىّ محمد أمير المؤمنين وولىّ عهده موسى ابن أمير المؤمنين ولعامّة المسلمين ، أو لم أفِ بذلك ؛ فكلّ زوجة عندى يوم كتبت هذا الكتاب — أو أتزوّجها إلى ثلاثين سنة — طالق ثلاثًا ألبتة[4] طلاق الحرج[5] وكلّ مملوك عندى اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرارٌ لوجه الله ، وكلّ مال لى نَقْد أو عَرْض[6] أو قرْض أو أرْض ، أو قليل أو كثير ، تالد أو طارف[7] أو أستفيده فيما بعد اليوم إلى ثلاثين سنة صدقة على المساكين ، يضع ذلك

٣/٤٧٥

---

(١) تم على الأمر وتمم عليه : استمر . (٢) نكبت : عدلت .
(٣) دغل فى الشىء : دخل فيه دخول المريب . (٤) يقال لا أفعله بتة ، أو ألبتة ، لكل أمر لا رجعة فيه ، وفى قطع الهمزة خلاف . وانظر شرح القاموس والصحاح .
(٥) طلاق الحرج ، أى طلاق التحريم .
(٦) العرض : المتاع ؛ وكل شىء عرض إلا الدراهم والدنانير فإنها نقد .
(٧) التالد : المال الأصلى القديم . والطارف : المال المستحدث .

أوانى حيث يرى . وعلىّ من مدينة السلام المشىُ حافياً إلى بيت الله العتيق الذى بمكة نذراً واجباً ثلاثين سنة . لا كفارة لى ولا مخرج منه ؛ إلا الوفاء به . والله على الوفاء بذلك راعٍ كفيل شهيد . وكفى بالله شهيداً . وشهيدٌ على عيسى ابن موسى بإقراره بما فى هذا الشرط أربعمائة وثلاثون من بنى هاشم ومن الموالى والصحابة من قريش والوزراء والكتاب والقضاة . ٣ / ٤٧٦

وكتب فى صفر سنة ستين ومائة . وختم عيسى بن موسى .

فقال بعض الشعراء :

كَرِهَ الموت أَبو موسى وقد ... كان فى الموت نجاءٌ وكَرمْ

خَلَعَ الملكَ وأَضحَى مُلبَسًا ... ثوبَ لومٍ ما تُرى منه القَدم

* * *

وفى سنة ستين ومائة وافى عبد الملك بن شهاب المسمعىّ مدينة باربد بمن توجّه معه من المطّوّعة وغيرهم ؛ فناهضوها بعد قدومهم بيوم ، وأقاموا عليها يومين ؛ فنصبوا المنجنيق وناهضوها بجميع الآلة ، وتحاشد الناس ، وحضّ بعضُهم بعضاً بالقرآن والتذكير ، ففتحها الله عليهم عنْوة ، ودخلت خيلُهم من كلّ ناحية ؛ حتى ألجئوهم إلى بدّهم ، فأشعلوافيها النّيران والنّفط ، فاحترق منهم مَن احترق . وجاهد بعضهم المسلمين . فقتلهم الله أجمعين ؛ واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلاً . وأفاءها الله عليهم . وهاج البحر فلم يقدروا على ركوبه والانصراف . فأقاموا إلى أن يطيب ، فأصابهم فى أفواههم داءٌ يقال له حُمام قُرّ . فمات نحو من ألف رجل . منهم الربيع بن صُبيح . ثم انصرفوا لمّا أمكنهم الانصراف حتى بلغوا ساحلاً من فارس ، يقال له بحر حمران . فعصفت عليهم فيه الريح ليلاً ، فكسرت عامّة مراكبهم ، فغرق منهم بعض ونجا بعض ، وقدموا معهم بسبىٍ من سبْيهم — فيهم بنت ملك باربد — على محمد بن سليمان ؛ وهو يومئذ والى البصرة . ٣ / ٤٧٧

وفيها صُيّر أبان بن صدقة كاتباً لهارون بن المهدىّ ووزيراً له .

وفيها عُزل أبو عون عن خُراسان عن سَخْطةٍ ، ووليَ مكانه معاذ بن مسلم .

وفيها غزا ثُمامة بن الوليد العبسيّ الصائفة .

وفيها غزا الغمر بن العباس الخثعمى بحر الشأم .

° ° °

[ذكر خبر ردّ نسب آل بكرة وآل زياد]

وفيها ردّ المهدى آل بكرة من نسبهم فى ثَقيف إلى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكان سبب ذلك أنّ رجلاً من آل أبى بكْرة رفع ظُلامة إلى المهدىّ ، وتقرّب إليه فيها بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال المهدىّ : إن هذا نسب واعتزاء ، ما تقرّون به إلاّ عند حاجة تعرض لكم ، وعند اضطراركم إلى التقرّب به إلينا . فقال الحكَم : يا أمير المؤمنين ، مَنْ جحد ذلك فإنا سنقرّ ؛ أنا أسألك أن تردّنى ومعشر آل أبى بكرة إلى نسبنا من ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتأمر بآل زياد بن عبيد فيخرجوا من نَسبهم الذى ألحقهم به معاوية رغبةً عن قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الولد للفراش وللعاهر الحجَر » ، فيُرَدّوا إلى نسبهم من عبيد فى موالى ثقيف . فأمر المهدىّ فى آل أبى بكرة وآل زياد أن يردّ كلّ فريق منهم إلى نسبه ، وكتب إلى محمد بن سليمان كتاباً ، وأمره أن يُقرأ فى مسجد الجماعة على الناس ، وأن يردّ آل أبى بكرة إلى ولائهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبهم إلى نُفَيع ابن مسروح ، وأن يردّ على من أقرّ منهم ما أمر بردّه عليهم من أموالهم بالبصرة مع نظرائهم ، ممن أمر بردّ ماله عليه ؛ وألاّ يردّ على من أنكر منهم ، وأن يجعل الممتحن منهم والمستبرئ لما عندهم الحكَم بن سمرقند . فأنفذ محمد ما أتاه فى آل أبى بكْرة إلاّ فى أناس منهم غيَبٍ[1] عنهم .

٤٧٨/٣

وأما آل زياد فإنّه مما قوّى رأى المهدىّ فيهم — فيما ذكر علىّ بن سليمان — أن أباه حدّثه ، قال : حضرت المهدىّ وهو ينظر فى المظالم إذ قدم عليه رجل من آل زياد يقال له الصغدىّ بن سلم بن حرب . فقال له : مَنْ أنت ؟ قال : ابن عمّك ، قال : أىّ ابن عمى أنت ؟ فانتسب إلى زياد ، فقال له المهدىّ : يابن سميّة الزانية ، متى كنتَ ابن عمى ! وغضب وأمر به فوُجِئ فى عنقه ، وأخرِج ، ونهض الناس .

(١) يقال : قوم غيب ، بالتحريك ، أى غائبون .

قال : فلمّا خرجت لحقنى عيسى بن موسى — أو موسى بن عيسى — فقال : أردتُ والله أن أبعثَ إليك ، أن أمير المؤمنين التفت إلينا بعد خروجك ، فقال : من عنده علم من آل زياد ؟ فوالله ما كان عند أحد منا من ذاك شىء ، فما عندك يا أبا عبد الله ؟ فما زلت أحدثه فى زياد وآل زياد حتى صرنا إلى منزله بباب المحوّل ، فقال : أسألك بالله والرّحم لما كتبتَ لى هذا كله حتى أروح به إلى أمير المؤمنين ، وأخبره عنك . فانصرفتُ فكتبت ، وبعثت به إليه . فراح إلى المهدىّ ، فأخبره . فأمر المهدىّ بالكتاب إلى هارون الرشيد ؛ وكان والى البصرة من قبَله يأمره أن يكتب إلى واليها يأمره أن يخرج آل زياد من قريش وديوانهم والعرب ، وأن يعرض ولد أبى بكْرة على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن أقرّ منهم ترك ماله فى يده ؛ ومن انتمى إلى ثقيف اصطفى ماله . فعرضهم . فأقرّوا جميعًا بالولاء ؛ إلا ثلاثة نفر ، فاصطُفيت أموالهم .

٣ / ٤٧٩

ثم إن آل زياد بعد ذلك رشَوْا صاحب الديوان حتى ردّهم إلى ما كانوا عليه ، فقال خالد النجار فى ذلك :

إن زيادًا ونافعاً وأبا بَكْرةَ عندى من أعجب العَجَبِ
ذا قُرَشىٌّ كما يقولُ ، وذا مولًى ، وهذا — بزعمِه — عَرَبى

* * *

نسخة كتاب المهدىّ إلى والى البصرة فى ردّ آل زياد إلى نسبهم

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ؛ فإنّ أحقّ ما حمَل عليه ولاة المسلمين أنفسهم وخواصّهم وعوامّهم فى أمورهم وأحكامهم ، العمل بينهم بما فى كتاب الله والاتباع لسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصّبر على ذلك ، والمواظبة عليه ، والرضا به فيما وافقهم وخالفهم ؛ للذى فيه من إقامة حدود الله ومعرفة حقوقه ، واتّباع مرضاته ، وإحراز جزائه وحسن ثوابه ، ولما فى مخالفة ذلك والصدود عنه وغلبة الهوى لغيره من الضّلال والخسار فى الدنيا والآخرة .

٣ / ٤٨٠

وقد كان من رأى معاوية بن أبى سفيان فى استلحاقه زياد بن عبيد عبد آل علاج من ثقيف ، وادّعائه ما أباه بعد معاوية عامّة المسلمين وكثير

منهم فى زمانه ، لعلمهم بزياد وأبى زياد وأمه من أهل الرضا والفضل والورع والعلم ، ولم يَدْعُ معاوية إلى ذلك ورع ولاهدى ، ولااتباع سنة هادية ؛ ولا قُدوة من أئمة الحقّ ماضية ، إلا الرغبة فى هلاك دينه وآخرته . والتصميم على مخالفة الكتاب والسنة . والعُجْب بزياد فى جَلَده ونفاذه، وما رجا من معونته ومؤازرته إياه على باطل ما كان يركن إليه فى سيرته وآثاره وأعماله الخبيثة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الولد للفراش وللعاهر الحجَر» ، وقال : «مَن ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه لا صرفا ولا عدلا[1] » .

ولعمرى ما وُلد زياد فى حجْر أبى سفيان ولا على فراشه، ولا كان عُبيد عبدًا لأبى سفيان ، ولا سميّة أمةً له ، ولا كانا فى مُلكه ، ولا صارا إليه لسبب من الأسباب . ولقد قال معاوية فيما يعلمه أهل الحفظ للأحاديث عند كلام نَصْر بن الحجّاج بن عِلاط السُّلمىّ ومَنْ كان معه من موالى بنى المغيرة المخزوميّين وإرادتهم استلحاقه وإثبات دعوته، وقد أعدّ لهم معاوية حجَرًا تحت بعض فرشه فألقاه إليهم ، فقالوا له : نسوّغ لك ما فعلت فى زياد ، ولا تسوّغ لنا ما فعلنا فى صاحبنا ، فقال : قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لكم من قضاء معاوية . فخالف معاوية بقضائه فى زياد واستلحاقه إياه ٣/٤٨١ وما صَنَع فيه وأقدم عليه، أمرَ الله جل وعزّ وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم واتّبع فى ذلك هواه رغبة عن الحقّ ومجانبة له ، وقد قال الله عز وجل : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ[2]﴾ ، وقال لداود صلى الله عليه وسلم وقد آتاه الحكم والنبوّة والمال والخلافة : ﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ[3] ...﴾ الآية إلى آخرها .

فأمير المؤمنين يسأل الله أن يعصم له نفسه ودينه ، وأن يعيذه من غلبة الهوى ، ويوفّقه فى جميع الأمور لما يحب ويرضى ؛ إنه سميع قريب .

(١) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية .
(٢) سورة القصص ٥٠ .
(٣) سورة ص ٢٦ .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يردّ زياداً ومَنْ كان من ولده إلى أمّهم ونسبهم المعروف ويلحقهم بأبيهم عبيد؛ وأمهم سميّة، ويتّبع فى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه الصالحون وأئمة الهدى، ولا يجيز لمعاوية ما أقدم عليه مما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان أمير المؤمنين أحقّ مَنْ أخذ بذلك وعمل به؛ لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتّباعه آثاره وإحيائه سنّته، وإبطاله سنن غيره الزائغة الجائرة عن الحق والهدى؛ وقد قال الله جلّ وعزّ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[1].

فاعلم أن ذلك من رأى أمير المؤمنين فى زياد، وما كان من ولد زياد فألحقهم بأبيهم زياد بن عبيد، وأمهم سميّة، واحملهم عليه، وأظهره لمن قِبَلك من المسلمين حتى يعرفوه ويستقيم فيهم؛ فإن أمير المؤمنين قد كتب إلى قاضى البصرة وصاحب ديوانهم بذلك. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب معاوية بن عبيد الله فى سنة تسع وخمسين ومائة.

٤٨٢/٣ فلما وصل الكتاب إلى محمد بن سليمان وقّع بإنفاذه، ثم كُلّم فيهم، فكفّ عنهم؛ وقد كان كتب إلى عبد الملك بن أيوب بن ظَبْيان النميرىّ بمثل ما كتب به إلى محمد، فلم ينفذه لموضعه من قيس، وكراهته أن يخرج أحد من قومه إلى غيرهم.

* * *

وفيها كانت وفاة عبيد الله بن صفوان الجمحىّ، وهو والٍ على المدينة، فولّى مكانه محمد بن عبد الله الكثيرىّ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى عُزِل وولّى مكانه زُفَر بن عاصم الهلالىّ. وولّى المهدىّ قضاء المدينة فيها عبد الله بن محمد بن عمران الطّلْحىّ.

وفيها خرج عبد السلام الخارجىّ، فقتِل.

وفيها عزِل بِسْطام بن عمرو عن السِّند، واستعمل عليها رَوْح بن حاتم.

وحجّ بالناس فى هذه السنة المهدىّ، واستخلف على مدينته حين شخص

---

(١) سورة يونس ٣٢.

عنها ابنه موسى ؛ وخلّف معه يزيد بن منصور خال المهدىّ وزيراً له ومدبّراً لأمره .

وشخص مع المهدىّ فى هذه السنة ابنه هارون وجماعة من أهل بيته ؛ وكان ممّن شخص معه يعقوب بن داود، على منزلته التى كانت له عنده ؛ فأتاه حين وافى مكة الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن الذى استأمن له يعقوب من المهدىّ على أمانه ، فأحسن المهدىّ صلته وجائزته . وأقطعه مالاً من الصّوافى بالحجاز .

وفيها نزع المهدىّ كسوة الكعبة التى كانت عليها ، وكساها كسوة جديدة ؛ وذلك أن حَجَبة الكعبة — فيما ذكر — رفعوا إليه أنهم يخافون على الكعبة أن تهدم لكثرة ما عليها من الكسوة ، فأمر أن يُكشف عنها ما عليها من الكسوة حتى بقيت مجرّدة ، ثم طُلِى البيت كله بالخَلُوق . وذُكر أنهم لما بلغوا إلى كسوة هشام وجدوها ديباجاً ثخيناً جيداً ، ووجدوا كسوة مَنْ كان قبله عامّتها من متاع اليمن . ٣/٤٨٣

وقسم المهدىّ فى هذه السنة بمكة فى أهلها — فيما ذكر — مالا عظيماً . وفى أهل المدينة كذلك ؛ فذكر أنه نُظر فيما قسم فى تلك السفرة فوُجد ثلاثين ألف ألف درهم ، حُملت معه ، ووصلت إليه من مصر ثلثمائة ألف دينار ، ومن اليمن مائتا ألف دينار ، فقسّم ذلك كلّه . وفرّق من الثياب مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ، ووسّع فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر بنزع المقصورة التى فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فنزعت ، وأراد أن ينقص منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعيده إلى ما كان عليه ، ويلقى منه ما كان معاوية زاد فيه ؛ فذكر عن مالك بن أنس أنه شاور فى ذلك ، فقيل له : إن المسامير قد سلكت فى الخشب الذى أحدثه معاوية ، وفى الخشب الأول وهو عتيق . فلا نأمن إن خرجت المسامير التى فيه وزعزعت أن يتكسّر ، فتركه المهدىّ .

وأمر أيام مقامه بالمدينة بإثبات خمسمائة رجل من الأنصار ليكونوا معه حرساً له بالعراق وأنصاراً ، وأجرى عليهم أرزاقا سوى أعطياتهم ، وأقطعهم عند قدومهم معه ببغداد قطيعة تعرف بهم .

٣/٤٨٤ وتزوّج فى مقامه بها برقيّة بنت عمرو العثمانية .

وفى هذه السنة حمل محمد بن سليمان الثلج للمهدىّ ، حتى وافى به مكة ، فكان المهدىّ أوّل من حُمل له الثلج إلى مكة من الخلفاء .

وفيها ردّ المهدىّ على أهل بيته وغيرهم قطائعهم التى كانت مقبوضة عنهم .

* * *

وكان على صلاة الكوفة وأحداثها فى هذه السنة إسحاق بن الصباح الكندىّ ، وعلى قضائها شريك. وعلى البصرة وأحداثها وأعمالها المفردة وكُور دِجلة والبحرين وعُمان وكُور الأهواز وفارس محمد بن سليمان . وكان على قضاء البصرة فيها عبيد الله بن الحسن . وعلى خراسان معاذ بن مسلم ، وعلى الجزيرة الفضل بن صالح ، وعلى السِّند رَوْح بن حاتم . وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم . وعلى مصر محمد بن سليمان أبو ضمرة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان من ذلك خروج حكيم المقنّع بخُراسان من قرية من قرى مَرْو ، وكان — فيما ذكر — يقول بتناسخ الأرواح ، يعود ذلك إلى نفسه ، فاستغوى بشراً كثيراً ، وقوِيَ وصار إلى ما وراء النهر ، فوجّه المهديّ لقتاله عدّة من قُوّاده ؛ فيهم مُعاذ بن مسلم ؛ وهو يومئذ على خُراسان ، ومعه عُقْبة بن مسلم وجبرئيل بن يحيى وليث مولى المهديّ ، ثم أفرد المهديّ لمحاربته سعيدًا الحَرَشيّ ، وضمّ إليه القوّاد ؛ وابتدأ المقنّع بجمع الطعام عُدّةً للحصار في قلعة بكَش .

* * *

وفيها ظفر نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعيّ بعبد الله بن مروان بالشأم ؛ فقدم به على المهديّ قبل أن يولّيه السِّند ، فحبسه المهديّ في المطْبَق ؛ فذكر أبو الخطاب أن المهديّ أُتِي بعبدالله بن مروان بن محمد — وكان يكنى أبا الحكم — فجلس المهديّ مجلسا عامًّا في الرّصافة ، فقال : مَنْ يعرف هذا ؟ فقام عبد العزيز بن مسلم العُقَيلي ، فصار معه قائمًا ، ثم قال له : أبو الحكم ؟ قال : نعم ابنُ أمير المؤمنين ، قال : كيف كنت بعدى ؟ ثم التفت إلى المهديّ ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، هذا عبد الله بن مروان . فعجب الناس من جُرأته ، ولم يعرض له المهديّ بشيء . ٤٨٥/٣

قال : ولما حبس المهديّ عبد الله بن مروان احتيل عليه ، فجاء عمرو بن سهلة الأشعريّ فادّعى أن عبد الله بن مروان قتل أباه ، فقدّمه إلى عافية القاضي ، فتوجّه عليه الحُكْم أن يقادَ به ، وأقام عليه البيّنة ؛ فلما كاد الحُكْم يبرَم جاء عبد العزيز بن مسلم العقيليّ إلى عافية القاضي يتخطّى رقاب الناس ؛ حتى صار إليه ، فقال : يزعم عمرو بن سهلة أن عبد الله بن مروان قتل أباه ؛ كذب والله ما قتل أباه غيري ؛ أنا قتلتُه بأمر

مروان، وعبدُ الله بن مروان من دمه برىء . فزالت عن عبد الله بن مروان، ولم يعرض المهدىّ لعبد العزيز بن مسلم لأنه قتله بأمر مروان .

* * *

وفيها غزا الصّائفة ثمامة بن الوليد ، فنزل دابق ، وجاشت الرّوم وهو مغترّ، فأتت طلائعه وعيونه بذلك ، فلم يحفل بما جاءوا به، وخرج إلى الرّوم ، وعليها ميخائيل بسرَعان الناس[١]،فأصيب من المسلمين عِدّة ، وكان عيسى بن علىّ مرابطًا بحصن مَرْعش يومئذ، فلم يكن للمسلمين فى ذلك العام صائفة من أجل ذلك .

٤٨٦/٣

وفيها أمر المهدىّ ببناء القصور فى طريق مكة أوسع من القصور التى كان أبو العباس بناها من القادسيّة إلى زُبالة ، وأمر بالزيادة فى قصور أبى العباس ، وترك منازل أبى جعفر التى كان بناها على حالها ، وأمر باتّخاذ المصانع فى كلّ منهل ، وبتجديد الأميال والبرَك ، وحفر الرّكايا مع المصانع ، وولّى ذلك يقطين بن موسى ، فلم يزل ذلك إليه إلى سنة إحدى وسبعين ومائة ، وكان خليفة يقطين فى ذلك أخوه أبو موسى .

وفيها أمر المهدىّ بالزيادة فى مسجد الجامع بالبصرة ، فزيد فيه من مقدّمه ممّا يلى القبلة ،وعن يمينه مما يلى رحبة بنى سُليم،وولّى بناء ذلك محمد بن سليمان وهو يومئذ والى البصرة .

وفيها أمر المهدىّ بنزع المقاصير من مساجد الجماعات وتقصير المنابر وتصييرها إلى المقدار الذى عليه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب بذلك إلى الآفاق فعُمل به .

وفيها أمر المهدىّ يعقوب بن داود بتوجيه الأمناء فى جميع الآفاق ، فعمل به، فكان لا ينفذ للمهدىّ كتاب إلى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب بن داود إلى أمينه وثقته بإنفاذ ذلك .

وفيها اتّضعت منزلة أبى عبيد الله وزير المهدىّ ، وضمّ يعقوب إليه من متفقهة البصرة وأهل الكوفة وأهل الشأم عدداً كثيراً ، وجعل رئيس البصريين والقائم بأمرهم إسماعيل بن عُلَيّة الأسدىّ ومحمد بن ميمون العنبرىّ، وجعل رئيس أهل الكوفة وأهل الشأم عبد الأعلى بن موسى الحلبىّ .

٤٨٧/٣

---

(١) سرعان الناس : أوائلهم .

ذكر السبب الذى من أجله تغيرت منزلة أبى عبيد الله عند المهدىّ

قد ذكرنا سببَ اتّصاله به الذى كان قبلُ فى أيام المنصور وضمّ المنصور إياه إلى المهدىّ حين وجّهه إلى الرّىّ عند خلْع عبد الجبار بن عبد الرحمن المنصور ، فذكر أبو زيد عمر بن شبّة ، أنّ سعيد بن إبراهيم حدّثه أن جعفر بن يحيى حدّثه أنّ الفضل بن الرّبيع أخبره ، أنّ الموالى كانوا يشنّعون على أبى عبيدالله عند المهدىّ ، ويسعَوْن عليه عنده ؛ فكانت كتب أبى عبيد الله تنفذ عند المنصور بما يريد من الأمور ، وتتخلّى الموالى بالمهدىّ ؛ فيبلّغونه عن أبى عبيدالله ، ويحرّضونه عليه .

قال الفضل : وكانت كتب أبى عبيد الله تصل إلى أبى تَتْرَى ، يشكو الموالى وما يلقى منهم ، ولا يزال يذكره عند المنصور ويخبره بقيامه ، ويستخرج الكتب عنه إلى المهدىّ بالوَصاة به ، وترك القبول[1] فيه . قال : فلمّا رأى أبوعبيد الله غلَبة الموالى على المهدىّ ، وخلْوتهم به نظر إلى أربعة رجال من قبائل شتّى من أهل الأدب والعلم ، فضمّهم إلى المهدىّ ، فكانوا فى صحابته ، فلم يكونوا يَدَعون الموالى يتخلَّوْن به .

ثم إنّ أبا عبيد الله كلّم المهدىّ فى بعض أمره إذ اعترض رجل من هؤلاء الأربعة فى الأمر الذى تكلّم فيه ، فسكت عنه أبو عبيد الله ، فلم يرادّه ، وخرج فأمر أن يحجب عن المهدىّ فحجبه عنه ؛ وبلغ ذلك من خبره أبى . ٣/٤٨٨

* * *

قال : وحجّ أبى مع المنصور فى السنة التى مات فيها ، وقام أبى من أمر المهدىّ بما قام به من أمر البيعة وتجديدها على بيت المنصور والقوّاد والموالى ؛ فلما قدم تلقّيتُه بعد المغرب ، فلم أزل معه حتى تجاوز منزله ، وترك دار المهدىّ ، ومضى إلى أبى عبيد الله ، فقال : يا بنىّ ؛ هو صاحب الرجل ؛ وليس ينبغى أن نعامله على ما كنّا نعامله عليه ؛ ولا أن نحاسبه بما كان منا فى أمره من نصرتنا له . قال : فمضينا حتى أتينا باب أبى عبيد الله ؛ فما زال واقفًا حتى صلّيتُ

(١) أى ترك قبول القول فيه .

العَتَمة ، فخرج الحاجب ، فقال : ادخل ، فثنى رجلَه وثنيتُ رجلى . قال : إنما استأذنتُ لك يا أبا الفضل وحدَك . قال : اذهب فأخبِره أنّ الفضل معى . قال : ثم أقبل علىّ ، فقال : وهذا أيضًا من ذلك ! قال : فخرج الحاجب ، فأذن لنا جميعًا ، فدخلنا أنا وأبى ، وأبو عبيد الله فى صدر المجلس ، على مصلًّى متكئٌ على وسادة ، فقلت : يقوم إلى أبى إذا دخل إليه ، فلم يقم إليه ، فقلت : يستوى جالسًا إذا دنا ، فلم يفعل ، فقلت : يدعو له بمصلى ، فلم يفعل ، فقعد أبى بين يديه على البساط وهو متكئ ، فجعل يسائله عن مسيره وسفره وحاله ، وجعل أبى يتوقع أن يسأله عمّا كان منه فى أمرِ المهدىّ وتجديد بيعته ، فأعرض عن ذلك ، فذهب أبى يبتدئه بذكره ، فقال : قد بلَغنا نبؤكم ، قال : فذهب أبى لينهض ، فقال : لا أرى الدُّروب إلاّ وقد غُلّقت ، فلو أقمت ! قال : فقال أبى : إن الدروب لا تغلَق دونى ، قال : بلى قد أغلقت . قال : فظنّ أبى أنه يريد أن يحتَبسه ليسكن من مسيره ، ويريد أن يسأله ؛ قال : فأقيمُ . قال : يا فلان ، اذهب فهيّئ لأبى الفضل فى منزل محمد بن أبى عبيد الله مبيتًا . فلما رأى أنه يريد أن يخرج من الدّار ، قال : فليس تُغْلَق الدروب دونى فأعتزم . ثم قام ، فلما[1] خرجنا من الدار أقبل علىّ فقال : يا بنىّ ، أنت أحمق[1] ، قلت : وما حمقى أنا ! قال : تقول لى : كان ينبغى لك ألاّ تجىء ، وكان ينبغى إذا جئت فحجبنَا ألاّ تقيم حتى صلّيتَ العَتمَة ، وأن تنصرف ولا تدخل ؛ وكان ينبغى إذا دخلتَ فلم يقم إليك أن ترجعَ ولا تقيم عليه ؛ ولم يكن الصوابُ إلاّ ما عملتُ كلّه ؛ ولكن والله الذى لا إله إلا هو — واستغلق فى اليمين — لأخلعنّ جاهى ، ولأنفقنّ مالى حتى أبلغ من أبى عبيد الله .

٤٨٩/٣

قال : ثم جعل يضطرب بجَهده ، فلا يجد مساغًا إلى مكروهه ، ويحتال الجدّ إذ ذكر القُشيرىّ الذى كان أبو عبيد الله حجبَه ، فأرسل إليه فجاءه ،

(١ — ١) فى ابن الاثير : « فلما خرج من عنده قال له ابنه الفضل : لقد بلغ فعل هذا بك ما فعل ، وكان الرأى ألا تأتيه ، وحيث أتيته وحجبك أن تعود ، وحيث دخلت عليه فلم يقم لك أن تعود ؛ فقال لابنه : أنت أحمق » .

فقال : إنّك قد علمت ما ركبك به أبو عبيد الله ، وقد بلغ منى كلّ غاية من المكروه ، وقد أرغْتُ[1] أمره بجهدى ؛ فما وجدت عليه طريقًا ، فعندك حيلة فى أمره ؟ فقال : إنما يؤتَى أبو عبيد الله من أحد وجوه أذكرها لك ... يقال : هو رجل جاهل بصناعته وأبو عبيد الله أحذق الناس ، أو يقال : هو ظَنين فى الدّين بتقليده ، وأبو عبيد الله أعفّ الناس ؛ لو كان بنات المهدىّ فى حِجره لكان لهنّ موضع ، أو يقال : هو يميل إلى أن يخالف السلطان فليس يؤتى أبو عبيد الله من ذلك ؛ إلاّ أنه يميل إلى القَدَر بعضَ الميْل ؛ وليس يتسلّق عليه بذلك أن يقال : هو متّهم ؛ ولكن هذا كلّه مجتمع لك فى ابنه ؛ قال : فتناوله الرّبيع ، فقبّل بين عينيه ، ثم دبّ لابن أبى عبيد الله ؛ فوالله ما زال يحتال ويدسّ إلى المهدىّ ويتهمه ببعض حُرَم المهدىّ ؛ حتى استحكم عند المهدىّ الظنّة بمحمد بن أبى عبيد الله ، فأمر فأحضر ، وأخرج أبو عبيد الله . فقال : يا محمد اقرأ ، فذهب ليقرأ ، فاستعجم عليه القرآن ، فقال : يا معاوية[2] ألم تعلمنى أنّ ابنك جامع للقرآن ؟ قال : أخبرتك يا أميرَ المؤمنين ، ولكن فارقنى منذ سنين ؛ وفى هذه المدّة التى نأى فيها عنى نسىَ القرآن ، قال : قم فتقرّب إلى الله فى دمه ، فذهب ليقوم فوقع ، فقال العبّاس بن محمد : إن رأيت يا أميرَ المؤمنين أن تعفى الشيخ ! قال : ففعل ، وأمر به فأخرج ، فضربت عنقه .

٣/٤٩٠

قال : فاتّهمه المهدىّ فى نفسه ، فقال له الربيع : قتلت ابنَه ؛ وليس ينبغى أن يكون معك ، ولا أن تثق به . فأوحش المهدىّ ؛ وكان الذى كان من أمره وبلغ الربيع ما أرادَ ، واشتفى وزاد .

وذكر محمد بن عبد الله[3] يعقوبَ بن داود ، قال : أخبرَنى أبى ، قال : ضرب المهدىّ رجلاً من الأشعريّين ، فأوجعه ، فتعصّب أبو عبيد الله — وكان مولًى لهم ، فقال : القتل أحسنُ من هذا يا أمير المؤمنين ، فقال له المهدىّ : يا يهودىّ ، اخرج من عسكرى لعنك الله . قال : ما أدرى إلى أين أخرج

(١) أرغت : طلبت . (٢) معاوية بن يسار ، اسم أبى عبيد الله كاتب المهدى .
(٣) ط : « أبى عبد الله » ، وانظر الفهرس .

٤٩١/٣ إلاّ إلى النار ! قال : قلت : يا أميرَ المؤمنين ، أحْرِ بهذا أن لمثلها يتوقع ، قال : فقال لى : سبحان الله يا أبا عبيد الله !

* * *

وفيها غزا الغمر بن العبّاس فى البحر .

وفيها ولّىَ نَصر بن محمد بن الأشعث السِّند مكان رَوْح بن حاتم ، وشخص إليها حتى قدمها ثم عُزل ، ووُلّىَ مكانه محمد بن سليمان ، فوجّه إليها عبد الملك ابن شهاب المِسمعىّ ، فقدمها على نصر ، فبغتَه ، ثم أذن له فى الشخوص ، فشخص حتى نزل الساحل على ستّة فراسخ من المنصورة ؛ فأتى نصر بن محمد عهده على السِّند ، فرجع إلى عمله ؛ وقد كان عبد الملك أقام بها ثمانية عشر يومًا ، فلم يعرِض له ، فرجع إلى البصرة .

وفيها استقضى المهدىّ عافية بن يزيد الأزدىّ ؛ فكان هو وابنُ علاثة يقضيان فى عسكر المهدىّ فى الرُّصافة ؛ وكان القاضى بمدينة الشرقية عمر بن حبيب العدوىّ .

وفيها عَزَل الفضل بن صالح عن الجزيرة ، واستعمل عليها عبد الصمد ابن علىّ .

وفيها استعمَل عيسى بن لقمان على مصر .

وفيها ولّى يزيد بن منصور سَواد الكوفة وحسان الشرَوِىّ الموصل وبِسطام ابن عمرو التغلبىّ أذرَبيجان .

وفيها عزل أبا أيوب المسمى سليمان المكىّ عن ديوان الخراج ، ووُلّىَ مكانه أبو الوزير عمر بن مطرّف .

وفيها تُوفّىَ نصر بن مالك من فالج أصابه ، ودفن فى مقابر بنى هاشم وصلّى عليه المهدىّ .

٤٩٢/٣ وفيها صرف أبان بن صدقة عن هارون بن المهدى إلى موسى بن المهدىّ ، وجعله له كاتبًا ووزيراً ، وجعل مكانه مع هارون ابن المهدىّ يحيى بن خالد ابن برْمك .

وفيها عزل محمد بن سليمان أبا ضَمْرة عن مصر فى ذى الحجّة المهدىّ وولاّها سلمة بن رجاء .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة موسى بن محمد بن عبد الله الهادى ، وهو ولىّ عهد أبيه .

وكان عامل الطائف ومكة واليمامة فيها جعفر بن سليمان ، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها إسحاق بن الصبّاح الكندىّ ، وعلى سوادها يزيد بن منصور .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر مقتل عبد السلام الخارجىّ]

فمن ذلك ما كان من مقتل عبد السلام الخارجىّ بِقِنَّسْرين .

* ذكر الخبر عن مقتله :

ذكر أن عبد السلام بن هاشم اليَشكرىّ هذا خرج بالجزيرة ، وكثر بها أتباعه ، واشتدّت شوكته ، فلقيه من قوّاد المهدىّ عِدّة ، منهم عيسى بن موسى القائد، فقتله فى عدّة ممّن معه ، وهزم جماعة من القوّاد ، فوجّه إليه المهدىّ الجنودَ ، فنكب غير واحد من القوّاد، منهم شبيب بن واج المَرْورُّوذىّ ، ثم ندب إلى شبيب ألف فارس ، أعطى كلّ رجل منهم ألف درهم معونة ، وألحقهم بشبيب فوافوْه ، فخرج شبيب فى أثر عبد السلام ، فهرب منهم حتى أتى قِنَّسرين ، فلحقه بها فقتله .

* * *

٣/٤٩٣ وفيها وضع المهدىُّ دواوين الأزِمّة[1] ، وولّى عليها عمر بن بَزِيع مولاه ، فولّى عمر بن بَزِيع النّعمانَ بن عثمان أبا حازم زمام خراج العراق .

وفيها أمر المهدىُّ أن يجرَى على المجذّمين وأهل السجون فى جميع الآفاق .

وفيها ولّى ثُمامة بن الوليد العبسىّ الصّائفة ، فلم يتمّ ذلك .

وفيها خرجت الرّوم إلى الحدَث ، فهدموا سورها .

وغزا الصّائفة الحسن بن قحطبة فى ثلاثين ألف مرتزق سوى المطّوّعة ، فبلغ حَمّة أذْرُولِيَة ، فأكثر التخريب والتحريق فى بلاد الروم من غير أن يفتح حصنًا ، ويلقى جمعًا ، وسمّته الروم التنّين . وقيل : إنه إنما أتى

---

(١) أى يكون لكل ديوان زمام ؛ وله رجل يضبطه .

هذه الحمّة الحسنُ ليستنقع فيها للوضَح[1] الذى كان به ؛ ثم قفل بالناس سالمين . وكان على قضاء عسكره وما يجتمع من الفيء حَفْص بن عامر السُّلَمىّ .

قال : وفيها غزا يزيد بن أسَيْد السُّلَمىّ من باب قاليقَلا ، فغنم وفتح ثلاثة حصون ، وأصاب سَبْيًا كثيراً وأسْرى .

وفيها عُزِل علىّ بن سليمان عن اليمن ، وولِّىَ مكانه عبد الله بن سليمان .

وفيها عُزِل سلمة بن رجاء عن مصر ، ووليها عيسى بن لقمان ، فى المحرّم ، ثم عزل فى جُمادى الآخرة ، ووليَها واضح مولى المهدىّ ، ثم عزل فى ذى القَعْدة ووليَها يحيى الحَرَشىّ .

وفيها ظهرت المحمّرة بجُرْجان ، عليهم رجل يقال له عبد القهار ، فغلب على جُرجان ، وقتل بشراً كثيراً ، فغزاه عمر بن العلاء من طَبَرِسْتان ، فقتل عبد القهار وأصحابه .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن جعفر بن المنصور ؛ وكان العباس ابن محمد استأذن المهدىّ فى الحجّ بعد ذلك ، فعاتبه على ألاّ يكون استأذنه قبل أن يولّىَ الموسم أحداً فيوليه إياه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، عمداً أخّرْتُ ذلك لأنى لم أرِد الولاية . ٣/٤٩٤

* * *

وكانت عمال الأمصار عمالها فى السنة التى قبلها . ثم إن الجزيرة كانت فى هذه السنة إلى عبد الصمد بن علىّ وطَبَرِستان والرُّويان إلى سعيد بن دَعْلَج ، وجُرجان إلى مهلهل بن صفوان .

(١) الوضح ، يكنى به عن البرص .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك ما كان فيها من هلاك المقنّع ؛ وذلك أن سعيداً الحَرَشىّ حصره بكش ، فاشتدّ عليه الحصار ، فلما أحسّ بالهلكة شرب سُمًّا ، وسقاه نساءه وأهله ، فمات وماتوا — فيما ذكر — جميعًا ، ودخل المسلمون قلعته ، واحتزّوا رأسه ، ووجّهوا به إلى المهدىّ وهو بحلب .

* * *

[ذكر خبر غزو الروم]

وفيها قطع المهدىّ البعوثَ للصائفة على جَميع الأجناد من أهل خُراسان وغيرهم ، وخرج فعسكر بالبَرَدان ، فأقام به نحواً من شهرين يتعبّأ فيه ويتهيّأ ، ويعطى الجنود ، وأخرج بها صِلات لأهل بيته الذين شخصوا معه ، فتوُفّىَ عيسى بن علىّ فى آخر جمادى الآخرة ببغداد . وخرج المهدىّ من الغد إلى البَرَدان متوجّهًا إلى الصائفة ، واستخلف ببغداد موسى بن المهدىّ ، وكاتبه يومئذ أبان بن صدقة ؛ وعلى خاتمه عبد الله بن عُلاثة ، وعلى حرسه علىّ بن عيسى ، وعلى شُرَطه عبد الله بن خازم[1] ؛ فذكر العباس بن محمد أنّ المهدىّ لما وجّه الرشيد إلى الصائفة سنة ثلاث وستين ومائة خرج يشيّعه وأنا معه ؛ فلما حاذى قصر مسلمة ، قلت : يا أمير المؤمنين ، إن لمسلمَة فى أعناقنا مِنّةً ؛ كان محمد بن علىّ مرّ به ، فأعطاه أربعة آلاف دينار ، وقال له : يابن عمّ هذان ألفان لدَينك ، وألفان لمعونتك ، فإذا نفدت فلا تحتشمنا . فقال لما حدثته الحديث : أحضِروا مَنْ هاهنا من ولد مسلَمة ومواليه ، فأمر لهم بعشرين ألف دينار ، وأمر أن تُجْرَى عليهم الأرزاق ، ثم قال : يا أبا الفضل ، كافأنا مسلمة وقضينا حقه ؟ قلت : نعم ، وزدتَ يا أمير المؤمنين .

٤٩٥/٣

(١) ط : « حازم » ، تصحيف ، صوابه من ا ، وانظر الفهرس .

وذكر إبراهيم بن زياد ، عن الهيثم بن عدىّ ، أن المهدىّ أغزى هارون الرشيد بلادَ الرّوم، وضمّ إليه الربيع الحاجب والحسن بن قحطبة .

قال محمّد بن العباس : إنّى لقاعد[١] فى مجلس أبى فى دار أمير المؤمنين وهو على الحرَس ؛ إذ جاء الحسن بن قحطبة ، فسلّم علىّ ، وقعد على الفراش الذى يقعد أبى عليه ، فسأل عنه فأعلمتُه أنه راكب ، فقال لى : يا حبيبى أعلمه أنى جئت ،وأبلغه السلام عنى ، وقل له : إن أحبّ أن يقول لأمير المؤمنين : يقول الحسن بن قحطبة : يا أميرَ المؤمنين ؛ جعلنى الله فداك ! أغزيتَ هارون ، وضممتنى والرّبيع إليه ، وأنا قريع قوّادك ، والربيع قريع مواليك ، وليس تطيب نفسى بأن نُخَلِّىَ[٢] جميعًا بابك ؛ فإمّا أغزيتنى مع هارون وأقام الربيع ، وإما أغزيتَ الربيع وأقمتُ ببابك . قال : فجاء أبى فأبلغته الرسالة ، فدخل على المهدىّ فأعلمه ، فقال : أحسن والله الاستعفاء ؛ لا كما فعل الحجام ابن الحجام – يعنى عامر بن إسماعيل – وكان استعفى[٣] من الخروج مع إبراهيم فغضب عليه ، واستصفى ماله .

٤٩٦/٣

وذكر عبد الله بن أحمد بن الوضّاح ، قال : سمعت جدى أبا بُديل ؛ قال : أغزى المهدىّ الرشيد ، وأغزى معه موسى بن عيسى وعبد الملك بن صالح بن علىّ ومولَيَىْ أبيه : الربيع الحاجب والحسن الحاجب ؛ فلمّا فصل دخلت عليه بعد يومين أو ثلاثة ، فقال : ما خلّفك عن ولىّ العهد ، وعن أخويْك خاصّة ؟ يعنى الربيع والحسن الحاجب . قلت : أمر أمير المؤمنين ومقامى بمدينة السلام حتّى يأذن لى . قال : فسرْ حتّى تلحق به وبهما ؛ واذكر ما تحتاج إليه . قال : قلت : ما أحتاج إلى شىء من العُدّة ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى وَداعه ! فقال لى : متى تراك خارجا ؟ قال : قلت من غد ، قال : فودّعته وخرجت ، فلحقت القوم . قال : فأقبلتُ أنظر إلى الرّشيد يخرج ، فيضرب بالصّوالجة، وأنظر إلى موسى بن عيسى وعبد الملك ابن صالح ؛ وهما يتضاحكان منه .

---

(١) س : « لما قعدت » . (٢) ج : « نخل » .
(٣) س : « يستعفى » .

قال : فصرت إلى الربيع والحسن — وكنّا لا نفترق—قال: فقلت : لا جزا كما الله عمّن وجّهكما ولا عمن وُجّهتما معه خيراً ؛ فقالا : إيه ، وما الخبر ؟ قال : قلت : موسى بن عيسى وعبد الملك بن صالح يتضاحكان من ابن أمير المؤمنين ، أوَمَا كنتما تقدران أن تجعلا لهما مجلساً يدخلان عليه فيه ولمن كان معه من القوّاد فى الجمعة يدخلون[(١] عليه ويخلّوه فى سائر أيامه لما يريد[١)] ! قال: فبينا نحن فى ذلك المسير إذ بعثا إلىّ فى الليل . قال : فجئت وعندهما رجل ، فقالا لى : هذا غلام الغمر بن يزيد ، وقد أصبنا[(٢)] معه كتاب الدولة . قال : ففتحت[(٣)] الكتابَ ، فنظرت فيه إلى سنِى المهدىّ فإذا هى عشر سنين . قال : فقلت : ما فى الأرض أعجب منكما ! أترَيان أنّ خبر هذا الغلام يخفَى ، وأن هذا الكتاب يستتر ! قالا : كلاّ ، قلت: فإذا كان أمير المؤمنين قد نقص من سنيه ما نقص، أفلستم أوّلَ مَنْ نعى إليه نفسَه ! قال : فتبلّدوا والله ، وسُقط فى أيديهما ، فقالا : فما الحيلةُ ؟ قلت : يا غلام علىّ بعنبسة — يعنى الوراق الأعرابى مولى آل أبى بديل — فأتِىَ به ، فقلت له : خطّ مثل هذا الخطّ ، وورقة مثل هذه الورقة ، وصيِّر مكان عشر سنين أربعين سنة ، وصيِّرها فى الورقة ، قال : فوالله لولا أنى رأيتُ العشر فى تلك والأربعين فى هذه ما شككت أن الخطّ ذلك الخط ، وأن الورقة تلك الورقة .

٤٩٧/٣

قال : ووجّه المهدىّ خالد بن برمك مع الرّشيد وهو ولىّ العهد حين وجّهه لغزو الروم، وتوجّه معه الحسن وسليمان ابنا برمك، ووجّه معه على أمر العسكر ونفقاته وكتابته والقيام بأمره يحيى بن خالد — وكان أمر هارون كلّه إليه — وصُيِّر الربيع الحاجب مع هارون يغزو عن المهدىّ ، وكان الذى[(٤)] بين الربيع ويحيى[(٥)] على حسب ذلك ؛ وكان يشاورهما ويعمل برأيهما ؛ ففتح الله عليهم فتوحاً كثيرة ، وأبلاهم فى ذلك الوجه بلاءً جميلا ، وكان لخالد فى ذلك بسمَالو أثر جميل لم يكن لأحد؛ وكان منجّمهم يسمى البرمكىّ تبرّكاً

٤٩٨/٣

(١ — ١) كذا وردت العبارة فى ا . (٢) س : « وجدنا » .
(٣) س : « ففتحنا » . (٤) ج : « ذلك » .
(٥) ا ، س : « وبين يحيى » .

به، ونظراً إليه . قال: ولما ندب المهدىّ هارون الرشيد لما ندبه له[1] من الغَزْو ، أمر أن يدخل عليه[2] كتّاب أبناء الدّعْوة لينظر إليهم ويختار له منهم رجلا .

قال يحيى : فأدخلونى عليه معهم ، فوقفوا بين يديه ، ووقفت آخرهم ، فقال لى : يا يحيى ، ادنُ ، فدنوت ، ثم قال لى : اجلس ، فجلست فجثوتُ بين يديه ، فقال لى : إنى قد تصفحت أبناء شيعتى وأهل دولتى ، واخترت منهم رجلاً لهارون ابنى أضمّه إليه ليقوم بأمر عسكره ، ويتولى كتابته ، فوقعتْ عليك خِيرتى له ، ورأيتك أوْلَى به؛ إذ كنت مربّيه وخاصّته ، وقد ولّيتك كتابته وأمْرَ عسكره . قال : فشكرتُ ذلك له ، وقبّلت يدَه ، وأمر لى بمائة ألف درهم معونةً على سفرى[3] ، فوُجّهت فى ذلك العسكر لما وُجّهت له[4] .

قال : وأوفد الربيعُ سليمانَ بن برمك إلى المهدىّ، وأوفد معه وفداً ، فأكرم المهدىّ وفادته وفضله ، وأحسن إلى الوفد الذين كانوا معه ، ثم انصرفوا من وجههم ذلك .

* * *

[عزل عبد الصمد بن علىّ عن الجزيرة وتولية زفر بن الحارث]

وفى هذه السنة؛ سنة مسير المهدىّ مع ابنه هارون ، عزل المهدىّ عبد الصمد ابن علىّ عن الجزيرة ، وولّى مكانه زفر بن عاصم الهلالىّ .

* ذكر السبب فى عزله إياه :

ذُكر أن المهدىّ سلك فى سَفْرته هذه طريق الموصل ، وعلى الجزيرة عبد الصمد بن علىّ ، فلما شخص المهدىّ من الموصل ، وصار بأرض الجزيرة ، لم يتلقّه عبد الصمد ولا هيّأ له نُزُلاً ، ولا أصلح له قناطر . فاضطغن ذلك عليه المهدىّ ، فلما لقيه تجهّمه وأظهر له جفاءً ، فبعث إليه عبد الصمد بألطافٍ لم يرضَها ، فردّها عليه ، وازْداد عليه سخطًا ، وأمر بأخذه بإقامة النُّزُل له ، فتبعبّث فى ذلك، وتقنّع ، ولم يزل يربى ما يكرهه إلى أن نزل حصن ٤٩٩/٣

---

(١) س : « إليه » .
(٢) ج : « إليه » .
(٣) س : « فى سفرى » .
(٤) ساقطة من ط ، وأثبتها من ا .

مسلمة ، فدعا به ، وجرى بينهما كلامٌ أغلظ له فيه القولَ المهدىّ ، فردّ عليه عبد الصمد ولم يحتمله ، فأمر بحبسه وعَزْله عن الجزيرة ، ولم يزل فى حبسه فى سفره ذلك وبعد أن رجع إلى أن رضى عنه . وأقام له العبّاس بن محمد النُّزُل ، حتى انتهى إلى حلَب ، فأتته البشرى بها بقتل المقنّع ، وبعث وهو بها عبد الجبار المحتسب بحلب من بتلك الناحية من الزنادقة . ففعل ، وأتاه بهم ، وهو بدابِق ، فقتل جماعة منهم وصلَبهم ، وأُتِىَ بكتب من كتبهم فقطِّعت بالسكاكين ثم عرض بها جندَه ، وأمر بالرحلة ، وأشخص جماعة ممّن وافاه من أهل بيته مع ابنه هارون إلى الروم ، وشيّع المهدىّ ابنَه هارون حتى قطع الدَّرْب ، وبلغ جيحان ، وارتاد بها المدينة التى تسمى المهديّة ، وودّع هارون على نهر جيحان . فسار هارون حتى نزل رستاقاً من رساتيق أرض الرُّوم فيه قَلْعة ، يقال لها سَمالو ، فأقام عليها ثمانيًا وثلاثين ليلة ، وقد نصب عليها المجانيق ، حتى فتحها الله بعد تخريب لها ، وعطش وجوع أصاب أهلها ، وبعد قتل وجراحات كانت فى المسلمين ؛ وكان فتحها على شروط شرطوها لأنفسهم : لا يُقتَلوا ولا يُرحّلوا ، ولا يُفرّق بينهم ؛ فأعطُوا ذلك ، فنزلوا ، ووفّى لهم ، وقفل هارون بالمسلمين[1] سالمين إلا من كان أصيب منهم بها . ٣/٥٠٠

* * *

وفى هذه السنة وفى سَفْرته هذه ، صار المهدىّ إلى بيت المقدس ، فصلّى فيه[2] ، ومعه العباس بن محمد والفضل بن صالح وعلىّ بن سليمان وخاله يزيد ابن منصور .

وفيها عزل المهدىّ إبراهيمَ بن صالح عن فلسطين ، فسأله يزيد بن منصور حتى ردّه عليها .

وفيها ولّى المهدىّ ابنَه هارون المغرب كله وأذْرَبيجان وإرمينيَة ، وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى ، وعلى رسائله يحيى بن خالد بن برمك .

---

(١) س : « وقفل بهم هارون » . (٢) س : « به » .

وفيها عزل زُفَر بن عاصم عن الجزيرة، وولّى مكانه عبد الله بن صالح ابن علىّ ، وكان المهدىّ نزل عليه فى مسيره[1] إلى بيت المقدس، فأعجب بما رأى من منزله بسَلَمْية .

وفيها عزل معاذ بن مسلم عن خُراسان وولاها المسيّب بن زهير .

وعزل فيها يحيى الحرَشىّ عن أصبهان ، وولّى مكانه الحكم بن سعيد .

وعزل فيها سعيد بن دَعْلج عن طَبَرستان والرُّويان ، وولاّهما عمر ابن العلاء ؛

وفيها عزل مُهلهل بن صفوان عن جُرجان ، وولاّها هشام بن سعيد. ٣/ ٥٠١

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة علىّ بن المهدىّ .

وكان على اليمامة والمدينة ومكة والطائف فيها جعفر بن سليمان ؛ وعلى الصلاة والأحداث بالكُوفة إسحاق بن الصباح ، وعلى قضائها شريك ، وعلى البصرة وأعمالها وكور دِجْلة والبحرين وعُمان والفُرَض وكور الأهواز وكُور فارس محمد بن سليمان ، وعلى خُراسان المسيّب بن زهير، وعلى السِّند نصر بن محمد ابن الأشعث .

(١) س : « ممره » .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من دَرب الحدَث ، فأقبل إليه ميخائيل البِطْريق — فيما ذكر — في نحو من تسعين ألفًا ، فيهم طازاذ الأرمنى البطريق ، ففشل عنه عبد الكبير ومنع المسلمين من القتال وانصرف ، فأراد المهدىّ ضرب عنقِه ، فكُلِّم فيه فحبسه فى المطبق .

وفيها عزل المهدىّ محمد بن سليمان عن أعماله ، ووجّه صالح بن داود على ما كان إلى محمد بن سليمان ، ووجّه معه عاصم بن موسى الخراسانىّ الكاتب على الخراج ، وأمره بأخذ حمّاد بن موسى كاتب محمد بن سليمان وعبيد الله بن عمر خليفته وعماله وتكشيفهم .

٥٠٢/٣

وفيها بَنَى المهدىّ بعيساباذ الكبرى قصراً من لَبِن ، إلى أن أسس قصره الذى بالآجرّ : الذى سماه قصر السلامة ؛ وكان تأسيسه إياه يوم الأربعاء فى آخر ذى القعدة .

وفيها شخص المهدىّ حين أسس هذا القصر إلى الكوفة حاجًّا ، فأقام برُصافة الكوفة أيّامًا ، ثم خرج متوجّهًا إلى الحجّ ، حتى انتهى إلى العَقَبة ، فغلاَ عليه وعلى مَنْ معه الماء ، وخاف ألاّ يحمله ومَنْ معه ما بين أيديهم ، وعرضتْ له مع ذلك حُمَّى ، فرجع من العقبة ، وغضب على يقطين بسبب الماء ؛ لأنه كان صاحبَ المصانع ، واشتدّ على الناس العَطَش فى منصرَفهم وعلى ظهورهم [1] حتى أشفَوْا على الهَلَكة .

وفيها تُوفِّىَ [2] نصر بن محمد بن الأشعث بالسند .

وفيها عزل عبد الله بن سليمان عن اليَمن عن سَخْطة ، ووجّه مَنْ يستقبله

(١) س : « دوابهم » . (٢) س : « مات » .

ويفتش متاعه ، ويحصى ما معه ، ثم أمر بحبسه[1] عند الرّبيع حين قدم ، حتى أقرّ من المال والجوهر والعنبر بما أقرّ به ، فردّه إليه ، واستعمل مكانه منصور بن يزيد بن منصور .

وفيها وجّه المهدىّ صالح بن أبى جعفر المنصور من العَقَبة عند انصرافه عنها إلى مكة ليحجّ بالناس ، فأقام صالح للناس الحجّ فى هذه السنة . ٣/٥٠٢

* * *

وكان العامل على المدينة ومكة والطائف واليمامة فيها جعفر بن سليمان ؛ وعلى اليمن منصور بن يزيد بن منصور ، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها هاشم ابن سعيد بن منصور ، وعلى قضائها شريك بن عبد الله ، وعلى صلاة البصرة وأحداثها وكُور دِجْلة والبحرين وعُمان والفرض وكُور الأهواز وفارس صالح ابن داود بن علىّ ، وعلى السِّند سطيح بن عمر ، وعلى خُراسان المسيّب بن زهير ، وعلى الموْصِل محمد بن الفضل . وعلى قضاء البصرة عبيد الله بن الحسن ، وعلى مصر إبراهيم بن صالح ؛ وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم ، وعلى طَبَرِسْتان والرّويان وجُرجان يحيى الحَرَشِىّ ، وعلى دُنْباوَنْد وقُومِس فراشة مولى أمير المؤمنين ، وعلى الرّىّ خلَف بن عبد الله ، وعلى سِجِسْتان سعيد بن دَعْلَج .

(١) ج : « ثم حبس » .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[غزوة هارون بن المهدىّ الصائفة ببلاد الروم]

فمن ذلك غزوة هارون بن محمد المهدىّ الصائفة ، ووجّهه أبوه — فيما ذكر — يوم السّبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة غازيًا إلى بلاد الروم ، وضمّ إليه الربيع مولاه ، فوغل هارون فى بلاد الروم ، فافتتح ماجِدة ، ولقيته خيول نقيطا قومِس القوامسة ، فبارزه يزيد بن مزيد ، فأرجل يزيد ، ثم سقط نقيطا ، فضربه يزيد حتّى أثخنَه ، وانهزمت الرُّوم ، وغلب يزيد على عسكرهم . وسار إلى الدُّمُسْتُق بنقُمودية وهو صاحب المسالح ، وسار هارون فى خمسة وتسعين ألفا وسبعمائة[1] وثلاثة وتسعين رجلاً ، وحمل لهم من العَيْن مائة ألف دينار وأربعة[2] وتسعين ألفا وأربعمائة وخمسين ديناراً ، ومن الوَرِق أحداً وعشرين ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة عشر ألفًا وثمانمائة درهم . وسار هارون حتّى بلغ خليج البحر الذى على القسطنطينية ، وصاحب الرُّوم يومئذ أغُسْطه امرأة أليون ؛ وذلك أن ابنها كان صغيراً قد هلك أبوه وهو فى حجرها ، فجرت بينهما وبين هارون بن المهدىّ الرّسل والسفراء فى طلب الصلح والموادعة وإعطائه الفِدْية ، فقبل ذلك منها هارون ، وشرط عليها الوفاء بما أعطت له ، وأن تقيم له الأدلاّء والأسواق فى طريقه ؛ وذلك أنه دخل مدخلا صعبًا[3] مخوّفا على المسلمين ، فأجابته إلى ما سأل ، والذى وقع عليه الصلح بينه وبينها تسعون أو سبعون ألف دينار ، تؤديها فى نيسان الأول فى كلّ سنة ، وفى حزيران ، فقبِل ذلك منها ، فأقامت له الأسواق فى منصرَفه ، ووجّهت معه رسولاً إلى المهدىّ بما بذلت على أن تؤدّى ما تيسّر من الذهب والفضة والعَرْض ، وكتبوا

٣/٥٠٤

(١) ابن الأثير : « وتسعمائة » . (٢) ابن الأثير : « ثلاثة » .
(٣) س : « ضيقا » .

كتاب الهدنة إلى ثلاث سنين، وسُلِّمت الأسارَى. وكان الذى أفاء الله على هارون إلى أن أذعنت الروم بالجزية خمسة آلاف رأس وستّمائة وثلاثة وأربعين رأسًا ، وقتل من الروم فى الوقائع أربعة وخمسون ألفًا ، وقتِل من الأسارى صبراً ألفان وتسعون أسيراً . ومما أفاء الله عليه من الدوابّ الذُّلل بأدراتها عشرون ألف دابّة، وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس . وكانت المرتزقة سوى المطّوعة وأهل الأسواق مائة ألف، وبيع البرذَوْن بدرهم، والبغل بأقلّ من عشرة دراهم، والدِّرْع بأقلّ من درهم وعشرين سيفًا بدرهم ، فقال مروان بن أبى حفصة فى ذلك :

٣/٥٠٥

أطفْتَ بِقُسْطَنْطِينَةِ الروم مُسْنِدًا إليها القَنَا حتى اكتسَى الذِّلَّ سورها[1]

وما رِمْتَها حتى أتتك مُلوكُهَا بِجِزْيتها . والحَرْبُ تغلِى قدورُها

* * *

وفيها عزل خلَف بن عبد الله عن الرىّ ، وولاّها عيسى مولى جعفر .

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن أبى جعفر المنصور .

وكانت عمّال الأمصار فى هذه السنة هم عمّالها فى السنة الماضية ؛ غير أن العامل على أحداث البصرة والصلاة بأهلها كان رَوْح بن حاتم ، وعلى كُور دِجْلة والبحرين وعُمان وكسْكَر وكُور الأهواز وفارس وكرمان كان المعلى مولَى أمير المؤمنين المهدىّ ، وعلى السِّند الليث مولى المهدىّ .

---

(١) الذل بالكسر : اللين .

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

٣/٥٠٦

فمن ذلك قفول هارون بن المهدىّ ؛ ومَن كان معه من خليج قسطنطينية في المحرّم لثلاث عشرة ليلة بقيت منه، وقدمت الروم بالجزية معهم ، وذلك — فيما قيل — أربعة وستون ألف دينار عدد الروميّة[١] وألفان وخمسمائة دينار عربية ، وثلاثون ألف رطل مَرْعِزىّ[٢] .

وفيها أخذ المهدىُّ البيعةَ على قُوّاده لهارون بعد موسى بن المهدىّ ، وسماه الرّشيد .

وفيها عَزل عبيد الله بن الحسن عن قضاء البصرة، وولّى مكانه خالد بن طَليق بن عمران بن حصين الخُزاعىّ ، فلم تُحمَد[٣] ولايته، فاستعفى أهل البصرة منه .

وفيها عزل جعفر بن سليمان عن مكة والمدينة ، وما كان إليه من العمل .

* * *

وفيها سخط المهدىّ على يعقوب بن داود .

ذكر الخبر عن غضب المهدىّ على يعقوب

ذكر علىّ بن محمد النوفلىّ ، قال : سمعت أبى يذكر ، قال : كان داود بن طَهْمان — وهو أبو يعقوب بن داود — وإخوته كتّابًا لنصر بن سيّار ، وقد كتب داود قبله لبعض وُلاة خراسان ؛ فلما كانت أيام يحيى بن زيد كان يدسّ إليه وإلى أصحابه بما يسمع من نصر ، ويحذّرهم ؛ فلما خرج أبو مسلم يطلب بدم يحيى بن زيد ويقتل قَتَلَته والمعيّنين عليه من أصحاب نصر ، أتاه داود ابن طَهْمان مطمئنًّا لما كان يعلم ممّا جرى بينه وبينه ، فآمنه أبو مسلم ، ولم

(١) س : « عدداً رومية » .
(٣) س : « فلم يحمدوا » .

(١) المرعزى : اللين من الصوف .

٥٠٧/٣ يعرض له في نفسه ، وأخذ أمواله التي استفاد أيام نصر ، وترك منازله وضيعته التي كانت له ميراثاً بمرو ، فلما مات داود خرج ولده أهلَ أدب وعلم بأيام الناس وسيرهم وأشعارهم، ونظروا فإذا ليست لهم عند بني العباس منزلة، فلم يطمعوا في خدمتهم لحال أبيهم من كتابة نصر ؛ فلما رأوا ذلك أظهروا مقالة الزيديّة ، ودنَوْا من آل الحسين ، وطمعوا أن يكون لهم دَوْلة فيعيشوا فيها . فكان يعقوب يجول البلاد منفرداً بنفسه ، ومع إبراهيم بن عبد الله أحياناً ، في طلب البيعة لمحمد بن عبد الله ، فلما ظهر محمد وإبراهيم بن عبد الله كتب عليّ ابن داود — وكان أسنّ من يعقوب — لإبراهيم بن عبد الله ، وخرج يعقوب مع عدّة من إخوته مع إبراهيم ؛ فلما قتِل محمد وإبراهيم توارَوْا من المنصور ، فطلبهم ، فأخذ يعقوب وعلياً فحبسهما في المطبَق أيّام حياته ، فلما تُوفّيَ المنصور منّ عليهما المهديّ فيمن منّ عليه بتخلية سبيله ، وأطلقهما . وكان معهما في المطبق إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن — وكانا لا يفارقانه — وإخوته الذين كانوا محتبَسين معه ، فجرت بينهم بذلك الصداقة . وكان إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن يرى أنّ الخلافة قد تجوز في صالحي بني هاشم جميعاً ، فكان يقول : كانت الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصلُح إلا في بني هاشم ؛ وهي في هذا الدهر لا تصلح إلا فيهم ؛ وكان يكثّر في قوله الأكبر من بني عبد المطلب ؛ وكان هو ويعقوب بن داود يتجاريان ذلك ؛ فلما خلّى ٥٠٨/٣ المهديّ سبيلَ يعقوب مكث المهديّ برهة من دهره يطلب عيسى بن زيد والحسن ابن إبراهيم بن عبد الله بعد هرب[1] الحسن من حبسه ، فقال المهديّ يوماً : لو وجدتُ رجلاً من الزيديّة له معرفة بآل حسن وبعيسى بن زيد ، وله فقه فأجتلبُه إليّ على طريق الفقه ، فيدخل بيني وبين آل حسن وعيسى بن زيد ! فدُلّ على يعقوب بن داود ، فأتِيَ به فأُدخِل عليه ، وعليه يومئذ فَرْوٌ وخُفّا كَبْل[2] وعمامة كَرابيس وكِساء أبيض غليظ . فكلّمه وفاتحه ، فوجده رجلاً كاملاً ، فسأله عن عيسى بن زيد ؛ فزعم النّاس أنه وعده الدخول بينه وبينه ، وكان يعقوب ينتفِي من ذلك ؛ إلاّ أنّ الناس قد رموْه بأن منزلته عند المهديّ إنما

---

(١) ج : « هروب » .
(٢) في اللسان :« فرو كبل كثير الصوف ثقيل » .

كانت للسعاية بآل علىّ . ولم يزل أمره يرتفع عند المهدىّ ويعلو حتى استوزره، وفوّض إليه أمر الخلافة ؛ فأرسل إلى الزيديّة ، فأتى بهم مَنْ كلّ أوب ، وولاهم من أمور الخلافة فى المشرق والمغرب كلّ جليل وعمل نفيس ، والدنيا كلها فى يديه ، ولذلك يقول بشار بن برد :

بَنِى أُمَيَّةَ هُبُّوا طالَ نَومكُمُ … إنَّ الخَلِيفَةَ يعقوبُ بن داودِ
ضاعَتْ خلافَتُكم يا قَوْمِ فاطَّلِبوا[1] … خَلِيفَةَ الله بَيْنَ الدُّفِّ والعودِ[2]

قال : فحسده موالى المهدىّ ، فسعوْا عليه .

ومما حظِيَ به يعقوب عندالمهدىّ ، أنه استأمنه للحسن بن إبراهيم بن عبد الله ، ودخل بينه وبينه حتى جمع بينهما بمكّة . قال : ولما علم آل الحسن بن علىّ بصنيعه استوحشوا منه ، وعلم يعقوب أنه إن كانت لهم دولة لم يعشْ فيها ، وعلم أنّ المهدىّ لا يناظره لكثرة السعاية به إليه ، فمال يعقوب إلى إسحاق بن الفضل ، وأقبل يربّصُ له الأمور وأقبلت السعايات تردُ على المهدىّ بإسحاق حتى قيل له : إن المشرق والمغرب فى يد يعقوب وأصحابه ؛ وقد كاتبهم ؛ وإنما يكفيه أن يكتب إليهم فيثوروا فى يوم واحدٍ على ميعاد ، فيأخذوا الدنيا لإسحاق بن الفضل ؛ فكان ذلك قد ملأ قلب المهدىّ عليه .

٣/٥٠٩

قال علىّ بن محمد النوفلىّ : فذكر لى بعض خدم المهدىّ أنه كان قائمًا على رأسه يومًا يذبّ عنه ، إذ دخل يعقوب ، فجثا بين يديه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قد عرفت اضطراب أمر مصر ، وأمرتنى أن ألتمس لها رجلا يجمع أمرها ، فلم أزل أرتاد حتى أصبت لها رجلا يصلح لذلك . قال : ومَنْ هو ؟ قال : ابن عمّك إسحاق بن الفضل ، فرأى يعقوب فى وجهه التغيّر[3] ، فنهض فخرج ، وأتبعه المهدىّ طرفه ، ثم قال : قتلنى الله إن لم أقتلك ! ثم رفع رأسه إلىّ وقال : اكتم علىّ ويلك ! قال : ولم يزل مواليه يحرّضونه عليه ويُوحشونه منه ، حتى عزم[4] على إزالة النعمة عنه .

---

(١) ابن الأثير : « فالتمسوا » .
(٢) ابن الأثير : « بين الناى والعود » .
(٣) ج : « التغيير » .
(٤) ج : « خرج » .

وقال موسى بن إبراهيم المسعوديّ: قال المهديّ: وُصف لى يعقوب بن داود فى منامى ، فقيل لى أن اتّخذْه وزيراً . فلما رآه ، قال : هذه والله الخلقة التى رأيتُها فى منامى ، فاتخذه وزيراً ، وحظِىَ عنده غاية الحظوة ، فمكث حيناً حتى بنى عيساباذ ، فأتاه خادم من خَدَمه — وكان حظيًّا عنده — فقال له : إن أحمد بن إسماعيل بن علىّ ، قال لى : قد بنى متنزَّهاً أنفق عليه خمسين ألف ألف من بيت مال المسلمين ، فحفظها عن الخادم ، ونسى أحمد ابن إسماعيل ، وتوهّمها على يعقوب بن داود ، فبينا يعقوب بين يديه إذْ لبّبه ، فضرب به الأرض ، فقال : مالى ولك يا أمير المؤمنين ! قال : ألست القائل : إنى أنفقت على متنزّه لى خمسين ألف ألف ! فقال يعقوب : والله ما سمعتْه أذناى ، ولا كتبه الكرام الكاتبون ؛ فكان هذا أوّل سبب أمره . ٥١٠/٣

قال : وحدّثنى أبى ، قال : كان يعقوب بن داود قد عرف عن المهدىّ خلعاً واستهتاراً بذكر النساء والجماع ، وكان يعقوب بن داود يصف من نفسه فى ذلك شيئاً كثيراً ، وكذلك كان المهدىّ ، فكانوا يخلُون بالمهدىّ ليلا فيقولون : هو على أن يصبح فيثور بيعقوب ؛ فإذا أصبح غدا عليه يعقوب وقد بلغه الخبر ؛ فإذا نظر إليه تبسّم ، فيقول : إنّ عندك لخبراً ! فيقول : نعم ، فيقول : اقعد بحياتى فحدّثنى ، فيقول : خلوت بجاريتى البارحة ، فقالت وقلت ، فيصنع لذلك حديثاً ، فيحدّث المهدىّ بمثل ذلك ، ويفترقان على الرضا ، فيبلغ ذلك مَنْ يسعى على يعقوب ، فيتعجّب منه .

قال : وقال لى الموصلىّ : قال يعقوب بن داود للمهدىّ فى أمر أراده : هذا والله السرف ، فقال : ويلك ! وهل يحسن السرف إلا بأهل الشرف ! ويْلك يا يعقوب ، لولا السرف لم يعرَف المكثِرون من المقترين !

وقال علىّ بن يعقوب بن داود عن أبيه ، قال : بعث إلىّ المهدى يوماً ، فدخلت عليه ، فإذا هو فى مجلس مفروش بفَرْش مُوَرّد متناهٍ فى السرور[1] على بستان فيه شجر ، ورءوس[2] الشجر مع صحن المجلس ، وقد اكتسى ٥١١/٣

(١) ج : « فى الحسن » . (٢) ج : « وبين » .

ذلك الشجر بالأوراد[١] والأزهار من الخَوْخ والتفاح ، فكلّ ذلك موردّ يشبه فرش المجلس الذى كان فيه ، فما رأيت شيئًا أحسنَ منه ؛ وإذا عنده جارية ماراْيتُ أحسنَ منها ، ولا أشطّ قَوامًا ، ولا أحسن اعتدالاً ، عليها نحو تلك الثياب ، فما رأيت أحسن من جملة ذلك. فقال لى : يا يعقوب ، كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قلت : على غاية الحسن ، فمتّع الله أمير المؤمنين به ، وهنّأه إياه ، فقال : هو لك ، احمله بما فيه وهذه الجارية[٢] ليتمّ سرورك به . قال : فدعوت له بما يجب[٣] . قال : ثم قال : يايعقوب ، ولى إليك حاجة ، قال : فوثبتُ قائمًا ثم قلت : يا أميرَ المؤمنين ، ما هذا إلا من موجدة[٤] ، وأنا أستعيذ بالله من سخط أمير المؤمنين ! قال : لا ، ولكن أحبّ أن تضمن لى قضاء هذه الحاجة فإنى لم أسألكها من حيث تتوهّم ، وإنما قلت ذلك على الحقيقة ، فأحبّ أن تضمنَ لى هذه الحاجة وأن تقضيَها لى ، فقلت : الأمر لأمير المؤمنين وعلىّ السمع والطاعة ، قال : — والله— قلت والله ثلاثًا— قال: وحياة رأسى ! قلت : وحياة رأسك ، قال : فضع يدك عليه واحلف به ، قال : فوضعت يدى عليه ، وحلفت له به لأعملنّ بما قال ، ولأقضينّ حاجته . قال : فلما استوثق منى فى نفسه ، قال : هذا فلان بن فلان ، من ولد علىّ ، أحبّ أن تكفينى مؤونته ، وتريحنى منه ، وتعجِّل ذلك . قال : قلت : أفعل، قال: فخذه إليك ، فحوّلته إلىّ ، وحوّلت الجارية وجميع ما كان فى البيت من فرش وغير ذلك ، وأمر لى معه بمائة ألف درهم . ٥١٢/٣

قال : فحملت ذلك جملة ، ومضيتُ به ، فلشدّة سرورى بالجارية صيّرتها فى مجلس بينى وبينها ستر ، وبعثتُ إلى العلوىّ ، فأدخلته على نفسى ، وسألته عن حاله ، فأخبرنى بها ، وبجُمَلٍ منها ، وإذا هو ألبّ الناس وأحسنُهم إبانة .

قال : وقال لى فى بعض ما يقول : وَيْحك يا يعقوب ! تلقى الله بدمى ، وأنا رجل من ولد فاطمة بنت محمد ! قال : قلت : لا والله، فهل فيك خير ؟

---

(١) ج : « بالأنوار » . (٢) س : « وخذه والجارية » .
(٣) ا ، ج : « يجب » . (٤) ا : « لموجدة » ، س : « بموجدة » .

قال : إن فعلتَ خيراً شكرتُ ولك عندى دعاء واستغفار . قال : فقلت له أىّ الطرق أحبُّ إليك ؟ قال : طريق كذا وكذا ، قلتُ : فمَنْ هناك ممّن تأنس به وتثق بموضعه ؟ قال : فلان وفلان ، قلت : فابعث إليهما ، وخُذْ هذا المال ، وامض معهما مصاحبًا فى ستر الله ، وموعدك وموعدهما للخروج من دارى إلى موضع كذا وكذا — الذى اتفقوا عليه — فى وقت كذا وكذا من الليل ؛ وإذا الجاريةُ قد حفظت علىّ قولى ؛ فبعثتْ به مع خادم لها إلى المهدىّ، وقالت : هذا جزاؤك من الذى آثرته على نفسك ؛ صنع وفعل كذا وكذا ؛ حتى ساقت الحديث كلّه . قال : وبعث المهدىّ من وقته ذلك ، فشحن تلك الطرُق والمواضع التى وصفها يعقوب والعلوىّ برجاله ، فلم يلبث أن جاءوه بالعلوىّ بعينه وصاحبيْه والمال ، على السجيّة التى حكتها الجارية . قال : وأصبحتُ من غدِ ذلك اليوم ، فإذا رسولُ المهدىّ يستحضرنى — قال : وكنتُ خالىَ الذرع غيرُ ملقٍ إلى أمر العلَوىّ بالاً[1] حتى أدخُل على المهدىّ، وأجده على كرسىّ بيده مخصرة — فقال : يا يعقوب ، ما حال الرجل ؟ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، قد أراحك الله منه ، قال : مات ؟ قلت : نعم ، قال : والله ، ثم قال : قم فضع يدَك على رأسى ؛ قال : فوضعت يدى على رأسه ، وحلفتُ له به . قال : فقال : يا غلام ، أخرج إلينا ما فى هذا البيت[2] ، قال : ففتح بابه عن العلوىّ وصاحبيه والمال بعينه . قال : فبقيتُ متحيّراً ؛ وسُقِط[3] فى يدى ، وامتنع منى الكلام ، فما أدرى ما أقول ! قال : فقال المهدىّ : لقد حلّ لى دمك لو آثرتُ إراقته ، ولكن احبسوه فى المطبَق ؛ ولا أُذكَّر به ، فحبِستُ فى المطبَق ، واتُّخذ لى فيه بئرٌ فدُلّيت فيها ، فكنت كذلك أطولَ مدّة لا أعرف عدد الأيام[4] وأصِبْتُ ببصرى ، وطال شعرى ؛ حتى استرسل كهيئة شعور البهائم . قال : فإنى لكذلك ، إذ دُعى بى فمُضِىَ بى إلى حيث لا أعلم أين هو ، فلم أعْدُ أن قيل لى : سلّم على أمير المؤمنين ، فسلمت ، فقال : أىّ أمير المؤمنين أنا ؟ قلت : المهدىّ ، قال : رحم الله المهدىّ ، قلت : فالهادى ؟ قال : رحم الله الهادى ، قلت : فالرّشيد ؟ قال : نعم ؛ قلت : ما أشكّ فى وقوف[5]

٥١٣/٣

(١) كذا فى م . (٢) ج : « من فى هذ البيت » . (٣) ج : « وأسقط » .
(٤) ا : « طول مدة لا أعددها » . (٥) ا : « وقوع » .

أمير المؤمنين على خبرى وعلّتى وما تناهتْ إليه حالى ، قال : أجل ، كلّ ذلك عندى قد عرف أمير المؤمنين ، فسَلْ حاجتَك ، قال : قلت : المقام بمكّة ، قال : نفعل ذلك ، فهل غير هذا ؟ قال : قلت : ما بقى فىّ مستَمتع لشىء ولا بلاغ ، قال : فراشداً . قال : فخرجتُ فكان وجهى إلى مكة . قال ابنه : ولم يزل بمكة فلم تطُل أيامه بها حتى مات .

٣/٥١٤ قال محمد بن عبد الله : قال لى أبى : قال يعقوب بن داود : وكان المهدىّ لا يشرب النّبيذَ إلاّ تحرّجًا[1] ؛ ولكنه كان لا يشتهيه ؛ وكان أصحابه : عمر بن بزيع والمعلّى مولاه والمفضّل ومواليه يشربون عنده بحيث يراهم ، قال : وكنت أعظُه فى سَقْيهم النبيذ وفى السماع ، وأقول : إنه ليس على هذا استوزرتَنى ولا على هذا صحبتك ؛ أبعْد الصّلوات الخمس[2] فى المسجد الجامع ، يُشرب عندك النبيذ وتسمع السماع ! قال : فكان يقول : قد سمع عبدُ الله بن جعفر ، قال : قلت : ليس هذا من حسناته ؛ لو أنّ رجلا سمع فى كلّ يوم كان ذلك يزيده قربة من الله أو بعداً !

وقال محمد بن عبد الله : حدّثنى أبى ، قال : كان أبى يعقوب بن داود قد ألحّ على المهدىّ فى حَسْمه عن السماع وإسقائه النبيذ حتى ضيّق عليه ؛ وكان يعقوب قد ضجِر بموضعه ، فتاب إلى الله مما هو فيه ؛ واستقبل وقدّم النّيّة فى تركه موضعه . قال : فكنت أقول للمهدىّ : يا أمير المؤمنين ؛ والله لشربةُ خمر أشربها أتوب إلى الله منها أحبّ إلىّ مما أنا فيه ؛ وإنى لأركب إليك فأتمنى يداً خاطئة تصيبنى فى الطريق ، فأعفنى وولِّ غيرى مَنْ شئت ؛ فإنى أحبّ أن أسلّم عليك أنا وولدى ؛ ووالله إنى لأتفزّع فى النوم ؛ ولّيتَنى أمور المسلمين[3] وإعطاء الجند ، وليس دنياك عوضًا من آخرتى . قال : فكان يقول لى : اللهم غفراً ! اللهم أصلح قلبه ، قال : فقال شاعر له :

فَدَعْ عنك يعقوبَ بنَ داودَ جانباً وأقبِلْ على صَهباءَ طَيّبةِ النَّشرِ

---

(١) كذا فى ا ، س ، وفى ط : « لا تحرجا » .
(٢) س : « صلاة الخمس » ، ابن الأثير : « بعد الصلوات الخمس » .
(٣) ج : « الناس » .

٣/٥١٥

قال عبد الله بن عمر : وحدّثنى جعفر بن أحمد بن زيد العلوىّ ، قال : قال ابن سلاّم : وهب المهدىّ لبعض ولد يعقوب بن داود جارية ، وكان بضَعف[1] قال : فلمّا كان بعد أيام ، سأله عنها ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ ما رأيتُ مثلها ، ما وضعتُ بينى وبين الأرض مطيّةً أوطأ منها حاشا سامع . فالتفت المهدىّ إلى يعقوب ، فقال له : من تراه يَعْنى ؟ يعنينى أو يعنيك ؟ فقال له يعقوب : من كلّ شىء تحفظ الأحمقَ إلا من نفسه .

وقال علىّ بن محمد النوفلىّ : حدّثنى أبى ، قال : كان يعقوب بن داود يدخلُ على المهدىّ فيخلو به ليلاً يحادثه ويسامره ؛ فبينا هو ليلةً عنده ؛ وقد ذهب من الليل أكثرُه ، خرج يعقوب من عنده ، وعليه طيلسان مصبوغ هاشمىّ ؛ وهو الأزرق الخفيف ؛ وكان الطّيْلسان قد دق دقّاً شديداً فهو يتقعقع[2] ، وغلام آخذ بعنان دابّة له شهباء[3] ، وقد نام الغلام ، فذهب يعقوب يسوّى طيلسانَه فتقعقع ، فنفر البِرْذونُ ، ودنا منه يعقوب ، فاستدبره فضربه ضربة على ساقه فكسرها ، وسمع المهدىّ الوجبةَ ، فخرج حافياً ؛ فلما رأى ما به أظهر الجزع والفَزَع ، ثم أمر به فحمل فى كرسىّ إلى منزله ، ثم غدا عليه المهدىّ مع الفجر ؛ وبلغ ذلك الناس ، فغدَوْا عليه ؛ فعاده أياماً ثلاثة متتابعة ، ثم قعد عن عيادته[4] ، وأقبل يرسل[5] إليه يسأله عن حاله ؛ فلما فَقَد وجهه ، تمكن السعاة من المهدىّ ، فلم تأتِ عليه عاشرة حتى أظهر السّخط عليه ، فتركه فى منزله يعالج ، ونادى فى أصحابه : لا يوجد أحدٌ عليه طيلسان يعقوبىّ ، وقلنسوة يعقوبية إلاّ أخذت ثيابُه . ثم أمر بيعقوب فحبِس فى سجن نصر .

٣/٥١٦

قال النوفلىّ : وأمر المهدىّ بعزْل أصحاب يعقوب عن الولايات فى الشَّرْق والغرب ، وأمر أن يؤخذ أهلُ بيته ، وأن يُحبَسُوا ففعل ذلك بهم .

وقال علىّ بن محمد : لما حبِس يعقوب بن داود وأهل بيته ، وتفرّق عماله

---

(١) ج : « لضعف » . ا : « يضعف » . (٢) يتقعقع ، أى يحدث صوتاً .
(٣) ا : « أشهب » . (٤) ج : « عادته » .
(٥) ج : « وارسل » .

واختفوْا وتشرّدوا ، أذكَر المهدىّ قصّته وقصة إسحاق بن الفضل ، فأرسل إلى إسحاق ليلا وإلى يعقوب ، فأتِيَ به من محبسه ، فقال : ألم تخبرنى بأنّ هذا وأهل بيته يزعمون أنّهم أحق بالخلافة منا أهلَ البيت ؛ وأن لهم الكبر علينا ! فقال له يعقوب : ما قلتُ لك هذا قطّ ، قال : وتكذّبنى وتردّ علىّ قولى ! ثم دعا له بالسِّياط فضربه اثنى عشر سوطًا ضربًا مبرّحًا ، وأمر به فرُدّ إلى الحبس .

قال : وأقبل إسحاق يحلِف أنه لم يقُلْ هذا قطّ ، وأنه ليس من شأنه. وقال فيما يقول : وكيف أقول هذا يا أمير المؤمنين ، وقد مات جدّى فى الجاهليّة وأبوك الباقى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارثه ! فقال : أخرجوه ، فلما كان من الغد دعا بيعقوب ، فعاوده الكلام الذى كلمه فى ليلته ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لا تعجل علىّ حتى أذكّرك ، أتذكر وأنت فى طارمة[1] على النّهر ؛ وأنت فى البستان وأنا عندك ؛ إذ دخل أبو الوزير — قال علىّ : وكان أبو الوزير ختَنَ يعقوب بن داود على ابنة صالح بن داود — فخبّرك هذا الخبر عن إسحاق ؟ قال : صدَقت يا يعقوب ، قد ذكرتُ ذلك ، فاستحى المهدىّ ، واعتذر إليه من ضربه ، ثم ردّه إلى الحبس ، فمكث محبوسًا أيام المهدىّ وأيام موسى كلّها حتى أخرجه الرّشيد بميله كان إليه فى حياة أبيه . ٣/٥١٧

* * *

وفيها خرج موسى الهادى إلى جُرجان ، وجعل على قضائه أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم .

وفيها تحوّل المهدىّ إلى عيساباذ فنزلها ، وهى قصر السلامة ، ونزل الناس بها معه ، وضرب بها الدنانير والدراهم .

وفيها أمر المهدىّ بإقامة البَريد بين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين مكّة واليمن ؛ بغالاً وإبلا ؛ ولم يُقَم هنالك بريدٌ قبل ذلك .

وفيها اضطربت خُراسان على المسيِّب بن زهير ، فولاّها الفضل بن سليمان

---

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة ، وهو دخيل أعجمى معرب .

الطوسىّ أبا العباس ، وضمّ إليه معها سِجِسْتان ؛ فاستخلف على سِجِسْتان تميم بن سعيد بن دَعْلَج بأمر المهدىّ .

وفيها أخذ داود بن روح بن حاتم وإسماعيل بن سليمان بن مجالد ومحمد ابن أبى أيوب المكى ومحمد بن طيفور فى الزّندقة ، فأقرّوا ، فاستتابهم المهدىّ وخلّى سبيلَهم ، وبعث بداود بن روْح إلى أبيه روح ؛ وهو يومئذ بالبَصْرة عاملا عليها ، فمنّ عليه ، وأمره بتأديبه .

وفيها قدم الوضّاح الشرَوىّ بعبد الله بن أبى عبيد الله الوزير — وهو معاوية ابن عبيد الله الأشعرىّ من أهل الشأم — وكان الذى يسعى به ابن شَبَابة وقد رُمِىَ بالزندقة . وقد ذكرنا أمره ومقتله قبل .

وفيها ولّى إبراهيم بن يحيى بن محمد على المدينة ؛ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الطائف ومكة عبيد الله بن قُثَم .

وفيها عزل منصور بن يزيد بن منصور عن اليَمَن ، واستعمل مكانه عبد الله بن سليمان الربَعىّ .

٣/ ٥١٨ وفيها خلّى المهدىّ عبد الصمد بن علىّ من حبسه الذى كان فيه .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد .

وكان عامل الكوفة فى هذه السنة على الصلاة وأحداثها هاشم بن سعيد ، وعلى صلاة البصرة وأحداثها رَوْح بن حاتم ، وعلى قضائها خالد بن طَليق ، وعلى كور دِجلة وكَسْكر وأعمال البصرة والبَحْرين وكور الأهواز وفارس وكرمان المعلى مولى أمير المؤمنين ، وعلى خراسان وسجستان الفضل بن سليمان الطوسىّ ، وعلى مصر إبراهيم بن صالح ، وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم ، وعلى طَبَرِستان والرُّويان وجُرْجان يحيى الحَرَشىّ . وعلى دَنْباوند وقُومِس فَراشة مولى المَهدىّ ، وعلى الرّىّ سعد مولى أمير المؤمنين .

ولم يكن فى هذه السنة صائفة ؛ للهُدْنة التى كانت فيها .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة

ذكر الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك ما كان من توجيه المهدىّ ابنَه موسى فى جَمْع كثيف من الجُنْد، وجهاز لم يُجهَّز – فيما ذكر – أحد بمثله، إلى جُرجان لحرب وَنْداهُرْمُز وشَرْوِين صاحبَىْ طبرستان ، وجعل المهدىّ حين جهز موسى إليها أبان بن صدقة على رسائله ، ومحمد بن جُميل على جنده ، ونُفَيعًا مولى المنصور على حجابته ، وعلىّ بن عيسى بن ماهان على حرسه ، وعبد الله بن خازم[1] على شُرَطه ؛ فوجّه موسى الجنود إلى وانداهرمز وشروين، وأمّر عليهم يزيد بن مَزْيد، فحاصرهما .

٣/٥١٩

وفيها تُوُفِّىَ عيسى بن موسى بالكوفة ، وولى الكوفة يومئذ رَوْح بن حاتم ، فأشهد روحُ بن حاتم على وفاته القاضىَ وجماعة من الوجوه، ثم دُفن . وقيل إنّ عيسى بن موسى توفّىَ وروح على الكوفة ، لثلاث بقين من ذى الحجة ، فحضر رَوْح جنازته ، فقيل له : تقدّم فأنت الأمير ، فقال : ما كان الله ليَرى روحا يصلّى على عيسى بن موسى ؛ فليتقدّم أكبر ولده ، فأبوا عليه وأبى عليهم ، فتقدم العباس بن عيسى ، فصلّى على أبيه . وبلغ ذلك المهدىّ ، فغضب على روح ، وكتب إليه :

قد بلغنى ما كان من نُكوصك عن الصّلاة على عيسى ؛ أبنفسك ، أم بأبيك ، أم بجدّك كنت تصلى عليه ! أوليس إنما ذلك مقامى لو حضرتُ . فإذ غبتُ كنتَ أنت أولى به لموضعك من السلطان !

وأمر بمحاسبته ؛ وكان يلى الخراج مع الصّلاة والأحداث .

وتوفّىَ عيسى والمهدىّ واجدٌ عليه وعلى ولده ؛ وكان يكره التقدّم عليه لجلالته .

---

(١) ط « حازم » ، وهو خطأ ، صوابه من ا .

٣/٥٢٠ وفيها جدّ المهدىّ فى طلب الزنادقة والبحث عنهم فى الآفاق وقتلهم، وولّى أمرهم عمر الكلواذىّ ، فأخذ يزيدَ بن الفيض كاتب المنصور ، فأقر — فيما ذكر — فحبس ، فهرب من الحبس ، فلم يقدَر عليه .

وفيها عزل المهدىّ أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل ، وولّاه الربيع الحاجب ، فاستخلف عليه سعيد بن واقد ؛ وكان أبو عبيد الله يدخل على مرتبته .

وفيها فشا الموت ، وسعال شديد ووباء شديد ببغداد والبصرة .

وفيها تُوفّىَ أبان بن صدقة بجُرجان، وهو كاتب موسى على رسائله ، فوجّه المهدىّ مكانه أبا خالد الأحول يزيد خليفة أبى عبيد الله .

وفيها أمر المهدىّ بالزيادة فى المسجد الحرام ؛ فدخلت فيه دور كثيرة. وولّى بناء ما زيد فيه يقطين بن موسى ، فكان فى بنائه إلى أن توفّىَ المهدىّ .

وفيها عُزل يحيى الحرشىّ عن طبرستان والرُّويان ؛ وما كان إليه من تلك الناحية، وولّيَها عمر بن العلاء ، وولّىَ جُرجان فَراشة مولى المهدىّ، وعزل عنها[1] يحيى الحرَشىّ .

وفيها أظلمت الدنيا لليالٍ بقين من ذى الحجّة، حتى تعالى النهار.

ولم يكن فيها صائفة ، للهدنة التى كانت بين المسلمين والرّوم .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد وهو على المدينة ، ثم توفّىَ بعد فراغه من الحجّ وقدومه المدينة بأيام،وولّىَ مكانه إسحاق بن عيسى ابن علىّ .

وفيها طُعن عقبة بن سلم الهُنائىّ بعيساباذ ، وهو فى دار عمر بن بزيغ ؛ ٣/٥٢١ اغتاله رجل ، فطعنه بخنجر ، فمات فيها .

* * *

(١) س : « فيها » .

وكان العامل على مكّة والطائف فيها عبيد الله بن قُثَم ، وعلى اليمن سليمان بن يزيد الحارثيّ ، وعلى اليمامة عبد الله بن مُصعب الزُّبيريّ ، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها رَوْح بن حاتم، وعلى صلاة البصرة وأحداثها محمد بن سليمان، وعلى قضائها عمر بن عثمان التيميّ، وعلى كور دجْلة وكَسْكَر وأعمال البصرة والبحرين وعُمان وكُور الأهواز وفارس وكَرْمان المعلّى مولى المهديّ .

وعلى خراسان وسِجِسْتان الفَضْل بن سليمان الطوسيّ .

وعلى مصر موسى بن مصعب . وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم .

وعلى طبرستان والرُّويان عمر بن العلاء ، وعلى جرجان ودَنْباوند وقُومِس فراشة مولى المهديّ ، وعلى الرّيّ سعد مولى أمير المؤمنين .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من نقض الرّوم الصّلح الذى كان جرى بينهم وبين هارون بن المهدىّ الذى ذكرناه قبلُ وغدرِهم ؛ وذلك فى شهر رمضان من هذه السنة ؛ فكان بين أول الصلح وغدر الروم ونكثهم به اثنان وثلاثون شهراً ؛ فوجّه علىّ بن سليمان وهو يومئذ على الجزيرة وقنّسرين يزيد بن بدر بن البطّال فى سَرِيّة[١] إلى الرّوم فغنموا وظفروا .

وفيها وجّه[٢] المهدىّ سعيداً الحرَشىّ إلى طبرستان فى أربعين ألف رجل .

وفيها مات عمر الكلواذىّ صاحب الزنادقة ، وولّىَ مكانه حمدَوَيْه ، وهو محمد بن عيسى من أهل مَيْسان . ٥٢٢/٣

وفيها قتل المهدىّ الزنادقة ببغداد .

وفيها ردّ المهدىّ ديوانه وديوان أهل بيته إلى المدينة ونقله من دمشق إليها .

وفيها خرج المهدىّ إلى نهر الصّلة أسفل واسط — وإنما سُمّى نهر الصّلة فيما ذكر لأنه أراد أن يُقطِع أهل بيته وغيرهم غَلّته ؛ يصلهم بذلك .

وفيها ولّى المهدىّ علىّ بن يقطين ديوان زمام الأزمّة على عمر بن بزيع .

وذكر أحمد بن موسى بن حمزة ، عن أبيه ، قال : أوّل مَنْ عمل ديوان الزّمام عمر بن بزيع فى خلافة المهدىّ ؛ وذلك أنّه لمّا جُمعت له الدواوين تفكّر ؛ فإذا هو لا يضبطها إلاّ بزمام يكون له على كلّ ديوان ؛ فاتخذ دواوين الأزمّة ، وولّى كل ديوان رجلاً ، فكان واليه على زمام ديوان الخراج إسماعيل ابن صُبيح ؛ ولم يكن لبنى أمية دواوين أزمّة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة علىّ بن محمد المهدىّ الذى يقال له ابن رَيْطة .

---

(١) فى القاموس : « السرية من خمسة أنفس إلى ثلثمائة أو أربعمائة » ، وفى س : « فى خيل » .
(٢) ج : « أوفد » .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

* * *

[ذكر الخبر عن خروج المهدىّ إلى ماسبَذان]

فممّا كان فيها من ذلك خروج المهدىّ فى المحرّم إلى ما سَبَذان .

* ذكر الخبر عن خروجه إليها : ٣/٥٢٢

ذكر أن المهدىّ كان فى آخر أمره قد عزم على تقديم هارون ابنه على ابنه موسى الهادى ، وبعث إليه وهو بجُرجان بعض أهل بيته ليقطع أمر البيعة ، ويقدّم الرّشيد فلم يفعل ، فبعث إليه المهدىّ بعضَ الموالى، فامتنع عليه موسى من القدوم ، وضرب الرّسول، فخرج المهدىّ بسبب موسى وهو يريده بجُرجان فأصابه ما أصابه .

وذكر الباهلىّ أن أبا شاكر أخبره — وكان من كتّاب المهدىّ على بعض دواوينه — قال : سأل علىّ بن يقطين المهدىَّ أن يتغدّى عنده ، فوعده أن يفعل ، ثم اعتزم على إتيان ما سَبَذان ؛ فوالله لقد أمَر بالرحيل كأنه يُساق إليها سوقًا ، فقال له علىّ : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنك قد وعدتنى أن تتغدّى عندى غدًا ، قال : فاحمل غَدَاءك إلى النَّهرَوان . قال : فحمله فتغدّى بالنَّهروان ، ثم انطلق .

وفيها توفّى المهدىّ .

* * *

[ذكر الخبر عن موت المهدىّ]

* ذكر الخبر عن سبب وفاته :

اختُلف فى ذلك ، فذكر عن واضح قَهرمان المهدىّ ، قال : خرج المهدىّ يتصيّد بقرية يقال لها الرّذّ بماسَبَذان ، فلم أزل معه إلى بعد العصر ،

وانصرفت إلى مضربى — وكان بعيداً من مضربه — فلما كان فى السَّحَر الأكبر ركبت لإقامة الوظائف ، فإنى لأسير فى بريّة ، وقد انفردت عمّن كان معى من غلمانى وأصحابى ؛ إذ لقينى أسود عريان على قَتَد[1] رَحْل ، فدنا منى ؛ ثم قال لى : أبا سهل ، عظّم الله أجرك فى مولاك أمير المؤمنين! فهممتُ أن أعلوه بالسوط ، فغاب من بين يدىّ ؛ فلما انتهيتُ إلى الرِّواق لقينى مسرور ، فقال لى : أبا سهل، عظم الله أجرك فى مولاك أمير المؤمنين ! فدخلت فإذا أنا به مسجًّى فى قبَّة ، فقلت : فارقتكم بعد صلاة العصر ؛ وهو أسرّ ما كان حالا وأصحّه بدنًا ، فما كان الخبر ؟ قال : طردت الكلابُ ظبيًا ، فلم يزل يتبعها ، فاقتحم الظبى باب خربة ، فاقتحمت الكلاب خلفه، واقتحم الفرس خلف الكلاب ، فدُقّ ظهرُه فى باب الخربة ، فمات من ساعته . ٣/٥٢٤

وذكر أن علىّ بن أبى نعيم المروزىّ ، قال : بعثتْ جارية من جوارى المهدىّ إلى ضَرّة لها بلِبَإ[2] فيه سمّ ؛ وهو قاعد فى البستان، بعد خروجه من عيساباذ ، فدعا به فأكل منه ، ففرِقت الجارية أن تقول له : إنه مسموم .

وحدّثنى أحمد بن محمد الرازىّ ، أن المهدىّ كان جالسًا فى عُلّيّة فى قصر بماسَبَذان ، يُشرف من منظرة فيها على سفله ، وكانت جاريته حَسَنة، قد عمدت إلى كُمّثراتين كبيرتين[3] ، فجعلتهما فى صينيّة ، وسمّت واحدة منهما وهى أحسنهما وأنضجهما فى أسفلها ، وردّت القمع فيها ، ووضعتها فى أعلى الصينيّة — وكان المهدىّ يعجبه الكُمّثرى — وأرسلت بذلك مع وصيفة لها إلى جارية للمهدىّ — وكان يتحظّاها — تريد بذلك قتلها ، فمرّت الوصيفة بالصينيّة التى فيها تلك الكُمّثرى ، تريد دفعها إلى الجارية التى أرسلتها حَسَنة إليها ، بحيث يراها المهدىّ من المنظرة ، فلما رآها ورأى معها الكمثرى ؛ دعا بها ، فمدّ يده إلى الكُمّثراة التى فى أعلى الصينيّة وهى المسمومة ، فأكلها ، فلما وصلت إلى جوفه صرخ : جوفى! وسمعت حَسَنة الصوت ، وأخبرت الخبر ، فجاءت ٣/٥٢٥

---

(١) القتد : من أدوات الرحل .
(٢) اللبأ : أول اللبن . (٣) ا : « إلى كمثرى كثير » .

تلطُم وجهها[1] وتبكى ، وتقول : أردت أن أنفرد بك ، فقتلتك يا سيّدى! فهلك من يومه .

وذكر عبد الله بن إسماعيل صاحب المراكب ، قال: لما صرنا إلى ماسَبَذان دنوتُ إلى عنانه ، فأمسكت به[2] وما به علّة ؛ فوالله ما أصبح إلا ميّتًا ، فرأيت حَسَنة وقد رجعت ؛ وإن على قُبّتها المسوح ، فقال أبو العتاهية فى ذلك :

رُحْنَ فى الوَشْى وأَصْبَحْـ ... ـنَ عليهنّ المُسُوحُ[3]

كل نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْـ ... ـرِ له يومٌ نَطوحُ[4]

لَسْتَ بالباقى ولو عُمِّـرْتَ ... ما عُمِّرَ نوحُ

فَعَلى نفسِكَ نُحْ إن ... كنتَ لا بُدَّ تَنُوحُ

وذكر صالح القارئ أنّ علىّ بن يقطين ، قال : كنّا مع المهدىّ بماسَبَذان فأصبح يومًا فقال : إنى أصبحت جائعًا ، فأُتِىَ بأرغفة ولحم بارد مطبوخ بالخلّ ، فأكل منه ثم قال : إنى داخلٌ إلى البَهْو ونائم فيه ، فلا تنبّهونى حتى أكون أنا الذى أنتبه ، ودخل البهو فنام ، وبمنا نحن فى الدار فى الرِّواق ؛ فانتبهنا ببكائه ؛ فقمنا إليه مسرعين ، فقال : أما رأيتم ما رأيت ؟ قلنا: ما رأينا شيئًا ، قال : وقف على الباب رجل ، لو كان فى ألف أو فى مائة ألف رجل ما خفِىَ علىّ ، فأنشد يقول[5] :

كأنّى بهذا القَصْرِ قد بادَ آهِلُهْ ... وأَوحَش منه رَبْعُهُ ومنازِلُهْ[6]

٥٢٦/٣

وصار عميدُ القوم مِنْ بعدِ بهجةٍ ... ومُلكٍ إلى قبرٍ عليه جنادله

فلم يَبْقَ إلا ذكرُهُ وحَديثُهُ ... تُنادى عليه مُعْوِلاتٍ حلائلُهْ

---

(١) س : « تلطم على وجهها » .

(٢) ج : « فأمسكته » .

(٣) الأغانى ٤ : ١٠٣ .

(٤) موضعه فى رواية الأغانى :

نُحْ على نفسِك يا مِسْـ ... ـكينُ إن كنتَ تنوحُ

(٥) س : « فأنشا » ؛ ابن الأثير : « وقف على الباب رجل فقال » .

(٦) ج : « مناهله » .

قال : فما أتت عليه عاشرة حتى مات .

وكانت وفاته – فيما قال أبو معشر والواقدىّ – فى سنة تسع وستين ومائة ، ليلة الخميس لثمان بقين من المحرّم ؛ وكانت خلافته عشر سنين وشهراً ونصف شهر .

وقال بعضهم : كانت خلافته عشر سنين وتسعة وأربعين يوماً ؛ وتوفّى وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

وقال هشام بن محمد : ملَك أبو عبد الله المهدىّ محمد بن عبد الله سنة ثمان وخمسين ومائة ، فى ذى الحجّة لستّ ليالٍ خلوْن منه ؛ فملك عشر سنين وشهراً واثنين وعشرين يوماً ، ثم توفّى سنة تسعٍ وستين ومائة ، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

* * *

ذكر الخبر عن الموضع الذى دفن فيه ومَن صلّى عليه

ذُكر أن المهدىّ توفّى بقرية من قرى ماسبَذان، يقال لها الرَّذّ ؛ وفى ذلك يقول بكّار بن رَباح :

أَلاَ رحمةُ الرحمنِ فى كلِّ ساعةٍ على رمّةٍ رَمَّتْ بِماسَبَذانِ
لقد غَيَّبَ القبرُ الذى تمّ سُودَدا وَكفّين بالمعروفِ تَبْتَدِرانِ

وصلّى عليه ابنُه هارون؛ ولم توجد له جنازة يُحمَل عليها ، فحُمل على باب ، ودفن تحت شجرة جَوْز كان يجلس تحتها .

وكان طويلا مُضَمَّر الخلْق ، جَعْداً . واختُلف فى لونه ، فقال بعضهم : كان أسمر ، وقال بعضهم : كان أبيض . ٣/٥٢٧

وكان فى عينه اليمنى – فى قول بعضهم – نكتة بياض . وقال بعضهم : كان ذلك بعينه اليسرى .

وكان وُلد بإيذَج .

ذكر بعض سير المهدىّ وأخباره

ذُكر عن هارون بن أبى عبيد الله ، قال : كان المهدىّ إذا جلس للمظالم ، قال : أدخلوا علىّ القضاة ؛ فلولم يكن ردّى للمظالم إلا للحياء منهم لكَفَى.

وذكر الحسن بن أبى سعيد ، قال : حدّثنى علىّ بن صالح ، قال : جلس المهدىّ ذات يوم يعطى جوائز تقسم بحضرته فى خاصّته[1] من أهل بيته والقوّاد ؛ وكان يُقرأ عليه الأسماء ، فيأمر بالزيادة ؛ العشرة الآلاف والعشرين الألف ، وما أشبه ذلك ، فعُرِض عليه بعض القوّاد ، فقال : يُحَطّ[2] هذا خمسمائة ، قال : لم حططتَنِى يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأنى وجّهتُك إلى عدوّ لنا فانهزمت . قال : كان يسرّك أن أقتل ؟ قال : لا ، قال : فوالذى أكرمك بما أكرمك به من الخلافة لو ثَبَتُّ لقتِلت ، فاستحيا المهدىّ منه ، وقال : زده خمسة آلاف .

قال الحسن : وحدّثنى علىّ بن صالح ، قال : غضب المهدىّ على بعض القوّاد — وكان عتَب عليه غير مرة — فقال له : إلى متى تذنب إلىّ وأعفو ؟ قال : إلى أبدٍ[3] نسىء ، ويبقيك الله فتعفو عنا ؛ فكررها[4] عليه مرات ، فاستحيا منه ورضى عنه[5] . ٥٢٨/٣

وذكر محمد بن عمر ، عن حفص مولى مُزينة ، عن أبيه ، قال : كان هشام الكلبىّ صديقًا لى ، فكنّا نتلاقى فنتحدث ونتناشد ؛ فكنت أراه فى حال رثّة وفى أخلاق[6] على بغلة هزيل[7] ، والضرّ فيه بيّن وعلى بغلته ؛ فما راعنى إلاّ وقد لقينى يومًا على بغلة شقراءَ من بغال الخلافة ، وسَرْج ولجام من سروج الخلافة ولُجُمها ، فى ثياب جياد ورائحة طيّبة ، فأظهرتُ السرور ، ثم قلت له : أرى نعمة ظاهرةً ، قال لى : نعم ، أخبرك عنها ، فاكتم ؛ فبينما

---

(١) س : « خاصه » . (٢) ج : « يحبط » .
(٣) س : « أبداً » . (٤) س : « يكررها » .
(٥) س : « فعفا عنه » . (٦) ثوب أخلاق : إذا كانت الخلوقة بينة فيه كله .
(٧) هزيل ، على فعيل مما يستوى فيه المذكر والمؤنث .

أنا فى منزلى منذ أيام بين الظهر والعصر؛ إذ أتانى رسول المهدىّ فسرت[١] إليه، ودخلت عليه وهو جالس خالٍ ليس عنده أحد؛ وبين يديه كتاب، فقال: ادنُ يا هشام، فدنوتُ فجلستّ بين يديه، فقال: خذ هذا الكتاب فاقرأه. ولا يمنعك[٢] ما فيه مما تستفظعه أن تقرأه. قال: فنظرت فى الكتاب؛ فلما قرأت بعضَه استفظعتُه، فألقيته من يدى[٣]، ولعنت كاتبه، فقال لى: قد قلت لك: إن استفظعتَه فلا تُلقِه؛ اقرأه بحقى عليك حتى تأتى على آخره[٤]! قال: فقرأته فإذا كتاب قد ثلبه فيه كاتبه ثلْبًا عجيبًا، لم يبقِ له فيه شيئًا، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، مَنْ هذا الملعون الكذاب؟ قال: هذا صاحب الأندلس، قال: قلت: فالثاب والله يا أمير المؤمنين فيه وفى آبائه وفى أمهاته. قال: ثم اندرأت[٥] أذكر مثالبهم، قال: فسُرَّ بذلك، وقال: أقسمت عليك لما أمللت مثالبهم كلها على كاتب. قال: ودعا بكاتب[٦] من كتاب السرّ[٧]، فأمره فجلس ناحية، وأمرنى فصرت إليه، فصدّر الكاتب من المهدىّ جوابًا، وأمللتُ عليه مثالبهم فأكثرت؛ فلم أبْقِ شيئًا حتى فرغتُ من الكتاب، ثم عرضتُه عليه، فأظهر السرور، ثم لم أبرح حتى أمر بالكتاب فخُتِم، وجُعل فى خريطة، ودُفع إلى صاحب البريد، وأمر بتعجيله إلى الأندلس. قال: ثم دعا بمنديل فيه عشرة أثواب من جياد الثياب وعشرة آلاف درهم، وهذه البغلة بسرجها ولجامها، فأعطانى ذلك، وقال لى: اكتم ما سمعت.

٥٢٩/٣

قال الحسن: وحدّثنى مِسوَر بن مساور، قال: ظلمنى وكيل للمهدىّ[٨]، وغصبَنى ضَيْعةً لى، فأتيت سلاّمًا صاحب المظالم، فتظلمت منه وأعطيته رقعة مكتوبة، فأوصل الرّقعة إلى المهدىّ، وعنده عمُّه العباس بن محمدّ وابن عُلاثة وعافية القاضى. قال: فقال لى المهدىّ: ادنُهْ، فدنوت، فقال: ما تقول؟ قلت: ظلَمتَنى، قال: فترضى بأحد هذين؟ قال: قلت: نعم،

(١) س: «فصرت».
(٢) س: «لا أمنعك».
(٣) ج: «بين يدى».
(٤) ج: «عليه».
(٥) اندرأت: اندفعت.
(٦) س: «كاتباً».
(٧) ج: «النثر».
(٨) س: «وكيل المهدىّ».

قال : فادنُ منى ، فدنوت منه حتى التزقت بالفراش ، قال : تكلّم ، قلت : أصلح الله القاضى ! إنه ظلمنى فى ضيعتى هذا ، فقال القاضى : ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : ضيعتى وفى يدى ، قال : قلت : أصلح الله القاضى ! سَلْهُ ؛ صارت الضيعة إليه قبل الخلافة أو بعدها ؟ قال : فسأله : ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : صارت إلىّ بعد الخلافة . قال : فأطلقها له ، قال : قد فعلت ، فقال العبّاس بن محمد : والله يا أمير المؤمنين لَهذا المجلس أحبّ إلىّ من عشرين ألف ألف درهم .

قال : وحدّثنى عبد الله بن الربيع ، قال : سمعتُ مجاهداً الشاعر يقول : خرج المهدىّ متنزّهًا ، ومعه عمر بن بزيع مولاه ، قال : فانقطعنا عن العسكر ، والنّاس فى الصيد ، فأصاب المهدىّ جوع ، فقال : ويحك! هل من شىء ؟ قال : ما من شىء ، قال : أرى كوخًا وأظنّها مبقلة ، فقصدنا قصدَه ، فإذا نَبَطِىّ فى كوخ ومبقلة ، فسلّمنا عليه ، فردّ السلام ، فقلنا له : هل عندك شىء نأكل ؟ قال : نعم عندى رُبَيْثاء[1] وخبز شعير ، فقال المهدىّ : إن كان عندك زيت فقد أكملتَ ، قال : نعم ، قال : وكرّاث ؟ قال : نعم ، ما شئت وتمر . قال : فعدا نحو المبقلة ، فأتاهم ببقل وكُرّاث وبصل ، فأكلا أكلا كثيراً ، وشبعا ، فقال المهدىّ لعمر بن بزيع : قل فى هذا شعراً ، فقال : ٥٣٠/٣

إنَّ مَنْ يُطْعِمُ الرُّبَيْثاءَ بالزَّيـ ـتِ وخُبزَ الشعير بالكُرّاثِ
لحقيقٌ بِصَفْعَةٍ أو بثِنْتَيْـ ـنِ لِسوءِ الصَّنيعِ أوْ بِثَلاثِ

فقال المهدىّ : بئس ما قلت ، ليس هكذا ...

لحقيقٌ ببَدْرَةٍ أوْ بِثِنتَيْـ ـنِ لحسْنِ الصَّنِيعِ أوْ بِثَلاثِ

قال : ووافى العسكر والخزائن والخدَم فأمر للنّبَطىّ بثلاث بِدَر وانصرف .

وذكر محمد بن عبد الله ، قال : أخبرنى أبو غانم ، قال : كان زيد

---

(١) فى حاشية ط : « وهو نوع من الصحناة » ، وفى القاموس : « الصحناء والصحناة : إدام يتخذ من السمك الصغار مشه مصلح للمعدة » .

الهلالىّ رجلاً شريفًا سخيًّا مشهوراً من بنى هلال ؛ وكان نقشُ خاتَمه : «أفلح يا زيد مَن زَكَا عمله» ، فبلغ ذلك المهدىّ ، فقال زيد الهلالىّ :

زَيْدُ الهِلاَلِىّ نقش خاتمه أفْلَح يا زيدُ من زكا عمَلُه°[١]

قال : وقال الحسن الوصيف : أصابتنا ريح فى أيام المهدىّ حتى ظننّا أنها تسوقنا إلى المَحْشر ، فخرجتُ أطلب أميرَ المؤمنين ، فوجدته واضعًا خدّه على الأرض ، يقول : اللهمّ احفظ محمداً فى أمّته ، اللهمّ لا تُشمت بنا أعداءنا من الأمم ، اللهمّ إن كنت أخذت هذا العالم بذنبى فهذه ناصيتى بين يديك ؛ قال : فما لبثنا إلا يسيراً حتى انكشفت الريح وانجلى ما كنا فيه . ٣/٥٢١

وقال الموصلى : قال عبد الصمد بن علىّ : قلت للمهدىّ : يا أميرَ المؤمنين ، إنا أهلَ بيت قد أشرب قلوبُنا حبّ موالينا وتقديمهم ؛ وإنك قد صنعت من ذلك ما أفرطتَ فيه ؛ قد ولّيتَهم أمورك كلّها ، وخصصتهم فى ليلك ونهارك ، ولا آمن تغيير قلوب جندك وقوّادك من أهل خُراسان ، قال : يا أبا محمد ، إنّ الموالىَ يستحقّون ذلك؛ وليسْ أحدٌ يجتمع لى فيه أن أجلس للعامّة فأدعُوَ به فأرفعه حتى تحاكّ ركبتُه ركبتى ، ثم يقوم من ذلك المجلس ، فأستكفيه سياسةَ دابتى ، فيكفيها ، لا يرفع نفسهُ عن ذلك إلاّ موالىّ هؤلاء ، فإنهم لا يتعاظمهم ذلك ؛ ولو أردت هذا من غيرهم لقال : ابن دولتك والمتقدّم فى دعوتك ، وابن مَنْ سبق إلى بيعتك[٢] ، لا أدفَعه عن ذلك .

قال علىّ بن محمد : قال الفضل بن الربيع : قال المهدىّ لعبد الله بن مالك : صارعْ مولاى هذا ، فصارَعه ؛ فأخذ بعنقه[٣] ، فقال المهدىّ : شدّ ، فلما رأى ذلك عبدُالله أخذ برجله فسقط على رأسه فصرعه . فقال عبد الله للمهدىّ : يا أميرَ المؤمنين ، قمتُ من عندك وأنا أحبّ الناس إليك[٤] ، فلم تــزَلْ علىّ مع مولاك . قال : أما سمعت قول الشاعر[٥] :

---

(١) ورد هذا البيت فى ط محرفاً على هيئة النثر ، وصوابه من ا .
(٢ - ٢) كذا فى ا وفى ط : « أين وليك والمتقدم فى دعوتك ، وابن من سبق إلى دعوتك » .
(٣) ج : « بعضله » . (٤) ج : « عندك » .
(٥) ج : « أما سمعت للشاعر » .

٥٢٢/٣ وَمَوْلَاكَ لا يُهْضَمْ لديْكَ فإنمــا هضيمةُ مولى القوم جَدْعُ المناخِرِ

قال أبو الخطاب : لما حضرت القاسمَ بنَ مجاشع التميمىّ – من أهل مَرْو بقرية يقال لها باران – الوفاةُ أوصى إلى المهدىّ ، فكتب : ﴿ شَهِدَ اللّٰهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الحكيم * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَاللّٰهِ الإسلامُ ...﴾ [1] ، إلى آخر الآية . ثم كتب : والقاسم بن مجاشع يشهدُ بذلك ، ويشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن علىّ بن أبى طالب وصىٌّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارث الإمامة بعده . قال : فعُرِضت الوصيّة على المهدىّ ، فلما بلغ هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها[2] . قال أبو الخطاب : فلم يزل ذلك فى قلب أبى عبيدالله الوزير ؛ فلما حضرته الوفاة كتب فى وصيته هذه الآية .

قال : وقال الهيثم بن عدىّ : دخل على المهدىّ رجلٌ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن المنصور شتمنى وقذف أمِّى ؛ فإما أمرتنى أن أحلّه ؛ وإلاّ عوّضتَنى واستغفرت الله له . قال : ولم شتمك ؟ قال : شتمتُ عدوّه بحضرته ؛ فغضب ، قال : ومَنْ عدُوّه الذى غضب لشتمه ؟ قال : إبراهيم بن عبد الله ابن حسن ، قال : إن إبراهيم أمسّ به رَحِماً وأوجب عليه حقًّا ، فإن كان شتمك كما زعمتَ ، فعن رَحِمه ذبّ، وعن عِرْضه دفع ؛ وما أساء من انتصر لابن عمه . قال : إنه كان عدوًّا[3] له ، قال : فلم ينتصر للعداوة ؛ وإنما انتصر للرَّحِم ؛ فأسكت الرجل ، فلما ذهب ليولّى ، قال : لعلك أردت أمراً فلم تجد له ذريعة عندك أبلغَ من هذه الدعوى ! قال : نعم ، قال : فتبسّم ٥٢٣/٣ وأمر[4] له بخمسة آلاف درهم .

قال : وأتِىَ المهدىّ برجل قد تنبّأ ، فلما رآه ، قال : أنت نبىّ ؟ قال : نعم ، قال : وإلى مَنْ بُعثت ؟ قال : وتركتمونى أذهب إلى من بعثت إليه !

(١) سورة آل عمران ١٨ ، ١٩ .
(٢) س : « إليها » .
(٣) ج : « عدو الله » .
(٤) س : « ثم أمر » .

وُجّهت بالغداة فأخذتمونى بالعشىّ ، ووضعتمونى فى الحبس ! قال : فضحك المهدىّ منه ، وخلى سبيله .

وذكر أبو الأشعث الكندىّ ، قال : حدّثنى سليمان بن عبد الله ، قال : قال الرّبيع : رأيتُ المهدىّ يصلّى فى بهوٍ له فى ليلة مُقْمرة ؛ فما أدرى أهو أحسن ، أم البهو ، أم القمر ، أم ثيابه ! قال : فقرأ هذه الآية : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾[1] ، قال : فتمّ صلاته والتفت إلىّ فقال : يا ربيع ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : علىّ بموسى ، وقام إلى صلاته ، قال : فقلت : مَنْ موسى ؟ ابنه موسى ، أو موسى بن جعفر ، وكان محبوسًا عندى ! قال : فجعلت أفكّر ، قال : فقلت : ما هو إلا موسى بن جعفر ، قال : فأحضرته ، قال : فقطع صلاته ، وقال : يا موسى ، إنى قرأت هذه الآية : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرحَامَكم ﴾[1] ، فخفت أن أكون قد قطعت رَحِمك ، فوَثِّقْ لى أنك لا تخرج علىّ . قال : فقال : نعم ، فوثّق له وخلاّه .

وذكر إبراهيم بن أبى علىّ ، قال : سمعت سليمان بن داود ، يقول : سمعت المهدىّ يحدثنا[2] فى محراب المسجد على اللحن اليتيم[3] : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾[4] ، فى سورة النّساء .

٣/٥٣٤ وذكر علىّ بن محمد بن سليمان ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حضرتُ المهدىّ وقد جلس للمظالم ، فتقدّم إليه رجل من آل الزبير ؛ فذكر ضيعة اصطفاها عن أبيه بعضُ مُلوك بنى أميّة ، ولا أدرى : الوليد ، أم سليمان ! فأمر أبا عبيد الله أن يُخرِج ذكْرَها من الديوان العتيق ، ففعل ، فقرأ ذكرها على المهدىّ ؛ وكان ذلك أنها عُرِضت على عِدّة منهم لم يروا ردّها ؛ منهم عمر ابن عبد العزيز ، فقال المهدىّ : يا زبيرىّ ، هذا عمر بن عبد العزيز ؛ وهو منكم معشر قريش كما علمتم لم يَرَ ردّها . قال : وكلّ أفعال عمر تُرضَى ؟

(١) سورة محمد ٢٢ .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « يحدر بنا » .
(٣) كذا فى ط ، وفى ا : على لحن خداش اللحن اليتيم » ، وفى ج : « لحن خداش المتيم » ، وهو غير واضح .
(٤) سورة النساء ٥١ .

قال : وأىّ أفعاله لا تُرضَى ؟ قال : منها أنه كان يفرض للسّقط[١] من بنى أمية فى خرِقه فى الشّرف من العطاء ، ويفرض للشيخ من بنى هاشم فى ستين . قال : يا معاوية أكذلك كان يفعل عمر ؟ قال : نعم ؛ قال : اردُدْ على الزّبيرىّ ضيعتَه .

وذكر عمر بن شبّة أن أبا سلمة الغفارىّ حدّثه ، قال : كتب المهدىّ إلى جعفر بن سليمان وهو عامل المدينة أن يحمل إليه جماعة اتُّهموا بالقَدَر ، فحمل إليه رجالا ؛ منهم عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر ، وعبد الله بن يزيد بن قيس الهذلىّ ، وعيسى بن يزيد بن دأب الليثىّ ، وإبراهيم ابن محمد بن أبى بكر الأُسامىّ ؛ فأدخلوا على المهدىّ ، فانبرى له عبد الله ابن أبى عبيدة من بينهم ؛ فقال : هذا دين أبيك ورأيه ؟ قال : لا ، ذاك عمى داود . قال : لا ، إلا أبوك ، على هذا فارقنا وبه كان يدين . فأطلقهم .

وذكر علىّ بن محمد بن سليمان النوفلىّ ، قال : حدّثنى أبى ، عن محمد ابن عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، قال : رأيتُ فيما يرى النائم فى آخر سلطان بنى أمية ، كأنى دخلت مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفعت رأسى ، فنظرت فى الكتاب الذى فى المسجد بالفسيفساء[٢] فإذا فيه : مما أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ؛ وإذا قائل يقول : يمحُو هذا الكتاب ويكتب مكانه اسمَه رجل من بنى هاشم يقال له محمد. قال: قلت: أنا محمد، وأنا من بنى هاشم؛ فابن مَنْ؟ قال: ابن عبد الله ، قلت : فأنا ابن عبد الله، فابن مَنْ؟ قال: ابن محمد ، قلت : فأنا ابنُ محمد ، فابن مَنْ ؟ قال : ابن علىّ ، قلت: فأنا ابن علىّ ، فابن مَنْ ؟ قال : ابن عبد الله ، قلت : فأنا ابن عبد الله ؛ فابن مَن ؟ قال : عباس ؛ فلو لم أكن بلغت العبّاس ما شككت أنى صاحب الأمر . قال : فتحدّثتُ بهذه الرؤيا فى ذلك الدّهر ونحن لا نعرف المهدىّ ؛ فتحدّث النّاس بها حتى ولِىَ المهدىّ، فدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع رأسه

٣/٥٣٥

(١) السقط : الولد لغير تمام .
(٢) كذا فى ا وابن الأثير ، والفسيفساء : ألوان من الخرز تركب فى الحيطان .

فنظر فرأى اسم الوليد، فقال: وإنى لأرى اسم الوليد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، فدعا بكرسىّ فألقِىَ له فى صحن المسجد وقال: ما أنا ببارح حتى يُمحى ويكتَب اسمى مكانَه. وأمر أن يحضر العُمّال والسلاليم وما يحتاج إليه، فلم يبرح حتى غيِّر وكتب اسمه.

وذكر أحمد بن الهيثم القُرَشىّ، قال: حدّثنا عبد الله بن محمد بن عطاء، قال: خرج المهدىّ بعد هَدْأة من الليل يطوف بالبيت، فسمع أعرابيّة من جانب المسجد وهى تقول: قومى مقْتِرون، نبتْ عنهم العيون، وفدحتهم الديون، وعضّتهم السِّنون؛ بادت[1] رجالهم، وذهبت أموالهم، وكثر عيالهم؛ أبناء سبيل، وأنضاء طريق؛ وصية الله ووصية الرسول؛ فهل من آمرٍ[2] لى بخير، كلأه الله فى سفره، وخلَفه فى أهله! قال: فأمر نُصيراً الخادم، فدفع إليها خمسمائة درهم.

٥٣٦/٣

وذكر علىّ بن محمد بن سليمان، قال: سمعتُ أبى يقول: كان أوّل مَن افترش الطبرىّ المهدىّ؛ وذلك أنّ أباه كان أمره بالمقام بالرّىّ، فأهْدِىَ إليه الطبرىّ من طَبرِستان، فافترشه، وجعل الثلج والخلاف حوله؛ حتى فُتح لهم الخَيْش، فطاب لهم الطبرىّ فيه.

وذكر محمد بن زياد، قال: قال المفضّل: قال لى المهدىّ: اجمع لى الأمثال ممّا سمعتَها من البدو، وما صحّ عندك. قال: فكتبت له الأمثال وحروبَ العرب مما كان فيها؛ فوصلنى وأحسن إلىّ.

قال علىّ بن محمد: كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سَمُرة أراد الوثوب بالشأم، فحمِل إلى المهدىّ فخلى سبيلَه وأكرمه، وقرّب مجلسه. فقال له يوماً: أنشِدْنى قصيدة زُهير التى هى على الراء، وهى:

* لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ[3] *

---

(١) س: «مات».
(٢) ج: «من أمر لى».
(٣) ديوانه ٨٦، وبقيته:

* أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ ومِنْ دَهْرِ *

فأنشده ، فقال السَّمُرِىّ : ذهب والله من يقال فيه مثل هذا الشعر ؛ فغضب المهدىّ واستجهله ، ونحّاه ولم يعاقبه ، واستحمقه الناس .

وذكر أنّ أبا عون عبد الملك بن يزيد مرض ، فعاده المهدىّ ؛ فإذا منزل رثّ وبناء سوء ؛ وإذا طاق صُفّته التى هو فيها لَبِن . قال : وإذا مضربة[١] ناعمة فى مجلسه ، فجلس المهدىّ على وسادة ، وجلس أبو عون بين يديه ، فبرّه المهدىّ ، وتوجّع لعلّته . وقال أبو عون : أرجو عافيةَ الله يا أمير المؤمنين ؛ وألا يميتنى على فراشى حتى أقتَل فى طاعتك ؛ وإنى لواثق بألاّ[٢] أموت حتى أبْلِىَ الله فى طاعتك ما هو أهله ؛ فإنا قد رُوِّينا . قال : فأظهر له المهدىّ رأيا جميلا ، وقال : أوصِنى بحاجتك ، وسَلْنى ما أردت ، واحتكم فى حياتك[٣] ومماتك ؛ فوالله لئن عجز مالُك عن شىء توصى به لأحتملنّه[٤] كائنًا ما كان ؛ فقل وأوصِ . قال : فشكر أبو عون ودعا ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ حاجتى أن ترضى عن عبد الله بن أبى عون ، وتدعوَ به ، فقد طالت موجِدتك عليه . قال : فقال : يا أبا عون ، إنه على غير الطريق ، وعلى خلاف رأينا ورأيك ؛ إنه يقَع فى الشيخيْن أبى بكر وعمر ، ويسىء القول فيهما . قال : فقال أبو عون : هو والله يا أميرَ المؤمنين على الأمر الذى خرجنا عليه ، ودعونا إليه ؛ فإن كان قد بدا لكم فمُرونا بما أحببتم حتى نُطيعكم . قال : وانصرف المهدىّ ، فلما كان فى الطريق قال لبعض مَنْ كان معه من ولده وأهله[٥] : مالكم لا تكونون مثل أبى عون ! والله ما كنت أظنُّ منزله إلا مبنيًّا بالذهب والفضة ؛ وأنتم إذا وجدتم درهمًا بنيتم بالسّاج والذهب .

٥٣٧/٣

وذكر أبو عبد الله ، قال : حدّثنى أبى ، قال : خطب المهدىّ يومًا ، فقال : عباد الله؛ اتقوا الله؛ فقام إليه رجل ، فقال : وأنت فاتّقِ الله ؛ فإنك تعمل بغير الحق . قال : فأخِذ فحُمل ، فجعلوا يتلقّوْنه بنعال سيوفهم ؛ فلما أدخِل عليه قال : يابن الفاعلة ، تقول لى وأنا على المنبر : اتق الله ! قال : سوْءة لك ! لو كان هذا من غيرك كنتُ المستعدِى بك عليه ، قال : ما أراك

٥٣٨/٣

---

(١) المضربة : القطعة من القطن .
(٢) ج : « ألا » .
(٣) س : « حاجتك » .
(٤) س : « لأحملنه » .
(٥) س : « إخوته » .

إلا نَبَطِيًّا [(١)] ، قال : ذاك أوكد للحجّة عليك أن يكون نَبَطِيٌّ يأمرك بتقوى الله . قال : فرُئِيَ الرّجل بعد ذلك ؛ فكان يحدّث بما جرى بينه وبين المهدىّ . قال : فقال أبى : وأنا حاضره ، إلا أنى لم أسمع الكلام .

وقال هارون بن ميمون الخُزاعىّ : حدّثنا أبو خزيمة البادغيسىّ ، قال : قال المهدىّ : ما توسّل إلىّ أحد بوسيلة ، ولا تذرّع بذريعة هى أقرب من تذكيره إياى يدًا سلفتْ منى إليه أتبعها أختها ، فأحسن ربّها ؛ لأن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل .

قال : وذكر خالد بن يزيد بن وهب بن جرير ، أن أباه حدّثه ، قال : كان بشار بن برد بن يَرْجُوخ هجا صالح بن داود بن طهمان — أخا يعقوب ابن داود — حين وُلِّيَ البصرة ، فقال :

هُمُ حَمَلوا فوقَ المنابر صالحاً أخاكَ فَضَجَّت مِنَ أخيكَ المنابرُ

فبلغ يعقوب بن داود هجاؤه ، فدخل على المهدىّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّ هذا الأعمى المشرك قد هجا أمير المؤمنين ، قال : ويلك ! وما قال ؟ قال : يعفينى أمير المؤمنين من إنشاده ذلك ، قال : فأبى عليه إلا أن ينشده ، فأنشده :

خليفــةٌ يَزْنى بِعَمّــاتِهِ يَلعَبُ بالدَّبُّوقِ والصَّولجَانْ [(٢)]
أَبْدَلَنَــا اللهُ بـه غيرَهُ وَدَسَّ موسى فى حِرِ الخيزُرانْ [(٣)]

قال : فوجّه فى حمله ، فخاف يعقوب بن داود أن يقدم على المهدىّ ، فيمتدحه فيعفو عنه ، فوجّه إليه من يلقيه فى البَطيحة [(٤)] فى الخرّارة [(٥)] . ٥٣٩/٣

وذكر عبد الله بن عمر : حدّثنى جدّى أبو الحىّ العبسىّ ، قال : لما دخل مَرْوان بن أبى حفصة على المهدىّ ، فأنشده شعره الذى يقول فيه :

---

(١) ج : « قبطيا » .
(٢) الدبوق : لعبة من لعب الصبيان .
(٣) الخيزران : جارية من جوارى المهدى ، وهى أم ولديه موسى وهارون .
(٤) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة .
(٥) والخبر فى الأغانى ٣ : ٢٤٣ .

أنَّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ لِبَنِى البناتِ وراثةُ الأعمامِ[1]

فأجازه بسبعين ألف درهم ، فقال مروان :

بسبعين ألفاً راشَنى من حِبَائِهِ وما نالها فى الناس من شاعر قبلى[2]

وذكر أحمد بن سليمان ، قال : أخبرنى أبو عدنان السُّلمىّ ، قال : قال المهدىّ لعُمارة بن حمزة : من أرقّ الناس شعراً ؟ قال : والبة بن الحُباب الأسدىّ ، وهو الذى يقول :

ولهـــا وَلا ذَنبٌ لها حُبٌّ كأَطْرافِ الرِّماحِ

فى القلب يَقدَحُ والحشا فالقلبُ مجروحُ النَّواحى

قال : صدقت والله ، قال : فما يمنعك من منادمته يا أمير المؤمنين ، وهو عربىٌّ شريف شاعر ظريف ؟ قال : يمنعنى والله من منادمته ، قوله :

قلتُ لساقينا على خَــلْوةٍ أَدْنِ كذا رأسَكَ مِنْ راسى

وَنَمْ على وجهك لى ساعةً إنى امرؤٌ أنكِحُ جُلَّاسى

أفتريد أن يكون جُلّاسه على هذه الشريطة[3] !

٥٤٠/٣ وذكر محمدُ بن سلاّم أنه كان فى زمان المهدىّ إنسان ضعيف يقول الشعر إلى أن مدح المهدىّ . قال : فأدخِل عليه فأنشده شعراً يقول فيه : « وَجَوَارٍ زَفَرَاتٍ » ، فقال له المهدىّ : أى شىء زفرات ؟ قال : وما تعرفها أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا والله ، قال : فأنت أميرُ المؤمنين وسيِّد المسلمين وابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعرفها ، أعرفها أنا ! كلاّ والله .

قال ابن سلاّم : أخبرنى غير واحد أن طُريح بن إسماعيل الثقفىّ دخل على المهدىّ فانتسب له ، وسأله أن يسمع منه ، فقال : ألست الذى يقول للوليد بن يزيد :

---

(١) الأغانى ١٠ : ٨٩ . (٢) س : « مثلى » .

(٣) الأغانى ١٦ : ١٤٣ (ساسى) . وفى ج : « جليسه » .

أَنت ابنُ مُسْلنطح البِطاحِ ولَمْ ... تُطرَقْ عليك الحِنىُّ والوَلَجُ[١]

والله لا تقول لى فى مثل هذا أبداً ، ولا أسمع منك شعراً ، وإن شئت وصلتك .

وذُكر أنّ المهدىّ أمر بالصوم سنة ست وستين ليستسقى للناس فى اليوم الرابع ، فلما كان فى الليلة الثالثة أصابهم الثلج ، فقال لَقيط بنُ بُكَير المحاربىّ فى ذلك :

يا إمامَ الهدى سُقِينا بكَ الغَيْـ ... ـثَ وزالتْ عَنّا بِكَ اللأْواءُ

بِتَّ تُعْنَى بالحفظِ والناسُ نُوَّا ... مٌ عليهم مِنَ الظَّلام غِطاءُ[٢]

رَقَدُوا حيثُ طال ليلُكَ فيهمْ ... لك خوفٌ تَضَرُّعٌ وبكاءُ

قد عَنتكَ الأُمورُ منهم على الغفـ ... ـلة مِنْ مَعْشَرٍ عَصَوا وأساءوا

وسُقِينا وقد قُحِطنا وقلنا ... سنةٌ قد تَنَكَّرَتْ حمراءُ

بِدُعاءٍ أَخلصتَهُ فى سوادِ الـ ... ـليلِ لله فاستُجيب الدعاءُ

بثلوجٍ تُحيَا بها الأَرض حتى ... أصبَحَت وهْىَ زهرَةٌ خضراءُ

٥٤١/٣

وذكر أن الناس فى أيام المهدىّ صاموا شهر رمضان فى صميم الصيف ، وكان أبو دلامة إذ ذاك يطالب بجائزة وعدها إياه المهدىّ ، فكتب إلى المهدىّ رقعة يشكو إليه فيها ما لقىَ من الحرّ والصوم ، فقال فى ذلك :

أَدْعُوكَ بالرَّحِم التى جَمَعَتْ لنا ... فى القربِ بين قريبِنا والأَبْعَدِ[٣]

إلاَّ سمعتَ وأنت أكرمُ مَنْ مَشَى ... مِنْ مُنشِدٍ يَرجو جزاءَ المُنشَدِ

حَلّ الصيامُ فصمتُهُ مُتعَبِّدا ... أَرجو ثوابَ الصائم المُتعبِّدِ

وسَجَدتُ حتى جَبْهَتِى مشجُوجةٌ ... ممّا أُكلَّفُ مِنْ نطاحِ المسجدِ

(١) الأغانى ٤ : ٣١٦ . المسلنطح : ما اتسع سطحه . وتطرق : تضيق . والحنى : ما انخفض من الأرض . والولج : كل ما اتسع فى الوادى .

(٢) ج : « والناس قوام » .

(٣) الأغانى ١٠ : ٢٥٤

قال : فلمّا قرأ المهدى الرُّقعة دعا به ، فقال : أىّ قرابة بينى وبينك يابن اللخناء ! قال : رَحِم آدم وحوّاء . فضحك منه وأمر له بجائزة .

وذكر علىّ بن محمد ، قال : حدّثنى أبى ، عن إبراهيم بن خالد المُعَيْطىّ قال : دخلت على المهدىّ — وقد وُصف له غنائى — فسألنى عن الغناء وعن علمى به ، وقال لى : تُغنِّى النواقيس ؟ قلت : نعم والصليب يا أمير المؤمنين ! فصرفنى ؛ وبلغنى أنه قال : مُعيطىّ ، ولا حاجة لى إليه فيمن أدنيه من خلوتى [١] ولا آنس به [٢] .

٣/٥٤٢ ولمعبد المغنى النواقيس فى هذا الشعر :

سَلاَ دارَ لَيلى هل تُجيبُ فَتَنطقُ   وأَنَّى تَرُدُّ القولَ بَيْداءُ سَمْلَقُ [٣]

وأَنَّى تَرُدُّ القول دارٌ كأَنَّها   لِطُولِ بلاها والتَّقادُم مُهْرَقُ

وذكر قَعْنَب بن محرز أبو عمرو الباهلىّ أنّ الأصمعىّ حدّثه ، قال : رأيت حكمًا الوادى حين مضى المهدىّ إلى بيت المقدس ، فعرض له فى الطريق ، وكان له شُعيرات [٥] ، وأخرج دُفًّا له يضربه ، وقال : أنا القائل :

فَمَتَى تَخرُجُ العرو   سُ فقد طال حبْسُها

قد دنا الصبحُ أَو بدا   وَهْىَ لَم تَقض لُبْسَها

فتسرّع إليه الحرَس فصيَّح بهم : كُفُّوا [٦] ، وسأل عنه فقيل : حكَم الوادى ، فأدخله إليه ووصله [٧] .

وذكر علىّ بن محمد أنه سمع أباه يقول : دخل المهدىّ بعضَ دوره يومًا فإذا جارية له نصرانيَّة ، وإذا جيبُها واسع وقد انكشف عما بين ثدييها ؛ وإذا صليب من ذهب معلَّق فى ذلك الموضع ؛ فاستحسنه ، فمدّ يده إليه فجذبه ،

---

(١) الأغانى : « ولا حاجة لى إلى أن أدنيه من خلوتى » .
(٢) الأغانى ٣ : ٣٠٤ .
(٣) الأغانى ٣ : ٣٠٤ ، وفيه : « هل تبين » . (٤) الأغانى : « وله شعيرات على رأسه » .
(٥) الأغانى : « وله شعيرات على رأسه » . (٦) ج : « فكفوا » .
(٧) الأغانى ٦ : ٢٨٦ .

فأخذه[1] ، فولولت على الصليب ، فقال المهدىّ فى ذلك :

يوم نازَعتُها الصّليبَ فقالتْ وَيْح نفسِى أَما تُحِلّ الصليبا !

قال : وأرسل إلى بعض الشعراء فأجازه ، وأمر به فغنى فيه ، وكان معجبًا بهذا الصوت .

قال : وسمعت أبى يقول : إنّ المهدىّ نظر إلى جارية له عليها تاج فيه نرجس من ذهب وفضة ، فاستحسنه فقال :

* يا حبّذا النرجس فى التاج * ٥٤٣/٣

فأُرتِجَ عليه، فقال : مَنْ بالحضرة ؟ قالوا : عبد الله بن مالك ، فدعاه ، فقال : إنى رأيت جارية لى فاستحسنتُ تاجًا عليها فقلت :

* يا حبذا النرجس فى التاج *

فتستطيع أن تزيد فيه ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ ولكن دَعْنى أخرج فأفكّر ، قال : شأنَك ، فخرج وأرسل إلى مؤدّب لولده[2] فسأله إجازته ، فقال :

* على جَبينٍ لاحَ كالعاجِ *

وأتمها أبياتًا أربعة ، فأرسل بها عبد الله إلى المهدىّ ، فأرسل إليه المهدى بأربعين ألفًا ، فأعطى المؤدّب منها أربعة آلاف ، وأخذ الباقى لنفسه ، وفيها غناء معروف .

وذكر أحمد بن موسى بن مضر أبو علىّ ، قال : أنشدنى التوّزىّ فى حَسَنة جاريته :

أَرى ماءً وبِى عَطَشٌ شديدٌ وَلكِنْ لا سبيلَ إلَى الوُرُودِ
أَما يَكْفِيكِ أَنَّكِ تَمْلِكينِى وَأَنَّ الناسَ كلَّهُمُ عَبيدى
وأَنَّكِ لو قطعْتِ يَدى ورِجْلِى لَقُلْتُ مِنَ الرّضا أَحسَنتِ زِيدى

(١) ج : « فأخذه فجذبه » .

(٢) س : « ولده » .

وذكر عليّ بن محمد ، عن أبيه ، قال : رأيتُ المهديّ وقد دخل البَصْرة من قِبَل سكّة قريش ، فرأيته يسير والبانوقة بين يديه ، بينه وبين صاحب الشُّرطة ، عليها قَبَاء أسود ، متقلدة سيفًا فى هيئة الغلمان. قال : وإنى لأرى فى صدرها شيئًا من ثدييها .

قال عليّ : وحدّثنى أبى ، قال : قدِم المهديّ إلى البصرة ، فمرّ فى سكّة قريش ، وفيها منزلنا ؛ وكانت الولاة لا تمرّ فيها إذا قدم الوالى ، كانوا يتشاءمون بها — قلّ والٍ مَرّ فيها[1] فأقام فى ولايته إلا يسيراً حتى يُعزل — ولم يمرّ فيها خليفة قطّ إلا المهديّ ، كانوا يمرّون فى سكّة عبد الرحمن بن سَمُرة ، وهى تساوى سكّة قريش ، فرأيت المهديّ يسير ، وعبد الله بن مالك على شُرَطه يسير أمامه ، فى يده الحربة ، وابنته البانوقة تسير بينه وبين يديه وبين صاحب الشُّرطة فى هيئة الفتيان ، عليها قَبَاء أسود ومنطقة وشاشيّة ، متقلدة السيف ، وإنى لأرى ثدييها قد رَفعا القَبَاء لنهودهما .

٣/٥٤٤

قال : وكانت البانوقة سمراء حَسَنَة القدّ حلوة . فلما ماتت — وذلك ببغداد — أظهر عليها المهديّ جزعًا لم يُسمع بمثله ، فجلس للنّاس يعزّونه ، وأمر ألاّ يحجب عنه أحَدٌ ، فأكثر النّاس فى التعازى ، واجتهدوا فى البلاغة ، وفى الناس مَنْ ينتقد هذا عليهم من أهل العلم والأدب ، فأجمعوا[2] على أنهم لم يسمعوا تعزية أوجز ولا أبلغ من تعزية شبيب بن شيبة ؛ فإنّه قال : يا أميرَ المؤمنين ، اللهُ خيرٌ لها منك ، وثواب الله خيرٌ لك منها ، وأنا أسأل الله ألاّ يحزُنَك ولا يفتنك .

وذكر صباح بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنى أبى ، قال : تُوفِّيت البانوقة بنت المهديّ ، فدخل عليه شبيب بن شيبة ، فقال : أعطاك الله يا أميرَ المؤمنين على ما رُزئت أجراً ، وأعقبك صبرًا ، لا أجهد الله بلاءك بنقمة ، ولا نزع منك نعمةً ؛ ثوابُ الله خيرٌ لك منها ، ورحمة الله خير لها منك ؛ وأحقّ ما صُبِر عليه ما لا سبيلَ إلى ردّه .

---

(١) ج : « بها » .

(٢) ج : « فاجتمعوا » .

خلافة الهادى

وفى هذه السنة بويع لموسى بن محمّد بن عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس بالخلافة ، يوم توُفّىَ المهدىّ ، وهومقيم بجُرجان يحارب أهل طَبَرِستْان ؛ وكانت وفاة المهدىّ بماسَبَذان ومعه ابنه هارون ، ومولاه الرّبيع ببغداد خلّفه بها ؛ فذُكر أن الموالى والقوّاد لما تُوفّىَ[1] المهدىّ اجتمعوا إلى ابنه هارون ، وقالوا له : إن علِم الجندُ بوفاة المهدىّ لم تأمن الشّغْب ، والرّأى أن يُحمل ، وتُنادِى فى الجند بالقَفَل حتى تواريَه ببغداد . فقال هارون : ادعوا إلىّ أبى يحيى بن خالد البرمكىّ — وكان المهدىّ ولّى هارونَ المغرب كلّه ؛ من الأنبار إلى إفريقية ، وأمر يحيى بن خالد أن يتولّى ذلك ، فكانت إليه أعماله ودواوينه يقوم بها ويخلُفه على ما يتولى منها إلى أن تُوفّىَ — قال : فصار يحيى بن خالد إلى هارون ، فقال له : يا أبتِ ، ما تقول فيما يقول عمر بن بزيع ونُصير والمفضّل[2] ؟ قال : وما قالوا ؟ فأخبره ، قال : ما أرى ذلك ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأن هذا ما لا يخفى ، ولا آمن إذا علم الجند أن يتعلّقوا بمحمله ، ويقولوا : لا نُخلّيه حتى نعطَى لثلاث سنين وأكثر ، ويتحكّموا ويشتطّوا ؛ ولكن أرى أن يُوارَى رحمه الله هاهنا ؛ وتوجّهَ نُصيراً إلى أمير المؤمنين الهادى بالخاتم والقضيب والتهنئة والتعزية ؛ فإنّ البريد إلى نُصير ؛ فلا يُنكِر خروجه أحدٌ إذْ كان على بريد الناحية ، وأن تأمر لمن معك من الجند بجوائز ؛ مائتين مائتين ، وتنادى فيهم بالقُفول ؛ فإنهم إذا قبضوا الدّراهم لم تكن لهم همّة سوى أهاليهم وأوطانهم ؛ ولا عَرْجة على شىء دون بغداد . قال : نفعل ذلك . وقال الجند لما قبضوا الدراهم : بغداد بغداد ! يتبادرون إليها ، ويبعثون على الخروج من ماسَبَذان ؛ فلما وافوْا بغداد ، وعلموا خبر الخليفة ، ساروا[3] إلى باب الرّبيع فأحرقوه ، وطالبوا[4] بالأرزاق ، وضجّوا . وقدم هارون بغداد ،

٣/٥٤٥

٣/٥٤٦

(١) س : « مات » .
(٢) ا ، ج : « الفضل » .
(٣) س : « صاروا » .
(٤) ابن الاثير : « وطلبوا الأرزاق » .

فبعثت الخيزران إلى الرّبيع وإلى يحيى بن خالد تشاورهما فى ذلك ؛ فأما الرّبيع فدخل عليها ، وأما يحيى فلم يفعل ذلك لعلمه بشدّة غَيْرة موسى .

قال : وجُمعت الأموال حتى أُعْطِىَ الجند لسنتين ، فسكتوا ؛ وبلغ الخبر الهادى ، فكتب إلى الرّبيع كتاباً يتوعّده فيه بالقتل ، وكتب إلى يحيى بن خالد يَجْزيه الخير ، ويأمره أن يقوم من أمر هارون بما لم يزل يقوم به ، وأن يتولّى أموره وأعماله على ما لم يزل يتولاّه . قال : فبعث الرّبيع إلى يحيى بن خالد — وكان يودّه ، ويثق به ، ويعتمد على رأيه : يا أبا علىّ ، ما ترى ؟ فإنه لا صبر لى على جرّ[1] الحديد . قال : أرى ألاّ تبرح موضِعك ، وأن توجّه ابنك الفضل يستقبله ومعه من الهدايا والطرَف[2] ما أمكنك ؛ فإنى لأرجو ألاّ يرجع إلاّ وقد كفيت ما تخاف إن شاء الله . قال : وكانت أمّ الفضْل ابنه بحيث تسمع منهما مناجاتهما ؛ فقالت له : نصحك والله. قال : فإنى أحبّ أن أوصى إليك ؛ فإنى لا أدرى ما يحدث . فقال[3] : لست أنفرد لك بشىء ، ولا أدع ما يجب[4] ، وعندى فى هذا وغيره ما تحبّ ؛ ولكن أشرِك معى فى ذلك الفضل ابنَك وهذه المرأة ؛ فإنها جَزْلة مستحقّة لذلك منك . ففعل الربيع ذلك ، وأوصى إليهم .

٥٤٧/٣

قال الفضل بن سليمان : ولما شغَب الجند على الرّبيع ببغداد وأخرجوا مَنْ كان فى حبسه ، وأحرقوا أبواب دوره فى الميدان ، حضر العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح ومحرز بن إبراهيم ذلك ؛ فرأى العبّاس أن يُرْضَوْا ، وتطيب أنفسهم ، وتفرّق جماعتهم بإعطائهم أرزاقهم ؛ فبذل ذلك لهم فلم يرضوْا ، ولم يثقوا مما ضُمِن لهم من ذلك ؛ حتى ضمنه محرز بن إبراهيم ، فقنعوا بضمانه وتفرّقوا ، فوَفَى لهم بذلك ، وأعطوا رزق ثمانية عشر شهراً ؛ وذلك قبل قدوم هارون . فلما قدم — وكان هو خليفة موسى الهادى — ومعه الربيع وزيراً له ، وجّه الوفود إلى الأمصار ، ونعى إليهم المهدىّ ، وأخذ بيعتَهم لموسى الهادى ؛ وله بولاية العهد من بعده ؛ وضبط أمرَ بغداد . وقد كان نُصير

---

(١) س : « حدّ » .
(٢) س : « اللطف » .
(٣) ط : « فقلت » .
(٤) ا : « تحب » .

لوصيف شخص من ماسبذان من يومه إلى جُرجان بوفاة المهدىّ والبيعة له ؛ فلما صار إليه نادى بالرّحيل ، وخرج من فَوْره على البريد جواداً[1] ومعه من أهل بيته إبراهيم وجعفر ، ومن الوزراء عبيد الله بن زياد الكاتب صاحب رسائله ، ومحمد بن جميل كاتب جنده . فلما شارف مدينةَ السلام استقبله الناس من أهل بيته وغيرهم ؛ وقد كان احتمل[2] على الربيع ما كان منه وماصنع من توجيه الوفود وإعطائه الجنود قبل قدومه ؛ وقد كان الرّبيع وجّه ابنه الفضل ؛ فتلقّاه بما أعدّ له من الهدايا ؛ فاستقبله بهمذان ، فأدناه وقرّبه ، وقال : كيف خلّفتَ مولاى ؟ فكتب بذلك إلى أبيه ، فاستقبله الرّبيع ، فعاتبه الهادى ، فاعتذر إليه ، وأعلمه السبب الذى دعاه إلى ذلك ، فقبله ، وولاّه الوزارة مكان عبيد الله بن زياد بن أبى ليلى ، وضمّ إليه ما كان عمر بن بزيع يتولاّه من الزّمام ، وولّى محمد بن جميل ديوان خراج العراقيْن ، وولّى عبيد الله بن زياد خراج الشأم وما يليه ، وأقرّ على حرسه علىّ بن عيسى بن ماهان ، وضمّ إليه ديوان الجند ، وولى شُرَطه عبد الله بن مالك مكانَ عبد الله بن خازم ،[3] وأقرّ الخاتم فى يد علىّ بن يقطين . ٥٤٨/٣

وكانت موافاة موسى الهادى بغداد عند منصرَفه من جُرجان لعشرٍ بقين من صفَر من هذه السنة ، سار — فيما ذكر عنه — من جرجان إلى بغداد فى عشرين يوماً ، فلما قدمها نزل القصر الذى يسمى الخُلْد ؛ فأقام به شهراً[4] ، ثم تحوّل إلى بستان أبى جعفر ، ثم تحول إلى عيسابَاذ .

وفى هذه السنة هلك الربيع مولى أبى جعفر المنصور .

وقد ذكر علىّ بن محمد النوفلىّ أن أباه حدثه أنه كانت لموسى الهادى جارية ، وكانت حظيّةً عنده ، وكانت تحبُّه وهو بجُرْجان حين وجّهه إليها المهدىّ ، فقالت أبياتاً ، وكتبت إليه وهو مقيم بجرجان ، منها :

يا بَعيدَ المَحَلّ أم ... سى بجرجانَ نازلا

---

(١) جواداً ، أى سريعاً كالفرس الجواد . (٢) س : « يحتمل » .
(٣) ط : « حازم » ، تصحيف . (٤) ج : « شهرين » .

قال : فلما جاءته البَيْعة وانصرف إلى بغداد ؛ لم تكن له همّة غيرها ، فدخل عليها وهى تغنّى بأبياتها ، فأقام عندها يومه ولياته قبل أن يظهر لأحد من الناس .

٣/٥٤٩ وفى هذه السنة اشتدّ طلب موسى الزنادقة ؛ فقتل منهم فيها جماعة ؛ فكان ممّن قتل منهم يزدان بن باذان كاتب يقطين ، وابنه علىّ بن يقطين من أهل النّهروان ؛ ذُكر عنه أنه حجّ فنظر إلى الناس فى الطّواف يُهَرْوِلون ، فقال : ما أشبّههم إلا ببقر تدوس فى البَيْدَر . وله يقول العلاء بن الحداد الأعمى :

أيا أمينَ اللهِ فى خَلقِهِ ووراثَ الكعبةِ والمِنبَرْ
ماذا تَرَى فى رجلٍ كافرٍ يُشَبِّهُ الكعبةَ بالبَيْدَرْ
ويَجعلُ الناسَ إذا ما سَعَوْا حُمْرًا تَدوسُ البُرَّ والدَّوْسَرْ !

فقتله موسى ثم صلبه ، فسقطت خشبتُه على رجل من الحاجّ فقتلتْه وقتلتْ حماره . وقُتِل من بنى هاشم يعقوب بن الفضل .

وذكر عن علىّ بن محمد الهاشمىّ ، قال : كان المهدىّ أُتِىَ بابنٍ لداود ابن علىّ زنديقًا ، وأُتِىَ بيعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب زنديقًا ، فى مجلسين متفرقين ، فقال لكل واحد منهما كلامًا واحدًا ، وذلك بعد أن أقرّا له بالزندقة ، أما يعقوب بن الفضل فقال له : أُقِرُّ بها بينى وبينك ؛ فأمّا أن أظهِر ذلك عند الناس فلا أفعل ولو قرضتنى بالمقاريض ، فقال له : ويلك ! لو كُشفت لك السموات ، وكان الأمر كما تقول ، كنتَ حقيقا أن تغضب[1] لمحمد ، ولولا محمد صلى الله عليه مَنْ كنت ! هل كنت إلا إنسانًا من الناس ! أما والله لولا أنى كنْتُ جعلت لله علىّ عهداً إذا[2] ولأنّى هذا الأمر ألاّ أقتل هاشميًّا لما ناظرتك ولقتلتُك . ٣/٥٥٠
ثم التفت إلى موسى الهادى ، فقال : يا موسى ، أقسمت عليك بحقى إن وليت هذا الأمر بعدى ألاّ تناظرهما ساعة واحدة . فمات ابن داود بن علىّ فى الحبس قبل وفاة المهدىّ ؛ وأما يعقوب فبقى حتى مات المهدىّ . وقدم موسى من جُرجان

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « تعصب » . (٢) ا : « إن » .

فساعة دخل، ذكر وصيّة المهدىّ، فأرسل إلى يعقوب من ألقى عليه فراشًا، وأقعدت الرجال عليه حتى مات . ثم لها عنه ببيعته وتشديد خلافته ؛ وكان ذلك فى يوم شديد الحرّ ، فبقى يعقوب حتى مضى من الليل هدء[١] ، فقيل لموسى : يا أميرَ المؤمنين ، إن يعقوب قد انتفخ وأروَح . قال : ابعثوا به إلى أخيه إسحاق ابن الفضل، فخبّروه أنه مات فى السجن[٢]. فجُعل فى زورق وأُتِىَ به إسحاق، فنظر فإذا ليس فيه موضع للغسل ، فدفنه فى بستان له من ساعته ، وأصبح فأرسل إلى الهاشميّين يخبرهم[٣] بموت يعقوب ويدعوهم إلى الجنازة ، وأمر بخشبة فعمِلت فى قدّ الإنسان فغشيت قطنا ، وألبسها أكفانًا ، ثم حملها على السرير ، فلم يشكّ مَن حضرها أنه شىء مصنوع .

وكان ليعقوب ولد من صُلْبه : عبد الرحمن والفضل وأروى فاطمة ، فأمّا فاطمة فوجدت حُبلى منه ، وأقرّت بذلك .

قال علىّ بن محمد : قال أبى : فأدخِلت فاطمة وامرأة[٤] يعقوب بن الفضل — وليست بهاشمية، يقال لها خديجة — على الهادى — أو على المهدىّ من قبْل — فأقرّتا بالزندقة، وأقرّت فاطمة أنها حامل من أبيها، فأرسل بهما إلى رَيْطة بنت أبى العباس ، فرأتهما مكتحِلتين مختضبتين ، فعذلتْهما ، وأكثرت على الابنة خاصّة ، فقالت : أكرَهنى ، قالت : فما بال الخضاب والكحل والسرور ؛ إن كنت مكرهة ! ولعنتهما . قال : فخُبِّرتُ أنهما فَزِعتا فماتتا فزَعًا ، ضُرب على رأسيهما بشىء يقال له الرعبوب[٥]. ففزعتا منه ، فماتتا . وأما أروى فبقِيَتْ فتزوّجها ابن عمها الفضل بن إسماعيل بن الفضل ؛ وكان رجلا لا بأس به فى دينه . ٣/٥٥١

وفيها قدم وندا هرمز صاحب طَبَرستان إلى موسى بأمان ، فأحسن صلته ، وردّه إلى طَبَرِسْتان .

* * *

(١) الهدء : أول الليل .
(٢) ج : « الحبس » .
(٣) ج : « فأخبرهم » .
(٤) ا، س : « ليعقوب » .
(٥) ج : « الرعوب » .

ذكر بقيّة الخبر
عن الأحداث الّتى كانت سنة تسع وستين ومائة

* * *

[خروج الحسين بن علىّ بن الحسن بفخّ]

ومما كان فيها خروجُ الحسين بنِ علىّ بنِ الحسن بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب المقتول بفَخّ .

* ذكر الخبر عن خروجه ومقتله :

ذكر عن محمد بن موسى الخوارزمىّ أنه قال : كان بين موت المهدىّ وخلافة الهادى ثمانية أيام . قال : ووصل إليه الخبر وهو بجُرجان ، وإلى أن قدم مدينة السّلام إلى خروج الحسين بن علىّ بن الحسن ، وإلى أن قتل الحسين ، تسعة أشهر وثمانية عشر يومًا .

وذكر محمد بن صالح ، أنّ أبا حفص السُّلمىّ حدّثه ، قال : كان إسحاق بن عيسى بن علىّ على المدينة ، فلما مات المهدىّ ، واستخلف موسى ، شخص إسحاق وافداً إلى العراق إلى موسى ، واستخلف على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

وذكر الفضل بن إسحاق الهاشمىّ أن إسحاق بن عيسى بن علىّ استعفى الهادىَ وهو على المدينة ، واستأذنه فى الشُّخوص إلى بغداد ، فأعفاه ، وولّى مكانَه عمر بن عبد العزيز . وأنّ سبب خروج الحسين بن علىّ بن الحسن كان أن عمر بن عبد العزيز لما تولى المدينة — كما ذكر الحسين بن محمد عن أبى حفص السُّلمىّ — أخذ أبا الزفت الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ومسلم بن جندُب الشّاعر الهذلىّ وعمر بن سلاّم مولى آل عمر على شراب لهم ، فأمر بهم فضرِبوا جميعًا ، ثم أمر بهم فجُعل فى أعناقهم حبال وطِيف بهم فى المدينة ، فكلِّم فيهم ، وصار إليه الحسين بن علىّ فكلمه ، وقال : ليس هذا عليهم وقد ضربتهم ، ولم يكن لك أن تضربهم ؛ لأنّ أهل العراق لا يروْن به بأسًا ، فلمَ تطوف بهم ! فبعث إليهم وقد بلغوا البلاط فردّهم ، وأمر بهم إلى الحَبْس ، فحبِسوا يومًا وليلة ، ثم كلِّم فيهم فأطلقهم جميعًا ؛ وكانوا

٣ / ٥٥٢

يُعرَضون ، ففُقد الحسن بن محمد ، وكان الحسين بن علىّ كفيله .

قال محمد بن صالح : وحدّثنى عبد الله بن محمد الأنصارىّ أن العُمَرىّ كان كَفَّل بعضهم من بعض[1] ؛ فكان الحسين بن علىّ بن الحسن ويحيى بن عبد الله بن الحسن كفيلين بالحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ؛ وكان قد تزوّج مولاةً لهم سوداء ابنة أبى لَيث مولى عبد الله بن الحسن ؛ فكان يأتيها فيُقيم عندها ، فغاب عن العرض يوم الأربعاء والخميس والجمعة ، وعرضهم خليفةُ العمرىّ عشيّة الجمعة ، فأخذ الحسين بن علىّ ويحيى بن عبد الله ؛ فسألهما عن الحسن بن محمد ؛ فغلّظ عليهم بعضَ التغليظ ، ثم انصرف إلى العمرىّ فأخبره خبرهم ، وقال له : أصلحك الله ! الحسن بن محمد غائب مذ ثلاث ، فقال : ائتنى بالحسين ويحيى ؛ فذهب فدعاهما ، فلمّا دخلا عليه ، قال لهما : أين الحسن بن محمد ؟ قالا : والله ما ندرى ؛ إنما غاب عنا يوم الأربعاء ، ثم كان يوم الخميس ؛ فبلغنا أنه اعتلّ ، فكنّا نظن أنّ هذا اليوم لا يكون فيه عرْض ؛ فكلمهما بكلام أغلظ لهما فيه ، فحلف يحيى بن عبد الله ألاّ ينام حتى يأتيَه به أو يضرب عليه باب داره ؛ حتى يعلم أنه قد جاءه به . فلما خرجا قال له الحسين : سبحان الله ! ما دعاك إلى هذا ؟ ومن أين تجد حسناً ! حلفتَ له بشىء لا تقدر عليه . قال : إنما حلفتُ على حسن ، قال : سبحان الله ! فعلى أىّ شىء حلفت ! قال : والله لا نمتُ حتى أضرب عليه باب داره بالسيف . قال : فقال حسين : تَكسر بهذا ما كان بيننا وبين أصحابنا من الصلة[2] ، قال : قد كان الذى كان فلا بدّ منه .

٥٥٣/٣

وكانوا قد تواعدوا على أن يخرجوا بِمِنًى أو بمكة فى الموسم — فيما ذكروا — وقد كان قوم من أهل الكوفة من شيعتهم — وممن كان بايع الحسين — متكمّنين فى دار ، فانطلقوا فعملوا فى ذلك من عشيّتهم ومن ليلتهم ، حتى إذا كان فى آخر الليل خرجوا . وجاء يحيى بن عبد الله حتى ضرب باب دار مَرْوان على العمرىّ ، فلم يجده فيها ، فجاء إلى منزله فى دار عبد الله بن عمر فلم يجده أيضاً فيها ، وتوارى منهم ، فجاءوا حتى اقتحموا المسجد حين أذّنوا بالصبح ؛

٥٥٤/٣

(١) ا : « لبعض » .
(٢) ا : « من الميعاد » .

فجلس الحسين على المنبر وعليه عمامة بيضاء ؛ وجعل الناس يأتون المسجد ؛ فإذا رأوهم رجعوا ولا يصلّون ، فلما صلّى الغداة جعل الناس يأتونه ، ويبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم للمرتضى من آل محمد . وأقبل خالد البربريّ ؛ وهو يومئذ على الصوافى بالمدينة قائد على مائتين من الجند مقيمين بالمدينة ، وأقبل فيمَن معه ، وجاء العمريّ ووزير ابن إسحاق الأزرق ومحمد بن واقد الشرويّ ؛ ومعهم ناس كثير ؛ فيهم الحسين بن جعفر بن الحسين بن الحسين على حِمار ، واقتحم خالد البربرى الرّحبة ، وقد ظاهر بين درعين ، وبيده السيف ، وعمود فى منطقته ، مصلتاً سيفَه ، وهو يصيح بحسين : أنا كسكاس ، قتلنى الله إن لم أقتلك ! وحمل عليهم حتى دنا منهم ؛ فقام إليه ابنا عبد الله بن حسن : يحيى وإدريس ، فضربه يحيى على أنف البيْضة فقطعها وقطع أنفه ، وشرقت عيناه بالدّم فلم يبصر ، فبرك يذبّب عن نفسه بسيفه وهو لا يبصر ، واستدار له إدريس من خلفه فضربه وصرّعه ، وعلَوْه بأسيافهما حتى قتلاه ، وشدّ أصحابهما على درعيْه فخلعوهما عنه ، وانتزعوا سيفه وعموده ، فجاءوا به . ثم أمروا به فجُرّ إلى البلاط ، وحملوا على أصحابه فانهزموا . قال عبد الله بن محمد : هذا كله بعينى . ٣/٥٥٥

وذكر عبد الله بن محمد أن خالداً ضرب يحيى بن عبد الله ، فقطع البُرْنس ، ووصلت[1] ضربته إلى يد يحيى فأثّرت فيها[2] ، وضربه يحيى على وجهه ، واستدار رجل أعور من أهل الجزيرة فأتاه من خلْفه ، فضربه على رِجْليه ، واعتوروه بأسيافهم فقتلوه .

قال عبد الله بن محمد : ودخل عليهم المسوّدة المسجد حين دخل الحسين ابن جعفر على حماره ، وشدّت المبيّضة فأخرجوهم ، وصاح بهم الحسين : ارفقوا بالشيخ — يعنى الحسين بن جعفر — وانتُهب بيت المال ، فأصيب فيه بضعة عشر ألف دينار ، فضلت من العطاء — وقيل : إن ذلك كان سبعين ألف دينار كان بعث بها عبد الله بن مالك ، يفرض بها من خُزاعة — قال : وتفرّق الناس ، وأغلق أهل المدينة عليهم أبوابهم ؛ فلما كان من الغد اجتمعوا واجتمعت شيعة ولد العباس ، فقاتلوهم بالبلاط فيما بين رحبة دار الفضل والزّوراء ،

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « خلعت » . (٢) ساقطة من ط وهى فى ا .

وجعل المسوّدة يحملون على المبيّضة حتى يبلغوا بهم رحبة دار الفضل ، وتحمل المبيّضة عليهم حتى يُبلَغ بهم الزَّوراء . وفشت الجراحات بين الفريقين جميعاً ، فاقتتلوا إلى الظهر ، ثم افترقوا ، فلما كان في آخر النهار من اليوم الثاني يوم الأحد ، جاء الخبر بأنّ مباركاً التركيّ ينزل بئر المطّلب ، فنشط الناس ، فخرجوا إليه فكلّموه أن يجيء ، فجاء من الغد حتى أتى الثّنيّة ، واجتمع إليه شيعة بني العباس ومن أراد القتال ، فاقتتلوا بالبلاط أشدّ قتال إلى انتصاف النهار ، ثم تفرّقوا . وجاء هؤلاء إلى المسجد ، ومضى الآخرون إلى مبارك التركيّ ، إلى دار عمر بن عبد العزيز بالثنيّة يقيل فيها ، وواعد[1] الناس الرّواح ، فلما غفلوا عنه ، جلس على رَوَاحله فانطلق ، وراح الناس فلم يجدوه ، فناوشوهم شيئاً من القتال إلى المغرب ، ثم تفرّقوا ، وأقام حسين وأصحابه أياماً يتجهّزون . وكان مقامهم بالمدينة أحد عشر يوماً ، ثم خرج يوم أربعة وعشرين لستٍّ بقين من ذي القعدة ، فلما خرجوا من المدينة عاد المؤذنون فأذنوا ؛ وعاد النّاس إلى المسجد ، فوجدوا فيه العظام التي كانوا يأكلون وآثارهم ، فجعلوا يدعون الله عليهم ، ففعل[2] الله بهم وفعل . ٥٥٦/٣

قال محمد بن صالح : فحدّثني نصير بن عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ ، أنّ حسيناً لما انتهى إلى السوق متوجّهاً إلى مكة التفت إلى أهل المدينة ، وقال : لا خلف الله عليكم بخير ! فقال الناس وأهل السوق : لا بل أنت ؛ لا خلف الله عليك بخير ، ولا ردّك ! وكان أصحابه يُحدِثون في المسجد ، فملئوه قذراً وبولا ؛ فلما خرجوا غسل الناس المسجد .

قال : وحدّثني ابن عبد الله بن إبراهيم ، قال : أخذ أصحاب الحسين ستورَ المسجد ، فجعلوها خفتانين لهم ، قال : ونادى أصحابُ الحسين بمكة : أيما عبدٍ أتانا فهو حرّ ؛ فأتاه العبيد ، وأتاه عبد كان لأبي ؛ فكان معه ؛ فلما أراد الحسين أن يخرج أتاه أبي فكلّمه ، وقال له : عمَدتَ إلى مماليك لم تملكْهم فأعتقتَهم ، بم تستحلّ ذلك ! فقال حسين لأصحابه : اذهبوا به ، فأيّ عبدٍ عرفه فادفعوه إليه ؛ فذهبوا معه ، فأخذ غلامه وغلامين لجيران لنا .

وانتهى خبر الحسين إلى الهادي ، وقد كان حجّ في تلك السنة رجال من أهل ٥٥٧/٣

---

(١) ا : « ووعد » . (٢) ط : « فعل » .

بيته؛ منهم محمد بن سليمان بن عليّ والعباس بن محمد وموسى بن عيسى، سوى من حجّ من الأحداث . وكان على الموسم سليمان بن أبي جعفر ، فأمر الهادى بالكتاب بتولية محمد بن سليمان على الحرب ، فقيل له : عمّك العباس بن محمد ! قال : دعونى ، لا والله لا أخدَع عن ملكى ؛ فنفذ الكتاب بولاية محمد بن سليمان بن عليّ على الحرب ، فلقيَهم الكتاب وقد انصرفوا عن الحجّ .
وكان محمد بن سليمان قد خرج فى عدّةٍ من السلاح والرجال ؛ وذلك لأن الطريق كان مخوفًا معوراً من الأعراب ؛ ولم يحتشد لهم حسين ؛ فأتاه خبرهم ، فهمْ بصوبه ، فخرج بخدَمه وإخوانه . وكان موسى بن عليّ بن موسى قد صار ببطْن نخل، على الثلاثين من المدينة، فانتهى إليه الخبر ومعه إخوانه وجواريه، وانتهى الخبر إلى العباس بن محمد بن سليمان وكاتبهم ، وساروا إلى مكة فدخلوا ، فأقبل محمد بن سليمان ، وكانوا أحرموا بعُمْرة . ثم صاروا إلى ذى طُوًى؛ فعسكروا بها ، ومعهم سليمان بن أبى جعفر ؛ فانضمّ إليهم من وافَى فى تلك السنة من شيعة ولد العباس ومواليهم وقُوّادهم. وكان الناس قد اختلفوا فى تلك السنة فى الحجّ وكثروا جدًّا . ثم قدّم محمد بن سليمان قدامه تسعين حافراً ما بين فَرس إلى بغل ، وهو على نجيب عظيم ، وخلفه أربعون راكبًا على النجائب عليها الرِّحال وخلْفهم مائتا[1] راكب على الحمير ، سوى مَنْ كان معهم من الرّجالة وغيرهم ، وكثروا فى أعين الناس جدًّا وملئوا صدورهم[2] فظنّوا أنهم أضعافهم ، فطافوا بالبيت ، وسعَوْا بين الصَّفا والمرْوة، وأحلّوا من عمرتهم ، ثم مضوا فأتوا ذا طُوًى ونزلوا، وذلك يوم الخميس. فوجّه محمد بن سليمان أبا كامل — مولًى لإسماعيل بن عليّ — فى نيِّف وعشرين فارسًا؛ وذلك يوم الجمعة فلقيهم . وكان فى أصحابه رجل يقال له زيد ، كان انقطع إلى العبّاس، فأخرجه معه حاجًّا لما رأى من عبادته ، فلما رأى القوم قلَب ترسه وسيفه، وانقلب إليهم؛ وذلك ببطن مرّ، ثم ظفروا به بعد ذلك مشدّخًا بالأعمدة؛ فلما كان ليلة السبت وجّهوا خمسين فارسًا ، كان أوّل مَنْ ندبوا صباح أبو الذّيال ، ثم آخر ثم آخر ؛ فكان أبو خاوة الخادم مولى محمد خامسًا ،

٣/٥٥٨

(١) كذا فى ا ، و فى ط : « مابين » . (٢) ساقطة من ط وهى مثبتة فى ا .

وا المفضّل مولى المهديّ ، فأرادوا أن يصيّروه عليهم ، فأبى وقال : لا ، ولكن
يّروا عليهم غيرى وأكون أنا معهم ، فصيّروا عليهم عبد الله بن حُميد بن
ين السمرقندىّ — وهو يومئذ شابّ ابن ثلاثين سنة — فذهبوا وهم خمسون
ساً ؛ وذلك ليلة السبت . فدنا القوم ، وزحفت[1] الخيل ، وتعبأ الناس ؛ فكان
باس بن محمد وموسى بن عيسى فى الميسرة ، ومحمد بن سليمان فى الميمنة ؛
كان معاذ بن مسلم فيما بين محمد بن سليمان والعباس بن محمد ، فلما كان قبل
لوع الفجر جاء حسين وأصحابه فشدّ ثلاثة من موالى سليمان بن علىّ — أحدهم
جويه غلام حسان — فجاءوا برأس فطرحوه قُدّام محمد بن سليمان — وقد كانوا
لوا : مَنْ جاء برأس فله خمسمائة درهم — وجاء أصحاب محمد فعرقبوا
إبل ، فسقطت محاملها . فقتلوهم وهزموهم ؛ وكانوا خرجوا من تلك الثّنايا ،
كان الذين خرجوا ممّا يلى محمد بن سليمان أقلّهم ، وكان جلُّهم خرجوا مما يلى
وسى بن عيسى وأصحابه ؛ فكانت الصدمة بهم ؛ فلما فرغ محمد بن سليمان
ّن يليه وأسفروا ، نظروا إلى الذين يلون موسى بن عيسى ؛ فإذا هم مجتمعون
أنهم كبّة غزْل ، والتفّت الميمنة والقلب عليهم ، وانصرفوا نحو مكّة
يدرون ما حال الحسين ؛ فما شعروا وهم بذى طُوًى أو قريباً منها إلا برجل
ن أهل خراسان ، يقول : البشرى البشرى ! هذا رأس حُسين ، فأخرجه وبجبهته
ضربة طولاً ، وعلى قفاه ضربة أخرى ؛ وكان الناس نادوا بالأمان حين فرغوا ،
جاء الحسن بن محمد أبو الزّفت مغمضاً إحدى عينيه ، قد أصابها شىء فى
لحرب ، فوقف خلف محمد والعباس ، واستدار به موسى بن عيسى وعبد الله
بن العباس . فأمر به فقتل ، فغضب محمد بن سليمان من ذلك غضباً شديداً .
دخل محمد بن سليمان مكة من طريق والعباس بن محمد من طريق ، واحتُزّت
لرءوس ؛ فكانت مائة رأس ونيّفاً ؛ فيها رأس سليمان بن عبد الله بن حسن
ذلك يوم التروية ، وأخذت أخت الحسين ، وكانت معه فصيرت عند زينب
بنت سليمان ، واختلطت المنهزمة بالحجّاج ، فذهبوا ، وكان سليمان بن أبى جعفر
شاكياً فلم يحضر القتال ، ووافى عيسى بن جعفر الحجّ تلك السنة ؛ وكان مع
أصحاب حسين رجلٌ أعمى يقصّ عليهم فقتل ، ولم يقتل أحد منهم صبرًا .

٥٥٩/٣ — ٥٦٠/٣

(١) ط : « ورجعت » .

قال الحسين بن محمد بن عبد الله : وأسر موسى بن عيسى أربعة نفر من أهل الكوفة ، ومولى لبني عجل وآخر .

قال محمد بن صالح : حدّثني محمد بن داود بن عليّ ، قال : حدّثنا موسى بن عيسى ، قال : قدمتُ معي بستّة أسارى فقال لى الهادى : هيه ! تقتل أسيرى ! فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، إني فكرت فيه فقلت : تجىء عائشة وزينب إلى أمّ أمير المؤمنين ، فتبكيان عندها وتكلّمانها ، فتكلّم له أمير المؤمنين فيطلقه . ثم قال : هاتِ الأسرى ، فقلت : إني جعلت لهم العهد والمواثيق بالطلاق والعَتاق ، فقال : ائتني بهم ، وأمر باثنين فقتلا ، وكان الثالث منكراً ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ هذا أعلم الناس بآل أبى طالب ؛ فإن استبقيتَه دلّك على كل بغية لك ، فقال : نعم والله يا أميرَ المؤمنين ؛ إني أرجو أن يكون بقائى صنعاً لك . فأطرق ثم قال : والله لإفلاتُك[1] من يدى بعد أن وقعتَ فى يدى لشديد ؛ فلم يزل يكلّمه حتى أمر به أن يؤخّر ، وأمره أن يكتب له طلبته ، وأمّا الآخر فصفح عنه ، وأمر بقتل عذافر الصيرفى وعليّ بن السابق القلّاس الكوفيّ ، وأن يصلبا ، فصلبوهما بباب الجسر ، وكانا أُسرا بفخّ . وغضب على مبارك التركيّ ، وأمر بقبض أمواله وتصييره فى ساسة الدوابّ ، وغضب على موسى بن عيسى لقتله الحسن بن محمد ، وأمر بقبض أمواله .

وقال عبد الله بن عمرو الثلجيّ : حدّثني محمد بن يوسف بن يعقوب الهاشميّ ، قال : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى ، قال : أفلت إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبى طالب من وقعة فخّ فى خلافة الهادى ، فوقع إلى مصر ، وعلى بريد مصر واضح مولى لصالح بن أمير المؤمنين المنصور ، وكان رافضياً خبيثاً ، فحمله على البريد إلى أرض المغرب ، فوقع بأرض طنجة بمدينة يقال لها وليلة ، فاستجاب له مَن بها وبأعراضها من البربر ، فضرب الهادى عنق واضح وصلبه . ٥٦١/٣

ويقال : إنّ الرّشيد الذى ضرب عنقه ، وأنه دس إلى إدريس الشماخ اليمامىّ مولى المهدىّ ، وكتب له كتاباً إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على إفريقيّة ،

(١) ا : « إن إفلاتك » .

فخرج حتى وصل إلى وليلة وذكر أنه متطبّب، وأنه من أوليائهم، ودخل على إدريس فأنس به واطمأنّ إليه؛ وأقبل الشمّاخ يريه الإعظام له والميل إليه والإيثار له فنزل عنده بكلّ منزلة. ثم إنه شكا إليه علّةً في أسنانه، فأعطاه سنوناً[1] مسموماً قاتلا، وأمره أن يستنّ به عند طلوع الفجر لليلته؛ فلما طلع الفجر استنّ إدريس بالسنون، وجعل يردّه في فيه، ويكثّر منه، فقتله. وطُلب الشمّاخ فلم يُظفر به، وقدم على إبراهيم بن الأغلب فأخبره بما كان منه، وجاءته بعد مقدمه الأخبار بموت إدريس؛ فكتب ابن الأغلب إلى الرّشيد بذلك، فولّى الشمّاخ بريد مصر وأجاره[2]، فقال في ذلك بعض الشعراء — أظنه الهنازيّ:

أَتَظنّ يا إِدْرِيسُ أَنَّكَ مُفْلِتٌ ... كَيْدَ الخليفةِ أَوْ يُفيدُ فِرارُ
فَلْيُدْرِكَنَّكَ أَوْ تحِلَّ بِبَلْدَةٍ ... لا يَهْتَدِي فيها إِلَيْكَ نَهارُ
إِنَّ السُّيوفَ إِذا انتضاها سُخْطُهُ ... طالتْ وقَصَّرَ دُونها الأَعمارُ
مَلِكٌ كأَنَّ المَوْتَ يَتْبَعُ أَمْرَهُ ... حتى يقال: تُطيعُهُ الأَقدارُ

٣/٥٦٢ وذكر الفضل بن إسحاق الهاشميّ أن الحسين بن عليّ لما خرج بالمدينة وعليها العُمَرىّ لم يزل العمرىّ متخفّياً مقامَ الحسين بالمدينة، حتى خرج إلى مكة. وكان الهادى وجّه سليمان بن أبي جعفر لولاية الموسم، وشخص معه من أهل بيته ممن أراد الحجّ العباس بن محمد وموسى بن عيسى وإسماعيل بن عيسى ابن موسى في طريق الكوفة، ومحمد بن سليمان وعدّة من ولد جعفر بن سليمان على طريق البصرة، ومن الموالى مبارك التركى والمفضّل الوصيف وصاعد مولى الهادى — وكان صاحب الأمر سليمان — ومن الوجوه المعروفين يقطين بن موسى وعبيد ابن يقطين وأبو الوزير عمر بن مطرّف؛ فاجتمعوا عند الذى بلغهم من توجّه الحسين ومَنْ معه إلى مكة، ورأّسوا عليهم سليمان بن أبي جعفر لولايته؛ وكان قد جُعل أبو كامل مولى إسماعيل على الطلائع، فلقوه بفخّ، وخلّفوا عبيد الله بن قُثَم بمكة للقيام بأمرها وأمر أهلها؛ وقد كان العباس بن محمد أعطاهم الأمان على ما أحدثوا، وضمن لهم الإحسان إليهم والصلة لأرحامهم؛

(١) السنون: ما استكت به.

(٢) ط: «وأخباره».

وكان رسولهم فى ذلك المفضّل الخادم، فأبوْا قبول ذلك ، فكانت الوقعة ، فقتل مَنْ قتل ، وانهزم الناس ، ونودى فيهم بالأمان، ولم يُتبَع هارب ؛ وكان فيمن هرب يحيى وإدريس ابنا عبد الله بن حسن ؛ فأما إدريس فلحق بتاهَرْت من بلاد المغرب ، فلجأ إليهم فأعظموه ؛ فلم يزل عندهم إلى أن تُلُطِّف له ، واحتيل عليه ، فهلك ، وخلفه ابنه إدريس بن إدريس ؛ فهم[1] إلى اليوم بتلك الناحية مالكين لها ، وانقطعت عنهم البعوث .

٣/٥٦٣ قال المفضل بن سليمان : لما بلغ العمرىَّ وهو بالمدينة مقتلُ الحسين بفخّ وثب على دار الحسين ودور جماعة من أهل بيته وغيرهم ممّن خرج مع الحسين ، فهدمها وحرّق النخل ، وقبض ما لم يحرقه ، وجعله فى الصوافى المقبوضة[2] . قال : وغضب الهادى على مبارك التركىّ لما بلغه من صدوده عن لقاء الحسين بعد أن شارف المدينة ، وأمر بقبض أمواله وتصييره فى سياسة دوابه ؛ فلم يزل كذلك إلى وفاة الهادى ، وسخط على موسى بن عيسى لقتله الحسن بن محمد بن عبد الله أبى الزفت ؛ وتركه أن يقدم به أسيراً ، فيكون المحكّم فى أمره ، وأمَرَ بقبض أمواله ، فلم تزل مقبوضة إلى أن تُوفّىَ موسى . وقدم على موسى ممن أسر بفخّ الجماعة ، وكان فيهم عذافر الصيرفىّ وعلىّ بن سابق القلاّس الكوفىّ ، فأمر بضرب أعناقهما وصلْبهما بباب الجسر ببغداد ؛ ففُعل ذلك . قال : ووجّه مهرويه مولاه إلى الكوفة ، وأمره بالتغليظ عليهم لخروج مَنْ خرج منهم مع الحسين .

وذكر علىّ بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، قال : حدّثنى يوسف البَرْم مولى آل الحسن — وكانت أمّه مولاة فاطمة بنت حسن — قال : كنت مع حسين أيام قدم على المهدىّ ، فأعطاه أربعين ألف دينار ، ففرّقها فى الناس ببغداد والكوفة ؛ ووالله ما خرج من الكوفة وهو يملك شيئاً يلبسه إلا فروًا ما تحته قميص وإزار الفراش ؛ ولقد كان فى طريقه إلى المدينة ؛ إذا نزل استقرض من مواليه ما يقوم بمؤونتهم فى يومهم

قال علىّ : وحدثنى السرىّ أبو بشر، وهو حليف بنى زهرة ، قال : صلّيتُ ٣/٥٦٤ الغداة فى اليوم الذى خرج فيه الحسين بن علىّ بن الحسن صاحب فخّ ، فصلّى

---

(١) ط : « فهو » . (٢) ط : « والمقبوضة » ، وما أثبته من ا .

بنا حسين ، وصعد المنبر منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجلس وعليه قميص وعمامة بيضاء قد سدَلها من بين يديه ومن خلْفه ، وسيفه مسلول قد وضعه بين رجليه ؛ إذ أقبل خالد البربرىّ فى أصحابه ؛ فلمّا أراد أن يدخل المسجد بدَرَه يحيى بن عبد الله، فشدّ عليه البربرىّ؛ وإنى لأنظر إليه، فبدَرَه يحيى بن عبد الله ، فضربه على وجهه ، فأصاب عينيه وأنفه ؛ فقطع البيضة والقلنسوة ، حتى نظرتُ إلى قَحْفه طائراً عن موضعه ، وحمل على أصحابه فانهزموا . ثم رجع إلى حسين ، فقام بين يديه وسيفه مسلول يقطر دمًا ، فتكلّم حسين ، فحمد الله وأثنى عليه ، وخطب الناس ، فقال فى آخر كلامه : يأيها النّاس، أنا ابن رسول الله فى حرم رسول الله، وفى مسجد رسول الله، وعلى منبر نبىّ الله ، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فإن لم أفِ لكم بذلك فلا بيعةَ لى فى أعناقكم . قال : وكان أهل الزيارة فى عامهم ذلك كثيراً ، فكانوا قد ملئوا المسجد ؛ فإذا رجل قد نهض ، حسن الوجه ، طويل القامة ، عليه رداءٌ ممشّق ، أخذ بيد ابن له شابّ جميل جَلْد ، فتخطّى رقاب الناس ؛ حتى انتهى إلى المنبر ، فدنا من حسين ، وقال : يابنَ رسول الله ، خرجتُ من بلد بعيد وابنى هذا معى ، وأنا أريد حجّ بيت الله وزيارة قبر نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وما يخطر ببالى هذا الأمر الّذى حدث منك ؛ وقد سمعتُ ما قلتَ ، فعندك وفاء بما جعلت على نفسك ؟ . قال : نعم ، قال : ابسط يدَك فأبايعك ، قال : فبايعه ، ثم قال لابنه : ادن فبايِعْ . قال : فرأيتُ والله رءوسهما فى الرءوس بمنًى ، وذلك أنى حججت فى ذلك العام . ٥٦٥/٣

قال : وحدّثنى جماعة من أهل المدينة أنّ مباركاً التركىّ أرسل إلى حسين ابن علىّ : والله لأن أسقط من السماء فتخطفنى الطير ، أوتهوى بى الريح فى مكان سحيق، أيسر علىّ من أن أشوكك بشوكة، أو أقطع من رأسك شعرة ؛ ولكن لابدّ من الإعذار ؛ فبيِّتْنى فإنى منهزم عنك. فأعطاه بذلك عهدَ الله وميثاقه . قال : فوجّه إليه الحسين– أوخرج إليه– فى نفر يسير ، فلما دنوْا من عسكره صاحوا وكبّرُوا ، فانهزم أصحابه حتى لحق بموسى بن عيسى .

وذكر أبو المضْرَحىّ الكلابىّ ، قال : أخبرنى المفضّل بن محمد بن المفضّل

ابن حسين بن عبيد الله بن العباس بن علىّ بن أبى طالب ، أنّ الحسين بن علىّ بن حسن بن حسن ، قال يومئذ فى قوم لم يخرجوا معه — وكان قد وعدوه أن يوافوه ، فتخلّفوا عنه — متمثّلا :

مَن عاذَ بالسَّيْفِ لَاقَى فُرْصَةً عجَباً مَوْتاً على عجل أو عاش منتصِفا[1]

لا تَقرَبوا السَّهلَ إنَّ السَّهلَ يُفسِدُكم لَن تُدْركوا المجدَ حتى تضربُوا عُنفا[2]

وذكر الفضل بن العباس الهاشمىّ أن عبد الله بن محمد المنقرىّ حدّثه عن أبيه ، قال : دخل عيسى بن دأب على موسى بن عيسى عند منصرَفه من فَخّ ، فوجده خائفًا يلتمس عذراً مِن قتل مَن قتل ، فقال له : أصلح الله الأمير ! أنشدك شعراً كتبَ به يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة يعتذر فيه من قتل الحسين بن علىّ رضى الله عنه ؟ قال : أنشدنى ، فأنشده ، فقال :

٣/٥٦٦

يأيّها الراكبُ الغـادِى لِطِيّتِهِ على عُذَافِرَةٍ فى سَيْرِها قُحَمُ

أَبلغْ قرَيشاً على شَحْطِ المَزارِ بها بيْنِى وبيْنَ الحُسَين اللهُ والرَّحِمُ

وَمَوْقِفٍ بِفناءِ البيْتِ أَنْشُدُهُ عهْدَ الإلهِ ومَا تُرْعَى له الذِّمَمُ

عنَّفتمُ قَوْمكم فَخْرًا بأُمِّكُمُ أُمٌّ حَصَانٌ لعَمْرى بَرَّةٌ كرَمُ

هى التى لا يُدانى فَضلَها أَحَدٌ بنتُ النبِىِّ وَخَيْرِ الناسِ قَدْ علموا

وفَضلها لكمُ فضلٌ وغيرُكمُ مِنْ قَومكُمْ لَهُمُ مِن فضلها قِسَمُ

إنى لأَعلَمُ أو ظنًّا كعالِمِهِ والظنّ يَصْدُقُ أحياناً فَيَنْتَظِمُ

أَن سوفَ يَتْرُككمْ ما تطلبونَ بها قتْلَى تهاداكمُ العِقبان والرَّخَمُ

يا قَومَنا لا تُشِبُّوا الحَربَ إذ خَمَدَت ومَسِّكوا بِحبالِ السِّلْمِ واعْتَصِموا

لا تركبوا البَغْىَ إنَّ البغْىَ مَصْرَعَةٌ وإنَّ شاربَ كأْسِ البغْىِ يتَّخِمُ

٣/٥٦٧

قَدْ جَرَّبَ الحَرْبَ مَن قَدْ كان قبلكمُ مِنَ القرونِ وقَد بادتْ بها الأُمَمُ

فأَنْصِفوا قومكم لا تهلكوا بذَخًا فَرُبَّ ذى بَذخٍ زَلَّتْ بهِ القَدَمُ

(١) ا ، س : « أو مات » .
(٢) ا ، ج : « حتى تدركوا » .

قال : فسرِّىَ عن موسى بن عيسى بعض ما كان فيه .

وذكر عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى أنّ العلاء حدّثه أن الهادىَ أمير المؤمنين لمّا ورد عليه خلعُ أهلَ فخّ خلا ليله يكتب كتابًا بخطّه، فاغتمّ بخلوته مواليه وخاصّته ، فدسّوا غلامًا له ، فقالوا : اذهب حتّى تنظر إلى أىّ شىء انتهى الخبر ، قال : فدنا من موسى ، فلما رآه قال : ما لك ؟ فاعتلّ عليه ، قال : فأطرق ثم رفع رأسه إليه ، فقال :

رَقَدَ الأُلَى ليس السُّرَى مِنْ شَأْنِهِمْ ... وكفَاهُمُ الإِدْلاجَ من لم يَرْقُدِ

وذكر أحمد بن معاوية بن بكر الباهلىّ ؛ قال : حدّثنا الأصمعىّ ، قال : قال محمد بن سليمان ليلة فخّ لعمرو بن أبى عمرو المدنىّ — وكان يرمى بين يديه بين الهدفين : ارمِ ، قال : لا والله لا أرمى ولدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إنى إنّما صحبتك لأرمى بين يديك بين الهدَفيْن ، ولم أصحبك لأرمى المسلمين .

قال : فقال المخزومىّ : ارْمِ ، [1]فرمى فما مات إلا بالبَرَص[1] .

قال : ولما قتِل الحسين بن علىّ وجاء[2] برأسه يقطين بن موسى ، فوُضِع بين يدى الهادى ، قال : كأنكم والله جئتم برأس طاغوت من الطواغيت ! إن أقلّ ما أجزيكم به أن أحرمكم جوائزكم . قال : فحرمهم ولم يعطهم شيئًا .

وقال موسى الهادى : لما قُتِل الحسين متمثّلا :

قدْ أنصَفَ القارَةَ مَنْ راماها[3] ... إنا إذا ما فئَةً نلقاها

* نرُدُّ أولاها على أخراها *

٣/٥٦٨

وغزا الصائفة فى هذه السنة معيوف بن يحيى من دَرْب الراهب، وقد كانت الرُّوم أقبلت مع البطريق إلى الحدَث[4] ؛ فهرب الوالى والجند وأهل الأسواق ،

(١ — ١) ا، ج : « فات بالبرص » .
(٢) ج : « وجاءه » .
(٣) اللسان ٦ : ٤٣٦ .
(٤) ابن الأثير : « الحديثة » .

فدخلها العدو ، ودخل أرض العدوّ معيوف بن يحيى ، فبلغ مدينة أشنة ، فأصابوا سبايا وأسارى وغنموا .

وحجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن أبى جعفر المنصور .

وكان على المدينة عمر بن عبد العزيز العمرىّ ، وعلى مكة والطائف عبيد الله بن قُثَم ، وعلى اليمن إبراهيم بن سَلْم بن قتيبة ، وعلى اليمامة والبحرين سُويد بن أبى سُويد القائد الخراسانىّ ، وعلى عُمان الحسن بن تسنيم [1] الحوارىّ ،

وعلى صلاة الكوفة وأحداثها وصدقاتها وبِهقُباذ الأسفل موسى بن عيسى ، وعلى صلاة البصرة وأحداثها محمد بن سليمان . وعلى قضائها عمر بن عثمان ، وعلى جرجان الحجّاج مولى الهادى ، وعلى قومس زياد بن حسان ، وعلى طَبَرِسْتان والرُّويان صالح بن شيخ بن عُميرة الأسدىّ ، وعلى أصبهان طيفور مولى الهادى .

(١) ابن الاثير : « نسيم » .

ثم دخلت سنة سبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك وفاة يزيد بن حاتم بإفريقيّة فيها ، ووليَها بعده روْح بن حاتم . ٥٦٩/٣

وفيها مات عبد الله بن مروان بن محمد فى المطبَق .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة موسى الهادى]

وفيها توفّىَ موسى الهادى بعيساباذ. واختُلف فى السبب الذى كان به وفاته ، فقال بعضهم : كانت وفاته من قُرْحة كانت فى جوفه . وقال آخرون : كانت وفاته من قِبَل جوارٍ لأمّه الخيزُران ؛ كانت أمرتهنّ بقتله لأسباب نذكر بعضها .

* ذكر الخبر عن السبب الذى من أجله كانت أمرتهنّ بقتله :

ذكر يحيى بن الحسن أن الهادىَ نابذَ أمه ونافرها ؛ لمّا صارت إليه الخلافة ، فصارت خالصةُ إليه يومًا ، فقالت : إن أمّك تستكسيك ، فأمر لها بخِزانة مملوءة كِسوة . قال : ووُجِد للخيزران فى منزلها من قراقر[1] الوشى ثمانية عشر ألف قَرْقر . قال : وكانت الخيزران فى أوّل خلافة موسى تفتات عليه فى أموره ، وتسلك به مسلك أبيه من قبله فى الاستبداد بالأمر والنهى ، فأرسل إليها ألا تخرجِى من خفَر الكفاية إلى بذاذة التبذُّل ؛ فإنه ليس من قَدْر النساء الاعتراض فى أمر الملك ؛ وعليكِ بصلاتك وتسبيحك[2] وتبتُّلك ؛ ولك بعد هذا طاعة مثلك فيما يجب لك . قال : وكانت الخيزُران فى خلافة موسى كثيراً ما تكلّمه فى الحوائج ؛ فكان يجيبها إلى كلّ ما تسأله حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته ، وانثال النّاس عليها ، وطمعوا فيها ؛ فكانت المواكب تغدو إلى بابها ؛ قال : فكلّمته يومًا فى أمرٍ لم يجد إلى إجابتها[3] إليه سبيلا ، ٥٧٠/٣

(١) القرقر : من لباس المرأة . (٢) ا : « وسبحتك » (٣) س : « فى إجابتها » .

فاعتلّ بعلة ، فقالت : لا بدّ من إجابتى ، قال : لا أفعل ، قالت : فإنى قد تضمّنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك . قال : فغضب موسى ، وقال : ويل على ابن الفاعلة ! قد علمتُ أنه صاحبها ؛ والله لاقضيتها لك ، قالت : إذاً والله لا أسألك حاجة أبداً ، قال : إذاً والله لا أبالى . وحمِىَ وغضب . فقامت مغضَبة ، فقال : مكانَك تستوعى[1] كلامى والله ، وإلاّ فأنا نفىّ من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغنى أنه وقف ببابك أحد من قوّادى أو أحد من خاصّتى أو خدمى لأضربنّ عنقه ؛ ولأقبضنّ ماله ؛ فمن شاء فليلزم ذلك . ما هذه المواكب التى تغدو وتروح إلى بابك فى كلّ يوم ! أما لكِ مغزل يشغلك ، أو مصحف يذكّرك ، أو بيت يصونك ! إياك ثم إياك ، ما فتحتِ بابك لملىّ أو لذمىّ . فانصرفت ما تعقل ما تطأ ؛ فلم تنطق عنده بحُلْوة ولا مُرّة بعدها .

قال يحيى بن الحسن : وحدّثنى أبى ، قال : سمعت خالصة تقول للعباس ابن الفضل بن الربيع : بعث موسى إلى أمّه الخيزُران بأرزّة ، وقال : استطبتُها فأكلتُ منها ، فكلى منها . قالت خالصة : فقلت لها : أمسكى حتى تنظرى ؛ فإنى أخاف أن يكون فيها شىء تكرهينه ، فجاءوا بكلب فأكل منها ، فتساقط لحمه ؛ فأرسل إليها بعد ذلك : كيف رأيتِ الأرزّة ؟ فقالت : وجدتها طيّبة ، فقال : لم تأكلى ؛ ولو أكلتِ لكنتُ قد استرحتُ منك ، متى أفلح خليفة له أمّ ! ٥٧١/٣

قال وحدّثنى بعضُ الهاشميين ، أنّ سبب موت الهادى كان أنه لمّا جدّ فى خلع هارون والبيعة لابنه جعفر ، وخافت الخيزُران على هارون منه ، دسّت إليه من جواريها لمّا مرض مَنْ قتله بالغمّ والجلوس على وجهه ، ووجّهت إلى يحيى بن خالد : إنّ الرجُلَ قد تُوُفّى ، فاجدُدْ فى أمرك ولا تقصّر .

وذكر محمد بن عبد الرحمن بن بشار أنّ الفضل بن سعيد حدّثه ، عن أبيه ، قال : كان يتصل بموسى وصولُ القوّاد إلى أمّه الخيزُران ، يؤمّلون بكلامها

(١) ج : « تستوفى » . ا : « تستوعى » .

فى قضاء حوائجهم عنده ، قال : وكانت تريد أن تغلب على أمره كما غلبت على أمر المهدىّ ؛ فكان يمنعها من ذلك ويقول : ما للنساء والكلام فى أمر الرجال ! فلما كثر عليه مصيرُ من يصير إليها من قواده ، قال يوماً وقد جمعهم : أيما خير ؟ أنا أو أنتم ؟ قالوا : بل أنت يا أمير المؤمنين ؛ قال : فأيما خيرٌ ، أمى أو أمهاتكم ؟ قالوا : بل أمك يا أمير المؤمنين ، قال : فأيكم يحبّ أن يتحدّث الرجال بخبر أمه ، فيقولوا : فعلتْ أمّ فلان ، وصنعت أم فلان ، وقالت أم فلان ؟ قالوا : ما أحد منا يحبّ ذلك ، قال : فما بالُ الرجال يأتون أمى فيتحدّثون بحديثها ! فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها ألبتّةَ ، فشقّ ذلك عليها فاعتزلْته ، وحلفتْ ألاّ تكلمه ؛ فما دخلت عليه حتى حضرته الوفاة .

* * *

[ذكر الخبر عما كان من خلع الهادى للرشيد]

وكان السبب فى إرادة موسى الهادى خلْع أخيه هارون حتى اشتدّ عليه فى ذلك وجدّ — فيما ذكر صالح بن سليمان — أنّ الهادىَ لما أفضت إليه الخلافة أقرّ يحيى بن خالد على ما كان يلى هارون من عمل المغرب ؛ فأراد الهادى خلعَ هارون الرشيد والبيْعة لابنه جعفر بن موسى الهادى ، وتابعه على ذلك القوّاد ؛ منهم يزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وعلىّ بن عيسى ومَنْ أشبههم ؛ فخلعوا هارون ، وبايعوا لجعفر بن موسى ، ودسّوا إلى الشيعة[1] ؛ فتكلموا فى أمره ، وتنقّصوه فى مجلس الجماعة ، وقالوا : لا نرضى به ، وصعب أمرهم حتى ظهر ؛ وأمر الهادى ألاّ يسارَ قدّامَ الرشيد بحربة ، فاجتنبه الناس وتركوه ؛ فلم يكن أحدٌ يجترئ أن يسلّم عليه ولا يقربه . ٣/٥٧٢

وكان يحيى بن خالد يقوم بإنزال الرّشيد ولايفارقه هو وولده — فيما ذكر. قال صالح : وكان إسماعيل بن صُبيح كاتب يحيى بن خالد، فأحبّ أن يضعه موضعاً يستعلم له فيه الأخبار ، وكان إبراهيم الحرّانىّ فى موضع الوزارة لموسى ، فاستكتب إسماعيل ، ورفع الخبر إلى الهادى ؛ وبلغ ذلك يحيى بن خالد ، فأمر إسماعيل أن يشخص إلى حرّان ، فسار إليها ؛ فلما كان بعد أشهر سأل

---

(١) ا : « إليه الشيعة » .

الهادى إبراهيم الحرانىّ : مَنْ كاتبك ؟ قال : فلان كاتب ، وسمّاه ، فقال : أليس بلغنى أن إسماعيل بن صُبيح كاتبك ؟ قال : باطلٌ يا أمير المؤمنين ؛ إسماعيل بحرّان .

قال : وسُعِىَ إلى الهادى بيحيى بن خالد ، وقيل له : إنه ليس عليك من هارون خلاف ؛ وإنما يفسده يحيى بن خالد ، فابعث إلى يحيى ، وتهدّدْه بالقتل ؛ وارمِه بالكفر ؛ فأغضب ذلك موسى الهادى على يحيى بن خالد .

وذكر أبو حفص الكرمانىّ أنّ محمد بن يحيى بن خالد حدّثه ، قال : بعث الهادى إلى يحيى ليلاً ، فأيِس من نفسه ، وودّع أهله ، وتحنّط وجدّد ثيابه، ولم يشكّ أنه يقتله؛ فلمّا أدخِل عليه ، قال : يا يحيى، ما لى ولك ! قال : أنا عبدُك يا أميرَ المؤمنين ؛ فما يكون من العبد إلى مولاه إلا طاعته . قال : فلمَ تدخل بينى وبين أخى وتفسده علىّ ! قال : يا أميرَ المؤمنين ، مَنْ أنا حتى أدخل بينكما ! إنما صيرنى المهدىّ معه ، وأمرنى بالقيام بأمره ؛ فقمت بما أمرنى به ، ثم أمرتَنى بذلك فانتهيت إلى أمرك . قال : فما الذى صنع هارون؟ قال : ما صنع شيئًا ، ولاذلك فيه ولا عنده . قال : فسكن غضبُه . وقد كان هارون طاب نفسًا بالخلع ، فقال له يحيى : لا تفعل ، فقال : أليس يترك لى الهنىء والمرىء، فهما يسعاننى وأعيش مع ابنة عمى ! وكان هارون يجدُ بأمّ جعفر وجْداً شديداً، فقال له يحيى : وأين هذا من الخلافة ! ولعلك ألا يُتْرَك هذا فى يدك حتى يخرج أجمَع ؛ ومنعه من الإجابة .

٥٧٣/٣

قال الكرمانىّ : فحدّثنى صالح بن سليمان ، قال : بعث الهادى إلى يحيى بن خالد وهو بعيساباذ ليلاً ، فراعه ذلك ، فدخل عليه وهو فى خَلْوة ، فأمر بطلب رجل كان أخافه[1] ، فتغيّب عنه؛ وكان الهادى يريد أن ينادمه ويمنعه مكانه من هارون ، فنادمه وكلّمه يحيى فيه ، فآمنه وأعطاه خاتم ياقوت أحمر فى يده ، وقال : هذا أمانه[2] ، وخرج يحيى فطلب الرّجل ، وأتى الهادى به فسرّ بذلك .

---

(١) س : « خافه » . (٢) ط : « أمانة » .

قال : وحدّثنى غير واحد أنّ الرجل الذى طلبه كان إبراهيم الموصلىّ .

قال صالح بن سليمان : قال الهادى يوما للربيع : لا يدخل علىّ يحيى بن خالد إلا آخر الناس . قال : فبعث إليه الرّبيع ، وتفرّغ له . قال : فلما جلس من غد أذن حتى لم يبق أحد ، ودخل عليه يحيى ، وعنده عبد الصمد ابن علىّ والعبّاس بن محمد وجلّةُ أهله وقُوّاده ، فما زال يُدنيه حتى أجلسه بين يديه ، وقال له : إنى كنت أظلمك وأكفرك ، فاجعلنى فى حلّ ، فتعجبّ الناس من إكرامه إياه وقوله ؛ فقبّل يحيى يده وشكر له ، فقال له الهادى : مَن الذى يقول فيك يا يحيى : ٣/٥٧٤

لو يَمَسُّ البَخِيلُ راحةَ يحيى لَسَخَتْ نَفْسُه بِبَذْلِ النَّوالِ

قال : تلك راحتُك يا أمير المؤمنين لا راحة عبدك !

قال : وقال يحيى للهادى فى خلع الرّشيد لمّا كلمه فيه : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنك إن حملت الناس على نكْث الأيمان هانت عليهم أيمانهم ؛ وإن تركتَهم على بيعة أخيك ثم بايعت لجعفر مِنْ بعده كان ذلك أوكدَ لبيعته ، فقال : صدقت ونصحت ؛ ولى فى هذا تدبير .

قال الكِرمانىّ : وحدثنى خزيمة بن عبد الله ، قال : أمر الهادى بحبس يحيى بن خالد على ما أراده عليه من خلْع الرشيد ، فرفع إليه يحيى رقعة : إنّ عندى نصيحة ، فدعا به ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أخْلِنى ، فأخلاه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أرأيت إن كان الأمر - أسأل الله ألاّ نبلغه ، وأن يقدّمنا قبله - أتظنّ أنّ الناس يسلمون الخلافة لجعفر ؛ وهو لم يبلغ الحُلُم ، ويرْضَوْن به لصلاتهم وحجّهم وغزوهم! قال : والله ما أظنّ ذلك ، قال : يا أميرَ المؤمنين ، أفتأمن أن يسموَ إليها أهلك وجلّتهم مثل فلان وفلان ، ويطمع فيها غيرهم ، فتخرج من ولد أبيك ؟ فقال له : نبّهتَنى يا يحيى - قال : وكان يقول : ما كلّمتُ أحداً من الخلفاء كان أعقلَ من موسى - قال : وقال له : لو أن هذا الأمر لم يعقَد لأخيك ، أما كان ينبغى أن تعقده له ، فكيف بأن تحلّه عنه ، وقد عقده المهدىّ له ! ولكن أرى أن تُقِرّ هذا الأمر يا أميرَ المؤمنين ٣/٥٧٥

على حاله ؛ فإذا بلغ جعفر ، وبلغ الله به ، أتيتَه بالرّشيد فخلع نفسه ، وكان أول مَنْ يبايعه ويعطيه صفقة يده . قال : فقبل الهادى قوله ورأيَه ، وأمر بإطلاقه .

وذكر الموصليّ عن محمد بن يحيى ، قال : عزم الهادى بعد كلام أبى له على خلْع الرشيد ، وحمَله عليه جماعة من مواليه وقوّاده ؛ أجابه إلى الخلْع أو لم يُجِبْه ، واشتد غضبه منه ، وضيَّق عليه. وقال يحيى لهارون : استأذنه فى الخروج إلى الصَّيْد ، فإذا خرجتَ فاستبعد ودافع الأيام ، فرفع هارون رقعة يستأذن فيها ، فأذن له ؛ فمضى إلى قصر مقاتل[1] ، فأقام به أربعين يومًا حتى أنكر الهادى أمرَه وَغمّه احتباسُه ، وجعل يكتب إليه ويصرفُه ، فتعلّل عليه حتى تفاقم الأمر ، وأظهر شتمه ، وبسط مواليه وقوّادُه ألسنتَهم فيه ؛ والفضل ابن يحيى إذ ذاك خليفة أبيه ، والرّشيد بالباب ؛ فكان يكتب إليه بذلك ، وانصرف وطال الأمر .

قال الكرمانىّ : فحدّثنى يزيد مولى يحيى بن خالد ، قال : بعثت الخيزران عاتكة — ظئراً كانت لهارون — إلى يحيى ، فشقّت جيبها بين يديه ، وتبكى إليه وتقول له : قالت لك السيدة : اللهَ اللهَ فى ابنى لا تقتله ، ودعه يجيب أخاه إلى ما يسأله ويريده منه ، فبقاؤه أحبّ إلىّ من الدنيا بجُمْع ما فيها . قال : فصاح بها ، وقال لها : وما أنت وهذا ! إن يكن ما تقولين فإنى وولدى وأهلى سنقْتَلُ قبله ، فإن اتُّهمت عليه فلست بمتَّهم على نفسى ولا عليهم . قال : ولمَّا لم ير الهادى يحيى بن خالد يرجع عما كان عليه لهارون بما بذَل له من إكرام وإقطاع وصلة ، بعث إليه يتهدّده بالقتل إن لم يكفّ عنه . قال : فلم تزل تلك الحال من الخوْف والخطر ، وماتت أم يحيى وهو فى الخُلْد ببغداد ؛ لأن هارون كان ينزل الخُلْد ، ويحيى معه ، وهو ولىّ العهد ، نازل فى داره يلقاه فى ليله ونهاره . ٥٧٦/٣

وذكر محمد بن القاسم بن الرّبيع ، قال : أخبرنى محمد بن عمرو الرومىّ ،

(١) ا : « قصر بنى مقاتل » .

قال : حدّثني أبي ، قال : جلس موسى الهادى بعد ما ملك فى أوّل خلافته جلوسًا خاصًّا ، ودعا بإبراهيم بن جعفر بن أبى جعفر وإبراهيم بن سلْم بن قُتيبة والحرّانىّ ، فجلسوا عن يساره ، ومعهم خادم له أسود يقال له أسلم ، ويكنى أبا سليمان؛ وكان يثق به ويقدّمه ؛ فبينا هو كذلك، إذ دخل صالح صاحب المصلّى ، فقال: هارون بن المهدىّ، فقال: ائذن له ، فدخل فسلم عليه ، وقبّل يدَيْه ، وجلس عن يمينه بعيداً من ناحية ، فأطرق موسى ينظر إليه ، وأدمن ذلك ، ثم التفت إليه ، فقال : يا هارون ، كأنى بك تحدّث نفسك بتمام الرؤيا ، وتؤمّل ما أنت منه بعيد ، ودون ذلك خرْط القتاد ؛ تؤمّل الخلافة ! قال : فبرك هارون على ركبتيه ، وقال : يا موسى ؛ إنك إن تجبرّتَ وُضعتَ ، وإن تواضعتَ رُفعتَ ؛ وإن ظلَمْتَ ختُلتَ[1] ؛ وإنى لأرجو أن يفضى الأمر إلىّ ؛ فأُنْصِف مَنْ ظلمتَ ، وأصل مَنْ قطعتَ ، وأصيِّر أولادك أعلى من أولادى ، وأزوّجهم بناتى ، وأبلغ ما يجب[2] من حقّ الإمام المهدىّ . قال : فقال له موسى : ذلك الظنّ بك يا أبا جعفر ؛ ادن منى ، فدنا منه ، فقبّل يديه، ثم ذهب يعود إلى مجلسه، فقال له : لا والشيخ الجليل ، والملك النبيل — أعنى أباك المنصور — لا جلستَ إلاّ معى ، وأجلسه فى صدر المجلس معه ، ثم قال: يا حرّانىّ ، احمل إلى أخى ألف ألف دينار ؛ وإذا افتتح الخراج فاحمِلْ إليه النصف منه ، واعرِضْ عليه ما فى الخزائن من مالنا، وما أخِذ من أهل بيت اللعنة؛ فيأخذ جميع ما أراد . قال: ففعل ذلك . ولما قام قال لصالح : أدنِ دابته إلى البساط . قال عمرو الرومىّ : وكان هارون يأنس بى ، فقمت إليه فقلت: يا سيّدى، ما الرؤيا التى قال لك أمير المؤمنين ؟ قال : قال المهدىّ : أريت فى منامى كأنى دفعت إلى موسى قضيبًا وإلى هارون قضيبًا ، فأورق من قضيب موسى أعلاه قليلاً ؛ فأما هارون فأورق قضيبه من أوله إلى آخره. فدعا المهدىّ الحكَم بن موسى الضمرىّ — وكان يكنى أبا سفيان — فقال له : عبِّر هذه الرؤيا ، فقال : يملكان جميعًا ، فأما موسى فتقلّ أيامه ، وأما هارون فيبلغ مدى ما عاش خليفة ؛ وتكون أيامُه

٥٧٧/٣

(١) ابن الأثير : « قتلت » . (٢) ابن الأثير : « ما تحب » .

أحسن أيام ، ودهره أحسن دهر . قال : ولم يلبثْ إلاّ أيامًا يسيرة ، ثم اعتل موسى ومات ، وكانت علّته ثلاثة أيام .

قال عمرو الرومىّ : أفضت الخلافة إلى هارون ، فزوّج حمدونة من جعفر ابن موسى ، وفاطمة من إسماعيل بن موسى ؛ ووَفَّى بكلّ ما قال ؛ وكان دهرُه أحسن الدهور . ٥٧٨/٣

وذُكر أنّ الهادىَ كان قد خرج إلى الحديثة ؛ حديثة الموصل ؛ فمرض بها ، واشتدّ مرضُه ، فانصرف . فذكر عمرو اليشكرىّ – وكان فى الخدم – قال : انصرف الهادى من الحديثة بعد ما كتب إلى جميع عمّاله شرقًا وغربًا بالقدوم عليه ؛ فلما ثقُل اجتمع القوم الذين كانوا بايعوا لجعفر ابنه ، فقالوا : إن صار الأمر إلى يحيى قتلَنا ولم يستبقنا ، فتآمروا على أن يذهب بعضهم إلى يحيى بأمر الهادى ، فيضرب عنقه . ثم قالوا : لعلّ أمير المؤمنين يُفيق من مرضه ، فما عُذْرنا عنده ! فأمسكوا . ثم بعثت الخيزُران إلى يحيى تعلِمه أنّ الرجل لمآبِه ، وتأمره بالاستعداد لما ينبغى ؛ وكانت المستوليةَ على أمر الرشيد وتدبير الخلافة إلى أن هلك ؛ فأحضِر الكتّاب وجُمعوا فى منزل الفضل بن يحيى ، فكتبوا لليلتهم كتبًا من الرشيد إلى العمّال بوفاة الهادى ، وأنهم قد ولاّهم الرشيد ما كانوا يلُون ؛ فلما مات الهادى أنفذوها على البُرُد .

وذكر الفضل بن سعيد ، أنّ أباه حدّثه أنّ الخيزُران كانت قد حلفتْ ألاّ تكلم موسى الهادى ، وانتقلت عنه ، فلما حضرتْه الوفاة ، وأتاها الرّسول فأخبرها بذلك ، فقالت : وما أصنع به ؟ فقالت لها خالصةُ : قومى إلى ابنك أيتّها الحرّة ؛ فليس هذا وقت تعتّب ولا تغضّب . فقالت : أعطونى ماءً أتوضّأ للصلاة ، ثم قالت : أما إنّا كنا نتحدّث أنه يموت فى هذه الليلة خليفةٌ ، ويملك خليفة ، ويولَد خليفة ؛ قال : فمات موسى ، وملَك هارون ، وولد المأمون .

٥٧٩/٣ قال الفضل : فحدّثت بهذا الحديث عبد الله بن عبيد الله ، فساقه لى مثل ما حدثنيه أبى ، فقلت : فمن أين كان للخيزُران هذا العلم ؟ قال : إنها كانت قد سمعت من الأوزاعىّ .

ذكر يحيى بن الحسن أنّ محمد بن سليمان بن علىّ حدثه ، قال : حدثتْنى عمّتى زينب ابنة سليمان ، قالت : لما مات موسى بعيساباذ ، أخبرتْنا الخيزُران الخبر ، ونحن أربع نسوة ؛ أنا وأختى وأمّ الحسن وعائشة ، بُنيّات سليمان ، ومعنا رَيْطة أمّ علىّ ، فجاءت خالصة ، فقالت لها : ما فعل الناس ؟ قالت : يا سيدتى ، مات موسى ودفنوه ؛ قالت : إن كان مات موسى ، فقد بقى هارون ، هات لى سَويقا ، فجاءت بسَويق ، فشربت وسقتنا ، ثم قالت : هات لسادانى أربعمائة ألف دينار ، ثم قالت : ما فعل ابنى هارون ؟ قالت : حلف ألاّ يُصلِّىَ الظهرَ إلا ببغداد . قالت : هاتوا الرّحائل ، فما جلوسى ها هنا ؛ وقد مضى ! فلحقته ببغداد .

* * *

ذكر الخبر عن وقت وفاته
ومبلغ سنه وقدر ولايته ومَنْ صلى عليه

قال أبو معشر : تُوفِّىَ موسى الهادى ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأول ؛ حدّثنا بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق .

وقال الواقدىّ : مات موسى بعيساباذ للنصف من شهر ربيع الأول .

وقال هشام بن محمد : هلك موسى الهادى لأربع عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الأول ليلة الجمعة فى سنة سبعين ومائة .

وقال بعضهم : تُوفِّىَ ليلة الجمعة لستة عشر يومًا منه ؛ وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر .

وقال هشام : ملك أربعة عشر شهراً ، وتوفِّىَ وهو ابن ستّ وعشرين سنة . ٥٨٠/٣

وقال الواقدىّ : كانت ولايته سنة وشهراً واثنين وعشرين يومًا .

وقال غيرهم : تُوفِّىَ يوم السبت ، لعشر خلَتْ من ربيع الأول — أو ليلة الجمعة — وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وكانت خلافته سنة وشهراً وثلاثة وعشرين يومًا ، وصلى عليه أخوه هارون بن محمد الرشيد . وكان كنيته أبا محمد ، وأمه الخيزُران أم ولد ، ودفن بعيساباذ الكُبرى فى بُستانه .

وذكر الفضل بن إسحاق أنه كان طويلا جسيما جميلا أبيض، مشربا حمرة؛ وكان بشفته العليا تقلّص، وكان يلقب موسى أطبق[1]؛ وكان ولد بالسيروان من الرى.

* * *

ذكر أولاده

وكان له من الأولاد تسعة؛ سبعة ذكوروابنتان. فأما الذكور فأحدهم جعفر — وهو الذى كان يرشحه للخلافة — والعباس وعبد الله وإسحاق وإسماعيل وسليمان وموسى بن موسى الأعمى؛ كلهم من أمهات أولاد. وكان الأعمى — وهو موسى — ولد بعد موت أبيه. والابنتان؛ إحداهما أم عيسى كانت عند المأمون، والأخرى أمّ العباس بنت موسى، تلقّب نُوتة.

* * *

ذكر بعض أخباره وسيره

ذكر إبراهيم بن عبد السلام، ابن أخى السندىّ أبو طوطة، قال: حدّثنى السّندىّ بن شاهك، قال: كنت مع موسى بجُرجان، فأتاه نعىّ المهدىّ والخلافة، فركب البريد إلى بغداد؛ ومعه سعيد بن سَلْم، ووجّهنى إلى خُراسان؛ فحدثنى سعيد بن سَلْم، قال: سرْنا بين أبيات جُرجان وبساتينها، قال: فسمع صوتًا من بعض تلك البساتين من رَجُل يتغنّى، فقال لصاحب شرطته: علىّ بالرّجل الساعة، قال: فقلت يا أمير المؤمنين، ما أشبه قصّة هذا الخائن بقصّة سليمان بن عبد الملك! قال: وكيف؟ قال: قلت له: كان سليمان بن عبد الملك فى متنزَّه له ومعه حُرَمه؛ فسمع من بستان آخر صوت رجل يتغنّى، فدعا صاحبَ شرطته، فقال: علىّ بصاحب الصوت؛ فأُتِىَ به؛ فلما مثل بين يديه، قال له: ما حمَلك على الغناء وأنت إلى جنبى ومعى حُرَمى! أما علمت أن الرّماك[2] إذا سمعت صوت الفحل حنّت إليه! يا غُلام جُبَّه؛ فجُبَّ الرجل. فلما كان فى العام المقبل رجع سليمان إلى ذلك المتنزه، فجلس مجلسه الذى فيه، فذكر الرجل وما صنع به، فقال لصاحب

٥٨١/٣

(١) ا: «موسى الخبق».
(٢) فى القاموس: «الرمكة محركة: الفرس أو البرذونة، تتخذ للنسل».

شُرطته : علىّ بالرجل الذى كنا جبَبناه ، فأحضره، فلما مَثَل بين يديه . قال له : إمَّا بعثْتَ فوفَّيناك، وإما وهبتَ فكافأناك ، قال : فوالله ما دعاه بالخلافة ؛ ولكنَّه قال له : يا سليمان؛ الله اللهَ! إنك قطعت نسلى: فذهبت بماء وجهى ، وحرمتَنى لذّتى ، ثم تقول: إمَّا وهبتَ فكافأناك ، وإما بعت فوفَّيْناك ! لا والله حتى أقف بين يدىِ الله . قال : فقال موسى : يا غلام ، ردّ صاحب الشرطة ، فردّه ، فقال : لا تعرض للرجل .

وذكر أبو موسى هارون بن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادى؛ أنّ علىّ ابن صالح حدّثه؛ أنه كان يومًا على رأس الهادى وهو غلام — وقد كان جفا المظالم عامَّةَ ثلاثة أيام— فدخل عليه الحَرّانىّ ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين؛ إن العامة لا تنقاد على ما أنتَ عليه، لم تنظر فى المظالم منذ ثلاثة أيام ؛ فالتفت إلىّ ، وقال : يا علىّ ، ائذن للناس ، علىّ بالجفَلَى لا بالنَّقَرَى[1] ، فخرجت من عنده أطير على وجهى . ثم وقفت فلم أدر ما قال لى ، فقلت : أراجع أميرَ المؤمنين ، فيقول : أتحجبنى ولا تعلم كلامى ! ثم أدركنى ذهنى ، فبعثت إلى أعرابىّ كان قد وفد ، وسألته عن الجَفَلى والنَّقَرى ، فقال : الجَفَلى جُفالة ، والنقرى ينقّر خواصّهم[1] . فأمرت بالستور فرفعت وبالأبواب ففتحت ، فدخل الناس على بَكْرَة أبيهم ؛ فلم يزل ينظر فى المظالم إلى الليل ؛ فلما تقوَّض المجلس مثلت بين يديه ، فقال : كأنك تريد أن تذكر شيئًا يا علىّ ، قلت : نعم يا أميرَ المؤمنين ؛ كلّمتنى بكلام لم أسمعه قبل يومى هذا ، وخفت مراجعتَك ، فتقول : أتحجبنى وأنت لم تعلم كلامى! فبعثت إلى أعرابىّ كان عندنا ، ففسّر لى الكلام؛ فكافئه عنى يا أميرَ المؤمنين ، قال :نعم مائة ألف درهم تحمَل إليه، فقلت له : يا أمير المؤمنين؛ إنه أعرابىّ جِلْف ، وفى عشرة آلاف درهم ما أغناه وكفاه ، فقال : ويلك يا علىّ ! أجود وتَبْخَل !

قال : وحدّثنى علىّ بن صالح ، قال : ركب الهادى يومًا يريد عيادة أمه الخيزُران من علَّة كانت وجدتْها ، فاعترضه عمر بن بزيع ، فقال له :

٥٨٢/٣

---

(١) يقال : دعاهم الجفلى ، أى دعاهم بجماعتهم ، والنقرى : الدعوة الخاصة ، والجفالة : الجماعة من الناس .

يا أميرَ المؤمنين ؛ ألاَ أدلُّك على وجه هو أعوَد عليك من هذا ؟ فقال : وما هو يا عمر ؟ قال : المظالم لم تَنظر فيها منذ ثلاث ، قال : فأومأ إلى المطرِّقة أن يميلوا إلى دار المظالم ، ثم بعث إلى الخيزران بخادم من خدمه يعتذر إليها من تخلّفه ، وقال : قل لها إن عمر بن بزيع أخبرنا منْ حقّ الله بما هو أوجب علينا من حقِّك ، فملنا إليه ونحن عائدون إليك فى غد إن شاء الله . ٣/٥٨٣

وذكر عن عبد الله بن مالك ، أنه قال : كنتُ أتولَّى الشُّرْطة للمهدىّ ، وكان المهدىّ يبعث إلى ندماء الهادى ومغنِّيه ، ويأمرنى بضربهم ؛ وكان الهادى يسألنى الرِّفْق بهم والترفيهَ لهم ؛ ولا ألتفت إلى ذلك ، وأمضى لما أمرنى به المهدىّ . قال : فلمّا ولى الهادى الخلافة أيقنت بالتلَف ؛ فبعث إلىّ يومًا ، فدخلت عليه متكفناً متحنِّطًا ؛ وإذا هو على كرسىّ ، والسيف والنِّطَع بين يديه ، فسلّمت ، فقال : لا سلم الله على الآخر ! تذكر يوم بعثت إليك فى أمر الحرّانىّ ، وما أمر أمير المؤمنين به من ضرْبه وحبسه فلم تجبنى ؛ وفى فلان وفلان – وجعل يعدد ندماءه – فلم تلتفت إلى قولى ، ولا أمرى ! قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أفتأذن [لى][1] فى استيفاء الحجَّة ؟ قال : نعم ، قلت : ناشدتك بالله يا أمير المؤمنين ، أيسرّك أنك ولّيتَنى ما ولاّنى أبوك ، فأمرتَنى بأمر ، فبعث إلىّ بعضُ بنيك بأمر يخالف به أمرك ، فاتّبعت أمرَه وعصيتُ أمرك ؟ قال : لا ، قلت : فكذلك أنا لك ، وكذا كنت لأبيك . فاستدنانى ، فقبَّلت يديه ، فأمر بخلَع فصبَّت علىّ ، وقال : قد ولّيتُك ما كنتَ تتولاه ، فامض راشداً . فخرجت من عنده فصرت إلى منزلى مفكراً فى أمرى وأمره ، وقلت : حَدَثٌ يشرب ، والقوم الذين عصيته فى أمرهم ندماؤه ووزراؤه وكتّابه ؛ فكأنى بهم حين يغلب عليهم الشراب قد أزالوا رأيَه فىّ ، وحملوه من أمرى على ما كنت أكره وأتخوّفه . قال : فإنّى لجالس وبين يدىّ بنيّةٌ لى فى وقتى ذلك ، والكانون بين يدىّ ، ورقاق أشطُره بكامَخ وأسخّنه وأضعه للصِّبْية ؛ وإذا ضجة عظيمة ، حتى توهمت أن الدنيا قد اقتلعت وتزلزلت بوقع الحوافر وكثرة الضوضاء ، فقلت : هاه ! كان والله ما ظننتُ ، ووافانى من أمره ما تخوّفت ؛ فإذا الباب قد فتح ، وإذا الخدم قد دخلوا ، وإذا أمير المؤمنين الهادى على حمار فى وسطهم ؛ فلمّا ٣/٥٨٤

---

(١) من ا .

رأيته وثبتُ عن مجلسي مبادراً ، فقبّلت يده ورجله وحافرَ حماره ، فقال لى : يا عبدَ الله ، إنى فكرت فى أمرك ، فقلت : يسبق إلى قلبك أنّى إذا شربت وحولى أعداؤك ، أزالوا ما حسُن من رأيى فيك ، فأقلقَك وأوحشَك ، فصرتُ إلى منزلك لأونسَك وأعلمك أنّ السخيمة قد زالت عن قلبى لك ، فهات فأطعمنى مما كنتَ تأكل ، وافعل فيه ما كنت تفعل ؛ لتعلم أنّى قد تحرّمت بطعامك ، وأنست بمنزلك ؛ فيزول خوفُك ووحشتُك . فأدنيت إليه ذلك الرّقاق والسكُرّجة التى فيها الكامخ ، فأكل منها ثم قال : هاتوا الزُّلّة التى أزللتها لعبد الله من مجاسي . فأدخلت إلىّ أربعمائة بغْل مُوقرة دراهم ، وقال : هذه زُلّتُكَ ، فاستعنْ بها على أمرك ، واحفظ لى هذه البغال عندك ؛ لعلى أحتاج إليها يوماً لبعض أسفارى ، ثم قال : أظلك الله بخير ، وانصرف راجعاً .

فذكر موسى بن عبد الله أن أباه أعطاه بستانه الذى كان وسط داره ، ثم بنى حوله معالف لتلك البغال ؛ وكان هو يتولّى النظر إليها والقيام عليها أيام حياة الهادى كلها .

٣/٥٨٥

وذكر محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود بن طهمان السُّلمىّ . قال : أخبرنى أبى ، قال : كان علىّ بن عيسى بن ماهان يغضب غضب الخليفة ، ويرضى رضا الخليفة ؛ وكان أبى يقول : ما لعربىّ ولا لعجمىّ عندى ما لعلىّ ابن عيسى ؛ فإنه دخل إلى الحبس وفى يده سوط ، فقال : أمرنى أمير المؤمنين موسى الهادى أن أضربك مائة سوط ، قال : فأقبل يضعه على يدى ومنكبى ؛ يمسّنى به مسّاً إلى أن عدّ مائة ، وخرج . فقال له : ما صنعت بالرّجل ؟ قال : صنعتُ به ما أمرتَ . قال : فما حاله ؟ قال : مات ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ويلك! فضحتَنى والله عند الناس ؛ هذا رجل صالح ، يقول الناس : قتَل يعقوب بن داود ! قال : فلما رأى شدّة جزعه ، قال : هو حىّ يا أمير المؤمنين لم يمُتْ ، قال : الحمد لله على ذلك .

قال : وكان الهادى قد استخلف على حجابته بعد الربيع ابنَه الفضل ، فقال له : لا تحجب عنى الناس ؛ فإن ذلك يزيل عنّى البركة ، ولا تُلق إلىّ أمراً إذا كشفتَه أصبتَه باطلا ؛ فإن ذلك يوقع الملك ، ويضرّ بالرّعيّة .

وقال موسى بن عبد الله : أُتِىَ موسى برجل ، فجعل يقرّعه بذُنوبه ويتهدده ، فقال له الرجل : يا أميرَ المؤمنين ، اعتذارى مما تُقرّعُنى به ردٌّ عليك ، وإقرارى يوجب علىّ ذنبًا ؛ ولكنى أقول :

فإن كنتَ ترجو فى العُقوبةِ رحمةً فلا تَزْهَدَنْ عندَ المُعافاة فى الأَجر

قال : فأمر بإطلاقه .

٥٨٦/٣ وذكر عمر بن شبّة أن سعيد بن سلم كان عند موسى الهادى ، فدخل عليه وفد الرّوم وعلى سعيد بن سلم قَلَنْسُوة — وكان قد صَلِعَ وهو حدَث — فقال له موسى : ضع قلنسُوتك حتّى تتشايخ بصلعتك .

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق أنّ أباه حدّثه ، قال : خرجت إلى عيساباذ أريد الفَضْل بن الربيع ، فلقيتُ موسى أمير المؤمنين وهو خليفة ؛ وأنا لا أعرفه ؛ فإذا هو فى غُلالة على فَرَس ، وبيده قناة لا يدرك أحدًا إلا طعنه . فقال لى : يابن الفاعلة ! قال : فرأيت إنسانا كأنّه صبى ، وكنت رأيته بالشأم ، وكان فخذاه كفخذىْ بعير ، فضربت يدى إلى قائم السيف ، فقال لى رجل : ويلك ! أمير المؤمنين ، فحرّكت دابتى — وكان شِهْرِيًّا[1] حملنى عليه الفضل بن الربيع ، وكان اشتراه بأربعة آلاف درهم — فدخلت دار محمد بن القاسم صاحب الحرس ، فوقف على الباب ، وبيده القناة ، وقال : اخرج يابن الفاعلة ! فلم أخرج ، ومرّ فمضى . قلت للفضل : فإنى رأيتُ أمير المؤمنين ؛ وكان من القصّة كذا وكذا ، فقال : لا أرى لك وجهًا إلا ببغداد ؛ إذا جئتُ أصالى الجمعة فالقَنى ، قال : فما دخلت عيساباذ حتى هلك الهادى .

وذكر الهيثم بن عروة الأنصارىّ أن الحسين بن معاذ بن مسلم — وكان رضيع موسى الهادى — قال : لقد رأيتُنى أخلو مع موسى ، فلا أجد له هيبةً فى قلبى عند الخلوة ، لما كان يبسطنى . وربّما[2] صارعنى فأصرعه غير هائب له ، وأضرب به الأرض ، فإذا تلبّس لبسة الخلافة ثم جلس مجلس الأمر والنهى

(١) فى القاموس : « الشهرية : ضرب من البراذين » . (٢) كذا فى ا ، وهى ساقطة من ط .

قمتُ على رأسه ؛ فوالله ما أملِك نفسى من الرِّعدة والهَيْبة له .

٣/٥٨٧ وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق أنّ محمد بن سعيد بن عمر بن مِهْران ، حدّثه عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كانت المرتبة لإبراهيم بن سلْم ابن قتيبة عند الهادى ؛ فمات ابنٌ لإبراهيم يقال له سلم ، فأتاه موسى الهادى يعزّيه عنه على حمار أشهب ، لا يُمنع مُقبلٌ ولا يُردّ عنه مُسلّم ؛ حتى نزل فى رِواقه ، فقال له : يا إبراهيم : سَرّك وهو عدوّ[1] وفتنة ، وحزَنك وهو صلاة ورحمة . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما بقى منّى[2] جزء كان فيه حزن إلّا وقد امتلأ عزاء . قال : فلما مات إبراهيم صارت المرتبة لسعيد بن سلْم بعده .

وذكر عمر بن شبّة أن علىّ بن الحسين بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب كان يلقب بالجزرىّ[3] ، تزوج رُقيّة بنت عمرو العثمانية — وكانت تحت المهدىّ — فبلغ ذلك موسى الهادى فى أوّل خلافته . فأرسل إليه فجهّله[4] وقال : أعياك النساء إلا امرأة أمير المؤمنين ، فقال : ما حرّم الله على خلقه إلّا نساء جدّى صلى الله عليه وسلم ؛ فأما غيرُهنّ فلا ولا كرامة . فشجّه بمخْصَرة كانت فى يده ، وأمر بضربه خمسمائة سوط ، فضُرب ، وأراده[5] أن يطلّقها فلم يفعل ، فحمِل من بين يديه فى نِطَع فألقىَ ناحية ؛ وكان فى يده خاتم سرىّ[6] فرآه بعضُ الخدم وقد غُشىَ عليه من الضرب ، فأهوى إلى الخاتم ، فقبض على يد الخادم فدقّها ، فصاح . وأتى موسى فأراه يدَه . فاستشاط وقال : يُفعل هذا بخادمى ، مع استخفافه[7] بأبى . وقوله لى !

٣/٥٨٨ وبعث إليه : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : قُل له وسَلْه ، ومُرْه أن يضع يده على رأسك وليصدُقك . ففعل ذلك موسى ، فصدّقه الخادمُ . فقال : أحسن والله ، أنا أشهدُ أنه ابنُ عمّى ؛ لو لم يفعل لانتفيتُ منه . وأمر بإطلاقه .

وذكر أبو إبراهيم المؤذّن ، أنّ الهادىَ كان يثب على الدابّة وعليه درعان ؛ وكان المهدىّ يسمّيه رَيْحانتى .

---

(١) س : « عدوّك » .
(٢) س : « فىّ » .
(٣) ج : « الجردى » .
(٤) س : « فحمل إليه » .
(٥) ج : « وأداره » .
(٦) ابن الأثير : « نفيس » .
(٧) س : « استخفافك » .

وذكر محمد بن عطاء بن مقدَّم الواسطيّ، أن أباه حدّثه أنّ المهديّ قال لموسى يومًا — وقد قُدّم إليه زنديق، فاستتابه، فأبى أن يتوب، فضرب عُنُقه وأمر بصلْبه: يا بنيّ، إن صارلك[1] هذا الأمر فتجرّد لهذه العصابة — يعني أصحاب ماني — فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهرٍ حسن، كاجتناب الفواحش والزّهد في الدنيا والعمل للآخرة، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومسّ الماء الطّهور[2] وترك قتل الهوامّ تحرّجًا وتحوّبًا، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين: أحدهما النور والآخر الظلمة، ثم تُبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبوْل وسرقة الأطفال من الطرُق، لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النُّور؛ فارْفع فيها الخشب، وجرِّد فيها السيف، وتقرّب بأمرها إلى الله لا شريك له؛ فإني رأيتُ جدّك العباس في المنام قلّدني بسيفين، وأمرني بقتل أصحاب الاثنين. قال: فقال موسى بعد أن مضت من أيامه عشرة أشهر: أما والله لئن عشتُ لأقتلنّ هذه الفرقة كلّها حتى لا أترك منها عينًا تطرُف.

ويقال: إنه أمر أن يهيّأ له ألف جِذْع، فقال: هذا في شهر كذا، ومات بعد شهرين.

وذكر أيوب بن عِنابة أن موسى بن صالح بن شيخ، حدّثه أن عيسى ابن دأب كان أكثرَ أهل الحجاز أدبًا وأعذبَهم ألفاظًا؛ وكان قد حَظِيَ عند الهادي حُظوةً لم تكن عنده لأحد؛ وكان يدعو له بمتّكأ[3]، وما كان يفعل ذلك بأحد غيره في مجلسه. وكان يقول: ما استطلتُ بك يومًا ولا ليلة، ولا غبتَ[4] عن عيني إلاّ تمنّيتُ ألا أرى غيرَك. وكان لذيذ المفاكهة طيّب المسامرة، كثير النادرة، جيد الشعر حسن الانتزاع له. قال: فأمر له ذات ليلة بثلاثين ألف دينار؛ فلما أصبح ابنُ دأب وجّه قَهْرمانه إلى باب موسى، وقال له: الْقَ الحاجب، وقُلْ له: يوجّه إلينا بهذا المال، فلقي الحاجب، فأبلغه رسالته؛ فتبسم وقال: هذا ليس إليّ، فانطلقْ إلى صاحب

٣/٥٨٩

(١) س: «إليك».
(٢) س: «للطهور».
(٣) ابن الأثير: «بما يتكىء عليه».
(٤) س: «وما غبت».

التوقيع ليُخرج له كتاباً إلى الديوان ، فتدبّره هناك ثم تفعلُ فيه كذا وكذا .
فرجع إلى ابن دأب فأخبره ، فقال : دعْها ولا تعرض لها ، ولا تسأل عنها .
قال : فبينا موسى في مستشرَف له ببغداد ، إذْ نظر إلى ابن دأب قد أقبل ،
وليس معه إلاّ غلام واحد ! فقال لإبراهيم الحرّاني : أما ترى ابن دأب ؛
ما غيّر من حاله ، ولا تزين لنا ؛ وقد بَرَرْناه بالأمس ليُرَى أثرُنا عليه ! فقال
له إبراهيم : فإن أمرني أميرُ المؤمنين عرضت له بشيء من هذا ؛ قال : لا.
هو أعلم بأمره ؛ ودخل ابن دأب ، فأخذ في حديثه إلى أن عرّض له موسى
بشيء من أمره، فقال : أرى ثوبك غسيلا، وهذا شتاء يُحتاج فيه إلى الجديد
الليّن ، فقال : يا أميرَ المؤمنين، باعِي قصير عمّا أحتاج[1] إليه، قال : وكيف
وقد صرفنا إليك من بِرّنا ما ظننا أن فيه صلاح شأنك ! قال : ما وصل إلىّ ٣/٥٩٠
ولا قبضتُه ، فدعا صاحب بيت مال الخاصة ، فقال : عجّل له[2] الساعة
ثلاثين ألف دينار ، فأُحضِرتْ وحُمِلت بين يديْه .

وذكر علىّ بن محمد، أنّ أباه حدّثه عن علىّ بن يقطين، قال: إني لعند
موسى ليلة مع جماعة من أصحابه ؛ إذ أتاه خادم فسارّه بشيء ، فنهض
سريعاً[3] ، وقال : لا تبرحُوا ، ومضى فأبطأ ، ثم جاء وهو يتنفّس ، فألقى
بنفسه على فِراشه يتنفّس ساعة حتى استراح ، ومعه خادم يحمل طبقاً مغطّى
بمنديل ، فقام بين يديه ، فأقبل يُرعَد ، فعجبنا من ذلك . ثم جلس وقال
للخادم : ضَعْ ما معك ، فوضع الطَّبَق ، وقال : ارفع المِنْديل . فرفعه فإذا
في الطَّبق رأسَا جاريتين ؛ لم أر والله أحسن من وجوههما قطّ ولا من شعورهما ،
وإذا على رءوسهما الجوهر منظوم على الشعر ، وإذا رائحة طيِّبة تفوح ، فأعظمنا
ذلك ، فقال : أتدرون ما شأنهما ؟ قلنا : لا ، قال : بلغنا أنهما تتحابّان
قد اجتمعتَا على الفاحشة ، فوكلتُ هذا الخادم بهما يُنهي إلىّ أخبارهما ، فجاءني
فأخبرني أنهما قد اجتمعتَا ، فجئت فوجدتهما في لحافٍ واحد على الفاحشة

---

(١) س : « يحتاج » .
(٢) س : « إليه » .
(٣) س : « مسرعاً » .

فقتلتهما ، ثم قال : يا غلامُ ، ارفع الرأسين[١] قال : ثم رجع فى حديثه كأن لم يصنع شيئًا .

وذكر أبو العباس بن أبى مالك اليمامىّ أنّ عبد الله بن محمد البواب ، قال : كنت أحجب الهادى خليفةً للفضل بن الربيع ، قال : فإنه ذات يوم جالسٌ وأنا فى داره ، وقد تغدّى ودعا بالنبيذ ، وقد كان قبل ذلك دخل على أمه الخيزُران ، فسألته أن يولّىَ خاله الغطريف اليمن ، فقال : أذكريني به قبل أن أشرب ، قال : فلما عزم على الشرب وجّهتْ إليه منيرةَ - أو زهرةَ - تذكِّره، فقال : ارجعى فقولى : اختارى له طلاقَ ابنته عُبيدة أو ولاية اليمن ، فلم تفهم إلا قوله : «اختارى له» فمرّت ، فقالت : قد اخترتُ له ولاية اليمن ، فطلّق ابنتَه عُبيدة ، فسمع الصياح ، فقال : ما لكم ؟ فأعلمْته الخبر ، فقال : أنت اخترت له ، فقالت : ما هكذا أدّيتْ إلىّ الرسالة عنك . قال : فأمر صالحاً صاحب المصلى أن يقف بالسيف على رءوس الندماء ليطلقوا نساءهم ، فخرج إلىّ بذلك الخدم ليعلمونى ألاّ آذن لأحد . قال : وعلى الباب رجل واقف متلفع بطيلسانه ، يراوح بين قدميه[٢] ، فعنّ لى بيتان ، فأنشدتهما وهما :

٥٩١/٣

خليلَىَّ مِنْ سَعْدٍ أَلِمَّا فَسَلِّما[٣] على مريمٍ ، لا يُبْعِدِ اللهُ مَرْيما
وقُولاَ لها : هَذا الفِراقُ عَزَمْتِهِ فهلْ مِنْ نوالٍ بَعد ذاك فيُعلَما ![٤]

قال : فقال لى الرجل المتلفع بطيلسانه : فنَعلما ، فقلت : ما الفرق بين « يعلما » و « نعلما » ؟ فقال : إن الشعر يصلحه معناه ويفسده معناه ، ما حاجتنا إلى أن يعلم الناس أسرارنا ! فقلت له : أنا أعلم بالشعر منك ، قال : فلمن الشعر ؟ قلت : للأسود بن عُمارة النوفلىّ ، فقال لى : فأنا هو ؛ فدنوتُ منه فأخبرته خبرَ موسى ، واعتذرت إليه من مراجعتى إياه . قال : فصرف دابّته ، وقال : هذا أحقّ منزل بأن يترك[٥] .

(١) س : « ارجع بالرأسين » .
(٢) الأغانى : « رجليه » .
(٣) ج : « من سعدى » .
(٤) الأغانى : « قبل ذاك » .
(٥) الخبر فى الأغانى ١٤ : ١٧١ ، ١٧٢ .

قال مصعب الزبيرىّ : قال أبو المعافى : أنشدت العباس بن محمد مديحًا فى موسى وهارون :

يا خَيْزُرانُ هَناكِ ثمَّ هَنَاكِ ... إنَّ العبادَ يَسوسُهُمْ إبناكِ ٥٩٢/٣

قال : فقال لى : إنى أنصحك، قال اليانىّ : لا تذكر أمى بخير ولا بشرّ.

وذكر أحمد بن صالح بن أبى فنن ، قال : حدّثنى يوسف الصيقل الشاعر الواسطىّ ، قال : كنا عند الهادى بجُرجان قبل الخلافة ودخوله بغداد ، فصعد مستشرفاً له حسناً؛ فغُنِّىَ بهذا الشعر :

واسْتَقَلَّتْ رجالُهُمْ[1] بالرُّدَيْنِىّ شُرَّعا

فقال : كيف هذا الشعر ؟ فأنشدوه ، فقال : كنت أشتهى أن يكون هذا الغناء فى شعر أرقّ من هذا ، اذهبوا إلى يوسف الصيقل حتى يقول فيه ، قال : فأتونى فأخبرُونى الخبر ، فقلت :

لا تَلُمْنى أنَ اجزَعا ... سيِّدِى قَدْ تَمَنَّعا

وابَلائى إن كان ما ... بَيْنَنَا قَدْ تَقَطَّعا

إنَّ مُوسى بفضلهِ ... جَمَعَ الفَضْلَ أجْمعا

قال : فنظر[2] فإذا بعير أمامه[3] ، فقال : أوقِروا هذا دراهم ودنانير ، واذهبوا بها إليه . قال : فأتونى بالبعير مُوقَراً[4] .

وذكر محمد بن سعد ، قال : حدّثنى أبو زهير ، قال : كان ابن دأب أحظَى الناس عند الهادى ، فخرج الفضلُ بن الربيع يوماً ، فقال : إنّ أمير المؤمنين يأمر مَن ببابه بالانصراف ؛ فأما أنت يابنَ دأب فادخل ، قال ابن دأب : فدخلت عليه وهو منبطح على فراشه ؛ وإن عَيْنَيْه لحمراوان من السَّهر وشرب الليل ، فقال لى : حدثنى بحديث فى الشراب ، فقلت : نعم ٥٩٣/٣

---

(١) س : « واستهلت رحالهم » ، الأغانى : واستدارت رحالهم » .
(٢) ج : « فنظرت » . (٣) ج : « قائم » .
(٤) الخبر فى الأغانى ٢٠ : ٩٣ ، ٩٤

يا أمير المؤمنين ، خرجتْ رَجْلة [1] من كنانة ينتجعون الخمر من الشأم ، فمات أخ لأحدهم ، فجلسوا عند قبره يشربون ، فقال أحدهم :

لا تُصَرِّدْ هامَةً مِن شُرْبِها أَسقِهِ الخمرَ وإنْ كان قُبِرْ

أَسقِ أَوصالاً وهاماً وصَدًى قاشعاً يَقْشَعُ قَشْعَ المُبْتَكَرْ [2]

كان حُرًّا فهَوَى فيمن هَوَى كُلُّ عُودٍ وفُنونٍ منكَسِرْ

قال : فدعا بدواة فكتبها ، ثم كتب إلى الحرّانى بأربعين ألف درهم ، وقال : عشرة آلاف لك ، وثلاثون ألفاً للثلاثة الأبيات . قال : فأتيت الحرّانىّ ، فقال : صالحْنا على عشرة آلاف ، على أنك تحلف لنا ألا تذكرها لأمير المؤمنين ، فحلفت ألاّ أذكرَها لأمير المؤمنين حتى يبدأنى ، فمات ولم يذكرها حتى أفضت الخلافة إلى الرشيد .

وذكر أبو دِعامة أن سَلْم بن عمرو الخاسر مدح موسى الهادى ، فقال :

بعيساباذَ حُرٌّ مِن قريشٍ على جَنَباتِهِ الشَّرْبُ الرِّواءُ

يَعوذُ المُسلمونَ بِحَقْوتَيْهِ إذا ما كان خَوفٌ أو رجاءُ

وبالمَيْدانِ دُورٌ مُشْرِفات يُشَيِّدهُنَّ قَوم أَدعياءُ

وكم من قائلٍ إنى صحيحٌ وتأْباهُ الخلائقُ والرُّواءُ

له حسبٌ يَضَنّ به ليبقَى وليس لِمَا يضَنُّ به بَقَاءُ

على الضَّبىِّ لُؤْمٌ ليس يَخْفَى يُغَطِّيهِ فَيَنْكَشِفُ الغطاءُ

لَعَمْرِى لَوْ أَقامَ أبو خَدِيجٍ بِناءَ الدّارِ ما انهَدَمَ البِناءُ

قال : وقال سَلْم الخاسر لما تولّى الهادى الخلافة بعد المهدىّ :

لَقَدْ فَازَ مُوسَى بِالْخِلَافَةِ وَالْهُدَى وَماتَ أَميرُ المؤمنينَ مُحَمَّدُ

فماتَ الَّذِى عمَّ البرِيَّةَ فقْدُهُ وَقَامَ الَّذِى يكفيكَ مَنْ يُتَفَقَّدُ

٥٩٤/٣

(١) رجلة : جمع راجل ؛ وهو الذى ليس له ظهر يركبه .
(٢) ج : « المنتكر » .

وقال أيضًا :

تَخْفَى المُلوكُ لموسَى عندَ طلعتِهِ ... مثلَ النُّجومِ لقَرنِ الشمسِ إذْ طَلَعَا

وليس خَلقٌ يَرَى بدرًا وطلعتَهُ ... منَ البَريَّةِ إلَّا ذَلَّ أَو خَضَعا

وقال أيضًا :

لولا الخليفةُ مُوسَى بَعْدَ والِدِهِ ... مَا كَانَ للنَّاسِ مِنْ مَهْدِيِّهِمْ خلَفُ

ألا ترَى أمّةَ الأُمِّيِّ وَارِدَةً ... كَأَنَّهَا من نَوَاحِي البَحْرِ تَغترِفُ

مِنْ راحَتَيْ مَلِكٍ قد عَمَّ نائلهُ ... كَأَنَّ نائله مِنْ جودِهِ سَرَفُ

وذكر إدريس بن أبي حفصة أن مَرْوان بن أبي حفصة حدّثه ، قال : لما ملك موسى الهادى دخلتُ عليه فأنشدته :

إنْ خُلِّدَتْ بعد الإمامِ مُحَمّدٍ ... نَفْسِي لمَا فَرِحَتْ بِطُولِ بَقَائِهَا

قال : ومدحت فقلت فيه :

بِسَبْعِينَ ألفاً شدَّ ظَهْرِي وَرَاشَنِي ... أَبُوكَ وَقَدْ عايَنتُ مِنْ ذاك مَشْهَدا

وَإنِّي أميرَ المؤمنينَ لَوَاثِقٌ ... بِأَلَّا يُرَى شرْبِي لَدَيْكَ مُصَرَّدا[1]

فلما أنشدته قال : ومَنْ يبلغ مدى المهديّ ! ولكنا سنبلغ رضاك . قال : وعاجلتْهُ المنيّة فلم يعطني شيئًا ، ولا أخذتُ من أحد دِرْهمًا حتى قام الرشيد .

وذكر هارون بن موسى الفَرَوِيّ[2]، قال : حدّثني أبو غُزَيّة ، عن الضحاك بن معن السُّلَمِيّ ، قال : دخلت على موسى فأنشدته : ٣/٥٩٠

يا مَنزِلَيْ شَجْوِ الْفؤادِ تَكلَّمَا ... فَلَقَدْ أَرَى بِكما الرَّبابَ وكُلْثُما

ما منزلانِ على التَّقادُمِ والبِلى ... أَبكَى لِما تَحْتَ الجوانحِ مِنْكُمَا

رُدَّا السَّلامَ على كَبيرٍ شاقَهُ ... طَلَلانِ قَدْ دَرسا فهاجَ فسَلِّمَا

(١) شرب مصرد : أي قليل . (٢) ط : « القروى » وصوابه من ا ، وانظر الفهرس .

قال : ومدحته فيها ، فلما بلغت :

سَبْطِ الأنامِلِ بالفَعالِ أَخالُه أَنْ لَيْسَ يَتْرُكُ فى الخزائنِ دِرْهَمَا

التفت إلى أحمد الخازن ، فقال : ويحك يا أحمد ! كأنّه نظر إلينا البارحة ، قال : وكان قد أخرج تلك الليلة مالاً كثيراً ففرّقه .

وذُكِر عن إسحاق الموصلىّ — أو غيره — عن إبراهيم ، قال : كنّا يوماً عند موسى ، وعنده ابن جامع ومُعاذ بن الطبيب — وكان أوّل يوم دخل علينا مُعاذ ؛ وكان مُعاذ حاذقاً بالأغانى ، عارفاً بقديمها — فقال : مَنْ أطربنى منكم فله حُكمه ؛ فغنّاه ابنُ جامع غِناءً فلم يحرّكه ، وفهمتُ غرضه فى الأغانى ، فقال هات يا إبراهيم ، فغنّيتُه :

سُليمَى أَجْمَعَتْ بينَا فأَينَ نقولُها أَيْنَا !

فطرب حتى قام من مجلسه ، ورفع صوته ، وقال : أعِد ، فأعدتُ ، فقال : هذا غرضى فاحتَكِمْ ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، حائط عبد الملك وعينه الخرّارة ، فدارت عيناه فى رأسه حتى صارتا كأنهما جَمْرتان ، ثم قال : يابن اللّخناء ، أردت أن تُسمع العامة أنك أطربتَنى وأنّى حكّمتك فأقطعتك ! أما والله لولا بادرةُ جهلك التى غلبتْ على صحيح عقلك لضربتُ الذى فيه عيناك . ثم أطرق هُنيهة [١] ، فرأيت ملَك الموت بينى وبينه ينتظر أمرَه . ثم دعا إبراهيم الحرّانىّ فقال : خذ بيد هذا الجاهل فأدخله بيت المال ، فليأخذ منه ما شاء ، فأدخلنى الحرّانىّ بيتَ المال ، فقال : كم تأخذ ؟ قلت : مائة بَدْرة ، قال : دعنى أؤامره [٢] ، قال : قلت : فثمانين ، قال : حتى أؤامره ، فعملت ما أراد ، فقلت : سبعين بدرةً لى ، وثلاثين لك ، قال : الآن جئت بالحق ، فشأنَك . فانصرفتُ بسبعمائة ألف وانصرف ملك الموت عن وجهى .

٥٩٦/٣

وذكر علىّ بن محمد ، قال : حدّثنى صالح بن علىّ بن عطيّة الأضخم عن حَكَم الوادىّ ، قال كان الهادى يشتهى من الغناء الوسَط الذى يقلّ

---

(١) كذا فى ا وفى القاموس : الهنيئة ، أى شىء يسير ، وصوابه ترك الهمزة .
(٢) أؤامره ، أى أشاوره .

ترجيعُه ، ولا يبلغ أن يستخفّ به جدًّا . قال : فبينا نحن ليلة عنده ، وعنده ابنُ جامع والموصلىّ والزبير بن دَحْمان والغَنَوىّ إذ دعا بثلاث بِبُدور وأمرَ بهنّ فوُضِعن فى وسط المجلس ، ثم ضمّ بعضَهُنّ إلى بعض ، وقال : مَنْ غنانى صوتًا فى طريقى الذى أشتهيه ، فهنّ له كلهنّ . قال : وكان فيه خُلُق حسن ؛ كان إذا كره شيئًا لم يوقّفْ عليه ، وأعرض عنه . فغناه ابنُ جامع ، فأعرض عنه ، وغنّى القوم كلهم ؛ فأقبل يعرض حتى تغنّيت ، فوافقت ما يشتهى ؛ فصاح : أحسنت أحسنت ! اسقونى ، فشرب وطرب ، فقمت فجلست على البُدور ، وعلمت أنى قد حَويتها ، فحضر ابنُ جامع ، فأحسن المحضر ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، هو[1] والله كما قلتَ ؛ وما منّا أحد إلا وقد ذهب عن طريقك غيرُه ، قال : هى لك ، وشرب حتى بلغ حاجتَه على الصوت ، ونهض ، فقال : مُروا ثلاثة من الفرّاشين يحملونها معه ، فدخل وخرجنا نمشى فى الصحن منصرفين ، فلحقنى ابنُ جامع ، فقلت : جُعلت فداك يا أبا القاسم! فعلتَ ما يفعل مثلُك فى نسبك ؛ فانظر فيها بما شئت . فقال : هنأك الله ، وَدِدْنا أنا زِدناك . ولحقَنا الموصلىّ ، فقال : أجزنا[2] ، فقلت : ولِمَ لمْ تحسن محضرك ! لا والله ولا درهمًا واحدًا[3] .

٥٩٧/٣

وذكر محمد بن عبد الله ، قال : قال لى سعيد القارئ العلاّف — وكان صاحبَ أبان القارئ : إنه كان عند موسى جلساؤه ، فيهم الحرّانى وسعيد ابن سلم وغيرُهما ؛ وكانت جارية لموسى تسقيهم ؛ وكانت ماجنةً ، فكانت تقول لهذا : يا جِلْفِىّ[4] ؛ وتعبث بهذا وهذا ؛ ودخل يزيد بن مزيد فسمع ما تقول لهم ، فقال لها : والله الكبير ؛ لئن قلتِ لى مثل ما تقولين لهم لأضربنّك ضربة بالسيف ، فقال لها موسى : ويلك ! إنه والله يفعل ما يقول ؛ فإياك . قال : فأمسكت عنه ولم تعابثْه قطّ . قال : وكان سعيد العلاّف وأبان القارئ إباضيّيْن .

---

(١) س : « هذا » ، الأغانى : « أحسن » .
(٢) الأغانى : « آخذ ياحكم من هذا ؟ » .
(٣) الخبر فى الأغانى ٦ : ٢٨٦ ، ٢٨٧
(٤) قال فى اللسان : « الجلف : الجافى فى خلقه وخلقه » .

وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب ، قال : حدّثني ابن القداح ، قال : كانت للربيع جارية يقال لها أمَة العزيز ، فائقة الجمال ، ناهدة الثَّدْيين ، حسنة القوام ، فأهداها إلى المهديّ ، فلما رأى جمالها وهيئتها ، قال : هذه لموسى أصلح ، فوهبها له ؛ فكانت أحبَّ الخلق إليه ، وولدت له بنيه الأكابر . ثم إنّ بعض أعداء الربيع قال لموسى : إنه سمع الرَّبيع يقول : ما وضعتُ بيني وبين الأرض مثل أمَة العزيز ، فغار موسى من ذلك غَيْرَةً شديدة ، وحلف لَيَقْتُلَنّ الربيع ، فلما استخلف دعا الرَّبيع في بعض الأيام ، فتغدّى معه وأكرمه ، وناوله كأسًا فيها شراب عسل ؛ قال : فقال الربيع : فعلمت أنّ نفسي فيها ، وأنّي إن رددتُ الكأس ضَرب عنقي ؛ مع ما قد علمت أن في قلبه عليّ من دخولي على أمه ، وما بلغه عني ، ولم يسمع مني عذراً . فشربتها . وانصرف الرَّبيع إلى منزله ، فجمع ولده ، وقال لهم : إني ميِّت في يومي هذا أو من غد ، فقال له ابنه الفضل : ولم تقول هذا جعلت فداك! فقال : إنّ موسى سقاني شربة سمّ بيده ، فأنا أجد عملَها في بدني ، ثم أوصى بما أراد ، ومات في يومه أو من غده . ثمّ تزوج الرشيد أمة العزيز بعد موت موسى الهادي ، فأولدها عليّ بن الرشيد .

٥٩٨/٣

وزعم الفضل بن سليمان بن إسحاق الهاشميّ أنّ الهادي لما تحوّل إلى عيساباذ في أوّل السنة التي ولي الخلافة فيها ، عزل الرَّبيع عما كان يتولاّه من الوزارة وديوان الرسائل ، وولّى مكانه عمر بن بزيع ، وأقرّ الربيع على الزمام ؛ فلم يزل عليه إلى أن تُوُفِّيَ الربيع ، وكانت وفاته بعد ولاية الهادي بأشهر ؛ وأوذن بموته فلم يحضر جنازته ، وصلى عليه هارون الرشيد ؛ وهو يومئذ وليّ عهد ، وولّى موسى مكان الربيع إبراهيم بن ذكوان الحرانيّ ، واستخلف على ما تولاه إسماعيل بن صُبيح ، ثم عزله واستخلف يحيى بن سليم ، وولّى إسماعيل زمام ديوان الشأم وما يليها .

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، خال الفضْل بن الربيع ، أنّ أباه حدّثه ، أن موسى الهادي قال : أريد قتل الربيع ؛ فما أدري كيف أفعل به ! فقال له سعيد بن سلم : تأمر رجلاً باتّخاذ سكين مسموم ، وتأمره بقتله ، ثم

٥٩٩/٣

تأمر بقتل ذلك الرجل . قال : هذا الرّأى، فأمر رجلاً فجلس له فى الطريق ، وأمره بذلك ، فخرج بعض خلفاء الربيع ، فقال له : إنّه قد أمر فيك بكذا وكذا ، فأخذ فى غير ذلك الطريق ، فدخل منزله ، فتمارض، فمرض بعد ذلك ثمانية أيام ؛ فمات ميتة نفسه . وكانت وفاته سنة تسع وستين ومائة ؛ وهو الربيع ابن يونس .

خلافة هارون الرشيد

بُويع للرّشيد هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس بالخلافة ليلة الجمعة الليلة التى تُوُفِّيَ فيها أخوه موسى الهادى . وكانت سنّه يوم وليَ اثنتين وعشرين سنة . وقيل كان يوم بُويع بالخلافة ابنَ إحدى وعشرين سنة . وأمّه أم ولد يمانية جُرَشيّة يقال لها خَيزُران ، وولد بالرّيّ لثلاث بقِينَ من ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة فى خلافة المنصور . وأما البرامكة فإنها — فيما ذُكِر — تزعم أنّ الرشيد وُلِد أول يوم من المحرم سنة تسع وأربعين ومائة ؛ وكان الفضل بن يحيى ولد قبله بسبعة أيام ، وكان مولد الفضل لسبع بقين من ذى الحجة سنة ثمان وأربعين ومائة ، فجعلت أمّ الفضل ظئراً للرشيد ، وهى زينب بنت منير ، فأرضعت الرّشيد بلِبان[1] الفضل ، وأرضعت الخيزُران الفضل بلِبان الرّشيد .

وذكر سليمان بن أبى شيخ أنه لمّا كان الليلة التى تُوُفِّيَ فيها موسى الهادى أخرج هَرْثمةُ بن أعين هارون الرشيد ليلاً فأقعده للخلافة ، فدعا هارونُ يحيى بن خالد بن برمك — وكان محبوساً ، وقد كان عزم موسى على قتله وقَتْل هارون الرشيد فى تلك الليلة — قال : فحضر يحيى ، وتقلّد الوزارة ، ووجّه إلى يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب فأحضره ، وأمره بإنشاء الكُتب ؛ فلما كان غداةَ تلك الليلة ، وحضر القوّاد قام يوسف بن القاسم ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم تكلم بكلام أبلغ فيه ، وذكر موت موسى وقيام هارون بالأمر من بعده ، وما أمر به للنّاس من الأعطيات . ٣/٦٠٠

وذكر أحمد بن القاسم ، أنه حدّثه عمّه عليّ بن يوسف بن القاسم هذا الحديث ، فقال : حدّثنى يزيد الطبريّ مولانا أنه كان حاضراً يحمل دواة أبى يوسف ابن القاسم ، فحفِظ الكلام . قال : قال بعد الحمد لله عزّ وجلّ والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم :

---

(١) فى اللسان : « يقال : هو أخوه بلبان أمه ، بكسر اللام ؛ ولا يقال : بلبن أمه ؛ إنما اللبن الذى يشرب من ناقة أو شاة أو غيرهما » .

إن الله بمنّه ولطفه منّ عليكم معاشر أهل بيت نبيّه بيت الخلافة ومعدن الرسالة ، وأتاكم أهل الطاعة من أنصار الدّوْلة وأعوان الدّعوة ، من نعمته التى لا تحصى بالعدد ، ولا تنقضى مدى الأبد ، وأياديه التامّة ، أنْ جمع أُلفتكم وأعلى أمركم ، وشدّ عَضُدكم ، وأوهن عدوّكم ، وأظهر كلمة الحقّ ؛ وكنتم أوْلى بها وأهلها ، فأعزّكم الله وكان الله قويًّا عزيزاً ؛ فكنتم أنصارَ دين الله المرتضى والذابّين بسيفه المنتضَى ؛ عن أهل بيت نبيّه صلى الله عليه وسلم . وبكم استنقذهم من أيدى الظَّلمة ، أئمة الجوْر ، والناقضين عهد الله ، والسافكين الدّمَ الحرام ، والآكلين الفىء ، والمستأثرين به ؛ فاذكروا ما أعطاكم الله من هذه النّعمة ، واحذروا أن تغيّروا فيغيِّر بكم . وإن الله جل وعزّ استأثر بخليفته موسى الهادى الإمام ، فقبضه إليه ، وولّى بعده رشيداً مرضيًّا أمير المؤمنين رءوفًا بكم رحيمًا ، من محسنكم قبولا ، وعلى مسيئكم بالعفو [1] عطوفًا ؛ وهو — أمتعه الله بالنعمة وحفظ [2] له ما استرعاه إياه من أمر الأمة ، وتولاّه بما تولى به أولياءه وأهلَ طاعته — يعِدكم من نفسه الرّأفة بكم ، والرحمة لكم . وقسْم أعطياتكم فيكم عند استحقاقكم ، ويبذل لكم من الجائزة مما أفاء الله على الخلفاء مما فى بيوت الأموال ما ينوب عن رزق كذا وكذا شهراً ، غير مقاصّ لكم بذلك فيما تستقبلون من أعطياتكم ، وحامل باقِى ذلك ؛ للدّفْع عن حريمكم ، وما لعلّه أن يحدث فى النواحى والأقطار من العُصاة المارقين إلى بيوت الأموال ؛ حتى تعودَ الأموال إلى جِمامها وكثرتها ، والحال التى كانت عليها ؛ فاحمدوا الله وجدّدوا شكراً يوجب لكم المزيد من إحسانه إليكم ؛ بما جدّد لكم من رأى أمير المؤمنين ، وتفضّل به عليكم ، أيّده الله بطاعته . وارغبوا إلى الله له فى البقاء ؛ ولكم به فى إدامة النعماء ، لعلكم ترحمون . وأعطُوا صَفْقة أيمانكم ، وقوموا إلى بَيْعتكم ، حاطكم الله وحاط عليكم ، وأصلح بكم [3] وعلى أيديكم ، وتولاّكم ولاية عباده الصالحين

٦٠١/٣

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، قال : حدثنى محمد بن هشام

(١) ج : « بالعطف » .
(٢) س : « وحفظ الله » .
(٣) ج : « لكم » .

المخزوميّ ، قال : جاء يحيى بن خالد إلى الرّشيد وهو نائم فى لحاف بلا إزار ؛ لمّا تُوفّىَ موسى ، فقال : قمْ يا أمير المؤمنين ، فقال له الرّشيد: كم تروّعنى إعجابًا منك بخلافتى ! وأنت تعلم حالى عند هذا الرجل ؛ فإنْ بلغه هذا ، فما تكون حالى ! فقال له : هذا الحرّانىّ وزير موسى وهذا خاتمه . قال : فقعد فى فراشه ، فقال : أشرْ علىّ ، قال : فبينما هو يكلّمه إذ طلع رسول آخر ، فقال : قد وُلد لك غلام ، فقال : قد سمّيتُه عبد الله ، ثم قال ليحيى : أشر علىّ ، فقال: أشير عليك أن تقعدلحالك على إرمينيَة، قال : قد فعلت ؛ ولا والله لا صليت بعيساباذ إلاّ عليها ، ولا صلّيت الظهر إلا ببغداد ؛ وإلا ورأس أبى عصمة بين يدىّ . قال : ثم لبس ثيابه ، وخرج فصلّى عليه ، وقدّم أبا عصمة ، فضرب عنقه ، وشدّ جُمّته فى رأس قناة ، ودخل بها بغداد ؛ وذلك أنه كان مضى هو وجعفر بن موسى الهادى راكبين . فبلغا إلى قنطرة من قناطر عيساباذ ، فالتفت أبو عصمة إلى هارون ، فقال له : مكانك حتى يجوز ولىّ العهد ، فقال هارون : السمع والطاعة للأمير ؛ فوقف حتى جاز جعفر ؛ فكان هذا سبب قتل أبى عصمة .

٣/٦٠٢

قال : ولما صار الرشيد إلى كرسىّ الجسر دعا بالغوّاصين ، فقال : كان المهدىّ وهب لى خاتمًا شراؤه مائة ألف دينار يسمّى الجبل[1] ، فدخلتُ على أخى وهو فى يدى ؛ فلما انصرفتُ لحقنى سليم الأسود على الكرسىّ ، فقال : يأمرُك أمير المؤمنين أن تعطيَه الخاتم ، فرميت به فى هذا الموضع . فغاصوا ، فأخرجوه ، فسُرّ به غاية السرور .

قال محمد بن إسحاق الهاشمىّ : حدّثنى غير واحد من أصحابنا، منهم صبّاح بن خاقان التميمىّ ، أن موسى الهادى كان خلع الرشيد وبايع لابنه جعفر ؛ وكان عبدُالله بن مالك على الشُّرَط ، فلما تُوُفّىَ الهادى هجم خزيمة ابن خازم فى تلك الليلة ، فأخذ جعفراً من فراشه ؛ وكان خزيمة فى خمسة آلاف من مواليه معهم السلاح ، فقال : والله لأضربنّ عنقك أو تخلَعها ، فلما كان من الغدِ ، ركب الناس إلى باب جعفر ، فأتى به خزيمة ، فأقامه

(١) ا : « الحيل » .

على باب الدار فى العلوّ، والأبواب مغلقة، فأقبل جعفر ينادى: يا معشرَ المسلمين، من ْكانت لى فى عنقه بيعة فقد أحللتُه منها؛ والخلافة لعمّى هارون؛ ولا حقّ لى فيها. ٦٠٣/٣

وكان سببُ مشى عبد الله بن مالك الخُزاعىّ إلى مكّة على اللّبود؛ لأنه كان شاور الفقهاء فى أيْمانه التى حلَف بها لبيعة جعفر، فقالوا له: كلُّ يمين لك تخرج منها إلا المشى إلى بيت الله؛ ليس فيه حيلة. فحجّ ماشيًا. وحظىَ خزيمة بذلك عند الرّشيد.

وذُكر أن الرشيد كان ساخطًا على إبراهيم الحرانىّ وسلاّم الأبرش يوم مات موسى، فأمر بحبسهما وقبْض أموالهما، فحبس إبراهيم عند يحيى بن خالد فى دارِه، فكلّم فيه محمدُ بن سليمان هارونَ، وسأله الرضا عنه وتخليةَ سبيله، والإذن له فى الانحدار معه إلى البصرة، فأجابه إلى ذلك.

* * *

وفى هذه السنة عزل الرّشيد عمرَ بن عبد العزيز العُمَرىّ عن مدينة الرّسول صلى الله عليه وسلم؛ وما كان إليه من عملها، وولّى ذلك إسحاق بن سليمان ابن علىّ.

وفيها وُلِد محمد بن هارون الرشيد، وكان مولده — فيما ذكر أبو حفص الكرمانىّ عن محمد بن يحيى بن خالد — يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلتْ من شوال من هذه السّنَة، وكان مولد المأمون قبله فى ليلة الجمعة النّصف من شهر ربيع الأول.

وفيها قلّد الرشيد يحيى بن خالد الوزارةَ، وقال له: قد قلّدتُك أمر الرّعيّة، وأخرجته من عنقى إليك، فاحكم فى ذلك بما ترى من الصواب، واستعملْ مَنْ رأيتَ، واعزل مَنْ رأيت، وأمض الأمور على ما ترى. ودفع إليه خاتمه؛ ففى ذلك يقول إبراهيم الموصلىّ: ٦٠٤/٣

أَلَمْ ترَ أَن الشَّمْس كانتْ سَقيمةً ... فلمّا ولِى هارونُ أَشْرَقَ نُورُها
بيُمنِ أَمين اللهِ هارونَ ذى النَّدَى ... فهارونُ وَاليها وَيَحْيى وزيرُها

وكانت الخيزُران هى الناظرة فى الأمور ، وكان يحيى يعرض عليها ويصدُر عن رأيها .

وفيها أمر هارون بسهم ذوى القربى ، فقسّم بين بنى هاشم بالسّويّة .

وفيها آمن مَنْ كان هاربًا أو مستخفيًا ، غير نفر من الزنادقة ؛ منهم يونس بن فروة ويزيد بن الفيض .

وكان ممّن ظهر من الطالبيين طَبَاطَبا ؛ وهو إبراهيم بن إسماعيل ، وعلىّ بن الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن .

وفيها عزل الرّشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقنّسرين ، وجعلها حيّزاً واحداً وسميت العواصم .

وفيها عمرت طَرَسُوس على يدى أبى سُليم فرَج الخادم التركىّ ونزلها الناس .

* * *

٣/٦٠٥ وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون الرّشيد من مدينة السّلام ، فأعطى أهل الحرَمَيْن عطاء كثيراً ، وقسم فيهم مالاً جليلاً .

وقد قيل : إنه حجّ فى هذه السنة وغزا فيها ، وفى ذلك يقول داود بن رَزين :

بِهارونَ لاحَ النُّورُ فى كلِّ بَلْدَةٍ ... وَقامَ بِهِ فى عَدْلِ سيرتِهِ النَّهْجُ
إمام بِذاتِ اللهِ أَصْبَحَ شُغْلُهُ ... وَأَكثرُ ما يُعْنَى بِهِ الغزْوُ وَالحَجُّ
تضيقُ عُيونُ الناس عَن نُورِ وجْهِهِ ... إذا ما بَدا للنَّاسِ مَنْظَرُهُ البَلْجُ
وَإنَّ أَمينَ اللهِ هارونَ ذا النَّدَى[1] ... يُنيلُ الذى يَرْجوهُ أَضعافَ مايَرْجو

وغزا الصائفة فى هذه السنة سليمان بن عبد الله البكّائىّ .

وكان العامل فيها على المدينة إسحاق بن سليمان الهاشمىّ ، وعلى مكة والطائف عبيد الله بن قُثَم ، وعلى الكوفة موسى بن عيسى ، وخليفته عليها ابنه العباس بن موسى ، وعلى البصرة والبحرين والفُرْض وعُمان واليمامة وكُور الأهواز وفارس محمد بن سليمان بن علىّ .

---

(١) س : « بالندى » .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك قدوم أبى العباس الفضل بن سليمان الطوسىّ مدينةَ السلام منصرفًا عن خُراسان ، وكان خاتمُ الخلافة حين قدم مع جعفر بن محمد بن الأشعث ، فلما قدم أبو العباس الطوسىّ أخذه الرّشيد منه ، فدفعه إلى أبى العباس ، ثمّ لم يلبث أبو العباس إلاّ يسيرًا حتى تُوُفِّىَ . فدفع الخاتم إلى يحيى بن خالد ، فاجتمعت ليحيى الوزارتان .

٣/٦٠٦

وفيها قتل هارون أبا هُرَيرة محمد بن فرّوخ – وكان على الجزيرة – فوجّه إليه هارون أبا حنيفة حَرْب بن قيس ، فقدم به عليه مدينة السّلام ، فضرب عنقه فى قصر الخُلْد .

وفيها أمر هارون بإخراج مَنْ كان فى مدينة السلام من الطالبيّين إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، خلا العباس بن الحسن بن عبد الله بن علىّ ابن أبى طالب ، وكان أبوه الحسن بن عبد الله فيمن أشخص .

وخرج الفضل بن سعيد الحَروريّ فقتله أبو خالد المرْوَرُّوذىّ .

وفى هذه السنة كان قدوم رَوْح بن حاتم إفريقيّة ؛ وخرجت فى هذه السنة الخيزُران إلى مكة فى شهر رمضان ، فأقامت بها إلى وقت الحجّ فحجّت .

وحجّ بالنّاس فى هذه السنة عبد الصمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك شخوص الرّشيد فيها إلى مَرْج القلعة مرتاداً بها منزلا ينزله .

٣/٦٠٧ * ذكر السبب فى ذلك :

ذكر أن الذى دعاه إلى الشخوص إليها أنه استثقل مدينة السلام ، فكان يسميها البُخار ، فخرج إلى مَرْج القلعة ، فاعتلّ بها ، فانصرف ، وسُمّيت تلك السفرة سَفْرة المرتاد .

* * *

وفيها عزل الرّشيد يزيد بن مزيد عن إرمينيَة ، وولاّها عبيد الله بن المهدىّ .

* * *

وغزا الصائفة فيها إسحاق بن سليمان بن علىّ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة يعقوب بن أبى جعفر المنصور .

وفيها وضع هارون عن أهل السواد العُشْر الذى كان يؤخذ منهم بعد النصف .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر وفاة محمد بن سليمان]

فمن ذلك وفاة محمد بن سليمان بالبصرة، لليال بقين من جمادى الآخرة منها.

وذُكر أنّه لما مات محمد بن سليمان وجّه الرشيد إلى كلّ ما خلّفه رجلاً أمره باصطفائه، فأرسل إلى ما خلّف من الصّامت من قبَل صاحب بيت ماله رجلاً، وإلى الكسوة بمثل ذلك، وإلى الفُرُش والرّقيق والدوابّ من الخيل والإبل، وإلى الطيّب والجوهر وكلّ آلة برجلٍ من قبَل الذى يتولّى كلّ صنف من الأصناف، فقدموا البَصْرة، فأخذوا جميعَ ما كان لمحمد ممّا يصلح للخلافة، ولم يتركوا شيئاً إلا الخُرْثيّ[1] الذى لا يصلح للخلفاء، وأصابوا له ستّين ألف ألف، فحملوها مع ما حُمِل، فلما صارت فى السُّفن أُخبِر الرشيد ٦٠٨/٣ بمكان السُّفن التى حملت ذلك؛ فأمر أن يُدخَل جميعُ ذلك خزائنه إلا المال؛ فإنه أمر بصكاك فكتُبت للنّدماء، وكتبت للمغنّين صكاك صغار لم تُدَرْ فى الديوان، ثم دفع إلى كلّ رجل صكّاً بما رأى أن يَهَب[2] له، فأرسلوا وكلاءهم إلى السفن، فأخذوا المال على ما أمر لهم به فى الصّكاك أجمع؛ لم يدخل منه بيتَ ماله دينار ولا درهم، واصطفى ضياعه؛ وفيها ضيعة يقال لها بَرَشيد بالأهواز لها غلّة كثيرة.

وذكر علىّ بن محمد، عن أبيه، قال: لما مات محمد بن سليمان أصيب فى خزانة لباسه مذ كان صبيّاً فى الكُتّاب إلى أن مات مقادير السنين؛ فكان من ذلك ما عليه آثار النّقْس[3]. قال: وأخرج من خزانته ما كان يُهدَى له من بلاد السّند ومُكران وكِرْمان وفارسَ والأهواز واليمامة والرّىّ وعُمان؛ من الألطاف والأدْهان والسّمك والحبوب والجبن، وما أشبه ذلك، ووجِد أكثره فاسداً. وكان من ذلك خمسمائة كَنْعَدَة[4] ألقيتْ من دار جعفر

(١) الخرثى: أردأ المتاع.
(٢) ج: «أن يجب».
(٣) النقش: الحبر.
(٤) الكنعد: ضرب من السمك.

ومحمد فى الطريق ؛ فكانت بلاءً . قال : فمكثنا حيناً لا نستطيع أن نمرّ بالمِرْبد من نَتَنْها .

* * *

[ذكر وفاة الخيزران أم الهادى والرشيد]

وفيها تُوفِّيت الخيزُران أمّ هارون الرشيد وموسى الهادى .

* ذكر الخبر عن وقت وفاتها :

ذكر يحيى بن الحسن أن أباه حدّثه ، قال : رأيتُ الرّشيد يوم ماتت الخيزُران ، وذلك فى سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وعليه جُبة سعيديّة وطيلسان خِرَقٌ أزرق ، قد شُدّ به وسطُه ، وهو آخذ بقائمة السرير حافيًا يعدُو فى الطين ؛ حتى أتى مقابر قُريش فغسل رجليه ، ثم دعا بخُفّ وصلّى عليها ، ودخل قبرها ، فلما خرج من المقبرة وُضع له كرسىّ فجلس عليه ، ودعا الفضل بن الربيع ، فقال له : وحق المهدىّ — وكان لا يحلف بها إلا إذا اجتهد — إنى لأهمّ لك من الليل بالشىء من التولية وغيرها ، فتمنعنى أمى فأطيع أمرها ، فخذ الخاتم من جعفر . فقال الفضل بن الربيع لإسماعيل بن صُبَيح : أنا أجلّ أبا الفضل عن ذلك ؛ بأن أكتب إليه وآخذه ؛ ولكن إن رأى أن يبعث به ! ٦٠٩/٣

قال : وولى الفضل نفقات العامة والخاصة وبادُوريا والكُوفة ، وهى خمسة طساسيج ، فأقْبَلَتْ حاله تنمى إلى سنة سبع وثمانين ومائة .

وقيل إن وفاة محمد بن سليمان والخيزُران كانت فى يوم واحد .

* * *

وفيها أقدم الرشيد جعفرَ بن محمد بن الأشعث من خُراسان ، وولاّها ابنَه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث .

وحجّ بالناس فيها هارون ؛ وذُكِر أنه خرج محرِمًا من مدينة السلام .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان بالشأم من العصبيّة فيها .

وفيها ولّى الرّشيد إسحاقَ بن سليمان الهاشميّ السِّند ومُكران .

وفيها استقضى الرشيد يوسف بن أبى يوسف ، وأبوه حىّ .

وفيها هلك رَوْح بن حاتم .

وفيها خرج الرشيد إلى باقِرْدَى وبازَبْدَى ، وبنى بباقِرْدَى قصراً ، فقال الشاعر فى ذلك : ٣/٦١٠

بِقَردَى وبَازَبْدَى مَصيفٌ ومَرْبَعٌ وعَذْبٌ يُحاكِى السلسبيلَ بَرودُ

وبَغدادُ ، ما بَغدادُ ، أمّا تُرابُها فَخُرْءٌ ، وأما حَرّها فَشَديدُ

وغزا الصّائفةَ عبدُالملك بن صالح .

* * *

وحجّ بالناس فيها هارون الرشيد ، فبدأ بالمدينة ، فقسم فى أهلها مالاً عظيماً ، ووقع الوباء فى هذه السنة بمكة ، فأبطأ عن دخولها هارون ، ثم دخلها يوم التَّرْوِية ، فقضى طوافه وسعيَه ولم ينزل بمكة .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن البيعة للأمين]

فمن ذلك عقْد الرشيد لابنه محمد بمدينة السلام من بعده ولايةَ عهد المسلمين وأخذه له بذلك بيعة القوّاد والجند ، وتسميته إياه الأمين ، وله يومئذ خمس سنين ، فقال سلْم الخاسر :

قد وفَّقَ اللهُ الخليفةَ إذ بنى ... بَيتَ الخليفةِ لِلهجَانِ الأَزهَرِ

فهو الخليفةُ عن أَبيه وجدِّهِ ... شَهِداً عليه بِمنَظرٍ وبمخبرِ

قد بايَعَ الثقلان فى مهْدِ الهُدى ... لمحمَّدِ بن زُبَيدَةَ ابنَةِ جعفر

* ذكر الخبر عن سبب بيعة الرشيد له :

٣/٦١١

وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر رَوْح مولى الفضل بن يحيى بن خالد — أنه رأى عيسى بن جعفر قد صار إلى الفضْل بن يحيى ، فقال له : أنشدك الله لما عملت فى البيعة لابن أختى — يعنى محمد بن زبيدة بنت جعفر بن المنصور — فإنه ولدٌ لك وخلافته لك ؛ فوعده أن يفعل ، وتوجّه الفضل على ذلك ؛ وكانت جماعة من بنى العباس قد مدّوا أعناقَهم إلى الخلافة بعد الرشيد ؛ لأنه لم يكن له ولىّ عهد ؛ فلما بايع له ، أنكروا بيعتَه لصغر سنّه .

قال : وقد كان الفضل لما تولّى خُراسان أجمع على البيعة لمحمد ؛ فذكر محمد بن الحسين بن مصعب أن الفضْل بن يحيى لمّا صار إلى خُراسان ، فرّق فيهم أموالا ، وأعطى الجند أعطياتٍ متتابعات ، ثم أظهر البيعة لمحمد بن الرشيد ؛ فبايع الناس له وسماه الأمين ، فقال فى ذلك النَّمَرىّ :

أَمسَتْ بمروَ على التوفيقِ قد صَفَقَتْ ... على يدِ الفضل أَيدِى العُجْم والعربِ

ببيعةٍ لِولىِّ العهد أحكَمَها بالنّصح منه وبالإشفاقِ والحدَبِ
قَدْ وكَّدا الفضلُ عقداً[1] لاانتِقاضَ له لمصطفًى من بنى العباسِ مُنتَخَب

قال : فلما تناهى الخبرُ إلى الرّشيد بذلك ، وبايع له أهل المشرق ، بايع لمحمد ، وكتب إلى الآفاق ، فبويع له فى جميع الأمصار ، فقال أبان اللاحقىّ فى ذلك : ٦١٢/٣

عَزَمْتَ أمير المومنين على الرُّشْدِ بِرَأىِ هُدًى ، فالحمدُ لله ذِى الحمدِ

* * *

وعزل فيها الرشيد عن خراسان العباس بن جعفر ، وولاها خاله الغِطريف ابن عطاء .

وفيها صار يحيى بن عبد الله بن حسن إلى الدّيْلم ، فتحرّك هناك .

وغزا الصائفة فيها عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ إقريطيَة .

وقال الواقدىّ : الذى غزا الصائفة فى هذه السنة عبدالملك بن صالح ، قال : وأصابهم فى هذه الغزاة برد قَطّع أيديهم وأرجلهم .

* * *

وحجّ بالناس فيها هارون الرشيد .

(١) س : « عهدًا » .

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تولية الرّشيد الفضل بن يحيى كُور الجبال وطَبَرستان ودُنْباوند وقُومِس وإرمينيَة وأذْرَبيجان .

وفيها ظهر يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب بالدّيلم .

ذكر الخبر عن مخرج يحيى بن عبد الله وما كان من أمره

٦١٣/٣

ذكر أبو حفص الكِرمانيّ ، قال : كان أوّل خبر يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب أنه ظهر بالدّيْلم ، واشتدّت شوْكته ، وقويَ أمرُه ، ونزع إليه الناس من الأمصار والكُور ، فاغتمّ لذلك الرّشيد ، ولم يكن في تلك الأيام يشرب النّبيذ ، فندب إليه الفضلَ بن يحيى في خمسين ألف رجل ، ومعه صناديد القوّاد ، وولاّه كور الجبال والرّيّ وجُرجان وَطبَرِستان وقومِس ودُنْبَاوند والرُّويان ، وحُملت معه الأموال ، ففرّق الكور على قوّاده ، فولّى المثنّى بن الحجاج بن قتيبة بن مسلم طَبَرِستان ، وولّى عليّ بن الحجاج الخُزاعيّ جُرجان ، وأمر له بخمسمائة ألف درهم ، وعسكر بالنّهرين ، وامتدحه الشعراء ، فأعطاهم فأكثر ، وتوسل إليه الناس بالشعر ، ففرّق فيهم أموالا كثيرة . وشخص الفضلُ بن يحيى ، واستخلف منصور بن زياد بباب أمير المؤمنين ، تجري كتبه على يديه ، وتنفذ الجوابات عنها إليه ، وكانوا يثقون بمنصور وابنه في جميع أمورهم ؛ لقديم صحبته لهم ، وحرمته بهم . ثم مضى من معسكره ، فلم تزل كتب الرشيد تتابع إليه بالبرّ واللّطف والجوائز والخلَع ؛ فكاتب يحيى ورفَق به واستماله ، وناشده وحذّره ، وأشار عليه ، وبسط أملَه . ونزل الفضل بطالَقان الريّ وَدستْبَى بموضع يقال له أشبّ ؛ وكان شديدَ البرد كثير الثلوج ؛ ففي ذلك يقول أبان بن عبد الحميد اللاحقيّ :

٦١٤/٣

لَدُورُ أَمْسَ بالدُولا بِ حيثُ السَّيبُ يَنعرجُ
أَحبُّ إلىَّ مِنْ دور أَشَبَّ إذا هُمُ ثَلجُوا

قال : فأقام الفضل بهذا الموضع ، وواتر كتبه على يحيى ، وكاتب صاحب الدَّيْلم ، وجعل له ألف ألف درهم ؛ على أن يسهّل له خروج يحيى إلى ما قبله ، وحملت إليه ، فأجاب يحيى إلى الصّلح والخروج على يديه ، على أن يكتب له الرشيد أمانًا بخطّه على نسخة يبعث بها إليه. فكتب الفضل بذلك إلى الرشيد ، فسرّه وعظُم موقعه عنده ، وكتب أمانًا ليحيى بن عبد الله ، وأشهد عليه الفقهاء والقضاة وجلّة بنى هاشم ومشايخهم ؛ منهم عبد الصمد بن علىّ والعباس ابن محمد ومحمد بن إبراهيم وموسى بن عيسى ومَنْ أشبههم ، ووجّه به مع جوائز وكرامات وهدايا ، فوجّه الفضل بذلك إليه ، فقدم يحيى بن عبد الله عليه ، وورد به الفضل بغداد ، فلقيه الرّشيد بكلّ ما أحبّ ، وأمر له بمال كثير ، وأجرى له أرزاقًا سنيّة ، وأنزله منزلًا سريًّا بعد أن أقام فى منزل يحيى بن خالد أيامًا ، وكان يتولّى أمرَه بنفسه ، ولا يكِلُ ذلك إلى غيره ، وأمر الناس بإتيانه بعد انتقاله من منزل يحيى والتسليم عليه ، وبلغ الرشيد الغايةَ فى إكرام الفضل ؛ ففى ذلك يقول مَرْوان بن أبى حفصة :

ظَفِرتَ فلا شَلَّتْ يدٌ بَرْمَكيَّةٌ رَتَقْتَ بها الفَتْقَ الذى بين هاشمِ
على حين أَعْيَا الراتقينَ التِئامُهُ فكَفُّوا وقَالُوا لَيسَ بالمتلائمِ ٣/٦١٥
فأَصْبَحْتَ قد فازَتْ يداك بخُطَّةٍ من المجدِ باقٍ ذكرها فى المَوَاسِمِ
وما زالَ قِدْحُ المُلكَ يَخْرُجُ فائزًا لكمْ كلّما ضُمَّتْ قِداحُ المُساهِمِ

قال : وأنشدنى أبو ثُمامة الخطيب لنفسه فيه :

للفضل يومُ الطَّالَقَانِ وقبلهُ يومٌ أَناخَ بهِ على خاقانِ
ما مثلُ يَوْمَيْهِ اللّذيْن تَواليَا فى غَزْوَتَيْن تَوالتَا يَوْمَانِ
سَدَّ الثغُور وَردَّ أُلفةَ هاشمٍ بعدَ الشَّتاتِ ،فَشَعْبُها مُتَدَانِ

عصمتْ حكومَتُهُ جَماعةَ هاشِمٍ مِنْ أنْ يُجَرَّد بينها سَيْفَان
تِلْكَ الْحُكومةُ لَا التى عن لَبْسها عظُمَ النَّبا وتفرّقَ الحكَمان

فأعطاه الفضل مائة ألف درهم ، وخلع عليه ، وتغنّى إبراهيم به .

وذكر أحمد بن محمد بن جعفر[1] ، عن عبد الله بن موسى بن عبدالله بن حسن بن حسن ، قال : لما قدم يحيى بن عبد الله من الدّيلم أتيتُه ، وهو فى دار علىّ بن أبى طالب ، فقلت : يا عمّ ، ما بعدك مُخْبِر ولا[2] بعدى مُخْبَر ؛ فأخبِرْنى خبرَك ، فقال : يابن أخى ، والله إن كنت إلا كما قال حُيَىّ ابن أخطب :

لعمْرِكَ مالام ابنُ أخطَب نفسَهُ ولكنّهُ من يَخذُلِ اللهُ يُخذَلِ
لجَاهَدَ حتى أبلغَ النفس حَمْدَها[3] وقلقلَ يَبغى العِزَّ كلَّ مقلقَلِ

٣/٦١٦ وذكر الضّبىّ أن شيخاً من النوفليّين ، قال : دخلنا على عيسى بن جعفر ، وقد وُضِعت له وسائد بعضها فوق بعض ؛ وهو قائم متّكئ عليها ؛ وإذا هو يضحك من شىء فى نفسه ، متعجّباً منه ، فقلنا : ما الذى يُضحك الأمير أدام الله سروره ! قال : لقد دخلنى اليوم سرورٌ ما دخلنى مثله قطّ ، فقلنا : تمم الله للأمير سروره[4] ، وزاده سروراً . فقال : والله لا أحدّثكم به إلا قائماً — واتكأ على الفرش وهو قائم — فقال : كنت اليومَ عند أمير المؤمنين الرّشيد ، فدعا بيحيى بن عبد الله ، فأخْرِج من السجن مكبَّلاً فى الحديد ، وعنده بكّار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير — وكان بكّار شديدَ البغض لآل أبى طالب ، وكان يبلّغ هارون عنهم ، ويسىء[5] بأخبارهم ، وكان الرّشيد ولاه المدينة ، وأمره بالتضييق عليهم — قال : فلما دُعِىَ بيحيى قال له الرّشيد : هيهْ هيهْ ! متضاحكاً ؛ وهذا يزعم أيضاً أنا سممناه ! فقال يحيى : ما معنى يزعم ؟ ها هُو ذا لسانى — قال : وأخرج لسانه أخضر

(١) ج : « حفص » .
(٢) ج : « وما » .
(٣) ا : « بجاهد » .
(٤) س : « السرور » .
(٥) ط : « ويشى » .

مثل السَّلق — قال : فتربَّد هارون ! واشتدَّ غضبُه ، فقال يحيى : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن لنا قرابة ورحِمًا ، ولسنا بتُرْكٍ ولا ديْلم ، يا أمير المؤمنين ؛ إنَّا وأنتم أهلُ بيت واحد ، فأذكِّرك اللهَ وقرابتَنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! علام تحْبِسني وتعذِّبني ؟ قال : فرقَّ له هارون ، وأقبل الزُّبيريّ على الرَّشيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يغرَّك كلام هذا ؛ فإنه شاقٌّ عاصٍ ؛ وإنما هذا منه مكر وخُبْث ؛ إنَّ هذا أفسد علينا مدينتنا ، وأظهر فيها العصيان . قال : فأقبل يحيى عليه ؛ فوالله ما استأذن أمير المؤمنين في الكلام حتى قال : أفسد عليكم مدينتكم ! ومَنْ أنتم عافاكم الله ! قال الزُّبيريّ : هذا كلامه قدّامك ؛ فكيف إذا غاب عنك ! يقول : ومَنْ أنتم ! استخفافًا بنا . قال : فأقبل عليه يحيى ، فقال : نعم ، ومَنْ أنتم عافاكم الله ! المدينة كانت مهاجَر عبد الله ابن الزُّبير أمْ مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومَنْ أنت حتى تقول : أفسد علينا مدينتنا ! وإنما بآبائي وآباء هذا هاجر أبوك إلى المدينة . ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنما الناس نحن وأنتم ؛ فإن خرجنا عليكم قلنا : أكلتم وأجعتمونا ولبستم وأعريتمونا ، وركبتم وأرجلتمونا ؛ فوجدنا بذلك مقالاً فيكم ، ووجدتم بخروجنا عليكم مقالا فينا ؛ فتكافأ فيه القول ، ويعود أمير المؤمنين على أهله[1] بالفَضْل . يا أمير المؤمنين ، فلمَ يجترئ هذا وضرباؤه على أهل بيتك ؛ يسعى بهم عندك ! إنه والله ما يَسعى[2] بنا إليك نصيحةً منه لك ؛ وإنه يأتينا فيسعى بك عندنا عن غير نصيحة منه لنا ؛ إنما يريد أن يباعد بيننا ، ويشتفي من بعض ببعض . والله يا أميرَ المؤمنين ؛ لقد جاء إليَّ هذا حيث قُتِل أخي محمد بن عبد الله ، فقال : لعن الله قاتله ! وأنشدني فيه مرثيةً قالها نحواً من عشرين بيتًا ، وقال : إن تحرَّكتَ في هذا الأمر فأنا أوّل مَنْ يبايعك ، وما يمنعك أن تلحق بالبصرة ، فأيدينا مع يدك !

٦١٧/٣

قال : فتغيَّر وجه الزُّبيريّ واسودّ ، فأقبل عليه هارون ، فقال : أيَّ شيء يقول هذا ؟ قال : كاذب يا أميرَ المؤمنين ؛ ما كان ممّا قال حرف . قال : فأقبل على يحيى بن عبد الله ، فقال : تروِي القصيدةَ التي رثاه بها ؟ قال :

(١) بعدها في س : « فيه » .

(٢) س : « سعى » .

نعم يا أمير المؤمنين ، أصلحك الله ! قال : فأنشدها إياه ، فقال الزّبيرىّ :
٦١٨/٣ والله يا أميرَ المؤمنين الذى لا إله إلا هو — حتى أتى على آخر اليمين الغَمُوس — ما كان مما قال شىء؛ ولقد تقوّل علىّ ما لم أقل . قال: فأقبل الرّشيد على يحيى ابن عبد الله ، فقال : قد حلَف ، فهل من بيّنة سمعوا هذه المرثية منه ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ؛ ولكن أستحلفه بما أريد ، قال : فاستحلفْه ، قال : فأقبل على الزبيرىّ ، فقال : قل: أنا برىء من حوْل الله وقوّته موكّل إلى حولى وقوّتى ، إن كنت قلتُه . فقال الزبيرىّ : يا أميرَ المؤمنين ، أىّ شىء هذا من الحلف ! أحلف له بالله الذى لا إله إلا هو ، ويستحلفنى بشىء لا أدرى ما هو ! قال يحيى بن عبد الله : يا أميرَ المؤمنين ، إن كان صادقًا فما عليه أن يحلف بما أستحلفه[1] به ! فقال له هارون : احلِفْ له ويلك! قال : فقال: أنا برىء من حول الله وقوّته موكّل إلى حولى وقوّتى ؛ قال : فاضطرب منها وأرعد ، فقال يا أميرَ المؤمنين ، ما أدرى أىّ شىء هذه اليمين التى يستحلفنى بها ، وقد حلفت له بالله العظيم أعظم الأشياء ! قال : فقال هارون له: لتحلفنّ له أو لأصدّقنّ عليك ولأعاقبنّك ، قال : فقال : أنا برىء من حول الله وقوته ، موكّل إلى حولى وقوّتى إن كنت قلته . قال : فخرج من عند هارون فضربه الله بالفالج ، فمات من ساعته .

قال : فقال عيسى بن جعفر : والله ما يسرّنى أن يحيى نقصه حرفًا ممّا كان جرى بينهما ، ولا قصّر فى شىء من مخاطبته إياه

قال : وأما الزبيريّون فيزعمون أن امرأته قتلته ؛ وهى من ولد عبد الرحمن ابن عوف .

وذكر إسحاق بن محمد النّخعىّ أنّ الزبير بن هشام حدّثه عن أبيه ، أن بكّار بن عبد الله تزوّج امرأةً من ولد عبد الرحمن بن عوف ، وكان له من
٦١٩/٣ قلبها موضع ، فاتّخذ عليها جارية ، وأغارها ؛ فقالت لغلامين له زنجيّين : إنه قد أراد قتلكما هذا الفاسق — ولاطَفْتُهما[2] — فتعاونانى على قتله ؟ قالا :

(١) س : « استحلفته » .
(٢) ح ، س : « ولطفتهما » .

نعم ، فدخلتْ عليه وهو نائم ، وهما جميعًا معها ، فقعدا على وجهه حتى مات . قال : ثم إنها سقتهما نبيذاً حتى تهوّعا[1] حول الفراش ، ثم أخرجتهما ووضعت عند رأسه قنّينة ؛ فلما أصبح[2] اجتمع أهلُه ، فقالت : سكر فقاء فشرِق فمات . فأخذ الغلامان ؛ فضُربا ضربًا مبرّحًا ، فأقرّا بقتله ، وأنّها أمرتهما بذلك ؛ فأخرجت من الدار ولم تُوَرّثْ .

وذكر أبو الخطاب أنّ جعفر بن يحيى بن خالد حدّثه ليلة وهو فى سَمَرِه ، قال : دعا الرّشيد اليومَ بيحيى بن عبد الله بن حسن ، وقد حضره أبو البختَرىّ القاضى ومحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبى يوسف ، وأحضر الأمان الذى كان أعطاه يحيى ، فقال لمحمد بن الحسن : ما تقول فى هذا الأمان ؟ أصحيح هو ؟ قال : هو صحيح ، فحاجّه فى ذلك الرشيد ، فقال له محمد بن الحسن : ما تصنع بالأمان ؟ لو كان محاربًا ثم وُلّىَ كان آمنًا . فاحتملها الرشيد على محمد بن الحسن ، ثم سأل أبا البختَرىّ أن ينظر فى الأمان ، فقال أبو البختَرىّ : هذا منتقَض من وجه كذا وكذا ، فقال الرشيد : أنت قاضى القضاة ؛ وأنت أعلم بذلك ؛ فمزّق الأمان ، وتفل فيه أبو البختَرىّ — وكان بكّار بن عبد الله بن مصعب حاضراً المجلس — فأقبل على يحيى بن عبد الله بوجْهِه ، فقال : شققتَ العصا ، وفارقت الجماعة ، وخالفت كلمتنا ، وأردت خليفتنا ؛ وفعلت بنا وفعلت . فقال يحيى : ومَنْ أنتم رحمكم الله ! قال جعفر : فوالله ما تمالَكَ الرشيد أن ضحك ضحكًا شديداً . قال : وقام يحيى ليمضى إلى الحبس ، فقال له الرّشيد : انصرف ، أما ترونْ به أثر علة! هذا الآن إن مات قال الناس : سَمّوه . قال يحيى : كلاّ ما زلتُ عليلا منذ كنت فى الحبس ؛ وقبل ذلك أيضًا كنت عليلا . قال أبو الخطاب : فما مكث يحيى بعد هذا إلا شهراً حتى مات .

وذكر أبو يونس إسحاق بن إسمعيل ، قال : سمعتُ عبد الله بن العباس ابن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علىّ ، الذى يعرف بالخطيب ، قال : كنتُ يومًا على باب الرّشيد أنا وأبى ، وحضر ذلك اليوم من الجُنْد والقُوّاد ما لم أر مثلهم على باب خليفة قبله ولا بعده ، قال : فخرج الفضل بن الربيع

---

(١) تهوعا ، أى تقيئا .

(٢) س : « أصبحت » .

إلى أبى ، فقال له : ادخل ، ومكث ساعة ثم خرج إلىّ ، فقال : ادخل ، فدخلتُ ، فإذا أنا بالرّشيد معه امرأة يكلمها ، فأومأ إلىّ أبى أنه لا يريد أن يدخل اليوم أحد ، فاستأذنتُ لك لكثرة مَنْ رأيتُ حضر الباب ؛ فإذا دخلتَ هذا المدخل زادك ذلك نُبْلاً عند الناس . فما مكثنا إلا قليلا حتى جاء الفضل ابن الربيع ، فقال : إن عبد الله بن مصعب الزبيرىّ يستأذن فى الدخول ، فقال : إنّى لا أريد أن أدخِل اليوم أحداً ، فقال : قال : إنّ عندى شيئاً أذكره[1]. فقال : قل له يَقُلْه لك ، قال : قد قلت له ذلك ، فزعم أنه لا يقوله إلاّ لك ، قال : أدخِلْه . وخرج ليُدخله ، وعادت المرأة وشغل بكلامها ، وأقبل علىّ أبى ، فقال : إنّه ليس عنده شىء يذكره ؛ وإنما أراد الفضل بهذا ليوهم مَنْ على الباب[2] أنّ أمير المؤمنين لم يدخلنا لخاصّة خُصِصنا بها ؛ وإنما أدخلنا لأمرٍ نُسأل عنه كما دخل هذا الزبيرىّ .

٦٢١/٣

وطلع الزّبيرىّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ها هنا شىء أذكره ، فقال له : قل ، فقال له : إنه سرٌّ ، فقال : ما من العباس[3] سرّ ، فنهضت ، فقال : ولا منك يا حبيبى ، فجلست ، فقال : قُلْ ، فقال : إنى والله قد خفت على أمير المؤمنين من امرأته وبنته وجاريته التى تنام معه ، وخادمه الذى يناوله ثيابه وأخصّ خلق الله به من قوّاده ، وأبعدهم منه . قال : فرأيتُه قد تغيّر لونه ، وقال : مماذا[4] ؟ قال : جاءتنى دعوة يحيى بن عبد الله بن حسن ، فعلمت أنها لم تبلغنى مع العداوة بيننا وبينهم ، حتى لم يُبْقِ على بابك أحداً إلا وقد أدخله فى الخلاف عليك . قال : فتقول له هذا فى وجهه ! قال : نعم ، قال الرشيد : أدخِلْه ، فدخل ، فأعاد القول الذى قال له ، فقال يحيى بن عبد الله : والله يا أمير المؤمنين لقد جاء بشىء لو قيل لمن هو أقلّ منك فيمن هو أكبر منى ، وهو مقتدر عليه لما أفلت منه أبداً ، ولى رحِم وقرابة ، فلم لا تؤخّر هذا الأمر ولا تعجّل ، فلعلك أن تكفى مؤنتى بغير يدك ولسانك ، وعسى بك أن تقطع رحِمك من حيث لا تعلمه ! أباهِلُه[5] بين يديك وتصبر قليلا . فقال :

---

(١) س : « يذكر » .
(٢) س : « بالباب » .
(٣) ج : « من بنى العباس » .
(٤) كذا فى ا ، وهو الصواب ، وفى ط : « فماذا قال » .
(٥) المباهلة : التلاعن .

يا عبد الله، قم فصلّ إن رأيت ذلك ، وقام يحيى فاستقبل القبلة ، فصلّى ركعتين ٦٢٢/٣
خفيفتين ، وصلّى عبد الله ركعتين ، ثم برك يحيى ، ثم قال : ابْرُك، ثم شبّك
يمينَه فى يمينه ، وقال : اللهمّ إن كنت تعلم أنى دعوتُ عبد الله بن مصعب
إلى الخلاف على هذا — ووضع يده عليه ، وأشار إليه — فاسحتْنى بعذاب من
عندك وكلْنى إلى حوْلى وقوّتى ، وإلا فكِله إلى حَوْله وقوّته ، واسحته بعذاب
من قبَلك ، آمين ربّ العالمين. فقال عبد الله : آمين ربّ العالمين ، فقال
يحيى بن عبد الله لعبد الله بن مصعب : قل كما قلت ، فقال عبدُ الله: اللهمّ
إن كنت تعلم أن يحيى بن عبد الله لم يدعُنى إلى الخلاف على هذا فكِلْنى إلى
حولِى وقوّتى واسحتنى بعذاب من عندك ، وإلا فكله إلى حوله وقوته ، واسحته
بعذاب من عندك . آمين رب العالمين !

وتفرّقا، فأمر بيحيى فحبِس فى ناحية من الدار ؛ فلما خرج وخرج عبدالله
ابن مصعب أقبل الرشيد على أبى ، فقال : فعلتُ به كذا وكذا ، وفعلتُ به
كذا وكذا ، فعدد [1] أياديه عليه ، فكلّمه أبى بكلمتين لا يُدفع بهما عن
عصفور ، خوفًا على نفسه ، وأمرنا بالانصراف فانصرفنا . فدخلت مع أبى
أنزعُ عنه لباسَه من السّواد — وكان ذلك من عادتى — فبينما أنا أحلّ عنه
منطقته ؛ إذ دخل عليه الغلام ، فقال : رسولُ عبد الله بن مصعب ، فقالَ :
أدخِلْه ، فلما دخل قال له : ما وراءك [2] ؟ قال : يقول لك مولاى ، أنشدك
الله إلاّ بلغتَ إلىّ ! فقال أبى للغلام: قل له : لم أزل عند أمير المؤمنين إلى هذا
الوقت ، وقد وجّهتُ إليك بعبد الله ، فما أردتَ أن تلقيَه إلىّ فألقه إليه ، وقال
للغلام : اخرج فإنه يخرج فى أثرك ؛ وقال لى : إنّما دعانى ليستعين بى على ٦٢٣/٣
ما جاء به من الإفك ؛ فإن أعنْتُه قطعت رحِمى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وإن خالفته سعى بى ؛ وإنما يتدرّق الناس بأولادهم ، ويتّقون بهم المكاره ؛
فاذهب إليه ، فكلّ ما قال لك فليكنْ جوابك له : أخبِرُ أبى ؛ فقد وجّهتك

(١) س : « يعدد » .
(٢) ج : « وما وراءك » .

وما آمن عليك ، وقد كان قال لى أبى حين انصرفنا — وذاك أنا احتبسنا عند الرّشيد : أمَا رأيتَ الغلام المعترض فى الدّار ! لا والله ما صُرِفْنا حتى فرغ منه — يعنى يحيى — إنا لله وإنا إليه راجعون ! وعند الله نحتسب أنفسنا . فخرجت مع الرسول ، فلما صرْتُ فى بعض الطريق وأنا مغموم بما أقدُم عليه ، قلت للرسول : ويحك ! ما أمْرُه ! وما أزعجه بالإرسال إلى أبى فى هذا الوقت ! فقال : إنّه لما جاء من الدار ، فساعة نزل عن الدابة صاح : بطنى بطنى !

قال عبد الله بن عباس : فما حفلتُ بهذا الكلام من قول الغلام ، ولا التفت إليه ، فلما صرنا على باب الدرب — وكان فى درب لا منفذَ له — فتح البابين ؛ فإذا النِّساء قد خرجْنَ منشوراتِ الشعور محتزمات[1] بالحبال ، يلطمن وجوههنّ وينادين بالوَيْل ، وقد مات الرجل ، فقلت : والله ما رأيتُ أمراً أعجبَ من هذا ! وعطفت دابّتى راجعًا أركض ركضًا لم أركض مثله قبله ولا بعده إلى هذه الغاية ، والغلمان والحشَم ينتظرونى لتعلّق قلب الشيخ بى ؛ فلما رأوْنى دخلوا يتعادَوْن ، فاستقبلنى مرعوبًا فى قميص ومنديل ، ينادى : ما وراءك يا بنىّ ؟ قلت : إنه قد مات ، قال : الحمد لله الذى قتله وأراحك وإيّانا منه ؛ فما قطع كلامه حتى ورد خادم الرّشيد يأمر أبى بالركوب وإيّاى معه . فقال أبى ونحن فى الطريق نسير : لو جاز أن يُدّعى ليحيى نبوّة لادّعاها أهلُه ، رحمة الله عليه ، وعند الله نحتسبه ! ولا والله ما نشكّ فى أنه قد قتل . فمضينا حتى دخلنا على الرّشيد ؛ فلما نظر إلينا قال : يا عباس بن الحسن ، أما علمت بالخبر ؟ فقال أبى : بلَى يا أمير المؤمنين ، فالحمد لله الذى صرعه بلسانه ، ووقّاك الله يا أمير المؤمنين قَطْع أرحامك . فقال الرشيد : الرجل والله سليم على ما يحبّ ، ورفع الستر ، فدخل يحيى ، وأنا والله أتبينُ الارتياع فى الشّيخ ، فلما نظر إليه الرشيد صاح به : يا أبا محمد ، أما علمت أن الله قد قتل عدّوك الجبار ! قال : الحمدُ لله الذى أبان لأمير المؤمنين كذب عدوّه علىّ ، وأعفاه من قطع رحمه ، والله يا أميرَ المؤمنين ؛ لو كان هذا الأمر مما أطلبه وأصلحُ له وأريده فكيف ولَسْتُ بطالب له ولا مُريده ، ولو لم يكن الظفر به إلاّ بالاستعانة به ،

٣/٦٢٤

(١) س : « متحزمات » .

ثم لم يبق[1] فى الدنيا غيرى وغيرك وغيرهما تقوّيت به عليك أبداً ! وهذا والله من إحدى آفاتك — وأشار إلى الفضل بن الربيع — والله لو وهبتَ له عشرة آلاف درهم ، ثم طمع منّى فى زيادة تمرة لباعَك بها . فقال : أمّا العباسىّ فلا تقل له إلا خيراً ، وأمر له فى هذا اليوم بمائة ألف دينار ، وكان حبسه بعض يوم . قال أبو يونس : كان هارون حبَسه ثلاث حبسات مع هذه الحبسة ، وأوصل إليه أربعمائة ألف دينار

* * *

[ذكر الفتنة بين اليمانية والنزارية]

وفى هذه السنة ، هاجت العصبيّة بالشأم بين النزاريّة واليمانية ، ورأس النِّزارية يومئذ أبو الهيذام .

* ذكر الخبر عن هذه الفتنة : ٣/٦٢٥

ذُكر أن هذه الفتنة هاجت بالشأم وعامل السلطان بها موسى بن عيسى ، فقتِل بين النزاريّة واليمانية على العصبيّة من بعضهم لبعض بشرٌ كثير ، فولّى الرشيدُ موسى بن يحيى بن خالد الشأم ، وضمّ إليه من القوّاد والأجناد ومشايخ الكتّاب جماعة . فلما ورد[2] الشأم أحِلّتْ لدخوله إلى صالح بن علىّ الهاشمىّ ، فأقام موسى بها حتى أصلح بين أهلها ، وسكنت الفتنة ، واستقام أمرُها ، فانتهى الخبر إلى الرّشيد بمدينة السلام ، وردّ الرّشيد الحكم فيهم إلى يحيى ، فعفا عنهم ، وعمّا كان بينهم ، وأقدمهم بغداد ، وفى ذلك يقول إسحاق بن حسان الخُزيمىّ :

مَنْ مُبْلِغٌ يحيى ودون لقائهِ ... زأراتُ كلِّ خنابِسٍ هَمْهامِ
يا راعىَ الإسْلامِ غيرَ مُفَرِّطٍ ... فى لِينِ مُغْتَبَطٍ وَطِيبِ مَشامِ
تَغذَى مَشاربهُ وتُسْقَى شربةً ... وَيَبِيتُ بالرّبَوات والأعلام
حتى تَنخنَخَ ضارباً بجِرانهِ ... ورَسَتْ مَراسيهِ بدار سلام
فلكلّ ثَغر حارِسٌ من قلبهِ ... وَشُعاعُ طَرفٍ ما يُفَتَّرُ سام

(١) ا : «يكن» . (٢) ا : «دخل» .

وقال في موسى غيرُ أبي يعقوب :

قد هاجَت الشأمُ هَيْجًا يُشيب رأسَ وَليدهْ
فَصُبَّ موسى عليها بخيــله وجُنُــودِهْ
فَدانَتِ الشأمُ لمّا أتى نسيجَ وَحيدهْ
هو الجوادُ الذى بُذَّ كلُّ جُودٍ بجودِهْ
أعداهُ جــودُ أبيه يحيى وجودُ جُدودِه
فجادَ مُوسَى بن يحيى بطــارفٍ وتَليدِه
وَنالَ موسى ذرَى المجـ ـدِ وَهوَ حَشْوُ مُهُودِه
خصصْتُــهُ بمَديحى مَنثــورِهِ وقَصيدِهْ
مِنَ البرامك عودٌ له فأكرِمْ بِعُودِه
حووْا على الشعر طُرًّا خفيفِــهِ ومَديدِهْ

٦٢٦/٣

وفيها عزل الرشيد الغطريف بن عطاء عن خُراسان ، وولّاها حمزة بن مالك بن الهيثم الخُزاعىّ ، وكان حمزة يلقب بالعروس .

* * *

وفيها ولّى الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك مصر ، فولّاها عمر بن مِهران .

ذكر الخبر عن سبب
تولية الرشيد جعفراً مصر وتولية جعفر عمر بن مهران إياها

ذكر محمد بن عمر أنّ أحمد بن مهران حدّثه أنّ الرّشيد بلغه أن موسى ابن عيسى عازم على الخلْع — وكان على مصر — فقال : والله لا أعزله إلا بأخسّ مَنْ على بابى. انظروا لى رجلا ، فذكر عمر بن مِهْران — وكان إذ ذاك يكتب للخيزران ، ولم يكتب لغيرها ، وكان رجلا أحوَل مشوّه الوجه ، وكان

٦٢٧/٣

لباسه لباساً خسيساً ، أرفعُ ثيابه طيلسانُه ، وكانت قيمته ثلاثين درهماً ، وكان يشمِّر ثيابه ويقصِّر أكمامه ، ويركب بغلا وعليه رَسَنٌ ولجام حديد ، ويُردف غلامه خلفه — فدعا به ، فولاّه مصر : خراجَها وضياعَها وحَرْبَها. فقال : يا أمير المؤمنين ، أتولاّها على شريطة ، قال : وما هى ؟ قال : يكون إذنى إلىّ ، إذا أصلحتُ البلاد انصرفتُ . فجعل ذلك له ، فمضى إلى مصر ، واتّصلت ولاية عمر بن مهران بموسى بن عيسى ؛ فكان يتوقّع قدومه ، فدخل عمر بن مهران مصرَ على بغل ، وغلامه أبو دُرّة على بغل ثقل، فقصد دار موسى بن عيسى والنّاسُ عنده ، فدخل فجلس فى أخْرَيات الناس ، فلما تفرّق أهلُ المجلس ، قال موسى بن عيسى لعمر : ألك حاجة يا شيخ ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ! ثم قام بالكتب فدفعها إليه ، فقال: يقدم أبو حفص ، أبقاه الله ! قال : فأنا أبو حفص ، قال : أنت عمر بن مهران ؟ قال: نعم، قال: لعن الله فرعون حين يقول: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾[1] ، ثم سلّم له العمل ورحَل ، فتقدّم عمر بن مهران إلى أبى دُرّة غلامه ، فقال له : لا تقبل من الهدايا إلا ما يدخل فى الجِراب ، لا تقبل دابّة ولا جارية ولا غلاماً ؛ فجعل الناس يبعثون بهداياهم ، فجعل يردّ ما كان من الألطاف ، ويقبل المال والثياب ، ويأتى بها عمر ؛ فيوقّع عليها أسماء مَنْ بعث بها ، ثم وضع الجباية ؛ وكان بمصر قومٌ قد اعتادوا المطْل وكَسْر الخراج ، فبدأ برجل منهم ، فلوَاه، فقال : والله لا تؤدى ما عليك من الخراج إلاّ فى بيت المال بمدينة السلام إن سلمت ، قال : فأنا أؤدى ، فتحمّل عليه ، فقال : قد حلفتُ ولا أحنث ، فأشخصه مع رجلين من الجند — وكان العمّال إذ ذاك يكاتبون الخليفة — فكتب معهم إلى الرشيد : إنّى دعوت بفلان بن فلان ، وطالبته بما عليه من الخراج ؛ فلوانى واستنظرنى ، فأنظرته ثم دعوته ، فدافع ومال إلى الإلطاط [2] ، فآليت ألا يؤدِّيَه إلا فى بيت المال بمدينة السلام ، وجملة ما عليه كذا وكذا، وقد أنفذته مع فلان بن فلان وفلان بن فلان، من جند أمير المؤمنين ، من قيادة فلان بن فلان ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب

٦٢٨/٣

(١) سورة الزخرف ٥١ . (٢) الإلطاط : الجحود .

إلىّ بوصوله فعل إن شاء الله تعالى .

قال : فلم يلوه أحدٌ بشىء من الخراج ، فاستأدى الخراج ، النّجم الأول والنجم الثانى ، فلما كان فى النّجم الثالث ، وقعت المطالبة والمطْل ، فأحضر أهل الخراج والتّجار فطالبهم ، فدافعوه وشكوْا الضّيقة ، فأمر بإحضار تلك الهدايا التى بُعث بها إليه ، ونظر فى الأكياس وأحضر الجِهْبذ ، فوزن ما فيها وأجزاها عن أهلها ، ثم دعا بالأسفاط ، فنادى على ما فيها ، فباعها وأجزى أثمانها عن أهلها . ثم قال : يا قوم ، حفظت عليكم هداياكم إلى وقت حاجتكم إليها ، فأدُّوا إلينا ما لنا ؛ فأدّوْا إليه حتى أغلق مال مصر ؛ فانصرف ولا يُعلم أنه أغلق مال مصر غيره ، وانصرف ، فخرج على بغل ، وأبو درّة على بغل — وكان إذنه إليه .

* * *

وغزا الصائفةَ فى هذه السنة عبدُ الرحمن بن عبد الملك ، فافتتح حصناً.

* * *

٣/٦٢٩ وحجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن أبى جعفر المنصور ، وحجت معه — فيما ذكر الواقدىّ — زُبيدة زوجة هارون وأخوها معها .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك عزْل الرشيد – فيما ذكر – جعفرَ بن يحيى عن مصر وتوليته إياها إسحاق بن سليمان ، وعزْله حمزة بن مالك عن خُراسان وتوليته إياها الفضل بن يحيى ؛ إلى ما كان يليه من الأعمال من الرّىّ وسجِستان.

* * *

وغزا الصائفةَ فيها عبدُ الرزاق بن عبد الحميد التّغْلبىّ .

وكان فيها – فيما ذكر الواقدىّ – ريح وظلمة وحُمرة ليلة الأحد لأربع ليال بقين من المحرّم ، ثم كانت ظلمة ليلة الأربعاء، لليلتين بقيتا من المحرّم من هذه السنة ؛ ثم كانت ريح وظلمة شديدة يوم الجمعة لليلة خلت من صفر.

* * *

وحجّ بالناس فيها هارون الرشيد .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك وثوب الحوْفيّة بمصر ؛ من قيس وقضاعة وغيرهم بعامل الرشيد عليهم إسحاقَ بن سليمان ، وقتالهم إياه ، وتوجيه الرّشيد إليه هرثمةَ ابن أعيَن فى عدّة من القواد المضمومين إليه مدداً لإسحاق بن سليمان ؛ حتى أذعن أهل الحوْف ، ودخلوا فى الطاعة ، وأدّوْا ما كان عليهم من وظائف السّلطان — وكان هرثمة إذ ذاك عاملَ الرشيد على فلسطين — فلما انقضى أمر الحوْفيّة صرف هارون إسحاق بن سليمان عن مصر ، وولاّها هرثمة نحواً من شهر ، ثم صرَفه وولاّها عبد الملك بن صالح . ٦٣٠/٣

وفيها كان وثوب أهل إفريقيّة بعبدويه الأنباريّ ومَنْ معه من الجند هنالك ، فقتِل الفضل بن رَوْح بن حاتم ، وأخرج مَن كان بها من آل المهلّب ، فوجه الرشيد إليهم هرثمة بن أعين ، فرجعوا إلى الطاعة .

وقد ذكر أن عبدويه هذا لمّا غلب على إفريقيّة ، وخلع السلطان ، عظم شأنه وكثر تبعُه ، ونزع إليه الناس من النواحى ، وكان وزير الرشيد يومئذ يحيى بن خالد ابن برمك ، فوجّه إليه يحيى بن خالد بن برمك يقطين بن موسى ومنصور بن زيّاد كاتبه ؛ فلم يزل يحيى بن خالد يتابع على عبدويه الكتب بالترغيب فى الطاعة والتخويف للمعصية والإعذار إليه والإطماع والعِدَة حتى قبل الأمان ، وعاد إلى الطاعة وقدم بغداد ، فوفى له يحيى بما ضمِن له وأحسن إليه ، وأخذ له أماناً من الرشيد ، ووصله ورأّسه .

وفى هذه السنة فوّض الرشيد أمورَه كلها إلى يحيى بن خالد بن برمك . ٦٣١/٣

وفيها خرج الوليد بن طريف الشارى بالجزيرة ، وحكّم بها ، ففتك بإبراهيم[1] ابن خازم بن خزيمة بنَصيبين ، ثم مضى منها إلى إرمينيّة .

---

(١) س : « فقتل إبراهيم » .

[ولاية الفضل بن يحيى على خراسان وسيرته بها]

وفيها شخص الفضل بن يحيى إلى خُراسان واليًا عليها ، فأحسنَ السِّيرة بها ، وبنى بها المساجد والرِّباطات ، وغزا ما وراء النهر ، فخرج إليه خاراخره ملك أشروسَنة ؛ وكان ممتنعًا .

وذكر أن الفضل بن يحيى اتّخذ بخراسان جنداً من العجم سماهم العباسيّة ، وجعل ولاءهم لهم ، وأن عدّتهم بلغت خمسمائة ألف رجل ، وأنه قدم منهم بغداد عشرون ألف رجل ، فسمُّوا ببغداد الكرَنبيَّة ، وخلّف الباقى منهم بخُراسان على أسمائهم ودفاترهم ؛ وفى ذلك يقول مروان بن أبى حفصة :

ما الفضلُ إلا شهاب لا أُفولَ له ... عندَ الحروب إذا ما تأفُلُ الشُّهُبُ
حَامٍ على مُلكِ قوم عزّ سَهْمُهُمُ ... منَ الوراثةِ فى أيديهمُ سببُ
أمستْ يَدٌ لبنى ساقى الحجيج بها ... كتائبٌ ما لها فى غيرهم أَرَبُ
كتائبُ لبنى العباسِ قد عَرَفَت ... ماأَلَّفَ الفضلُ منها العجْمُ والعرَب
أثبتَت خمسَ مئين فى عِدادِهم ... من الأُلوفِ التى أحْصَت لك الكتب ٣/٦٣٢
يُقارعون عن القومِ الذين هُمُ ... أولى بأحمَدَ فى الفرقان إن نُسِبوا
إن الجوادَ ابن يحيى الفضلَ لا ورِقٌ ... يبقى على جُود كفَّيْهِ ولا ذهبُ
ما مرّ يوم له مُذ شدّ مِئزَرَهُ ... إلاّ تَمَوَّلَ أقوام بما يَهبُ
كم غايةٍ فى الندى والبأْسِ أحرَزَها ... للطّالبينَ مدَاها دونها تَعَبُ
يعطِى اللُّهَى حِينَ لا يُعطِى الجَوَادُ ولا ... يَنْبو إذا سُلَّتِ الْهِنْدِيَّةُ القُضُب
وَلا الرِّضا والرِّضا لله غايَتُه ... إلى سِوى الحَقِّ يَدْعوهُ وَلا الغَضَبُ
قَدْ فاضَ عُرْفُك حتى ما يُعادِلهُ ... غَيْثٌ مُغِيثٌ وَلا بَحرٌ له حَدَبُ

قال : وكان مرْوان بن أبى حفصة قد أنشد الفضلَ فى معسكره قبل خروجه إلى خراسان :

أَلم تَرَ أَنَّ الجودَ مِنْ لدُن آدَمٍ ... تَحَدَّرَ حَتى صارَ فى راحَةِ الفَضل

٦٢٣/٣ إذا ما أَبوالعَبّاسِ راحت سَماؤُهُ ... فيا لكَ مِنْ هَطْلٍ ويَا لكَ مِنْ وَبْل

إذا أُمُّ طِفلٍ راعَها جوعُ طِفلِها ... دَعَتْهُ بِإسْمِ الفَضلِ فاستَعصَمَ[1] الطفل

ليحْيَا بِكَ الإسلامُ إنَّكَ عِزُّهُ ... وَإنَّكَ مِن قَومٍ صغيرُهُمُ كَهْلُ

وذكر محمد بن العباس أن الفضل بن يحيى أمر له بمائة ألف درهم ، وكساه وحمله على بغلة. قال : وسمعته يقول : أَصَبتُ فى قَدْمتى هذه سبعمائة ألف درهم . وفيه يقول :

تخَيَّرْتُ للمدْحِ ابنَ يحيى بْن خالدٍ ... فحَسْبى وَلم أَظلِمْ بأَنْ أَتخيَّرا

له عادَةٌ أَنْ يَبْسُطَ العَدْلَ والنَّدَى ... لِمَن ساسَ من قحطانَ أَوْمَنْ تَنَزّرا

إلى المِنبَرِ الشرقيِّ سارَ وَلم يزَلْ ... له وَالِدٌ يَعلو سَريرًا وَمِنبَرَا

يُعَدُّ وَيحيى البَرْمكىّ وَلا يُرَى ... لَدَى الدَّهْرِ إلا قائدًا أَو مُؤَمَّرا

ومدحه سلْم الخاسر، فقال :

وَكَيفَ تخافُ مِن بؤُسٍ بدارٍ ... تَكَنَّفَهـــا البَرامكَةُ البُحُورُ

وقَوْمٌ مِنهُمُ الفَضلُ بْنُ يحيى ... نَفيرٌ مَا يُوازِنُهُ نَفيرُ

٦٢٤/٣ لهُ يومانِ : يَوْمُ ندًى وبأْسٍ ... كأَنَّ الدَّهْرَ بَينَهُمـــا أَسيرُ

إذا ما البَرْمَكيُّ غدَا ابنَ عَشرٍ ... فَهِمَّتـــهُ وَزيرٌ أَوْ أَميرُ

وذكر الفضل بن إسحاق الهاشميّ أن إبراهيم بن جبريل خرج مع الفضل ابن يحيى إلى خُراسان وهو كاره للخروج ، فأحفظ ذلك الفضلَ عليه . قال إبراهيم : فدعانى يومًا بعد ما أغفلنى حينًا ، فدخلت عليه ؛ فلما صرت بين يديْه سلّمت ، فما ردّ علىّ ، فقلت فى نفسى : شَرّ والله — وكان مضطجعًا ، فاستوى جالسًا — ثم قال : ليفرخْ روْعك يا إبراهيم ، فإنّ قدرتى عليك تمنعنى منك ؛ قال : ثم عقد لى على سجِسْتان ، فلما حملت خراجها ، وهبه لى

(١) كذا فى ا ، ج ، وفى ط : « فاعتصم » .

وزادنى خمسمائة ألف درهم . قال : وكان إبراهيم على شُرَطه وحَرَسه ، فوجّهه إلى كابُل ، فافتتحها وغنم غنائم كثيرة ٥

قال : وحدّثنى الفضل بن العباس بن جبريل — وكان مع عمه إبراهيم — قال : وصل إلى إبراهيم فى ذلك الوجه سبعة آلاف ألف ، وكان عنده من مال الخراج أربعة آلاف ألف درهم ، فلما قدم بغداد وبنى داره فى البغيّين استزار الفضلَ ليريَه نعمته عليه ، وأعدّ له الهدايا والطُّرَف وآنية الذهب والفضة ، وأمر بوضع الأربعة الآلاف ألف فى ناحية من الدار .

قال : فلما قعد الفضل بن يحيى قدّم إليه الهدايا والطُّرَف ، فأبى أن يقبل منها شيئًا ، وقال له : لم آتك لأسلُبَك[1] ، فقال : إنها نعمتك أيها الأمير . قال : ولك عندنا مزيد ، قال : فلم يأخذ من جميع ذلك إلا سوطًا سِجزيًّا ، وقال : هذا من آلة الفرسان ، فقال له : هذا المال من مال الخراج ، فقال : هولك ، فأعاد عليه ، فقال : أما لك بيت يسعه ! فسوّغه ذلك ، وانصرف . ٦٣٥/٣

قال : ولما قدم الفضل بن يحيى من خُراسان خرج الرّشيد إلى بستان أبى جعفر يستقبله ، وتلقّاه بنو هاشم والناس من القوّاد والكتّاب والأشراف ، فجعل يصلُ الرجل بالألف ألف[2] وبالخمسمائة ألف ، ومدحه مرْوان بن أبى حفصة ، فقال :

حَمِدنا الذى أدّى ابْنَ يَحيى فأصْبَحَتْ ... بِمَقْدِمِهِ تجرى لنا الطَّيْرُ أسْعُدا

وما هَجَعَتْ حتى رَأَتْهُ عُيونُنا ... ومَا زِلنَ حتى آبَ بالدَّمْعِ حُشَّدا

لقَدْ صَبَحَتْنا خَيلُهُ وَرجالُهُ ... بأرْوَعَ بَذَّ الناسَ بأساً وسُودَدَا

نفَى عَن خُراسانَ العَدُوَّ كما نَفَى ... ضُحَى الصبْحِ جِلْبابَ الدجَى فتَعَرَّدَا[3]

لقَدْ راعَ مَن أمسَى بمَرْوَ مسيرُهُ ... إلَينا ، وقالوا شَعْبُنا قد تبَدّدا

عَلى حين ألقَى قُفْلَ كلِّ ظلامَةٍ ... وَأطْلَقَ بالعَفْوِ الأسيرَ المقَيَّدَا

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « إلا لأسليك » ، والوجه ما أثبته .

(٢) ا : « بألف ألف » .

(٣) تعرد ، أى تجرد وانكشف .

وأَفْشَى بِلَا مَنٍّ مع العَدْلِ فيهمُ ... أَيادِىَ عُرْفٍ باقِياتٍ وَعُوَّدا

٦٣٦/٣ فأَذهَبَ رَوْعاتِ المخاوفِ عنهُمُ ... وَأَصْدَرَ باغى الأَمْنِ فيهِمْ وَأَوردا

وَأَجْدَى على الأَيتام فيهمْ بِعُرْفِهِ ... فكانَ مِنَ الآباءِ أَحْنَى وَأَعْوَدا

إذا الناسُ رَامُوا غايَةَ الفَضلِ فى النَّدَى ... وَفى البأْسِ أَلفَوْهامِنَ النَّجْمِ أَبْعَدا

سما صاعِدًا بِالفَضلِ يحيى وخالدٌ ... إلى كلِّ أَمرٍ كانَ أَسْنَى وَأَمْجَدا

يَلينِ لِمَنْ أَعطى الخَليفَةَ طاعَةً ... ويُسْقِى دمَ العاصِى الحسامَ المهنّدَا

أَذلَّتْ معَ الشِّرْكِ النِّفاقَ سُيوفُهُ ... وَكانَتْ لأَهلِ الدّينِ عزًّا مُؤَيَّدا

وَشدَّ القُوَى مِن بَيْعَةِ المُصْطَفى الذى ... على فضلِهِ عَهْدَ الخليفَةِ قُلِّدَا

سمىُّ النَّبىِّ الفاتحِ الخاتِم الذى ... بِهِ اللهُ أَعطى كلَّ خَيْرٍ وَسَدَّدا

أَبَحْتَ جِبالَ الكابُلِىِّ ولم تَدَعْ ... بِهِنَّ لِنِيرانِ الضَّلالَةِ مُوقَدا

فأَطْلَعتَها خَيْلًا وطِئْنَ جُموعَهُ ... قتِيلًا ومَأْسورًا وَفَلًّا مُشرَّدا

٦٣٧/٣ وعادَت على ابْنِ البَرْمِ نَعماكَ بعدَما ... تحَوَّبَ مخذولًا يَرَى المَوتَ مُفردا

وذكر العباس بن جرير، أن حفص بن مسلم — وهو أخو رزام بن مسلم، مولى خالد بن عبد الله القسرىّ — حدّثه أنه قال : دخلت على الفضل بن يحيى مقدّمه خُراسان، وبين يديه بِدَرٌ تُفرّق بخواتيمها، فما فُضَّت بَدْرة منها، فقلت :

كفى اللهُ بِالفضل بن يحيى بن خالدٍ ... وَجُودِ يدَيهِ بَخْلَ كلِّ بخيل

قال : فقال لى مرْوان بن أبى حفصة : وددت أنّى سبقتك إلى هذا البيت، وأن علىّ غرم عشرة آلاف درهم .

* * *

وغزا فيها الصّائفة معاوية بن زُفَر بن عاصم ، وغزا الشّاتية فيها سليمان ابن راشد ، ومعه البيد بِطْريق صقلّيّة .

وحجّ بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ ، وكان على مكة .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك انصرافُ الفضل بن يحيى عن خُراسان واستخلافُه عليها عمرو بن شُرَحبيل .

وفيها ولّى الرشيدُ خراسانَ منصورَ بن يزيد بن منصور الحِميرىّ . ٦٣٨/٣

وفيها شَرِىَ[1] بخُراسان حمزة بن أترك السجستانىّ .

وفيها عزَل الرّشيد محمدَبن خالد بن برْمك عن الحجبة ، وولاّها الفضل بن الربيع .

وفيها رجع الوليد بن طريف الشارى إلى الجزيرة واشتدّت شوكته ، وكثر تبعه ، فوجّه الرّشيد إليه يزيد بن مزيد الشيبانىّ ، فراوغه يزيد ، ثم لقيه وهو مغترّ فوق هيت ، فقتله وجماعة كانوا معه ، وتفرّق الباقون ، فقال الشاعر :

وائلٌ بَعْضُها يقتلُ بَعْضًا لا يفُلُّ الحديدَ إلاَّ الحديدُ

وقالت الفارعة أخت الوليد :

أيا شجَرَ الخابورِ ما لك مُورقاً كأنكَ لم تجزَع على ابن طَريفِ
فَتًى لا يُحِبّ الزَّادَ إلاَّ مِنَ التُّقَى وَلا المالَ إلا مِن قناً وسُيوفِ

واعتمر الرّشيدُ فى هذه السنة فى شهر رمضان، شكراً لله على ما أبلاه فى الوليد بن طريف ، فلمّا قضى عمرتَه انصرف إلى المدينة ، فأقام بها إلى وقت الحجّ ، ثم حجّ بالناس ، فمشى من مكّة إلى منًى ، ثم إلى عرفات ، وشهد المشاهد والمشاعر ماشيًا ، ثم انصرف على طريق البصرة .

وأما الواقدىّ فإنه قال: لما فرغ من عُمرته أقام بمكة حتى أقام للناس حجّهم . ٦٣٩/٣

(١) شرى : صار من الشراة ؛ وهم الخوارج . سموا بذلك لأنهم شروا ، أى غضبوا .

ثم دخلت سنة ثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن العصبية التى هاجت بالشام]

فمما كان فيها من ذلك ، العصبيّة التى هاجت بالشأم بين أهلها .

* ذكر الخبر عما صار إليه أمرها :

ذُكر أن هذه العصبيّة لما حدثت بالشأم بين أهلها ، وتفاقم أمرُها ، اغتمّ بذلك من أمرهم الرّشيد ، فعقد لجعفر بن يحيى على الشأم ، وقال له : إما أن تخرج أنت أو أخرج أنا ، فقال له جعفر : بل أقيك بنفسى ؛ فشخص فى جلّة القوّاد والكُراع والسّلاح ، وجعل على شُرَطه العباس بن محمد بن المسيّب بن زهير ، وعلى حرَسه شبيب بن حُميد بن قحطبة ، فأتاهم فأصلح بينهم ؛ وقتل زواقيلهم[1] ، والمتلصّصة منهم ، ولم يَدَعْ بها رُمحًا ولا فرسًا ، فعادوا إلى الأمن والطمأنينة ؛ وأطفأ تلك النائرة ، فقال منصور النمَرىّ لما شخص جعفر :

لقَدْ أُوقِدَت بِالشأم نيران فِتْنَةٍ ... فهَذا أوانُ الشأمِ تُخْمَدُ نارُها

إذا جاشَ مَوْجُ البحرِمِنْ آل بَرْمكٍ ... عليها ، خَبَتْ شُهْبانها وشَرَارُها

رماها أميرُ المؤمنينَ بجعفرٍ ... وَفيهِ تَلاقَى صَدْعها وانجبارُها

رَماها بميمونِ النَّقيبةِ ماجد ... تَراضَى به قَحْطانُها وَنِزارُها

٣/٦٤٠

تَدَلَّتْ عَليهمْ صَخْرة بَرْمكيَّةٌ ... دَموغٌ لهامِ الناكِثينَ انحدارُها

غَدوْتَ تُزجِّى غابَةً فى رُءوسها ... نُجومُ الثريَّا والمنايا ثمارُها

إذا خَفَقَتْ رَاياتها وتجَرَّسَتْ[2] ... بها الرِّيحُ هال السَّامعينَ انبهارُها

فقولوا لأَهلِ الشأمِ :لا يَسْلُبَنَّكُم ... حجاكُمْ طَويلاتُ المُنَى وَقِصارها

---

(١) الزواقيل : اللصوص .

(٢) ا : « وتحرشت » .

فإنَّ أميرَ المُؤمنينَ بنفسِه أتاكُمْ وإلا[1] نَفْسَهُ فَخِيارُها

هو المَلِكُ المأمولُ لِلْبِرِّ والتُّقَى وَصَوْلاتُه لا يُسْتَطاعُ خِطارُها

وزيرُ أمير المؤمنينَ وَسَيْفُهُ وَصَعْدَتُه والحَرْبُ تَدْمَى شِفارُها

وَمَنْ تُطوَ أَسْرَارُ الخَليفَةِ دونَهُ فَعِنْدَكَ مَأْواها وَأَنْتَ قَرارُها

وَفَيْتَ فلَمْ تَغدِرْ لقَوْمٍ بِذِمّةٍ وَلَمْ تَدْنُ مِنْ حالٍ يَنالكَ عارُها

طَبيبٌ بإحياءِ الأُمورِ إذا التَوَتْ مِنَ الدَّهْرِ أعناقٌ ، فأَنتَ جُبارُها[2]

إذا ما ابنُ يحْيى جعفرٌ قَصدَتْ لَهُ مُلِمّاتُ خَطْبٍ لم تَرُعْهُ كِبارُها ٦٤١/٣

لقدْ نَشَأَت بالشَّأْمِ مِنك غمامةٌ يُؤَمَّلُ جَدواها وَيُخشَى دَمارُها

فطوبَى لأَهل الشأْمِ يا وَيلَ أُمّها أتاها حَياها ؛ أو أَتاها بَوارُها

فإن سالموا كانَتْ غمامَةَ نائلٍ وغَيثٍ ، وإلا فالدِّماءُ قِطارُها

أَبوكَ أَبو الأَملاكِ يَحْيى بنُ خالدٍ أخو الجُود والنُّعْمى الكِبارِ صِغارُها

كأَيِّنْ تَرَى فى البَرمكيِّين مِنْ نَدًى وَمِنْ سابقاتٍ ما يُشَقُّ غبارُها

غَدا بنجومِ السَّعْدِ مَنْ حلَّ رَحلهُ إلَيْك ، وَعزَّتْ عصْبَةٌ أَنْتَ جارُها

عَذيرى مِنَ الأَقدارِ هلْ عَزَماتُها مُخَلِّفَتِى عن جعفرٍ وَاقتسارُها

فعيْنُ الأَسَى مَطروفَةٌ لفراقِهِ ونَفسى[3] إلَيه ما يَنامُ ادِّكارُها

وولّى جعفر بن يحيى صالح بن سليمان البلقاء وما يليها ، واستخلف على الشأم عيسى بن العكىّ وانصرف ، فازداد الرشيد له إكرامًا . فلما قدم على الرّشيد دخل عليه — فيما ذُكر — فقبّل يديه ورجليه[4] ، ثم مَثَل بين يديه ، فقال : الحمدُ لله يا أمير المؤمنين الذى آنس وحشتى ، وأجاب دعوتى ، ورحِم تضرّعى ، وأنسأ فى أجلِى ، حتى أرانى[5] وجه سيّدى ، وأكرمنى ٦٤٢/٣

(١) س : « وإذلا » .
(٢) س : « صيارها » .
(٣) س : « ونفس » .
(٤) س : « ثم رجليه » .
(٥) س : « أرى » .

بقربه ، وامتنّ علىّ بتقبيل يده ، وردّنى إلى خدمته ؛ فوالله إن كنت لأذكر غيبتى عنه ومخرجى ، والمقادير التى أزعجتنى ؛ فأعلم أنها كانت بمعاصٍ لحقتْنى وخطايا[١] أحاطت بى ؛ ولو طال مُقامى عنك يا أمير المؤمنين — جعلنى الله فداك — لخفت أن يذهب عقلى إشفاقًا على قربك، وأسفًا على فراقك، وأن يعجل بى عن إذنك الاشتياقُ إلى رؤيتك ؛ والحمد لله الذى عصمنى فى حال الغيبة ، وأمتعنى بالعافية ، وعرّفنى الإجابة ومسّكنى بالطاعة، وحال بينى وبين استعمال المعصية ؛ فلم أشخص إلاّ عن رأيك ، ولم أقدم إلاّ عن إذنك وأمرك ؛ ولم يخترْمنى أجل[٢] دونك . والله يا أميرَ المؤمنين — ولا أعظم من اليمين بالله — لقد عاينتُ ما لو تُعرَض لى الدنيا كلُّها لاخترت عليها قربك ، ولما رأيتها عوضًا من المقام معك . ثم قال له بعقب هذا الكلام فى هذا المقام : إنّ الله — يا أميرَ المؤمنين — لم يزل يبليك فى خلافتك بقدْر ما يعلم من نيتك ، ويريك فى رعيّتك غاية أمنيّتك ، فيصلح لك جماعتَهم ، ويجمع ألفتهم ، ويلمّ شَعَثهم ؛ حفظًا لك فيهم، ورحمةً لهم ؛ وإنما هذا للتمسُّك بطاعتك ، والاعتصام بحبل مرضاتك ؛ والله المحمود على ذلك وهو مستحقُّه . وفارقتُ يا أمير المؤمنين أهل كور الشأم وهم منقادون لأمرك، نادمون على ما فرط من معصيتهم لك ، متمسّكون[٣] بحبلك ، نازلون على حُكمك، طالبون لعفوك ، واثقون بحلْمك ، مؤمّلون فضْلك ، آمنون بادرتَك، حالُهم فى ائتلافهم كحالهم كانت فى اختلافهم ، وحالُهم فى ألفتهم كحالهم كانت فى امتناعهم ، وعفو أمير المؤمنين عنهم وتغمُّده لهم سابق لمعذرتهم ، وصلة أمير المؤمنين لهم ، وعطفه عليهم متقدّم[٤] عنده لمسألتهم . ٦٤٣/٣

وايم الله يا أميرَ المؤمنين لئن كنتُ قد شخصتُ عنهم ، وقد أخمد الله شرارهم وأطفأ نارهم ، ونفى مُرّاقهم ؛ وأصلح دهماءهم ، وأولانى الجميلَ فيهم ، ورزقنى الانتصار منهم ؛ فما ذلك كله إلا ببركتك ويُمْنك، وريحك ودوام دولتك السعيدة الميمونة الدائمة ، وتخوّفهم منك ، ورجائهم لك . والله يا أمير

---

(١) س : « أو خطايا » .
(٢) س : « أجلى » .
(٣) س : «مستمسكون » .
(٤) بعدها فى س : « عليهم » .

المؤمنين ما تقدّمتُ إليهم إلاّ بوصيتك ، وما عاملتهم إلا بأمرك ، ولا سرت فيهم إلا على حدّ ما مثّلته لى ورسمته ، ووقفتنى عليه ؛ ووالله ما انقادوا إلاّ لدعوتك ، وتوحّد الله بالصّنع لك ، وتخوّفهم من سطوتك . وما كان الذى كان منى — وإن كنت بذلت جهدى ، وبلغت مجهودى — قاضياً ببعض حقك على ؛ بل ما ازدادت نعمتُك علىّ عظماً ؛ إلاازددتُ عن شكرك عجزاً وضعفاً ، وما خلق الله أحداً من رعيّتك أبعد من أن يُطمع نفسه فى قضاء حقك منى ، وما ذلك إلاّ أن أكون باذلاً مهجتى فى طاعتك ، وكلّ ما يقرّب إلى موافقتك ؛ ولكنى أعرف من أياديك عندى ما لا أعرف مثلها[1] عند غيرى ؛ فكيف بشكرى[2] وقد أصبحتُ واحدَ أهل دهرى فيما صنعته فىّ وبى ! أم كيف بشكرى[2] وإنما أقوى على شكرى بإكرامك أياى ! وكيف بشكرى[2] ولو جعل الله شكرى فى إحصاء ما أوليتنى لم يأت على ذلك عدّى[3] وكيف بشكرى[2] وأنت كهفى دون كلّ كهف لى ! وكيف بشكرى[2] وأنت لا ترضَى لى ما أرضاه لى ! وكيف بشكرى وأنت تجدّد من نعمتك عندى ما[4] يستغرق[5] كلّ ما سلف عندك لى ! أم كيف بشكرى وأنت تُنسينى[6] ما تقدّم من إحسانك إلىّ بما تجدده لى ! أم كيف بشكرى[2] وأنت تقدمنى بطوْلك[7] على جميع أكفائى ! أم كيف بشكرى[8] وأنت وليّى ! أم كيف بشكرى وأنت المكرِم لى ! وأنا أسأل الله الذى رزقنى ذلك منك من غير استحقاق له ؛ إذا كان الشكْر مقصراً عن بلوغ تأدية بعضه ، بل دون شقص[9] من عُشر عشيره[10] ، أن يتولى مكافأتك عنّى بما هو أوسعُ له ، وأقدرُ عليه ، وأن يقضىَ عنى حقّك ، وجليل منّتك ؛ فإن ذلك بيده ، وهو القادر عليه !

٣ / ٦٤٤

* * *

وفى هذه السنة أخذ الرّشيد الخاتم من جعفر بن يحيى ، فدفعه إلى أبيه يحيى بن خالد .

---

(١) س : « ما لا أعرفها » .
(٢) ا : « تشكرنى » .
(٣) ا ، س : « عددى » .
(٤) ج : « بما » .
(٥) س : « استغرق » .
(٦) ج : « نسيتنى » .
(٧) س : « بتطويلك » .
(٨) س : « بشكرك » .
(٩) الشقص : النصيب .
(١٠) س : « عشرة » ؟

وفيها ولّى جعفرَ بن يحيى خُراسان وسِجستان ، واستعمل جعفرٌ عليهما محمد بن الحسن بن قحطبة .

وفيها شخص الرّشيد من مدينة السلام مريداً الرّقة على طريق الموصل ، فلما نزل البَرَدان، ولّى عيسى بن جعفر خُراسان، وعزل عنها جعفر بن يحيى ؛ فكانت ولاية جعفر بن يحيى إياها عشرين ليلة .

وفيها وُلّيَ جعفر بن يحيى الحرَس .

٣/٦٤٥ وفيها هدَم الرّشيد سُور المَوْصل بسبب الخوارج الذين خرجوا منها ، ثم مضى إلى الرّقة فنزلها واتّخذها وطنًا .

وفيها عُزِل هَرْثمة بن أعيَن عن إفريقيّة، وأقفله إلى مدينة السلام ، فاستخلفه جعفر بن يحيى على الحرَس .

وفيها كانت بأرض مصر زلزلة شديدة، فسقط رأسُ منارة الإسكندرية .

وفيها حكم خُراشة الشيبانيّ وشَرِىَ بالجزيرة ، فقتله مسلم بن بكار بن مسلم العُقيليّ .

وفيها خرجت المحمّرة بجُرجان، فكتب عليّ بن عيسى بن ماهان أنّ الذى هيّج ذلك عليه عمرو بن محمد العمركيّ ، وأنه زنديق، فأمر الرشيد بقتله ، فقتِل بمَرْو .

وفيها عزَل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرُّويان، وولّى ذلك عبد الله ابن خازم . وعزلَ الفضل أيضًا عن الرّيّ ، ووليَها محمد بن يحيى بن الحارث بن شخّير ، وولّى سعيد بن سلْم[1] الجزيرة .

وغزا الصائفة فيها معاوية بن زفر بن عاصم .

وفيها صار الرشيد إلى البَصْرة مُنصرَفه من مكة ، فقدمها فى المحرّم منها ، فنزل المحدّثة أياماً، ثم تحوّل منها إلى قصر عيسى بن جعفر بالخُرَيبة ، ثم ركب فى نهر سَيْحان الذى احتفره يحيى بن خالد ؛ حتى نظر إليه ، وسَكر[2] نهر الأبُلّة ونهر معقِل ، حتى استحكم أمر سَيْحان ، ثم شخص عن البصرة

---

(١) ا : « مسلم » .
(٢) سكر النهر : سدفاه .

لاثنتى عشرة ليلة بقيتْ من المحرم، فقدم مدينةَ السلام، ثم شخص إلى الحيرة، ٣/٦٤٦
فسكنها وابتنى بها المنازلَ ، وأقطع مَنْ معه الخِطط ، وأقام نحواً من أربعين
يوماً ، فوثب به أهلُ الكوفة ، وأساءوا مجاورته ؛ فارتحل إلى مدينة السلام،
ثم شخص من مدينة السلام إلى الرَّقّة ، واستخلف بمدينة السلام حين شخص
إلى الرّقة محمداً الأمين ، وولاّه العراقين .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فكان فيها غزو الرشيد أرضَ الروم ، فافتتح بها عنوةً حصن الصَّفْصاف ، فقال مَرْوان بن أبى حفصة :

إنَّ أميرَ المؤمنينَ المصطفَى قد ترك الصَّفصافَ قاعًا صَفصفا

وفيها غزا عبد الملك بن صالح الرّوم ، فبلغ أنقرة وافتتح مَطْمورة .

وفيها تُوفِّىَ الحسن بن قحطبة وحمزة بن مالك .

وفيها غلبت المحمّرة على جُرجان .

وفيها أحدث الرشيد عند نزوله الرَّقة فى صدور كتبه الصّلاةَ على محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون[1] الرشيد ، فأقام للناس الحجّ ، ثم صدر معجّلاً . وتخلّف عنه يحيى بن خالد ، ثم لحقه بالغَمْرة فاستعفاه من الولاية فأعفاه ، فردّ إليه الخاتم ، وسأله الإذن فى المُقام فأذن له ، فانصرف إلى مكة .

(١) س : « محمد بن هارون » .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة

٦٤٧/٣

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فكان فيها انصراف الرشيد من مكة ومسيرُه إلى الرّقة ، وبيعتُه بها لابنه عبدالله المأمون بعد ابنه محمد الأمين ، وأخذُ البيعة له على الجند بذلك بالرّقة ، وضمّه إياه إلى جعفر بن يحيى ، ثم توجيهُه إياه إلى مدينة السلام ، ومعه من أهل بيته جعفر بن أبي جعفر المنصور وعبد الملك بن صالح ، ومن القوّاد عليّ بن عيسى ، فبُويع لَهُ بمدينة السلام حين قدمها ، وولاّه أبوه خُراسان وما يتصل بها إلى هَمَذان ، وسمّاه المأمون .

وفيها حُملت ابنة خاقان ملك الخزر إلى الفَضْل بن يحيى ، فماتت ببَرْذعة ، وعلى إرمينيَة يومئذ سعيد بن سلْم بن قُتيبة الباهليّ ، فرجع مَنْ كان فيها من الطراخنة إلى أبيها ، فأخبروه أن ابنته قُتلت[1] غِيلة ، فحنق لذلك ، وأخذ في الأهْبة لحرب المسلمين .

وانصرف فيها يحيى بن خالد إلى مدينة السّلام .

وغزا فيها الصائفةَ عبدُ الرحمن بن عبد الملك بن صالح ، فبلغ دفسوس مدينة أصحاب الكهف .

وفيها سَملت الرّوم عينيْ ملكِهم قسطنطين بن أليون ، وأقرّوا أمه رِيني ، وتلقّب أُغَسْطة .

* * *

وحجّ بالنّاس فيها موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ .

---

(١) س : « ماتت » .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة

٦٤٨/٣

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك خروج الخزر بسبب ابنة خاقان من باب الأبواب وإيقاعهم بالمسلمين هنالك وأهل الذّمة ، وسبيهم – فيما ذكر – أكثر من مائة ألف . فانتهكوا أمرًا عظيماً لم يُسمع فى الإسلام بمثله ، فولّى الرشيد إرمينيّة يزيد بن مزيد مع أذْرَبيجان ، وقوّاه بالجند ؛ ووجّهه ، وأنزل خزيمة بن خازم نصيبين ردءاً لا أهل إرمينيّة .

وقد قيل فى سبب دخول الخزر إرمينيّة غيرُ هذا القول ؛ وذلك ما ذكره محمد بن عبد الله ، أنّ أباه حدّثه أنّ سبب دخول الخزر إرمينيّة فى زمان هارون كان أن سعيد بن سلْم ضرب عنُق المنجم السُّلمىّ بفأس ، فدخل ابنه بلاد الخزَر ، واستجاشهم على سعيد ، فدخلوا إرمينيّة من الثّلْمة ، فانهزم سعيد ، ونكحوا المسلمات ، وأقاموا فيها – أظنّ – سبعين يومًا ، فوجّه هارون خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد إلى إرمينيّة حتى أصلحا ما أفسد سعيد ، وأخرجا الخزر ، وسُدّت الثُّلْمة .

وفيها كتب الرّشيد إلى علىّ بن عيسى بن ماهان وهو بخُراسان بالمصير إليه ؛ وكان سبب كتابه إليه بذلك ؛ أنه كان حُمل عليه ، وقيل له : إنه قد أجمع[1] على الخلاف ، فاستخلف علىّ بن عيسى ابنَه يحيى على خُراسان ، فأقرّه الرّشيد ، فوافاه علىّ ، وحمل إليه مالاً عظيمًا ، فردّه الرّشيد إلى خُراسان من قِبَل ابنه المأمون لحرب أبى الخصيب ، فرجع .

٦٤٩/٣

وفيها خرج بنَسَا من خُراسان أبو الخصيب وُهيب بن عبد الله النسائىّ مولى الحريش .

---

(١) ج : « أزمع » .

وفيها مات موسى بن جعفر بن محمد ببغداد ومحمد بن السماك القاضى .

* * *

وفيها حجّ بالناس العبّاس بن موسى الهادى بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن علىّ .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

ففيها قدم هارون مدينةَ السلام فى جُمادى الآخرة منصرفًا إليها من الرَّقة فى الفُرات فى السفن ، فلما صار إليها أخذ الناس بالبقايا .

ووليَ استخراجَ ذلك — فيما ذكر — عبدُالله بن الهيثم بن سام بالحبس والضرب ، ووليَ حماد البربريّ مكة واليمن ، ووليَ داود بن يزيد بن حاتم المهلَّبيّ السند ، ويحيى الحرشيّ الجبل ، ومهرويه الرازيّ طبرستان ، وقام بأمر إفريقيّة إبراهيم الأغلب ، فولّاها إياه الرّشيد .

وفيها خرج أبو عمرو الشارى فوجّه إليه زهير القصاب فقتله بشَهْرَزُور .

وفيها طلب أبو الخصيب الأمان، فأعطاه ذلك علىّ بن عيسى ، فوافاه بمَرْوَ فأكرمه .

* * *

٣/٦٥٠ وحجّ بالناس فيها إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علىّ .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من قتل أهل طبرستان مَهْرُوَيه الرازىّ وهو واليها ، فولّى الرشيد مكانه عبدَالله بن سعيد الحَرَشىّ .

وفيها قتل عبدالرحمن الأبناوىّ[1] أبانَ بن قحطبة الخارجىّ بمرْج القلعة.

وفيها عاث حمزة الشارى بباذَغيس من خُراسان ، فوثب عيسى بن علىّ ابن عيسى على عشرة آلاف من أصحاب حَمْزة فقتلهم ، وبلغ كابُل وزابُلستان والقُندُهار ، فقال أبو العذافر[2] فى ذلك :

كادَ عيسى يكونُ ذا القَرْنَيْنِ بَلَغَ المشرِقَيْنِ والمغربيْنِ
لمْ يَدَعْ كابُلاً ولَا زابُلِسْتا نَ فما حَوْلها إلى الرُّخَّجَيْنِ

وفيها خرج أبو الخصيب ثانية بنَسا ، وغلب عليها وعلى أبيوَرْد وطُوس ونَيْسابور ، وزحف إلى مَرْو ، فأحاط بها ، فهزِم ، ومضى نحو سرخَس ؛ وقوِىَ أمرُه .

وفيها مات يزيد بن مزيد ببَرْذعة ، فوُلِّىَ مكانه أسد بن يزيد .

وفيها مات يقطين بن موسى ببغداد .

وفيها مات عبد الصمد بن علىّ ببغداد فى جمادى الآخرة ، ولم يكن ثُغِر[3] قطّ ؛ فأدخل القبر بأسنان الصبىّ ، وما نقص له سنّ .

وشخص فيها الرّشيد إلى الرّقة على طريق الموصل . ٣/٦٥١

واستأذنه فيها يحيى بن خالد فى العُمْرة والجوار ، فأذن له ، فخرج فى

(١) ط : « الأنبارى » ، وهو « عبد الرحمن بن جبلة الأبناوى » .
(٢) ط : « الغدافر » ، وانظر الفهرس .
(٣) ثغر : سقطت رواضعه ، والرواضع : أسنان الصبى .

شعبان ، واعتمر عمرة شهر رمضان ، ثم رابط بجُدّة إلى وقت الحجّ ، ثم حجّ .
ووقعت فى المسجد الحرام صاعقة فقتلت رجلين .

* * *

وحجّ بالناس فيها منصور بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علىّ .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

ففيها كان خروجُ عليّ بن عيسى بن ماهان من مَرْو لحرب أبي الخصيب إلى نَسا ، فقتله بها ، وسبى نساءه وذراريه ، واستقامت خُراسان .

وفيها حبس الرّشيد ثُمامة بن أشرس لوقوفه على كذبه في أمر أحمد بن عيسى بن زيد .

وفيها مات جعفر بن أبي جعفر المنصور عند هَرْثمة . وتُوُفّي العباس بن محمد ببغداد .

* * *

[ذكر حجّ الرشيد ثمّ كتابته العهد لأبنائه]

وحجّ بالناس فيها هارون الرشيد ؛ وكان شخوصه من الرّقة للحجّ في شهر رمضان من هذه السنة ، فمرّ بالأنبار ، ولم يدخل مدينة السلام ؛ ولكنه نزل منزلاً على شاطئ الفرات يدعى الدّارات ، بينه وبين مدينة السلام سبعة فراسخ ، وخلّف بالرّقة إبراهيم بن عثمان بن نَهيك، وأخرج معه ابنيه : محمداً الأمين وعبد الله المأمون ؛ وليّيْ عهده ؛ فبدأ بالمدينة ، فأعطى أهلها ثلاثة أعطية ؛ كانوا يقدمون إليه فيعطيهم عطاء ، ثم إلى محمد فيعطيهم عطاءً ثانياً ، ثم إلى المأمون فيعطيهم عطاء ثالثاً ، ثم صار إلى مكة فأعطى أهلها ، فبلغ ذلك ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار . ٦٥٢/٣

وكان الرّشيد عقد لابنه محمد ولاية العهد — فيما ذكر محمد بن يزيد عن إبراهيم بن محمد الحجَبيّ — يوم الخميس في شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وسماه الأمين ، وضمّ إليه الشأم والعراق في سنة خمس وسبعين ومائة ، ثم بايع لعبد الله المأمون بالرّقة في سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وولاّه من حدّ همَذان إلى آخر المشرق ، فقال في ذلك سَلْم بن عمرو الخاسر :

بايَعَ هارونُ إمامُ الهُدَى لِذِى الحِجى والخُلُقِ الفاضِلِ
المخلِف المُتلفِ أموالَهُ والضامِنِ الأَثقالَ للحامِلِ
والعالِم النافذِ فى علمِهِ والحاكِمِ الفاضِلِ والعادِلِ
والرّاتِقِ الفاتِقِ حلفَ الهدى[1] والقائِلِ الصادِقِ والفاعِلِ
لِخَير عباس إذا حُصِّلوا والمفْضِل المجدى على العائلِ[2]
أبَرُّهمْ برًّا وأولاهُمُ بالعُرفِ عند الحدثِ النازل
لِمُشبهِ المنصورِ فى ملكه إذا تدَجَّتْ ظُلمَةُ الباطل
فَتَمَّ بالمأمونِ نورُ الهدى وانكشَفَ الجَهلُ عن الجاهِل

وذكر الحسن بن قريش أن القاسم بن الرشيد، كان فى حِجْر عبد الملك ابن صالح ، فلما بايع الرشيدُ لمحمد والمأمون ، كتب إليه عبد الملك بن صالح :

يأيُّها المِلِكُ الّذِى لو كان نجمًا كان سَعْدا
اعْقِدْ لقاسِمَ بيَعةً واقدَحْ له فى المُلكِ زَنْدا
اللهُ فرْدٌ واحِــدٌ فاجعل ولاةَ العهدِ فرْدَا

٦٥٣/٣ فكان ذلك أول ما حضّ الرشيد على البيعة للقاسم . ثم بايع للقاسم ابنه ، وسماه المؤتمن ، وولّاه الجزيرة والثغور والعواصم ، فقال فى ذلك :

حُبّ الخليفةِ حُبٌّ لا يَدينُ بِهِ مَنْ كان لله عاصٍ يَعْمَلُ الفِتَنا
اللهُ قَلَّدَ هاروناً سِياسَتَنا لَمَّا اصطفاهُ فأَحْيَا الدِّينَ والسنَنا
وَقلَّدَ الأَرضَ هارونٌ لرأفَتِهِ بنَا أميناً ومأمُوماً ومؤتمَنا

قال : ولما قسم الأرض بين أولاده الثلاثة ، قال بعض العامة[3] : قد أحكم أمر الملك، وقال بعضهم : بل ألقى بأسهم بينهم ، وعاقبةُ ما صنع فى ذلك مخوفةٌ على الرّعية ، وقالت الشعراء فى ذلك ، فقال بعضهم :

---

(١) س : « الندى » . (٢) س : « العامل » .
(٣) س : « الناس » .

أَقولُ لغمَّةٍ فى النفسِ منى وَدَمْعُ العَينِ يَطَّردُ اطِّرادَا
خُذِى لِلْهوْلِ[1] عُدّتَهُ بحزْمٍ سنَلْقَى ما سَيَمْنَعُكِ الرُّقَادا
فإِنَّكِ إنْ بَقيتِ رأيتِ أمرًا يُطِيلُ لكِ الكآبةَ والسهادا
رَأَى الملكُ المهذَّبُ شَرَّ رأىٍ بقِسْمَتِهِ الخلافة والبِلادا
رأَى ما لوْ تَعَقَّبَهُ بعِلمٍ[2] لبَيَّضَ من مَفارقِه السَّوادا
أرادَ به ليَقطَعَ عن بَنيه خلافَهُمُ ويَبتذِلوا الودادا
فقد غَرَسَ العداوةَ غيرَ آلٍ وأورثَ شَملَ أُلفَتِهمْ بَدادا
وَألقَحَ بَيْنَهُمْ حرْباً عَواناً وَسلَّس لاجتنابِهمُ القيادا[3]
فوَيلٌ لِلرَّعيّةِ عن قليل لقد أهدى لها الكُرَبَ الشِّدادا
وأَلبَسَها بلاءً غير فانٍ وألزمها التَّضَعْضُعَ والفسادا
سَتجْرى من دمائهِم بحُورٌ زواخِرُ لا يَروْنَ لها نفادَا
فوِزْرُ بلائِهمْ أبدًا عليه أَغيًّا كانَ ذلك أمْ رشادا

٣/٦٥٤

قال : وحجَّ هارون ومحمد وعبد الله معه وقواده ووزراؤه وقضاته فى سنة ست وثمانين ومائة ، وخلّف بالرّقة إبراهيم بن عثمان بن نَهيك العكىّ على الحرَم والخزائن والأموال والعسكر ، وأشخص القاسم ابنه إلى مَنْبِج ، فأنزله إياها بمن ضمّ إليه من القوّاد والجند ، فلما قضى مناسكَه كتب لعبد الله المأمون ابنه كتابين ، أجهد الفقهاء والقضاة آراءهم فيهما ، أحدهما على محمّد بما اشترط عليه من الوَفاء بما فيه من تسليم ما وَلّىَ عبدُ الله من الأعمال ، وصيّر إليه من الضّياع والغَلاّت والجواهر والأموال ، والآخر نسخة البَيْعة التى أخذها على الخاصّة والعامّة والشروط لعبد الله على محمد وعليهم ، وجعل الكتابين فى البيْت الحرام بعد أخذه البيعة على محمد ، وإشهاده عليه بها الله وملائكته

(١) ا ، س : « للقول » .
(٢) س : « رأى برأى » .
(٣) ج : « لاحتشائهم » .

ومَنْ كان فى الكعبة معه من سائر ولده وأهل بيته ومواليه وقُوّاده ووزرائه وكتابه وغيرهم .

وكانت الشهادة بالبَيْعة والكتاب فى البيت الحرام ، وتقدّم إلى الحَجَبَة فى حفظهما ، ومنْع من أراد إخراجهما والذهاب بهما ، فذكر عبدُ الله بن محمد ومحمد بن يزيد التميمىّ وإبراهيم الحجبىّ ، أنّ الرشيد حضر وأحضر وجوه بنى هاشم والقُوّاد والفقهاء ، وأدخلوا البيت الحرام ، وأمر بقراءة الكتاب على عبد الله ومحمد ، وأشهد عليهما جماعة مَنْ حضر ، ثم رأى أن يعلّق الكتاب فى الكعبة ، فلما رُفع ليُعلّق وقع ، فقيل إنّ هذا الأمر سريع انتقاضه قبل تمامه . وكانت نسخة الكتاب :

٣/٦٥٥ بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه محمد بن هارون أمير المؤمنين ، فى صحة من عقله ، وجوازٍ من أمره ، طائعاً غير مكرَه . إن أمير المؤمنين ولاّنى العهدَ من بعده ، وصيّر البيعة لى فى رقاب المسلمين جميعاً ، وولّى عبدَ الله بن هارون العهدَ والخلافةَ وجميع أمور المسلمين بعدى ، برضًا منى وتسليم ، طائعاً غير مكرَه ، وولاّه خُراسان وثغورَها وكُورَها وحربَها وجندَها وخراجَها وطرزها [١] وبَريدها ، وبيُوت أموالها ، وصدقاتها وعُشْرها وعشورها ، وجميع أعمالها ، فى حياته وبعده . وشرطتُ لعبد الله هارون أمير المؤمنين برضًا منى وطيب نفسى ، أنّ لأخى عبدالله بن هارون علىّ الوفاء بما عَقَد له هارون أمير المؤمنين من العهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين جميعاً بعدى ، وتسليمَ ذلك له ؛ وما جعل له من ولاية خُراسان وأعمالها كلّها ، ومما أقطعه أمير المؤمنين من قَطعية ، أو جعل له من عُقدة [٢] أو ضيْعة من ضياعه ، أو ابتاع من الضّياع والعُقَد ، وما أعطاه فى حياته وصحته من مال أو حلْى أو جوهر ، أو متاع أو كسوة ، أو منزل أو دوابّ ، أو قليل أو كثير ؛ فهو لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، موفَّرًا مسلَّماً إليه . وقد عرفت ذلك كله شيئًا شيئًا .

---

(١) الطراز : ما ينسج من الثياب للسلطان ، ويطلق على الموضع الذى تنسج فيه الثياب الجياد ؛ وكان للطراز دور كدور ضرب النقود . وانظر اللسان .

(٢) العقدة : الضيعة والعقار الذى اعتقده صاحبه ملكاً . واعتقد الضيعة والمال : اقتناهما .

٣/٦٥٦ فإن حدث بأمير المؤمنين حدَثُ الموت ، وأفضت الخلافة إلى محمد ابن أمير المؤمنين ، فعلَى محمدإنفاذ ما أمره به هارون أمير المؤمنين فى تولية عبد الله ابن هارون أمير المؤمنين خُراسان وثغورها ومَنْ ضمّ إليه من أهل بيت أمير المؤمنين بقَرمَاسين ؛ وإن يمضِى عبد الله ابن أمير المؤمنين إلى خُراسان والرّىّ والكُور التى سماها أمير المؤمنين حيث كان عبد الله ابن أمير المؤمنين من مُعسكر أمير المؤمنين وغيره من سلطان أمير المؤمنين وجميع مَنْ ضم إليه أمير المؤمنين حيث أحبّ ، من لدُن الرّىّ إلى أقصى عمل خُراسان. فليس لمحمد ابن أمير المؤمنين أن يحوّل عنه قائداً ولا مقوداً ولا رجلاً واحداً ممن ضُمَّ إليه من أصحابه الذين ضمّهم إلى أمير المؤمنين ، ولا يحوّل عبدَ الله ابن أمير المؤمنين عن ولايته التى ولاّه إياها هارون أمير المؤمنين من ثُغور خُراسان وأعمالها كلّها ، ما بين عمل الرّىّ مما يلى هَمذان إلى أقصى خراسان وثغورها وبلادها ؛ وما هو منسوب إليها ، ولا يشخِصه[1] إليه ، ولا يفرق أحداً من أصحابه وقوّاده عنه ، ولا يولى عليه أحداً ، ولا يبعث عليه ولا على أحد من عُمّاله وولاة أموره بُنداراً ، ولا محاسباً ولا عاملاً ، ولا يدخل عليه فى صغيرٍ من أمره ولا كبير ضرراً ، ولا يحول بينه وبين العمل فى ذلك كله برأيه وتدبيره ، ولا يَعرض لأحد ممن ضمّ إليه ٣/٦٥٧ أمير المؤمنين من أهل بيته وصحابته وقُضاته وعمّاله وكتابه وقُوّاده وخدَمه ومواليه وجنده ؛ بما يلتمس إدخال الضرر والمكروه عليهم فى أنفسهم ولا قراباتهم ولا مواليهم ، ولا أحد بسبيل[2] منهم ، ولا فى دمائهم ولا فى أموالهم ولا فى ضياعهم ودورهم ورباعهم وأمتعتهم ورقيقهم ودوابّهم شيئاً من ذلك صغيراً ولا كبيراً ، ولا أحد من الناس بأمره ورأيه وهواه ، وبترخيصٍ له فى ذلك وإدهانٍ منه فيه لأحد من ولد آدم ، ولا يحكم فى أمرهم ولا أحد من قضاته ومن عماله وممّن كان بسبب منه بغير حكم عبد الله ابن أمير المؤمنين ورأيِه ورأى قضاته .

وإن نزع إليه أحد ممن ضمّ أمير المؤمنين إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين من أهلِ بيت أمير المؤمنين وصَحابته وقوّاده وعماله وكتّابه وخدمه ومواليه وجنده ، ورفض اسمه ومكتبَه ومكانه مع عبد الله ابن أمير المؤمنين عاصياً له أو مخالفاً

---

(١) ط : « شخصه » ، والصواب ما أثبته من ا .

(٢) كذا فى ا .

عليه ؛ فعلى محمد بن أمير المؤمنين ردّه إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين بصغَرٍ له وقَماء[1] حتى ينفذ فيه رأيَه وأمرَه .

فإن أراد محمد بن أمير المؤمنين خلعَ عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده، أو عزلَ عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية خُراسان وثُغورها وأعمالها، والذى من حدّ عملها مما يلى هَمَذان والكور التى سماها أمير المؤمنين فى كتابه هذا أو صرْف أحد من قواده الذين ضمَّهم أمير المؤمنين إليه ممن قدِم قَرْماسين ، أو أن ينتقصه قليلا أوكثيراً مما جعله أمير المؤمنين له بوجهٍ من الوجوه ، أو بحيلة من الحيل ؛ صغرت أو كبرت ؛ فلعبد الله بن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين، وهو المقدّم على محمد ابن أمير المؤمنين ، وهو ولىّ الأمر بعد أمير المؤمنين والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون من أهل خُراسان وأهل العطاء وجميع المسلمين فى جميع الأجناد والأمصار لعبد الله ابن أمير المؤمنين، والقيامُ معه، والمجاهدةُ لِمَنْ خالفه ، والنصر له والذبّ عنه ؛ ما كانت الحياة فى أبدانهم . وليس لأحدٍ منهم جميعًا من كانوا، أو حيث كانوا ، أن يخالفَه ولا يعصيه، ولا يخرج من طاعته، ولا يطيع[2] محمد ابن أمير المؤمنين فى خلع عبد الله بن هارون أمير المؤمنين وصرْف العهد عنه من بعده إلى غيره ، أو ينتقصه شيئًا مما جعله له أمير المؤمنين هارون فى حياته وصحته ، واشترط فى كتابه الذى كتبه عليه فى البيت الحرام فى هذا الكتاب . وعبد الله ابن أمير المؤمنين المصدّق فى قوله ، وأنتم فى حلٍّ من البيعة التى فى أعناقكم لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون إن نَقَصَ شيئًا مما جعله له أمير المؤمنين هارون ، وعلى محمد بن هارون أمير المؤمنين أن ينقادَ لعبد الله ابن أمير المؤمنين هارون ويسلِّم له الخلافة .

وليس لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون ولا لعبد الله ابن أمير المؤمنين أن يخلعا القاسم ابن أمير المؤمنين هارون ، ولا يقدّما عليه أحداً من أولادهما وقراباتهما ولا غيرهم من جميع البريّة؛ فإذا أفضت الخلافة إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين، فالأمر إليه فى إمضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده، أو صرف

(١) الصغر : الرضا بالذل . والقماء : الذلة .
(٢) ا : « يطمع » .

ذلك عنه إلى مَنْ رأى من ولده وإخوته، وتقديم مَنْ أراد أن يقدم قبله ، وتصيير القاسم ابن أمير المؤمنين بعد مَن يقدم قبله ، يحكم فى ذلك بما أحبّ ورأى .

فعليكم معشرَ المسلمين إنفاذ ما كتب به أمير المؤمنين فى كتابه هذا ، وشرط عليهم وأمر به ، وعليكم السّمع والطاعة لأمير المؤمنين فيما ألزمكم وأوجب عليكم لعبد الله ابن أمير المؤمنين ، وعهد الله وذمّته وذمّة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمم المسلمين والعهود والمواثيق التى أخذ الله على الملائكة المقرّبين والنبيين والمرسلين ، ووكّدها فى أعناق المؤمنين والمسلمين ، لَتَفُنّ لعبد الله أمير المؤمنين بما سمّى ، ولمحمد وعبد الله والقاسم بنى أمير المؤمنين بما سمّى وكتب فى كتابه هذا ، واشترط عليكم وأقررتم به على أنفسكم ؛ فإن أنتم بدّلتم من ذلك شيئًا ، أو غيّرتم ، أو نكثتم ، أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين ، واشترط عليكم فى كتابه هذا ، فبرئت منكم ذمّة الله وذمّة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وذمم المؤمنين والمسلمين ، وكلُّ مالٍ هو اليوم لكلّ رجل منكم أو يستفيده إلى خمسين سنة فهو صدقة على المساكين ، وعلى كل رجل منكم المشى إلى بيت الله الحرام الذى بمكة خمسين حجّة ، نذراً واجبًا لا يقبل الله منه إلا الوفاء بذلك ؛ وكلّ مملوك لأحد منكم — أو يملكه فيما يستقبل إلى خمسين سنة — حرّ ، وكلّ امرأة له فهى طالق ثلاثًا ألبتة طلاق الحرَج ، لا مثنويّة[1] فيها . والله عليكم بذلك كفيل وراعٍ ، وكفى بالله حسيبًا .

٦٦٠/٣

* * *

نسخة الشرط الذى كتب عبد الله
ابن أمير المؤمنين بخط يده فى الكعبة

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه له عبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، فى صحّةٍ من عقله ، وجوازٍ من أمره ، وصدقِ نيّة فيما كتب فى كتابه هذا ، ومعرفةٍ بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين . إن أمير المؤمنين هارون ولآنى العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين فى سلطانه بعد أخى محمد بن هارون ، وولآنى فى حياته ثغورَ خُراسان وكورها وجميع أعمالها ، وشرط على محمد بن هارون الوفاءَ بما عقد لى من الخلافة

---

(١) حلف يميناً لا مثنوية فيها ، أى لا استثناء .

وولاية أمورِ العباد والبلاد بعده ، وولاية خراسان وجميع أعمالها ، ولا يعرض لى فى شىء مما أقطعنى أمير المؤمنين ، أو ابتاع لى من الضياع والعُقَد والرّباع أو ابتعت منه من ذلك ، وما أعطانى أمير المؤمنين من الأموال والجوهر والكِساء والمتاع والدوابّ والرّقيق وغير ذلك ، ولا يعرض لى ولا لأحد من عمّالى وكتّابى بسبب محاسبة ، ولا يتّبع لى فى ذلك ولا لأحد منهم أبداً، ولا يُدخل علىّ ولا عليهم ولا على مَنْ كان معى ومن استعنتُ به من جميع الناس مكروهاً؛ فى نفس ولا دمٍ ولا شعرولا بشرولا مال، ولا صغير من الأمور ولا كبير. ٣/٦٦١
فأجابه إلى ذلك ، وأقرّ به وكتب له كتاباً ، أكّد فيه على نفسه ورضِيَ به أميرُ المؤمنين هارون وقبِله ، وعرف صدق نيّته فيه . فشرطتُ لأمير المؤمنين وجعلت له على نفسى أن أسمع لمحمد وأطيع ولا أعصيه ، وأنصحه ولا أغشّه ، وأوفى بيعته وولايته ، ولا أغدر ، ولا أنكُث ،وأنفِذُ كتبَه وأموره، وأحسن موازرته وجهاد عدوّه فى ناحيتى ، ما وفَى لى بما شرط لأمير المؤمنين فى أمرِى ، وسمّى فى الكتاب الذى كتبه لأمير المؤمنين ، ورضى به أميرُ المؤمنين ، ولم يتّبعنى بشىء من ذلك ، ولم ينقض أمراً من الأمور التى شرطها أمير المؤمنين لى عليه .

فإن احتاج محمد بن أمير المؤمنين إلى جند ، وكتب إلىّ يأمرنى بإشخاصه إليه ، أو إلى ناحية من النواحى ، أو إلى عدوٍّ من أعدائه ؛ خالفه أو أراد نقصَ شىء من سلطانه أو سلطانى الذى أسنَده أمير المؤمنين إلينا وولاّنا إياه؛ فعلىّ أن أنفذ أمره ولا أخالفه ، ولا أقصّر فى شىء كتب به إلىّ . وإن أراد محمد أن يولّىَ رجلا من ولده العهد والخلافة من بعدى ؛ فذلك له ما وفّى لى بما جعله أمير المؤمنين إلىّ واشترطه لى عليه ، وشرط على نفسه فى أمرى ، وعلىّ إنفاذ ذلك والوفاء له به ؛ ولا أنقص من ذلك ولا أغيّره ولا أبدّله، ولا أقدّم قبله أحداً من ولَدِى ، ولا قريباً ولا بعيداً من الناس أجمعين ؛ إلاّ أن يولّىَ أمير المؤمنين هارون أحداً من ولده العهد من بعدى ؛ فيلزمنى ومحمداً الوفاء له . ٣/٦٦٢

وجعلتُ لأمير المؤمنين ومحمد علىّ الوفاء بما شرطت وسمّيت فى كتابى هذا ، ما وَفّى لى محمد بجميع ما اشترط لى أمير المؤمنين عليه فى نفسى ، وما أعطانى أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسمّاة فى هذا

الكتاب الذى كتبه لى ، وعلىّ عهد الله وميثاقه وذمّة أمير المؤمنين وذمّتى وذمم آبائى وذمم المؤمنين وأشدّ ما أخذ الله على النبيين والمرسلين من خلقه أجمعين، من عهوده ومواثيقه ، والأيمان المؤكّدة التى أمر الله بالوفاء بها، ونهى عن نقضها وتبديلها ؛ فإن أنا نقضتُ شيئًا مما شرطت وسمّيت فى كتابى هذا أو غيّرت أو بدّلت ، أو نكثت أو غدرت ، فبرئتُ من الله عز وجل ومن ولايته ودينه، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقيتُ الله يوم القيامة كافراً مشركًا ؛ وكلّ امرأة هى لى اليوم أو أتزوّجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثًا ألبتة طلاق الحرَج ؛ وكلّ مملوك هو لى اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله ، وعلىّ المشى إلى بيت الله الحرام الذى بمكّة ثلاثين حِجّة، نذراً واجبًا علىّ فى عنقى حافيًا راجلاً ؛ لا يقبل الله منّى إلا الوفاء بذلك، وكلّ مال لى أو أملكه إلى ثلاثين سنة هَدْىٌ بالغ الكعبة ؛ وكلّ ما جعلت لأمير المؤمنين وشرطت فى كتابى هذا لازم لا أضمر غيره ، ولا أنوى غيره .

وشهد سليمان بن أمير المؤمنين وفلان وفلان . وكتب فى ذى الحجة سنة ست وثمانين ومائة .

* * *

نسخة كتاب هارون بن محمد الرشيد إلى العمال ٦٦٣/٣

بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعد فإنّ الله ولىّ أمير المؤمنين وولىّ ما ولاّه ، والحافظ لما استرعاه وأكرمه به من خلافته وسلطانه، والصانع له فيما قدّم وأخّر من أموره ، والمنعم عليه بالنّصر والتأييد فى مشارق الأرض ومغاربها ، والكالئ والحافظ والكافى من جميع خلْقه ؛ وهو المحمود على جميع آلائه ، المسئول تمامَ حُسْنِ(١) ما أمضى من قضائه لأمير المؤمنين، وعادته الجميلة عنده، وإلهامَ ما يرضى به ، ويوجب له عليه أحسن المزيد من فضله . وقد كان من نعمة الله عزّ وجلّ عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوامّ المسلمين ما تولّى الله من محمّد وعبد الله ابنى أمير المؤمنين، من تبليغه بهما أحسنَ ما أمّلت الأمة، ومدّت إليه أعناقها ، وقذف الله لهما فى قلوب العامة من المحبّة والمودّة والسكون إليهما

(١) س : « أحسن » .

والثّقة بهما ، لعماد دينهم ، وقِوام أمورهم؛ وجمع[١] ألفتهم ، وصلاح دَهْمائهم ، ودفع المحذور والمكروه من الشّتات والفرقة عنهم ؛ حتى ألقَوْا إليهما أزمّتهم ، وأعطوْهما بيعتَهم وصفقَات أيمانهم ، بالعهود والمواثيق ووكيد الأيمان المغلّظة عليهم . أراد الله فلم يكن له مردّ ، وأمضاه فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا إزالته ، ولا صَرْفٍ له عن محبّته ومشيئته ، وما سبق فى علمه منه . وأميرُ المؤمنين يرجو تمامَ النّعمة عليه وعليهما فى ذلك وعلى الأمّة كافة ؛ لا عاقبَ لأمر الله ولا رادّ لقضائه ، ولا معقّبَ لحكمه .

٣/٦٦٤

ولم يزل أميرُ المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عَقْد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين ولعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد ابن أمير المؤمنين ، يُعمِل فكرَه ورأيه ونظَره ورويّتَه[٢] فيما فيه الصلاح لهما ولجميع الرعيّة والجمع للكلمة ، واللمّ للشعث ، والدّفْع للشتات والفرقة ، والحسْم لكيْد أعداء النِّعَم ؛ من أهل الكفر والنفاق والغلّ والشِّقاق ، والقطع لآمالهم من كلّ فرصة يرجون إدراكَها وانتهازها منهما بانتقاص حقهما . ويستخير الله أمير المؤمنين فى ذلك ، ويسأله العزيمة له على ما فيه الخِيَرة لهما ولجميع الأمة ، والقوّة فى أمر الله وحقه وائتلاف أهوائهما ، وصلاح ذات بينهما ، وتحصينهما من كَيْد أعداء النِّعم ، وردّ حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد بينهما .

فعزم الله لأمير المؤمنين على الشخوص بهما إلى بيت الله ، وأخذ البيعة منهما لأمير المؤمنين بالسمع والطاعة والإنفاذ لأمره ، واكتتاب الشّرْط على كلّ واحد منهما لأمير المؤمنين ولهما بأشدّ المواثيق والعهود ، وأغلظ الأيمان والتّوكيد ، والأخذ لكلّ واحد منهما على صاحبه بما التمس به أمير المؤمنين اجتماعَ ألفتهما[٣] ومودّتهما وتواصلهما وموازرتهما ومكانفتهما على حسن النظر لأنفسهما ولرعيّة أمير المؤمنين التى استرعاهما ، والجماعة لدين الله عزّ وجلّ وكتابه وسنن نبيّه صلى الله عليه وسلم ، والجهاد لعدوّ المسلمين ؛ من كانوا وحيث كانوا ، وقطْع طمع كل عدوّ مظهر للعداوة ، ومسرّ لها ، وكلّ منافق

(١) ج : « جميع » .
(٢) ط : « رؤيته » .
(٣) س : « كلمتهما » .

٦٦٥/٣ ومارق، وأهل الأهواء الضالّة المضلّة من تكيد بكيد تَوقعه[١] بينهما، وبدَحْس[٢] يُدحس به لهما، وما يلتمس أعداء الله وأعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة، والسّعى بالفساد فى الأرض، والدعاء إلى البدَع والضّلالة؛ نظراً من أمير المؤمنين لدينه ورعيته وأمّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومناصحةً لله ولجميع المسلمين، وذبّاً عن سلطان الله الذى قدّره، وتوحّد فيه للذى حمّله إياه، والاجتهاد فى كلّ[٣] ما فيه قُرْبة إلى الله، وما ينال به رضوانه، والوسيلة عنـــده.

فلما قدِم مكّة أظهر لمحمد وعبد الله رأيَه فى ذلك، وما نظر فيه لهما، فقبلا كلّ ما دعاهما إليه من التوكيد على أنفسهما بقبوله، وكتَبا لأمير المؤمنين فى بَطْن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما، بمحْضَر ممّن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقوّاده وصحابته وقضاته وحَجَبة الكعبة وشهاداتهم عليهما كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحَجَبة، وأمر بتعليقهما فى داخل الكعبة.

فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كلّه فى داخل بيت الله الحرام وبطْن الكعبة، أمر قضاته الذين شهدوا عليهما، وحضروا كتابهما، أن يعلموا جميع مَنْ حضر الموسم من الحاجّ والعُمّار ووفود الأمصار ما شهدوا عليه من شرْطهما وكتابهما، وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويعُوه، ويعرفوه ويحفظوه، ويؤدّوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم، ففعلوا ذلك، وقرِئ عليهم الشّرْطان جميعاً فى المسجد الحرام، فانصرفوا. وقد اشتهر ذلك عندهم، وأثبتوا الشهادة عليه[٤]، وعرفوا نظر أمير المؤمنين وعنايته بصلاحهم وحقن دمائهم، ولمّ شعثهم وإطفاء جَمْرة أعداء الله؛ أعداء دينه وكتابه وجماعة المسلمين عنهم، وأظهروا الدعاء لأمير المؤمنين والشّكر لما كان منه فى ذلك. ٦٦٦/٣

وقد نسخ لك أمير المؤمنين ذينك الشرطين اللذين كتبهما لأمير المؤمنين ابناه محمد وعبد الله فى بطْن الكعبة فى أسفل كتابه؛ هذا فاحمَد الله عزّ

---

(١) س: «توقيعه»، ح: «وتوقعه».
(٢) الدحس: الفساد.
(٣) س: «على كل».
(٤) س: «عليهم».

وجلّ على ما صنع لمحمد وعبد الله وليّى عهد المسلمين حمداً كثيراً ، واشكره ببلائه عند أمير المؤمنين وعند وليّى عهد المسلمين وعندك وعند جماعة أمه محمد صلى الله عليه وسلم كثيراً .

واقرأ كتاب أميرِ المؤمنين على مَن قِبلك من المسلمين ، وأفهمهم إيّاه وقُمْ به بينهم ، وأثبته فى الديوان قِبلك وقِبَلَ قوّاد أمير المؤمنين ورعيته قِبلك واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون فى ذلك ، إن شاء الله. وحسبنا الله ونعم الوكيل وبه الحول والقوّة والطول .

وكتب إسماعيل بن صَبِيح يوم السبت لسبع ليال بَقِين من المحرّم سنة ست وثمانين ومائة .

قال : وأمر هارون الرشيد لعبد الله المأمون بمائة ألف دينار ، وحملت له إلى بغداد من الرّقة .

* * *

قال وكان الرّشيد بعد مقتل جعفر بن يحيى بالعُمْر ، صار إلى الرّقة ، ثم قدم بغداد ؛ وقد كانت توالتْ عليه الشكاية من علىّ بن عيسى بن ماهان من خُراسان وكثر عليه القوْل عنده ، فأجمع على عَزْله من خُراسان ، وأحبّ أن يكون قريباً منه. فلما صار إلى بغداد شخص بعد مدّة منها إلى قَرْمَاسِين ، وذلك فى سنة تسع وثمانين ومائة ، وأشخص إليها عدّة رجال من القضاة وغيرهم ، وأشهدهم أنّ جميع ما له فى عسكره من الأموال والخزائن والسّلاح والكُراع وما سواه أجمع لعبد الله المأمون ، وأنه ليس فيه قليل ولا كثير بوجْه ولا سبب ، وجدّد البيعة له علىَ مَنْ كان معه ، ووجّه هرثمة بن أعيَن صاحب حَرَسه إلى بغداد ، فأعاد أخذ البيعة على محمد بن هارون أمير المؤمنين وعلى مَنْ كان بحضرته لعبد الله والقاسم على النّسخة التى كان أخذها عليه الرّشيد بمكة ، وجعل أمر القاسم فى خلعه وإقراره إلى عبد الله إذا أفضت إليه الخلافة ؛ فقال : إبراهيم الموصلىّ فى بيعة هارون لابنيه فى الكعبة : ٣/٦٦٧

خيْرُ الأُمورِ مَغَبةً وأحَقُّ أمرٍ بالتّمامِ
أمرٌ قضى إحكامه الرّ حمانُ فى البيْت الحَرَامِ

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن إيقاع الرشيد بالبرامكة]

فمما كان فيها من ذلك قتل الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد وإيقاعه بالبرامكة .

* ذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف كان قتله وما فعل به وبأهل بيته :

أما سبب غضبه عليه الذى قتله عنده ، فإنه مختلَف فيه ، فمن ذلك ما ذكر عن بختيشوع بن جبريل ، عن أبيه أنه قال : إنى لقاعد فى مجلس الرشيد ، إذ طلع يحيى بن خالد – وكان فيما مضى يدخل بلا إذن – فلما دخل وصار بالقُرْب من الرّشيد وسلّم ردّ عليه ردًّا ضعيفًا ، فعلم يحيى أن أمرهم قد تغيّر .

قال : ثم أقبل علىَّ الرشيد ، فقال : يا جبريل ، يدخل عليك وأنت فى منزلك أحدٌ بلا إذنك ! فقلت : لا ، ولا يطمع فى ذلك . قال : فما بالُنا يُدْخَل علينا بلا إذن ! فقام يحيى ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قدّمنى الله قبلَك ؛ والله ما ابتدأتُ ذلك الساعة ، وما هو إلاّ شىء كان خصّنى[1] به أمير المؤمنين ، ورفَع به ذكرى ؛ حتى أنْ كنتُ لأدخل وهو فى فراشه مجرّداً حينًا ، وحينًا فى بعض إزاره ؛ وما علمتُ أنّ أمير المؤمنين كره[2] ما كان يحبّ[2] ؛ وإذْ قد علمتُ فإنّى أكون عنده فى الطبقة الثانية من أهل الإذن ، أو الثالثة إن أمرنى سيدى بذلك . قال : فاستحيا – قال : وكان من أرقّ الخلفاء وجهًا – وعيناه فى الأرض ، ما يرفع إليه طرفه ، ثم قال : ما أردتُ ما تكره ؛ ولكنّ الناس يقولون . قال : فظننت أنه لم يسنح له جواب يرتضيه فأجاب بهذا القول

٦٦٨/٣

(١) ج : « يخصنى » .   (٢ – ٢) س : « ذلك » .

ثم أمسك عنه ، وخرج يحيى .

وذُكر عن أحمد بن يوسف أنّ ثُمامة بن أشرس ؛ قال : أوّل ما أنكر يحيى بن خالد من أمره، أن محمد بن الليث رفع رسالة إلى الرشيد يعظه فيها، ويذكر أن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئاً ، وقد جعلتَه فيما بينك وبين الله ؛ فكيف أنت إذا وقفت بين يديه ، فسألك عمّا عملت في عباده وبلاده ، فقلت : يا ربّ إني استكفيتُ يحيى أمورَ عبادك ! أتراك تحتجّ بحجّة يرضى بها[1] ! مع كلام فيه توبيخ وتقريع . فدعا الرّشيد يحيى — وقد تقدم إليه خبر الرسالة — فقال: تعرف محمد بن الليث ؟ قال : نعم، قال : فأىّ الرجال هو ؟ قال : متّهم على الإسلام ، فأمر به فوضع في المطبَق دهراً ؛ فلمّا تنكّر الرشيد للبرامكة ذكره فأمر بإخراجه ، فأحضِر ، فقال له بعد مخاطبة طويلة : يا محمد ، أتحبّني ؟ قال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ، قال : تقول هذا ! قال : نعم ، وضعتَ في رجليَّ الأكبال، وحُلتَ بيني وبين العيال بلا ذنب أتيت ، ولا حدث أحدثت ، سوى قول حاسد يكيد الإسلام وأهلَه ، ويحب الإلحادَ وأهله ؛ فكيف أحبُّك ! قال: صدقت ، وأمر بإطلاقه، ثم قال : يا محمد ، أتحبني ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ؛ ولكن قد ذهب ما في قلبي ، فأمر أن يعطَى مائة ألف درهم ، فأحضِرت ، فقال : يا محمد، أتحبني ؟ قال : أما الآن فنعم ؛ قد أنعمت عليّ ، وأحسنت إليّ . قال : انتقم الله ممّن ظلمك ، وأخذ لك بحقّك ممّن بعثني عليك. قال: فقال الناس في البرامكة فأكثروا ، وكان ذلك أوّل ما ظهر من تغيّر حالهم .

٣/٦٦٩

قال : وحدّثني محمد بن الفضْل بن سفيان ، مولى سليمان بن أبي جعفر ، قال : دخل يحيى بن خالد بعد ذلك على الرّشيد ، فقام الغلمان إليه ، فقال الرّشيد لمسرور الخادم : مُر الغلمان ألاّ يقوموا ليحيى إذا دخل الدار. قال : فدخل فلم يقم إليه أحدٌ ، فاربدّ لونه . قال : وكان الغلمان والحجاب بعد إذا رأوْه أعرضوا عنه. قال: فكان ربّما استسقى الشربة من الماء أو غيره ، فلا يسقونه ، وبالحرَى إن سقوْه أن يكون ذلك بعد أن يدعوَ بها مراراً .

(١) س : « يرضاها » .

وذكر أبو محمد اليزيدىّ — وكان فيما قيل من أعلم الناس بأخبار القوم — قال : مَنْ قال إن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبد الله ابن حسن فلا تصدّقه ؛ وذلك أنّ الرشيد دفع يحيى إلى جعفر فحبسه ، ثم دعا به ليلة من الليالى فسأله عن شىء من أمره ، فأجابه ، إلى أن قال : اتّق الله فى أمرى ، ولا تتعرّض أن يكون خصمك غداً محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فوالله ما أحدثتُ حدثًا ، ولا أويت محدثاً . فرقّ عليه ، وقال له : اذهب حيث شئت من بلاد الله . قال : وكيف أذهب ولا آمن أن أوخذَ بعد قليل فأردّ إليك أو إلى غيرك ! فوجّه معه مَنْ أدّاه إلى مأمنه . وبلغ الخبرُ الفضلَ بن الربيع ، من عين كانت له عليه من خاصّ خدمه ، فعلا الأمرَ ، فوجده حقًّا ، وانكشف عنده ؛ فدخل على الرّشيد فأخبره ، فأراه أنه لا يعبأ بخبره . وقال : وما أنت وهذا لا أمّ لك ! فلعلّ ذلك عن أمرى ؛ فانكسر الفضل ؛ وجاءه جعفر فدعا بالغداء فأكلا ، وجعل يلقّمه ويحادثه ، إلى أن كان آخر ما دار بينهما أن قال : ما فعل يحيى بن عبد الله ؟ قال : بحاله[1] يا أميرَ المؤمنين فى الحبْس الضيّق والأكبال . قال : بحياتى! فأحجمَ جعفر — وكان من أدقّ الخلْق ذهنًا ، وأصحّهم فكراً — وهجس فى نفسه أنه قد علم بشىء من أمره ، فقال : لاوحياتك يا سيّدى ولكن أطلقته وعلمْتُ أنه لا حياة به ولا مكروه عنده . قال : نِعمَ ما فعلتَ ؛ ما عدوتَ ما كان فى نفسى . فلما خرج أتبعه بصرَه حتى كاد أن يتوارَى عن وجهه ، ثم قال : قتلنى الله بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك ! فكان من أمره ما كان .

٣/٦٧٠

وحدّث إدريس بن بدر ، قال : عرض رجل للرشيد وهو يناظر يحيى ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، نصيحة ؛ فادعُ بى إليك ، فقال لهرثمة : خذ الرجل إليك ، وسلْه عن نصيحته هذه ، فسأله ، فأبَى أن يخبرَه وقال : هى سرّ من أسرار الخليفة ، فأخبر هرثمة الرشيد بقوله ، قال : فقل له لا يبرح الباب حتى أفرغ له ، قال : فلما كان فى الهاجرة انصرف مَنْ كان عنده ، ودعا به ، فقال : أخْلِنى ، فالتفت هارون إلى بنيه ، فقال : انصرفوا يا فتيان ؛

٣/٦٧١

(١) ابن الأثير : « هو بحاله » .

فوثبوا وبقى خاقان وحُسين على رأسه ؛ فنظر إليهما الرّجُل ، فقال الرّشيد : تَنَحّيا عنّى ، ففعلا ، ثم أقبل على الرّجل ، فقال : هاتِ ما عندك ، فقال: على أن تؤمّنني ! قال : على أن أؤمنك وأحسن إليك . قال : كنت بحلوان فى خانٍ من خاناتها ، فإذا أنا بيحيى بن عبد الله فى دُرّاعة صوف غليظة وكساء صوفٍ أخضر غليظ ، وإذا معه جماعة ينزلون إذا نزل ، ويرحلون إذا رحل ، ويكونون منه بصدد يوهمون مَنْ رآهم أنهم لا يعرفونه وهم من أعوانه ، ومع كلّ واحد منهم منشور يأمن به إن عُرِض له . قال : أوَ تعرف يحيى ابن عبد الله ؟ قال : أعرفه قديمًا ، وذلك الذى حقّق معرفتى به بالأمس ، قال : فصِفه لى ، قال : مربوع أسمر رقيق السمرة ، أجلح[1] ، حسن العينين ، عظيم البطن . قال : صدقتَ ؛ هو ذاك . قال : فما سمعتَه يقول ؟ قال : ما سمعتُه يقول شيئًا ؛ غير أنى رأيته يصلّى ، ورأيت غلامًا من غلمانه أعرفه قديمًا جالسًا على باب الخان ، فلمّا فرغ من صلاته أتاه بثوبٍ غسيل ، فألقاه فى عنقه ونزع جبّة الصوف ، فلما كان بعد الزّوال صلى صلاة ظننتُها العصر ، وأنا أرمقه ؛ أطال فى الأوليَيْن ، وخفف فى الأخريَين ، فقال : لله أبوك ! لجاد ما حفظت عليه ، نعم تلك صلاة العصر ؛ وذاك وقتُها عند القوم ، أحسن الله جزاءك ، وشكر سعيَك ! فمن أنت ؟ قال : أنا رجل من أعقاب أبناء هذه الدّوْلة ، وأصْلى من مَرْو ، ومولدى مدينة السلام ، قال : فمنزلك بها ؟ قال : نعم ؛ فأطرق مليًّا ، ثم قال : كيف احتمالُك لمكروه تُمتحن به فى طاعتى ! قال: أبلغُ من ذلك حيث أحبّ أمير المؤمنين ، قال : كن بمكانك حتى أرجعَ . فطفَر فى حجرة[2] كانت خلف ظهره ، فأخرج كيسًا فيه ألفا دينار ، فقال : خذ هذه ، ودعنى وما أدبّر فيك ، فأخذها ، وضمّ عليها ثيابه ، ثم قال : يا غلام ، فأجابه خاقان وحسين ، فقال : اصفعا ابنَ اللخناء ، فصفَعاه نحواً من مائة صَفْعة ، ثم قال : أخرجاه إلى مَنْ بقىَ فى الدار ، وعمامتُه فى عنقه ، وقولا : هذا جزاء من يسعى بباطنة أمير المؤمنين وأوليائه ! ففعلا ذلك ؛ وتحدّثوا بخبره ؛ ولم يعلم بحال الرجل أحد ، ولا بما

٦٧٢/٣

(١) الجلح : انحسار الشعر عن جانبى الرأس . (٢) ط : « فطفر فى حجزة » .

كان ألقى إلى الرشيد ؛ حتى كان من أمر البرامكة ما كان .

وذكر يعقوب بن إسحاق أنّ إبراهيم بن المهدىّ حدثه . قال : أتيتُ جعفر بن يحيى فى داره التى ابتناها، فقال لى: أمَا تعجب من منصور بن زياد ؟ قال : قلت فماذا ؟ قال : سألتُه: هل ترى فى دارى عيباً ؟ قال : نعم ؛ ليس فيها لبنة ولا صُنوبرة ، قال إبراهيم : فقلت : الذى يعيبها عندى أنك أنفقت عليها نحواً من عشرين ألف ألف درهم ، وهو شىء لا آمنه عليك غداً بين يدى[1] أمير المؤمنين ، قال : هو يعلم أنه قد وصلنى بأكثر من ذلك وضعف ذلك ، سوى ما عرّضنى[2] له. قال : قلت: إن العدوّ إنما يأتيه فى هذا من جهة أن يقول : يا أميرَ المؤمنين ، إذا أنفق على دار عشرين ألف ألف درهم ، فأين نفقاته ! وأين صِلاته ! وأين النوائب التى تنوبه ! وما ظنّك يا أمير المؤمنين بما وراء ذلك ! وهذه جملة سريعة إلى القلب ، والموقف[3] على الحاصل منها صعب . قال : إن سمع منّى قلتُ : إن لأمير المؤمنين نعماً على قوم قد كفروها بالستر لها أو بإظهار القليل من كثيرها[4] ؛ وأنا رجلٌ نظرت إلى نعمته عندى ، فوضعتها فى رأس جبل ، ثم قلت للناس : تعالَوْا فانظروا .

٣/٦٧٣

وذكر زيد بن علىّ بن حسين بن زيد أنّ إبراهيم بن المهدىّ حدثه أن جعفر بن يحيى ، قال له يوماً — وكان جعفر بن يحيى صاحبَه عند الرشيد ، وهو الذى قرّبه منه : إنى قد استربت بأمر هذا الرجل — يعنى الرشيد — وقد ظننتُ أن ذلك لسابق سبق فى[5] نفسى منه ، فأردتُ أن أعتبر ذلك بغيرى ، فكنت[6] أنت ؛ فارمق ذلك[7] فى يومك هذا ، وأعلمنى ما ترى منه . قال : ففعلتُ ذلك فى يومى ؛ فلما نهض الرّشيد من مجلسه كنتُ أوّل أصحابه نهض عنه ، حتى صرت إلى شجرٍ فى طريقى ، فدخلتها ومَنْ معى ، وأمرتهم بإطفاء الشمع ، وأقبل الندماء يمرّون بى واحداً واحداً ، فأراهم ولا يرْونى ؛ حتى إذا لم

٣/٦٧٤

(١) ج : « عند » .
(٢) ا ، س : « عوّضنى » .
(٣) ا ، س : « والتوقف » .
(٤) س : « منها » .
(٥) س : « إلى » .
(٦) ج : « فكيف » .
(٧) س : « ذاك » .

يبق منهم أحد ؛ إذا أنا بجعفر قد طلع ، فلما جاوز الشجر[١] قال : اخرج يا حبيبي ، قال : فخرجت ، فقال : ما عندك[٢] ؟ فقلت : حتّى تعلمني كيف علمتَ أني ها هنا ؛ قال : عرفت عنايتَك بما أعنى به ، وأنك لم تكن لتنصرف أو[٣] تعلمنى ما رأيت منه ؛ وعلمتُ أنك تكره أن تُرَى واقفًا فى مثل هذا الوقت ، وليس فى طريقك موضع أستر من هذا الموضع ، فقضيتُ بأنك فيه ، قلت : نعم ؛ قال : فهاتِ ما عندك ، قلت : رأيت الرّجل يهزل إذا جددتَ ، ويجدّ إذا هزلتَ . قال : كذا هو عندى ، فانصرف يا حبيبى . قال : فانصرفت .

قال : وحدّثنى علىّ بن سليمان أنه سمع جعفر بن يحيى يومًا يقول : ليس لدارنا هذه عيب ؛ إلا أن صاحبها فيها قليل البقاء — يعنى نفسه .

وذكر عن موسى بن يحيى ، قال : خرج أبى إلى الطّواف فى السنة التى أصيب فيها ، وأنا معه من بين ولده ، فجعل يتعلّق بأستار الكعبة ، ويردّد الدعاء ، ويقول : اللهمّ ذنوبى جمّة عظيمة لا يحصيها غيرُك ، ولا يعرفها سواك . اللهمّ إن كنت تعاقبنى فاجعل عقوبتى فى الدنيا ؛ وإن أحاط ذلك بسمعى وبصرى ، ومالى وولدى ، حتّى تبلغ رضاك ، ولا تجعل عقوبتى فى الآخرة .

قال : وحدّثنى أحمد بن الحسن بن حرب ، قال : رأيتُ يحيى وقد قابل البيت ، وتعلق بأستار الكعبة ، وهو يقول : اللهمّ إن كان رضاك فى أن تسلبَنى نعمتك عندى فاسلبنى ، اللهمّ إن كان رضاك فى أن تسلبَنى أهلى وولدى فاسلبنى ؛ اللّهمّ إلا الفضل. قال: ثم ولّى ليمضى ؛ فلما قرب من باب المسجد كرّ مسرعًا ، ففعل مثل ذلك، وجعل يقولُ: اللهمّ إنه سمِجٌ بمثلى أن يرغب إليك ثم يستثنى عليك ... اللهم والفضل. قال : فلما انصرفوا من الحجّ نزلوا الأنبار ، ونزل الرشيد بالعُمْر ومعه وليّا العهد؛ الأمين والمأمون، ونزل الفضل مع الأمين ، وجعفر مع المأمون، ويحيى فى منزل خالد بن عيسى كاتبه ، ومحمد بن

٣/٦٧٥

(١) س : « جاز فى الشجر » . ا : « حاذى الشجر » . (٢) س : « ما عندهم » .
(٣) س : « حتى » .

يحيى فى منزل ابن نوح صاحب الطِّراز ، ونزل محمد بن خالد مع المأمون بالعُمر مع الرشيد ، قال : وخلا الرشيد بالفضل ليلا ، ثم خلع عليه وقلّده ، وأمره أن ينصرف مع محمد الأمين ، ودعا بموسى بن يحيى فرضِيَ عنه وكان غضب عليه بالحيرة فى بدأته ، لأن علىّ بن عيسى بن ماهان اتهمه عند الرشيد فى أمر خُراسان وأعلمه طاعة أهلها له ، ومحبّتهم إياه ، وأنه يكاتبهم ويعمل على الانسلال[1] إليهم والوثوب به معهم ؛ فوقر ذلك فى نفس الرّشيد عليه وأوحشه منه ؛ وكان موسى أحد الفرسان الشجعان ، فلما قدح علىّ بن عيسى فيه أسرع ذلك فى الرّشيد ، وعمل فيه القليل منه ، ثم ركب موسى دَيْنٌ ، واختفى من غرمائه ، فتوهّم الرشيد أنه صار إلى خراسان ؛ كما قيل له ، فلما صار إلى الحيرة فى هذه الحجّة وافاه[2] موسى من بغداد ، فحبسه الرشيد عند العباس بن موسى بالكوفة ؛ ٣/٦٧٦ فكان ذلك أول ثلمة ثُلموا بها ؛ فركبت أمّ الفضل بن يحيى فى أمره ، ولم يكن يردّها فى شىء ، فقال : يضمنه أبوه فقد رُفع إلىّ فيه ، فضمنه يحيى ودفعه إليه ، ثم رضى عنه ، وخلع عليه ، وكان الرشيد قد عتب على الفضل ابن يحيى ، وثقل مكانه عليه لتركه الشّرب معه ؛ فكان الفضل يقول : لو علمتُ أن الماء ينقص من مروءتى ما شربته ؛ وكان مشغوفًا بالسماع . قال : وكان جعفر يدخل فى منادمة الرشيد ؛ حتّى كان أبوه ينهاه عن منادمته ، ويأمره بترك الأنس به ، فيترك أمرَ أبيه ، ويدخل معه فيما يدعوه إليه .

وذكر عن سعيد بن هريم أنّ يحيى كتب إلى جعفر حين أعيتْه حيلته فيه : إنى إنما أهملتك ليعثر الزّمان بك عثْرة تعرف بها أمرك ؛ وإن كنت لأخشى أن تكون التى لا شوًى لها[3] . قال : وقد كان يحيى قال للرشيد : يا أمير المؤمنينَ ، أنا والله أكره مداخلة جعفر معك ؛ ولست آمن أن ترجع العاقبة فى ذلك علىّ منك ، فلو أعفيته[4] واقتصرت به على ما يتولاّه من جسيم أعمالك ، كان ذلك واقعًا بموافقتى ، وآمن لك علىّ . قال الرّشيد : يا أبت ليس بك هذا ؛ ولكنك إنما تريد أن تقدّم عليه الفضل .

---

(١) س : « الاستلال » .
(٢) ج : « وآتاهم » ، والصواب ما أثبته من ا .
(٣) لا شوى لها : لا برء معها .
(٤) ط : « أعقبته » .

وقد حدثنى أحمد بن زهير — أحسبه عن عمّه زاهر بن حرب — أنّ سبب هلاك جعفر والبرامكة أن الرّشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدىّ، وكان يُحضرهما إذا جلس للشرب؛ وذلك بعد أن أعلم جعفراً قلّةَ صبره عنه وعنها، وقال لجعفر: أزوّجكها ليحل لك النظر إليها إذا أحضرتها مجلسى، وتقدّم إليه ألا يمسَّها، ولا يكون منه شىء مما يكون للرجل إلى زوجته؛ فزوّجها منه على ذلك، فكان يُحضرهما مجلسه إذا جلس للشرب، ثم يقوم عن مجلسه ويُخليهما، فيثْمَلان من الشراب، وهما شابّان، فيقوم إليها جعفر فيجامعها، فحملت منه وولدت غلامًا، فخافت على نفسها من الرّشيد إن علم بذلك، فوجّهت بالمولود مع حَواضِنَ له من مماليكها إلى مكّة، فلم يزل الأمر مستورًا[١] عن هارون، حتى وقع بين عباسة وبين بعض جواريها شرّ، فأنهت أمرَها وأمر الصبىّ إلى الرشيد، وأخبرته[٢] بمكانه؛ ومع مَن هو من جواريها، وما معه من الحلْى الذى كانت زيّنته به أمه؛ فلما حجّ هارون هذه الحجّة، أرسل إلى الموضع الذى كانت الجارية أخبرته أن الصبىّ به مَنْ يأتيه بالصبىّ وبمَنْ معه من حواضنه، فلمّا أحضروا سأل اللواتى معهنّ الصبىّ، فأخبرنَه بمثل القصة التى أخبرْته بها الرافعة على عبّاسة، فأراد — فيما زُعم — قتلَ الصبىّ، ثم تحوّب من ذلك.

٦٧٧/٣

وكان جعفر يتّخذ للرشيد طعامًا كلما حجّ بعُسفان فيقريه[٣] إذا انصرف شاخصًا من[٤] مكة إلى العراق؛ فلما كان فى هذا العام، اتّخذ الطعام جعفر كما كان يتخذه هنالك، ثم استزاره فاعتلّ عليه الرشيد، ولم يحضر طعامه، ولم يزل جعفر معه حتى نزل منزله[٥] من الأنبار؛ فكان من أمره وأمر أبيه ما أنا ذاكره إن شاء الله تعالى.

* * *

ذكر الخبر عن مقتل جعفر

٦٧٨/٣

ذكر الفضل بن سليمان بن علىّ أن الرشيد حجّ فى سنة ست وثمانين ومائة

(١) ج: «مستتراً». (٢) ج: «وخبرته». (٣) س: «فيغذيه».
(٤) س: «عن». (٥) س: «نزل منزلا».

وأنه انصرف من مكة، فوافى الحيرة فى المحرّم من سنة سبع وثمانين ومائة عند انصرافه من الحجّ، فأقام فى قصر عون العبادىّ أيامًا، ثم شخص فى السّفن حتى نزل العُمْر الذى بناحية الأنبار ؛ فلما كان ليلة السبت لانسلاخ المحرّم، أرسل مسرورًا الخادم ومعه حمّاد بن سالم أبو عصمة فى جماعة من الجند، فأطافوا بجعفر بن يحيى ليلاً، ودخل عليه مسرور وعنده ابن بختيشوع المتطبّب وأبو زكّار الأعمى المغنّى الكلوذانىّ، وهو فى لهوه، فأخرجه إخراجًا عنيفًا يقوده، حتى أتى به المنزل الذى فيه الرّشيد، فحبسه وقيّده بقيد حمار، وأخبر الرشيد بأخذه إياه ومجيئه به، فأمر بضرب عنقه، ففعل ذلك.

وذكر عن علىّ بن أبى سعيد أن مسرورًا الخادم، حدّثه قال: أرسلنى الرشيد لآتيه بجعفر بن يحيى لـمّا أراد قتله، فأتيته وعنده أبو زكّار الأعمى المغنّى وهو يغنّيه :

فلا تَبْعَد فكلُّ فتًى سيأتى عليه الموتُ يَطرُق أو يُغادِى

قال: فقلت له: يا أبا الفضل، الذى جئتُ له من ذلك قد والله طرقك، أجبْ أمير المؤمنين. قال: فرفع يدَيْه، ووقع على رجلىّ يقبلهما، وقال: حتى أدخل فأوصى، قلت: أما الدّخول فلا سبيل إليه، ولكن أوْصِ بما شئت، فتقدّم فى وصيّته بما أراد، وأعتق مماليكه، ثم أتتنى رسلُ أمير المؤمنين تستحثّنى به، قال: فمضيتُ به إليه فأعلمته، فقال لى وهو فى فراشه: ائتنى برأسه، فأتيت جعفراً فأخبرته، فقال: يا أبا هاشم، اللهَ اللهَ! والله ما أمرك بما أمرك به إلا وهو سكران؛ فدافعْ بأمرى حتى أصبح أؤامره فىّ ثانية، فعدت لأؤامره، فلما سمع حسّى، قال: يا ماصّ بَظْر أمّه، ائتنى برأس جعفر! فعدتُ[1] إلى جعفر، فأخبرته، فقال: عاوده فى ثالثة، فأتيته، فحذفنى بعمود ثم قال: نُفيت من المهدىّ إن أنت جئتنى ولم تأتنى برأسه، لأرسلنّ إليك مَنْ يأتينى برأسك أولا، ثم برأسه آخراً. قال: فخرجت فأتيته برأسه.

٦٧٩/٣

(١) س: «فأتيت».

قال : وأمر الرشيد فى تلك الليلة بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ، ومن كان منهم [1] بسبيل ، فلم يفلت منهم أحد كان حاضراً ، وحوّل الفضل بن يحيى ليلا فحُبس فى ناحية من منازل الرّشيد ، وحُبس يحيى ابن خالد فى منزله ، وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك ، ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خارج إلى مدينة السلام أو إلى غيرها ، ووجّه من ليلته رَجاء الخادم إلى الرّقة فى قبض أموالهم وما كان لهم ؛ وأخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم ، وولاه أمورهم ، وفرّق الكتب من ليلته إلى جميع العمّال فى نواحى البلدان والأعمال بقبض أموالهم ، وأخذ وكلائهم . فلمّا أصبح بعث بجُثّة جعفر بن يحيى مع شعبة الخفتانىّ وهَرْثمة بن أعيَن وإبراهيم بن حميد المَرْورُّوذىّ ، وأتبعهم عدّةً من خدمه وثقاته؛ منهم مسرور الخادم إلى منزل جعفر بن يحيى ، وإبراهيم بن حميد وحسين الخادم إلى منزل الفضل بن يحيى ، ويحيى بن عبد الرحمن ورشيد الخادم إلى منزل يحيى ومحمد ابن يحيى ، وجعل معه هرثمة بن أعين ، وأمر بقبض جميع ما لهم ، وكتب إلى السندىّ الحرشىّ بتوجيه جيفة جعفر إلى مدينة السلام ، ونصْب رأسه على الجسر الأوسط وقطْع جثّته ، وصلْب كلّ قطعة منها على الجسر الأعلى والجسر الأسفل . ففعل السندىّ ذلك ، وأمضى الخدم ما كانُوا وجّهوا فيه ، وحمل عدة من أولاد الفضل وجعفر ومحمد الأصاغر إلى الرّشيد ، فأمر بإطلاقهم ، وأمر بالنداء فى جميع البرامكة : ألاّ أمان لمن آواهم إلا محمد بن خالد وولده وأهله وحشمه ؛ فإنه استثناهم ؛ لما ظهر من نصيحة محمد له ، وعرَفَ براءته ممّا دخل فيه غيرُه من البرامكة . وخلّى سبيل يحيى قبل شخوصه من العُمْر ، ووكّل بالفضل ومحمد وموسى بنى يحيى ، وبأبى المهدىّ صهرهم حفظةً من قبل هَرْثمة بن أعين ، إلى أن وافى بهم الرّقة ، فأمر الرشيد بقتل أنس بن أبى شيْخ يوم قدم الرّقة ، وتولّى قتله إبراهيم بن عثمان بن نهيك ، ثم صلب . وحُبس يحيى بن خالد مع الفضل ومحمد فى دَير القائم ، وجعل عليهم حفظة من قبل مسرور الخادم وهَرْثمة بن أعين ، ولم يفرّق بينهم وبين عدّة

٦٨٠/٣

(١) س : « منه » .

من خدمهم ، ولا ما يحتاجون إليه ، وصيّر معهم زُبيدة بنت مُنير أمّ الفضل ودنانير جارية يحيى وعدّة من خدمهم وجواريهم . ولم تزل حالهم سهلة إلى أن سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح ، فعمّهم بالتثقيف[1] بسخطه ، وجُدّد له ولهم التّهمة عند الرّشيد ، فضيّق عليهم . ٦٨١/٣

وذكر الزبير بن بكار أنّ جعفر بن الحسين اللّهبيّ حدثه أن الرشيد أُتِيَ بأنس ابن أبي شيخ صبح الليلة التي قتل فيها جعفر بن يحيى ، فدار بينه وبينه كلام ، فأخرج الرشيد سيفاً من تحت فراشه ، وأمر أن تضرب عنقه ، وجعل يتمثّل ببيت قيل في قتل أنس قبل ذلك :

تَلَمَّظَ السَّيْفُ من شوْق إلى أنسٍ فَالسيف يَلحَظُ وَالأَقدارُ تَنْتَظِرُ

قال : فضرب عنقه ، فسبق السيف الدم ، فقال الرشيد : رحم الله عبدالله ابن مصعب . وقال الناس : إن السيف كان سيف الزبير بن العوام .

وذكر بعضهم أن عبد الله بن مُصعب كان على خبَر الناس للرشيد ، فكان أخبره عن أنس أنه على الزندقة ، فقتله لذلك ، وكان أحد أصحاب البرامكة .

وذكر محمد بن إسحاق أنّ جعفر بن محمد بن حكيم الكوفيّ ، حدّثه قال : حدّثني السنديّ بن شاهك ، قال : إني لجالسٌ يوماً ، فإذا أنا بخادم قد قدم على البريد ، ودفع إليّ كتاباً صغيراً ، ففضضته ، فإذا كتاب الرشيد بخطه فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : يا سنديّ ، إذا نظرت في كتابي هذا ، فإن كنت قاعداً فقم ، وإن كنت قائماً فلا تقعد حتى تصير إليّ . قال السنديّ : فدعوت بدوابي ، ومضيت . وكان الرشيد بالعُمر ؛ فحدّثني العباس بن الفضل بن الربيع ، قال : جلس الرّشيد في الزوّ[2] في الفرات ينتظرك ، وارتفعت غبْرةٌ ، فقال لي : يا عباس ، ينبغي أن يكون هذا السنديّ وأصحابه ! قلت : يا أمير المؤمنين ، ٦٨٢/٣

---

(١) عمهم بالتثقيف بسخطه ، أي أخذهم بذلك .

(٢) الزو : نوع من السفن .

ماأشبهه أن يكون هو ! قال : فطلعت. قال : السندىّ : فنزلت عن دابتى[1] ، ووقفت ، فأرسل إلىّ الرشيد فصرت إليه ، ووقفت ساعة بين يديه ، فقال لمن كان عنده من الخدم : قوموا ، فقاموا فلم يبقَ إلاّ العباس بن الفضل وأنا ، ومكث ساعة ، ثم قال للعباس : اخرج ومُرْ برفع التخاتج المطروحة على الزّوّ ، ففعل ذلك ، فقال لى : ادنُ منى ، فدنوت منه ، فقال لى : تدرى فيمَ أرسلت إليك ؟ قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : قد بعثت إليك فى أمر لو علم به زرّ قميصى رميتُ به فى الفرات ، يا سندىّ مَنْ أوثق قوّادى عندى ؟ قلت : هرثمة ، قال : صدقت ، فمن أوثق خدمى عندى ؟ قلت : مسرور الكبير ، قال : صدقت ، امض من ساعتك هذه وجدّ فى سيرك حتى توافى مدينةَ السلام ، فاجمع ثقات أصحابك وأرباعك ، ومُرهم أن يكونوا وأعوانهم على أهبة[2] فإذا انقطعت الزّجَل[3] ، فصر إلى دور البرامكة ، فوكل بكلّ باب من أبوابهم صاحب ربع ، ومرْه أن يمنع مَنْ يدخل ويخرج — خلا باب محمد بن خالد — حتى يأتيك أمرى. قال : ولم يكن حرّك البرامكة فى ذلك الوقت . قال السندىّ : فجئت أركض ، حتى أتيت مدينة السلام ، فجمعت أصحابى ، وفعلت ما أمرنى به . قال : فلم ألبث أن أقدم علىّ هرثمة ابن أعين ، ومعه جعفر بن يحيى على بغلٍ بلا أكاف ، مضروب العنق ، وإذا كتاب أمير المؤمنين يأمرنى أن أشطره باثنين ؛ وأن أصلبه على ثلاثة جسور . قال : ففعلت ما أمرنى به . ٦٨٣/٣

قال محمد بن إسحاق : فلم يزل جعفر مصلوباً حتى أراد الرشيد الخروج إلى خُراسان ، فمضيت فنظرت إليه ، فلما صار بالجانب الشرقىّ على باب خزيمة بن خازم ، دعا بالوليد بن جُشم الشارى من الحبْس ، وأمر أحمد بن الجنيد الخُتّلىّ —وكان سيّافه— فضرب عنقه ، ثم التفت إلى السندىّ ، فقال : ينبغى أن يحرق هذا — يعنى جعفراً — فلما مضى ، جمع السندىّ له شوكاً وحطباً وأحرقه .

---

(١) ا ، س : « دوابى » . (٢) ج : « على أهبة وأعوانهم » .
(٣) الزجل : الجماعة من الناس .

وقال محمد بن إسحاق : لما قتل الرّشيد جعفر بن يحيى ، قيل ليحيى بن خالد : قتل أمير المؤمنين ابنَك جعفرًا ، قال : كذلك يُقتَل ابنُه ، قال : فقيل له : خربت ديارك ، قال : كذلك تُخرَب دورهم .

وذكر الكرمانيّ أن بشارًا التركيّ حدّثه أن الرشيد خرج إلى الصيد وهو بالعُمْر في اليوم الذي قتل جعفرًا في آخره ؛ فكان ذلك اليوم يوم جمعة ، وجعفر ابن يحيى معه ، قد خلاّ به دون ولاة العهد ؛ وهو يسير معه ، وقد وضع يده على عاتقه ؛ وقبل ذلك ما غلّفه بالغالية بيد نفسه ؛ ولم يزل معه ما يفارقه حتى انصرف مع المغرب ، فلما أراد الدخول ضمّه إليه ، وقال له : لولا أني على الجلوس الليلة مع النّساء لم أفارقك ، فأقم أنت في منزلك ، واشرب أيضًا واطرب ؛ لتكون أنت في مثل حالي ، فقال : لا والله ما[1] أشتهي ذلك إلاّ معك ، فقال له : بحياتي لما شربت ؛ فانصرف عنه إلى منزله ؛ فلم تزل رسُل الرشيد عنده ساعة بعد ساعة تأتيه بالأنقال والأبخرة والرياحين ؛ حتى ذهب الليل . ثم بعث إليه مسرورًا فحبس عنده ، وأمر[2] بقتله وحَبْس الفضل ومحمد وموسى ، ووكّل سلامًا الأبرش بباب يحيى بن خالد ، ولم يعرض لمحمد بن خالد ولا لأحد من ولده وحَشَمه .

٦٨٤/٣

قال : فحدثني العباس بن بزيع عن سلاّم ، قال : لمّا دخلت على يحيى في ذلك الوقت – وقد هُتكت الستور وجُمع المتاع – قال لي : يا أبا سلمة ؛ هكذا تقوم الساعة! قال سلاّم : فحدثت بذلك الرشيد بعد ما انصرفت إليه ؛ فأطرق مفكّرًا .

قال وحدثني أيوب بن هارون بن سليمان بن عليّ ، قال : كان سكني إلى يحيى ، فلما نزلوا الأنبار خرجت إليه فأنا معه في تلك العشيّة التي كان آخر أمره ، وقد صار إلى أمير المؤمنين في حَرّاقته ، فدخل إليه من باب صاحب الخاصّة ، فكلّمه في حوائج الناس وغيرها من إصلاح الثغور وغزو البحر ، ثم خرج ، فقال للناس : قد أمر أمير المؤمنين بقضاء حوائجكم ، وبعث إلى

(١) ا ، س : « لا » . (٢) ج : « ثم أمره » .

أبى صالح يحيى بن عبدالرحمن يأمره بإنفاذ ذلك، ثم لم يزل يحدّثنا عن أبى مسلم وتوجيه معاذ بن مسلم حتى دخل منزله بعد المغرب ، ووافانا فى وقت السّحَر خبرُ مقتل جعفر وزوال أمرهم. قال : فكتبت إلى يحيى أعزّيه ، فكتب إلىّ : أنا بقضاء الله راض ، وبالخيار منه عالم ، ولا يؤاخذ الله العباد إلا بذنوبهم ، وما ربك بظلام للعبيد . وما يعفو الله أكثر ، ولله الحمد .

٣/٦٨٥

قال : وقتل جعفر بن يحيى فى ليلة السبت أول ليلة من صفر سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، وكانت الوزارة إليهم سبع عشرة سنة — وفى ذلك يقول الرّقاشىّ :

أيا سَبْتُ يا شرّ السُّبوتِ صَبيحةً ويا صفَرُ المَشئُومُ ما جئتَ أشأَما
أتَى السَّبْتُ بالأَمْرِ الَّذى هَدَّ ركنَنا وفى صَفَرٍ جاءَ البلاءُ مُصَمّما

قال : وذُكر عن مسرور أنه أعلم الرّشيد أن جعفرًا سأله أن تقع عينه عليه ، فقال : لا ، لأنه يعلم إن وقعت عينى عليه لم أقتله .

* * *

[ما قيل فى البرامكة من الشعر بعد زوال أمرهم]

قال : وفيهم يقول الرّقاشىّ ، وقد ذكر أن هذا الشعر لأبى نواس :

ألآنَ استرحنا واستراحت رِكابُنَا وأمسَكَ من يُجْدِى ومن كان يَجْتَدِى
فَقُلْ لِلمَطَايا قد أَمِنتِ من السُّرَى وطَىّ الفيافى فَدْفَدًا بعدَ فَدفَدِ
وقُلْ للمَنايا :قد ظَفِرتِ بجَعْفرٍ ولن تَظفَرِى من بعدِهِ بمُسَوَّدِ
وقُلْ للعطايا بَعدَ فضلٍ تَعَطَّلِى وقُلْ للرزايا كلَّ يومٍ تجَدَّدى
ودُونَكِ سيفاً برمكيًّا مُهَنَّدًا أُصيبَ بسيفٍ هاشمىٍّ مُهَنَّدِ

٣/٦٨٦

وفيهم يقول فى شعر له طويل :

إن يغدُرِ الزَّمَنُ الخَئُون بنا فَقدْ غَدَرَ الزَّمَان بجعفرٍ ومُحَمَّدِ
حَتّى إذا وضح النهارُ تكشَّفَتْ عن قتلِ أَكْرَمِ هَالك لم يُلحَدِ

والبِيضُ لوْلا أنَّهَا مأْمُورةٌ ... ما فُلَّ حدُّ مُهَنَّدٍ بمهنَّد
يا آلَ برمَكَ كَمْ لكُمْ من نائِلٍ ... ونَدًى ، كَعَدِّ الرَّملِ غيْرَ مُصَرَّدِ
إنَّ الخليفةَ ـ لايُشكُّ ـ أخوكُمُ ... لكنَّه فى برمَكٍ لم يُولَدِ
نازعتموه رضاعَ أكرم حُرَّةٍ ... مخلوقةٍ من جَوْهرٍ وزبرجدِ
مَلكٌ له كانت يدٌ فَيَّاضَةٌ ... أبدًا تَجودُ بطارفٍ وبمُتلَدِ
كانت يدًا للجودِ حتى غلَّها ... قَدَرٌ فأضحى الجود مغلولَ اليدِ

وفيهم يقول سيف بن إبراهيم :

٦٨٧/٣

هوَت أنجُمُ الجَدوَى وشَلَّت يدُ النَّدَى ... وغاضَت بُحورُ الجودِ بعدَ البرامِكِ
هوت أنجمٌ كانت لأبناء برمكٍ ... بها يعرِفُ الحادى طريقَ المسالكِ

وقال ابن أبى كريمة :

كلُّ مُعيرٍ أُعِيرَ مَرتَبَةً ... بعدَ فتى برمكٍ على غَرَرِ
صالَت عليه من الزمان يدٌ ... كان بها صائلا على البَشرِ

وقال العطوىّ أبو عبد الرحمن :

أمَا واللهِ لولاَ قولُ واشٍ ... وعَينٌ للخليفة لا تنامُ
لطُفْنَا حَوْلَ جِذعكَ واستلَمْنا ... كما للنَّاس بالحَجرِ اسْتلامُ
علَى الدنيا وَساكِنِها جميعاً ... وَدَوْلَةِ آل برمكٍ السّلامُ

وفى قتل جعفر قال أبو العتاهية :

قُولَا لمنْ يَرْتَجِى الحياةَ أمَا ... فى جَعْفَرٍ عِبرَةٌ وَيَحياهُ !
كانَا وَزيرَىْ خليفة اللهِ ها ... رونَ همَا ما هما خليلَاهُ
فذاكمُ جعفرٌ برُمَّتِــهِ ... فى حالق رَأسُهُ ونصفاهُ

والشيخُ يحيي الوزيرُ أصبحَ قد نحَّاهُ عن نفْسِه وَأقصاهُ

٦٨٨/٣ شُتِّتَ بعدَ التجميع شملُهُمُ فأَصْبَحُوا فى البلاد قد تاهُوا

كذاكَ مَن يُسْخِطِ الإلهَ بما يُرضِى به العبدَ يَجزهِ اللهُ

سبْحانَ من دانَتِ الملوك له أشهدُ أن لا إلٰه إلا هُو

طُوبَى لمن تابَ بعدَ غِرَّتِهِ فتابَ قبلَ المماتِ ، طُوبَاهُ!

* * *

قال : وفى هذه السنة هاجت العصبيّة بدمشق بين المضريّة واليمانية ، فوجّه الرشيد محمد بن منصور بن زياد فأصلح بينهم .

وفيها زُلزلت المَصِّيصة فانهدم بعض سورها ، ونضب ماؤهم ساعة الليل .

وفيها خرج عبد السلام بآمِد ، فحكّم ، فقتله يحيى بن سعيد العُقَيْلىّ .

وفيها مات يعقوب بن داود بالرّقّة .

وفيها أغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة ، فوهبه لله ، وجعله قرباناً له ووسيلة ، وولاه العواصم .

* * *

[ذكر الخبر عن غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح]

وفيها غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح وحبسه .

* ذكر الخبر عن سبب غضبه عليه وما أوجب حبسه :

ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنّ عبد الملك بن صالح كان له ابن يقال له عبد الرحمن ، كان من رجال الناس ، وكان عبد الملك يكنى به ؛ ٦٨٩/٣ وكان لابنه عبد الرحمن لسان ، على فأفأة فيه ، فنصب لأبيه عبد الملك وقُمامة[1] ، فسعيا به إلى الرشيد ، وقالا له : إنه يطلب الخلافة ويطمع فيها ، فأخذه وحبسه عند الفضل بن الربيع ؛ فذُكر أن عبد الملك بن صالح أدخِل على الرشيد حين سخط عليه ، فقال له الرّشيد : أكفراً بالنعمة ، وجحوداً لجليل المنّة

(١) ابن الأثير : « فسعى بأبيه هو وقمامة كاتب أبيه » .

والتكرمة! فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لقد بؤتُ إذاً بالندم ، وتعرّضت لاستحلال النِّقم ؛ وما ذاك إلا بغىُ حاسد نافسنى فيك مودّة القرابة وتقديم الولاية. إنّك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمّته ، وأمينُه على عِترته ، لك فيها فرض[1] الطاعة وأداء النصيحة ، ولها عليك العدْل فى حكمها والتثبّت فى حادثها ، والغفران لذنوبها . فقال له الرشيد : أتَضع لى من لسانك ، وترفع لى من جنانك ! هذا كاتبك قُمامة يخبر بغلّك ، وفساد نيتك ، فاسمع كلامه . فقال عبد الملك : أعطاك ما ليس فى عقده ؛ ولعله لا يقدر أن يعضهنى ولا يبهتنى بما لم يعرفه منى . وأحضِر قُمامة ، فقال له الرشيد : تكلّم غير هائب ولا خائف ، قال : أقول : إنه عازم على الغدْر بك والخلاف عليك ، فقال عبد الملك : أهو كذاك يا قمامة ! قال قمامة : نعم ، لقد أردتَ ختْل أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : كيف لا يكذِب علىّ من خلفى وهو يبهتنى فى وجهى ! فقال له الرّشيد : وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرنى بعتوّك[2] وفساد نيّتك ، ولو أردتُ أن أحتجّ عليك بحجة لم أجد أعدل من هذين لك ، فبم تدفعهما عنك؟ فقال عبد الملك بن صالح : هو مأمور ، أو عاقّ مجبور[3] ؛ فإن كان مأموراً فمعذور[4] ، وإن كان عاقّاً ففاجر كفور ؛ أخبر الله عز وجل بعداوته ، وحذّر منه بقوله : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾[5] .

٦٩٠/٣

قال : فنهضَ الرشيد ، وهو يقول : أمّا أمرك فقد وَضح ؛ ولكنى لا أعجّل حتى أعلم الذى يُرضى الله فيك ؛ فإنه الحكم بينى وبينك . فقال عبد الملك : رضيتُ بالله حكَماً ، وبأمير المؤمنين حاكماً ؛ فإنى أعلم أنه يُؤثر كتابَ الله على هواه ، وأمرَ الله على رضاه .

قال : فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر ، فسلّم لما دخل ، فلم يردّ عليه ، فقال عبد الملك : ليس هذا يوماً أحتجّ فيه ، ولا أجاذب منازعاً

---

(١) س : « علينا فرض الطاعة » .
(٢) ج : « بنلك » .
(٣) س : « مجنون » .
(٤) ج : « فغرور » .
(٥) سورة التغابن ١٤ .

وخصماً . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّ أوله جرى على غير السنّة ؛ فأنا أخاف آخره. قال : وما ذاك ؟ قال : لم تردّ علىّ السلام ، أنصفْ نَصفة العوام . قال : السلام عليكم؛ اقتداء بالسنة ، وإيثاراً للعدل، واستعمالا للتحية . ثم التفت نحو سليمان بن أبى جعفر ، فقال وهو يخاطب بكلامه عبد الملك :

أريدُ حَياتَهُ ويُريدُ قتلى * ... البيت[1] .

ثم قال : أما والله لكأنى أنظُر إلى شؤبوبها[2] قد همع ، وعارضها[3] قد لمع ؛ وكأنى بالوعيد قد أورى ناراً تَسْطع ، فأقلع[4] عن براجم بلا معاصم[5] ورءوس بلا غلاصم[6] ؛ فمهلاً ؛ فَبِى والله سهُل لكم الوعْر ، وصفا لكم الكدر ، وألقت إليكم الأمورُ أثناء أزمّتها ، فنذارِ لكم نذار ، قبل حلول داهية خَبوط باليد ، لبوط بالرجْل. فقال عبد الملك: اتقّ الله يا أمير المؤمنين فيما ولاّك ، وفى رعيته التى استرعاك ؛ ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع الثواب ، فقد نخلتُ لك النصيحة ، ومحضتُ لك الطاعة ، وشددت أواخِىَ ملكك بأثقل من رُكْنَىْ يَلَمْلَم ، وتركتُ عدوّك مشتغلا . فاللهَ اللهَ فى ذى رحمك أن تقطَعه، بعد أن بلتَه بظنّ أفصح الكتابُ لى بعضَهه[7]، أو ببغى باغ ينهس اللحم ، ويالغُ الدم[8]، فقد والله سهّلتُ لك الوعور ، وذلّلت لك الأمور، وجمعت على طاعتك القلوب فى الصدور ؛ فكم من ليلِ تمام فيك كابدْتُه ، ومقام ضيّق قمته ؛ كنت كما قال أخو بنى جعفر بن كلاب :

٦٩١/٣

وَمَقامٍ ضَيّق فَرّجتهُ ... بِبَنانى وَلسانى وَجَدَلْ

لو يقومُ الفيلُ أو فَيّالهُ ... زَلّ عن مِثلِ مقامى وزَحَلْ

٦٩٢/٣

---

(١) لعمرو بن معدى كرب ، اللآلى ١٣٨ ، وبقيته :

* عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ *

(٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر . (٣) العارض : السحاب المعترض فى الأفق .
(٤) ج : « فتقلع » . (٥) البراجم : مفاصل الأصابع . والمعصم : اليد ؛ وجمعه معاصم . (٦) الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق ؛ وجمعه غلاصم .
(٧) أعضه فلاناً : بهته وقال ما ليس فيه .
(٨) ولغ الكلب فى الإناء ، يلغ ويالغ ، أى شرب منه .

قال : فقال له الرّشيد : أما والله لولا الإبقاء على بنى هاشم لضربت عنقك .

وذكر زيد بن علىّ بن الحسين العلوىّ، قال : لمّا حبس الرشيد عبدالملك ابن صالح ، دخل عليه عبد الله بن مالك — وهو يومئذ على شُرطه — فقال : أفى إذن أنا فأتكلم ؟قال: تكلم، قال : لا ، والله العظيم يا أمير المؤمنين ، ما علمتُ عبدَ الملك إلا ناصحًا ، فعلام حبستَه! قال: ويحك! بلغنى عنه ما أوحشنى ولم آمنه أن يضرب بين[1] ابنىَّ هذين — يعنى الأمين والمأمون — فإن كنتَ ترى أن نطلقه[2] من الحبس[3] أطلقناه . قال : أمّا إذْ حبستَه يا أميرَ المؤمنين ، فلست أرى فى قرب المدة أن تطلقه ؛ ولكن أرى أن تحبسه محبسًا كريمًا يشبه محبس[4] مثلك مثلَه . قال: فإنى أفعل . قال : فدعا الرّشيد الفضلَ بن الربيع ، فقال : امضِ إلى عبد الملك بن صالح إلى محبسه ، فقل له : انظر ما تحتاج إليه فى محبسك فأمُرْ به حتى يقام لك ؛ فذكر قصته وما سأل .

قال : وقال الرّشيد يوماً لعبد الملك بن صالح فى بعض ما كلّمه : ما أنت لصالح ! قال : فلمن أنا ؟ قال : لمروان الجعدىّ ، قال : ما أبالى أىّ الفحلين غلب علىّ ؛ فحبسه الرّشيد عند الفضل بن الربيع ؛ فلم يزل محبوسًا حتى تُوُفِّىَ الرّشيد ، فأطلقه محمد، وعقد له على الشأم؛ فكان مقيماً بالرّقة، وجعل لمحمد عهدَ الله وميثاقه : لئن قتِل وهو حىّ لا يعطى المأمون طاعةً أبداً . فمات قبل محمد، فدُفن فى دار من دور الإمارة ، فلما خرج المأمون يريد الروم أرسل إلى ابن له : حوّل أباك من دارى ، فنُبشتْ عظامه وحُوّلت . وكان قال لمحمد : إن خفتَ فالجأ إلىّ ، فوالله لأصوننّك . ٦٩٣/٣

وذكر أن الرشيد بعث فى بعض أيامه إلى يحيى بن خالد : إن عبد الملك ابن صالح أراد الخروج ومنازعتى فى الملك ، وقد علمتَ ذلك، فأعلمنى ما عندك فيه ، فإنك إن صدقتنى أعدتُك إلى حالك ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما اطّلعت من عبد الملك على شىء من هذا ؛ ولو اطّلعت عليه لكنت صاحبه

(١) س : « بينى و بين ابنى » .
(٢) س : « أطلقه » .
(٣) س : « السجن » .
(٤) س : « حبس » .

دونك ؛ لأن ملكك كان ملكي ، وسلطانك كان سلطاني ، والخير والشرّ كان فيه عليّ ولي ؛ فكيف يجوز لعبد الملك أن يطمع في ذلك مني ! وهل كنتُ إذا فعلتُ ذلك به يفعل بي أكثر من فعلك ! أعيذك بالله أن تظنّ بي هذا الظنّ ؛ ولكنّه كان رجلاً محتملا ، يسرّني[١] أن يكون في أهلك مثله ، فوليته ، لما أحمدت من مذهبه ، وملت إليه لأدبه واحتماله .قال: فلما أتاه الرسول بهذا أعاد إليه ، فقال : إن أنت لم تقرّ عليه قتلتَ الفضل ابنك[٢] ، فقال له : أنت مسلّط علينا فافعل ما أردت ؛ على أنه إن كان من هذا الأمر شيء فالذنب فيه لي ، فبم[٣] يدخل الفضل في ذلك[٤] ! فقال الرسول للفضل : قم ؛ فإنه لا بدّ لي من إنفاذ أمر أمير المؤمنين فيكَ ؛ فلم يشكّ أنه قاتله ، فودّع أباه ، وقال له : ألستَ راضياً عني ؟ قال : بلى ، فرضي الله عنك . ففرّق بينهما ثلاثة أيام ؛ فلما لم يجد عنده من ذلك شيئاً جمعهما كما كانا .

وكان يأتيهم منه أغلظ رسائل ، لما كان أعداؤهم يقرفونهم به عنده ، فلما أخذ مسرور بيد الفضل كما أعلمه[٥] ، بلغ من يحيى ، فأخرج ما في نفسه ، فقال له : قل له : يُقتَل ابنُك مثله. قال مسرور: فلما سكن عن الرشيد الغضب ، قال : كيف قال ؟ فأعدت عليه القول ، قال : قد خفت والله قولَه ؛ لأنه قلّما قال لي شيئاً إلا رأيتُ تأويله .

٣/٦٩٤

وقيل : بينما الرّشيد يسير وفي موكبه عبد الملك بن صالح ، إذ هتف به هاتف وهو يُساير عبد الملك ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، طأطئ من إشرافه وقصِّر من عنانه ، واشدُدْ من شكائمه؛ وإلاّ أفسد عليك ناحيته . فالتفت إلى عبد الملك ، فقال : ما يقول هذا يا عبد الملك ؟ فقال عبد الملك : مقال باغٍ ودسيس حاسد ؛ فقال له هارون : صدقت ، نَقَصَ القوم ففضلتَهم ، وتخلّفوا وتقدّمتَهم ؛ حتى برز شأوك ، فقصّر عنه غيرُك ؛ ففي صدورهم جمرات التخلّف ، وحزازات النقص . فقال عبد الملك: لا أطفأها الله وأضرمها عليهم حتى تورثهم كمداً دائماً أبداً .

---

(١) س : « فسرني » .
(٢) س : « يعني ابنه » .
(٣) ا ج : « فما يدخل الفضل » .
(٤) س : « هذا » .
(٥) كذا في ا وفي ط : « لما أعلمه » .

وقال الرشيد لعبد الملك بن صالح وقد مرّ بمنبج، وبها مستقرّ عبد الملك: هذا منزلك؟ قال: هو لك يا أمير المؤمنين، ولى بك. قال: كيف هو؟ قال: دون بناء أهلى وفوق منازل مَنْبج، قال: فكيف ليلها؟ قال: سَحَرٌ كله.

* * *

[ذكر الخبر عن دخول القاسم بن الرشيد أرض الرّوم]

وفى هذه السنة دخل القاسم بن الرشيد أرضَ الروم فى شعبان، فأناخ على قُرّة وحاصرها، ووجّه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، فأناخ على حصن سنان حتّى جهدوا، فبعثت إليه الروم تبذُل له ثلثمائة وعشرين رجلا من أسارى المسلمين، على أن يرحل عنهم؛ فأجابهم إلى ذلك، ورحَل عن قرّة وحصّن سنان صلحاً.

ومات علىّ بن عيسى بن موسى فى هذه الغزاة بأرض الروم، وهو مع القاسم. ٣/٦٩٥

* * *

[ذكر الخبر عن نقض الروم الصلح]

وفى هذه السنة نقضَ صاحب الرّوم الصّلح الذى كان جرى بين الذى قبله وبين المسلمين، ومنع ما كان ضمنه الملك لهم قبله.

* ذكر الخبر عن سبب نقضهم ذلك :

وكان سبب ذلك أن الصلح كان جرى بين المسلمين وصاحب الروم وصاحبتهم يومئذ ريني — وقد ذكرنا قبل سبب الصلح الذى كان بين المسلمين وبينها — فعادت الرّوم على ريني فخلعتْها، وملّكت عليها نقفور. والروم تذكر أن نقفور هذا من أولاد جَفْنة من غسان، وأنه قبل الملك كان يلى ديوان الخراج، ثم ماتت ريني بعد خمسة أشهر من خلع الروم إياها؛ فذُكر أن نقفور لما ملك واستوسقت له الرّوم بالطاعة، كتب إلى الرشيد :

من نقفور ملك الروم، إلى هارون ملك العرب؛ أما بعد؛ فإن الملكة التى كانت قبلى، أقامتك مقام الرّخّ، وأقامت نفسها مقام البَيْدق، فحملتْ

إليك من أموالها ما كنت حقيقًا بحمل أمثالها إليها ؛ لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن ؛ فإذا قرأت كتابي فاردُدْ ما حصل قِبَلَك من أموالها، وافتدِ نفسك بما يقع به المصادرة لك ، وإلا فالسيف بيننا وبينك .

قال : فلما قرأ الرّشيد الكتاب، استفزّه الغضب حتى لم يمكن أحداً أن ينظر إليه دون أن يخاطبه ؛ وتفرّق جلساؤه خوفًا من زيادة قول أو فعل يكون منهم ؛ واستعجم الرأى على الوزير من أن يشير عليه أو يتركه يستبدّ برأيه دونه ، فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ؛ قد قرأت كتابك يابن الكافرة ، والجواب ما تراه دون أن تسمعه. والسلام . ٦٩٦/٣

ثم شخص من يومه ، وسار حتى أناخ بباب هِرَقْلَة ، ففتح وغنِم ، واصطفى وأفاد ، وخرّب وحرّق ، واصطلم . فطلب نقفور الموادعة على خراج يؤدّيه فى كلّ سنة ، فأجابه إلى ذلك ، فلما رجع من غزوته ، وصار بالرّقة نقض نقفور العهد ، وخان الميثاق . وكان البرد شديداً ، فيئس نقفور من رَجْعته إليه ، وجاء الخبر بارتداده عما أخذ عليه ؛ فما تهيأ لأحد إخباره بذلك إشفاقًا عليه وعلى أنفسهم من الكرّة فى مثل تلك الأيام ، فاحتيل له بشاعر من أهل خُرّة[1] يكنى أبا محمد عبدالله بن يوسف — ويقال : هو الحجاج بن يوسف التيميّ ، فقال :

نَقَضَ الذِى أَعْطَيْتَهُ نِقْفُورُ ... وعليْهِ دائرةُ الْبَوارِ تَدورُ[2]

أَبْشِرْ أميرَ المؤمنــين فإنه ... غُنْمٌ أَتاكَ بِهِ الإلهُ كبيرُ

فلقَدْ تَباشَرَتِ الرَّعيَّة أَنْ أَتى ... بالنَّقْضِ عَنْهُ وافِدٌ وَبشيرُ

وَرَجَتْ يمينَكَ أَنْ تعجّلَ غَزْوَةً ... تشفى النفوسَ مكانُها مَذْكورُ

أَعْطاكَ جِزْيَتَهُ وطأْطأَ خَدَّهُ ... حَذَرَ الصَّوارِمِ والرَّدَى مَحْذورُ

---

(١) ط : « جنده » ، وما أثبته من ا .

(٢) بعده فى ابن الأثير :

فتح يزيد على الفتوحِ يؤمُّنا ... بالنَّصْرِ فيه لواؤك المنصور

فأجرْتَه مِن وَقْعِها وكأنَّها [1] بأكفِّنا شُعَلُ الضِّرامِ تَطيرُ [2]
وَصَرَفْتَ بالطَّولِ العساكرِ قافِلًا [3] عنهُ وَجارُكَ آمِنٌ مَسْرورُ
نِقفُورُ إنَّك حينَ تَغْدِرُ إنْ نأَى عنكَ الإمامُ لجاهِلٌ مَغْرُورُ
أظننْتَ حينَ غَدَرْتَ أنكَ مُفْلِتٌ [4] هبلَتْكَ أُمُّكَ ما ظَنَنْتَ غُرورُ!
ألقاكَ حَيْنُكَ فى زواجِرِ بَحْرِه فَطَمَتْ عليكَ مِنَ الإمامِ بُحورُ
إنَّ الإمامَ على اقْتسارِكَ قادِرٌ قَرُبَتْ دِيارُكَ أَمْ نأَتْ بكَ دُورُ
ليسَ الإمامِ وَإنْ غَفَلْنا غافِلًا عمَّا يَسوسُ بِحَزْمِهِ ويُديرُ
مَلِكٌ تجَرَّد للجِهَادِ بنَفسِهِ فَعَــدُوُّهُ أَبَدًا بِهِ مَقْهورُ
يا مَنْ يُريدُ رضَا الإلٰهِ بِسَعْيِهِ واللهُ لا يَخفَى عليْهِ ضَميرُ
لا نُصْحَ يَنْفَعُ مَنْ يَغُشُّ إمامَهُ والنصْحُ مِنْ نَصَحائِهِ مشكورُ
نصْحُ الإمامِ على الأنامِ فَريضَةٌ وَلأَهلِها كفَّارَةٌ وَطَهورُ

٦٩٧/٣

وفى ذلك يقول إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية :

إمامَ الهُدَى أصْبَحْتَ بالدِّينِ مَعْنِيًّا وأَصبَحتَ تَسْقِى كلَّ مُسْتمطِرٍ رِيًّا
لكَ اسْمانِ شُقَّا مِنْ رَشادٍ وَمِنْ هُدًى فأنْتَ الذِى تدعى رَشيدًا ومَهْدِيًّا
إذا ماسَخِطْتَ الشَّىءَ كانَ مُسَخَّطًا وإنْ تَرْضَ شيئاً كانَ فى الناسِ مَرْضِيًّا
بَسَطتَ لنا شَرْقاً وَغَرْباً يَدَ العُلا فأَوْسَعْتَ شَرقِيًّا وَأَوْسعْتَ غَرْبِيًّا
ووشَّيتَ وجْه الأرضِ بالجُودِ والنَّدَى فأصبح وجْهُ الأَرضِ بالجودِ مَوْشِيًّا
قَضَى اللهُ أنْ يَصْفُو لهارونَ مُلْكُهُ [5] وكَانَ قَضاءُ اللهِ فى الخَلقِ مَقضِيًّا
تحَلَّبَتِ الدنيا لهارونَ بالرِّضا فأَصْبَحَ نِقْفُورٌ لهارونَ ذِمِّيًّا

٦٩٨/٣

---

(١) ج : «وكأنما» .
(٢) ج : «تدور» .
(٣) ج : «فصرفت» .
(٤) س : «حين غدوت» .
(٥) س : «أن يبتنى لهارون» .

وقال التيميّ :

لَجَّتْ بِنِقْفورَ أسبابُ الرَّدَى عَبَثَا لمَّا رَأَتْهُ بِغِيلِ الليثِ قَدْ عَبِثا
ومنْ يَزُرْ غِيلَهُ لا يَخْلُ مِنْ فَزَعٍ إنْ فاتَ أنيابَهُ والمِخْلَبَ الشَّبِثا
خانَ العُهودَ وَمَنْ يَنكُثْ بِها فعَلَى حَوْبائِهِ ، لا على أَعدائِهِ نَكَثَا
كانَ الإمامُ الذِى تُرْجَى فواضِلهُ أَذاقَهُ ثمرَ الحِلْمِ الذى وَرِثا
فرَدَّ أُلفَتهُ مِنْ بَعدِ أَنْ عَطَفتْ أَزواجُهُ مَرِهاً يَبْكينَهُ شعِثَا

فلما فرغ من إنشاده ، قال : أوَ قد فعل نقفور ذلك! وعلِم أن الوزراء قد احتالوا له فى ذلك ، فكرّ راجعًا فى أشدّ محنة وأغلظ كلفة ، حتى أناخ بفنائه ، فلم يبرح حتى رضى وبلغ ما أراد ، فقال أبو العتاهية :

ألا نادَتْ هِرَقْلَةُ بالخَرابِ مِنَ المَلِكِ المُوَفَّقِ بِالصوَابِ
غدا هارونُ يَرْعُدُ بالمنايا ويَبْرُقُ بالمُذَكَّرَةِ القِضابِ
وَرَاياتٍ يَحِلُّ النَّصْرُ فيها تَمُرّ كأنَّها قِطَعُ السَّحابِ ٦٩٩/٣
أميرَ المؤمنينَ ظفِرتَ فاسلَمْ وأَبشرْ بالغنيمَةِ وَالإِيابِ

* * *

[خبر مقتل إبراهيم بن عثمان بن نهيك]

وفيها قُتل — فى قول الواقدىّ — إبراهيم بن عثمان بن نَهيك . وأما غير الواقدىّ ؛ فإنه قال : فى سنة ثمان وثمانين ومائة .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذُكر عن صالح الأعمى — وكان فى ناحية إبراهيم بن عثمان بن نَهيك — قال : كان إبراهيم بن عثمان كثيراً ما يذكر جعفر بن يحيى والبرامكة ، فيبكى جزعًا عليهم ، وحبًّا لهم ، إلى أن خرج من حدّ البكاء ، ودخل فى باب طالبى الثأر والإحَن ، فكان إذا خلا بجواريه وشرب وقوىَ عليه النبيذ ، قال : ياغلام ،

سيفى ذا المنيّة – وكان قد سمى سيفه ذا المنيّة – فيجيئه غلامه بالسيف فينتضيه ؛ ثم يقول : واجعفراه ! واسيّداه ! والله لأقتلنّ قاتلك ، ولأثأرنّ بدمك عن قليل ! فلما كثر هذا من فعله ، جاء ابنه عثمان إلى الفضل بن الربيع ، فأخبره بقوله ، فدخل الفضل فأخبر الرشيد ، فقال : أدخله ، فدخل ، فقال : ما الذى قال الفضل عنك ؟ فأخبره بقول أبيه وفعله ، فقال الرشيد : فهل سمع هذا أحدٌ معك ؟ قال : نعم خادمه نوال ، فدعا خادمه سرًّا فسأله ، فقال : لقد قال ذاك غير مرّة ولا مرتيْن ، فقال الرّشيد : ما يحلّ لى أن أقتل وليًّا من أوليائى بقول غلام وخَصِىّ ، لعلهما تواصيا على هذه المنافسة[1] ؛ الابن على المرتبة ، ومعاداة الخادم لطول الصحبة ، فترك ذلك أياماً ، ثم أراد أن يمتحن إبراهيم بن عثمان بمحنة تُزيل الشكّ عن قلبه ، والخاطر عن وهمه ؛ فدعا الفضلَ بن الربيع ، فقال : إنى أريد محنةَ إبراهيم بن عثمان فما رفع ابنه عليه ؛ فإذا رُفع الطعام فادع بالشراب ، وقل له : أجب أميرَ المؤمنين فينادمك ؛ إذْ كنت منه بالمحلّ الذى أنت به ، فإذا شرب فاخرج وخلّنى وإياه ، ففعل ذلك الفضل بن الربيع ؛ وقعد إبراهيم للشراب ، ثم وثب حين وثب الفضل بن الربيع للقيام ، فقال له الرشيد : مكانك يا إبراهيم ، فقعد ، فلما طابت نفسه ، أومأ الرّشيد إلى الغلمان فتنحّوْا عنه ، ثم قال : يا إبراهيم ؛ كيف أنت وموضع السرّ منك ؟ قال : يا سيّدى إنما أنا كأخصّ عبيدك ، وأطوع خدمك ، قال : إنّ فى نفسى أمراً[2] أريد أن أودعكه ، وقد ضاق صدرى به ، وأسهرتُ به ليلى ، قال : يا سيدى إذاً لا يرجع عنى إليك أبداً ، وأخفيه عن جنبى أن يعلمه ، ونفسى أن تذيعه . قال : ويحك ! إنى ندمت على قتل جعفر بن يحيى ندامةً ما أحسن أن أصفها ؛ فوددت أنى خرجت من مُلكى وأنه كان بقى لى ؛ فما وجدت طعم النوم منذ فارقتُه ، ولا لذّة العيش منذ قتلته ! قال : فلما سمعها إبراهيم أسبل دمعه[3] ، وأذرى عبرته ، وقال : رحم الله أبا الفضل ، وتجاوز عنه ! والله يا سيدى لقد أخطأتَ فى قتله ، وأوطئت

٣/٧٠٠

(١) ا ، ج : « بمنافسة لابن » .
(٢) بعدها فى ا ، س : « من الأمور » .
(٣) ج وابن الأثير : « دموعه » .

العَشْوة فى أمره ! وأين يوجد فى الدنيا مثله ! وقد كان منقطع القرين فى الناس أجمعين ديناً[1] . فقال الرشيد : قم عليك لعنة الله يابن اللخناء! فقام ما يعقل ما يطأ ، فانصرف إلى أمه ، فقال : يا أمّ ، ذهبت والله نفسى ، قالت : كلاّ إن شاءالله ، وما ذاك يا بنىّ؟ قال : ذاك أنّ الرشيد امتحننى بمحنةوالله؛ ولو كان[2] لى ألف نفس لم أنجُ بواحدة منها . فما كان بين هذا وبين أن دخل عليه ابنه — فضربه بسيفه حتى مات — إلا ليالٍ قلائل . ٧٠١/٣

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبيد الله بن العباس بن محمد بن علىّ .

(١) ساقطة من ا .
(٢) ج : « ولوكانت » .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر غزو إبراهيم بن جبريل الصائفة]

فمما كان فيها من ذلك غَزْو إبراهيم بن جبريل الصّائفةَ، ودخوله أرضَ الروم من درب الصَّفْصاف ، فخرج للقائه نيقْفور ، فورَدَ عليه من ورائه أمرٌ صرفه عن لقائه ، فانصرف ، ومرّ بقوم من المسلمين ، فجرح ثلاث جراحات ، وانهزم . وقتِل من الرّوم — فيما ذكر — أربعون ألفًا وسبعمائة ، وأخذ أربعة آلاف دابة .

* * *

وفيها رابط القاسم بن الرشيد بدَابِق .

وحجّ بالناس فيها الرشيد ، فجعل طريقه على المدينة ، فأعطى أهلها نصف العطاء؛ وهذه الحجّة هي آخر حَجة حجّها الرشيد؛ فيما زعم الواقديّ وغيره .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر شخوص الرشيد إلى الرىّ]

فمن ذلك ما كان من شخوص هارون الرشيد أمير المؤمنين فيها إلى الرّىّ.

ذكر الخبر عن سبب شخوصه إليها وما أحدث فى خرجته تلك فى سفره :

٧٠٢/٣ ذُكر أنّ الرشيد كان استشار يحيى بن خالد فى تولية خُراسان علىّ بن عيسى بن ماهان ، فأشار عليه ألاّ يفعل ، فخالفه الرّشيد فى أمره ، وولاّه إياها ، فلما شَخَص علىّ بن عيسى إليها ظلم الناس ، وعَسَر[1] عليهم ، وجمع مالاجليلا ، ووجّه إلى هارون منها هدايا لم يُرَ مثلها قطّ من الخيل والرقيق والثياب والمِسك والأموال ، فقعد هارون بالشّمّاسيّة على دكان مرتفع حين وصل ما بعث به علىّ إليه ، وأحضرت تلك الهدايا فعرِضْت عليه ، فعظمت فى عينه ، وجلّ عنده قدرُها ، وإلى جانبه يحيى بن خالد ، فقال له : يا أبا علىّ ؛ هذا الذى أشرْتَ علينا ألاتولّيه هذا الثغر ، فقد خالفناك فيه ، فكان فى خلافك البركة — وهو كالمازح معه إذ ذاك — فقد ترى ما أنتج رأينا فيه ، وما كان من رأيك ! فقال : يا أميرَ المؤمنين ، جعلنى الله فداك ! أنا وإن كنت أحبّ أن أصيب فى رأيى وأوفّق[2] فى مشورتى ، فأنا أحبّ من ذلك أن يكون رأى أمير المؤمنين أعلى ، وفراسته أثقب ، وعلمه أكثر من علمى ، ومعرفته فوق معرفتى ؛ وما أحسن هذا وأكثره إن لم يكن وراءه ما يكره أمير المؤمنين ، وما أسأل الله أن يعيذه ويُعفيه من سوء عاقبته ونتائج مكروهه ، قال : وما ذاك ؟ فأعلمه ، قال : ذاك أنى أحسب أنّ هذه الهدايا ما اجتمعتْ له حتى ظلم فيها الأشراف ، وأخذ[3] أكثرها ظلماً وتعدّياً ؛ ولو أمرنى أمير المؤمنين لأتيته بضعفها الساعة من بعض تجار الكرْخ ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : قد ساومْنا عوناً ٧٠٣/٣

---

(١) ا ، ج : « وعسف » . (٢) ا : « أوافق » .
(٣) ط : « وأخذها » ، وما أثبته من ا ، س .

على السَّفَط الذى جاءنا به من الجوْهر ، وأعطيناه به سبعة آلاف ألف ، فأبى أن يبيعه ، فأبعثُ إليه الساعة بحاجبى فآمره[1] أن يردّه إلينا ؛ لنعيد فيه نظرنا ؛ فإذا جاء به جَحدْناه ، وربحنا سبعة آلاف ألف ، ثم كنا نفعل بتاجرين من كبار التجار مثل ذلك . وعلى أنّ هذا أسلمُ عاقبة ، وأستر أمراً من فعل علىّ بن عيسى فى هذه الهدايا بأصحابها ؛ فأجمعُ لأمير المؤمنين فى ثلاث ساعات أكثرَ من قيمة هذه الهدايا بأهْون سعى ، وأيسر أمر ، وأجمل جباية ؛ ممّا جمع علىّ فى ثلاث سنين .

فوقرت فى نفس الرشيد وحفظها ، وأمسك عن ذكر علىّ بن عيسى عنده ، فلما عاث علىّ بن عيسى بخُراسان ووتر أشرافها ، وأخذ أموالهم ، واستخفّ برجالهم ، كتب رجال من كبرائها ووجوهها إلى الرشيد ، وكتبتْ جماعة من كورها إلى قَراباتها وأصحابها ، تشكو سوءَ سيرته ، وخبْث طعمته ، ورداءة مذهبه ، وتسأل أميرَ المؤمنين أن يبدّلها به من أحبّ من كفاته وأنصاره وأبناء دولته وقوّاده . فدعا يحيى بن خالد ، فشاوره فى أمر علىّ بن عيسى وفى صرفه ، وقال له : أشر علىّ برجل ترضاه لذلك الثغر يُصلح ما أفسد الفاسق ، ويرتِق ما فتق . فأشار عليه بيزيد بن مَزْيد ، فلم يقبل مشورته .

وكان قيل للرشيد : إن علىّ بن عيسى قد أجمع[2] على خلافك ، فشخص إلى الرىّ من أجل ذلك ، منصرفَه من مكة ، فعسكر بالنَّهروان لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، ومعه ابناه عبد الله المأمون والقاسم ، ثم سار إلى الرّىّ ، فلما صار بقَرْمَاسِين أشخص إليه جماعة من القُضاة وغيرهم ، وأشهدهم أنّ جميع ما له فى عسكره ذلك من الأموال والخزائن والسلاح والكُراع وما سوى ذلك لعبد الله المأمون ، وأنه ليس له فيه قليل ولا كثير . وجدّد البيعة له على مَنْ كان معه ، ووجّه هَرْثمة بن أعيَن صاحب حرسه إلى بغداد ، فأعاد أخذَ البَيْعة على محمد بن هارون الرشيد وعلى مَنْ بحضرته لعبد الله والقاسم ، وجعل أمر القاسم فى خلعه وإقراره إلى عبد الله ؛ إذا أفضت الخلافة

٣/٧٠٤

(١) كذا فى ا ، وهو الصواب ، وفى ط : « يأمره » .

(٢) ج : « اجتمع » .

إليه . ثم مضى الرشيد عند انصراف هرثمة إليه إلى الرىّ، فأقام بها نحواً من أربعة أشهر ؛ حتى قدم عليه علىّ بن عيسى من خراسان بالأموال والهدايا والطُّرف، من المتاع[1] والمسك والجوهر وآنية الذهب والفضة والسلاح والدوابّ ، وأهدى بعد ذلك إلى جميع مَنْ كان معه من ولده وأهل بيته وكتابه وخدمه وقوّاده على قَدْر طبقاتهم ومراتبهم ، ورأى منه خلاف ما كان ظنّ به وغير ما كان يقال فيه . فرضى عنه ، وردّه إلى خراسان ، وخرج وهو مشيّع له ؛ فذُكِر أن البيعة أخذت للمأمون والقاسم بولاية العهد بعد أخويْه محمد وعبد الله ، وسُمِّىَ المؤتمن حينَ وجّه هارون هرثمة لذلك بمدينة السلام[2] يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلتْ من رجب من هذه السنة ، فقال الحسن بن هانئ فى ذلك :

تبارَكَ مَنْ سَاسَ الأُمورَ بِعِلْمِهِ ... وفَضّلَ هاروناً على الخُلفاءِ

٣/٧٠٥ نزالُ بخَيْرٍ ما انطَوينا على التُّقَى ... وَما سَاسَ دنيانا أَبو الأُمناءِ

وفى هذه السنة — حين صار الرّشيد إلى الرىّ — بعث حسيناً الخادم إلى طَبَرِستان ، فكتب له ثلاثة كتب ؛ من ذلك كتاب فيه أمان لشَرْوين أبى قارن ، والآخر فيه أمان لونْداهرمز، جدّ مازيار ، والثالث فيه أمان لمرزبان ابن جستان ، صاحب الدَّيْلم . فقدم عليه صاحبُ الدَّيْلم ، فوهب له وكساه وردّه . وقدم عليه سعيد الحَرَشىّ بأربعمائة بطل من طبرستان ، فأسلموا على يد الرشيد ، وقدم ونداهرمز ، وقبل الأمان ، وضمن السمع والطاعة وأداء الخراج ، وضمن على شَرْوين مثل ذلك ؛ فقبل ذلك منه الرشيد وصرفه ، ووجّه معه هرثمة فأخذ ابنه وابن شَرْوين رهينة . وقدم عليه الرّىّ أيضاً خزيمة بن خازم ، وكان والى إرمينية ، فأهدى هدايا كثيرة .

* * *

وفى هذه السنة ولّى هارون عبد الله بن مالك طبرستان والرىّ والرُّويان

---

(١) ج : « والمتاع » .

(٢) س : « إلى مدينة السلام » .

ودُنْباوند وقُومِس وهَمَذَان . وقال أبو العتاهية في خَرْجة هارون هذه — وكان هارون وُلِد بالرىّ :

إنَّ أمينَ اللهِ فى خلْقِهِ حَنَّ به البِرُّ إلى مَوْلِدهْ
لِيُصْلِحَ الرَّىَّ وأقطارَها وَيُمطِرَ الخيْرَ بِها مِنْ يَدِهْ

٧٠٦/٣ وولّى هارون فى طريقه محمد بن الجنيد الطريقَ ما بين هَمَذان والرىّ ، وولّى عيسى بن جعفر بن سليمان عُمان ، فقطع البحر من ناحية جزيرة ابن كاوان ، فافتتح حصنًا بها وحاصر آخر ، فهجم عليه ابن مخلد الأزدىّ وهو غارٌّ ، فأسره وحمله إلى عُمان فى ذى الحجة ، وانصرف الرّشيد بعد ارتحال علىّ بن عيسى إلى خُراسان عن الرّىّ بأيام ، فأدركه الأضحى بقصر اللُّصوص ؛ فضحّى بها ، ودخل مدينة السلام يوم الاثنين ، لليلتين بقيتا من ذىالحجّة ، فلما مرّ بالجسر أمر بإحراق جُثّة جعفر بن يحيى ، وطوى بغداد ولم ينزلها ، ومضى من فَوْره متوجّهًا إلى الرّقة ، فنزل السَّيْلحين .

* * *

وذُكِر عن بعض قوّاد الرشيد أنّ الرشيد قال لما ورد بغداد : والله إنّى لأطوِى مدينةً ما وُضِعَتْ بشرق ولاغرب مدينة أيمن ولاأيسر منها ؛ وإنها لوطنى ووطن آبائى ، ودارمملكة بنى العباس ما بقُوا وحافظوا عليها ؛ وما رأى أحدٌ من آبائى سوءاً ولا نكبة منها ، ولا سِىء بها أحد منهم قطّ ، ولنعم الدّار هى ! ولكننّى أريد المناخ على ناحية أهل الشقاق والنفاق والبغض لأئمة الهدى والحبّ لشجرة اللعنة — بنى أمية — مع ما فيها من المارقة والمتلصّصة ومخيفى السبيل ؛ ولولا ذلك ما فارقتُ بغداد ما حييت ولا خرجت عنها أبداً .

وقال العباس بن الأحنف فى طىّ الرشيد بغداد :

ما أنخنا حتى ارْتَحَلنا فما نَفْـ رِقُ بيْنَ المناخِ والارْتحالِ
ساءَلونَا عن حالِنا إذْ قَدِمْنَا فَقَرنَّا وَدَاعَهُمْ بالسؤال

* * *

٧٠٧/٣ وفى هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والرّوم ، فلم يبق بأرض الروم[١] مسلم إلا فودى به – فيما ذكر – فقال مروان بن أبى حفصة فى ذلك :

وفُكَّتْ بِكَ الأَسرَى التى شُيِّدَتْ لها ... محابِسُ ما فيها حَمِيمٌ يَزورُها
على حِين أَعيَا المسلمينَ فِكاكُها ... وقالوا : سُجُونُ المُشرِكينَ قبورُها

* * *

ورابطَ فيها القاسم بدابِق .

وحجّ بالناس فيها العبّاس بن موسى بن عيسى بن موسى .

---

(١) ج : « فى أرض » .

ثم دخلت سنة تسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر ظهور خلاف رافع بن ليث]

فمنْ ذلك ما كان من ظهور رافع بن ليث بن نصر بن سيّار بسَمَرْقَنْد ، مخالفًا لهارون وخلعه إياه ، ونزعه يده من طاعته .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان سبب ذلك – فيما ذُكر لنا – أنّ يحيى بن الأشعث بن يحيى الطائيّ تزوّج ابنة لعمّه أبي النعمان ، وكانت ذاتَ يسار[1] ، فأقام بمدينة السلام ، وتركها بسَمَرْقَنْد ، فلما طال مقامه بها ، وبلغها أنه قد اتخذ أمهات أولاد ، التمست سببًا للتخلص منه ، فعيّ عليها ، وبلغ رافعًا خبرُها ، فطمع فيها وفي مالها ، فدسّ إليها مَنْ قال لها : إنه لا سبيلَ لها إلى التخلص من صاحبها ؛ إلا أن تشرك بالله ، وتحضر لذلك قومًا عدولا ، وتكشف شعرَها بين أيديهم ، ثم تتوبُ فتحلّ للأزواج ؛ ففعلت ذلك وتزوّجها رافع . وبلغ الخبر يحيى بن الأشعث ، فرُفع ذلك إلى الرّشيد ، فكتب إلى عليّ بن عيسى يأمره أن يفرّق بينهما ، وأن يعاقب رافعًا ويجلده الحدّ ، ويقيّده ويطوف به في مدينة سَمَرْقند مقيّدًا على حمار ؛ حتى يكون عظةً لغيره . فدرأ سليمان بن حميد الأزدي عنه الحدّ ، وحمله على حمار مقيّدًا حتى طلقها ، ثم حبسه في سجن سَمَرْقنْد ، فهرب من الحبْس ليلاً من عند حُميد بن المسيح – وهو يومئذ على شُرَط سَمَرْقند – فلحق بعليّ بن عيسى ببلْخ ، فطلب الأمان فلم يجبه عليّ إليه ، وهمّ بضرب عُنقه ، فكلّمه فيه ابنه عيسى بن عليّ ، وجدّد طلاق المرأة ، وأذن له في الانصراف إلى سَمَرْقند ، فانصرف إليها ، فوثب بسليمان ابن حميد ؛ عامل عليّ بن عيسى فقتله . فوجّه عليّ بن عيسى إليه ابنه ،

٣/٧٠٨

(١) كذا في ا ، وفي ط : « لسان » .

فمال الناس إلى سباع بن مسعدة ، فرأسوه عليهم ، فوثب على رافع فقيّده ، فوثبوا على سباع ، فقيّدوه ورأسوا رافعًا وبايعوه، وطابقه مَنْ وراء النهر ، ووافاه عيسى بن علىّ ، فلقيه رافع فهزمه ، فأخذ علىّ بن عيسى فى فَرْض الرجال والتأهب للحرب .

* * *

وفى هذه السنة غزا الرشيد الصائفة ، واستخلف ابنه عبد الله المأمون بالرّقة وفوّض إليه الأمور ، وكتب إلى الآفاق بالسّمْع له والطاعة ، ودفع إليه خاتم المنصور يتيمّن به ؛ وهو خاتم الخاصّة ، نقشه : « الله ثقتى آمنت به » . ٣/٧٠٩

وفيها أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون .

وفيها خرجت الروم إلى عين زَرْبة وكنيسة السّوْداء ، فأغارت وأسرت ، فاستنقذ أهل المصّيصة ما كان فى أيديهم .

* * *

[فتح الرشيد هرقلة]

وفيها فتح الرشيد هرقلة ، وبثّ الجيوش والسرايا بأرض الروم ؛ وكان دخلها — فيما قيل — فى مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق؛ سوى الأتباع وسوى المطوّعة وسوى من لا ديوان له ، وأناخ عبد الله بن مالك على ذى الكلاع ووجّه داود بن عيسى بن موسى سائحًا فى أرض الروم فى سبعين ألفًا ، وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودَبْسة ، وافتتح يزيد بن مخلد الصّفْصاف وملَقوبية — وكان فتح الرشيد هرقلة فى شوّال — وأخربها وسبى أهلها بعد مقام ثلاثين يومًا عليها ، وولّى حُمَيد بن مَعيوف سواحل بحر الشأم إلى مِصْر ، فبلغ حُميد قُبْرُس ، فهدم وحرق وسبى من أهلها[1] ستة عشر ألفًا ، فأقدمهم الرّافقة ، فتولّى بيعهم أبو البختَرىّ القاضى ، فبلغ أسقفّ قُبرس ألفى دينار .

وكان شخوص هارون إلى بلاد الروم لعشر بقين من رجب ؛ واتخذ

(١) س : « أهل قبرس » .

قلنسوة مكتوبًا عليها « غاز حاجّ » ، فكان يلبسها ، فقال أبو المعالى الكلابىّ : ٧١٠/٣

فَمنْ يَطْلبْ لقاءَكَ أو يُرِدْهُ فَبِالحَرَمَيْنِ أو أقصى الثغورِ
ففِى أَرْضِ العَدُوِّ على طِمِرٍّ وفى أَرضِ التَّرفُّهِ فَوْقَ كُورِ[١]
وما حازَ الثغورَ سِواكَ خَلْقٌ مِنَ المُتخلِّفينَ على الأُمورِ

ثم صار الرّشيد إلى الطُّوَانة ، فعسكر بها ، ثم رحل عنها ، وخلّف عليها عقبة بن جعفر ، وأمره ببناء منزل هنالك ، وبعث نقفور إلى الرشيد بالخرَاج والجزية ، عن رأسه وولىّ عهده وبطارقته وسائر أهل بلده خمسين ألف دينار ؛ منها عن رأسه أربعة دنانير ؛ وعن رأس ابنه استبراق دينارين . وكتب نقفور مع بطريقين من عظماء بطارقته فى جارية من سَبْى هِرَقلة كتابًا نسخته :

لعبد الله هارون أمير المؤمنين من نقفور ملك الروم. سلام عليكم ، أما بعد أيها الملك ، فإنّ لى إليك حاجة لا تضرّك فى دينك ولا دنياك ، هيّنة يسيرة ؛ أن تهب لابنى جارية من بنات أهل هِرَقلة ، كنت قد خطبتُها على ابنى ، فإن رأيتَ أن تسعفنى بحاجتى فعلت . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

واستهداه أيضًا طيبًا وسرادقا من سُرادقاته ؛ فأمر الرشيد بطلب الجارية ، فأحضِرَت وزُيِّنت وأجْلِست على سرير[٢] فى مضربه الذى كان نازلًا فيه ، وسلِّمت الجارية والمضرَب بما فيه من الآنية والمتاع إلى رسول نقفور ، وبعث إليه بما سأل من العطر ، وبعث إليه من التمور[٣] والأخبصة والزّبيب والتّرياق ، فسلّم ذلك كله إليه رسول الرشيد ، فأعطاه نقْفور وقْر دراهم إسلامية على برذون كُميت كان مبلغه خمسين ألف درهم ، ومائة ثوب دِيباج ومائتى ثوب بُزْيون[٤] ، واثنى عشر بازيًا ، وأربعة أكلب من كلاب الصّيد ، وثلاثة براذين . وكان نقفور اشترط ألاّ يخرب ذا الكَلاع ولا صمله ولا حصن سنان ، ٧١١/٣

(١) ا ، س : « فى أرض البرية » . (٢) ج : « فراش » .
(٣) س : « التمر » .
(٤) البزيون : ضرب من نسيج البز أو من رقيق الديباج ، مركب من : « بز » ومن : « يون » ، أى يشبه البز . وانظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ٢٢ .

واشترط الرّشيد عليه ألا يعمّر هرقلة ، وعلى أن يحمل نقفور ثلثمائة ألف دينار .

وخرج فى هذه السنة خارجىّ من عبد القيس يقال له سيف بن بكر ، فوجّه إليه الرشيد محمد بن يزيد بن مَزْيد ، فقتله بعين النُّورَة .

ونقض أهل قُبرس العَهد ، فغزاهم معيوف بن يحي فسبى أهلَها .

* * *

وحجّ بالناس فيها عيسى بن موسى الهادى .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج خارجىّ يقال له ثروان بن سيف بناحية حَوْلايا ؛ فكان يتنقّل بالسواد ، فوجّه إليه طوق بن مالك فهزَمه طوق وجرحه ، وقتل عامة أصحابه ، وظنّ طوق أنه قد قتل ثروان ، فكتب بالفتح ، وهرب ثروان مجروحًا .

وفيها خرج أبو النداء بالشام[١] فوجّه الرشيد[١] فى طلبه يحيى بن معاذ ، وعقَد له على الشأم .

وفيها وقع الثلج بمدينة السلام .

وفيها ظفر حماد البربرىّ بهيصم اليمانىّ . ٣/٧١٢

وفيها غلُظ أمر رافع بن ليث بسَمَرْقند .

وفيها كتب أهل نَسَف إلى رافع يعطونه الطاعة ، ويسألونه أن يوجّه إليهم منْ يعينهم على قتل عيسى بن علىّ ، فوجّه صاحب الشاش فى إتراكه قائداً منْ قوّاده ، فأتوْا عيسى بن علىّ ، فأحدقوا به وقتلوه فى ذى القعدة ، ولم يعرضوا لأصحابه .

وفيها ولّى الرشيد حمّوَيه الخادم بريد خُراسان .

وفيها غزا يزيد بن مخلد الهبيرىّ أرضَ الروم فى عشرة آلاف . فأخذت الرّوم عليه المضيق ، فقتلُوه على مَرْحلتين من طَرَسوس فى خمسين[٢] رجلا ، وسلِم الباقون .

وفيها ولّى الرشيد غزو الصائفة هرثمةَ بن أعْين ، وضمّ إليه ثلاثين ألفًا من جند خُراسان ، ومعه مسرور الخادم ؛ إليه النفقات وجميع الأمور ، خلا الرياسة .

(١ – ١) ج : « فوجه إليه الرشيد » .
(٢) ا : « سبعين » .

ومضى الرّشيد إلى دَرْب الحدَث (١) ، فرتّب هنالك عبدالله بن مالك ، ورتّب سعيد بن سلم بن قتيبة بمَرْعَش ، فأغارت الروم عليها ، وأصابوا من المسلمين وانصرفوا وسعيد بن سلم مقيم بها ، وبعث محمد بن يزيد بن مزيد إلى طَرَسوس ، فأقام الرشيد بدرْب الحدث ثلاثة أيام من شهر رمضان ، ثمّ انصرف إلى الرّقة .

٧١٣/٣ وفيها أمر الرّشيد بهدم الكنائس بالثغور ، وكتب إلى السندىّ بن شاهك يأمره بأخذ أهل الذّمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين فى لباسهم وركوبهم .

* * *

وفيها عزَل الرشيد علىّ بن عيسى بن ماهان عن خُراسان وولاها هرثمة .

ذكر الخبر عن سبب عزل الرشيد علىّ بن عيسى وسخطه عليه

قال أبو جعفر : قد ذكر قبلُ سبب هلاك ابن علىّ بن عيسى وكيف قُتِل . ولمّا قتل ابنه عيسى خرج علىّ عن بلْخ حتى أتى مَرْو مخافةَ أن يسير إليها رافع بن الليث ، فيستولى عليها . وكان ابنه عيسى دفن فى بستان داره ببلخ أموالا عظيمة — قيل إنها كانت ثلاثين ألف ألف — ولم يعلم بها علىّ بن عيسى ولا اطلع على ذلك إلا جارية كانت له ، فلما شخص علىّ عن بلْخ أطلعت الجارية على ذلك بعضَ الخدم ، وتحدّث به الناس ، فاجتمع قُرّاء أهل بلْخ ووجوهها ، فدخلوا البستان فانتهبوه وأباحوه للعامة ، فبلغ الرّشيد الخبر ، فقال : خرج علىّ من بلْخ عن غير أمرى ، وخلّف مثل هذا المال ؛ وهو يزعم أنه قد أفْضَى إلى حَلْىِ نسائه فيما أنفق على محاربة رافع ! فعزله عند ذلك ، وولّى هرثمة بن أعيَن ، واستصفى أموال علىّ بن عيسى ، فبلغت أمواله ثمانين ألف ألف .

وذكر عن بعض الموالى أنه قال : كنا بجُرْجان مع الرشيد وهو يريد

---

(١) ا : « حرب الحدث » .

خُراسان، فوردت خزائن علىّ بن عيسى التى أخذت له على ألف وخمسمائة بعير ، وكان علىّ مع ذلك قد أذلّ الأعالى من أهل خُراسان وأشرافهم . ٣/٧١٤

وذكر أنه دخل عليه يوماً هشام بن فرخسرو والحسين بن مصعب ، فسلّما عليه ، فقال للحسين : لا سلّم الله عليك يا ملحد يابن الملحد! والله إنّى لأعرف ما أنتَ عليه من عداوتك للإسلام وطعنك فى الدين ، وما أنتظر بقتلك إلا إذن الخليفة فيه ، فقد أباح الله دمَك ، وأرجو أن يسفكه الله على يدى عن قريب ، ويعجلك[1] إلى عذابه . ألستَ المرجف بى فى منزلى هذا بعد ما ثملتَ من الخمر ، وزعمت أنه[2] جاءتك كتب من مدينة السلام بعزلى ! اخرج[3] إلى سخط الله ، لعنك الله ، فعن قريب ما تكون من أهلها ! فقال له الحسين : أعيذ بالله الأميرَ أن يقبل قول واشٍ ، أو سعاية باغٍ ، فإنى برىء مما قُرفت[4] به . قال : كذبت لا أمّ لك ! قد صحّ عندى أنك ثملت من الخمر ، وقلت ما وجب عليكَ به أغلظ[5] الأدب ؛ ولعلّ الله أن يعاجلك ببأسه ونقمته[6] ؛ اخرج عنى غير مستور ولا مصاحَب . فجاء الحاجب فأخذ بيده فأخرجه ، وقال لهشام بن فرخسرو : صارت دارك دار الندوة ؛ يجتمع[7] فيها إليك السفهاء ، وتطعن على الولاة ! سفك الله دمى إن لم أسفك دمك ! فقال هشام : جُعلت فداء الأمير ! أنا والله مظلوم مرحوم ؛ والله ما أدَعُ فى تقريظ الأمير جهدًا ، وفى وصفه قولا إلاّ خصصتُه به وقلته فيه ؛ فإن كنت إذا[8] قلتُ خيراً نقل إليك شرًّا[9] فما حيلتى ! قال : كذبت لا أمّ لك ؛ لأنا أعلم بما تنطوى عليه جوانحك من ولدك وأهلك ، فاخرج فعن قريب أريح منك نفسى . فخرج . فلمّا كان فى آخر الليل دعا ابنتَه عالية — وكانت من أكبر ولده — فقال لها : أىْ بنيّة ، إنى أريد أن أفضىَ إليك بأمر إن أنت أظهرتِه قتِلتُ ، وإن حفظتِه سلمتُ ، فاختارى بقاء أبيك على موته ، قالت : ٣/٧١٥

---

(١) ج : « ويجعلك » .
(٢) س : « أنك » .
(٣) ف : « فاخرج » .
(٤) ا ، ج : « قذفت » .
(٥) ا ، ج : « غليظ » .
(٦) ج : « ونقمه » .
(٧) ج : « تجتمع » .
(٨) ج : « إذ » .
(٩) س : « إليه شرًّا » .

وما ذاك[1] جُعلت فداك ! قال : إنى أخاف هذا الفاجر علىّ بن عيسى على دمى ، وقد عزمت على أن أظهر أنّ الفالج أصابنى ، فإذا كان فى السّحَر فاجمعى جواريك ، وتعالىْ إلى فراشى وحرّكينى ؛ فإذا رأيت حركتى قد ثقلت ، فصيحى أنت وجواريك ، وابعثى إلى إخوتك فأعلميهم علّتى . وإياك ثم إياك أن تطلعى[2] على صحة بدنى أحداً من خلْق الله من قريب أو بعيد . ففعلتْ — وكانت عاقلة حازمة — فأقام مطروحًا على فراشه حينًا لا يتحرّك إلا إن حُرّك ، فيقال إنه لم يعلم من أهل خُراسان أحدٌ من عزل علىّ بن عيسى بخبر ولا أثر غيرُ هشام ؛ فإنه توهم عزله ، فصحّ توهمه .

ويقال : إنه خرج فى اليوم الذى قدم فيه هرْثمة لتلقّيه ، فرآه فى الطريق رجل من قوّاد علىّ بن عيسى ، فقال : صحّ الجسم ؟ فقال : ما زال صحيحًا بحمد الله ! وقال بعضهم : بل رآه علىّ بن عيسى ، فقال : أين بك ؟ فقال : أتلقّى أميرنا أبا حاتم ، قال : ألم تكن عليلا ؟ قال : بلى ؛ فوهب الله العافية ، وعزل الله الطاغية فى ليلة واحدة .

وأما الحسين بن مصعب فإنه خرج إلى مكّة مستجيراً بالرّشيد من علىّ بن عيسى ، فأجاره .

ولما عزم الرشيد على عزل علىّ بن عيسى دعا — فيما بلغنى — هرثمة بن أعين مستخليًا به فقال : إنى لم أشاور فيك أحداً ، ولم أطلعه على سرّى فيك ، وقد اضطرب علىّ ثغور المشرق ، وأنكر أهل خراسان أمْرَ علىّ بن عيسى ؛ ٣/٧١٦ إذ خالف عهدى ونبذه وراء ظهره ؛ وقد كتب يستمدّ ويستجيش ، وأنا كاتب إليه ، فأخبره أنى أمدّه بك ، وأوجّه إليه معك من الأموال والسلاح والقوّة والعدّة ما يطمئنّ إليه قلبه ، وتتطلع إليه نفسه ، وأكتب معك كتابًا بخطى فلا تفضّنّه ، ولا تطلعنّ فيه حتى تصل[3] إلى مدينة نيسابور ؛ فإذا نزلتَها فاعمل بما فيه ، وامتثله ولا تجاوزه ، إن شاء الله ، وأنا موجّه معك رجاء الخادم بكتاب أكتبه إلى علىّ بن عيسى بخطى ؛ ليتعرّف ما يكون منك ومنه ؛ وهوّنْ عليه أمْرَ

---

(١) ج : « وماهو » .
(٢) س : « يطلع » .
(٣) س : « نصير » .

عليّ فلا تظهرنّه عليه، ولا تعلمنّه ما عزمتُ عليه، وتأهبّ للمسير، وأظهر لخاصّتك وعامّتك أني أوجّهك مدداً لعليّ بن عيسى وعوناً له. قال: ثم كتب إلى عليّ بن عيسى بن ماهان كتاباً بخطه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم. يابن الزانية، رفعتُ من قدرك، ونوّهت باسمك، وأوطأت سادة[1] العرب عقبك، وجعلتُ أبناء ملوك العجم خوَلك وأتباعك؛ فكان جزائي أن خالفتَ عهدي، ونبذتَ وراء ظهرك أمري؛ حتى عثت في الأرض، وظلمت الرّعية، وأسخطت الله وخليفته[2]؛ بسوء سيرتك، ورداءة طعمتك، وظاهر خيانتك، وقد ولّيت هرثمة بن أعين مولايَ ثغر خراسان، وأمرته أن يشدّ وطأته عليك وعلى ولدك وكتابك وعمالك، ولا يترك وراء ظهوركم درهماً، ولا حقّاً لمسلم ولا معاهد إلا أخذكم به؛ حتى تردّه إلى أهله؛ فإن أبيْتَ ذلك وأباه ولدك وعمّالك فله أن يبسط عليكم العذاب، ويصبّ عليكم السياط، ويُحلّ بكم ما يحلّ بمن نكثَ وغيّر، وبدّل وخالف، وظلم وتعدّى وغشم، انتقاماً لله عزّ وجلّ بادئاً، ولخليفته ثانياً، وللمسلمين والمعاهدين ثالثاً؛ فلا تعرض نفسك للتي لا شوَى لها، واخرج مما يلزمك طائعاً أو مكرهاً.

٣/٧١٧

وكتب عهد هرثمة بخطه:

هذا ما عهد هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى هرثمة بن أعين حين ولاّه ثغر خراسان وأعماله وخراجه؛ أمرَه بتقوى الله وطاعته ورعاية أمر الله ومراقبته[3]، وأن يجعل كتاب الله إماماً في جميع ما هو بسبيله، فيحلّ حلاله ويحرّم حرامه، ويقف عند متشابهه؛ ويسأل عنه أولي الفقه في دين الله وأولي العلم بكتاب الله، أو يردّه إلى إمامه ليريَه الله عزّ وجلّ فيه رأيه، ويعزم له على رشده، وأمره أن يستوثق من الفاسق عليّ بن عيسى وولده وعماله وكتابه، وأن يشدّ عليهم وطأته، ويُحلّ بهم سطوته، ويستخرج منهم كلّ مال

---

(١) ج: «سادات».
(٢) س: «في خليفته».
(٣) ج: «وموافقته».

يصحّ عليهم من خراج أمير المؤمنين وفىء المسلمين ؛ فإذا استنظف ما عندهم وقِبَلهم من ذلك ، نظر فى حقوق المسلمين والمعاهدين ، وأخذهم بحقّ كلّ ذى حقّ حتى يردّوه إليهم ؛ فإن ثبتت قبَلهم حقوق لأمير المؤمنين وحقوق للمسلمين ؛ فدافَعوا بها وجحدوها ، أن يصبّ عليهم سوط عذاب الله وأليم نقمته ؛ حتى يبلغ بهم الحال التى إن تخطّاها بأدنى أدب ، تلفتْ أنفسُهم ، وبطلت أرواحهم ؛ فإذا خرجوا من حقّ كلّ ذى حقّ ، أشخصهم كما تشخص العصاة من خُشونة الوِطاء وخشونة المطعم والمشرب وغلظ الملبس ، مع الثقات من أصحابه إلى باب أمير المؤمنين ، إن شاء الله . فاعمل يا أبا حاتم بما عهدتُ إليك ، فإنى آثرتُ الله ودينى على هواىَ وإرادتى ، فكذلك فليكن عملُك ، وعليه فليكن أمرك ، ودبّر فى عمال الكُور الذين تمرّبهم فى صُعودك ما لا يستوحشون معه إلى أمرٍ يريبهم وظنّ يرعبُهم . وابسُط من آمال أهل ذلك الثّغْر ومن أمانهم وعذرهم ، ثم اعمل بما يرضى الله منك وخليفته ، ومَن ولاك الله أمره إن شاء الله . هذا عهدى وكتابى بخطّى ، وأنا أشهد الله وملائكته وحملةَ عرشه وسكان سمواته وكفى بالله شهيداً .

٣/٧١٨

وكتب أمير المؤمنين بخطّ يده لم يحضره إلا الله وملائكته .

ثم أمر أن يكتب كتاب هرثمة إلى علىّ بن عيسى فى معاونته وتقوية أمره والشدّ على يديه ؛ فكتب وظهر الأمر بها ؛ وكانت كتب حَمّوَيْه وردت على هارون : إنّ رافعاً لم يخلع ولا نَزَع السَّواد ولا من شايعه ، وإنما غايتهم عزل علىّ بن عيسى الذى قد سامهم المكروه .

* * *

[خبر شخوص هرثمة بن أعين إلى خراسان والياً عليها]

٣/٧١٩

ومن[1] ذلك ما كان من شخوص هرثمة بن أعين إلى خراسان والياً عليها .

• ذكر الخبر عما كان من أمره فى شخوصه إليها وأمر علىّ بن عيسى وولده :

---

(١) قبل هذه الكلمة فى ا ، ج : « ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائة » .

ذُكر أن هرثمة مضى فى اليوم السادس من اليوم الذى كتب له عهده الرشيد وشيّعه الرشيد، وأوصاه بما يحتاج إليه، فلم يعرّج هرثمة على شىء، ووجّه إلى علىّ بن عيسى فى الظاهر أموالاً وسلاحًا، وخلعًا وطيباً؛ حتى إذا نزل نيسابور جَمَعَ جماعة من ثقات أصحابه وأولى السنّ والتجربة منهم؛ فدعا كلّ رجل منهم سرًّا، وخلا به، ثم أخذ عليهم العهود والمواثيقَ أن يكتموا أمره، ويطوُوا سِرّه، وولّى كلّ رجل منهم كُورة[1]، على نحو ما كانت حاله عنده؛ فولّى جُرجان ونيسابور والطبَسين ونَسا وسَرَخْس، وأمّر كلّ واحد[2] منهم، بعد أن دفع إليه عهدَه بالمسير[3] إلى عمله الذى ولاّه على أخفى الحالات وأسترها، والتشبّه بالمجتازين فى وُرودهم الكُور ومقامهم فيها إلى الوقت الذى سمّاه لهم، وولّى إسماعيل بن حفص بن مصعب جُرجان بأمر الرشيد، ثم مضى حتى إذا صار من مَرْو على مرحلة، دعا جماعة من ثقات أصحابه، وكتب لهم أسماء ولد علىّ بن عيسى وأهل بيته وكُتّابه وغيرهم فى رقاع، ودفع إلى كلّ رجل منهم رقعة باسم مَنْ وَكّله بحفظه إذا هو دخل مَرْو، خوفًا من أن يهربوا إذا ظهر أمره. ثم وجّه إلى علىّ بن عيسى: إن أحبّ الأميرُ أكرمه الله أن يوجّه ثقاته لقبض ما معى من أموال فَعَل؛ فإنه إذا تقدّم المال أمامى كان أقوَى للأمير، وأفتّ فى عضد أعدائه. وأيضًا فإنى لا آمنُ عليه إن خلّفته وراء ظهرى؛ أن يطمع فيه بعض من تَسمُو إليه نفسه إلى أن يقتطع بعضه، ويفترض غفلتنا عند دخول المدينة. فوجّه علىّ بن عيسى جهابذته وقهارمته لقبض المال، وقال هرثمة لخُزّانه: اشغلوهم هذه الليلة، واعتلّوا عليهم فى حَمْل المال بعلّة تقرب من أطماعهم، وتزيل الشكّ عن قلوبهم، ففعلوا. وقال لهم الخُزّان: حتى تؤامروا أبا حاتم فى دوابّ المال والبغال. ثم ارتحل نحو مدينة مَرْو، فلما صار منها على ميلين تلقّاه علىّ بن عيسى فى ولده وأهل بيته وقوّاده بأحسن لقاءوآنسه؛ فلمّا وقعت عين هرثمة عليه، ثنى رجله لينزل عن دابته فصاح به علىّ: والله لئن نزلتَ لأنزلنّ، فثبت على سَرْجه، ودنا كلّ[4] منهما من صاحبه فاعتنقا، وسارا، وعلىّ يسأل هرثمة عن

٣/٧٢٠

(١) ج: «كوراً».
(٢) ج: «رجل».
(٣) س: «المصير».
(٤) ا، ج: «كل واحد».

أمْر الرشيد وحاله وهيئته وحال خاصّته وقوّاده وأنصار دولته ؛ وهرثمة يُجيبه ؛ حتى صار إلى قنطرة لا يجوزها إلاّ فارس ، فحبس هرثمة لجام دابته ، وقال لعليّ : سر على بركة الله ، فقال عليّ : لا والله لا أفعل حتى تمضى أنت ، فقال : إذاً والله لا أمضى ، فأنت الأمير وأنا الوزير ؛ فمضى وتبعه هرثمة حتى دخلاَ مَرْو ، وصارا إلى منزل عليّ ، ورجاء الخادم لا يفارق هرثمة فى ليل ولا نهار ، ولا ركوب ولا جلوس ؛ فدعا عليّ بالغداء فطعما ، وأكلَ معهما رجاء الخادم ، وكان عازماً على ألاّ يأكل معهما ، فغمزه هرثمة وقال : كُل فإنك جائع ، ولا رَأيَ لجائع ولا حاقن ؛ فلما رُفع الطعام قال له عليّ : قد أمرت أن يفرغ لك قصر على الماشَان ؛ فإن رأيتَ أن تصير إليه فعلت. فقال له هرثمة : إن معى من الأمور ما لا يتحمَّل تأخير المناظرة فيها ؛ ثم دفع رجاء الخادم كتاب الرشيد إلى عليّ ، وأبلغه رسالته . فلما فضّ الكتاب فنظر إلى[1] أوّل حرف منه سُقِط فى يده ، وعلم أنه قد حلّ به ما يخافُه ويتوقعه ، ثم أمر هرثمة بتقييده وتقييد ولده وكتابه وعماله — وكان رحل[2] ومعه وقْر من قيود وأغلال — فلما استوسق منه صار إلى المسجد الجامع ، فخطب وبسط من آمال الناس ، وأخبر أن أمير المؤمنين ولاّه ثغورهم لما انتهى إليه من سوء سيرة الفاسق عليّ ابن عيسى ، وما أمره به فيه وفى عمّاله وأعوانه ، وأنه بالغ من ذلك ومن إنصاف العامة والخاصّة ، والأخذ لهم بحقوقهم أقصى مواضع الحقّ . وأمر بقراءة عهده عليهم . فأظهروا السرور بذلك ، وانفسحت آمالهم ، وعظم رجاؤهم ، وعلت بالتكبير والتهليل أصواتهم ، وكثر الدعاء لأمير المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء .

٧٢١/٣

ثم انصرف ، فدعا بعليّ بن عيسى وولده وعماله وكُتّابه ، فقال : اكفونى مؤنتكم ، واعفونى من الإقدام بالمكروه عليكم . ونادى فى أصحاب ودائعهم ببراءة الذّمة من رجل كانت لعليّ عنده وديعة أو لأحد من ولده أو كتابه أو عماله وأخفاها ولم يظهر عليها ؛ فأحضره الناس ما كانوا أودعوا إلاّ رجلا من أهل مَرْو — وكان من أبناء المجوس — فإنه لم يزل يتلطف للوصول[3] إلى عليّ بن عيسى حتى صار إليه ، فقال له سرًّا : لك عندى مال ، فإن احتجتَ

(١) س : « ف » . (٢) س : « دخل » .
(٣) ج : « بالوصل »

إليه حملتُه إليك أوّلاً فأوّلاً ، وصبرت للقتل فيك؛ إيثاراً للوفاء وطلباً لجميل الثناء ، وإن استغنيْت عنه حبستُه عليك حتى ترى فيه رأيك . فعجب عليّ ٣/٧٢٢
منه ، وقال : لو اصطنعتُ مثلك ألف رجل ماطمع فيّ السلطان ولا الشيطان أبداً.
ثم سأله عن قيمة ما عنده ؛ فذكر له أنه أودعه مالاً وثياباً ومسْكاً ، وأنه لا يدري ما قدر ذلك ؛ غير أنه أودعه بخطّه . وأنه محفوظ لم يشذّ منه شيء. فقال له : دعه ؛ فإن ظُهِر عليه سلّمته ونجوت بنفسك ، وإن سلمت به رأيت فيه رأيي .
وجزاه الخير ، وشكر له فعله ذلك أحسن شكر ، وكافأه عليه وبرّه . وكان يُضرب به المثل بوفائه ؛ فذكر أنه لم يتستر عن[1] هرْثمة من مال عليّ إلا ما كان أودعه هذا الرجل – وكان يقال له : العلاء بن ماهان – فاستنظف هرثمة ما وراء ظهورهم حتى حَلْي نسائهم ؛ فكان الرجل يدخل إلى المنزل فيأخذ جميع ما فيه ؛ حتى إذا لم يبق فيه إلاّ صوف أو خشب أو ما لا قيمة له قال للمرأة : هاتي ما عليك من الحلْي ، فتقول للرجل إذا دنا منها لينزع ما عليها : ياهذا ، إن كنتَ محسناً فاصرف بصرك عنّي ، فوالله لا تركتُ شيئاً من بغيتك عليّ إلاّ دفعتُه إليك ؛ فإن كان الرجل يتحوّب من الدّنوّ إليها أجابها إلى ذلك حتى ربما نبذت إليه بالخاتم والخلخال وما قيمته عشرة دراهم ، ومَنْ كان بخلاف هذه الصّفة ، قال : لا أرضى حتى أفتّشك ؛ لا تكونين قد خبأت ذهباً أو دُرّاً أو ياقوتاً ؛ فيضرب يده إلى مغابنها وأرفاغها ؛ فيطلب فيها ما يظنّ أنها قد سترته عنه ؛ حتى إذا ظنّ أنه قد أحكم هذا كلّه وجّهه على بعير بلا وطاء تحته ، وفي عنقه سلسلة ، وفي رجله قيود ثقال ما يقدر معها على نهوض واعتماد . ٣/٧٢٣

فذُكِر عمّن شهد أمر هرثمة وأمره ؛ أن هرْثمة لما فرغ من مطالبة عليّ بن عيسى وولده وكتّابه وعمّاله بأموال أمير المؤمنين ، أقامهم لمظالم الناس ، فكان إذا بَرِدَ للرجل عليه أو على أحد من أصحابه حق ، قال : اخرج للرجل من حقّه ، وإلا بسطت عليك ، فيقول عليّ : أصلح الله الأمير !

---

(١) ا : « لم يشذ على هرثمة » .

أجّلني يومًا أو يومين ، فيقول : ذلك إلى صاحب الحقّ ، فإن شاء فعل . ثم يُقبل على الرجل ، فيقول : أترى أن تَدَعه ؟ فإن قال : نعم ، قال : فانصرف وعُدْ إليه ، فيبعث عليّ إلى العلاء بن ماهان ، فيقول له : صالحْ فلانا عنّي [1] من كذا وكذا على كذا وكذا ، أو على ما رأيت ، فيصالحه ويُصلح أمره .

وُذكر أنه قام إلى هرثمة رجل ، فقال له : أصلح الله الأمير ! إن هذا الفاجر أخذ مني دَرَقة [2] ثمينة لم يملك أحد مثلها ، فاشتراها على كُرْه مني ولم أرِدْ بيعها بثلاثة آلاف درهم ؛ فأتيت قهرمانه أطلب ثمنَها ، فلم يعطني شيئًا ، فأقمت حَوْلاً أنتظر ركوب هذا الفاجر ؛ فلما ركب عرضتُ له وصِحْت به : أيها الأمير ، أنا صاحب الدّرَقة ، ولم آخذ لها ثمنًا إلى هذه الغاية ، فقذَف أمّي ولم يعطني حقّي ، فخذ لى بحقي من مالي [3] وقَذْفِه أمي ، فقال : لك بيّنة ؟ قال : نعم ، جماعة حضروا كلامه ؛ فأحضرهم فأشهدهم [4] على دعواه ، فقال هرثمة : وجب عليك الحدّ ، قال : ولِمَ ؟ قال : لقذفك أمّ هذا ، قال : مَنْ فقّهك [5] وعلّمك هذا ؟ قال : هذا دين المسلمين ، قال : فأشهد أن أمير المؤمنين قد قذَفك غير مرّة ولا مرّتين ؛ وأشهد أنك قد قذفت بنيك ما لا أحصي ، مرةً حاتمًا ومرة أعين ؛ فمن يأخذ لهؤلاء بحدودهم منك ؟ ومن يأخذ لك من مولاك ! فالتفت هرثمة إلى صاحب الدّرَقة ، فقال : أرى لك أن تطالب هذا الشيطان بدرقتك أو ثمنها ، وتترك مطالبته بقذفه أمّك . ٣/٧٢٤

* * *

[كتاب هرثمة إلى الرشيد فى أمر عليّ بن عيسى]

ولما حمل هرثمة عليًا إلى الرّشيد ، كتب إليه كتابًا يخبره ما صنع ؛ نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ؛ فإن الله عزّ وجلّ لم يزل يبلى أمير المؤمنين فى كلّ ما قلده من خلافته ، واسترعاه من أمور [6] عباده وبلاده أجمل

---

(١) س : « على » .
(٢) الدرقة : الترس من جلد بلا خشب ولا عقب ، وتسمى الحجفة أيضاً .
(٣) س : « ماله » .
(٤) ا ، س : « فشهدوا » .
(٥) ج : « فهمك » .
(٦) س : « أمر » .

البلاء وأكمله ، ويعرّفه فى كلّ ما حضره ونأى عنه من خاصّ أموره وعامّها ، ولطيفها وجليلها أتمّ الكفاية وأحسن الولاية ، ويعطيه فى ذلك كلّه أفضل الأمنيّة ، ويبلغه فيه أقصى غاية الهمة ، امتنانًا منه عليه ، وحفظًا لما جعل إليه ، مما تكفّل بإعزازه وإعزاز أوليائه وأهل حقه وطاعته؛ فيستتمّ الله أحسن ما عوّده وعوّدنا من الكفاية فى كلّ ما يؤدّينا إليه ، ونسأله توفيقنا لما نقضى به المفترَض من حقّه فى الوقوف عند أمره ، والاقتصار على رأيه .

ولم أزل أعزّالله أمير المؤمنين ، مذ فصَلت عن معسكر أمير المؤمنين ممتثلاً ما أمرنى به فيما أنهضنى له ؛ لا أجاوز ذلك ولا أتعدّاه إلى غيره ، ولا أتعرّف اليُمْن والبركة إلا فى امتثاله ؛ إلى أن حللتُ أوائل خُراسان ؛ صائنًا للأمر الذى أمرنى أمير المؤمنين بصيانته وستره ؛ لا أفضى ذلك إلى خاصىّ ولا إلى عامىّ ، ودبّرتُ فى مكاتبة أهل الشاش وفَرْغانة وخزْلهما[1] عن الخائن ، وقطع طمعه وطمع مَنْ قِبَله عنهما ، ومكاتبة مَنْ ببلْخ بما كنت كتبت به إلى أمير المؤمنين وفسّرت له ، فلما نزلت نيسابور عملتُ فى أمر الكُوَر التى اجتزت عليها بتولية مَنْ ولّيت عليها ، قبل مجاوزتى إياها ؛ كجرجان ونَيْسابور ونَسا وسَرَخْس ، ولم آلُ الاحتياط فى ذلك ، واختيار الكفاة وأهل الأمانة والصّحة من ثقات أصحابى ، وتقدّمت إليهم فى ستر[2] الأمر وكتمانه ، وأخذت عليهم بذلك أيمانَ البَيْعة ، ودفعت إلى كلّ رجل منهم عهدَه بولايته ، وأمرتهم بالمسير[3] إلى كوَرأعمالهم على أخفى الحالات وأسترها ، والتّشبّه بالمجتازين فى وُرودهم الكُوَر ومقامهم بها إلى الوقت الذى سمّيتُ لهم ؛ وهو اليوم الذى قدّرت فيه دخولى إلى مَرْو ، والتقائى وعلىّ بن عيسى ، وعملت فى استكفائى[4] إسماعيل بن حفص بن مصعب أمرَ جُرجان بما كنت كتبت به إلى أمير المؤمنين ، فنفذ[5] أولئك العمال لأمرى ، وقام كلّ رجل منهم فى الوقت الذى وُقّتَ له بضبط عمله وإحكام ناحيته ، وكفى الله أميرَ المؤمنين المؤنةَ فى ذلك ، بلطيف[6] صنعه .

٧٢٥/٣

(١) خزلهما عن الخائن ، أى إبعادهما عنه .
(٢) س : « بستر » .
(٣) ا ، س : « بالمصير » .
(٤) ا ، س : « استكفاء » .
(٥) س : « فتنفذ » .
(٦) ا ، ج : « بلطف » .

ولما صرتُ من مدينة مَرْو على منزل، اخترت عِدّةً من ثقات أصحابي، وكتبت بتسمية ولد عليّ بن عيسى وكتّابه وأهل بيته وغيرهم رقاعًا، ودفعت إلى كلّ رجل منهم رُقعة باسم مَنْ وكّلتُه بحفظه فى دخولى، ولم آمن لو قصّرت فى ذلك وأخّرته أن يصيرُوا عند ظهور الخبر وانتشاره إلى التغيب والانتشار، فعملوا بذلك، ورحلتُ عن[1] موضعى إلى مدينة مَرْو، فلما صرت منها على ميلين تلقّانى علىّ بن عيسى فى ولَده وأهل بيته وقوّاده، فلقيته[2] بأحسن لقاء، وآنسته[2]، وبلغتُ من توقيره وتعظيمه والتماس النزول إليه أوّل ما بصرت به ما ازداد به أنسًا وثقة، إلى ما كان رَكَن إليه قبل ذلك؛ مما كان يأتيه من كتبى؛ فإنها لم تنقطع عنه بالتعظيم والإجلال منّى له والالتماس، لإلقاء سوء الظنّ عنه؛ لئلا يسبق إلى قلبه أمرٌ ينتقض به ما دبر أمير المؤمنين فى أمره، وأمرنى به فى ذلك. وكان الله تبارك وتعالى هو المنفرد بكفاية أمير المؤمنين الأمرَ فيه إلى أن ضمّنى وإياه مجلسه، وصرت إلى الأكل معه، فلمّا فرغنا من ذلك بدأنِى يسألنى المصيرَ إلى منزل كان ارتاده لى؛ فأعلمته ما معى من الأمور التى لا تحتمل تأخير المناظرة فيها. ثم دفع إليه رجاء الخادم كتابَ أمير المؤمنين وأبلغه رسالَته، فعلم عند ذلك أن قد حلّ به الأمر الذى جناه على نفسه، وكسبته يداه؛ من سخط أمير المؤمنين، وتغيّر[3] رأيه بخلافه أمره وتعدّيه سيرته.

٣/٧٢٦

ثم صرت إلى التوكيل به، ومضيت إلى المسجد الجامع، فبسطت آمال الناس ممن حضر، وافتتحت القول بما حمّلنى أمير المؤمنين إليهم، وأعلمتهم إعظامَ أمير المؤمنين ما أتاه، ووضح عنده من سوء سيرة علىّ، وما أمرنى به فيه وفى عمّاله وأعوانه؛ وإنى بالغٌ من ذلك ومن إنصاف العامّة والخاصّة والأخذ لهم بحقوقهم أقصى غايتهم. وأمرت بقراءة عهدى عليهم، وأعلمتهم أنّ ذلك مثالى وإمامى؛ وأنّى به أقتدى، وعليه أحتذى؛ فمتى زلتُ عن باب واحد من أبوابه فقد ظلمتُ نفسى، وأحللت بها ما يحلّ بمن خالف

(١) ا، س: «من».
(٢ – ٢) س: «بأحسن اللقاء وآنسه».
(٣) ج: «وتغيره له».

رأى أمير المؤمنين وأمره ؛ فأظهروا السرور بذلك والاستبشار ، وعلتْ بالتكبير والتهليل أصواتُهم ، وكثر دعاؤهم لأمير المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء .

٣/٧٢٧ ثم انكفأت إلى المجلس الذى كان علىّ بن عيسى فيه ، صرت إلى تقييده وتقييد ولده وأهل بيته وكتّابه وعماله والاستيثاق منهم جميعاً ، وأمرتهم بالخروج إلىّ من الأموال التى احتجنوها من أموال أمير المؤمنين وفىء المسلمين ، وإعفائى بذلك من الإقدام عليهم بالمكروه والضرب ، وناديت فى أصحاب ودائعهم بإخراج ما كان عندهم . فحملوا إلىّ إلىّ أن كتبت إلى أمير المؤمنين صدراً صالحاً من الوَرِق والعيْن[1] ، وأرجو أن يعين الله على استيفاء ما قِبلهم ، واستنظاف ما وراء ظهورهم ، ويسهّل الله من ذلك أفضلَ ما لم يزل يعوّده أمير المؤمنين من الصّنع فى مثله من الأمور التى يعنَى بها إن شاء الله تعالى .

ولم أدعْ عند قدومى مَرْو التقدّم فى توجيه الرسل وإنفاذ الكتب البالغة فى الإعذار والإنذار ، والتبصير والإرشاد ، إلى رافع[2] ومَنْ قِبَله من أهل سَمَرْقَند ، وإلى مَنْ ببلْخ ، على حسن ظنّى بهم فى الإجابة ، ولزوم الطاعة والاستقامة ؛ ومهما تنصرفْ به رسلى إلىّ يا أمير المؤمنين من أخبار القوم فى إجابتهم وامتناعهم ، أعملْ على حسبه من أمرهم ، وأكتب بذلك إلى أمير المؤمنين على حقّه وصدقه . وأرجو أن يعرّف الله أميرَ المؤمنين فى ذلك من جميل صنعه ولطيف كفايته ؛ ما لم تزل عادته جاريةً به عنده ، بمنّه وطوله وقوّته والسلام.

الجواب من الرشيد

٣/٧٢٨ بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابُك بقدومك مَرْو فى اليوم الذى سمّيت ، وعلى الحال التى وصفت وما فسرّت . وما كنت قدّمت من الحِيَل قبل ورودك إياها ، وعملت[3] به فى أمر الكُور التى سمّيت وتولية مَنْ وليت عليها قبل نفوذك عنها ، ولطّفت له من الأمر الذى استجمع لك به ما أردت من أمر الخائن علىّ بن عيسى وولده وأهل بيته ، ومن صار فى

(١) الورق : الدراهم المضروبة . والعين : الدينار .

(٢) هو رافع بن ليث بن نصر بن سيار .

(٣) ج : « وعاملت » .

يدك من عمّاله وأصحاب أعماله واحتذائك فى ذلك كلّه ما كان أمير المؤمنين مثّل لك ووقفك عليه، وفهم أمير المؤمنين كلّ ما كتبتَ به ، وحمد الله على ذلك كثيراً وعلى تسديده إياك وما أعانك به من توفيقه ، حتى بلغتَ إرادة أمير المؤمنين ، وأدركت طلبته ، (١)وأحسنت ما كان يُحبّ بك وعلى يديك إحكامه(١) ، مما كان اشتدّ به اعتناؤه ، ولجّ به اهتمامه ، وجزاك الخير على نصيحتك وكفايتك ، فلا أعدم الله أمير المؤمنين أحسنَ ما عرّفه منك فى كلّ ما أهاب بك إليه ، واعتمد بك عليه[٢] .

وأمير المؤمنين يأمرك أن تزداد جدًّا واجتهاداً فيما أمرك[٣] به من تتبّع أموال الخائن علىّ بن عيسى وولده وكتّابه وعماله ووكلائه وجهابذته والنظر فيما اختانوا به أميرَ المؤمنين فى أمواله ، وظلموا به الرّعية فى أموالهم ، وتتبّع ذلك واستخراجه من مظانّه ومواضعه ، التى صارت إليه ، ومن أيدى أصحاب الودائع التى استودعوها إياهم ؛ واستعمال اللين والشدة فى ذلك كله ؛ حتى تصير إلى استنظاف ما وراء ظهورهم ؛ ولا تبقى من نفسك فى ذلك بقية[٤] ، ٧٢٩/٣ وفى إنصاف الناس منهم فى حقوقهم ومظالمهم ؛ حتى لا تبقى لمتظلم منهم قبلهم ظُلامة إلا استقضيت[٥] ذلك له ، وحملته وإياهم على الحقّ والعدل فيها ، فإذا بلغتَ أقصى غاية الإحكام والمبالغة فى ذلك ، فأشخص الخائن وولده وأهلَ بيته وكتّابه وعمّاله إلى أمير المؤمنين فى وثاق ، وعلى الحال[٦] التى استحقّوها من التغيير والتنكيل[٧] بما كسبت أيديهم ؛ وما الله بظلام للعبيد .

ثم اعمل بما أمرك به أمير المؤمنين من الشخوص إلى سَمَرْقند، ومحاولة ماقبل خامل، ومَنْ كان على رأيه ممن أظهر خلافًا وامتناعًا من أهل كُور ما وراء النهر وطُخارستان بالدّعاء إلى الفيئة والمراجعة ، وبسط أمانات أمير المؤمنين التى حمّلكها إليهم ؛ فإن قبلوا وأنابوا وراجعوا ما هو أملكُ بهم ، وفرّقوا جموعهم ، فهو ما يحبّ أمير المؤمنين أن يعاملهم به من العفو عنهم والإقالة

(١ – ١) س : « وأحكمت ما كان تحت يدك ويجب عليك إحكامه » .
(٢) ج : « منك عليه » .
(٣) س : « يأمرك » .
(٤) س : « باقية » .
(٥) س : « استصفيت » .
(٦) س : « على الحال » .
(٧) ج : « التغير والتنكل » .

لهم ؛ إذ كانوا رعيّته ؛ وهو الواجب على أمير المؤمنين لهم إذ أجابهم إلى طَلِبتهم ، وآمن رَوْعهم ، وكفاهم ولاية من كرهوا ولايتَه ، وأمر بإنصافهم فى حقوقهم وظلاماتهم — وإن خالفوا ما ظنّ أمير المؤمنين ، فحاكمهم إلى الله إذ طَغَوْا وبغَوْا ، وكرهوا العافية وردّوها ؛ فإنّ أمير المؤمنين قد قضى ما عليه ، فغيّر ونكّل ، وعزَل واستبدلَ ، وعفا عمّن أحدث ، وصفح عمن اجترم ؛ وهو يشهد الله عليهم بعد ذلك فى خلاف إن آثروه ، وعنود[1] إن أظهروه . وكفى بالله شهيداً ولاحوْلَ ولا قوّة إلابالله العلىّ العظيم ،عليه يتوكل وإليه ينيب. والسلام .

وكتب إسماعيل بن صبيح بين يدى أمير المؤمنين .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن العباس بن محمد بن علىّ ، وكان والى مكة . ٧٣٠/٣

ولم يكن للمسلمين بعد هذه السنة صائفة إلى سنة خمس عشرة ومائتين .

(١) عند عن الطريق — كنصر وسمع وكرم — عنودا ، مال .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كان الفداء بين المسلمين والرّوم على يدىْ ثابت بن نصر بن مالك.

* * *

[ذكر الخبر عن مسير الرشيد إلى خراسان]

وفيها وافَى الرّشيد من الرّقّة فى السّفُن مدينة السلام ، يريد[1] الشخوص إلى خُراسان لحرب رافع ؛ وكان مصيره ببغداد يوم الجمعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر ، واستخلف بالرّقة ابنه القاسم ، وضمّ إليه خُزيمة بن خازم، ثم شخص من مدينة السلام عشيّة[2] الاثنين ، لخمس خلوْن من شعبان بعد صلاة العصر ، من الخيزُرانيّة ، فبات فى بستان أبى جعفر ، ثم سار[3] من غد إلى النهروان ، فعسكر هنالك ، وردّ حماداً البربرىّ إلى أعماله ، واستخلف ابنه محمدًا بمدينة السلام .

وذُكر عن ذى الرياستيْن أنه قال : قلتُ للمأمون لما اراد الرشيد الشخوص إلى خُراسان لحرب رافع : لستَ تدرى ما يحدث بالرّشيد وهو خارج إلى خُراسان ، وهى ولايتك ، ومحمّد المقدم عليك ! وإنّ أحسَن ما يصنع بك أن يخلعك ؛ وهو ابن زُبيدة ، وأخواله بنوهاشم ، وزبيدة وأموالها ، فاطلبْ إليه أن يُشخصك معه . فسأله الإذن فأبى عليه ، فقلت له : قل له : أنت عليل ؛ وإنما أردتُ أن أخدمك ، ولست أكلفك شيئًا . فأذن له وسار . ٣/٧٣١

فذكر محمد بن الصبّاح الطبرىّ أن أباه شيّع الرشيد حين خرج إلى خُراسان ، فمضى معه إلى النّهروان ، فجعل يحادثه[4] فى الطريق إلى أن قال له : ياصبّاح ، لاأحسبك ترانى أبدًا . قال : فقلت : بل يردّك الله سالمًا ؛ قد فتح[5] الله

---

(١) س : « مريداً » .
(٢) س : « يوم » .
(٣) ج : « صار » .
(٤) ج : « يحدّثه » .
(٥) س : « قد يفتح » .

عليك ، وأراك فى عدوّك أملك. قال: ياصبّاح ، ولا أحسبك تدرى ما أجد !
قلت : لا والله ، قال : فتعال حتّى أريك ، قال : فانحرف عن الطريق قَدْر مائة ذراع ، فاستظلّ بشجرة ، وأومأ إلى خدمه الخاصّة فتنحّوْا ، ثم قال : أمانة الله يا صبّاح أن تكتم[1] علىّ ، فقلت : يا سيّدى ، عبدك الذليل تخاطبه مخاطبة الولد ! قال : فكشف عن بطنه ؛ فإذا عصابة حرير حوالىْ بطنه ، فقال : هذه علّة أكتمها الناس كلّهم ؛ ولكلّ واحد من ولدى علىّ رقيب ؛ فمسرور رقيب المأمون ، وجبريل بن بختيشوع رقيب الأمين — وسمّى الثالث فذهب عنى اسمه — وما منهم أحد إلا وهو يحصى أنفاسى ، ويعدّ أيامى ، ويستطيل عمرى[2] ، فإن أردت أن تعرف ذلك فالساعة أدعو بدابّة ، فيجيئونى ببرذَوْن أعجف قَطوف[3] ، ليزيد فى علّتى ، فقلت : يا سيدى ما عندى فى الكلام جوابٌ ؛ ولا فى ولاة العهود ؛ غير أنى أقول : جعل الله من يَشْنَؤك من الجنّ والإنس والقريب والبعيد فداك ؛ وقدّمهم إلى تلك قبلك ، ولا أرانا فيك مكروهًا أبداً ، وعمّر بك الله الإسلام ، ودعم ببقائك أركانه ، وشدّ بك أرجاءه ، وردّك الله مظفّرًا مفلحًا ، على أفضل أمَلِك فى عدوّك ، وما رجوت من ربك . قال : أمّا أنت فقد تخلّصت من الفريقين .

٣/٧٣٢

قال : ثم دعا ببرذون ، فجاءوا به كما وصف ، فنظر إلىّ فركبه ، وقال انصرف غير مودّع ؛ فإن لك أشغالا ، فودّعته وكان آخر العهد به .

* * *

وفيها تحرّك الخُرّمية بناحية أذْرَبيجان ، فوجّه إليهم الرّشيد عبد الله بن مالك فى عشرة آلاف فارس ، فأسر وسبَى ، ووافاه بقَرْمَاسين ، فأمر بقتل الأسارى وبيع السَّبْى .

وفيها مات علىّ بن ظَبْيان القاضى بقصر اللصوص .

وفيها قدم يحيى بن معاذ بأبى النّداء[4] على الرشيد وهو بالرّقة فقتله .

(١) ج : « إن كتمت » .
(٢) س : « دهرى » .
(٣) دابة قطوف : ضاق مشيها .
(٤) س : « الندى » .

وفيها فارق عُجيف بن عنبسة والأحوص بن مهاجر فى عدّة من أبناء الشّيعة رافع بن ليث ، وصاروا إلى هرثمة .

وفيها قُدِم بابن عائشة وبعدّة من أهل أحواف مصر .

وفيها ولّى ثابت بن نصر بن مالك الثّغور[1] وغزا ، فافتتح مطمورة .

وفيها كان الفداء بالبُدَنْدون .

وفيها تحرّك ثَرْوان الحروريّ ، وقتل عامل السلطان بطفّ البصرة .

وفيها قُدِم بعليّ بن عيسى بغداد ، فحبس فى داره .

٣/٧٣٣ وفيها مات عيسى بن جعفر بطرارستان[2] — وقيل بالدّسكرة — وهو يريد اللحاق بالرشيد .

وفيها قتَل الرشيد الهيصم اليمانيّ[3] .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبى جعفر المنصور .

---

(١) ج : « الثغر » .
(٢) ج : « بطبرستان » .
(٣) ابن الأثير : « الهيصم الكنانى » .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة الفضل بن يحيى]

فمن ذلك وفاة الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك فى الحبْس بالرّقة فى المحرّم ، وكان بدء علّته — فيما ذكر — من ثقل أصابه فى لسانه وشِقّه؛ وكان يقول : ما أحبّ أن يموت الرشيد؛ فيقال له : أما تحب أن يفرّج الله عنك ! فيقول : إن أمرى قريب من أمره . ومكث يعالَج أشهراً ، ثم صلح ، فجعل يتحدّث ، ثم اشتدّ عليه فعُقد لسانه وطرفه ، ووقع لمّابه ، فمكث فى تلك الحال يوم الخميس ويوم الجمعة ، وتُوفِّى مع أذان الغداة ، قبل وفاة الرشيد بخمسة أشهر ؛ وهو فى خمس وأربعين سنة ، وجزع الناس عليه ، وصلّى عليه إخوانه فى القصر الذى كانوا فيه قبل إخراجه ، ثم أخرِج فصلّى الناس على جنازته .

* * *

وفيها مات سعيد الطبرىّ المعروف بالجوهرىّ .

* * *

[ذكر الخبر عن مقام الرشيد بطوس]

وفيها وافى هارون جرجان فى صَفر ، فوافاه بها خزائن علىّ بن عيسى على ألف بعير وخمسمائة بعير ، ثم رحل من جُرجان — فيما ذكر — فى صفر ، وهو عليل ، إلى طُوس ؛ فلم يزل بها إلى أن تُوفِّىَ — واتّهم هرثمة ، فوجّه ابنه المأمون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة إلى مَرْو ، ومعه عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وأسد بن يزيد بن مزيد والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث والسندىّ ابن الحرَشىّ ونعيم بن حازم ؛ وعلى كتابته ووزارته أيّوب بن أبى سُمَيْر ، ثم اشتدّ بهارون الوجع حتى ضعف عن السير . ٣/٧٣٤

وكانت بين هرثمة وأصحاب رافع فيها وقعة ، فتح فيها بخارى ، وأسر

أخا رافع بشير بن الليث ، فبعث به إلى الرشيد وهو بطوس ؛ فذُكِر عن ابن جامع المروزىّ ، عن أبيه ، قال : كنت فيمن[1] جاء إلى الرشيد بأخى رافع . قال : فدخل عليه وهو على سرير مرتفع عن الأرض بقدر عظم الذّراع ، وعليه فرْش بقدر ذلك — أو قال أكثر — وفى يده مرآة ينظر إلى وجهه . قال : فسمعته يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ونظر إلى أخى رافع ، فقال : أما والله يابن اللّخناء ؛ إنى لأرجو ألاّ يفوتنى خامل[2] — يريد رافعًا — كما لم تَفُتْنِى . فقال له : يا أمير المؤمنين ، قد كنت لك حربًا ، وقد أظفرك الله بى فافْعَل ما يحبّ الله ، أكن لك سلمًا ؛ ولعل الله أن يليّن لك قلب رافع إذا علم أنك قد مننت علىّ ! فغضب وقال : والله لو لم يبق من أجَلى إلاّ أن أحرّك شفتىّ بكلمة لقلت : اقتلوه . ثم دعا بقصّاب ، فقال : لا تشحذ مُداك ، اتركها على حالها ، وفصّل هذا الفاسق ابن الفاسق ، وعجّل ؛ لا يحضرنّ أجلى وعضوان من أعضائه فى جسمه . ففصّله حتى جعله أشلاء . فقال : عُدّ أعضاءه ، [3] فعددت له أعضاءه [3] ، فإذا هى أربعة عشر عضواً ، فرفع يديه إلى السماء ، فقال : اللهمّ كما مكّنتَنى من ثأرك وعدوّك ، فبلغت فيه رضاك ، فمكّنّى من أخيه . ثم أغْمِىَ عليه ، وتفرّق مَن حضره .

٣/٧٣٥

* * *

[ذكر الخبر عن موت الرشيد]

وفيها مات هارون الرشيد .

* ذكر الخبر عن سبب وفاته والموضع الذى توفِّىَ فيه :

ذُكر عن جبريل بن بختيشوع أنه قال : كنت مع الرّشيد بالرّقة ، وكنت أوّل من يدخل عليه فى كلّ غداة ، فأتعرّف[4] حاله فى ليلته ؛ فإن كان أنكر شيئًا وصفه ، ثم ينبسط فيحدّثنى بحديث جواريه وما عمِل فى مجلسه ، ومقدار شربه ، وساعات جلوسه ، ثم يسألنى عن أخبار العامّة وأحوالها ؛ فدخلتُ عليه فى غداة يوم ، فسلّمت فلم يكد يرفع طرفه ، ورأيته عابسًا مفكّرًا

---

(١) س : « ممن » . (٢) س : « حامل » .
(٣ – ٣) س : « فعددت أعضاؤه » . (٤) ج : « فأعرف » .

مهموماً ، فوقفت بين يديه مليًّا من النهار ، وهو على تلك الحال ؛ فلما طال ذلك أقدمتُ عليه ، فقلت : يا سيدى ، جعلنى الله فداك ! ما حالك هكذا ، أعلّة فأخبرنى بها ؛ فلعله يكون عندى دواؤها ، أو حادثة فى بعض مَنْ تحبّ فذاك ما لا يُدفع ولا حيلة فيه إلا التسليم والغمّ ، لا درك فيه ، أو فَتْق ورد عليك فى مُلْكك ، فلم تخلُ الملوك من ذلك ؛ وأنا أولى من أفضيْتَ إليه بالخبر ، وتروّحت إليه بالمشورة . فقال : ويحك يا جبريل ! ليس غمّى وكربى لشىء مما ذكرت ، ولكن لرؤيا رأيتُها فى ليلتى هذه ، وقد أفزعتنى وملأت صدرى ، وأقْرحت[1] قلبى ، قلت : فرّجتَ عنى يا أمير المؤمنين ؛ فدنوتُ منه ، فقبّلت رجله ، وقلت : أهذا الغمّ كله لرؤيا ! الرؤيا إنما تكون من خاطر أو بخارات ردیئة أو من تهاويل السوداء ؛ وإنما هى أضغاث أحلام بعد هذا كله . قال : فأقصّها عليك ، رأيت كأنى جالس على سريرى هذا ؛ إذ بدتْ من تحتى ذراع أعرفها وكفّ أعرفها ، لا أفهم اسم صاحبها ، وفى الكفّ تربة حمراء ، فقال لى قائل أسمعه ولا أرى شخصه : هذه التربة التى تُدفن فيها ، فقلت : وأين هذه التربة ؟ قال : بطوس . وغابت اليد وانقطع الكلام ، وانتبهت . فقلت : يا سيّدى ، هذه والله رؤيا بعيدة ملتبسة ، أحسبك أخذت مضجعَك ، ففكّرت فى خُراسان وحروبها وما قد ورد عليك من انتقاض بعضها . قال : قد كان ذاك ، قال : قلت : فلذلك[2] الفكر خالطَك فى منامك ما خالطك ، فولّد هذه الرؤيا ، فلا تحفِل بها جعلنى الله فداك ! وأتبع هذا الغمّ[3] سروراً ، يخرجه من قلبك لا يولد علة . قال : فما برحت أطيّب نفسه بضروب من الحيل ، حتى سلا وانبسط[4] ، وأمر بإعداد ما يشتهيه ، ويزيد فى ذلك اليوم فى لهوه . ومرّت الأيام فنسىَ ، ونسينا تلك الرؤيا ، فما خطرت لأحد منا ببال ، ثم قدّر مسيره إلى خُراسان حين خرج[5] رافع ، فلما صار فى بعض الطريق ، ابتدأت به العلّة فلم تزل تتزايد[6] حتى دخلنا طُوس ، فنزلنا فى منزل الجنيد بن

٣/٧٣٦

---

(١) كذا فى ج ، وفى ط : « أفرجت » .
(٢) س : « فقلت لذلك » .
(٣) ج : « الهم » .
(٤) س : « فانبسط » .
(٥) ج : « تحرك » .
(٦) س : « تتزيد » .

عبد الرحمن فى ضَيْعة له تعرف بسنَاباذ ، فبينا هو يمرض فى بستان له فى ذلك القصر إذ ذكر تلك الرؤيا ، فوثب متحاملاً يقوم ويسقط ؛ فاجتمعنا إليه ؛ كلّ يقول : يا سيّدى ما حالك ؟ وما دهاك ؟ فقال : يا جبريل، تذكر رؤياى بالرّقة فى طُوس ؟ ثم رفع رأسه إلى مسرور ، فقال : جئنى من تربة هذا البستان ، فمضى مسرور ، فأتى بالتربة فى كفه حاسراً عن ذراعه ، فلما نظر إليه قال : هذه والله الذّراع التى رأيتُها فى منامى، وهذه والله الكفّ بعينها، وهذه والله التّربة الحمراء ما خرمت شيئًا ؛ وأقبل على البكاء والنحيب . ثم مات بها والله بعد ثلاثة ، ودفن[1] فى ذلك البستان . ٣/٧٣٧

وذكر بعضهم أن جبريل بن بختيشوع كان غلط على الرشيد فى علّته فى علاج عالجه به، كان سبب منيّته ؛ فكان الرّشيد همّ ليلة مات بقتله ، وأن يفصّله كما فصّل أخا رافع ، ودعا بجبريل ليفعلَ ذلك به ، فقال له جبريل : أنظرنى إلى غدٍ يا أميرَ المؤمنين ، فإنك ستصبح فى عافية . فمات فى ذلك اليوم .

وذكر الحسن بن علىّ الرّبَعىّ أنّ أباه حدّثه عن أبيه — وكان جمّالا معه مائة جمل ، قال : هو حمل[2] الرشيد إلى طُوس — قال : قال الرشيد : احفُروا لى قبراً قبل أن أموت ، فحفروا له ، قال : فحملتُه فى قبّة أقود به ؛ حتى نظر إليه . قال ، فقال : يابن آدم تصير إلى هذا !

وذكر بعضهم أنه لما اشتدّت به العلّة أمر بقبره فحفر فى موضع من الدار التى كان فيها نازلا، بموضع يسمى المثقّب ، فى دار حميد بن أبى غانم الطائىّ، فلما فرغ من حفر القبر ، أنزل فيه قومًا فقرءوا فيه القرآن حتى ختموا ، وهو فى محفّة على شفير القبر .

وذكر محمد بن زياد بن محمد بن حاتم بن عبيد الله بن أبى بكرة، أنّ سهل بن صاعد حدّثه ، قال : كنتُ عند الرّشيد فى بيته الذى قبض فيه ، وهو يجود بنفسه ، فدعا بمِلْحفة غليظة فاحتبى بها ، وجعل يقاسى ٣/٧٣٨

(١) س : « ثم دفن » . (٢) ج : « حمال » .

ما يقاسى ؛ فنهضت فقال لى : اقعد يا سهل ؛ فقَعدتُ وطال[١] جلوسى لا يكلِّمنى ولا أكلمه ، والملْحفة تنحلّ فيعيد الاحتباء بها . فلما طال ذلك نهضت ، فقال لى : إلى أين يا سهل ؟ قلت : يا أميرَ المؤمنين : ما يسع[٢] قلبى أن أرى أميرَ المؤمنين يعانى من العلّة ما يعانى ؛ فلو اضطجعتَ يا أمير المؤمنين كان أروَح[٣] لك ! قال : فضحك ضحْك صحيح ، ثم قال : يا سهل إنى أذكر فى هذه الحال قول الشاعر :

وَإنِّى مِنْ قَوْمٍ كِرامٍ يَزيدُهُمْ شِماساً وَصَبْرًا شِدةُ الحَدَثانِ

وذُكر عن مسرور الكبير ، قال : لما حضرت الرشيد الوفاة ، وأحسّ بالموت ، أمرنى أن أنشر[٤] الوشْىَ فآتيَه بأجود ثوب أقدر عليه وأغلاه قيمة ، فلم أجد ذلك فى ثوب واحد ، ووجدت ثوبيْن أغلَى شىء قيمة ، وجدْتهما متقاربيْن فى أثمانهما ، إلاّ أنّ أحدهما أغلَى من الآخر شيئًا ، وأحدهما أحمر والآخر أخضر ، فجئته بهما ، فنظر إليهما وخبّرته قيمتهما ، فقال : اجعل أحسنَهما كفنى ، ورُدّ الآخر إلى موضعه .

وتوُفِّى — فيما ذكر — فى موضع يدعى المثقّب ، فى دار حميد بن أبى غانم ، نصف الليل ؛ ليلة السبت لثلاث خلوْن من جُمادى الآخرة من هذه السنة ، وصلّى عليه ابنه صالح ، وحضر وفاته الفضل بن الربيع وإسماعيل بن صبيح ، ومن خدمه مسرور وحسين ورشيد .

وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يومًا . أوّلها ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، وآخرها ليلة السبت لثلاث ليال خلوْن من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة . ٧٣٩/٣

وقال هشام بن محمد : استُخلف أبو جعفر الرشيدُ هارون بن محمد ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، وهو يومئذ ابن اثنتين وعشرين سنة ، وتوفّى ليلة الأحد غرّة جمادى الأولى وهو ابن

(١) ا ، س : « فطال » .
(٢) س : « يتسع » .
(٣) س : « أودع » .
(٤) س : « أفتش » .

خمس وأربعين سنة سنة ثلاث وتسعين ومائة، فملك ثلاثًا وعشرين سنة وشهراً وستة عشر يومًا .

وقيل: كان سنّه يوم توفّى سبعًا وأربعين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام ، أولها لثلاث بقين من ذى الحجة سنة خمسين وأربعين ومائة ، وآخرها يومان مضيا من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وكان جميلا وسيمًا أبيض جَعْدًا ، وقد وَخَطه الشيب .

* * *

ذكر ولاة الأمصار فى أيام هارون الرشيد

ولاة المدينة : إسحاق بن عيسى بن علىّ ، عبد الملك بن صالح بن علىّ ، محمد بن عبد الله ، موسى بن عيسى بن موسى ، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، علىّ بن عيسى بن موسى ، محمد بن إبراهيم ، عبد الله بن مُصعب الزبيرىّ ، بكّار بن عبد الله بن مصعب ، أبو البَخترىّ وهب بن وهب .

ولاة مكة : العباس بن محمد بن إبراهيم ، سليمان بن جعفر بن سليمان ، موسى بن عيسى بن موسى ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ، عبد الله بن قُثَم ابن العباس ، محمد بن إبراهيم ، عبيد الله بن قُثَم ، عبد الله بن محمد بن عمران ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ، العباس بن موسى بن عيسى ، علىّ بن موسى بن عيسى ، محمد بن عبد الله العثمانىّ ، حماد البربرىّ ، سليمان بن جعفر ابن سليمان ، أحمد بن إسماعيل بن علىّ ، الفضل بن العباس بن محمد .

٣/٧٤٠

ولاة الكوفة : موسى بن عيسى بن موسى ، يعقوب بن أبى جعفر ، موسى ابن عيسى بن موسى ، العباس بن عيسى بن موسى ، إسحاق بن الصباح الكندىّ ، جعفر بن جعفر بن أبى جعفر ، موسى بن عيسى بن موسى ، العباس بن عيسى بن موسى ، موسى بن عيسى بن موسى .

ولاة البصرة : محمد بن سليمان بن علىّ ، سليمان بن أبى جعفر ، عيسى ابن جعفر بن أبى جعفر ، خزيمة بن خازم ، عيسى بن جعفر ، جرير بن يزيد ، جعفر بن سليمان ، جعفر بن أبى جعفر ، عبد الصمد بن علىّ ، مالك

ابن علىّ الخزاعى ، إسحاق بن سليمان بن علىّ ؛ سليمان بن أبى جعفر ، عيسى ابن جعفر ، الحسن بن جميل مولى أمير المؤمنين ؛ إسحاق بن عيسى بن علىّ .

ولاة خراسان : أبو العباس الطوسىّ ، جعفر بن محمد بن الأشعث ، العباس بن جعفر ، الغطريف بن عطاء ، سليمان بن راشد على الخراج ، حمزة ابن مالك ، الفضل بن يحيى ، منصور بن يزيد بن منصور ، جعفر بن يحيى خليفته بها ، علىّ بن الحسن بن قَحْطبة ، علىّ بن عيسى بن ماهان ، هَرْثمة بن أعيَن .

* * *

ذكر بعض سيَر الرشيد

ذكر العباس بن محمد عن أبيه ، عن العباس ، قال : كان الرّشيد يصلّى فى كلّ يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا ؛ إلا أن تعرض له علّة ، وكان يتصدّق من صُلْب ماله فى كلّ يوم بألف درهم بعد زكاته ، وكان إذا حجّ حجّ معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحجّ أحجّ ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة[1] ، وكان يقتفى آثار المنصور ، ويطلب العمل بها إلاّ فى بذل المال ؛ فإنه لم يُرَ خليفة قبله كان أعطى منه للمال ، ثم المأمون من بعده . وكان لا يضيع عنده إحسان محسِن ، ولا يؤخّر ذلك فى أوّل ما يجب ثوابه . وكان يحبّ الشعراء والشعر ، ويميل إلى أهل الأدب والفقه ، ويكره المِراء[2] فى الدين ، ويقول : هو شىء لانتيجة له ، وبالحرى ألا يكون فيه ثواب ، وكان يحب المديح ؛ ولا سيما من شاعر فصيح ، ويشتريه بالثمن الغالى .

٧٤١/٣

وذكر ابنُ أبى حفصة أنّ مروان بن أبى حفصة دخل عليه فى سنة إحدى وثمانين ومائة يوم الأحد لثلاث[3] خلوْن من شهر رمضان ، فأنشده شعره الذى يقول فيه :

وَسُدَّتْ بِهارونَ الثُّغورُ فأُحكِمَتْ ... به مِنْ أُمورِ المُسْلِمينَ المَرائِرُ

---

(١) س : « الطاهرة » .
(٢) ج : « المرائين » .
(٣) س : « لست » .

وما انفَكَّ مَعْقُودًا بنَصْرٍ لواؤُه ... له عسكرٌ عنْهُ تُشَظَّى العَساكِرُ
وكلُّ مُلوك الرومِ أَعطاهُ جِزْيَةً ... على الرغم قسْرًا عَنْ يَدٍ وهْوَ صاغِرُ
لقد تَرَكَ الصَّفْصافَ هارونُ صَفْصَفاً ... كأَنْ لم يُدَمِّنْهُ مِنَ الناسِ حاضرُ[1]
أَناخَ على الصَّفْصاف حتى اسْتباحَهُ ... فكابَرَهُ فيها أَلَجُّ مُكابرُ
إلى وجْهه تسْمُو العُيُونُ وَما سمَتْ ... إلى مثلِ هارونَ العيونُ النَّواظِرُ

٧٤٢/٣

ترى حَوْلهُ الأَملاكَ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... كما حَفَّتِ البَدْرَ النجومُ الزَّواهرُ
يَسُوقُ يَدَيْهِ مِنَ قُرَيْشٍ كِرَامُها[2] ... وكِلتاهُما بَحْرٌ على الناسِ زاخِرُ
إذا فقَدَ الناسُ الغمامَ تتابَعَتْ ... عليْهِمْ بكَفَّيْكَ الغُيُومُ المواطِرُ[3]
على ثِقَةٍ أَلقَتْ إليْكَ أُمورَها[4] ... قُرَيْش، كما أَلقى عَصاهُ المُسافِرُ
أُمورٌ بِميراثِ النبيِّ وَلِيتَها ... فأَنتَ لها بالْحَزْمِ طاوٍ وَناشِرُ
إليكُمْ تناهَتْ فاستقَرَّتْ وَإنَّما ... إلى أَهلهِ صارَتْ بِهِنَّ المَصايرُ
خلَفْتَ لنا المَهْدِيَّ في العَدْلِ وَالنَّدى ... فلا العُرْفُ منزُورٌ ولا الحُكْمُ جائِرُ
وَأَبناءُ عَبَّاسٍ نُجومٌ مضيئَةٌ ... إذا غابَ نجْمٌ لاحَ آخَرُ زاهرُ
علىَّ بَنِى ساقى الحَجيجِ تتابعَتْ ... أَوائلُ مِنْ مَعْـروفكِمْ وأَواخِرُ

٧٤٣/٣

فأَصْبحْتُ قدْ أَيْقَنْتُ أَنْ لَسْتُ بالغاً[5] ... مَدَى شُكْرِ نُعْماكُمْ وَإِنى لَشاكِرُ
وما الناسُ إلا وَارِدٌ لحِياضِكم[6] ... وَذُو نَهَلٍ بالرِّىِّ عنهنَّ صادِرُ
حُصُونُ بَنِى العَباسِ فى كلِّ مَأْزِق ... صُدورُ العوالِى والسُّيوفُ البَواتِرُ
فَطَوْرًا يَهُزُّونَ القَواطِعَ والقَنا ... وَطَوْرًا بأَيديهِمْ تُهَزُّ المَخاصِرُ[7]
بأَيْدِى عظام النَّفْعِ والضّر لاتَنِى ... بِهِمْ للعَطايا والمَنايا بَوادِرُ
لِيَهْنِكُمُ المُلكُ الذِى أَصبحَتْ بِكُمْ ... أَسِرَّتُهُ مُخْتـالَةً والمَنابرُ

---

(١) ا: «كان لم يكن».
(٢) ج: «يسوف يديه».
(٣) ا، س: «الغيوث المواطر».
(٤) س: «ألقت عليك».
(٥) س: «وأصبحت».
(٦) س: «بحياضكم».
(٧) ط: «المحاضر»، والصواب ما أثبته من ا.

أبوكَ وَلِيُّ المُصْطَفى دونَ هاشِمٍ وَإنْ رَغَمتْ مِنْ حاسِدِيكَ المَناخِرُ

فأعطاه خمسة آلاف[١] دينار ، فقبضها بين يديه وكساه خلعته ، وأمر له بعشرة من رقيق الروم ، وحمله على برْذون من خاصّ مراكبه .

وذُكر أنه كان مع الرشيد ابنُ أبى مريم المدنىّ ، وكان مضحاكًا[٢] له محداثًا فكيهًا ، فكان الرشيد لا يصبر عنه ولا يملّ محادثته[٣] ؛ وكان ممّن قد جمع إلى ذلك المعرفة بأخبار أهل الحجاز وألقاب الأشراف ومكايد المجّان ، فبلغ من خاصّته بالرّشيد أن بوّأه منزلا فى قصره ، وخلطه بحُرَمه وبطانته ومواليه وغلمانه ؛ فجاء ذات ليلة وهو نائم وقد طلع الفجر ، وقام الرّشيد إلى الصلاة فألفاه نائمًا ، فكشف اللحاف عن ظهره[٤] ، ثم قال له : كيف أصبحت ؟ قال : يا هذا ما أصبحت بعد ، اذهب إلى عملك ، قال : ويلك ! قم إلى الصلاة ، قال : هذا وقت صلاة أبى الجارود ، وأنا من أصحاب أبى يوسف القاضى . فمضى وتركه نائمًا ، وتأهّب الرشيد للصلاة ، فجاء غلامه فقال : أمير المؤمنين قد قام إلى الصلاة ، فقام فألقى عليه ثيابه ، ومضى نحوه ، فإذا الرشيد يقرأ فى صلاة الصبح ، فانتهى إليه وهو يقرأ : ﴿ وما لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنى ﴾[٥] فقال ابن أبى مريم : لا أدرى والله! فما تمالك الرّشيد أن ضحك فى صلاته ، ثم التفت إليه وهو كالمغضب ، فقال: يابن أبى مرْيم ، فى الصلاة أيضًا ! قال : يا هذا وما صنعتُ ؟ قال : قطعتَ علىّ صلاتى ، قال : والله ما فعلتُ ؛ إنما سمعت منك كلامًا غمّنى حين قلت : ﴿ وما لى لاَ أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى ﴾ فقلت : لا أدرى والله ! فعاد فضحك ، وقال : إياك والقرآن والدين ، ولك ما شئت بعدهما .

وذكر بعضُ خدم الرّشيد أن العباس بن محمد أهدى غاليةً إلى الرشيد ، فدخل عليه وقد حملها معه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، جعلنى الله فداك ! قد جئتك بغالية ليس لأحد مثلها ، أما مِسْكها فمن سُرَر الكلاب التّبّتيّة

(١) س وابن الأثير « عشرة آلاف » .
(٢) ا ، ج : « مضحكًا » .
(٣) س : « عن محادثته » .
(٤) س : « عنه » .
(٥) سورة يس ٢٢

العتيقة ، وأما عنبرها فمن عنبر بحر عَدَن ، وأما بانُها فمن فلان المدنىّ المعروف بجودة عمله ، وأما مركّبها فإنسان بالبصرة عالم بتأليفها ، حاذق بتركيبها ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يمنّ علىّ بقبولها فعل ، فقال الرشيد لخاقان الخادم وهو على رأسه : يا خاقانُ ، أدخِلْ هذه الغالية ؛ فأدخلها خاقان ، فإذا هى فى بَرْنيّة[1] عظيمة من فضّة ، وفيها ملْعقة ، فكشف عنها وابن أبى مريم حاضر ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هَبْها لى ، قال : خذها إليك . فاغتاظ العباس ، وطار أسفًا ، وقال : ويلك ! عمَدت إلى شىء منعتُه نفسى ، وآثرتُ به سيدى فأخذتَه ! فقال : أمّه فاعلة إن دهن بها إلا استه ! قال : فضحك الرشيد ، ثم وثب ابنُ أبى مريم ، فألقى طرف قميصه على رأسه ، وأدخل يده فى البَرْنيّة ، فجعل يخرج منها ما حملت يده ، فيضعه فى استه مرّة وفى أرفاغه ومغابنه أخرى ، ثم سوّد بها وجهه ورأسه وأطرافه ، حتى أتى على جميع جوارحه ، وقال لخاقان : أدخل إلىّ غلامى ، فقال الرشيد وما يعقل مما هو فيه من الضحك ، ادعُ غلامه ، فدعاه ، فقال له : اذهب بهذه الباقية[2] ، إلى فلانة ، امرأته ، فقل لها : ادهنى بهذا حِرَك إلى أن أنصرف فأنيكك. فأخذها الغلام ومضى ، والرّشيد يضحك ، فذهب به الضحك . ثم أقبل على العبّاس فقال : والله أنت شيخ أحمق ، تجىء إلى خليفة الله فتمدح عنده غالية ! أما تعلم أنّ كلّ شىء تمطر السماء وكلّ شىء تخرج الأرض له ، وكلّ شىء هو فى الدّنْيا فملك يده ، وتحت خاتمه وفى قبضته ! وأعجبُ من هذا أنه قيل لملك الموت : انظر كلّ شىء يقول لك هذا فأنفذه ، فمثل هذا تُمْدَح عنده الغالية ، ويخطب فى ذكرها ، كأنه بقّال أو عطار أو تمّار ! قال : فضحك الرشيد حتى كاد ينقطع نَفَسُه ، ووصل ابنَ أبى مريم فى ذلك اليوم بمائة ألف درهم .

وذكر عن زيد بن علىّ بن حسين بن زيد بن علىّ بن الحسين بن علىّ ابن أبى طالب ، قال : أراد الرشيد أن يشرب الدّواء يومًا ، فقال له ابن أبى مريم : هل لك أن تجعلنى حاجبك غدًا عند أخذك الدواء؛ وكلّ شىء

(١) البرنية فى الأصل : إناء من خزف . (٢) س : « الباطية » .

أكسبه فهو بيني وبينك ؟ قال : أفعلُ ، فبعث إلى الحاجب : الزمْ غداً منزلك ؛ فإني قد ولّيت ابن أبي مريم الحجابة. وبكّر ابن أبي مريم، فوضع له الكرسيّ ، وأخذ الرّشيد دواءه ، وبلغ الخبر بطانته ، فجاء رسول أم جعفر يسأل عن أمير المؤمنين وعن دوائه ، فأوصله إليه ، وتعرّف حالَه وانصرف بالجواب ؛ وقال للرسول : أعلِم السيدة ما فعلتُ في الإذن لك قبل الناس ؛ فأعلمَها ، فبعثت إليه بمال كثير ، ثم جاء رسولُ يحيي بن خالد ، ففعل به مثل ذلك ، ثم جاء رسول جعفر والفضل ، ففعل كذلك ، فبعث إليه كلّ واحد من البرامكة بصلة جزيلة ، ثم جاء رسول الفضل بن الربيع فردّه ولم يأذن له ، وجاءت رسلُ القواد والعظماء ؛ فما أحد سهّل إذنه إلا بعث إليه بصلة جزيلة ؛ فما صار العصر حتى صار إليه ستون ألف دينار ، فلما خرج الرشيد من العلّة ، ونقيَ بدنه من الدواء دعاه ، فقال له : ما صنعت في يومك هذا ؟ قال : ياسيدي ، كسبت ستين ألف دينار ، فاستكثرها وقال : وأين[1] حاصلي ؟ قال : معزول ، قال : قد سوّغناك حاصلنا ؛ فأهدِ إلينا عشرة آلاف تفاحة ، ففعل ؛ فكان أربح من تاجره الرشيد .

وذكر عن إسماعيل بن صَبيح ، قال : دخلتُ على الرشيد ، فإذا[2] جارية على رأسه ، وفي يدها صحيفة[3] وملْعقة في يدها[4] الأخرى ، وهيَ تلعقه أولا فأولا ، قال : فنظرت إلى شيء أبيض رقيق فلم أدر ما هو ! قال : وعلم أنّي أحبّ أن أعرفه ، فقال : يا إسماعيل بن صَبيح ، قلت : لبيك يا سيدي ، قال : تدري ما هذا ؟ قلت : لا ، قال : هذا جشيش[5] الأرز والحنطة وماء نُخالة السميد ؛ وهو نافع للأطراف المعوجّة وتشنيج الأعصاب ويصفّي البَشَرة ، ويذهب بالكلَف ، ويسمّن البدن ، ويجلُو الأوساخ . قال : فلم تكن لي همّة حين انصرفت إلاّ أن دعوت الطباخ ؛ فقلت : بكّرْ عليّ كلّ غداة بالجشيش ، قال : وما هو ؟ فوصفت له الصّفة التي سمعتها . قال : تضجر من هذا في اليوم الثالث ، فعمله في اليوم الأول فاستطبتُه ،

٧٤٧/٣

(١) س : « أين » بدون واو.
(٢) س : « وإذا » .
(٣) ج : « صفحة » .
(٤) ج : « اليد » .
(٥) الجشيش : السويق .

وعمله فى اليوم الثانى فصار دونه ، وجاء به فى اليوم الثالث ، فقلت : لا تُقَدِّمْه .

وُذكر أنّ الرشيد اعتلّ علة ، فعالجه الأطباء ، فلم يجد من علّته إفاقة ، فقال له أبو عمر الأعجمىّ : بالهند طبيب يقال له مَنْكَه ؛ رأيتهم يقدّمونه على كلّ من بالهند ؛ وهو أحد عُبّادهم وفلاسفتهم ، فلو بعث إليه أمير المؤمنين لعلّ الله أن يبعث له الشفاء على يده ! قال : فوجّه الرّشيد مَنْ حمله ، ووجّه إليه بصلة تعينه على سفره . قال : فقدم فعالج الرشيد فبرئ من علته بعلاجه ، فأجرى له رزقًا واسعًا وأموالا كافية ، فبينا مَنْكَه مارًّا بالخُلْد ؛ إذا هو برجل من المانيّين قد بسط كساءه ، وألقى عليه عقاقير كثيرة ، وقام يصف دواء عنده معجونًا ، فقال فى صفته : هذا دواء للحمّى الدائمة وحمّى الغبّ وحمّى الربع ، والمثلثة ؛ ولوجع الظهر والركبتين والبواسير والرياح ، ولوجع المفاصل ووجع العينين ، ولوجع البطن والصُّداع والشقيقة ولتقطير البول والفالج والارتعاش ؛ فلم يدَعْ علة فى البدن إلا ذكر أن ذلك الدواء شفاء منها ، فقال مَنْكَه لترجمانه : ما يقول هذا ؟ فترجم له ما سمع ، فتبسّم مَنْكَه ، وقال : على كلّ حال ملك العرب جاهل ؛ وذاك أنه إنْ كان الأمر على ما قال[2] هذا ، فلمَ حملنى من بلادى ، وقطعنى عن أهلى ، وتكلّف الغليظَ من مؤنتى ، وهو يجد هذا نصب عينه[3] وبإزائه ! وإن كان الأمر ليس كما يقول هذا فلم لا يقتله ! فإن الشريعة قد أباحت دمه ودم مَنْ أشبهه ؛ لأنه إن قُتل ، فإنما هى نفس يحيا بقتلها خلق كثير ؛ وإن ترك هذا الجاهل[4] قَتَلَ فى كلّ يوم نفسًا ، وبالحرَى أن يقتل اثنتين وثلاثًا وأربعًا فى كلّ يوم ؛ وهذا فساد فى التدبير ، ووهن فى المملكة .

٣/٧٤٨

وذُكر أنّ يحيى بن خالد بن برمك ولّى رجلاً بعض أعمال الخراج بالسَّوَاد ، فدخل إلى الرشيد يودّعه ؛ وعنده يحيى وجعفر بن يحيى ، فقال الرشيد ليحيى وجعفر : أوصياه ، فقال له يحيى : وَفِّرْ واعمرْ ، وقال له جعفر : أنصفْ

---

(١) الشقيقة : مرض يأخذ نصف الرأس والوجه .

(٢) س : « كما قال » .

(٣) ج : « عينيه » .

(٤) ج : « بهذا الجهل » .

وانتصف ، فقال له الرشيد : اعدِلْ وأحسنْ .

وذكر عن الرشيد أنه غضب على يزيد بن مزيد الشيبانيّ ، ثم رضى عنه ، وأذن له ، فدخل عليه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ الحمد لله الذى سهّل لنا سبيل الكرامة ، وحلّ لنا[1] النّعمة بوجه لقائك ، وكشف عنا صُبابة الكرب بإفضالك ، فجزاك الله فى حال سخطك رِضًا المنيبين ، وفى حال رضاك جزاء المنعمين الممتنّين المتطوّلين ؛ فقد جعلك الله وله الحمد ، تثبّتُ تحرّجًا عند الغضب ، وتتطوّل ممتنًّا بالنعم ، وتعفو عن المسىء تفضّلاً بالعفو . ٣/٧٤٩

وذكر مصعب بن عبد الله الزبيريّ أن أباه عبد الله بن مصعب أخبره[2] أنّ الرشيد قال له : ما تقول فى الذين طعنوا على عثمان ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، طعن عليه ناس ؛ وكان معه ناس ؛ فأما الذين طعنوا عليه فتفرّقوا عنه ؛ فهم[3] أنواع الشِّيَع ، وأهل البِدَع ، وأنواع الخوارج ؛ وأما الذين كانوا معه فهم أهلُ الجماعة إلى اليوم . فقال لى : ما أحتاج أن أسأل بعد هذا اليوم[4] عن هذا .

قال مصعب : وقال أبى – وسألنى عن منزلة أبى بكر وعمر كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقلت له : كانت منزلتهما فى حياته منه منزلتَهما فى مماته ، فقال : كفيتَنى ما أحتاج إليه .

قال : وُولِّيَ سلاّم ، أو رشيد الخادم – بعض خدّام الخاصة – ضياعَ الرّشيد بالثغور والشأمات ، فتواترت الكتب بحسن سيرته وتوفيره[5] وحمد الناس له ، فأمر الرّشيد بتقديمه والإحسان إليه ، وضمّ ما أحبّ أن يضمّ إليه من ضياع الجزيرة ومصر . قال : فقدِم فدخل عليه وهو يأكل سَفَرْجلاً قد أتى به من بلْخ ؛ وهو يقشّره ويأكل منه ، فقال له : يا فلان ، ما أحسن ما انتهى إلى مولاك عنك ، ولك عنده ما تحبّ ، وقد أمرت لك بكذا وكذا ، وولّيتك كذا وكذا ، فسل حاجتَك ، قال : فتكلّم وذكر حسنَ سيرته ، وقال : أنسَيْتَهم ٣/٧٥٠

(١) س : « وحللنا » .
(٢) س : « حدثه » .
(٣) ج : « فمنهم » .
(٤) ج : « إلى هذا اليوم » .
(٥) ط : « توقيره » .

والله يا أمير المؤمنين سيرةَ العُمرين . قال : فغضب واستشاط ، وأخذ سفرجلة فرماه بها ، وقال : يا بن اللخناء ، العمريْن ، العمريْن ، العمرين ! هبنا احتملناها لعمر بن عبد العزيز ، نحتملها لعمر بن الخطاب !

وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، أنّ أبا بكر بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز حدّثه ، عن الضّحاك بن عبد الله ، وأثنى عليه خيراً ، قال : أخبرني بعضُ ولد عبد الله بن عبد العزيز ، قال : قال الرّشيد : والله ما أدرى ما آمُر في هذا العُمَرىّ ! أكره أن أقدم عليه وله خلَف أكرههم ؛ وإني لأحبّ أن أعرف طريقَه ومذهبه ، وما أثق بأحد أبعثه إليه ، فقال عمر بن بزيع والفضل ابن الربيع : فنحن يا أميرَ المؤمنين ، قال : فأنتما ، فخرجا من العَرْج إلى موضع من البادية يقال له خلْص ، وأخذا معهما أدلاّء من أهل العرْج ؛ حتى إذا وردا عليه في منزله أتَيَاه مع الضحى ؛ فإذا هو[1] في المسجد ، فأناخا راحلتيهما ومَنْ كان معهما من أصحابهما ، ثم أتياه على زىّ الملوك من الرّيح والثياب والطِّيب ؛ فجلسا إليه وهو في مسجد له ، فقالا له : يا أبا عبد الرحمن ، نحن رسل مَنْ خلْفنا من أهل المشرق ، يقولون لك : اتّق الله ربك ؛ فإذا شئت فقم . فأقبل عليهما ، وقال : ويحكما ! فيمن ولمن ! قالا : أنت ، فقال : والله ما أحبّ أني لقيت الله بمحجمة دمِ امرئ مسلم ، وأنّ لي ما طلعت عليه الشمس ؛ فلما أيسا منه قالا : فإنّ معنا شيئاً تستعين به على دهرك ، قال : لا حاجة لي فيه ، أنا عنه في غنًى ، فقالا له : إنها عشرون ألف دينار ، قال : لا حاجة لي فيها ، قالا : فأعطها مَنْ شئت ، قال : أنتما ، فأعطياها مَنْ رأيتما ، ما أنا لكما بخادم ولا عَوْن . قال : فلما يئسا منه ركبا راحلتيْهما[2] حتّى أصبحا مع الخليفة بالسُّقيا في المنزل الثاني ، فوجدا الخليفة ينتظرهما ؛ فلما دخلا عليه حدّثاه بما كان بينهما وبينه ، فقال : ما أبالي ما أصنع بعد هذا . فحجّ عبدُ الله في تلك السنة ، فبينا هو واقف على بعض أولئك البَاعة يشترى لصبيانه ؛ إذا هارون يسعى بين الصّفا والمروة على دابّة ، إذ عرض له عبد الله

٣/٧٥١

(١) س : « به » .
(٢) س : « رواحلهما » .

وترك مايريد ، فأتاه حتى أخذ بلجام دابته ، فأهوتْ إليه الأجناد والأحراس ، فكفّهم عنه هارون فكلمه. قال : فرأيتُ دموعَ هارون؛ وإنها لتسيل على مَعْرَفة دابّته ، ثم انصرف .

وذكر محمد بن أحمد مولّى بنى سليم قال : حدثنى الليث بن عبد العزيز الجوزجانىّ — وكان مجاوراً بمكة أربعين سنة — أن بعض الحجَبة حدّثه أنّ الرشيد لما حجّ دخل الكعبة ، وقام على أصابعه ، وقال : يا مَنْ يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضمير الصامتين ، فإنّ لكل مسألة منك ردّاً حاضراً ، وجواباً عتيداً ، ولكلّ صامت منك علم مُحيط ناطق بمواعيدك الصادقة ، وأياديك الفاضلة ؛ ورحمتك الواسعة . صلّ على محمد وعلى آل محمد ، واغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا . يا مَنْ لا تضرّه الذنوب ، ولا تخفَى عليه العيوب ، ولا تنقصه مغفرة الخطايا . يامن كبس الأرض على الماء ، وسدّ الهواء بالسّماء ، واختار لنفسه الأسماء ، صلّ على محمد ، وخِرْ لى فى جميع أمرى . يا من خشعت ٣/٧٥٢ له الأصوات بألوان اللغات يسألونك الحاجات ؛ إنّ من حاجتى إليك أن تغفر لى إذا توفّيتَنى ، وصرتُ فى لحدى ، وتفرّق عنى أهلى وولدى . اللهمّ لك الحمد حمداً يفضُل على كلّ حمد كفضلك على جميع الخلق . اللهم صلّ على محمد صلاة تكون له رضًا ، وصلّ على محمد صلاةً تكون له حرزاً ، واجْزه عنّا خيرَ الجزاء فى الآخرة والأولى . اللهمّ أحينَا سُعداء وتوفّنا شُهداء ، واجعلنا سعداء مرزوقين ، ولا تجعلنا أشقياء محرومين !

وذكر علىّ بن محمد عن عبد الله ، قال : أخبرنى القاسم بن يحيى ، قال : بعث الرشيد إلى ابن أبى داود والذين يخدمون قبر الحسين بن علىّ فى الحَيْر ، قال : فأتِىَ بهم ، فنظر إليه الحسن بن راشد ، وقال : ما لك ؟ قال : بعث إلىّ هذا الرجل — يعنى الرشيد — فأحضرَنى ، ولست آمنه على نفسى ، قال له : فإذا دخلتَ عليه فسألك ، فقل له : الحسن بن راشد وضعنى فى ذلك الموضع . فلمّا دخل عليه قال هذا القول ، قال : ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن ! أحضروه ، قال : فلما حَضَر قال : ما حمَلك

على أن صيّرت هذا الرجل فى الخَيْر ؟ قال : رحم الله مَنْ صيّره فى الخَيْر ، أمرتْنى أمّ موسى أن أصيّرَه فيه ، وأن أجرىَ عليه فى كل شهر ثلاثين درهمًا فقال : ردّوه إلى الخَيْر ، وأجرُوا عليه ما أجرَتْه أمّ موسى — وأم موسى هى أمّ المهدى ابنة يزيد بن منصور .

وذكر علىّ بن محمد أن أباه حدّثه قال : دخلت على الرشيد فى دار عوْن العِبادىّ فإذا هو فى هيئة الصيف ، فى بيت مكشوف ؛ وليس فيه فرش على مقعد عند باب فى الشق الأيمن من البيت ، وعليه غُلالة رقيقة ، وإزار رشيدىّ عريض الأعلام ، شديد التّضْريج[١] ؛ وكان لا يخيِّش البيت الذى هو فيه ؛ لأنه كان يؤذيه ؛ ولكنه كان يدخل عليه بَرْد الخيش ؛ ولا يجلس فيه . وكان أوّل من اتخذ فى بيت مقيله فى الصيف سقفًا دون سقف ؛ وذلك أنه لمّا بلغه أن الأكاسرة كانوا يطيِّنون ظهورَ بيوتهم فى كلّ يوم من خارج ليكفّ عنهم حرّ الشمس ؛ فاتخذ هو سقفًا يلى[٢] سقف البيت الذى يَقيل فيه .

٣/٧٥٣

وقال علىّ عن أبيه : خُبِّرت أنه كان فى كلّ يوم القيظ تغار[٣] من فِضّة يعمل فيه العطار الطِّيب والزعفران والأفاويه وماء الورد ، ثم يدخل إلى بيت مقيله ، ويدخل معه سبع غلائل قصب رشيديّة تقطيع النساء ، ثم تغمس الغلال فى ذلك الطّيب ، ويؤتَى فى كلّ يوم بسبع جوار ، فتخلع عن كلّ جارية ثيابها ثم تخلع عليها غُلالة ، وتجلس على كرسىّ مثقب ، وترسل الغُلالة على الكرسىّ فتجلّله ، ثم تبخَّر من تحت الكرسى بالعود المدرج فى العنبر أمداً[٤] حتى يجفّ القميص عليها ، يفعل ذلك بهنّ ، ويكون ذلك فى بيت مقيله ، فيعبق ذلك البيت بالبخور والطيب .

وذكر علىّ بن حمزة أنّ عبد الله بن عباس بن الحسن بن عبيد الله بن علىّ ابن أبى طالب قال : قال لى العباس بن الحسن : قال لى الرّشيد : أراك تكثر من ذكر يَنْبُع وصفتها ، فصفْها لى وأوجز ، قال : قلت : بكلام أو بشعر ؟

---

(١) ضرج الثوب : صبغه بالحمرة . (٢) س : « على » .
(٣) فى القاموس : « التيغار ، كقيفال : الإجانة » ، وفى ا كلمة غير واضحة .
(٤) س : « أبداً » .

قال : بكلام وشعر ، قال : قلت : جِدَتُها فى أصل عِذقها ، وعِذْقها مسرَّح شأنها ، قال : فتبسَّم ، فقلت له : ٣/٧٥٤

يا وادِىَ القصرِ نِعم القصرُ والوادِى ... مِن مَنزِلٍ حاضِرٍ إن شئتَ أوبادِى

ترى قراقيره والعِيسَ وَاقفةً ... وَالضبٌ وَالنونَ والمَلّاح والحادِى

وذكر محمد بن هارون ، عن أبيه ، قال : حضرت الرّشيد ، وقال له الفضل بن الربيع : يا أميرَالمؤمنين ، قد أحضرتُ ابنَ السّماك كما أمرتَنى ، قال : أدخله ، فدخل، فقال له : عِظنى ، قال : يا أميرَالمؤمنين ، اتّق الله وحده لا شريك له ، واعلم أنك واقف[١] غداً بيْن يدى الله ربك ، ثم مصروف إلى إحدى منزلتيْن لا ثالثة لهما ؛ جنة أونار . قال : فبكى هارون حتى اخضلّت لحيته ، فأقبل الفضلُ على ابن السّماك ، فقال: سبحان الله! وهل يتخالَج أحداً شكٌّ فى أنّ أمير المؤمنين مصروف إلى الجنة إن شاء الله! لقيامه[٢] بحقّ الله وعدله فى عباده ، وفضله[٣]! قال : فلم يحفِل بذلك ابنُ السماك من قوله ، ولم يلتفتْ إليه ، وأقبل على أمير المؤمنين ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن هذا — يعنى الفضل بن الربيع — ليس والله معك ولا عندك فى ذلك اليوم ، فاتّق الله وانظر لنفسك . قال : فبكى هارون حتى أشفقنا[٤] عليه . وأفحِم الفضل بن الربيع فلم ينطق بحرْف حتى خرجنا .

٣/٧٥٥

قال : ودخل ابن السّماك على الرشيد يوماً ؛ فبينا هو عنده إذ استسقى ماء ، فأُتىَ بقلّة من ماء ؛ فلما أهوى بها إلى فيه ليشربها ، قال له ابن السّماك : على رِسْلك يا أميرَ المؤمنين ؛ بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو مُنعتَ هذه الشَّرْبة فبكم كنت تشتريها ؟ قال : بنصف ملكى ، قال : اشرب هنأك الله ؛ فلما شربها ، قال له : أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو مُنِعتَ خروجها من بدنك ، فبماذا كنت تشتريها ؟ قال : بجميع ملكى ؛ قال ابن السّماك : إن مُلْكًا قيمته شربة ماء ، لجدير ألا ينافَس فيه . فبكى هارون ؛

---

(١) س : « موقوف » .
(٢) س : « بقيامه » .
(٣) س : « وفعله » .
(٤) ط : « شققنا » .

فأشار الفضلُ بن الربيع إلى ابن السّماك بالانصراف فانصرف .

قال : ووعظ الرّشيد عبدُالله بن عبد العزيز العمرىّ ، فتلقّى قوله بنعم يا عمّ ، فلما ولّى لينصرف ؛ بعث إليه بألفى دينار فى كيس مع الأمين والمأمون فاعترضاه بها ، وقالا : يا عمّ ؛ يقول لك أمير المؤمنين : خذها وانتفع بها أو فرّقها ، فقال : هو أعلم بمَنْ يفرّقها عليه ، ثم أخذ من الكيس ديناراً ، وقال : كرهت أن أجمع سوء القول وسوء الفعل . وشخص إليه إلى بغداد بعد ذلك ، فكره الرشيد مصيرَه إلى بغداد ، وجمع العُمَرِيّين ، فقال : مالى ولابن عمّكم ! احتملتُه بالحجاز ، فشخص إلى دار مملكتى ؛ يريد أن يفسد علىّ أوليائى ! ردّوه عنى ، فقالوا : لا يقبل منا ؛ فكتب إلى موسى بن عيسى أن يرفُق به حتى يردّه ، فدعا له عيسى ببُنَىّ عشر سنين ، قد حفظ الخطب والمواعظ ، فكلّمه كلاماً كثيراً ، ووعظه بما لم يسمع العمرىّ بمثله ، ونهاه عن التعرّض لأمير المؤمنين ، فأخذ نعله ، وقام وهو يقول : ﴿ فاعترفوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعير ﴾[1] .

وذكر بعضهم أنه كان مع الرشيد بالرّقة بعد أن شخص من بغداد ، فخرج يوماً مع الرشيد إلى الصّيْد ، فعرض له رجل من النساك ، فقال : يا هارون ، اتّق الله ، فقال لإبراهيم بن عثمان بن نهيك : خذ هذا الرّجُل إليك حتى أنصرف ، فلما رجع دعا بغدائه ، ثم أمر أن يطعم الرجل من خاصّ طعامه ، فلما أكل وشرب دعا به ، فقال : يا هذا ، أَنْصِفْنى فى المخاطبة والمسألة ، قال : ذاك أقلّ ما يجب لك ، قال : فأخبِرْنى : أنا شرٌّ وأخبث أم فرعون ؟ قال : بل فرعون ، قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلأَعْلى ﴾[2] وقال : ﴿ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرِى ﴾[3] ، قال : صدقت ؛ فأخبِرْنى فمن خيرٌ ؟ أنت أم موسى ابن عمران ؟ قال : موسى كليم الله وصفيّه ، اصطنعه لنفسه ، وأتمنه على وحيه ، وكلّمه من بين خلقه ، قال : صدقت ؛ أفما تعلم أنه لما بعثه وأخاه إلى فرعون

٧٥٦/٣

(١) سورة الملك ١١ . (٢) سورة النازعات ٢٤ .
(٣) سورة القصص ٣٨ .

قال لهما: ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَو يَخْشَى ﴾[1] ، ذكر المفسرون أنه أمرهما أن يكنياه ؛ وهذا وهو فى عتوه وجبريته ؛ على ما قد علمتَ ، وأنت جئتنى وأنا بهذه الحالة التى تعلم ، أؤدى أكثر فرائض الله علىّ ، ولا أعبد أحداً سواه ، أقف عند أكبر حدوده وأمره ونهيه ؛ فوعظتنى بأغلظ الألفاظ وأشنعها وأخشن الكلام وأفظعه ؛ فلا بأدب الله تأدبْتَ ، ولا بأخلاق الصالحين أخذْت ، فما كان يؤمنك أن أسطوَ بك ! فإذاً أنت قد عرّضت نفسك لما كنت عنه غنيًّا . قال الزاهد : أخطأتُ يا أميرُ المؤمنين ؛ وأنا أستغفرك ؛ قال : قد غفر لك الله ؛ وأمر له بعشرين ألف درهم ، فأبى أن يأخذها ، وقال : لا حاجة لى فى المال ؛ أنا رجل سائح . فقال هرثمة — وخزره[2] : تردّ على أمير المؤمنين يا جاهل صلَته ! فقال الرّشيد : أمسك عنه ، ثم قال له : لم نعطك هذا المال لحاجتك إليه ؛ ولكن مِنْ عادتنا أنه لا يخاطب الخليفة أحدٌ ليس من أوليائه ولا أعدائه إلا وصله ومنحه ؛ فاقبل من صلتنا ما شئت ؛ وضعها حيث أحببت . فأخذ من المال ألفىْ درهم ، وفرّقها على الحجّاب ومَنْ حضر الباب .

٣/٧٥٧

* * *

ذكر مَنْ كان عند الرّشيد من النساء المهائر[3]

قيل : إنه تزوّج زبيدة ؛ وهى أمّ جعفر بنت جعفر بن المنصور ، وأعرس بها فى سنة خمس وستين ومائة فى خلافة المهدىّ ببغداد ، فى دار محمد بن سليمان — التى صارت بعد للعباسة ، ثم صارت للمعتصم بالله — فولدت له محمداً الأمين ، وماتت ببغداد فى جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين .

وتزوّج أمَة العزيز أمّ ولد موسى ، فولدت له علىّ بن الرشيد .

وتزوج أمّ محمد ابنة صالح المسكين ، وأعرس بها بالرّقة فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين ومائة ، وأمّها أم عبد الله ابنة عيسى بن علىّ صاحبة دار أمّ عبد الله بالكرْخ التى فيها أصحاب الدبس ؛ كانت أملكت من إبراهيم بن

---

(١) سورة طه ٤٤ .
(٢) الخزر : النظر بمؤخر العين .
(٣) المهيرة : الزوجة الحرة الغالية المهر .

المهدىّ ، ثم خلعت منه فتزوّجها الرشيد .

وتزوّج العباسة ابنة سليمان بن أبى جعفر ، وأعرس بها فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين ومائة ، حُملت هى وأمّ محمد ابنة صالح إليه .

وتزوج عزيزة ابنة الغطريف ؛ وكانت قبله عند سليمان بن أبى جعفر فطلقها ، فخلَف عليها الرشيد ، وهى ابنة أخى الخيزران .

٣/٧٥٨ وتزوج الجُرَشيّة العثمانية ، وهى ابنة عبدالله بن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان ، وسميت الجُرَشيّة لأنها ولدت بجُرَش باليمن ، وجدّة أبيها فاطمة بنت الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، وعمّ أبيها عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم .

ومات الرشيد عن أربع مهائر : أم جعفر ، وأم محمد ابنة صالح ، وعباسة ابنة سليمان ، والعثمانية .

* * *

[ذكر ولد الرشيد]

وولد للرشيد من الرّجال :

محمد الأكبر وأمّه زبيدة ، وعبد الله المأمون وأمه أم ولد يقال لها مراجل ، والقاسم المؤتمن وأمّه أمّ ولد يقال لها قصف ، ومحمد أبو إسحاق المعتصم وأمه أم ولد يقال لها ماردة ، وعلىّ وأمه أمَة العزيز ، وصالح وأمّه أم ولد يقال لها رئم ، ومحمد أبو عيسى وأمه أم ولد يقال لها عرابة ، ومحمد أبو يعقوب وأمه أم ولد يقال لها شذرة ، ومحمد أبو العباس وأمه أم ولد يقال لها خُبْث ، ومحمد أبو سليمان وأمه أم ولد يقال لها رَواح ، ومحمد أبو علىّ وأمّه أمّ ولد يقال لها دواج ، ومحمد أبو أحمد وأمّه أم ولد يقال لها كِتْمان .

ومن النساء : سكينة وأمها قصِف وهى أخت القاسم ، وأم حبيب وأمها ماردة وهى أخت أبى إسحاق المعتصم ، وأروى أمها حَلوب ، وأم الحسن وأمّها عِرابة ، وأم محمد وهى حَمْدونة ، وفاطمة وأمها غُصَص واسمها مصفّى ، وأم أبيها وأمها سكّر ، وأم سلمة وأمها رحيق ، وخديجة وأمها شَجَر ، وهى أخت كريب ، وأم القاسم وأمها خزق ، ورملة أم جعفر وأمها حَلْى ، وأمّ على أمها أنيق ، وأم الغالية أمّها سَمَنْدَل ، وريْطة وأمها زينة . ٣/٧٥٩

[بقية ذكر بعض سير الرشيد]

ذكر يعقوب بن إسحاق الأصفهانىّ، قال : قال المفضل بن محمد الضبىّ : وجّه إلىّ الرشيد ؛ فما علمت إلاّ وقد جاءتنى الرّسل ليلا ، فقالوا : أجب أمير المؤمنين ؛ فخرجت حتى صرت إليه ؛ وذلك فى يوم خميس ؛ وإذا هو متّكئ ومحمد بن زبيدة عن يساره ، والمأمون عن يمينه ؛ فسلّمت ، فأومأ إلىّ فجلست ، فقال لى : يا مفضّل ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال كم اسماً فى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ﴾[1] ؟ قلت : ثلاثة أسماء يا أميرَ المؤمنين ، قال : وما هى ؟ قلت : الكاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والهاء والميم ، وهى للكفار ، والياء وهى لله عزّ وجلّ . قال : صدقت ؛ هكذا أفادنا هذا الشيخ — يعنى الكسائىّ — ثم التفت إلى محمد ، فقال له : أفهمت يا محمد ؟ قال : نعم ، قال : أعِدْ علىّ المسألة كما قال المفضّل ، فأعادها ، ثم التفت إلىّ فقال : يا مفضّل ، عندك مسألة تسألنا عنها بحضرة هذا الشيخ ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ قال : وما هى ؟ قلت : قول الفرزدق :

أَخَذْنا بِآفاقِ السماءِ عليكمُ لنا قَمَراها والنُّجومُ الطَّوالِعُ[2]

قال : هيهات أفادناها متقدّمًا قبلك هذا الشيخ ؛ لنا قمراها ، يعنى الشمس والقمر كما قالوا سنّة العمريْن : سنة أبى بكر وعمر ، قال : قلت : فأزيد فى السؤال ؟ قال : زِدْ ، قلت : فلِمَ استحسنوا هذا ؟ قال : لأنه إذا اجتمع اسمان من جنس واحد ، وكان أحدهما أخفّ على أفواه القائلين غلّبوه وسمّوْا به الآخر ؛ فلما كانت أيام عمر أكثر من أيام أبى بكر وفتوحه أكثر ، واسمه أخفّ غلّبوه ، وسموا أبا بكر باسمه ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ ﴾[3] وهو المشرق والمغرب . قلت : قد بقيت زيادة فى المسألة ! [فالتفت إلى الكسائى][4] فقال : يقال فى هذا غير ما قلنا ؟ قال : هذا أوفى ما قالوا ، وتمام المعنى عند العرب . قال : ثم التفت إلىّ فقال : ما الذى بقى ؟ قلت : بقيت الغاية التى إليها أجرى الشاعر المفتخر فى شعره ، قال : وما هى ؟ قلت : أراد بالشمس إبراهيم ، وبالقمر

٧٦٠/٣

(١) سورة البقرة ١٣٧ .
(٢) ديوانه ٥١٩ .
(٣) سورة الزخرف ٣٨ .
(٤) من ا .

محمداً صلى الله عليه وسلم ، وبالنجوم الخلفاء الراشدين من آبائك الصالحين . قال : فاشرأبّ أمير المؤمنين ؛ وقال : يا فضل بن الربيع ؛ احمل إليه مائة ألف درهم لقضاء دَيْنه ، وانظر مَنْ بالباب من الشعراء فيؤذنَ لهم ، فإذا العُمَانىّ ومنصور النَّمَرىّ ، فأذن لهما ، فقال : أدنِ منى الشيخ ، فدنا منه وهو يقول :

قل للإمامِ المقتدَى بأمِّهِ ما قاسِمٌ دون مَدَى ابنِ أمِّهِ

* فقد رَضِيناه فقم فَسَمِّهِ *

فقال الرشيد : ما ترضى أن تدعوَ إلى عقد البيعة له وأنا جالس حتى تنهضنى قائماً ! قال : قيام عَزْم يا أمير المؤْمنين ، لا قيام حَتْم [1] ، فقال : يؤتى بالقاسم ، فأتِى به ، وطبطب [2] فى أرجوزته ، فقال الرشيد للقاسم : إنّ هذا الشيخ قد دعا إلى عَقْد البيعة لك ، فأجزِلْ له العطية ، فقال : حُكْم أمير المؤْمنين ، قال : وما أنا وذاك ! هات النَّمَرىّ ، فدنا منه ، وأنشده :

* ما تَنقضِى حسرةٌ مِنّى ولا جَزَعُ [1] *

— حتى بلغ —

٧٦١/٣ ما كان أحسن أيامَ الشبابِ وما أبقى حلاوةَ ذِكراهُ التى تَدَعُ

ما كنتُ أُوفِى شَبابى كنهَ غُرَّتِهِ حتى مضى فإذا الدنيا له تَبَعُ

قال الرشيد : لا خير فى دنيا لا يُخطَر فيها ببُرْد الشباب [4] .

وذكر أن سعيد بن سلم الباهلىّ دخل على الرشيد ، فسلّم عليه ، فأومأ إليه الرشيد فجلس ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أعرابىٌّ من باهلة واقفٌ على باب أمير المؤمنين ؛ ما رأيت قطّ أشعرَ منه ، قال : أما أنك استبحت هذين — يعنى العمَانىّ ومنصور النّمرىّ ، وكانا حاضريه — نُهْبَى لهما أحجارك ، قال : هما يا أميرَ المؤمنين يهبانى لك ؛ فيؤذن للأعرابىّ ؟ فأذن له ، فإذا أعرابىّ فى جُبّة

(١) ا : « جسم » . (٢) فى الأغانى : « ومر » .
(٣) الأغانى ١٣ : ١٥١ وبقيته :

* إلاّ ذَكَرْتُ شباباً لَيْسَ يُرْتجعُ *

(٤) الخبر فى الأغانى ١٧ : ٨٠ (ساسى) .

خزّ ، ورداء يمان ، قد شدّ وسطه ثم ثناه على عاتقه ، وعمامة قد عصّبها على خدّيه ، وأرخى لها عذَبة ، فمثل بين يدى أمير المؤمنين ، وألقيت الكراسىّ ، فجلس الكسائىّ والمفضّل وابن سلْم والفضل بن الربيع ، فقال ابنُ سلْم للأعرابىّ : خذ فى شرَف أمير المؤمنين ، فاندفع الأعرابىّ فى شعره ، فقال أمير المؤمنين : أسمعُك مستحسناً ، وأنكرك متّهماً عليك ؛ فإنْ يكن هذا الشعر لك وأنت قلته من نفسك ، فقل لنا فى هذين بيتين — يعنى محمداً والمأمون — وهما حفافاه[1] فقال : يا أميرَ المؤمنين حمّلتنى على القدر فى غير الحذر روعةَ الخلافة ، وبهَر البديهة ، ونفور القوافى عن الرّويّة ، فيمهلنى أمير المؤمنين ؛ يتألف إلىّ نافراتها ، ويسكن روْعى . قال : قد أمهلتك يا أعرابىّ ، وجعلت اعتذارك بدلاً من امتحانك ، فقال : يا أميرَ المؤمنين نفّست الخناق ، وسهّلت ميدان النفاق ، ثم أنشأ يقول : ٣/٧٦٢

هُما طُنُبَاها بارَكَ اللهُ فيهما وأنتَ أميرَ المؤمنينَ عمودُها
بَنَيْتَ بِعَبْدِ اللهِ بَعدَ مُحمّدٍ ذرَى قبّةِ الإسلامِ فاهتزّ عُودُها

فقال : وأنت يا أعرابىّ بارك الله فيك ؛ فسَلْنا ، ولا تكن مسألتك دون إحسانك ، قال : الهُنيدة[2] يا أميرَ المؤمنين ، قال : فتبسّم أمير المؤمنين ، وأمر له بمائة ألف درهم وسبع خلَع .

وذُكر أنّ الرشيد قال لابنه القاسم — وقد دخل عليه قبل أن يبايع له : أنت للمأمون ببعض لحمك هذا ، قال : ببعض حظّه[3] .

وقال للقاسم يوماً قبل البيعة له : قد أوصيتُ الأمين والمأمون بكَ ، قال : أمّا أنت يا أمير المؤمنين فقد توليتَ النّظر لهما ، ووكلتَ النظر لى إلى غيرك .

وقال مصعب بن عبد الله الزّبيرىّ : قدم الرّشيد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه ابناه محمد الأمين وعبد الله المأمون ، فأعطى فيها العطايا وقسّم

---

(١) حفافاه ، أى محدقان به .
(٢) الهنيدة : اسم للمائة أو المائتين من الإبل .
(٣) ط : « حظه » ، وما أثبته من ا .

فى تلك السنة فى رجالهم ونسائهم ثلاثة أعطية؛ فكانت الثلاثة الأعطية التى قسمها فيهم ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار ، وفرض فى تلك السنة لخمسمائة من وجوه موالى المدينة ، ففرض لبعضهم فى الشرف منهم يحيى بن مسكين وابن عثمان ، ومخراق[1] مولى بنى تميم ، وكان يقرئ[2] القرآن بالمدينة . ٧٦٣/٣

وقال إسحاق الموصلى : لما بايع الرشيد لولده ، كان فيمن بايع عبدُ الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، فلمّا قدم ليبايع ، قال :

لا قصَّرَا عنها ولا بَلَغَتْهما حتى يطولَ على يديكَ طِوَالُها

فاستحسن الرشيد ما تمثّل ، وأجزل له صلته . قال : والشعر لطُريح بن إسماعيل ، قاله فى الوليد بن يزيد وفى ابنيه .

وقال أبو الشيص يرثى هارون الرشيد :

غَرَبَتْ فى الشَّرقِ شمسٌ فلها عَيْنَانِ تَدْمَعْ
ما رأينا قطُّ شَمساً غربت مِن حيثُ تَطلُعْ

وقال أبو نواس الحسن بن هانئ :

جَرَت جَوارٍ بالسَّعدِ والنحسِ فنحنُ فى مأتمٍ وفى عُرُسِ
القلبُ يَبكى والسِّنُّ ضاحكَةٌ فنحن فى وحْشَةٍ وفى أُنْسِ
يُضحكُنا القائمُ الأمينُ ويُبْ كينا وَفاةُ الإمامِ بالأَمْسِ
بَدْرانِ : بدر أَضْحَى ببَغْدادَ بالْ خُلدِ ، وبَدرٌ بطوسَ فى رَمْسِ

وقيل : مات هارون الرشيد ، وفى بيت المال تسعمائة ألف ألف ونيّف . ٧٦٤/٣

---

(١) ا : « ومخارق » .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « يقرأ » .

خلافة الأمين

وفى هذه السنة بويع لمحمد الأمين بن هارون بالخلافة فى عسكر الرّشيد، وعبد الله بن هارون المأمون يومئذ بمَرْو؛ وكان - فيما ذكر - قد كتب حَمّوَيْه مولى المهدىّ صاحب البريد بطُوسَ إلى أبى مسلم سلام، مولاه وخليفته ببغداد على البريد والأخبار، يعلمه وفاة الرشيد. فدخل على محمد فعزّاه وهنّأه بالخلافة، وكان أوّل الناس فعل ذلك، ثم قدم عليه رجاء الخادم يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة، كان صالح بن الرشيد أرسله إليه بالخبر بذلك - وقيل: [أتاه الخبر بذلك] [1] - ليلة الخميس للنصف من جمادى الآخرة، فأظهرَه [2] يوم الجمعة، وستر خبرَه بقيّة يومه وليلته، وخاض الناس فى أمره.

ولما قدم كتاب صالح على محمد الأمين مع رجاء الخادم بوفاة الرشيد - وكان نازلاً فى قصره بالخلد - تحوّل إلى قصر أبى جعفر بالمدينة، وأمر الناس بالحضور ليوم الجمعة، فحضروا وصلى بهم؛ فلما قضى صلاته صعِد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ونعَى الرشيدَ إلى الناس، وعزّى نفسه والناس، ووعدهم خيراً، وبسط الآمال، وآمن الأسود والأبيض، وبايعه جِلّة أهل بيته وخاصّته ومواليه وقوّاده، ثم دخل. ووكّل ببيعته على مَنْ بقى منهم عمّ أبيه سليمان بن أبى جعفر، فبايعهم، وأمر السندىّ بمبايعة جميع الناس من القوّاد وسائر الجند، وأمر للجند ممّن بمدينة السلام برزق أربعة وعشرين شهراً، وبخواصّ مَنْ كانت له خاصة بهذه الشهور. ٣/٧٦٥

* * *

[ذكر الخبر عن بدء الخلاف بين الأمين والمأمون]

وفى هذه السنة كان بدء اختلاف الحال بين الأمين محمد وأخيه المأمون، وعزم كلّ واحد منهما بالخلاف على صاحبه فيما كان والدهما هارون أخذ عليهما العمل به، فى الكتاب الذى ذكرنا أنه كان كتبه عليهما وبينهما.

---

(١) من ا. (٢) كذا فى ا، وفى ط: «فأظهر».

* ذكر الخبر عن السبب الذى كان أوجب اختلاف حالهما فيما ذكرت :

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبلُ أنّ الرشيد جدّد حين شخص إلى خُراسان البيعةَ للمأمون على القوّاد الذين معه ، وأشهد مَنْ معه من القوّاد وسائر الناس وغيرهم أنّ جميع مَنْ معه من الجند مضمومون إلى المأمون ، وأنّ جميع ما معه من مال وسلاح وآلة وغير ذلك للمأمون . فلما بلغ محمدَ بن هارون أنّ أباه قد اشتدّت علّتُه ، وأنه لمآبه ، بعث مَنْ يأتيه بخبره فى كلّ يوم ، وأرسل بكْر بن المعتمر ، وكتب معه كتبًا ، وجعلها فى قوائم صناديق منقورة وألبسَها جلود البقر ، وقال : لا يظهرنّ أميرُ المؤمنين ولا أحدٌ ممن فى عسكره على شىء من أمرك وما توجهتَ فيه ، ولا ما معك ، ولو قُتِلتَ حتى يموت أميرُ المؤمنين ؛ فإذا مات فادفعْ إلى كلّ رجل منهم كتابه .

فلمّا قدِم بكر بن المعتمر طوسَ ، بلغ هارونَ قدومُه ، فدعا به ، فسأله : ما أقدمك ؟ قال : بعثنى محمد لأعلم له علم خبرك وآتيه به ، قال : فهل معك كتاب ؟ قال : لا ، فأمر بما معه ففتّش فلم يصيبوا معه شيئًا ، فهدّده بالضّرب فلم يقرّ بشىء ، فأمر به فحُبس وقيّد . فلما كان فى الليلة التى مات فيها هارون أمر الفضل بن الربيع أن يصير إلى محبس بكر بن المعتمر فيقرّره ، فإن أقرّ وإلا ضرب عنقه ، فصار إليه ، فقرّره فلم يقرّ بشىء ، ثم غُشِىَ على هارون ، فصاح النساء ، فأمسك الفضل عن قتله ، وصار إلى هارون ليحضره ، ثم أفاق هارون وهو ضعيف ، قد شغل عن بكْر وعن غيره لحسّ الموت ، ثم غُشِىَ عليه غشيةً ظنّوا أنها هى ، وارتفعت الضجة ، فبعث بكر بن المعتمر برقعة منه إلى الفضْل بن الربيع مع عبد الله بن أبى نُعيم ، يسأله ألاّ يعجلوا بأمر ، ويعلمه أنّ معه أشياء يحتاجون إلى علمها — وكان بكرٌ محبوسًا عند حسين الخادم — فلما تُوفِّىَ هارون فى الوقت الذى تُوفِّىَ فيه ، دعا الفضلُ بن الربيع ببكْر من ساعته ، فسأله عما عنده ، فأنكر أن يكون عنده شىء ، وخشِىَ على نفسه من أن يكون هارون حيًّا ، حتى صحّ عنده موتُ هارون ، وأدخله عليه ، فأخبره أنّ عنده كتبًا من أمير المؤمنين محمد ، وأنه لا يجوز له إخراجها ؛ وهو على حاله فى قيوده وحبسه ، فامتنع حسين الخادم من إطلاقه حتى أطلقَه الفضل ، فأتاهم

٧٦٦/٣

بالكتب التى عنده ، وكانت فى قوائم المطابخ المجلّدة بجلود البقر ، فدفع إلى كلّ إنسان منهم كتابه . وكان فى تلك الكتب كتاب من محمد بن هارون إلى حسين الخادم بخطّه ، يأمره بتخلية بكْر بن المعتمر وإطلاقه ، فدفعه إليه ، وكتاب إلى عبد الله المأمون ، فاحتبس كتاب المأمون عنده ليبعثه إلى المأمون بمَرْو ، وأرسلوا إلى صالح بن الرّشيد — وكان مع أبيه بطوس ، وذلك أنه كان أكبرَ من يحضر هارون من ولده — فأتاهم فى تلك الساعة ، فسألهم عن أبيه هارون ، فأعلموه ، فجزع جزعًا شديداً ، ثم دفعوا إليه كتاب أخيه محمد الذى جاء به بكْر . وكان الذين حضروا وفاة هارون هُم الذين ولُوا أمره وغَسْله وتجهيزه ، وصلى عليه ابنه صالح . ٣/٧٦٧

وكانت نسخة كتاب محمد إلى أخيه عبد الله المأمون :

إذا ورد عليك كتابُ أخيك — أعاذه الله من فقدك — عندحلول ما لا مردّ له ولا مدفَع مما قد أخلف وتناسخ [فى][1] الأمم الخالية والقرون الماضية [فعزّ نفسك][1] بما عزّاك الله به . واعلم أنّ الله جل ثناؤه قد اختار لأمير المؤمنين أفضلَ الدارين ، وأجزل الحظّيْن فقبضه الله طاهراً زاكيًا ، قد شكر سعيَه ، وغفر ذنبه إن شاء الله . فقمْ فى أمرك قيام ذى الحزْم والعزْم ، والناظر لأخيه ونفسه وسلطانه وعامة المسلمين . وإيّاك أنْ يغلب عليك الجزَع ، فإنه يُحبِط الأجْر ، ويُعقب الوزر . وصلوات الله على أمير المؤمنين حيًّا وميتًا ، وإنا لله وإنا إليه راجعون! وخُذ البَيْعة عمّن قِبَلك من قوّادك وجندك وخاصّتك وعامّتك لأخيك ثم لنفسك ، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين ؛ على الشريطة التى جعلها لك أمير المؤمنين من نَسْخها له وإثباتها ، فإنّك مقلّد من ذاك ما قلدك الله وخليفته . وأعلِمْ مَنْ قِبَلك رأيى فى صلاحهم وسدّ خَلّتهم والتوسعة عليهم ؛ فمن أنكرته عند بيعته أو اتّهمته على طاعته ، فابعث إلىّ برأسه مع خبره . وإياك وإقالته ؛ فإنّ النار أولى به . واكتب إلى عمّال ثغورك وأمراء أجنادك بما طرقك من المصيبة بأمير المؤمنين ، وأعلمهم أنّ الله لم يرضَ الدّنيا له ثوابًا حتى قبضه إلى روحه وراحته وجنته ، مغبوطًا محموداً قائداً لجميع خلفائه إلى الجنة إن شاء الله . ومُرهم أن يأخذوا البيعة ٣/٧٦٨

(١) من ا .

على أجنادهم وخواصّهم وعوامّهم على مثل ما أمرتُك به من أخذها على مَن قِبَلك وأوعز إليهم فى ضبط ثغورهم ، والقوّة على عدوّهم . [وأعلمهم] [١] أنّى متفقد حالاتهم ولامٌّ شعثهم ، وموسّع عليهم ، ولا تنى [٢] فى تقوية أجنادى وأنصارى ، ولتكن كتبك إليهم كتباً عامة ، لتُقرأ عليهم ؛ فإنّ فى ذلك ما يسكنهم ويبسط أملهم . واعمل بما تأمر به لمن حضرك ، أو نأى عنك من أجنادك ؛ على حسب ما ترى وتشاهد ؛ فإنّ أخاك يعرف حسنَ اختيارك ، وصحّة رأيك ، وبعد نظرك ؛ وهو يستحفظ الله لك ، ويسأله أن يشدّ بك عضده ، ويجمع بك أمره ؛ إنه لطيف لما يشاء .

وكتب بكر بن المعتمر بين يدىّ وإملائى فى شوال سنة ثنتين وتسعين ومائة .

وإلى أخيه صالح :

بسم الله الرحمن الرحيم . إذا ورد عليك كتابى هذا عند وقوع ما قد سبق فى علم الله ونفذ من قضائه فى خُلفائه وأوليائه ، وجرتْ به سنته فى الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، فقال : ﴿ كلّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعون﴾[٣] ، فاحمدوا الله ما صار إليه أمير المؤمنين من عظيم ثوابه ومرافقة أنبيائه ، صلواتُ الله عليهم ، وإنا إليه راجعون . وإياه نسأل أن يحسن الخلافة على أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد كان لهم عصمةً وكهفاً ، وبهم رءوفاً رحيماً ؛ فشمّر فى أمرك ، وإياك أن تلقى بيدْيك ؛ فإنّ أخاك قد اختارك لما استنهضك له ، وهو متفقّد مواقع فقدانك ، فحقق ظنه ونسأل الله التوفيق . وخذ البيعة على من قِبَلك من ولد أمير المؤمنين وأهل بيته ومواليه وخاصّته وعامّته لمحمد أمير المؤمنين ، ثم لعبد الله بن أمير المؤمنين ، ثم للقاسم بن أمير المؤمنين ؛ على الشريطة التى جعلها أمير المؤمنين صلوات الله عليه من فسخها على القاسم أو إثباتها ، فإن السعادة واليُمْن فى الأخذ بعهده ، والمضىّ على مناهجه . وأعْلِم مَنْ قِبَلك من الخاصّة والعامة رأيى فى استصلاحهم ، وردّ مظالمهم وتفقد حالاتهم ، وأداء أرزاقهم وأعطياتهم عليهم ؛ فإن شغب شاغب ، أو نَعَر ناعر ، فاسطُ به سطوة تجعله نكالا لما بين يديها وما خلفها

٣/٧٦٩

(١) من ا . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « ولا آن » . (٣) سورة القصص ٨٨ .

وموعظة للمتقين . واضمُم إلى الميمون بن الميمون الفضْل بن الربيع ولَد أمير المؤمنين وخدمه وأهله[1] ؛ ومُرْه بالمسير معهم فيمن معه من جنده ورابطته ، وصيِّر إلى عبد الله بن مالك أمر العسكر وأحداثه ؛ فإنه ثقة على ما يلى ، مقبول عند العامة ، واضمُم إليه جميعَ جند الشُّرَط من الرّوابط وغيرهم إلى مَنْ معه من جنده ، ومُرْه بالجِدّ والتيقظ وتقديم الحزم فى أمره كله ، ليله ونهاره ؛ فإنّ أهل العداوة والنّفاق لهذا السلطان يغتنمون مثل حاول هذه المصيبة. وأقِرّ حاتم بن هرثمة على ما هو عليه ، ومُره بحراسة ما يحفظ به قصورَ أمير المؤمنين ؛ فإنه ممّن لا يُعرف إلا بالطاعة ، ولا يدين إلا بها بمعاقد من الله مما قدّم له من حال أبيه المحمود عند الخلفاء . ومر الخدم بإحضار روابطهم ممّن يُسدّ بهم وبأجنادهم مواضع الخَلَل من عسكرك ؛ فإنهم حدّ من حدودك ، وصيِّر مقدّمتك إلى أسد بن يزيد بن مزيد ، وساقتك إلى يحيى بن معاذ ، فيمن معه من الجنود ، ومُرْهما بمناوبتك فى كلّ ليلة ، والزم الطريق الأعظم ، ولا تَعدُوَنّ المراحل ؛ فإن ذلك أرفق بك . ومر أسدَ بن يزيد أن يتخيَّرَ رجلاً من أهل بيته أو قوّاده ، فيصير إلى مقدمته ثم يصير أمامه لتهيئة المنازل ، أو بعض الطريق ؛ فإن لم يحضرك فى عسكرك بعضُ من سَمّيتُ ، فاختَرْ لمواضعهم مَنْ تثق بطاعته ونصيحته وهيبته عند العوامّ ؛ فإنّ ذلك لن يُعوزَك من قوّادك وأنصارك إن شاء الله . وإيّاك أن تنفذ رأيًا أو تُبرم أمرًا إلا برأى شيْخك وبقية آبائك الفضل بن الربيع ، وأقور جميعَ الخدم على ما فى أيديهم من الأموال والسلاح والخزائن وغير ذلك ؛ ولا تخرجنّ أحداً منهم من ضِمْن ما يلى إلى أن تُقدم علىّ .

٣/ ٧٧٠

وقد أوصيتُ بكر بن المعتمر بما سيبلّغكه ، واعمل فى ذلك بقدر ما تشاهد وترى ، وان أمرتَ لأهل العسكر بعطاء أو رزق ؛ فليكن الفضل بن الربيع المتولِّىَ لإعطائهم على دواوين يتخذها لنفسه ؛ بمحضر من أصحاب الدواوين ؛ فإنّ الفضل بن الربيع لم يزل يتقلّد مثل ذلك لمهمّات الأمور . وأنفذ إلىّ عند وصول كتابى هذا إليك إسماعيل بن صَبيح وبكر بن المعتمر على مركبيهما من البريد ؛ ولا يكون لك عرْجة ولا مُهلة بموضعك الذى أنت فيه حتى توجّه إلىّ بعسكرك

---

(١) ساقطة من ا .

٣/٧٧١ بما فيه من الأموال والخزائن إن شاء الله . أخوك يستدفع الله عنك، ويسأله لك حسن التأييد برحمته .

وكتب بكر بن المعتمر بين يدىّ وإملائى فى شوال سنة ثنتين وتسعين ومائة.

وخرج رجاء الخادم بالخاتم والقضيب والبُردة ، وبنعْى هارون حين دفن حتى قدم بغداد ليلة الخميس — وقيل يوم الأربعاء — فكان من الخبر ما قد ذكرت قبل .

وقيل : إنّ نعىّ الرشيد لما ورد بغداد صعد إسحاق بن عيسى بن علىّ المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أعظم الناس رزيئةً ، وأحسن الناس بقيّة رزؤنا ، فإنه لم يُرزأ أحدٌ كرزئنا ، فمن له مثل عوضنا ! ثم نعاه إلى الناس ، وحضّ الناس على الطاعة .

* * *

وذكر الحسن الحاجب أنّ الفضل بن سهل أخبره ، قال : استقبل الرشيدَ وجوه أهل خُراسان ، وفيهم الحسين بن مصعب . قال : ولقينى فقال لى : الرشيد ميّتٌ أحد هذين اليومين ، وأمرُ محمد بن الرشيد ضعيف ، والأمر أمر صاحبك ؛ مُدّ يدك. فمدّ يده فبايع للمأمون بالخلافة. قال : ثم أتانى بعد أيام ومعه الخليل بن هشام ، فقال : هذا ابن أخى ، وهو لك ثقة خذ بيعته .

وكان المأمون قد رحل من مَرْو إلى قصر خالد بن حماد على فرسخ من مَرْو يريد سَمرقند ، وأمر العبّاس بن المسيّب بإخراج الناس واللحوق بالعسكر ، فمرّ به إسحاق الخادم ومعه نعىّ الرشيد ، فغمّ العباس قدومه ، فوصل إلى المأمون فأخبره ، فرجع المأمون إلى مَرْو ، ودخل دار الإمارة ، دار أبى مسلم ، ونعى الرّشيدَ على المنبر ، وشقّ ثوبه ونزل، وأمر للناس بمال ،

٣/٧٧٢ وبايع لمحمد ولنفسه وأعطى الجند رزق اثنى عشر شهراً .

قال : ولما قرأ الذين وردت عليهم كتبُ محمد بطُوس من القوّاد والجند وأولاد هارون ؛ تشاوروا فى اللحاق بمحمد ، فقال الفضل بن الربيع : لاأدَعُ مُلْكا حاضراً لآخر لا يدرى ما يكون من أمرِه ، وأمرَ الناس بالرّحيل ، ففعلوا ذلك محبّةً منهم للحوق بأهلهم ومنازلهم ببغداد ، وتركوا العهود التى كانت أخذت عليهم للمأمون ، فانتهى الخبر بذلك من أمرهم إلى المأمون بمَرْو ،

فجمع مَنْ معه من قواد أبيه ، فكان معه منهم عبد الله بن مالك، ويحيى ابن معاذ ، وشبيب بن حميد بن قحطبة ، والعلاء مولى هارون ، والعباس بن المسيّب بن زهير وهو على شرطته ، وأيوب بن أبى سمير وهو على كتابته ؛ وكان معه من أهل بيته عبدالرحمن بن عبد الملك بن صالح ، وذو الرياستين ؛ وهو عنده من أعظم الناس قدراً وأخصّهم به ، فشاورهم وأخبرهم الخبر ، فأشاروا عليه أن يلحقهم فى ألفْى فارس جَريدة ، فيردّهم ،وسُمّى لذلك قوم ، فدخل عليه ذو الرياستين ، فقال له : إن فعلت ما أشاروا به عليك جعلتَ[(1)] هؤلاء هديّة إلى محمّد[(1)] ، ولكنّ الرأى أن تكتب إليهم كتاباً ، وتوجّه إليهم رسولا ؛ فتذكّرهم البيعة ، وتسألهم الوفاء ، وتحذّرهم الحنث ، وما يلزمهم فى ذلك فى الدنيا والدين . قال : قلت له : إن كتابك ورسلك تقوم مقامك ، فتستبرئ ما عند القوم، وتوجّهُ سهل بن صاعد — وكان على قهرمته — فإنه يأمُلك ، ويرجو أن ينال أمله ؛ فلن يألوك نصحاً ، وتوجّه نَوفلاً الخادم مولى موسى أمير المؤمنين — وكان عاقلا . فكتب كتاباً ، ووجّههما فلحقاهم بنيسابور قد رحلوا ثلاث مراحل . ٧٧٣/٣

فذكر الحسن بن أبى سعيد[(2)] عن سهل بن صاعد، أنه قال [له] [(3)] : فأوصلت[(4)] إلى الفضل بن الربيع كتابَه ، فقال لى : إنما أنا واحد منهم، قال لى سهل: وشدّ علىّ عبدُالرحمن بن جبلة بالرّمح ، فأمرّه على جنبى ، ثم قال [لى][(3)] : قل لصاحبك : والله لو كنتَ حاضراً لوضعت الرّمح فى فيك ، هذا جوابى .

قال : ونال من المأمون ، فرجعت بالخبر .

قال الفضل بن سهل : فقلت للمأمون : أعداء قد استرحتَ منهم ؛ ولكن افهم عنى ما أقول لك ؛ إنّ هذه الدولة لم تكن قطّ أعزّ منها أيام أبى جعفر ، فخرج عليه المقنّع وهو يدّعى الربوبيّة ، وقال بعضهم : طلب بدم أبى مسلم ، فتضعضع العسكر بخروجه بخُراسان ، فكفاه الله المؤنة[(5)] . ثم خرج بعده يوسف البَرْم وهو عند بعض المسلمين كافر ؛ فكفى الله المؤنة ، ثم خرج أستاذسيس

(١ — ١) ابن الأثير : « جعلوك هدية إلى أخيك » . (٢) فى ط : « سعد » ، وانظر الفهرس .
(٣) من ا . (٤) كذا فى ا ، وفى ط : « لما أوصلت » . (٥) ا : « أمره » .

يدعو إلى الكفر ، فسار المهدىّ من الرّىّ إلى نيسابور فكُفِىَ المؤنة ؛ ولكن ما أصنع ! أكثِر عليك[1] ! أخبرنى كيف رأيت الناس حين ورد عليهم خبر رافع ؟ قال : رأيتُهم اضطربوا اضطراباً شديداً . قلت : وكيف بك وأنت نازل فى أخوالك ، وبيعتك فى أعناقهم ! كيف يكون اضطراب أهل بغداد ! اصبر وأنا أضمن لك الخلافة — ووضعت يدى على صدرى — قال : قد فعلتُ ، وجعلتُ الأمر إليك فقمْ به . قال : قلت : والله لأصدُقَنّك ، إن عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ ومَنْ سمّينا من أمراء الرؤساء، إن قاموا لك بالأمر كانوا[2] أنفعَ منى لك برياستهم المشهورة ، ولِمَا عندهم من القوة على الحرب ، فمن قام بالأمر كنتُ خادماً له حتى تصير إلى محبّتك ، وترى رأيك فىّ. فلقيتُهم فى منازلهم ، وذكّرتهم البَيْعة التى فى أعناقهم وما يجب عليهم من الوفاء . قال : فكأنى جئتُهم بجيفة على طَبق ، فقال بعضهم : هذا لا يحلّ ، اخرج ، وقال بعضهم : مَن الذى يدخل بين أمير المؤمنين وأخيه ! فجئت فأخبرته ، قال : قم بالأمر ، قال : قلت : قد قرأتَ القرآن ، وسمعتَ الأحاديث ، وتفقهت فى الدين ، فالرّأى أن تبعث إلى مَنْ بالحضرة من الفقهاء ، فتدعوَهم إلى الحقّ والعمل به وإحياء السنة ، وتقعد على اللّبود ، وتردّ المظالم . ففعلنا وبعثنا إلى الفقهاء ، وأكرمنا القوّاد والملوك وأبناء الملوك ؛ فكنا نقول للتميمى : نُقيمك مقام موسى بن كعب ؛ وللرّبعىّ : نقيمك مقام أبى داود خالد بن إبراهيم ، ولليمانىّ : نقيمك مقام قحطبة ومالك بن الهيثم ؛ فكنا ندعو كلّ قبيلة إلى نقباء[3] رءوسهم ، واستملنا الرءوس ، وقلنا لهم مثل ذلك[3] ، وحطَطْنا عن خُراسان ربع الخراج ، فحسن موقع ذلك منهم ، وسُرّوا به ؛ وقالوا : ابن أختنا ، وابن عمّ النبى صلى الله عليه .

٧٧٤/٣

قال على بن إسحاق : لما أفضت الخلافة إلى محمد ، وهدأ الناس ببغداد ، أصبح صبيحة السّبت بعد بيعته بيوم ؛ فأمر ببناء ميدان حول قصر أبى جعفر فى المدينة للصوالجة واللعب ، فقال فى ذلك شاعر من أهل بغداد :

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « أكبر » .
(٢) كذا فى ا وفى ط : « كان » .
(٣ — ٣) وردت العبارة فى ط مضطربة ، والصواب ما أثبته من ا .

بَنَى أَمينُ اللهِ مَيدانا وصَيَّرَ السَّاحةَ بُستانَا
وكانت الغزلانُ فيهِ بَانَا يُهدَى إليْهِ فيهِ غِزلانا

٣/٧٧٥

* * *

وفى هذه السنة شخصت أمّ جعفر من الرّقة بجميع ما كان معها هنالك من الخزائن وغير ذلك فى شعبان ؛ فتلقاها ابنُها محمد الأمين بالأنبار فى جميع مَنْ كان ببغداد من الوُجوه، وأقام المأمون على ما كان يتولّى من عمل خُراسان ونواحيها إلى الرّىّ ،وكاتب الأمين ، وأهدى إليه هدايا كثيرة، وتواترت كتبُ المأمون إلى محمد بالتعظيم والهدايا إليه من طُرَف خُراسان من المتاع والآنية والمِسك والدوابّ والسلاح .

وفى هذه السنة دخل هَرْثمة حائط سَمَرْقند ، ولجأ رافع إلى المدينة الداخلة، وراسل رافع التُّرك فوافوْه ، فصار هرثمة بين رافع والترك، ثم انصرف الترك، فضعف رافع .

وقتِل فى هذه السنة نِقْفور ملك الروم فى حرْب بُرْجان ، وكان ملكه — فيما قيل — سبع[1] سنين ، وملك بعده إستبراق بن نِقْفور وهو مجروح ، فبقَى شهرين ومات. وملك ميخائيل بن جورجس خَتَنه على أخته .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ ، وكان والى مكة .

وأقرّ محمد بن هارون أخاه القاسم بن هارون فى هذه السنة على ما كان أبوه هارون ولاّه من عمل الجزيرة، واستعمل عليها خُزيمة بن خازم ، وأقرّ القاسم على قِنَّسرين والعواصم .

---

(١) ا : « تسع سنين » .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

٣/٧٧٦ فمن ذلك ما كان من مخالفة أهل حِمْص عاملهم إسحاق بن سليمان ، وكان محمّد ولاه إياها ، فلمّا خالفوه انتقل إلى سلمْيَة ، فصرفه محمد عنهم ، وولّى مكانه عبد الله بن سعيد الحرَشىّ ومعه عافية بن سليمان ، فحبس عدّة من وجوههم ، وضرب مدينتهم من نواحيها بالنار ، وسألوه الأمان فأجابهم ، وسكنوا ثم هاجوا ؛ فضرب أيضًا أعناق عدّة منهم .

وفيها عزل محمد أخاه القاسم عن جميع ما كان أبوه هارون ولاّه من عمل الشأم وقِنّسرين والعواصم والثغور ، وولّى مكانه خزيمة بن خازم ، وأمره بالمقام بمدينة السلام .

وفى هذه السنة أمر محمد بالدعاء لابنه موسى على المنابر بالإمرة .

* * *

[ذكر تفاقم الخلاف بين الأمين والمأمون]

وفيها مكّر كلّ واحد منهما بصاحبه : محمد الأمين وعبد الله المأمون ، وظهر بينهما الفساد .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذُكر أن الفضل بن الربيع فكّر بعد مقدَمه العراق على محمد منصرفاً عن طُوس ، وناكثًا للعهود التى كان الرشيد أخذها عليه لابنه عبد الله ، وعلم أنّ الخلافة إن أفضت إلى المأمون يومًا وهو حىّ لم يُبْق عليه ؛ وكان فى ظَفَره به عطبُه ، فسعى فى إغراء محمد به ، وحثّه على خلعه ، وصرْف ولاية العهد من بعده إلى ابنه موسى ؛ ولم يكن ذلك من رأى محمّد ولا عزمه ، بل كان عزمه — فيما ذكر عنه — الوفاء لأخويه : عبد الله والقاسم ، بما كان أخذ عليه لهما والده من العهود والشروط ، فلم يزل الفضل به يصغّر فى عينه شأن المأمون ، ٣/٧٧٧

ويزيّن له خلعه ؛ حتّى قال له : ما تنتظر يا أمير المؤمنين بعبد الله والقاسم أخويك ! فإنّ البيعة كانت لك متقدّمة قبلهما ، وإنما أدخلا فيها بعدك واحداً بعد واحد ، وأدخل فى ذلك من رأيه معه علىّ بن عيسى بن ماهان والسندىّ وغيرهما ممن بحضرته ؛ فأزال محمداً عن رأيه .

فأول ما بدأ به محمد عن رأى الفضل بن الربيع فيما دبّر من ذلك ، أن كتب إلى جميع العمّال فى الأمصار كلها بالدعاء لابنه موسى بالإمرة بعد الدّعاء له وللمأمون والقاسم بن الرشيد ، فذكر الفضل بن إسحاق بن سليمان أنّ المأمون لما بلغه ما أمر به محمد من الدّعاء لابنه موسى وعزْله القاسم عمّا كان الرشيد ضمّ إليه من الأعمال وإقدامه إيّاه مدينة السلام ؛ علم أنه يدبّر عليه فى خلعه ، فقطع البريدَ عن محمد ، وأسقط اسمه من الطّرز [والضّرب][(١)] .

وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيّار لما انتهى إليه من الخبر عن المأمون وحسن سيرته فى أهل عمله وإحسانه إليهم ، بعث فى طلب الأمان لنفسه ، فسارع إلى ذلك هرثمة وخرج رافع فلحق بالمأمون ، وهرثمة بعدُ مقيم بسمرقند فأكرم المأمون رافعاً . وكان مع هرثمة فى حصار رافع طاهر بن الحسين ؛ فلمّا دخل رافع فى الأمان ، استأذن هرثمة المأمون فى القدوم عليه ، فعبر نهر بلْخ بعسكره والنهر جامد ، فتلقّاه الناس ، وولاّه المأمون الحرس . فأنكر ذلك كله محمد ، فبدأ بالتّدبير على المأمون ؛ فكان من التدبير أنه كتب إلى العباس بن عبد الله بن مالك — وهو عامل المأمون على الرّىّ — وأمره أن يبعث إليه بغرائب غروس الرىّ — مريداً بذلك امتحانه — فبعث إليه ما أمره به ، وكتم المأمون وذا الرياستين . فبلغ ذلك من أمره المأمون ، فوجّه الحسن بن علىّ المأمونىّ وأردفه بالرستمىّ[(٢)] على البريد ، وعزل العباس بن عبد الله بن مالك ؛ فذُكر عن الرستمىّ أنه لم ينزل عن دابته حتّى اجتمع إليه ألف رجل من أهل الرىّ . ٧٧٨/٣

ووجّه محمد إلى المأمون ثلاثة أنفس رسلاً : أحدهم العباس بن موسى بن عيسى ، والآخر صالح صاحب المصلّى ، والثالث محمد بن عيسى بن نهيك ؛

---

(١) من ا .
(٢) هو الحسين بن عمر الرستمى .

وكتب معهم كتاباً إلى صاحب الرّىّ؛ أن استقبلْهم بالعُدّة والسلاح الظاهر. وكتب إلى والى قُومِس ونَيْسابور وسَرَخْس بمثل ذلك؛ ففعلوا. ثم وردت الرّسل مَرْو، وقد أُعِدّ لهم من السلاح وضروب العُدد والعتاد، ثم صاروا إلى المأمون؛ فأبلغوه رسالة محمد بمسألته تقديمَ موسى على نفسه؛ ويذكر له أنه سمّاه الناطق بالحق؛ وكان الذى أشار عليه بذلك علىّ بن عيسى بن ماهان، وكان يخبره أن أهل خُراسان يطيعونه؛ فردّ المأمون ذلك وأباه.

قال: فقال لى ذو الرئاستين: قال العباس بن موسى بن عيسى بن موسى: وما عليك أيها الأمير من ذلك؛ فهذا جدّى عيسى بن موسى قد خُلِع فما ضرّه ذلك، قال: فصحتُ به: اسكت، فإن جدّك كان فى أيديهم أسيراً؛ وهذا بين أخواله وشيعته. قال: فانصرفوا، وأنزل كل واحد منهم منزلاً. قال ذو الرياستين: فأعجبنى ما رأيت من ذكاء العباس بن موسى، فخلوت به فقلت: أيذهب[1] عليك فى فهمك وسنّك أن تأخذ بحظك من الإمام — وسُمّىَ المأمون فى ذلك اليوم بالإمام ولم يسمّ بالخلافة، وكان سبب ما سُمّى به الإمام ما جاء من خَلْع محمد له، وقد كان محمد قال للذين أرسلهم: قد تسمّى المأمون بالإمام، فقال لى العباس: قد سميتموه الإمام! قال: قلت له: قد يكون إمام المسجد والقبيلة، فإن وفيتم لم يضرّكم، وإن غدرتم فهو ذاك. قال: ثمّ قلتُ للعباس: لك عندى ولاية الموسم، ولا ولاية أشرف منها، ولك من مواضع الأعمال بمصْر ما شئت.

٣/٧٧٩

قال: فما برح حتى أخذت عليه البيعة للمأمون بالخلافة؛ فكان بعد ذلك يكتب إلينا بالأخبار، ويشير علينا بالرأى.

قال: فأخبرنى علىّ بن يحيى السَّرَخسىّ، قال: مرّ بى العباس بن موسى ذاهباً إلى مَرْو — وقد كنت وصفت له سيرة المأمون وحسن تدبير ذى الرياستين واحتماله الموضع، فلم يقبل ذلك منى — فلما رجع مرّ بى، فقلت له: كيف رأيت؟ قال: ذو الرياستين أكثر مما وصفت، فقلت: صافحتَ

(١) كذا فى ا، وفى ط: «يذهب».

الإمام ؟ قال : نعم ، قلت : امسح يدك على رأسى . قال : ومضى القوم إلى محمّد فأخبروه بامتناعه ، قال : فألحّ الفضل بن الربيع وعلىّ بن عيسى على محمد فى البيْعة لابنه وخلْع المأمون ، وأعطى الفضل الأموالَ حتى بايع لابنه موسى ، وسمّاه الناطق بالحق ، وأحضنه علىّ بن عيسى وولاّه العراق .
قال : وكان أوّل من أخذ له البيعة بشر بن السَّمَيْدع الأزدىّ ، وكان واليًا على بلد ، ثم أخذها صاحب مكة وصاحب المدينة على خواصّ من الناس قليل ، دون العامة .

٣/٧٨٠ قال : ونهى الفضل بن الربيع عن ذكر عبد الله والقاسم والدّعاء لهما على شىء من المنابر ، ودسّ لذكر عبد الله والوقيعة فيه ، ووجّه إلى مكّة كتاباً مع رسولٍ من حَجَبة البيت يقال له محمد بن عبد الله بن عثمان بن طلحة فى أخذ الكتابين اللذين كان هارون كتبهما ، وجعلهما فى الكعبة لعبد الله على محمد ، فقدم بهما عليه ، وتكلم فى ذلك بقية الحجَبة ، فلم يحفل بهم ، وخافوا على أنفسهم ، فلما صار بالكتابين إلى محمد قبضهما منه ، وأجازه بجائزة عظيمة ، ومزّقهما وأبطلهما .

وكان محمد — فيما ذكر — كتب إلى المأمون قبل مكاشفة المأمون إياه بالخلاف عليه ، يسأله أن يتجافَى له عن كُور من كُور خراسان — سمّاها — وأن يوجّه العمال إليها من قِبَل محمد ، وأن يحتمل توجيه رجل من قِبله يولّيه البريد عليه ليكتب إليه بخبره . فلمّا ورد إلى المأمون الكتاب بذلك ، كبُر ذلك عليه واشتدّ ، فبعث إلى الفضل بن سهل وإلى أخيه الحسن ، فشاورهما فى ذلك ، فقال الفضل : الأمر مُخْطِر ، ولك من شيعتك وأهل بيتك بطانة ، ولهم تأنيس بالمشاورة ، وفى قطع الأمر دونهم وَحْشة ، وظهوره[1] قلّة ثقة ، فرأىُ الأمير فى ذلك . وقال الحسن : كان يقال : شاور فى طلب الرأى مَنْ تثق بنصيحته ، وتألّف العدوّ فيما لا اكتتام له بمشاورته ؛ فأحضر المأمون الخاصّة من الرؤساء والأعلام ، وقرأ عليهم الكتاب ، فقالوا جميعًا له : أيّها الأمير ،

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « ظهور » .

تشاور فى مخطر، فاجعل لبديهتنا حظًّا من الرويّة، فقال المأمون: ذلك هو الحزم، وأجّلهم ثلاثاً، فلما اجتمعوا بعد ذلك، قال أحدهم: أيّها الأمير، قد حُمِلتَ على كَرْهيْن، ولستُ أرى خطأ مدافعةً بمكروهٍ أوّلهما مخافة مكروهِ آخرهما. وقال آخر: كان يقال أيّها الأمير، أسعدك الله، إذا كان الأمر مُخْطِراً، فإعطاؤك مَنْ نازعك طرفاً من بُغيته أمثلُ من أن تصير بالمنع إلى مكاشفته. وقال آخر: إنه كان يقال: إذا كان علمُ الأمور مغيَّباً عنك، فخذ ما أمكنك من هُدْنة[1] يومك؛ فإنك لا تأمن أن يكون فساد يومك راجعًا بفساد غدِك. وقال آخر: لئن خيفتْ[2] للبذل عاقبة، إن أشدّ منها لَمَا يَبْعث الإباء[3] من الفرقة. وقال آخر: لا أرى مفارقة منزلة سلامةٍ؛ فلعلّى أعطى معها العافية. فقال الحسن: فقد وجب حقُّكم باجتهادكم؛ وإن كنتُ من الرأى على مخالفتكم، فقال له المأمون: فناظرْهم، قال: لذلك ما كان الاجتماع. وأقبل الحسن عليهم، فقال: هل تعلمون أن محمداً تجاوز إلى طلب شىء ليس له بحق؟ قالوا: نعم؛ ويُحتمل ذلك لما نخاف من ضرر منْعه. قال: فهل تثقون بكفه بعد إعطائه إيّاها، فلا يتجاوز بالطلب إلى غيرها؟ قالوا: لا، ولعل سلامة تقع من دون ما يُخاف ويُتَوقع. قال: فإن تجاوز بعدها بالمسألة؛ أفما ترونْه قد توهّن بما بذل منها فى نفسه! قالوا: ندفع ما يعرض له فى عاقبة بمدافعة محذور فى عاجلة! قال: فهذا خلاف ما سمعناه من قول الحكماء قبلنا، قالوا: استصلحْ عاقبةَ أمرك باحتمال ما عرض من كره يومك، ولا تلتمس هدنَة يومك بإخطار أدخلتَه على نفسك فى غدك. قال المأمون للفضل: ما تقول فيما اختلفوا فيه؟ قال: أيّها الأمير، أسعدك الله، هل يؤمن محمد أن يكون طالبك بفضل قوّتك ليستظهر بها عليك غدًا على مخالفتك! وهل يصير الحازم إلى فضلةٍ مَنْ عاجل الدّعة بخَطر يتعرّض له فى عاقبةٍ؛ بل إنما أشار الحكماء بحملٍ ثقل فيما يرجون به صلاح عواقب أمورهم. فقال المأمون: بل بإيثار العاجلة صارَ من صار إلى فساد العاقبة فى أمر دنيا أو أمر آخرة. قال القوم: قد قلنا بمبلغ الرأى؛ والله يؤيد الأمير بالتوفيق. فقال: اكتب

٧٨١/٣

٧٨٢/٣

---

(١) كذا فى ا، وفى ط: «هدية».
(٢) كذا فى ا، وفى ط: «خفت».
(٣) كذا فى ا.

يا فضلُ إليه ، فكتب :

قد بلغنى كتاب أمير المؤمنين يسألنِى التجافىَ عن مواضعَ سمّاها مما أثبته الرّشيد فى العَقْد ، وجعل أمره إلىّ ، وما أمرٌ رآه أمير المؤمنين أحد يجاوز أكثَره ؛ غير أنّ الذى جعل إلىّ الطّرْف الذى أنابه ، لا ظنين فى النّظر لعامته ، ولا جاهل بما أسند إلىّ من أمره ، ولو لم يكن ذلك مثبتًا بالعهود والمواثيق المأخوذة ، ثم كنتُ على الحال التى أنا عليها من إشراف عدوٍّ مخوف الشوكة ، وعامّة لا تُتألف عن هضمها ، وأجناد لا يستتبع طاعتَها إلاّ بالأموال وطَرَف من الإفضال ـ لكان فى نظر أمير المؤمنين لعامّته وما يحبّ من لَمِّ أطرافه ما يوجب عليه أن يقسم له كثيراً من عنايته ، وأن يستصلحه ببَذل كثير من ماله ؛ فكيف بمسألة ما أوجبه الحقّ ، ووكّد به مأخوذ العهد ! وإنى لأعلم أن أمير المؤمنين لو علِم من الحال ما علمتُ لم يُطلع بمسألة ما كتب بمسألته إلىّ . ثم أنا على ثقة من القبول بعد البيان إن شاء الله .

٧٨٣/٣ وكان المأمون قد وجّه حارسَة إلى الحدّ ، فلا يجوز رسول من العراق حتى يوجّهوه مع ثقات من الأمناء[1] ، ولا يدعه يستعلم خبراً ولا يؤثر أثراً ، ولا يستتبع بالرّغبة ولا بالرهبة أحدًا ، ولا يبلغ أحداً قولاً ولا كتابًا . فحصر أهل خراسان من أن يُستمالوا برغبة ، أو أن تُودع صدورهم رهبة ، أو يحمَلوا على منزل خلاف أو مفارقة . ثم وضع على مراصد الطرق ثقاتٍ من الحرّاس لا يجوز عليهم إلا من لا يدخل الظِّنّة فى أمره ممن أتى بجواز فى مخرجه إلى دار مآبه ، أو تاجر معروف مأمون فى نفسه ودينه ، ومُنع الأشتاتات[2] من جواز السُّبل والقَطْع بالمتاجر والوُغول فى البلدان فى هيئة الطارئة والسابلة ، وفُتّشت الكتُب.

وكان ـ فيما ذكر ـ أوّل مَنْ أقبل من قِبَل محمد مناظراً فى منعه ما كان سأل جماعة ، وإنما وُجّهوا ليعلَم أنهم قد عاينوا وسمعوا ، ثم يلتمس منهم أن يبذلوا أو يحرموا فيكون مما قالوا حجة يحتجّ بها ، أو ذريعة إلى ما التمس [منها] . فلما صاروا إلى حدّ الرىّ ، وجدوا تدبيراً مؤيّداً ، وعَقْداً مستحصَداً متأكداً ، وأخذتهم الأحراس من جوانبهم ، فحفظوا فى حال ظعنهم وإقامتهم من أن يخبِروا أو يستخبَروا ، وكُتب بخبرهم من مكانهم . فجاء الإذن فى حملهم

(١) ا : « الأبناء » . (٢) ا : « الأسبابات » .

فحملوا محروسين ؛ لا خبرَ يصل إليهم ، ولا خبر يتطلع منهم إلى غيرهم ؛ وقد كانوا مُعَدِّين لبثّ الخبر فى العامة وإظهار الحجةِ بالمفارقة والدعاء لأهل القوّة إلى المخالفة ؛ يبذلون الأموال ، ويضمنون لهم معظم الولايات والقطائع والمنازل ؛ فوجدوا جميع ذلك ممنوعًا محسومًا ؛ حتى صاروا إلى باب المأمون . ٣/٧٨٤

وكان الكتاب النافذ معهم إلى المأمون :

أما بعد؛ فإن أمير المؤمنين الرّشيد وإن كان أفردك بالطّرْف ، وضمّ ما ضمّ إليك من كُور الجبل؛ تأييدًا لأمرك ، وتحصينًا لطرْفك؛ فإنّ ذلك لا يُوجب لك فضلة المال عن كفايتك . وقد كان هذا الطّرْف وخراجه كافيًا لحدثه ، ثم تتجاوز بعد الكفاية إلى ما يفضل من ردّه ؛ وقد ضمّ لك إلى الطرْف كورًا من أمّهات كوَر الأموال لا حاجة لك فيها ، فالحقّ فيها أن تكون مردودةً فى أهلها ، ومواضع حقها . فكتبت إليك أسألك ردّ تلك الكوَر إلى ما كانت عليه من حالها ؛ لتكون فضول ردّها مصروفة إلى مواضعها؛ وأن تأذن لقائم بالخبر يكون بحضرتك يؤدّى إلينا علْم ما نُعنَى به من خبر طرْفك ؛ فكتبتَ تلطّ[1] دون ذلك بما إن تمّ أمرُك عليه صيَّرنا الحقُّ إلى مطالبتك؛ فاثن عن همك اثن عن مطالبتك ، إن شاء الله .

فلمّا قرأ المأمون الكتاب كتب مجيبًا له :

أما بعد؛ فقد بلغنى كتابُ أمير المؤمنين ، ولمْ يكتب فيما جهل فأكشفَ له عن وجهه ، ولمْ يسأل ما يوجبه حقّ فيلزمنى الحجة بترك إجابته ؛ وإنما يتجاوز المتناظران[2] منزلة النصفة ما ضاقت النّصفة عن أهلها ؛ فمتى تجاوز متجاوز — وهى موجودة الوسع — ولم يكن تجاوُزها إلاّ عن نقضها واحتمال ما فى تركها ؛ فلا تبعثنى يابن أبى على مخالفتك وأنا مذعنٌ بطاعتك ، ولا علىّ قطيعتك . وأنا على إيثار ما تحبّ من صلتك ، وارْضَ بما حكم به الحقّ فى أمرك أكن بالمكان الذى أنزلنى به الحق فيما بينى وبينك. والسلام . ٣/٧٨٥

ثم أحضر الرّسل ، فقال : إنّ أمير المؤمنين كتب فى أمرٍ كتبتُ له فى جوابِه ، فأبلغوه الكتاب ، وأعلموه أنى لا أزال على طاعته ؛ حتى يضطرنى

(١) تلط : تجحد . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « المناظران » .

بترك الحقّ الواجب إلى مخالفته . فذهبوا يقولون ، فقال : قفوا أنفسكم حيث وقفنا بالقول بكم ، وأحسنوا تأدية ما سمعتم ؛ فقد أبلغتمونا من كتابنا ما عسى أن تقولوه لنا . فانصرف الرسل ولم يُثبتوا لأنفسهم حجة ، ولم يحملوا خبراً يؤدونه إلى صاحبهم ، ورأوا جدّاً غير مشوب بهزل ، فى منع ما لَهُمْ من حقهم الواقع — بزعمهم .

فلما وصل كتاب المأمون إلى محمد وصل منه ما قطع به ، وتخمط[1] غيظًا بما تردّد منه [فى سمعه][2] ، وأمر عند ذلك بما ذكرناه من الإمساك عن الدّعاء له على المنابر ؛ وكتب إليه :

أما بعد ؛ فقد بلغنى كتابك غامطاً لنعمة الله عليك فيما مكّن لك من ظللها ، متعرّضًا لحِراق نار لا قِبلَ لك بها ، ولَحظّك عن الطاعة كان أودع لك ؛ وإن كان قد تقدّم منى متقدّم ؛ فليس بخارج من مواضع نفعك إذ كان راجعًا على العامة من رعيّتك ؛ وأكثر من ذلك ما يمكن لك من منزلة السلامة ، ويثبت لك من حال الهُدْنة . فأعلمنى رأيك أعمل عليه . إن شاء الله . ٣/٧٨٦

وذكر سهل بن هارون عن الحسن بن سهل ، أنّ المأمون قال لذى الرياستين : إن ولدى وأهلى ومالى الذى أفرده الرّشيد لى بحضرة محمد — وهو مائة ألف ألف — وأنا إليها محتاج ، وهى قِبَله فما ترى فى ذلك ؟ وراجعه فى ذلك مراراً . فقال له ذو الرياستين : أيّها الأمير ، بك حاجة إلى فضلة مالك ؛ وأن يكون أهلك فى دارك وجنابك ؛ وإن أنت كتبتَ فيه كتاب عزمة فمنعك صار إلى خلع عهده ؛ فإن فعل حمَلك ولو بالكُرْه على محاربته ؛ وأنا أكره أن تكون المستفتِح باب الفُرْقة ما أرتجه الله دونك ؛ ولكن تكتب كتاب طالب لحقّك ، وتوجيه أهلك على ما لا يوجب عليه المنع نُكثًا لعهدك ؛ فإن أطاع فنعمة وعافية ؛ وإن أبَى لم تكن بعثتَ على نفسك حرباً [أومشاقة] . فاكتب إليه . فكتب عنه :

أما بعد ؛ فإن نظر أمير المؤمنين للعامة نظرُ من لا يقتصر عنه على إعطاء النّصَفة من نفسه حتى يتجاوزَها إليهم ببرّه وصلته ؛ وإذا كان ذلك رأيه فى

---

(١) ا : « قطع به » ، والمتمخط : المقشعر غضباً . (٢) من ا .

عامّته ؛ فأحْرِ بأن يكون على مجاوزة ذلك بصنوه وقسيم نسبه ؛ فقد تعلم يا أمير المؤمنين حالاً أنا عليها من ثغور حللتُ بين لهواتها ، وأجناد لاتزال موقنة بنشر غيِّها وبنكث آرائها ، وقلة الخَرْج قِبَلى ، والأهل والولد قِبَلَ أمير المؤمنين ، وما للأهل — وإن كانوا فى كفاية من برّ أمير المؤمنين ، فكان لهم والدًا — بُدّ من الإشراف والنزوع إلى كنفى ، ومالى بالمال من القوّة والظهير على لمّ الشعث بحضرتى ، وقد وجّهتُ لحمل العيال وحمل ذلك المال ؛ فرأى أمير المؤمنين فى إجازة فلان إلى الرّقة فى حمْل ذلك المال ، والأمر بمعونته عليه ، غير محرِج له فيه إلى ضيقة تقع بمخالفته ، أو حامل له على رأى يكون على غير موافقة . والسلام .

٣/٧٨٧

فكتب إليه محمد :

أما بعد ؛ فقد بلغنى كتابُك بما ذكرتَ ممّا عليه رأىُ أمير المؤمنين فى عامّته فضلا عما يجب من حقّ لذى حُرمته وخليط نفسه ، ومحلّك بين لهوات ثغور ، وحاجتك لمحلك بينها إلى فَضْلة من المال لتأييد أمرك ؛ والمال الذى سُمِّىَ لك من مال الله ، وتوجيهك مَنْ وجّهت فى حمله وحمل أهلك من قِبَل أمير المؤمنين . ولعمْرِى ما ينكر أمير المؤمنين رأيًا هو عليه مما ذكرت لعامته ، يوجب عليه من حقوق أقربيه وعامته . وبه إلى ذلك المال الذى ذكرتَ حاجة فى تحصين أمور المسلمين ؛ فكان أوْلى به إجراؤه منه على فرائضه ، وردُّه على مواضع حقه ؛ وليس بخارج من نفعك ما عاد بنفع العامة من رعيّتك . وأما ما ذكرتَ من حمْل أهلك ؛ فإنّ رأىَ أمير المؤمنين تولّى أمرهم ؛ وإن كنتَ بالمكان الذى أنت به من حقّ القرابة . ولم أر من حملهم على سفرهم مثل الذى رأيت من تعريضهم بالسفر للتشتت ؛ وإنْ أرَ ذلك من قِبَلى أوجّهْهم إليك مع الثقة من رسلى إن شاء الله . والسلام .

٣/٧٨٨

قال : ولما ورد الكتاب على المأمون ، قال : لاطُّ دون حقنا يريد أن نتوهّن مما يمنع من قوّتنا ، ثم يتمكن للوهنة من الفُرْصة فى مخالفتنا . فقال له ذو الرياستين : أوَ ليس من المعلوم دفعُ الرشيد ذلك المال إلى الأمين لجمعه ، وقبضُ الأمين إياه على أعين الملإ من عامته ؛ على أنه يحرسه قِنْيةً ، فهو

لا ينزع إليها؛ فلا تأخذ عليه مضايقها، وأمّل له ما لم تضطرك جريرته إلى مكاشفته بها ؛ والرأى لزوم عروة الثقة، وحسم المرقة ؛[فإن أمسك فبنعمة] [١] وإن تطلّع إليها فقد تعرّض لله بالمخالفة، وتعرّضتَ منه بالإمساك للتأييد والمعونة.

قال : وعلم المأمون والفضل أنه سيحدث بعد كتابه من الحدث ما يحتاج إلى لَمّه [٢] ، ومن الخبر ما يحتاج أن يباشره بالثّقة من أصحابه، وأنه لا يُحدث فى ذلك حدثًا دون مواطأة رجال النّباهة والأقدار من الشّيعة وأهل السابقة ؛ فرأى أن يختار رجلاً يكتب معه إلى أعيان أهل العسْكر من بغداد ؛ فإن أحدث محمد خلعًا للمأمون صار إلى دفعها، وتلطف لعلْم حالات أهلها ؛ وإن لم يفعل من ذلك شيئا خنس فى حُقته ، وأمسك عن إيصالها ، وتقدم إليه فى التعجيل . ٣/٧٨٩

ولما قدم أوصل الكتب، وكان كتابه مع الرسول الذى وجهه لعلم الخبر :

أما بعد ؛ فإنّ أمير المؤمنين كأعضاء البدن ، يحدث العلّة فى بعضها؛ فيكون كرْه ذلك مؤلمًا لجميعها ؛ وكذلك الحدَث فى المسلمين ، يكون فى بعضهم فيصل كُرْه ذلك إلى سائرهم؛ للذى يجمعهم من شريعة دينهم، ويلزمهم من حرمة أخوّتهم [٣] ، ثم ذلك من الأئمة أعظم للمكان الذى به الأئمة من سائر أممهم؛ وقد كان من الخبر ما لا أحسبه إلاّ سيعرب عن محنته ، ويُسفر عمّا استتر من وجهه ؛ وما اختلف مختلفان فكان أحدهما مع أمر الله إلا كان أوّل معونة المسلمين وموالاتهم فى ذات الله ؛ وأنت يرحمك الله من الأمر بمرأى ومسمع ؛ وبحيث إن قلت أُذِن لقولك ؛ وإن لم تجد للقول مساغًا فأمسكت عن مخوف أقتدِى فيه بك ؛ ولن يضيع علىّ الله ثواب الإحسان مع ما يجب علينا بالإحسان من حقك ، ولحظّ حاز لك النصيبين أو أحدهما أمثلُ من الإشراف لأحد الحظّيْن ، مع التعرّض لعدمهما ، فاكتب إلىّ برأيك ، وأعلم ذلك لرسولى ليؤديه إلىّ عنك . إن شاء الله .

وكتب إلى رجال النباهة من أهل العسكر بمثل ذلك .

قال : فوافق قدوم الرسول بغداد ما أمر به من الكفّ عن الدعاء للمأمون

(١) من ا . (٢) كذا فى ا ، وفى ط « علمه » .
(٣) ط : « آخرتهم » ، وما أثبته من ا .

فى الخطبة يوم الجمعة ، وكان بمكان الثقة من كلّ من كتب إليه معه ؛ فمنهم من أمسك عن الجواب وأعرب للرسول عمّا فى نفسه ، ومنهم من أجاب عن كتابه ؛ فكتب أحدهم :

٣/٧٩٠ أما بعد فقد بلغنى كتابُك وللحقّ برهان يدلّ على نفسه تَثبت به الحجّة على كلّ من صار إلى مفارقته ؛ وكفَى غبناً بإضاعة حظّ من حظ العاقبة ؛ لمأمولٍ من حظّ عاجلة ، وأبيَنَ من الغَبْن إضاعة حظّ عاقبة مع التعرّض للنكبة والوقائع ؛ ولى من العلم بمواضع حظّى ما أرجو أن يحسن معه النظر منى لنفسى ، ويضع عنى مؤنة استزادتى . إن شاء الله .

قال : وكتب الرّسول المتوجّه إلى بغداد إلى المأمون وذى الرياستين :

أما بعد ، فإنى وافيتُ البلدة ، وقد أعلن خليطك بتنكّره ، وقدّم علماً من اعتراضه ومفارقته [وأمسك عمّا كان يجب ذكره وتوفيته][1] بحضرته ؛ ودفعت كتبك فوجدت أكثر الناس ولاة السريرة ونفاة العلانية ، ووجدت المشرفين بالرعية لا يحوطون إلاّ عنها ولا يبالون[2] ما احتملوا فيها ؛ والمنازِع مختلج الرّأى ، لا يجد دافعاً منه عن همّه ، ولا راغباً فى عامه ، والمحاون بأنفسهم يحلون تمام الحدث ؛ ليسلموا مِنْ منهزم حدثهم ، والقوم على جدّ ، ولا تجعلوا للتوانى [فى أمركم نصيباً][2] إن شاء الله والسلام .

قال : ولما قدم على محمد من معسكر المأمون سعيد بن مالك بن قادم وعبد الله بن حميد بن قحطبة والعباس بن الليث مولى أمير المؤمنين ومنصور بن أبى مطر وكثير بن قادرة ، ألطفهم وقرّبهم ، وأمر لمن كان قبض منهم السّتّة الأشهر برزق اثنى عشر شهراً ، وزادهم فى الخاصة والعامة ، ولمن لم يقبضها بثمانية عشر شهراً .

قال : ولما عزم محمد على خلع المأمون دعا يحيى بن سُليم فشاوره فى ذلك ، ٣/٧٩١ فقال يحيى : يا أمير المؤمنين ، كيف بذلك لك مع ما قَدْ وكّد الرشيد من بَيْعته ، وتوثّق بها من عهده ، والأخذ للإيمان والشرائط فى الكتاب الذى

---

(١) من ا . (٢) ط : « ينالون » .

كتبه ! فقال له محمد : إنّ رأىَ الرشيد كان فلتةً شبّهها عليه جعفر بن يحيى بسحره ، واستماله برُقاه وعُقَده ، فغرس لنا غرْسا مكروهًا لا ينفعنا ما نحن فيه معه إلا بقطعه ، ولا تستقيم لنا الأمور إلا باجتثاثه والراحة منه . فقال : أما إذا كان رأى أمير المؤمنين خلعهَ ، فلا يُجاهره مجاهرةً فيستنكرها الناس ، ويستشنعها العامة ؛ ولكن تستدعى الجندَ بعد الجند والقائد بعد القائد ، وتؤنسه[1] بالألطاف والهدايا ، وتفرّق ثقاته ومَنْ معه ، وترغّبهم بالأموال ، وتستميلهم بالأطماع ؛ فإذا أوهنتَ قوّته ، واستفرغتَ رجاله ، أمرتَه بالقدوم عليك ؛ فإن قدم صار إلى الذى تريد منه ؛ وإن أبى كنت قد تناولته وقد كلّ حده وهيض جناحُه ، وضعف ركنُه وانقطع عزّه . فقال محمد : ما قَطَع أمراً كصريمة ، أنت مِهذار خطيب ، ولستَ بذى رأى ، فزُلْ عن هذا الرأى إلى الشّيخ الموفّق والوزير الناصح[2] ؛ قمْ فالحق بمدادك وأقلامك ؛ [قال يحيى : فقلت : غضب][3] يشوبه صدق ونصيحة ، أشرت إلى رأى يخلطه غش وجهل . قال : فوالله ما ذهبت الأيامُ حتى ذكر كلامه ، وقرّعه بخطئه وخرقه .

قال سهل بن هارون : وقد كان الفضل بن سهل دسّ قومًا اختارهم ممّن يثق به من القوّاد والوجوه ببغداد ليكاتبوه بالأخبار يومًا يومًا ، فلما همّ محمد بخلع المأمون ، بعث الفضل بن الربيع إلى أحد هؤلاء الرّجال يشاوره فيما يرى من ذلك ، فعظّم الرجلُ عليه أمر نقض العهد للمأمون ، وقبّح الغدر به ؛ فقال له الفضل : صدقت ؛ ولكن عبد الله قد أحدث الحدث الذى وجب به نقض ما أخذ الرّشيد له . قال : أفتثبتُ الحجة عند العوامّ بمعلوم حَدَثه كما تثبت الحجّة بما جدد من عهده ! قال : لا ، قال : أفحدثٌ هذا منكم يوجب عند العامة نقضَ عهدكم ما لم يكن حدثه معلومًا يجب به فَسْخ عهده ! قال : نعم ، قال الرجل – ورفع صوته : بالله ما رأيتُ كاليوم رأى رجل يرتاد به النظر ، يشاور فى رفع ملك فى يده بالحجة ثم يصير إلى مطالبته بالعناد والمغالبة ! قال : فأطرق الفضل مليًّا ، ثم قال : صدقتنى الرأى ، واحتملت ثقل الأمانة ؛ ولكن أخبرنى إن نحن أغمضنا من قالة العامّة ووجدنا مساعدين

٧٩٢/٣

(١) ابن الأثير : « وتؤنسهما » . (٢) أى الفضل بن الربيع . (٣) من ا .

من شيعتنا وأجنادنا ، فما القول ؟ قال : أصلحك الله ، وهل أجنادك إلاّ من عامّتك فى أخذ بيعتهم وتمكن برهان الحق فى قلوبهم ! أفليسوا وإن أعطوْك ظاهر طاعة هم مع ما تأكد من وثائق العهد فى معارفهم ؛ قال : فإن أعطونا بذلك الطاعة قال : لا طاعة دون أن تكون على تثبت من البصائر . قال : نرغّبهم بتشريف حظوظهم ، قال : إذاً يصيروا إلى التقبّل ، ثم إلى خذلانك عند حاجتك إلى مناصحتهم . قال : فما ظنك بأجناد عبد الله ؟ قال : قوم على بصيرة من أمرهم لتقدّم بيعتهم وما يتعاهدون من حظّهم ، قال : فما ظنُّك بعامتهم ؟ قال : قوم كانوا فى بلوى عظيمة من تحيف ولاتهم فى أموالهم ، ثم فى أنفسهم صاروا به إلى الأمنية من المال والرفاغة فى المعيشة ، فهم يدافعون عن نعمة حادثة لهم ، ويتذكرون بليةً لايأمنون العودة إليها. قال : فهل من سبيل إلى استفساد عظماء البلاد عليه؛ لتكون محاربتنا إياه بالمكيدة من ناحيته ، لا بالزخرف نحوه لمناجزته ! قال : أما الضعفاء فقد صاروا له إلباً لما نالوا به من الأمان والنَّصفة ، وأما ذوو القوة فلم يجدوا مطعناً ولا موضع حجة ، والضعفاء السواد الأكثر . قال : ما أراك أبقيت لنا موضع رأى فى اعتزالك إلى أجنادنا ، ولا تمكّن النظر فى ناحيته باحتيالنا ، ثم أشدّ من ذلك ما قلتَ به وَهنة أجنادنا وقوة أجناده فى مخالفته . وما تسخو نفس أمير المؤمنين بترك ما لا يعرف من حقه ، ولا نفسى بالهدنة مع تقدمٍ جرى فى أمره ، وربما أقبلت الأمور مشرفةً بالمخافة ، ثم تكشف عن الفُلْج والدرك فى العاقبة . ثم تفرقا .

٧٩٣/٣

قال : وكان الفضل بن الربيع أخذ بالمراصد لئلا تجاوز الكتب الحد ؛ فكتب الرسول مع امرأة ، وجعل الكتاب وديعةً فى عُودٍ منقور من أعواد الأكاف ، وكتب إلى صاحب البريد بتعجيل الخبر ؛ وكانت المرأة تمضى على المسالح كالمجتازة من القرية إلى القرية ، لا تُهاج ولا تفتّش . وجاء الخبر إلى المأمون موافقاً لسائر ما ورد عليه من الكتب ، قد شهد بعضها ببعض ، فقال لذى الرياستين : هذه أمور قد كان الرأى أخبر عن غيبها ، ثم هذه طوالع تخبر عن أواخرها ، وكفانا أن نكون مع الحقّ ، ولعل كرهاً يسوق خيراً .

٧٩٤/٣

قال : وكان أوّل ما دبره الفضل بن سهل بعد ترك الدعاء للمأمون وصحة

الخبر به ، أن جمع الأجناد التي كان أعدّها بجنبات الرىّ مع أجناد قد كان مكنها فيها ، وأجناد للقيام بأمرهم ؛ وكانت البلاد أجدبت بحضرتهم ، فأعدّ لهم من الحمولة ما يحمل إليهم من كل فجّ وسبيل ؛ حتى ما فقدوا شيئاً احتاجوا إليه ، وأقاموا بالحدّ لا يتجاوزونه ولا يطلقون يداً بسوء فى عامد ولا مجتاز . ثم أشخص طاهر بن الحسين فيمَنْ ضمّ إليه من قواده وأجناده ؛ فسار طاهر مغذّاً لا يلوى على شىء ، حتى ورد الرّى ، فنزلها ووكّل بأطرافها ، ووضع مسالحه ، وبثّ عيونه وطلائعه ، فقال بعض شعراء خراسان :

رمَى أهلَ العراقِ ومَنْ عليها ... إمامُ العَدْلِ والملكُ الرشيدُ
بأَحْزَمِ مَنْ مَشَى رَأْياً وحَزْماً ... وَكَيْداً نافذاً فيما يَكِيدُ
بِدَاهِيَــةٍ نَآدٍ[1] خنفقيقٍ ... يَشيبُ لهوْلِ صَوْلَتِها الوَليدُ

وذُكر أن محمداً وجّه عِصمة بن حماد بن سالم إلى هَمَذَان فى ألف رجل ، وولاّه حرب كُوَر الجبل ، وأمره بالمقام بهمذان ، وأن يوجّه مقدمته إلى ساوة ، واستخلف أخاه عبد الرحمن بن حماد على الحرَس ، وجعل الفضلُ بن الربيع وعلىّ بن عيسى يلهّبان محمداً ، ويبعثانه على خلع المأمون والبَيْعة لابنه موسى .

* * *

وفى هذه السنة عقَد محمد بن هارون فى شهر ربيع الأول لابنه موسى على جميع ما استخلفه عليه ، وجعل صاحب أمره كلّه علىّ بن عيسى بن ماهان ، وعلى شُرَطه محمد بن عيسى بن نهيك ، وعلى حرسه عثمان بن عيسى ابن نهيك ، وعلى خراجه عبد الله بن عبيدة وعلى ديوان رسائله علىّ بن صالح صاحب المصلى .

٧٩٥/٣

وفى هذه السنة وثب الروم على ميخائيل صاحب الرّوم فهرب وترهب ، وكان ملكه سنتين فيما قيل .

---

(١) ط : « تأد » ، تصحيف ، صوابه من ا ، والنآد والخنفقيق ، من أسماء الدواهى .

وفيها ملك على الروم ليون القائد .

وفيها صرف محمد بن هارون إسحاق بن سليمان عن حمص، وولّاها عبد الله بن سعيد الحرشيّ، ومعه عافية بن سليمان، فقتل عدّة من وجوههم، وحبس عدة، وحرق مدينتهم من نواحيها بالنار، فسألوه الأمان، فأجابهم فسكنوا ثم هاجوا ، فضرب أعناق عدّة منهم .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من أمر محمد بن هارون بإسقاط ما كان ضرب لأخيه عبد الله المأمون من الدنانير والدراهم بخراسان فى سنة أربع وتسعين ومائة ؛ لأن المأمون كان أمر ألا يُثبت فيها اسم محمّد ، وكان يقال لتلك الدنانير والدراهم الرّباعيّة ، وكانت لا تجوز حينًا .

* * *

[النهى عن الدعاء للمأمون على المنابر]

وفيها نهى الأمين عن الدعاء على المنابر فى عمله كلّه للمأمون والقاسم ، وأمر بالدعاء له عليها ثم من بعده لابنه موسى ، وذلك فى صفر من هذه السنة ، وابنه موسى يومئذ طفل صغير ، فسمّاه الناطق بالحق ، وكان ما فعل من ذلك عن رأى الفضل بن الربيع ، فقال فى ذلك بعض الشعراء : ٧٩٦/٣

أَضاعَ الخلافةَ غِشُّ الوزيرِ ... وَفِسْقُ الأَمِيرِ ، وجَهْلُ المشِيرْ

فَفَضْلٌ وزيرٌ ، وبَكْرٌ مشِيرٌ ... يُرِيدانِ ما فيه حتفُ الأَميرْ[1]

فبلغ ذلك المأمون ، فتسمى بإمام الهدى ، وكوتب بذلك .

* * *

عقد الإمرة لعلىّ بن عيسى

وفيها عقد محمد لعلىّ بن عيسى بن ماهان يوم الأربعاء لليلة خلَتْ من شهر ربيع الآخر على كُور الجبل كلها : نهاوند وهمذان وقمّ وأصفهان ،

---

(١) ذكرها ابن الأثير ؛ وذكر بعدهما ثالثاً ، ونسبها إلى بعض شعراء بغداد ؛ وقال بعدها : « فى عدة أبيات تركتها لما فيها من القذف الفاحش ولقد عجبت لأبى جعفر حيث ذكرها مع ورعه وندم الابن على نكثه وغدره » . والقصيدة بتمامها تأتى فى ص ٣٩٦ من هذا الجزء .

حربها وخراجها ، وضمّ إليه جماعة من القوّاد وأمر له — فيما ذكر — بمائتى ألف دينار ، ولولده بخمسين ألف دينار ، وأعطى الجند مالا عظيمًا ، وأمر له من السيوف المحلاّة بألفى سيف وستة آلاف ثوب للخِلَع ، وأحضر محمد أهل بيته ومواليه وقوّاده المقصورة بالشّماسية يوم الجمعة لثمانٍ خلوْن من جمادى الآخرة ، فصلى محمد الجمعة ، ودخل وجلس لهم ابنه موسى فى المحراب ، ومعه الفضل ابن الربيع وجميع مَنْ أحضر ، فقرأ عليهم كتابًا من الأمين يعلمهم رأيه فيهم وحقه عليهم ، وما سبق لهم من البيعة متقدّمًا مفردًا بها ، ولزوم ذلك لهم ، وما أحدث عبد الله من التسمّى بالإمامة ، والدّعاء إلى نفسه ، وقطْع ذكره فى دور الضرب والطِّرز ؛ وأنّ ما أحدث من ذلك ليس له ؛ ولا ما[1] يدّعِى من الشروط التى شُرطت له بجائزة له. وحثهم على طاعته ، والتمسك ببيعته . ٣/٧٩٧
وقام سعيد بن الفضل الخطيب بعد قراءة الكتاب ، فعارض ما فى الكتاب بتصديقه والقول بمثله . ثم تكلم الفضل بن الربيع وهو جالس ، فبالغ فى القول وأكثر ، وذكر أنه لا حقّ لأحد فى الإمامة والخلافة إلا لأمير المؤمنين محمد الأمين ؛ وأنّ الله لم يجعل لعبد الله ولا لغيره فى ذلك حظًّا له ولا نصيبًا . فلم يتكلّم أحد من أهل بيت محمد ولا غيرهم بشىء إلاّ محمد بن عيسى بن نهيك ونفر من وجوه الحرَس . وقال الفضل بن الربيع فى كلامه : إنّ الأمير موسى ابن أمير المؤمنين قد أمر لكم يا معاشرَ أهل خُراسان من صُلْب ماله بثلاثة آلاف ألف درهم تقسم بينكم . ثم انصرف الناس ، وأقبل علىّ بن عيسى على محمد يخبره أنّ أهل خُراسان كتبوا إليه يذكرون أنه إن خرج هو أطاعوه وانقادوا معه.

* * *

[شخوص علىّ بن عيسى إلى حرب المأمون]

وفيها شخص علىّ بن عيسى إلى الرّىّ إلى حرب المأمون .

* ذكر الخبر عن شخوصه إليها وما كان من أمره فى شخوصه ذلك :

ذكر الفضل بن إسحاق ، أن علىّ بن عيسى شخص من مدينة السلام

---

(١) ط : « وما » ، وما أثبته من ا .

عشيّة الجمعة لخمس عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة : شخص عشيّة تلك فيما بين صلاة الجمعة إلى صلاة العصر إلى معسكره بنهر بين ؛ فأقام فيه فى زُهاء أربعين ألفًا ، وحمل معه قيد فضة ليقيّد به المأمون بزعمه. ٧٩٨/٣ وشخص معه محمد الأمين إلى النّهروان يوم الأحد لستٍّ بقين من جمادى الآخرة ، فعرض بها الذين ضُمّوا إلى علىّ بن عيسى ، ثم أقام بقية يومه ذلك بالنّهروان ، ثم انصرف إلى مدينة السلام . وأقام علىّ بن عيسى بالنّهروان ثلاثة أيام ، ثم شخص إلى ما وُجِّه له مسرعًا حتى نزل همَذان ؛ فولّى عليها عبد الله بن حميد بن قَحطبة . وقد كان محمد كتب إلى عصمة بن حمّاد بالانصراف فى خاصة أصحابه وضمّ بقية العسكر وما فيه من الأموال وغير ذلك إلى علىّ بن عيسى ، وكتب إلى أبى دلف القاسم بن عيسى بالانضمام إليه فيمن معه من أصحابه ، [ووجّه][1] معه هلال بن عبد الله الحضرمىّ ؛ وأمر له بالفَرْض ، ثم عقد لعبد الرحمن بن جبلة الأبناوىّ[2] على الدّينَور . وأمره بالسير فى بقية أصحابه ، ووجّه معه ألفى ألف درهم حملت إليه قبل ذلك ؛ ثم شخص علىّ بن عيسى من همَذان يريد الرّىّ قبل ورود عبد الرحمن عليه ، فسار حتى بلغ الرّىّ على تعبئة ، فلقيه طاهر بن الحسين وهو فى أقل من أربعة آلاف — وقيل كان فى ثلاثة آلاف وثمانمائة — وخرج من عسكر طاهر ثلاثة أنفس إلى علىّ بن عيسى يتقرّبون إليه بذلك ، فسألهم : مَن هم ؟ ٧٩٩/٣ ومِن أىّ البلدان هم ؟ فأخبره أحدهم أنه كان من جند عيسى أبيه[3] الذى قتله رافع . قال : فأنت من جندى ! فأمر به فضُرب مائتى سوط ، واستخفّ بالرجلين . وانتهى الخبر إلى أصحاب طاهر ، فازدادوا جِدًّا فى محاربته ونفوراً منه .

فذكر أحمد بن هشام أنه لم يكن وَرَد عليهم الكتاب من المأمون ، بأن تسمى بالخلافة ، إذ التقيا — وكان أحمد على شُرْطة طاهر — فقلت لطاهر : قد ورد علىّ بن عيسى فيمن ترى ، فإن ظهرنا له ؛ فقال : أنا عامل أمير المؤمنين وأقرّرنا له بذلك ، لم يكن لنا أن نحاربه . فقال لى طاهر : لم يجئنى فى هذا

---

(١) تكملة من ا ، وموضعها بياض فى ط .
(٢) ط : « الأنبارى » تصحيف .
(٣) ط : « ابنه » ، وصوابه من ا .

شىء ، فقلت : دَعْنى وما أريد، قال: شأنَك ، قال : فصعدت المنبر ، فخلعت محمداً ، ودعوت للمأمون بالخلافة ، وسرنا من يومنا أو من غدٍ يوم السبت ، وكان ذلك فى شعبان سنة خمس وتسعين ومائة، فنزلنا قسْطَانَة، وهى أوّل مرحلة من الرّىّ إلى العراق . وانتهى علىّ بن عيسى إلى بريّة يقال لها مشكويه ، وبيننا وبينه سبعة فراسخ ، وجعلنا مقدمتنا على فرسخين من جنده[١] . وكان علىّ بن عيسى ظنّ أن طاهراً إذا رآه يسلم إليه العمل ؛ فلما رأى الجِدّ منه ، قال : هذا موضع مفازة ، وليس [موضع مقام][٢]. فأخذ يساره إلى رُستاق يقال له رستاق بنى الرازىّ ؛ وكان معنا الأتراك ، فنزلنا على نهر ، ونزل قريبًا منا ، وكان بيننا وبينه دكادك وجبال ؛ فلمّا كان فى آخر الليل جاءنى رجل فأخبرنى أن علىّ بن عيسى دخل الرّىّ — وقد كاتَبهم فأجابوه— فخرجتُ معه إلى الطريق ، فقلت له : هذا طريقهم ؛ وما هنا أثر حافر ، وما يدلّ على أنه سار . وجئت إلى طاهر فأنبهته ، فقلت له : تصلى ؟ قال : نعم، فدعا بماء فتهيأ ، فقلت له : الخبر كيت وكيت. وأصبحنا ، فقال لى : تركب ، فوقفنا على الطريق ، فقال لى : هل لك أن تجوز هذه الدكادك ؟ فأشرفنا على عسكر علىّ بن عيسى وهم يلبسون السلاح ، فقال : ارجع ، أخطأنا ؛ فرجعنا فقال لى : أخرج أصحابنا .

٣/٨٠٠

قال : فدعوت المأمونىّ والحسن بن يونس المحاربىّ والرستمىّ[٣] ؛ فخرجوا جميعًا ؛ فكان على الميمنة المأمونىّ، وعلى الميسرة الرستمىّ ومحمد بن مصعب . قال : وأقبل علىّ فى جيشه ؛ فامتلأت الصحراء بياضًا وصُفرة من السلاح والمذهب[٤]، وجعل على ميمنته الحسين بن علىّ ومعه أبو دُلف القاسم بن عيسى بن إدريس ، وعلى ميسرته آخر ، وكرّوا، فهزمونا حتى دخلوا العسكر ، فخرج إليهم الساعة السَّوْعاء[٥] فهزموهم .

قال : وقال طاهر لما رأى علىّ بن عيسى : هذا ما لا قِبَل لنا به ، ولكن نجعلها خارجيّة ، فقصد قصد القلب ، فجمع سبعمائة رجل من الخوارزميّة؛

---

(١) ا : « من قسطانة » . (٢) من ا . (٣) ط : « الرسهمى » ، تحريف .
(٤) ط : « والذهب » . (٥) ساعة سوعاء : شديدة .

فيهم ميكائيل وسبسل وداود سياه .

قال أحمد بن هشام : قلنا لطاهر : نذكّر عليّ بن عيسى البيعة التي كانت ، والبيعة التي أخذها هو للمأمون خاصّة على معاشر أهل خُراسان ، فقال : نعم ؛ قال : فعلّقناهما على رُمْحين ، وقمت بين الصفين ، فقلت : الأمان! لاترمونا ولا نرميكم ؛ فقال عليّ بن عيسى : ذلك لك ، فقلت : يا عليّ بن عيسى ، ألاتتقي الله ! أليس هذه نسخة البيعة التي أخذتَها أنت خاصّة ! اتقّ الله فقد بلغتَ باب قبرك ، فقال : مَنْ أنت ؟ قلت : أحمد بن هشام — وقد كان عليّ بن عيسى ضربه أربعمائة سوط — فصاح عليّ بن عيسى : يا أهلَ خُراسان ، مَنْ جاء به فله ألف درهم . قال : وكان معنا قوم بخاريّة ، فرموْه ، وقالوا : نقتلك ونأخذ مالَك : وخرج من عسكره العباس بن اللّيْث مولى المهديّ ، وخرج رجل يقال له حاتم الطائيّ ، فشدّ عليه طاهر ، وشدّ يدْيه على مقبض السيف ، فضربه فصرعه [فقتله][1] ، وشدّ داود سياه على عليّ بن عيسى فصرَعه ؛ وهو لا يعرفه . وكان عليّ بن عيسى على بِرذَون أرْحَل[2] ، حمله عليه محمد — وذلك يُكرَه في الحرب ويدلّ على الهزيمة — قال : فقال داود : «ناري اسنان كتبتم» . قال : فقال طاهر الصغير — وهو طاهر بن التاجيّ : عليّ بن عيسى أنت ؟ قال : نعم ، أنا عليّ بن عيسى ، وظن أنه يُهاب فلا يقدَم عليه أحد ، فشدّ عليه فذبحه بالسيف . ونازعهم محمد بن مقاتل بن صالح الرّأس ، فنتف محمد خُصلة من لحيته ، فذهب بها إلى طاهر وبشّره ؛ وكانت ضربةُ طاهر هي الفتح ، فسمّي يومئذ ذا اليمينين بذلك السبب لأنه أخذ السيف بيديه [جميعًا][1] . وتناول أصحابُه النشاب ليرمونا ، فلم أعلم بقتل عليّ حتى قيل : قتِل والله الأمير . فتبعناهم فرسخيْن ، وواقفونا اثني عشرة مرّة ، كلّ ذلك نهزمهم ؛ فلحقني طاهر بن التاجيّ ، ومعه رأس عليّ ابن عيسى ؛ وكان آلى أن ينصب رأس أحمد عند المنبر الذي خَلَع عليه محمد ، وقد كان عليّ أمر أن يهيأ له الغداء بالرّيّ . قال : فانصرفتُ فوجدتُ عيْبَةَ

٣/٨٠١ ، ٣/٨٠٢

---

(١) من ا .

(٢) برذون أرحل : أبيض الظهر .

علىّ فيها درّاعة وجبّة وغُلالة، فلبستها ، وصلّيت ركعتين شكراً لله تبارك وتعالى . ووجدنا فى عسكره سبعمائة كيس ؛ فى كل كيس ألف درهم ، ووجدنا عدّة بغال عليها صناديق فى أيدى أولئك البخارية الذين شتموه ، وظنّوا أنه مال؛ فكسروا الصناديق؛ فإذا فيها خمر سوادىّ ، وأقبلوا يفرّقون القنانىّ ، وقالوا : عملنا الجدّ[1] حتى نشرب .

قال أحمد بن هشام : وجئت إلى مضرب طاهر ، وقد اغتمّ لتأخرى عنه ، فقال : لى البُشرى! هذه خصلة من لحية علىّ ، فقلت له: البشرى ! هذا رأس علىّ . قال : فأعتق طاهر مَنْ كان بحضرته من غلمانه شكراً لله، ثم جاءوا بعلىّ وقد شد الأعوان يديه إلى رجليه ، فحمل على خشبة كما يحمل الحمار الميّت[2] وأمر به فلفّ فى لبد وألقى فى بئر . قال : وكتب إلى ذى الرياستين بالخبر .

قال : فسارت الخريطة وبين مَرْو وذلك الموضع نحو من خمسين ومائتى فرسخ ؛ ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد ، ووردت عليهم يوم الأحد .

قال ذو الرياستين : كنا قد وجّهنا هرْثمة ، واحتشدنا فى السلاح مدداً ، وسار فى ذلك اليوم ، وشيّعه المأمون فقلت للمأمون : لا تبرح ، حتى يسلّم عليك بالخلافة فقد وجبت لك ، ولا نأمن أن يقال : يصلح بين الأخوين ، فإذا سلّم عليك بالخلافة لم يمكن أن ترجع . فتقدمت أنا وهرثمة والحسن بن سهل ، فسلمنا عليه بالخلافة ، وتبادر شيعة المأمون ، فرجعت وأنا كالّ تعب لم أنمْ ثلاثة أيام فى جهاز هرثمة ، فقال لى الخادم : هذا عبد الرحمن بن مدرك — وكان يلى البريد ، ونحن نتوقع الخريطة لنا أو علينا — فدخل وسكت ، قلت : ويلك ! ما وراءك ؟ قال : الفتح ؛ فإذا كتاب طاهر إلىّ : أطال الله بقاءك ، وكبت أعداءك ، وجعل مَنْ يشنؤك فداءك ؛ كتبت إليك ورأس علىّ بن عيسى بين يدىّ ، وخاتمه فى أصبعى ؛ والحمد لله رب العالمين. فوثبت إلى دار أمير المؤمنين ، فلحقنى الغلام بالسّواد ، فدخلت على المأمون فبشّرته ، وقرأت عليه الكتاب ، فأمر بإحضار أهل بيته والقوّاد ووجوه الناس ، فدخلوا فسلّموا عليه بالخلافة، ثم ورد رأس علىّ يوم الثلاثاء، فطيف به فى خراسان .

٨٠٣/٣

(١) ا : « العمل » . (٢) بعدها فى ا : « عز عليك أبا يحيى أن نرد هذا المورد » .

وذكر الحسن بن أبى سعيد ، قال : عقدنا لطاهر سنة أربع وتسعين ومائة فاتصل عقده إلى الساعة .

وذكر محمد بن يحيى بن عبد الملك النّيسابورىّ ، قال : لما جاء نعىّ علىّ ابن عيسى وقتله إلى محمد بن زُبيدة — وكان فى وقته ذلك على الشطّ يصيد السمك — فقال للذى أخبره : ويلك ! دعنى ؛ فإن كوثراً قد اصطاد سمكتين وأنا ما اصطدت شيئًا بعد. قال : وكان بعض أهل الحسد يقول : ظنّ طاهر أنّ عليًّا يعلو عليه ، وقال: متى يقوم طاهر لحرب علىّ مع كثرة جيشه وطاعة أهل خراسان له ! فلما قتل علىّ تضاءل ، وقال : والله لو لقيه طاهر وحدَه لقاتله فى جيشه حتى يغلب أو يقتَل دونه .

وقال رجل من أصحاب علىّ له بأس ونجدة فى قتل علىّ ولقاء طاهر :

لقِينا الليثَ مُفتَرِساً لدَيهِ وكنّا ما يُنَهْنِهُنا اللقاءُ
نَخوضُ الموتَ والغمَراتِ قِدْماً إذا ماكَرَّ ليس بهِ خفاءُ
فضعضعَ ركبَنا لمَّا التقَينا وراحَ الموتُ وانكَشفَ الغِطاءُ ٨٠٤/٣
وأردَى كَبْشَنا والرأْسَ مِنّاً كأَنَّ بِكَفِّهِ كانَ القضاءُ

ولما انتهى الخبر بقتل علىّ بن عيسى إلى محمد والفضل، بعث إلى نوفل خادم المأمون — وكان وكيل المأمون ببغداد وخازنه ، وقيّمه فى أهله وولده وضياعه وأمواله — عن لسان محمد، فأخذ منه الألف ألف درهم التى كان الرّشيد وصل بها المأمون ، وقبض ضياعه وغلاّته بالسواد ، وولّى عُمّالا من قبَله ، ووجّه عبد الرحمن الأبناوى[1] بالقوّة والعُدّة فنزل هَمَذان .

وذكر بعض من سمع عبد الله بن خازم عند ذلك يقول : يريد محمد إزالة الجبال وفلّ العساكر بتدبيره والمنكوس من تظهيره[2] ، هيهات! هو والله كما قال الأوّل :

* قد ضَيَّعَ اللهُ ذوداً أنت راعيها *

(١) ط : « الأنبارى » ، تحريف .   (٢) ا : « عن نظاره » .

ولمّا بايع محمد لابنه موسى ووجّه علىّ بن عيسى، قال الشاعر من أهل بغداد فى ذلك لمّا رأى تشاغُل محمد بلهوه وبطالته وتخليته عن تدبير علىّ والفضل ابن الربيع :

أَضاعَ الخِلافَةَ غِشُّ الوَزِيرِ وَفِسْقُ الإِمَامِ وَجَهْلُ المُشِيرْ؟
ففضلٌ وَزِيرٌ ، وَبكرٌ مشيرٌ يُرِيدانِ ما فيه حتْفُ الأَمِيرْ
وما ذاكَ إلّا طَرِيقُ غُرُورٍ وشَرُّ المَسالِكِ طُرْقُ الغُرور
لوَاطُ الخليفــةِ أعجوبةٌ وأَعجَبُ منه خَلاقُ الوزيرْ
فهذا يَدُوسُ وهــذا يُدَاسُ كذاكَ لَعَمْرى اختلافُ الأُمورْ
فلو يَسْتَعِينان هذا بذاك لكانا بعُرْضَةِ أَمرٍ سَتِيرْ
ولكنَّ ذا لَجَّ فى كَوْثَرٍ ولمْ يَشْفِ هذا دُعاسُ الحميرْ
فَشُنِّعَ فِعْلاهما منهمَا وصارَا خِلافاً كَبَوْلِ البعيرْ
وأَعجَبُ مِنْ ذا وَذا أَنَّنــا نبايعُ للطِّفلِ فينا الصغيرْ
ومَن لَيْس يُحسِنُ غُسْلَ استِهِ ولم يَخلُ من بَوْلِهِ حِجْرُ ظِيرْ
وما ذاكَ إلا بفضلٍ وَبَكرٍ يُرِيدَانِ نَقضَ الكِتابِ المنيرْ
وهذانِ لولا انقلابُ الزَّمانِ أَفى العيرِ هذانِ أم فى النفيرْ
ولكنَّهــا فِتنٌ كالجبالِ تَرفَّعَ فيها الوضيعُ الحقيرْ
فَصَبرًا ففى الصبرِ خيرٌ كثيرٌ وإنْ كانَ قد ضاقَ صدْرُ الصَّبُورْ
فيارَبِّ فاقبِضهُمَا عاجلاً إليك وأَوردْهم عذابَ السعيرْ
وَنَكِّلْ بفَضلٍ وأشياعِهِ وصَلِّبْهُمُ حولَ هذِى الجُسُورْ

٣/٨٠٥

* * *

وذكر أن محمدًا لما بعث إلى المأمون فى البيعة لابنه موسى ، ووجه الرّسل إليه فى ذلك ، كتب المأمون جواب كتابه :

أما بعد ، فقد انتهى إلىّ كتاب أمير المؤمنين منكراً لإبائى منزلة تَهَضَّمنى بها ، وأرادنى على خلاف ما يعلم من الحقّ فيها ؛ ولعمرى أن لو ردّ أمير المؤمنين الأمر إلى النَّصَفة فلم يطالب إلاّ بها ، ولم يوجب نكرة على تركها ، لانبسطت بالحجة مطالعُ مقالته ؛ ولكنتُ محجوجًا بمفارقة ما يجب من طاعته ؛ فأما وأنا مذعِنٌ بها وهو على ترك إعمالها ، فأولى به أن يُديرَ الحقّ فى أمره ، ثم يأخذ به ، ويعطى من نفسه ؛ فإن صرتُ إلى الحقّ فرّغتُ عن قلبه ؛ وإن أبَيتُ الحقّ قام الحقّ بمعذرته . وأمّا ما وعد من برّ بطاعته ؛ وأوعَدَ من الوطأة بمخالفته ، فهل أحدٌ فارق الحق فى فعله فأبقى للمستبين موضع ثِقة بقواه ! والسلام . ٨٠٦/٣

قال : وكتب إلى علىّ بن عيسى لما بلغه ما عزم عليه :

أما بعد ؛ فإنك فى ظلّ دعوة لم تزل أنت وسلَفُك بمكان ذبٍّ عن حريمها ؛ وعلى العناية بحفظها ورعاية لحقها ، توجبون ذلك لأئمتكم ، وتَعتصمون بحبل جماعتكم ، وتعطون بالطّاعة من أنفسكم ، وتكونون يداً على أهل مخالفتكم ، وحزبًا وأعواناً[1] لأهل موافقتكم ، تؤثرونهم على الآباء والأبناء ، وتتصرّفونَ فيما تصرّفوا فيه من منزلة شديدة ورجاء ؛ لا ترون شيئًا أبلغ فى صلاحكم من الأمر الجامع لأُلفتكم ؛ ولا أحرى لبواركم مما دعا إلى شتات كلمتكم ، ترون مَنْ رغب عن ذلك جائراً عن القَصْد وعن أمّه على منهاج الحق ، ثم كنتم على أولئك سيوفًا من سيوف نِقَم الله ، فكم من أولئك قد صاروا وديعة مَسْبَعة ، وجَزَراً جامدة ؛ قد سَفَت الرياحُ فى وجهه ، وتداعت السباعُ إلى مَصْرعه ، غير ممهد ولا موسّد قد صار إلى أمّة . وغير عاجل حظه ؛ ممن كانت الأئمة تنزلكم لذلك ؛ بحيث أنزلتم أنفسكم ، من الثقة بكم فى أمورها ، والتقدّمة فى آثارها ؛ وأنت مستشعر دون كثير من ثقاتها وخاصّتها ؛ حتى بلغ الله بك فى نفسك أنْ كنت قريع أهل دعوتك ، والعلم القائم بمعظم أمر أئمتك[2] ؛ إن قلت : ادنوا دنوْا وإن أشرتَ : أقبلوا أقبلوا وإن أمسكت وقفُوا وأقرّوا ، وثابًا لك واستنصاحًا ، وتزدادُ نعمة مع الزّيادة فى نفسك ، ويزدادون نعمة مع الزيادة لك بطاعتك ، حتى حللتَ المحلّ الذى ٨٠٧/٣

---

(١) ط : « وإخوانا » . (٢) ط : « أمتك » وما أثبته من ا .

قرُبتَ به من يومك ، وانقرض فيما دونه أكثرُ مدّتك ، لا يُنتظر بعدها إلاّ ما يكون ختام عملك من خير فيُرضَى ما تقدّم من صالح فعلك ؛ أو خلاف فيضلّ له متقدّمُ سعيك ؛ وقد ترى يا أبا يحيى حالاً عليها جلوتَ أهل نعمتك ، والولاة القائمة بحقّ إمامتك ؛ من طعن فى عُقدة كنتَ القائم بشدّها ، وخَتْر بعهود توليتَ معاقد أخذها ؛ يُبدأ فيها بالأخصّين ، حتى أفضى الأمر إلى العامّة من المسلمين ، بالأيمان المحرّجة والمواثيق المؤكدة . وما طلع مما يدعو إلى نشر كلمة ، وتفريق أمر أمة وشتّ أمر جماعة ، وتتعرّض به لتبديل نعمة وزوال ما وطأت الأسلافُ من الأئمة ؛ ومتى زالتْ نعمة من ولاة أمركم وَصَل زوالها إليكم فى خواصّ أنفسكم ؛ ولن يغيِّر الله ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم . وليس الساعى فى نشرها بِساعٍ فيها على نفسه دون السعْى على حَمَلتها ، القائمين بحُرْمتها ؛ قد عرّضوهم أنْ يكونوا جَزَراً لأعدائهم ، وطُعْمة قوم تتظفر مخالبهم فى دمائهم . ومكانك المكان الذى إن قلتَ رُجع إلى قولك ، وإن أشرتَ لم تُتّهم فى نصيحتك ؛ ولك مع إيثار الحقّ الحظوة عند أهل الحقّ . ولا سواءٌ من حَظِيَ بعاجل مع فراق الحقّ فأوبقَ نفسه فى عاقبته ، ومَنْ أعان الحقّ فأدرك به صلاح العاقبة ؛ مع وفور الحظّ فى عاجلته ، وليس لك ما تُستَدْعى ولا عليه ما تُستعْطَف ؛ ولكنه حقّ من حقّ أحسابك يجب ثوابه على ربّك ، ثم على مَنْ قمت بالحقّ فيه من أهل إمامتك ؛ فإن أعجزَك قول أو فعل فصر إلى الدّار التى تأمن فيها على نفسك . وتحكم فيها برأيك ، وتنحاز إلى مَنْ يحسن تقبُّلا لصالح فعلك ، ويكون مرجعك إلى عقدك وأموالك ؛ ولك بذلك الله ، وكفى بالله وكيلا . وإن تعذّر ذلك بقيّة[1] على نفسك ، فإمساكًا بيدك ، وقولاً بحقّ ، ما لم تخف وقوعه بكُرْهك ؛ فلعلّ مقتديًا بك ، ومغتبطًا بنهيك[2] . ثم أعْلمْنى رأيك أعرفه إن شاء الله .

٣/٨٠٨

قال : فأتى علىّ بالكتاب إلى محمد ، فشبّ أهل النكث من الكُفاة من تلهيبه ، وأوقدوا نيرانه ، وأعان على ذلك حُميًّا قُدرته ، وتساقط طبيعته ، وردّ الرأى إلى الفضل بن الربيع لقيامه كان بمكانفته .

وكانت كتُبُ ذى الرياستين ترد إلى الدّسيس الذى كان يشاوره فى أمره : إن

---

(١) ا : « تقية » . (٢) ا : « بتنبهك » .

أبى القوم إلا عزمة الخلاف ؛ فألطف لأن يجعلوا أمرَه لعلىّ بن عيسى . وإنّما خصّ ذو الرياستين عليًّا بذلك لسوء أثره فى أهل خُراسان ، واجتماع رأيهم على ما كرهه ؛ وإنّ العامة قائلة بحربه . فشاور الفضل الدّسيس الذى كان يشاوره ، فقال : علىّ بن عيسى إن فعل فلم ترمهم بمثله ، فى بعد صوبه وسخاوة نفسه ، ومكانه فى بلاد خُراسان فى طول ولايته عليهم وكثرة صنائعه فيهم ؛ ثم هو شيخُ الدعوة وبقية أهل المشايعة ؛ فأجْمَعوا على توجيه علىّ ؛ فكان من توجيهه ما كان . وكان يجتمع للمأمون بتوجيه علىّ جندان : أجنادُه الذين يحاربه بهم ، والعامة من أهل خُراسان حرْب عليه لسوء أثره فيهم ؛ وذلك رأى يكثر الأخطار به إلاّ فى صدور رجال ضعاف الرّأى لحال علىّ فى نفسه ، وما تقدّم له وسلَفه ؛ فكان ما كان من أمره ومقتله .

٨٠٩/٣

وذكر سهل أن عمرو بن حفص مولى محمد قال : دخلت على محمد فى جوف الليل — وكنت من خاصّته أصِلُ إليه حيث لا يصل إليه أحدٌ من مواليه وحشمه — فوجدته والشمع بين يديه ، وهو يفكّر ، فسلّمت عليه فلم يردّ علىّ ، فعلمت أنه فى تدبير بعض أموره ، فلم أزلْ واقفًا على رأسه حتّى مضى أكثرُ الليل ، ثم رفع رأسه إلىّ ، فقال : أحضرنى عبد الله بن خازم . فمضيت إلى عبد الله ، فأحضرته ، فلم يزل فى مناظرته حتّى انقضى الليل ، فسمعت عبدَ الله وهو يقول : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تكون أوّل الخلفاء نكثَ عهدَه ، ونقض ميثاقَه ، واستخفّ بيمينه ، وردّ رأى الخليفة قبله ! فقال : اسكت ، لله أبوك ! فعبد الملك كان أفضلَ منك رأياً ، وأكمل نظراً ؛ حيث يقول : لا يجتمع فحلان فى هَجمة[1] . قال عمرو بن حفص : وسمعت محمداً يقول للفضل ابن الربيع : ويلك يا فضل ! لا حياة مع بقاء عبد الله وتعرّضه ؛ ولا بدّ من خلْعه ، والفضل يعينه على ذلك ، ويعده أن يفعل ؛ وهو يقول : فمتى ذلك ! إذا غلب على خراسان وما يليها !

وذكر بعضُ خدم محمد أن محمداً لما همّ بخلع المأمون والبيْعة لابنه ؛ جمع وُجوه القوّاد ؛ فكان يعرِض عليهم واحداً واحداً ، فيأبَوْنه ؛ وربما

(١) الهجمة من الإبل : من الأربعين إلى ما زادت .

ساعده قومٌ حتى بلغ إلى خزيمة بن خازم ؛ فشاوره فى ذلك ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لم ينصحْك مَن كذبك ولم يغشّك مَنْ صدّقك ، لاتجرّئ القوادَ على الخلع فيخلعوك ، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك ، فإنّ الغادر مخذول ، والناكث مفلول . وأقبل علىّ بن عيسى بن ماهان ، فتبسم محمد ، ثم قال : لكن شيخ هذه الدعوة ، وناب هذه الدولة لا يخالف على إمامه ، ولا يوهِن طاعتَه ، ثم رفعه إلى موضع لم أره رفعه إليه فيما مضى ؛ فيقال : إنه أوّل القوّاد أجاب إلى خلْع عبد الله ، وتابع محمداً على رأيه . ٨١٠/٣

قال أبو جعفر : ولما عزم محمد على خَلْع عبد الله ، قال له الفضل بن الربيع : ألا تُعذِر إليه يا أميرَ المؤمنين فإنه أخوك ؛ ولعله يسلم هذا الأمر فى عافية ، فتكون قد كُفيت مؤونته ، وسلِمْت من محاربته ومعاندته[1] ! قال : فأفعل ماذا ؟ قال : تكتب إليه كتاباً ، تستطيب به نفَسه ، وتسكّن وحشته ، وتسأله الصّفْح لك عمّا فى يده ؛ فإنّ ذلك أبلغُ فى التدبير ، وأحسن فى القالَة من مكاثرته بالجنود ، ومعالجته بالكيد . فقال له : أعمل فى ذلك برأيك[2] . فلما حضر إسماعيل بن صُبَيح للكتاب إلى عبد الله قال : يا أميرَ المؤمنين ، إن مسألتك الصّفْح عما فى يديه توليد للظنّ ، وتقوية للتهمة ، ومدعاة للحَذَر ؛ ولكن اكتب إليه فأعلِمْه حاجتَك إليه ، وما تحبّ من قربه والاستعانة برأيه ، وسلْه القدوم إليك ؛ فإن ذلك أبلغُ وأحْرَى أن يبلغ فيما يوجب طاعتَه وإجابته . فقال الفضل : القول ما قال يا أمير المؤمنين ، قال : فليكتب بما رأى ، قال : فكتب إليه :

من عند الأمين محمد أمير المؤمنين إلى عبد الله بن هارون أمير المؤمنين .
أما بعد ، فإن أميرَ المؤمنين روّى فى أمرك ، والموضع الذى أنت فيه من ثغره[3] ، وما يؤمّل فى قربك من المعاونة والمكانفة على ما حمّله الله ، وقلّده من أمور عباده وبلاده ؛ وفكّر فيما كان أمير المؤمنين الرّشيد أوجب لك من الولاية ، وأمر به من إفرادك على ما يصير إليك منها ، فرجا أمير المؤمنين ألا يدخل عليه وكْفٌ فى دينه ، ولا نَكْث فى يمينه ؛ إذ كان إشخاصه إياك فيما يعود على ٨١١/٣

(١) ا : « منابذته » . (٢) ط : « رأيك » ، وما أثبته من ا .
(٣) ط : « ثغرك » ، وما أثبته من ا .

المسلمين نفعه ، ويصل إلى عامتهم صلاحه وفضله . وعلم أمير المؤمنين أنّ مكانك بالقُرْب منه أسدّ للثغور، وأصلح للجنود، وآكد[1] للفىء ، وأردّ على العامة من مقامك ببلاد خُراسان منقطعًا عن أهل بيتك ، متغيبًا عن أمير المؤمنين وما يجب الاستمتاع به من رأيك وتدبيرك. وقد رأى أمير المؤمنين أن يولّىَ موسى بن أمير المؤمنين فيما يقلده من خلافتك ما يحدث إليه من أمرك ونهيك . فاقدم على أمير المؤمنين على بركة الله وعونه ، بأبسط أمل وأفسح رجاء وأحمد عاقبة ، وأنفذ بصيرة ؛ فإنك أوْلى مَن استعان به أمير المؤمنين على أموره ، واحتمل عنه النَّصَب فيما فيه من صلاح أهل ملّته[2] وذمته. والسلام .

ودفع الكتاب إلى العبّاس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ ، وإلى عيسى بن جعفر بن أبى جعفر ، وإلى محمد بن عيسى بن نهيك ، وإلى صالح صاحب المصلّى ، وأمرهم أن يتوجّهوا به إلى عبدالله المأمون ، وألا يدَعوا وجهًا من اللين والرّفق إلا بلغوه ، وسهلوا الأمر عليه فيه ؛ وحمّل بعضهم الأموالَ والألطاف والهدايا؛ وذلك فى سنة أربع وتسعين ومائة. فتوجهوا بكتابه؛ فلما وصلوا إلى عبد الله ، أذن لهم ، فدفعوا إليه كتاب محمد ، وما كان بعث به معهم من الأموال والألطاف والهدايا . ٨١٢/٣

ثم تكلم العباس بن موسى بن عيسى ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الأمير ؛ إن أخاك قد تحمّل من الخلافة ثقلاً عظيماً ، ومن النظر فى أمور الناس عبئًا جليلا ، وقد صدقتْ نيّته فى الخير، فأعوزه الوزراء والأعوان والكُفاة فى العدل ؛ وقليلٌ ما يأنس بأهل بيته ، وأنت أخوه وشقيقه ؛ وقد فزع إليك فى أموره ، وأمّلك للموازرة والمكانفة ؛ ولسنا نستبطئك فى برّه اتّهامًا لنصرك له ، ولا نحضّك على طاعة تخوّفًا لخلافك عليه، وفى قدومك عليه أنسٌ عظيم ، وصلاح لدولته وسلطانه ؛ فأجب أيّها الأمير دعوةَ أخيك وآثرْ طاعتَه ، وأعنه على ما استعانك عليه فى أمره ؛ فإن فى ذلك قضاءَ الحقّ ، وصلة الرّحِم ، وصلاحَ الدولة ، وعزّ الخلافة . عزم الله للأمير على الرشد فى أموره ، وجعل له الخِيَرة والصلاح فى عواقب رأيه .

---

(١) ا : « وأدر » . (٢) ط : « بيته » .

وتكلّم عيسى بن جعفر بن أبى جعفر ، فقال : إنّ الإكثار على الأمير — أيده الله — فى القول خرقٌ ، والاقتصاد فى تعريفه ما يجب من حقّ أمير المؤمنين تقصير ؛ وقد غاب الأمير أكرمه الله عن أمير المؤمنين ، ولم يستغن عن قربه ، ومَنْ شهد غيره من أهل بيته فلا يجد عنده غناءً ، ولا يجد منه خلفًا ولا عوضًا ؛ والأمير أولى مَن برّ أخاه ، وأطاع إمامه ؛ فليعمل الأمير فيما كتب به إليه أميرُ المؤمنين ، بما هو أرضَى وأقربُ من موافقة أمير المؤمنين ومحبّته ؛ فإنّ القدوم عليه فضل وحظ عظيم ، والإبطاء عنه وكْفٌ فى الدّين ، وضرر ومكروه على المسلمين .

٨١٣/٣ وتكلم محمد بن عيسى بن نَهِيك ، فقال : أيها الأمير ؛ إنا لا نزيدك بالإكثار والتطويل فيما أنت عليه من المعرفة بحقّ أمير المؤمنين ، ولا نَشحذ نيّتك بالأساطير والخطب فيما يلزمُك من النّظر والعناية بأمور المسلمين . وقد أعوز أميرَ المؤمنين الكفاة والنُّصحاء بحضرته ، وتناولك فزعًا إليك فى المعونة والتقوية له على أمره ، فإن تُجب أميرَ المؤمنين فيما دعاك فنعمة عظيمة تَتلافى بها رعيّتَك وأهل بيتك ؛ وإن تقعد يغن الله أميرَ المؤمنين عنك ؛ ولن يضعه ذلك مما هو عليه من البرّ بك والاعتماد على طاعتك ونصيحتك .

وتكلم صاحب المصلى ، فقال : أيّها الأمير ؛ إن الخلافة ثقيلة والأعوان قليل ؛ ومَنْ يكيد هذه الدولة وينطوى على غشها والمعاندة لأوليائها من أهل الخلاف[1] والمعصية كثير ، وأنت أخو أمير المؤمنين وشقيقُه ، وصلاح الأمور وفسادها راجعٌ عليك وعليه ؛ إذ أنت ولىّ عهده ، والمشارك فى سلطانه وولايته ، وقد تناولك أمير المؤمنين بكتابه ، ووثق بمعاونتك على ما استعانك عليه من أموره ، وفى إجابتك إياه إلى القدوم عليه صلاحٌ عظيم فى الخلافة ، وأنس وسكون لأهل الملّة والذمة . وفّق الله الأميرَ فى أموره ، وقضى له بالذى هو أحبّ إليه وأنفع له !

فحمد الله المأمون وأثنى عليه ، ثم قال : قد عرّفتمونى من حق أمير المؤمنين أكرمه الله ما لا أنكره ، ودعوتمونى من الموازرة والمعونة إلى ما أوثره ولا أدفعه ؛ وأنا لطاعة أمير المؤمنين مقدم ، وعلى المسارعة إلى ما سرّه ووافقه حريص ، وفى ٨١٤/٣

(١) ط : «الخلافة» ، وما أثبته من ا .

الروّية تبيانُ الرّأى ، وفى إعمال الرأى نصحُ الاعتزام ؛ والأمر الذى دعانى إليه أمير المؤمنين أمرٌ لا أتأخر عنه تثبّطًا ومدافعةً ، ولا أتقدم عليه اعتسافًا وعَجَلة ، وأنا فى ثَغْر من ثغور المسلمين كَلِبٌ عدوّه ، شديدٌ شوكته ، وإن أهملت أمره لم آمن دخول الضرر والمكروه على الجنود والرعيّة ، وان أقمت لم آمن فوت ما أحبّ من معونة أمير المؤمنين وموازرته ، وإيثار طاعته ؛ فانصرفوا حتى أنظر فى أمرِى ، ونصح الرأى فيما أعتزم عليه من مسيرِى إن شاء الله . ثم أمر بإنزالهم وإكرامهم والإحسان إليهم .

فذكر سفيان بن محمد أنّ المأمون لمّا قرأ الكتاب أسقِط فى يده ، وتعاظَمه ما ورد عليه منه ، ولم يَدْرِ ما يردُّ عليه ، فدعا الفضلَ بن سهل ، فأقرأه الكتاب ، وقال : ما عندك فى هذا الأمر ؟ قال : أرى أن تتمسّك بموضعك ، ولا تجعل عليك سبيلا ؛ وأنت تجد من ذلك بدًّا . قال : وكيف يمكننى التمسّك بموضعى ومخالفة محمد ، وعُظْم القواد والجنود معه ، وأكثر الأموال والخزائن قد صارت إليه ، مع ما قد فرّق فى أهل بغداد من صِلاته وفوائده ! وإنما الناس مائلون مع الدّراهم ، منقادون لها ، لا ينظرون إذا وجدوها حفظَ بيعة ، ولا يرغبون فى وفاء عهد ولا أمانة . فقال له الفضل : إذا وقعت التهمة حقّ الاحتراس ، وأنا لغدر محمد متخوّف ، ومن شَرَهه إلى ما فى يديك مشفِق ؛ ولأن تكون فى جندك وعزِّك مقيمًا بين ظهرانَىْ أهل ولايتك أحْرَى ؛ فإن دهمك منه أمر جرّدت له وناجزته وكايدته ؛ فإمّا أعطاك الله الظّفَر عليه بوفائك ونيّتك ، أو كانت الأخرى فمتّ محافظاً مكرّماً ، غير ملقٍ بيديك ، ولا ممكن عدوّك من الاحتكام فى نفسك ودمك . قال : إن هذا الأمر لو كان أتانى وأنا فى قوّة من أمرى ، وصلاح من الأمور ؛ كان خطبه يسيرًا ، والاحتيال فى دفعه ممكنًا ؛ ولكنّه أتانى بعد إفساد خُراسان واضطراب عامرها وغامرها ، ومفارقة جَبْغويه[2] الطاعة ، والتواء خاقان صاحب التبّت ، وتهيّؤ ملك كابل للغارة على ما يليه من بلاد خُراسان ، وامتناع ملك إبراز بنده بالضريبة التى كان يؤديها ، وما لى بواحدة من هذه الأمور يدٌ ؛ وأنا أعلم أن محمداً لم يطلب قدومى

٨١٥/٣

(١) ط : « علينا » ، وما أثبته من ا .
(٢) ط : « جيغوبة » .

إلا لشرّ يريده ، وما أرى إلا تخلية ما أنا فيه ، واللحاق بخاقان ملك الترك ، والاستجارة به وببلاده ، فبالحرَى أن آمن على نفسى ، وأمتنع ممن أراد قَهْرى والغدر بى .

فقال له الفضل : أيها الأمير ؛ إنّ عاقبة الغدر شديدة ، وتَبِعة الظلم والبغى غير مأمون شرّها ، وربّ مستذَل قد عاد عزيزاً ، ومقهور قد عاد قاهراً مستطيلاً ؛ وليس النصر بالقلة والكثرة ، وحَرَجُ[(١)] الموت أيسر من حرج الذلّ والضيم ؛ وما أرى أن تفارق ما أنت فيه وتصير إلى طاعة محمد متجرّداً من قوّادك وجندك كالرأس المختزَل عن بدنه ، يُجرى عليك حكمه ، فتدخل فى جملة أهل مملكته من غير أن تبلى عذراً فى جهاد ولا قتال ؛ ولكن اكتب إلى جبغويه وخاقان ، فولّهما بلادهما ، وعدْهما التقوية لهما فى محاربة الملوك ، وابعثْ إلى ملك كابل بعضَ هدايا خُراسان وطُرَفها ، وسلْه الموادعة تجده على ذلك حريصًا ، وسلِّم الملك إبرازبنده ضريبتَه فى هذه السنة ، وصيِّرها صِلةً منك وصلتَه بها ، ثم اجمع إليك أطرافك ، واضمُم إليك من شذّ من جندك ، ثم اضرب الخيل بالخيل ، والرجال بالرجال ؛ فإن ظفرتَ وإلا كنت على ما تريد من اللحاق بخاقان قادراً . فعرف عبدُ الله صدق ما قال ، فقال : أعمل فى هذا الأمر وغيره من أمورى بما ترى ، وأنفَذ الكتب إلى أولئك العصاة ، فرضوا وأذعنوا ؛ وكتب إلى مَنْ كان شاذًّا عن مَرْو من القواد والجنود ، فأقدمهم عليه ، وكتب إلى طاهر بن الحسين وهو يومئذ عامل عبد الله على الرّىّ ، فأمره أن يضبط ناحيتَه ، وأن يجمع إليه أطرافه ؛ ويكون على حذَرٍ وعدّة من جيش إن طرقه ، أوعدوٍّ إن هجم عليه . واستعدّ للعرب ، وتهيّأ لدفع محمد عن بلاد خراسان .

٨١٦/٣

ويقال : إن عبد الله بعث إلى الفضل بن سهل فاستشاره فى أمر محمد ، فقال : أيها الأمير ، أنظرنى فى يومى هذا أغدُ عليك برأى ؛ فبات يدبّر الرأى ليلتَه ؛ فلما أصبح غدا عليه ، فأعلمه أنه نظر فى النّجوم فرأى أنه سيغلبه ، وأنّ العاقبة له . فأقام عبد الله بموضعه ، ووطّن نفسه على محاربة محمد ومناجزته .

---

(١) ا : « جرح » .

فلمّا فرغ عبد الله مما أراد إحكامَه من أمر خراسان ، كتب إلى محمد :

لعبد الله محمد أمير المؤمنين من عبد الله بن هارون ؛ أما بعد ؛

فقد وصل إلىّ كتاب أمير المؤمنين ؛ وإنما أنا عامل من عمّاله وعون من أعوانه ، أمرنى الرّشيد صلوات الله عليه بلزوم هذا الثّغْر ، ومكايدة من كايد أهله من عدوّ أمير المؤمنين ؛ ولعمرى إن مقامى به ، أردّ على أمير المؤمنين وأعظم غناءً عن المسلمين من الشخوص إلى أمير المؤمنين ، وإن كنتُ مغتبطًا بقربه ، مسروراً بمشاهدة نعمة الله عنده ؛ فإن رأى أن يقرّنى على عملى ، ويعفيَنى من الشخوص إليه ، فعل إن شاء الله. والسلام .

٨١٧/٣

ثم دعا العباس بن موسى وعيسى بن جعفر ومحمداً وصالحًا ؛ فدفع الكتاب إليهم ، وأحسن إليهم فى جوائزهم ، وحمل إلى محمد ما تهيّأ له من ألطاف خراسان ، وسألهم أن يحسِّنوا أمره عنده ، وأن يقوموا بعذره .

قال سفيان بن محمد : لما قرأ محمد كتاب عبد الله[1] ، عرف أنّ المأمون لا يتابعه على القدوم عليه ، فوجّه عصمة بن حماد بن سالم صاحب حرَسه ، وأمره أن يقيم مسلحةً فيما بين همَذان والرّىّ ، وأن يمنع التجار من حمْل شىء إلى خراسان من الميرة ، وأن يفتِّش المارّة ، فلا يكون معهم كتب بأخباره وما يريد؛ وذلك سنة أربع وتسعين ومائة . ثم عزم على محاربته ، فدعا علىّ ابن عيسى بن ماهان ، فعقد له على خمسين ألف فارس ورجل من أهل بغداد ، ودفع إليه دفاتر الجند ، وأمره أن ينتقىَ ويتخيّر من أراد على عينه ، ويخصّ من أحبّ ويرفع من أراد إلى الثمانين[2] ، وأمكنه من السلاح وبيوت الأموال ، ثم وُجِّهوا إلى المأمون .

فذكر يزيد بن الحارث ، قال : لما أراد علىّ الشخوص إلى خُراسان ركب إلى باب أم جعفر ، فودّعها ، فقالت : يا علىّ ، إنّ أمير المؤمنين وإن كان ولدِى ؛ إليه تناهت شفقتى ، وعليه تكامل حذَرى ؛ فإنى على عبد الله منعطفة مشفقة ، لما يحدُث عليه من مكروه وأذًى ؛ وإنما ابنى ملك نافس أخاه فى

٨١٨/٣

(١) ا : « المأمون » . (٢) ا : « المئين » .

سلطانه ، وغاره على ما فى يده ؛ والكريم يأكل لحمه ويمنعه[١] غيره ؛ فاعرف لعبد الله حقّ والده وأخوته ، ولا تجبّهه بالكلام ، فإنك لست نظيره ، ولا تقتسره اقتسار العبيد ، ولا ترهقه[٢] بقيْد ولا غُلّ ، ولا تمنع منه جارية ولا خادمًا ، ولا تعنّف عليه فى السير ، ولا تساوه فى المسير ؛ ولا تركب قَبْله ، ولا تستقلّ على دابتك حتى تأخذ بركابه ، وإن شتمك فاحتمل منه ، وإن سفه عليك فلا تراده. ثم دفعتْ إليه قيْداً من فضة ، وقالت : إن صار فى يدك فقيّده بهذا القيد . فقال لها : سأقبل أمركِ ، وأعمل فى ذلك بطاعتك .

وأظهر محمد خلع المأمون ، وبايع لابنيه - فى جميع الآفاق إلا خُراسان - موسى وعبد الله ؛ وأعطى عند بيعتهما بنى هاشم والقوّاد والجند الأموال والجوائز ، وسمّى موسى النّاطق بالحق ، وسمّى عبد الله القائم بالحقّ . ثم خرج علىّ بن عيسى لسبع ليال خلون من شعبان سنة خمس وتسعين ومائة من بغداد حتى عسكر بالنّهروان ، وخرج معه يشيّعه محمد ، وركب القوّاد والجنود ، وحُشرت الأسواق ، وأشخص معه الصّناع والفعَلة ؛ فيقال : إنّ عسكره كان فرسخًا بفسطاطيه وأهبَته وأثقاله ، فذكر بعضُ أهل بغداد أنهم لم يروْا عسكراً كان أكثرَ رجالاً ، وأفرَه كُراعًا ، وأظهر سلاحًا ، وأتمّ عُدّة ، وأكمل هيئة ؛ من عسكره .

وذكر عمرو بن سعيد أن محمداً لما جاز باب خُراسان نزل على فترجّل ، وأقبل يُوصيه ، فقال : امنع جندك من العبث بالرعيّة والغارة على أهل القُرى وقطْع الشجر وانتهاك النساء ؛ وولّ الرىّ يحيى بن علىّ ، واضمم إليه جنداً كثيفًا ، ومرْه ليدفع إلى جنده أرزاقَهم مما يجبى من خراجها ؛ وولّ كل كورة ترحلُ عنها رجلاً من أصحابك ، ومَنْ خرج إليك من جند أهل خُراسان ووجوهها فأظهر إكرامه وأحسن جائزته ، ولا تعاقب أخًا بأخيه ، وضَعْ عن أهل خراسان رُبْع الخراج ، ولا تؤمّن أحداً رماك بسهم ، أو طعن فى أصحابك برُمح ؛ ولا تأذن لعبد الله فى المُقام أكثر من ثلاثة من اليوم الذى تظهر فيه عليه ؛ فإذا أشخصته فليكن مع أوثقِ أصحابك عندك ؛ فإن غرّه الشيطان فناصبك

٨١٩/٣

(١) ط : « يمينه » ، وما أثبته من ا .
(٢) ط : « ترهنه » .

فاحرص على أن تأسره أسرًا ، وإن هرب منك إلى بعض كُور خراسان ، فتولّ إليه المسير بنفسك . أفهِمْتَ كلّ ما أوصيك به ؟ قال : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين ! قال : سِرْ على بركة الله وعونه !

وذُكر أنّ منجّمَه أتاه فقال : أصلح الله الأمير ! لو انتظرت بمسيرك صلاح القَمر ؛ فإنّ النحوس عليه عالية ، والسعود عنه ساقطة منصرفة ! فقال لغلام له : يا سعيد ؛ قل لصاحب المقدّمة يضرب بطبله ويقدّم علَمه ؛ فإنا لا ندرى ما فساد القمر من صلاحه ؛ غير أنه مَنْ نازلنا نازلناه ؛ ومن وادَعنا وادَعناه وكَفَفْنا عنه ؛ ومَنْ حاربنا وقاتلنا لم يكن لنا إلاّ إرْواء[1] السيف من دمه . إنا لا نعتدّ بفساد القمر ؛ فإنا وطنّا أنفسنا على صِدْق اللقاء ومناجزة الأعداء .

* * *

قال أبو جعفر : وذكر بعضُهم أنه قال : كنتُ فيمن خرج فى عسكر علىّ بن عيسى بن ماهان ؛ فلما جاز حُلوان لقيَتْه القوافل من خُراسان ؛ فكان يسألها عن الأخبار ، يستطلع عِلْم أهل خُراسان ؛ فيقال له : إنّ طاهرًا مقيم بالرّىّ يعرض أصحابه ، ويرمّ آلته ، فيضحك ثم يقول : وما طاهر ! فوالله ما هو إلا شوْكة من أغصانى ، أو شرارة من نارى ؛ وما مِثْل طاهر يتولّى على الجيوش ، ويلقَى الحروب ؛ ثم التفت إلى أصحابه فقال : والله ما بينكم وبين أن ينقصِف انقصاف الشّجر من الريح العاصف ؛ إلاّ أن يبلغه عبورنا عَقَبة هَمَذان ، فإنّ السّخال لا تقوى على النطاح ؛ والثعالب لا صبر لها على لقاء الأسْد ؛ فإن يُقِمْ طاهر بموضعه يكنْ أول معرَّض لظباة السيوف وأسنّة الرماح .

٣ ٨٢٠

وذكر يزيد بن الحارث أن علىّ بن عيسى لما صار إلى عَقَبة همَذان استقبل قافلة قدمتْ من خُراسان ، فسألهم عن الخبر ، فقالوا : إن طاهرًا مقيم بالرىّ ، وقد استعدّ للقتال ، واتّخذ آلة الحرب ، وإن المدد يترى عليه من خُراسان وما يليها من الكُور ؛ وإنه فى كلّ يوم يعظم أمرُه ، ويكثر

(١) ط : « أروى » ، وما أثبته من ا .

أصحابه ؛ وإنهم يروْن أنه صاحب جيش خراسان . قال عليّ : فهل شخص من أهل خراسان أحدٌ يعتدّ به ؟ قالوا : لا ؛ غير أن الأمور بها مضطربة ، والناس رَعِبون ، فأمر بطيّ المنازل والمسير ، وقال لأصحابه : إنّ نهاية القوم الرّيّ ، فلو قد صيّرْناها خلف ظهورنا فتّ ذلك فى أعضادهم ، وانتشر نظامهم ، وتفرّقت جماعتهم . ثم أنفذ الكتبَ إلى ملوك الديْلم وجبال طَبَرستان وما والاها من الملوك ، يَعِدُهم الصِّلات والجوائز . وأهدى إليهم التِّيجان والأسورة والسيوفَ المحلاّة بالذهب ، وأمرهم أن يقطعوا طريق خراسان ، ويمنعوا مَن أراد الوصول إلى طاهر من المدد ؛ فأجابوه إلى ذلك ، وسار حتى صار فى أول بلاد الرّيّ ، وأتاه صاحب مقدّمته ، فقال : لو كنتَ — أبقى الله الأمير — أذكيت العيون ، وبعثت الطلائع ، وارتدْتَ موضعًا تعسكر فيه ، وتتخذ خندقًا لأصحابك يأمنون به ، كان ذلك أبلَغ فى الرأى ، وآنس للجند . قال : لا ؛ ليس مثل[1] طاهر يُستعدّ له بالمكايد والتحفظ ؛ إن حال طاهر تؤول إلى أحد أمرين : إما أن يتحصّن بالرّيّ فيبيّته أهلها فيكفوننا مؤنته ، أو يخليها ويدبر راجعًا لو قربت خيولنا وعساكرنا منه . وأتاه يحيى بن عليّ ، فقال : اجمع متفرّقَ العسكر ، واحذر على جندك البيات ، ولا تسرّح الخيل إلاّ ومعها كنْف[2] من القوم ؛ فإنّ العساكر لا تساس بالتّوانى ، والحروب لا تُدبّر بالاغترار ؛ والثقة أن تحترز ، ولا تقلْ : إن المحارب لى طاهر ؛ فالشرارة الخفيّة ربما صارت ضُرامًا ، والثلمة من السيل ربما اغتُرّ بها وتُهُوّن فصارت بحراً عظيمًا ؛ وقد قربت عساكرنا من طاهر ؛ فلو كان رأيهُ الهرب لم يتأخر إلى يومه هذا . قال : اسكت ؛ فإن طاهراً ليس فى هذا الموضع الذى ترى ؛ وإنما تتحفّظ الرجال إذا لقيتْ أقرانها ، وتستعدّ إذا كان المناوئ لها أكفاءها [ونظراءها][3] .

٨٢١/٣

وذكر عبد الله بن مجالد ، قال : أقبَل عليّ بن عيسى حتى نزل من الرّيّ على عشرة فراسخ ، وبها طاهر قد سدّ أبوابها ، ووضع المسالح على طُرُقها ، واستعدّ لمحاربته ؛ فشاور طاهرٌ أصحابه ، فأشاروا عليه أن يقيمَ بمدينة الريّ ، ويدافع القتال ما قدَر عليه إلى أن يأتيَه من خُراسان المدد من الخيل ، وقائد

(١) ا : « لمثل » . (٢) كنف ، أى حشد . (٣) من ا .

٨٢٢/٣ يتولى الأمر دونه ، وقالوا : إن مقامك بمدينة الرّىّ أرفقُ بأصحابك ، وأقدر لهم على الميرة ، وأكنّ من البَرْد ، وأحْرَى إن دهَمكَ قتال أن يعتصموا بالبيوت ، وتقوى على المماطلة والمطاولة ؛ إلى أن يأتيك مدد ، أو تردَ عليك قُوّة من خلفك . فقال طاهر : إنّ الرأى ليس ما رأيتم ؛ إنّ أهل الرىّ لعلىّ هائبون ، ومن معرّته وسطوته متّقون ؛ ومعه مَنْ قد بلغكم من أعراب البوادى وصعاليك الجبال ولفيف القرى ؛ ولست آمن إن هجم علينا مدينة الرّىّ أن يدعوَ أهلَها خوفُهم إلى الوثوب بنا ، ويعينوه على قتالنا ؛ مع أنه لم يكن قوم قط روعبوا فى ديارهم[1] ، وتورّد عليهم عسكرهم إلا وَهنوا وذلوا ، وذهب عزهم ، واجترأ عليهم عدوّهم . وما الرأى إلاّ أن نصيّر مدينة الرّىّ قَفا[2] ظهورنا ؛ فإن أعطانا الله الظّفَر ، وإلا عوّلنا عليها فقاتلنا فى سككها ، وتحصنّا فى مَنعتها إلى أن يأتينا مدد أو قوة من خراسان . قالوا : الرأى ما رأيتَ . فنادى طاهر فى أصحابه فخرجوا . فعسكروا على خمسة فراسخ من الرّىّ بقرية يقال لها كلواص[3] ؛ وأتاه محمد بن العلاء فقال : أيها الأمير ؛ إن جندك قد هابوا هذا الجيش ، وامتلأتْ قلوبهم خوفًا ورُعبًا منه ، فلو أقمتَ بمكانك ، ودافعت القتال إلى أن يشامّهم أصحابك ، ويأنسوا بهم ، ويعرفوا وجهَ المأخذ فى قتالهم ! فقال : لا ؛ إنى لا أوتَى من قلّة تجربة وحَزْم ؛ إنّ أصحابى قليل ، والقوم عظيم سوادُهم كثير عددهم ، فإن دافعتُ القتالَ ، وأخّرْتُ المناجزة لم آمن أن يطلعوا على قلّتنا وعورتنا ؛ وأن يستميلوا مَن معى برغبة أو رَهْبة ، فينفر ٨٢٣/٣ عنى أكثر أصحابى ، ويخذلنى أهلُ الحفاظ والصبر ، ولكن ألفّ الرجال بالرجال ، وألحِم الخيل بالخيل ، وأعتمد على الطاعة والوفاء ، وأصبر صبر محتسب للخير ، حريص على الفوز بفضل الشهادة ؛ فإن يرزق الله الظّفَر والفلج فذلك الذى نريد ونرجو ؛ وإن تكن الأخرى ؛ فلست بأول مَنْ قاتل فقتِل ، وما عند الله أجزل وأفضل .

وقال علىّ لأصحابه : بادروا القوم ؛ فإنّ عددهم قليل ، ولو زحفتم إليهم لم يكن لهم صبر على حرارة السيوف وطعن الرماح . وعبأ جندَه ميمنة

(١) ا : « زوحموا على ديارهم » . (٢) ا : « وراء » . (٣) ا : « كلوص » .

وميسرة وقلبًا ؛ وصيّر عشر رايات ؛ فى كلّ راية ألف رجل ، وقدم الرّاياتِ رايةً راية ، فصيّر بين كلّ راية وراية غلْوة ، وأمّر أمراءها : إذا قاتلت الأولى فصبرت وحمت وطال بها القتال أن تُقدّم التى تليها وتؤخّر التى قاتلت حتى ترجع إليها أنفسُها ، وتستريح وتنشط للمحاربة والمعاودة . وصيّر أصحابَ الدروع والجواشن والخوذ أمام الرايات ، ووقف فى القلب فى أصحابه من أهل البأس والحفاظ والنجدة منهم .

وكتّب طاهر بن الحسين كتائبَه وكردَس كراديسه ، وسوّى صفوفه ، وجعل يمرّ بقائد قائد ، وجماعة جماعة ؛ فيقول : يا أولياء الله وأهل الوفاء والشكر ؛ إنكم لستم كهؤلاء الذين ترون من أهل النكث والغدر ؛ إن هؤلاء ضيّعوا ما حفظتم وصغّروا ما عظّمتم ، ونكثوا الأيمان التى رعيتم ؛ وإنما يطلبون الباطل ويقاتلون على الغدر والجهل ؛ أصحاب سلْب ونهب ؛ فلو قد غضضتم الأبصار ، وأثبتّم الأقدام ! قد أنجز الله وعدَه ، وفتح عليكم أبواب عزّه ونصره ؛ فجالدوا طواغيت الفتنة ويعاسيب النّار عن دينكم ، ودافعوا بحقكم باطلهم ؛ فإنما هى ساعة واحدة حتى يحكم الله بينكم وهو خير الحاكمين . وقلق قلقًا شديداً ، وأقبل يقول : يا أهلَ الوفاء والصدق ؛ الصبرَ الصبرَ الحفاظَ الحفاظ ! وتزاحف الناس بعضهم إلى بعض ، ووثب[1] أهل الرىّ ، فغلّقوا أبواب المدينة ، ونادى طاهر : يا أولياء الله ، اشتغلوا بمن أمامكم عمّن خلفكم ؛ فإنه لا ينجيكم إلاّ الجدّ والصدق . وتلاحموا واقتتلوا قتالا شديداً ، وصبر الفريقان جميعًا ، وعلتْ ميمنة علىّ على ميسرة طاهر ففضّتها فضًّا منكراً ، وميسرتُه على ميمنته فأزالتها عن موضعها . وقال طاهر : اجعلوا بأسكم وجدّكم على كراديس القلب ؛ فإنكم لو فضضتم منها رايةً واحدة رجعت أوائلُها على أواخرها . فصبر أصحابه صبراً صادقًا ، ثم حملوا على أوائل رايات القلب فهزموهم ؛ وأكثروا فيهم القتل ؛ ورجعت الرّايات بعضها على بعض ، وانتقضت ميمنة علىّ . ورأى أصحابُ ميمنة طاهر وميسرته ما عمل أصحابه ، فرجعوا على من كان فى وجوههم ، فهزموهم ، وانتهت الهزيمة إلى علىّ

٨٢٤/٣

(١) كذا فى ا ، وفى ط « وتزاحف » .

فجعل ينادى أصحابه : أينَ أصحاب الأسورة والأكاليل ! يا معشرَ الأبناء ، إلىَّ الكرَّة بعد الفرَّة ؛ معاودة[1] الحرب من الصبر فيها . ورماه رجلٌ من أصحاب طاهر بسهم فقتَله ، ووضعوا فيهم السيوف يقتلونهم ويأسرونهم ؛ حتى حال الليل بينهم وبين الطلب ، وغنموا غنيمة كثيرة ؛ ونادى طاهر فى أصحاب علىّ : مَن وضع سلاحه فهو آمن ، فطرحوا أسلحتهم ، ونزلوا عن دوابّهم ، ورجع طاهر إلى مدينة الرّىّ ، وبعث بالأسرى والرءوس إلى المأمون .

٨٢٥/٣

وذكر أن عبد الله بن علىّ بن عيسى طرَح نفسه فى ذلك اليوم بين القتلى ؛ وقد كانت به جراحات كثيرة ، فلم يزل بين القتلى متشبّهًا بهم يومه وليلتَه ؛ حتى أمن الطلب ، ثم قام فانضمّ إلى جماعة من فَلّ العسكر ، ومضى إلى بغداد ، وكان من أكابر ولده .

وذكر سفيان بن محمد أنّ عليًّا لمّا توجّه إلى خراسان بعث المأمون إلى من كان معه من القوّاد يعرض عليهم قتاله رجلا رجلا ؛ فكلّهم يصرح بالهيبة ، ويعتلّ بالعلل ، ليجدوا إلى الإعفاء من لقائه ومحاربته سبيلا .

وذكر بعض أهل خراسان أنّ المأمون لما أتاه كتاب طاهر ، بخبر علىّ وما أوقع الله به ، قعد للناس ؛ فكانوا يدخلون فيهنّئونه ويدعون له بالعزّ والنصر . وإنه فى ذلك اليوم أعلن خلع محمد ، ودعِى له بالخلافة فى جميع كُور خراسان وما يليها ، وسُرّ أهل خراسان ، وخطب بها الخطباء ، وأنشدت الشعراء ، وفى ذلك يقول شاعر من أهل خراسان[2] :

أصبحتِ الأمّة فى غِبْطةٍ   من أمرِ دنياها ومن دِينِها
إذ حفظتْ عهدَ إمامِ الهدى   خيرِ بنى حوّاءَ مأمونِها
على شَفاً كانت فلمّا وَفَتْ   تخلّصَتْ من سُوءِ تحيينِها
قامتْ بحق الله إذ زُبِرَتْ   فى وُلْدِهِ كتْبُ دَواوينِها
ألا تراها كيف بعدَ الرّدى   وفقهـا اللهُ لِتَزيينِها !

وهى أبيات كثيرة .

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « معاونة» . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « يقول الشاعر » .

وذكر عليّ بن صالح الحربيّ أن عليّ بن عيسى لما قُتِل، أرجف الناس ببغداد إرجافًا شديداً، وندم محمد على ما كان من نكْثه وغدره، ومشى القوّاد بعضهم إلى بعض، وذلك يوم الخميس للنصف من شوال سنة خمس وتسعين ومائة، فقالوا: إن عليًّا قد قتِل، ولسنا نشكّ أن محمداً يحتاج إلى الرجال واصطناع أصحاب الصنائع؛ وإنما يحرّك الرجال أنفسها، ويرفعها بأسُها وإقدامُها؛ فليأمر كلُّ رجل منكم جندَه بالشّغْب وطلب الأرزاق والجوائز؛ فلعلّنا أن نصيب منه في هذه الحالة ما يصلحنا، ويصلح جندنا. فاتفق على ذلك رأيهُم وأصبحوا، فتوافَوْا إلى باب الجسْر وكبّروا، فطلبوا الأرزاق والجوائز. وبلغ الخبر عبدَ الله بن خازم، فركب إليهم في أصحابه وفي جماعة غيره من قُوّاد الأعراب، فترامَوْا بالنُّشاب والحجارة، واقتتلوا قتالا شديداً، وسمع محمد التكبير والضجيج؛ فأرسل بعض مواليه أن يأتيَه بالخبر، فرجع إليه فأعلمه أنّ الجند قد اجتمعوا وشغبوا لطلب أرزاقهم. قال: فهل يطلبون شيئًا غير الأرزاق؟ قال: لا، قال: ما أهونَ ما طلبوا! ارجع إلى عبد الله ابن خازم فمُرْه فلينصرف عنهم؛ ثم أمر لهم بأرزاق أربعة أشهر، ورفع مَنْ كان دون الثمانين إلى الثمانين، وأمر للقوّاد والخواصّ بالصّلات والجوائز. ٣/٨٢٦

* * *

[توجيه الأمين عبد الرحمن بن جبلة لحرب طاهر]

وفي هذه السنة وجّه محمد المخلوع عبدَ الرحمن بن جبلة الأبناويّ إلى همَذان لحرب طاهر.

* ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر عبد الله بن صالح أنّ محمداً لما انتهى إليه قتلُ عليّ بن عيسى بن ماهان، واستباحة طاهر عسكره، وجّه عبد الرحمن الأبناويّ في عشرين ألف رجل من الأبناء، وحمل معه الأموال، وقوّاه بالسلاح والخيل، وأجازه بجوائز، وولاّه حُلوان إلى ما غلب عليه من أرض خُراسان، وندب معه فرسان الأبناء وأهل البأس والنّجدة والغناء منهم، وأمره بالإكماش في السّير، وتقليل اللُّبث ٣/٨٢٧

والتضجّع[1] ؛ حتى ينزل مدينة هَمَذان ، فيسبق طاهراً إليها ، ويخندق عليه وعلى أصحابه ، ويجمع إليه آلة الحرب ، ويغادى طاهراً وأصحابه إلى القتال . وبسط يده وأنفذ أمره فى كلّ ما يريد العمل به ، وتقدّم إليه فى التحفّظ والاحتراس ، وترك ما عمل به علىّ من الاغترار والتضجّع ، فتوجّه عبد الرحمن حتى نزل مدينة هَمَذان ، فضبط طرقها ، وحصّن سورها وأبوابها ، وسدّ ثُلَمها ، وحشر إليها الأسواق والصّناع ، وجمع فيها الآلات والمِيَر ، واستعدّ للقاء طاهر ومحاربته . وكان يحيى بن علىّ لما قُتِل أبوه هرب فى جماعة من أصحابه ، فأقام بين الرىّ وهمَذان ؛ فكان لا يمرّ به أحدٌ من فَلّ أبيه إلا احتبسه ؛ وكان يرى أن محمداً سيولّيه مكان أبيه ، ويوجّه إليه الخيل والرجال ؛ فأراد أن يجمع الفَلّ إلى أن يوافيَه القوة والمدد ؛ وكتب إلى محمد يستمدّه ويستنجده ؛ فكتب إليه محمد يعلمه توجيه عبد الرحمن الأبناوىّ ، ويأمره بالمقام موضعه ؛ وتلقّى طاهر فيمن معه ؛ وإن احتاج إلى قوة ورجال كتب إلى عبد الرحمن فقوّاه وأعانه .

فلما بلغ طاهراً الخبرُ توجّه نحو عبد الرحمن وأصحابه ، فلما قرُب من يحيى ، قال يحيى لأصحابه : إن طاهراً قد قرُب منّا ومعه مَن تعرفون من رجال خُراسان وفرسانها ، وهو صاحبكم بالأمس ، ولا آمن إن لقيتُه بمن معى من هذا الفَلّ أن يصدَعنا صدعاً يدخل وهَنُه على من خلْفنا ، وأن يعتلّ عبد الرحمن بذلك ، ويقلّدنى به العار والوَهَن والعجز عند أمير المؤمنين ، وأن أستنجد به وأقمت على انتظار مدده ؛ لم آمن أن يمسك عنا ضنّاً برجاله وإبقاءً عليهم ، وشُحّاً بهم على القتل ؛ ولكن نتزاحف إلى مدينة هَمَذان فنعسكر قريباً من عبد الرحمن ؛ فإن استعنّا به قرب منّا عونُه ؛ وإن احتاج إلينا أعنّاه وكنّا بفنائه ، وقاتلنا معه . قالوا : الرأى ما رأيتَ ؛ فانصرف يحيى ، فلمّا قرب من مدينة هَمَذان خذله أصحابُه ، وتفرّق أكثر مَنْ كان اجتمع إليه ، وقصد طاهرٌ لمدينة همَذان ؛ فأشرف عليها ، ونادى عبد الرحمن فى أصحابه ، فخرج على تعبية ، فصادف[2] طاهراً ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وصبر الفريقان جميعاً ، وكثر القتلى

٨٢٨/٣

(١) التضجع : القعود فى الأمر . (٢) ط : « فصاف » ، وما أثبته من ا .

والجرحى فيهم . ثم إنّ عبد الرحمن انهزم ، فدخل مدينة هَمَذان ، فأقام بها أيامًا حتى قوىَ أصحابُه ، واندمل جرحاهم ، ثم أمر بالاستعداد ، وزحف إلى طاهر ؛ فلمّا رأى طاهر أعلامه وأوائل أصحابه قد طلعوا ، قال لأصحابه : إنّ عبد الرحمن يريد أن يتراءى[1] لكم ؛ فإذا قربتم منه قاتلكم ؛ فإن هزمتموه بادر إلى المدينة فدخلها ، وقاتلكم على خندقها ، وامتنع بأبوابها وسورها ؛ وإن هزمكم اتّسع لهم المجال عليكم ، وأمكنتْه سعة المعترك من قتالكم ، وقتل[2] من انهزم ، وولّى منكم ؛ ولكن قِفُوا من خندقنا وعسكرنا قريبًا ؛ فإن تقارب منا قاتلناه ؛ وإن بعُد من خندقهم قَرُبنا منه . فوقف طاهر مكانَه ، وظنّ عبد الرحمن أنّ الهيبة بطّأت به من لقائه والنهود إليه ، فبادر قتاله فاقتتلوا قتالا شديداً ، وصبر طاهر ، وأكثر القتل فى أصحاب عبد الرحمن ، وجعل عبد الرحمن يقول لأصحابه : يا معشرَ الأبناء ، يا أبناء الملوك وألفاف السيوف ؛ إنهم العجم[3] ، وليسوا بأصحاب مطاولة ولا صبر ؛ فاصبروا لهم فداكم أبى وأمى ! وجعل يمرّ على راية راية ، فيقول : اصبروا ؛ إنما صبرنا ساعة ، هذا أول الصّبر والظّفَر . وقاتل بيديه قتالا شديداً ، وحمل حمَلات منكرة ما منها حملة إلا وهو يكثر فى أصحاب طاهر القتل ؛ فلا يزول أحدٌ ولا يتزحزح . ثم إنّ رجلا من أصحاب طاهر حمل على أصحاب عَلَم عبد الرحمن فقتله ، وزحمهم أصحاب طاهر زحمةً شديدة ، فولَّوْهم أكتافهم ، فوضعوا فيهم السيوف ، فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوْا بهم إلى باب مدينة هَمَذان ؛ فأقام طاهر على باب المدينة محاصراً لهم وله ؛ فكان عبد الرحمن يخرج فى كلّ يوم فيقاتل على أبواب المدينة ، ويرمى أصحابه بالحجارة من فوق السور ، واشتدّ بهم الحصار ، وتأذّى بهم أهلُ المدينة ، وتبرّموا بالقتال والحرب ، وقطع طاهرٌ عنهم المادّة من كلّ وجه . فلما رأى عبد الرحمن ، ورأى أصحابه قد هلكوا وجَهدوا ، وتخوّف أن يثب به أهلُ هَمَذان أرسل إلى طاهر فسأله

٨٢٩/٣

(١) ط : « يترايا » .
(٢) ا : « وقتال » .
(٣) ط : « لعجم » ، وما أثبته من ا .

الأمان له ولمن معه ؛ فآمنه طاهر ووفى له ، واعتزل عبد الرحمن فيمن كان استأمن معه من أصحابه وأصحاب يحيى بن علىّ .

* * *

[تسمية طاهر بن الحسين ذا اليمينين]

وفى هذه السنة سُمّىَ طاهر بن الحسين ذا اليمينين .

* ذكر الخبر عن ذلك :

قد مضى الخبرُ عن السبب الذى من أجله سُمّىَ بذلك ، ونذكرُ الذى سمّاه بذلك . ٣/٨٣٠

ذُكر أن طاهراً لما هزم جيش علىّ بن عيسى بن ماهان ، وقتل علىّ بن عيسى ، كتب إلى الفضل بن سهل : أطال الله بقاءك ، وكبت أعداءك ، وجعل من يشنؤك فداك ! كتبتُ إليك ورأس علىّ بن عيسى فى حجْرى ، وخاتمه فى يدى ، والحمد لله ربّ العالمين . فنهض الفضل ، فسلّم على المأمون بأمير المؤمنين ؛ فأمدّ المأمون طاهر بن الحسين بالرجال والقوّاد ، وسمّاه ذا اليمينين ، وصاحب حبل الدين ، ورفع من كان معه فى د[ ] الثمانين إلى الثمانين .

* * *

[ظهور السفيانىّ بالشام]

وفى هذه السنة ظهر بالشأم السفيانىّ علىّ بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ، فدعا إلى نفسه ؛ وذلك فى ذى الحجة منها . فطرد عنها سليمان بن أبى جعفر بعد حصره إياه بدمشق — وكان عامل محمد عليها — فلم يفلت منه إلا بعد اليأس ، فوجّه إليه محمد المخلوع الحسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان ، فلم ينفذ إليه ؛ ولكنه لما صار إلى الرّقة أقام بها .

* * *

[طرد طاهر عمال الأمين عن قزوين وكور الجبال]

وفى هذه السنة طرد طاهر عمّال محمد عن قزوين وسائر كور الجبال .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذكر علىّ بن عبد الله بن صالح أنّ طاهرًا لما توجّه إلى عبد الرحمن

الأبناوىّ بهمَذان، تخوّف أن يثب به كثير بن قادرة — وهو بقَزوين عامل من عمال محمد — فى جيش كثيف إن هو خلفه وراءَ ظهره؛ فلمّا قرب طاهر من هَمَذان أمر أصحابه بالنزول فنزلوا. ثم ركب فى ألف فارس وألف راجل، ثم قصد قصْدَ كثير بن قادرة، فلمّا قرب منه هرب كثير وأصحابه، وأخْلَى قزوين، وجعل طاهر فيها جنداً كثيفًا، وولاّها رجلا من أصحابه، وأمر أن يحارب مَنْ أراد دخولها من أصحاب عبد الرحمن الأبناوىّ وغيرهم.

٨٣١/٣

* * *

[ذكر قتل عبد الرحمن بن جبلة الأبناوىّ]

وفى هذه السنة قتِل عبد الرحمن بن جبلة الأبناوى بأسداباذ.

* ذكر الخبر عن مقتله:

ذكر عبد الرحمن بن صالح أن محمداً المخلوع لمّا وجّه عبدالرحمن الأبناوىّ إلى هَمَذان، أتبعه بابنى الحَرَشىّ: عبد الله وأحمد، فى خيل عظيمة من أهل بغداد، وأمرَهما أن ينزلا قصر اللصوص، وأن يسمعا ويطيعا لعبد الرحمن، ويكونا مددًا له إن احتاج إلى عونهما. فلما خرج عبد الرحمن إلى طاهر فى الأمان أقام عبد الرحمن يُرِى طاهراً وأصحابه أنه له مسالم، راضٍ بعهودهم وأيمانهم؛ ثم اغترّهم وهم آمنون. فركب فى أصحابه، فلم يشعر طاهر وأصحابه حتى هَجَموا عليهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثبت لهم رجّالة أصحاب طاهر بالسيوف والتراس والنشاب، وجثَوْا على الرّكب، فقاتلوه كأشدّ ما يكون من القتال، ودافعهم الرّجال إلى أن أخذت الفرسان عُدّتها وأهبتها، وصدقوهم القتال، فاقتتلوا قتالا منكراً، حتى تقطّعت السيوف، وتقصّفت الرماح. ثم إن أصحاب عبد الرحمن هَربوا، وترجّل هو فى ناس من أصحابه، فقاتل حتى قتِل، فجعل أصحابه يقولون له: قد أمكنك الهَرب فاهرُب؛ فإنّ القوم قد كلوا من القتال، وأتعبتهم الحرب، وليس بهم حَراك ولا قوّة على الطلب، فيقول: لا أرجعُ أبداً، ولا يرى أمير المؤمنين وجهى منهزمًا. وقُتِل من أصحابه مقتلة عظيمة، واستبيح عسكره، وانتهى من أفلت من أصحابه إلى عسكر عبد الله وأحمد ابنى الحَرَشىّ، فدخلهم الوهن[1] والفشَل، وامتلأت

٨٣٢/٣

(١) ط: «الوهم»، وما أثبته من ا.

قلوبهم خوفًا ورعبًا فولّوا منهزمين لا يلوون على شيء من غير أن يلقاهم أحد ؛ حتّى صاروا إلى بغداد ، وأقبل طاهر وقد خلت له البلاد ، يحوز[١] بلدةً بلدةً ، وكورةً وكورةً ؛ حتّى نزل بقرية من قرى حُلوان يقال لها شلاشان ؛ فخندق بها ، وحصّن عسكره ، وجمع إليه أصحابَه . وقال رجل من الأبناء يرثى عبد الرحمن الأبناوىّ :

أَلا إنما تبكى العُيونُ لفارسٍ ... نفَى العارَ عنه بالمناصِل والقَنَا

تجَلّى غُبارُ الموتِ عن صَحْنِ وجهه ... وقد أَحرزَ العَلْيَا من المجد واقتنَى

فتًى لا يُبالِى إن دَنَا من مرُوءةٍ ... أَصابَ مصُونَ النفسِ أَو ضَيَّعَ الغِنَى

يُقيمُ لأَطرافِ الذَّوابِل سُوقَها ... ولا يَرهَبُ الموتَ المُتاحَ إذ ادَنا

* * *

وكان العاملُ فى هذه السنة على مكة والمدينة من قِبَل محمد بن هارون داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، وهو الذى حجّ بالناس فى هذه السنة وسنتين قبلها وذلك سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وأربع وتسعين ومائة .

وعلى الكوفة العباس بن موسى الهادى من قبَل محمد .

وعلى البَصرة منصور بن المهدىّ من قبَل محمد .

وبخُراسان المأمون ، وببغداد أخوه محمد . ٨٢٣/٣

(١) كذا فى ا وابن الأثير وفى ط : «يجوز» .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر توجيه الأمين الجيوش لحرب طاهر بن الحسين]

فمما كان من ذلك حبس محمد بن هارون أسد بن يزيد بن مزيد ، وتوجيهه أحمد بن مزيد وعبد الله بن حُميد بن قَحْطبة إلى حُلوان لحرب طاهر .

* ذكر الخبر عن سبب حبسه وتوجيهه من ذكرت :

ذُكر عن عبد الرحمن بن وثّاب أنّ أسد بن يزيد بن مَزيد حدّثه ، أنّ الفضل بن الربيع بعث إليه بعد مقتل عبد الرحمن الأبناويّ . قال : فأتيتُه ، فلمّا دخلت عليه وجدته قاعداً فى صحن داره ، وفى يده رقعة قد قرأها ، واحمرّت عيناه ، واشتدّ غضبُه ، وهو يقول : ينام نومَ الظَّرِبان ؛ [وينتبه انتباه الذئب ، همُّه بطنه ، يخاتل الرّعاء والكلاب ترصده][1] . لا يفكر فى زوال نعمة ، ولا يروّى فى إمضاء رأى ولا مكيدة ؛ قد ألهاه كأسه ، وشغله قَدَحُه ، فهو يجرى فى لهوه ، والأيام توضع[2] فى هلاكه ؛ قد شمّر عبد الله له عن ساقه ، وفوّق له أصوبَ أسهمه ، يرميه على بعد الدّار بالحتْف النافذ ، والموت القاصد ، قد عبّى له المنايا على متون الخيل ، وناط له البلاء فى أسنّة الرماح وشفار السيوف . ثم استرجع ، وتمثل بشعر البَعيث :

ومَجْدولَةٍ جدْل العِنانِ خَريدَةٍ ... لها شَعَرٌ جَعْدٌ ووَجْهٌ مُقَسَّمُ

وثغر نَقِيٌّ اللوْنِ عَذبٌ مَذاقةٌ ... تُضِيءُ لها الظلماءُ ساعةَ تَبْسِمُ

وثديانِ كالحُقَّيْن ، والبَطْنُ ضامِرٌ ... خَميصٌ ، وجَهْمٌ نارُهُ تَتَضَرَّمُ[3]

لَهَوْتُ بها لَيْلَ التّمامِ ابنَ خالِدٍ ... وأنت بِمَرْوَ الرُّوذ غَيْظًا تَجرَّمُ[4]

---

(١) من ا .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « تضرع » .

(٣) ابن الأثير : « ووجه ناره » .

(٤) كذا فى ا وابن الأثير ، وفى ط : « على بمرو الروذ » .

٨٣٤/٣

أَظَلُّ أُناغِيهَا وتحتَ ابنِ خالدِ أُمَيَّــةَ نَهْدُ المَرْكَلَينِ عَثَمْثَمُ
طوَاهُ طِرادُ الخَيْلِ فى كلِّ غارَةٍ لها عارض فيه الأَسِنَّةُ تُرْزِمُ
يُقارِعُ أَتراكَ ابن خاقانَ ليلةً إلى أن يُرَى الإِصباحُ لا يَتَلَعْثَمُ
فيُصْبِح منْ طُولِ الطِّرادِ ، وَجِسْمُهُ نحِيلٌ وَأُضحِى فى النَّعِيمِ أُصَمْصِمُ
أُباكِرُهَا صَهْباءَ كالمسكِ ريحُها لها أَرَجٌ فى دَنِّها حين تَرْشُمُ[1]
فَشَتَّانَ ما بَيْنِى وبَيْنَ ابن خالد أُمَيَّةَ فى الرِّزقِ الذِى اللهُ قاسِمُ[2]

ثم التفت إلىّ فقال : يا أبا الحارث ، أنا وإياك نجرى إلى غاية ، إن قصّرنا عنها ذُممْنَا ، وإن اجتهدنا فى بلوغها انقطعنا ؛ وإنما نحن شعب من أصل ؛ إن قوى قوينا ؛ وإن ضعف ضعفنا ؛ إن هذا قد ألقى بيده إلقاء الأمَة الوكْعاء ، يشاور النساء ، ويعتزم على الرؤيا ؛ وقد أمكن مسامعه من أهل اللهو والخسارة ، فهم يعدُونه الظَّفَر ، ويمنّونه عقب الأيام ؛ والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل ؛ وقد خشيت والله أن نهلك بهلاكه ، ونعطب بعطبه ؛ وأنت فارس العرب وابن فارسها ؛ قد فزع إليك فى لقاء هذا الرجل وأطمعه فيما قبلَك أمران ؛ أما أحدهما فصدق طاعتك وفضل نصيحتك ، والثانى يُمْن نقيبتك وشدّة بأسك ؛ وقد أمرنى إزاحة علّتك وبسط يدك فيما أحببت ؛ غير أن الاقتصاد رأسُ النصيحة ومفتاح اليُمْن والبركة ، فأنجز حوائجك ، وعجّل المبادرة إلى عدوّك ؛ فإنى أرجو أن يُوليك الله شرفَ هذا الفتح ، ويلمّ بك شعث هذه الخلافة والدولة . فقلت : أنا لطاعة أمير المؤمنين — أعزه الله — وطاعتك مقدِّم ، ولكلّ ما أدخل الوَهن والذّل على عدوّه وعدوّك حريص ؛ غير أن المحارب لا يَعمل بالغرور ، ولا يفتتح أمره بالتقصير والخلل ؛ وإنما مِلاك المحارب الجنود ، وملاك الجنود المال ؛ وقد ملأ أمير المؤمنين أعزه الله أيدى مَنْ شهد العسكر من جنوده ، وتابع لهم الأرزاق الدارّة والصِّلات والفوائد

٨٣٥/٣

(١) سقط هذا البيت من ط ، وأثبته من ا وابن الأثير وترشم ، أى تختم .

(٢) ا ، وابن الأثير : « يقسم » .

الجزيلة ، فإن سرتُ بأصحابى وقلوبهم متطلعة إلى مَنْ خلفهم من إخوانهم لم أنتفع بهم فى لقاء مَنْ أمامى ، وقد فضل أهل السِّلم على أهل الحرب ، وجاز بأهل الدَّعَة(١) منازل أهل النَّصب والمشقة ؛ والذى أسأل أن يؤمَر لأصحابى برزق سنة ، ويحمل معهم أرزاق سنة ، ويخصّ مَن لا خاصّة له منهم من أهل الغناء والبلاء ، وأبدِل مَن فيهم من الزَّمْنى والضّعفاء ، وأحمل ألف رجل ممّن معى على الخيل ؛ ولا أُسأل عن محاسَبة ما افتتحت من المدن والكور .

٨٣٦/٣

فقال : قد اشتططتَ(٢) ؛ ولا بدّ من مناظرة أمير المؤمنين . ثم ركب وركبت معه ، فدخل قبلى على محمد ، وأذن لى فدخلتُ ، فما كان بينى وبينه إلا كلمتان حتى غضب وأمر بحبسى .

وذُكر عن بعض خاصة محمد أنّ أسداً قال لمحمد : ادفع إلىّ ولدىْ عبد الله المأمون حتى يكونا أسيرين فى يدى ؛ فإن أعطانى الطاعة ، وألقى إلىّ بيده ، وإلاّ عملت فيهما بحكمى ، وأنفذت فيهما أمرى . فقال : أنت أعرابىٌّ مجنون ؛ أدعوك إلى ولاء أعنّة العرب والعجم ، وأطعمك خراج كُور الجبال إلى خُراسان ، وارفع منزلتَك عن نظرائك من أبناء القوّاد والملوك ، وتدعونى إلى قتل ولدى ، وسفك دماء أهل بيتى ! إنّ هذا للتخرُّق والتخليط . وكان ببغداد ابنان لعبد الله المأمون ، وهما مع أمّهما أم عيسى ابنة موسى الهادى ، نزولا فى قصر المأمون ببغداد ؛ فلمّا ظفر المأمون ببغداد خرجَا إليه مع أمّهما إلى خُراسان ؛ فلم يزالا بها حتى قدموا بغداد ، وهما أكبر ولده .

وذكر زياد بن علىّ ، قال : لما غضب محمد على أسد بن يزيد ، وأمر بحبسه ، قال : هل فى أهل بيت هذا من يقوم مقامه ؛ فإنى أكره أن أستفسدهم مع سابقتهم(٣) وما تقدّم من طاعتهم ونصيحتهم ؟ قالوا : نعم ؛ فيهم أحمد بن مزيد ، وهو أحسنهُم طريقة ، وأصّحهم(٤) نيّة فى الطاعة ؛ وله مع هذا بأس ونجده وبَصَر بسياسة الجنود ولقاء الحروب ؛ فأنفذ إليه محمد بَريداً يأمره بالقدوم عليه ؛ فذكر بكر بن أحمد ، قال : كان أحمد

(١) ط : « الدعوة » ، وما أثبته من ا .
(٢) ابن الأثير : « أشططت » .
(٣) ابن الأثير : « نباهتهم » .
(٤) ا : « أصلحهم » .

متوجّهاً إلى قرية تدعى إسحاقيّة ، ومعه نفر من أهل بيته ومواليه وحشمه ؛ فلما جاوز نهر أبان سمع صوت بريد فى جوف الليل ، فقال : إن هذا لعجيب، بريد فى مثل هذه الساعة وفى مثل هذا الموضع ! إن هذا الأمرَ لعجيب . ثم لم يلبث البريد أن وقف ، ونادى الملاّحَ : هل معك أحمد ابن مزيد ؟ قال : نعم ؛ فنزل فدفع إليه كتاب محمد ، فقرأه ثم قال : إنى قد بلغت ضيعتى ؛ وإنما بينى وبينها ميل ؛ فدعنى أقعُها وقعة فآمر فيها بما أريد ثم أغدو معك ، فقال : لا ، إنّ أمير المؤمنين أمرنى ألاّ أنظرك ولا أرفّهك ؛ وأنْ أشخصك أىّ ساعة صادفتك فيها ؛ من ليل أو نهار . فانصرف معه حتى أتى الكوفة ، فأقام بها يوماً حتى تجمّل وأخذ أهبة السفر ، ثم مضى إلى محمد . ٨٣٧/٣

فذكر عن أحمد ، قال : لما دخلت بغداد ، بدأت بالفضل بن الربيع ، فقلت : أسلّم عليه ، وأستعين بمنزلته ومحضره عند محمد ؛ فلما أذن لى دخلت عليه ؛ وإذا عنده عبد الله بن حُميد بن قحطبة ، وهو يريده على الشخوص[1] إلى طاهر ، وعبد الله يشتطّ عليه فى طلب المال والإكثار من الرجال ؛ فلمّا رآنى رحّب بى وأخذ بيدى ، ورفعنى حتى صيّرنى معه على صدر المجلس ، وأقبل على عبد الله يداعبه ويمازحه ، فتبسّم فى وجهه ، ثم قال :

إنَّا وجَدْنا لكم إذ رَثَّ حبْلكم ... مِنْ آلِ شيْبانَ أُمًّا دُونكمْ وَأَبا
الأَكثرُونَ إذَا عُدَّ الحَصى عَدَدًا ... والأَقرَبونَ إلينا منكمُ نَسبا

فقال عبد الله : إنّهم لكذلك ؛ وإن منهم لسَدّ الخَلَل ونكاء العدوّ ، ودفع معرّة أهل المعصية عن أهل الطاعة . ثم أقبل علىّ الفضل ، فقال : إنّ أمير المؤمنين أجرى ذكرك ، فوصفتُك له بحسن الطاعة وفضل النصيحة والشدّة على أهل المعصية ، والتقدّم بالرأى ، فأحبّ اصطناعك والتنويهَ باسمك ، وأن يرفعك إلى منزلة لم يبلغها أحد من أهل بيتك . والتفت إلى خادمه ، فقال : ياسرّاج ؛ مُرْ دوابّى ، فلم ألبث أن أسرجَ له ، فمضى ومضيت معه ، حتى دخلنا على محمد وهو فى صحن داره ، له ساج ، فلم يزل يأمرنى بالدنوّ حتى كدت ٨٣٨/٣

(١) ا : « الخروج » .

ألاصقه ، فقال : إنه قد كثر علىّ تخليط ابن أخيك وتنكّره ، وطال خلافه علىّ حتى أوحشنى ذلك منه ، وولّد فى قلبى التهمة له ، وصيّرنى لسوء المذهب وخبث الطاعة إلى أن تناولته من الأدب والحبس بما لم أحبّ أن أكون أتناوله به ، وقد وُصفتَ لى بخير ، ونُسبت إلى جميل ، فأحببت أن أرفع قدرَك ، وأعلى منزلتك ، وأقدّمك على أهل بيتك ، وأن أولّيك جهاد هذه الفئة الباغية الناكثة ، وأعرّضك للأجر والثواب فى قتالهم ولقائهم ؛ فانظر كيف تكون ، وصحّح نيّتك ، وأعن أميرَ المؤمنين على اصطناعك ، وسُرّه فى عدوّه ينعم سرورك وتشريفك . فقلت : سأبذل فى طاعة أمير المؤمنين أعزّه الله مهجتى ، وأبلغ فى جهاد عدوّه أفضل ما أمّله عندى ، ورجاه من غنائى وكفايتى ، إن شاء الله . فقال : يا فضل ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : ادفع إليه دفاترَ أصحاب أسد ، واضممْ إليه مَنْ شهد العسكر من رجال الجزيرة والأعراب ، وقال : أكمش على أمرك ، وعجّل المسير إليه . فخرجت فانتخبت الرجال واعترضت الدفاتر ، فبلغت عدّة من صحّحتُ اسمه عشرين ألف رجل . ثم توجّهت بهم إلى حلوان . ٨٣٩/٣

وذكر أن أحمد بن مزيد لمّا أراد الشخوص دخل على محمد ، فقال : أوصنى أكرم الله أمير المؤمنين ! فقال : أوصيك بخصال عدّة : إياك والبغىَ ، فإنه عقال النصر ، ولا تقدّم رجْلا إلا باستخارة ، ولا تُشهر سيفاً إلا بعد إعذار ؛ ومهما قدَرت باللين فلا تتعدّه إلى الخُرْق والشّرّة[1] ، وأحسنْ صحابة مَنْ معك من الجند ، وطالعنى بأخبارك فى كلّ يوم ، ولا تخاطر بنفسك طلب الزلفة عندى ؛ ولا تستقْها[2] فيما تتخوّف رجوعه علىّ ، وكن لعبد الله أخاً مصافياً ، وقريناً برّاً ، وأحسن مجامعته وصحبته ومعاشرته ، ولا تخذله إن استنصرك ، ولا تبطئ عنه إذا استصرخك ؛ ولتكن أيديكما واحدةً ، وكلمتكما متفقة . ثم قال : سلْ حوائجك ، وعجّل السراح إلى عدوّك . فدعا له أحمد ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، كثّرْ لى الدعاء ولا تقبل فىّ قول باغٍ ، ولا ترفضنى قبل المعرفة بموضع قدمى لك ، [ولا تنقض علىّ ما استجمع من رأى ، ومنّ علىّ بالصفح عن ابن أخى ، قال : ذلك لك][3] . ثم بعث إلى أسد فحلّ قيودَه وخلّى

(١) ا : « الشدة » . (٢) ا : « ولا تستبقها » . (٣) من ا .

سبيله ، فقال أبو الأسد الشيبانيّ فى ذلك [يمدح أحمد ويذكر حاله ومنزلته](١) .

لِيَهْنِ أَبا العباسِ رَأْىُ إمامِهِ   وما عِنْدَهُ منهُ القَضا بمَزِيدِ
دَعاهُ أَميرُ المؤمنينَ إلى التى   يُقَصِّرُ عنها ظِلُّ كلِّ عَميدِ
فَبادَرَها بالرَّأْىِ والحَزْمِ والحجى   وَرَأْىُ أَبِى العباسِ رَأْىُ سَديدِ
نَهَضْتَ بما أَعيا الرِّجالُ بحملِهِ   وَأَنتَ بِسَعدٍ حاضِرٍ وسَعيدِ
رَدَدتَ بها للرَّائدينَ أَعَزَّهُمْ   ومثلكَ وَالَى طَارِفاً بتليدِ
كَفَى أَسَدًا ضِيقَ الكبولِ وكَرْبَها   وكانَ عليهِ عاطفاً كيَزيدِ
وحَصَّلَهُ فيها كلَيثٍ غضَنْفرٍ   أَبى أَشْبُلٍ عَبْلِ الذِّراعِ مَديدِ

وذكر يزيد بن الحارث أنّ محمّداً وجّه أحمد بن مزيد فى عشرين ألف رجل من الأعراب ، وعبد الله بن حميد بن قَحْطبة فى عشرين ألف رجل من الأبناء ، وأمرهما أن ينزلا حُلْوان ، ويدفعا طاهراً وأصحابه عنها ؛ وإن أقام طاهر بشلاشان أن يتوجّها إليه فى أصحابهما حتى يدفعاه ، وينصبا له الحرْب ، وتقدّم إليهما فى اجتماع الكلمة والتوادّ والتحابّ على الطاعة ؛ فتوجّها حتى نزلا قريبًا من حُلوان بموضع يقال له خانقين ، وأقام طاهر بموضعه ، وخندق عليه وعلى أصحابه ، ودسّ الجواسيس والعيون إلى عسكريهما ؛ فكانوا يأتونهم بالأراجيف ، ويخبرونهم أنّ محمداً قد وضع العطاء لأصحابه ؛ وقد أمر لهم من الأرزاق بكذا وكذا ؛ ولم يزل يحتال فى وقوع الاختلاف والشَّغْب بينهم حتى اختلفوا ، وانتقض أمرهم ، وقاتل بعضُهم بعضًا . فأخلوْا خانقين ، ورجعوا عنها من غير أن يلقوْا طاهرًا ، ويكون بينهم وبينه قتال . وتقدّم طاهر حتى نزل حُلوان ؛ فلما دخل طاهر حُلوان لم يلبث إلاّ يسيراً حتى أتاه هَرْثمة ابن أعْيَن بكتاب المأمون والفضل بن سهل ، يأمرانه بتسليم ما حوى من المدن والكُور إليه ، والتوجّه(٢) إلى الأهواز ؛ فسلم ذلك إليه . وأقام هرثمة بحُلوان فحصنها ووضع مسالحه ومراصده فى طرقها وجبالها ، وتوجّه طاهر إلى الأهواز .

٣/٨٤٠

٣/٨٤١

(١) من ا . (٢) ط : « ويتوجه » .

[ذكر رفع منزلة الفضل بن سهل عند المأمون]

وفى هذه السنة رفع المأمون منزلة الفضل بن سهل وقدّره .

ذكر الخبر عمّا كان من المأمون إليه فى ذلك :

ذُكر أن المأمون لمّا انتهى إليه الخبر عن قتل طاهر علىّ بن عيسى واستيلائه على عسكره وتسميته إيّاه أمير المؤمنين ؛ وسلّم الفضل بن سهل عليه بذلك ، وصحّ عنده الخبر عن قتل طاهر عبد الرحمن بن جَبَلة الأبناوىّ وغلبته على عسكره ، دعا الفضل بن سهل ، فعقد له فى رجَب من هذه السنة على المشرق[1] ؛ من جبل همَذان إلى جبل سِقينان والتبّت طولاً ، ومن بحر فارس والهند إلى بحر الدّيْلم وجُرجان عرْضًا ، وجعل عُمالته ثلاثة آلاف ألف درهم ، وعقد له لواء على سنان ذى شُعبتين ، وأعطاه علَمًا ، وسمّاه ذا الرياستين ؛ فذكر بعضهم أنه رأى سيفه عند الحسن بن سهل مكتوبًا عليه بالفِضّة من جانب : رياسة الحرب ، ومن الجانب الآخر : رياسة التدبير . فحمل اللواء علىّ بن هشام ، وحمل العَلَم نُعيم بن حازم ، وولّى الحسن بن سهل ديوان الخراج .

* * *

[ذكر خبر ولاية عبد الملك بن صالح على الشام]

وفى هذه السنة ولّى محمد بن هارون عبد الملك بن صالح بن علىّ على الشأم وأمره بالخروج إليها ، وفرض له من رجالها جنوداً يقاتل بها طاهراً وهرثمة .

* ذكر الخبر عن سبب توليته ذلك :

ذكر داود بن سليمان أنّ طاهراً لما قوىَ واستعلى أمرُه ، وهَزَم من هزم من قوّاد محمد وجيوشه ، دخل عبد الملك بن صالح على محمد — وكان عبد الملك محبوسًا فى حبس الرشيد ؛ فلما تُوُفّىَ الرشيد ، وأفضى الأمر إلى محمد أمر ٨٤٢/٣

(١) ط : « الشرق » ، وما أثبته من ا .

بتخلية سبيله ؛ وذلك فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين ومائة ، فكان عبد الملك يشكر ذلك لمحمد، ويوجب به على نفسه طاعته ونصيحته — فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّى أرى الناس قد طمعوا فيك وأهل العسكرين قد اعتمدوا ذلك ، وقد بذلتَ سماحتك ؛ فإن أتممت على أمرك أفسدتهم وأبطرتهم ، وإن كففت أمرك عن العطاء والبذل أسخطتَهم وأغضبتَهم ؛ وليس تُملك الجنود بالإمساك ، ولا يبقى ثبوت الأموال على الإنفاق والسرف ؛ ومع هذا فإن جندك قد رعبتْهم الهزائم ، ونهكتْهم وأضعفتهم الحرب والوقائع ؛ وامتلأت قلوبهم هيبةً لعدوّهم ، ونكولا عن لقائهم ومناهضتهم ؛ فإن سيّرتهم إلى طاهر غلب بقليل مَنْ معه كثيرَهم ، وهزم بقوّة نيّتِه ضَعْفَ نصائحهم ونيّاتهم ، وأهلُ الشأم قوم قد ضرّستهم الحروب ، وأدّبتهم الشدائد ، وجلُّهم منقاد إلىّ ، مسارع إلى طاعتى ؛ فإن وجّهنى أمير المؤمنين اتخذت له منهم جنداً تَعظُم نكايتهم فى عدوّه ، ويؤيد الله بهم أولياءه وأهل طاعته . فقال محمد : فإنى موليك أمرَهم ، ومقوّيك بما سألت من مال وعُدّة ، فعجّل الشخوص إلى ما هنالك؛ فاعمل عملا يَظهر أثرُه ، ويُحمَد بركته برأيك ونظرك فيه إن شاء الله . فولّاه الشأم والجزيرة ، واستحثّه بالخروج استحثاثًا شديداً ، ووجّه معه كنَفًا من الجند والأبناء .

* * *

وفى هذه السنة سار عبد الملك بن صالح إلى الشأم ، فلما بلغ الرقة أقام بها . وأنفذ رسله وكتبه إلى رؤساء أجناد أهل الشام بجمع الرّجال بها ، وإمداد محمد بهم لحرب طاهر .

* ذكر الخبر عن ذلك :

٨٤٣/٣

قد تقدّم ذكرى سببَ توجيه محمد إياه لذلك ؛ فذكر داود بن سليمان أنه لما قدم عبد الملك الرّقة ، أنفذ رسلَه ، وكتب إلى رؤساء أجناد الشأم ووجوه الجزيرة ، فلم يبقَ أحد ممّن يرجَى ويذكر بأسه وغناؤه إلا وعده وبسط له فى أمله وأمنيته ، فقدموا عليه رئيسًا بعد رئيس ، وجماعة بعد جماعة ؛ فكان لا يدخل عليه أحدٌ إلا أجازه وخلع عليه وحمله ؛ فأتاه أهلُ الشأم : الزواقيل والأعراب من كلّ فَجّ ، واجتمعوا عنده حتى كثروا . ثم إن

بعضَ جند أهل خُراسان نظر إلى دابّة كانت أخِذت منه فى وقعة سليمان بن أبى جعفر تحت بعض الزواقيل ؛ فتعلّق بها ، فجرى الأمر بينهما إلى أن اختلفا ؛ واجتمعت جماعة من الزّواقيل والجند ، فتلاحموا ، وأعان كلّ فريق منهم صاحبَه ، وتلاطموا وتضاربوا بالأيدى ، ومشى بعض الأبناء إلى بعض ، فاجتمعوا إلى محمد بن أبى خالد ، فقالوا : أنت شيخنا وفارسنا ؛ وقد ركب الزواقيلَ منّا ما قد بلغك؛ فاجمع أمرنا وإلا استذلّونا ، وطمعوا فينا ، وركبوا بمثل هذا فى كلّ يوم . فقال : ما كنت لأدخل فى شَغْب ، ولا أشاهدكم على مثل الحالة . فاستعدّ الأبناء وتهيئوا ، وأتوا الزواقيل وهم غارُّون ، فوضعوا فيهم السيوف ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وذبحوهم فى رحالهم ، وتنادى الزواقيل ، فركبوا خيولَهم ، ولبسوا أسلحتهم ، ونشبت الحرب بينهم . وبلغ ذلك عبد الملك بن صالح ، فوجّه إليهم رسولا يأمرهم بالكفّ ووضع السلاح ، فرموْه بالحجارة ، واقتتلوا يومهم ذلك قتالا شديداً ، وأكثرت الأبناء القتل فى الزواقيل ؛ فأخبر عبد الملك بكثْرة مَن قتل —وكان مريضًا مدنَفًا— فضرب بيده على يد، ثم قال : واذلاّه ! تستضام العرب فى دارها ومحلّها وبلادها ! فغضب من كان أمسك عن الشرّ من الأبناء، وتفاقم الأمر فيما بينهم، وقام بأمر الأبناء الحسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان ، وأصبح الزّواقيل؛ فاجتمعوا بالرّقة ، واجتمع الأبناء وأهل خُراسان بالرافقة ؛ وقام رجل من أهل حِمْص ، فقال : يا أهلَ حِمْص ؛ الهرب أهْوَنُ من العطب ، والموتُ أهون من الذّل ؛ إنكم بعُدتم عن بلادكم ، وخرجتم من أقاليمكم ، ترجون الكثرة بعد القلّة والعزّة بعد الذلة ! ألا وفى الشرّ وقعتم ، وإلى[1] حَوْمة الموت أنختم . إنّ المنايا فى شوارب المسوّدة وقلانسهم . النفير النفير ، قبل أن ينقطع السبيل ، وينزل الأمر الجليل ، ويفوت المطلب ، ويعسر المذهب[2] ، ويبعد العمل ، ويقترب الأجل !

٣/٨٤٤

وقام رجل من كلب فى غَرْز ناقته ، ثم قال :

شُؤبُوبُ حَرْبٍ خابَ من يَصْلاها   قَدْ شَرَّعَتْ فُرْسانُها قَناها

---

(١) ابن الأثير : « وفى » .

(٢) ابن الأثير : « المهرب » .

فأوْرَدَ اللهُ لظًى لظاها إن غُمِرَت كلبٌ بها لحَاها

ثم قال : يا معشرَ كلْب ؛ إنها الرّاية السوداء ؛ والله ما ولّت ولا عدَلْت ولاذلّ ناصرها[1] ، ولا ضعف وليُّها ، وإنكم لتعرفون مواقعَ سيوف أهل خُراسان فى رقابكم ، وآثار أسنّتهم فى صدوركم . اعتزلوا الشرّ قبل أن يعظم ، وتخطّوْه قبل أن يضطرم . شأمَكم شأمكم ، داركم داركم! الموت الفلسطينىّ خير من العيش الجزَرىّ . ألا وإنى راجع ، فمن أراد الانصراف فلينصرف معى .

٨٤٥/٣

ثم سار وسار معه عامة أهل الشأم ، وأقبلت الزّواقيل حتى أضرموا ما كان التّجار جمعوا من الأعلاف بالنار ، وأقام الحسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان مع جَماعة أهل خراسان والأبناء على باب الرافقة تخوّفًا لطوق بن مالك . فأتى طوقًا رجلٌ من بنى تَغْلِب ، فقال : ألا ترى ما لقيت العرب من هؤلاء ! انهض فإنّ مثلك لا يقعد عن هذا الأمر ، قد مدّ أهلُ الجزيرة أعينَهم إليك ، وأمّلُوا عونَك ونصرَك . فقال : والله ما أنا من قيسها ولا يمنها ؛ ولا كنت فى أوّل هذا الأمر لأشهدَ آخره ؛ وإنى لأشدّ إبقاء على قومى ، وأنظرُ لعشيرتى منْ أن أعرّضهم للهلاك بسبب هؤلاء السفهاء من الجند وجهال قيس ، وما أرى السّلامة إلا فى الاعتزال .

وأقبل نصر بن شبث فى الزّواقيل على فرس كُمَيت أغرّ ، عليه درّاعة سوداء قد ربطها خلْف ظهره ، وفى يده رُمح وترْس ، وهو يقول :

فُرْسانَ قَيْسٍ اَصْمُدُنّ للموت لا تُرْهِبُنى عَن لِقاءِ الفَوتْ

* دَعى التَّمَنّى بِعَسَى وَلَيْتْ[2] *

ثم حمل هو وأصحابُه ، فقاتل قتالا شديداً ، فصبر لهم الجند ، وكثُر القتل فى الزّواقيل ، وحملت الأبناء حملات ، فى كلّها يقتلون ويجرحون ؛ وكان أكثر القتل والبلاء فى تلك الدفعة لكثير بنّ قادرة وأبى الفيل وداود بن موسى ابن عيسى الخُراسانىّ ، وانهزمت الزواقيل ، وكان على حاميتهم يومئذ نصر ابن شبث وعمرو السلمىّ والعباس بن زفر .

(١) كذا فى ا ، وفى ط : «نصرها» .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : التحى .

٨٤٦/٢ وتوفّىَ فى هذه السنة عبد الملك بن صالح .

* * *

[ذكر خلع الأمين والمبايعة للمأمون]

وفى هذه السنة خُلع محمد بن هارون ، وأخِذت عليه البيعة لأخيه عبد الله المأمون ببغداد .

وفيها حُبس محمد بن هارون فى قصر أبى جعفر مع أم جعفر بنت جعفر ابن أبى جعفر .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه :

ذُكر عن داود بن سليمان أنّ عبدالملك بن صالح لما تُوُفّىَ بالرّقة ، نادى الحسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان فى الجند ، فصيّر الرّجّالة فى السفن والفرسان على الظهر ووصلهم ، وقوّى ضعفاءهم ، ثم حملهم حتى أخرجهم من بلاد الجزيرة ؛ وذلك فى سنة ست وتسعين ومائة .

وذكر أحمد بن عبد الله ، أنه كان فيمن شهد مع عبد الملك الجزيرة لمّا انصرف بهم الحسين بن علىّ ، وذلك فى رجب من سنة ست وتسعين ومائة. وذكر أنه تلقاه الأبناء وأهل بغداد بالتكرمة والتعظيم ، وضربوا له القِباب ، واستقبله القوّاد والرؤساء والأشراف ، ودخل منزله فى أفضل كرامة وأحسن هيئة ؛ فلما كان فى جوف الليل بعث إليه محمد يأمره بالركوب إليه ؛ فقال للرسول : والله ما أنا بمغنّ ولا بمسامر ولا مضحك ؛ ولا وليتُ له عملا ، ولا جرى له على يدى مال ؛ فلأىّ شىء يريدنى فى هذه الساعة ! انصرف ؛ فإذا أصبحتُ غدوتُ إليه إن شاء الله .

فانصرف الرسول ، وأصبح الحسين فوافى بابَ الجسر ، واجتمع إليه النّاس ، فأمر بإغلاق الباب الذى يخرج منه إلى قصر عبد الله[1] بن علىّ وباب سوق يحيى ، وقال : يا معشَر الأبناء ؛ إن خلافة الله لا تجاور بالبطر ، ونِعَمه ٨٤٧/٣

(١) ط : « عبيد الله » ، وهو عبد الله بن على بن عيسى بن ماهان ؛ وانظر ص ٤١٢ .

لا تستصحب بالتجبر والتكبر ؛ وإن محمداً يريد أن يوتغ أديانكم ، وينكث بيعتكم ، ويفرّق جمعكم ؛ وينقل عزّكم إلى غيركم ؛ وهو صاحب الزّواقيل بالأمس ، وبالله إن طالت به مدّة وراجعه من أمره قوة ، ليرجعنّ وبال ذلك عليكم ؛ وليعرفنّ ضرره ومكروهه فى دولتكم ودعوتكم ؛ فاقطعوا أثره قبل أن يقطع آثاركم ، وضعوا عزّه قبل أن يضع عزّكم ، فوالله لا ينصره منكم ناصرٌ إلا خُذِل ، ولا يمنعه مانع إلا قُتِل ؛ وما عند الله لأحد هوادة ، ولا يراقب على الاستخفاف بعهوده والحنْث بأيمانه . ثم أمر الناس بعبُور الجسر فعبروا ؛ حتى صاروا إلى سِكة باب خُراسان ؛ واجتمعت الحربية وأهل الأرْباض ممّا يلى باب الشأم ، [وباب الأنبار وشطّ الصراة مما يلى باب الكوفة][1] . وتسرّعت خيول من خيول محمد من الأعراب وغيرهم إلى الحسين بن علىّ ؛ فاقتتلوا قتالا شديداً مليًّا من النهار ، وأمر الحسين مَنْ كان معه من قوّاده وخاصة أصحابه بالنزول فنزلوا إليهم بالسّيوف والرماح ، وصدَقوهم القتال ، وكشفوهم حتى تفرّقوا عن باب الخلد .

قال : فخلع الحسين بن علىّ محمداً يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وتسعين ومائة ، وأخذ البيْعة لعبد الله المأمون من غد يوم الاثنين إلى الليل ، وغدا إلى محمد يوم الثلاثاء ، فوثب بعد الوقعة التى كانت بين الحسين وبين أصحاب محمد العباس بن موسى بن عيسى الهاشمىّ على محمّد ، ودخل عليه فأخرجه من قصر الخُلْد إلى قصر أبى جعفر ، فحبسه هناك إلى صلاة الظهر ، ثم وثب العباس بن موسى بن عيسى على أمّ جعفر فأمرها بالخروج من قصرها إلى مدينة أبى جعفر ، فأبت ، فدعا لها بكرسىّ ، وأمرها بالجلوس فيه ، فقنعها بالسوْط وساءها ، وأغلظ لها القول ، فجلست فيه ؛ ثم أمر بها فأدخلت المدينة مع ابنها وولدها . فلما أصبح الناس من الغد طلبوا من الحسين بن علىّ الأرزاق وماجَ الناس بعضهم فى بعض ، وقام محمد بن أبى خالد بباب الشأم ، فقال : أيها الناس ؛ والله ما أدرى بأى سبب يتأمّر الحسين بن علىّ علينا ، ويتولى هذا الأمر دوننا ! ما هو بأكبرنا سنًّا ، ولا أكرمنا حسبًا ، ولا أعظمنا منزلة ، وإن فينا مَنْ لا يرضى بالدنيّة ، ولا يقاد بالمخادعة ؛

٣/٨٤٨

---

(١) من ا .

وإنى أوّلكم نقضَ عهده، وأظهر التغيير[1] عليه، والإنكار لفعله ؛ فمن كان رأيه رأيى فليعتزل معى .

وقام أسد الحربىّ، فقال: يا معشر الحربيّة، هذا يوم له ما بعده ، إنكم قد نمتم وطال نومكم ، وتأخّرتم فقدّم عليكم غيركم ، وقد ذهب أقوام بذكر خَلْع محمد وأسره ، فاذهبوا بذكر فكّه وإطلاقه .

فأقبل شيخ كبير من أبناء الكفاية[2] على فرَس ، فصاح بالناس : اسكتوا ، فسكتوا ، فقال : أيّها الناس ، هل تعتدون على محمد بقطعٍ منه لأرزاقكم ؟ قالوا : لا ، قال : فهل قصّر بأحد منكم أو من رؤسائكم وكبرائكم ؟ قالوا : ما علمنا ، قال : فهل عزل أحداً من قوّادكم ؟ قالوا : معاذ الله أن يكون فعل ذلك ! قال : فما بالكم خذلتموه وأعنتم عدوّه على اضطهاده وأسره! أما والله ما قتَل قومٌ خليفتَهم قطّ إلا سلّط الله عليهم السيف القاتل، والحتف الجارف ؛ انهضوا إلى خليفتكم وادفعوا عنه ، وقاتلوا مَنْ أراد خلعه والفتك به. ٣/٨٤٩
ونهضت الحربيّة ، ونهض معهم عامّة أهل الأرباض فى المشهّرات والعُدّة الحسنة . فقاتلوا الحسين بن علىّ وأصحابَه قتالا شديداً منذ ارتفاع النهار إلى انكسار الشمس ، وأكثروا فى أصحابه الجراح ، وأسر الحسين بن علىّ ، ودخل أسد الحربىّ على محمد ، فكسر قيودَه وأقعده فى مجلس الخلافة ؛ فنظر محمد إلى قوم ليس عليهم لباس الحرب والجند ، ولا عليهم سلاح ؛ فأمرهم فأخذوا من السلاح الذى فى الخزائن حاجتَهم ووعدهم ومنّاهم ، وانتهب الغوغاء بذلك السبب سلاحاً كثيراً ومتاعًا من خزّ وغير ذلك ؛ وأتِىَ بالحسين بن علىّ ، فلامه محمد على خلافه وقال له : ألم أقدّم أباك على الناس ، وأوله أعنّة الخيل وأملأ يده من الأموال ؛ وأشرّف أقداركم فى أهل خراسان ، وأرفع منازلكم على غيركم من القوّاد ! قال : بلى ، قال : فما الذى استحققتُ به منك أن تخلع طاعتى ، وتؤلّب الناس علىّ ، وتندبهم إلى قتالى ! قال : الثقة بعفو أمير المؤمنين وحسن الظن بصفحه وتفضله . قال : فإن أمير المؤمنين قد فعل ذلك بك ، وولاّك الطلب بثأرك، ومن قتل من أهل بيتك . ثم دعا له بخلْعة فخلعها

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « التعبير » . (٢) ا : « الكعبة »

عليه ، وحمله على مراكب ، وأمره بالمسير إلى حُلوان ؛ وولاّه ما وراء بابه .

وُذكر عن عثمان بن سعيد الطائىّ ، قال : كانت لى من الحسين بن علىّ ٣/٨٥٠ ناحية خاصّة ، فلما رضى عنه محمد ، وردّ إليه قيادته ومنزلته ؛ عبرت إليه مع المهنئين ، فوجدته واقفًا بباب الجسر ، فهنّأته ودعوت له ؛ ثم قلت له : إنكَ قد أصبحت سيدّ العسكرين ، وثقة أمير المؤمنين ، فأشكر العفو والإقالة ، ثم داعبتُه ومازحته ، ثم أنشأت أقول :

همُ قتَلوه حين تَمَّ تمامُه	وصار مُعَزًّا بالنَّدَى والتَّمَجُّدِ
أغَرُّ كأنَّ البدرَ سُنَّةُ وَجْهِه	إذا جاءَ يمشى فى الحديد المُسرَّدِ
إذا جَشَأَت نفسُ الجَبانِ وَهَلَّلتْ	مَضَى قُدُماً بالمَشرَفِىِّ المُهنَّدِ
حليمٌ لدَى النادِى جَهُولٌ لدَى الوغَى	عَكورٌ على الأعداء قليلُ التَّزَيدِ
فَثَأْرَكَ أدرِكْهُ مِنَ القَوم إنَّهمْ	رَموكَ على عَمْدٍ بِشَنعَا مُزَنَّدِ

فضحك ، ثم قال : ما أحرصَنى على ذاك إن ساعدنى عُمْر ، وأيِّدت بفتْح ونَصْر . ثم وقف على باب الجسر ، وهرب فى نفر من خدمه ومواليه ، فنادى محمد فى الناس ، فركبوا فى طلبه ، فأدركوه بمسجد كوثر ، فلما بصر بالخيل نزل وقيّد فرَسه ، وصلى ركعتين وتحرّم ، ثم لقيهم فحمل عليهم حملات فى محلّها يهزمهم ويقتل فيهم . ثم إنّ فرسه عثر به وسقط ، وابتدره الناس ٣/٨٥١ طعنًا وضربًا وأخذوا رأسه ، وفى ذلك يقول علىّ بن جبلة — وقيل الخرَيمىّ[١] :

ألا قاتَلَ اللهُ الألَى كفروا به	وفازوا برأس الْهَرْثَمِىِّ حُسَيْنِ
لقد أورَدُوا منهُ قناةً صليبةً	بشَطبٍ يَمانىٍّ ورمحٍ رُدَيْنِى
رَجا فى خِلافِ الحقِّ عِزًّا وإمْرَةً	فألبسهُ التأْميلُ خُفَّ حُنَين

وقيل : إن محمداً لما صفح عن الحسين استوزره ودفع إليه خاتمه .

وقتل الحسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان للنصف من رجب من هذه

(١) ط : « الخزيمى » ، بالزاى ، تحريف ، وهو أبو يعقوب إسحاق بن حسان الشاعر ، منسوب إلى خريم بن عامر المرى . تاريخ بغداد ٦ : ٣٢٦ .

السنة فى مسجد كوثر ، وهو على فرسخ من بغداد فى طريق النّهرين .

وجدّد البيعة لمحمد يوم الجمعة لست عشرة خلت من رجب من هذه السنة ، وكان حبس الحسين محمداً فى قصر أبى جعفر يومين .

وفى اللّيلة التى قتِل فيها حسين بن علىّ هرب الفضل بن الربيع .

وفى هذه السنة توجّه طاهر بن الحسين حين قدم عليه هرْثمة من حُلوان إلى الأهواز ، فقتَل عامل محمد عليها ، وكان عامله عليها محمد بن يزيد المهلبىّ بعد تقديم طاهر جيوشاً أمامه إليها قبل انفصاله إليه لحربه .

* * *

ذكر الخبر عن مقتل محمد بن يزيد المهلبىّ ودخول طاهر إلى الأهواز

ذُكر عن يزيد بن الحارث ، قال : لما نزل طاهر شلاشان ، وجّه الحسين ابن عمر الرستمىّ إلى الأهواز ، وأمره أن يسير سيراً مقتصداً ، ولا يسير إلاّ بطلائع ، ولاينزل إلا فى موضع حَصين يأمن فيه على أصحابه . فلما توجّه أتت طاهراً عيونه ، فأخبروه أن محمد بن يزيد المهلبىّ — وكان عاملا لمحمد على الأهواز — قد توجّه فى جمع عظيم يريد نزول جندى سابور — وهو حدّ ما بين الأهواز والجبل — ليحمى الأهواز ، ويمنع من أراد دخولها من أصحاب طاهر ؛ وإنه فى عدّة وقوّة ، فدعا طاهر عدّةً من أصحابه ؛ منهم محمد بن طالوت ومحمد بن العلاء والعباس بن بخاراخذاه والحارث بن هشام وداود بن موسى وهادى بن حفص ، وأمرهم أن يكمّشوا السّير[1] حتى يتّصل أوّلهم بآخر أصحاب الحسين بن عمر الرّستمىّ ، فإن احتاج إلى إمداد أمدّوه ، أو لقيه جيش كانوا ظهراً له . فوجّه تلك الجيوش ، فلم يلقهم أحدٌ حتى شارفوا الأهواز .

٨٥٢/٣

وبلغ محمد بن يزيد خبرُهم ، فعرض أصحابه ، وقوّى ضعفاءهم ، وحمل الرجّالة على البغال ، وأقبل حتى نزل سوق عسكر مُكرَم ، وصيّر العمران والماء وراء ظهره ، وتخوّف طاهر أن يعجل إلى أصحابه ، فأمدّهم بقريش بن شبل ، وتوجّه هو بنفسه حتى كان قريباً منهم ، ووجّه الحسن بن علىّ المأمونىّ ،

---

(١) أن يكمّشوا السير ، أى أن يسرعوا .

وأمره بمضامّة قريش بن شبل والحسين بن عمر الرستمىّ ، وسارت تلك العساكر حتى قاربوا محمد بن يزيد بعسكر مُكرم ؛ فجمع أصحابه فقال : ما ترون ؟ ٣/٨٥٣ أطاول القوم القتال وأماطلهم اللقاء ، أم أناجزهم كانت لى أم علىّ ؟ فوالله ما أرى أن أرجع إلى أمير المؤمنين أبدًا ، ولا أنصرف عن الأهواز ، فقالوا له : الرأى أن ترجع إلى الأهواز ؛ فتتحصن بها وتغادى طاهراً القتال وتبعث إلى البصرة فتفرض بها الفروض ، وتستجيش من قدرت عليه وتابعك من قومك . فقبل ما أشاروا عليه ، وتابعه قومه ، فرجع حتى صار بسوق الأهواز . وأمر طاهر قريش بن شبل أن يتبعه ، وأن يعاجله قبل أن يتحصّن بسوق الأهواز ، وأمر الحسن بن علىّ المأمونىّ والحسين بن عمر الرستمىّ أن يسيرا بعقبه[1] ؛ فإن احتاج إلى معونتهما أعاناه . ومضى قريش بن شبل يقفو محمد بن يزيد ، كلّما ارتحل محمد بن يزيد من قرية نزلها قريش ؛ حتى صاروا إلى سوق الأهواز .

وسبق محمد بن يزيد إلى المدينة فدخلها ، واستند إلى العمران ، فصيّره وراء ظهره ، وعبّى أصحابه ، وعزم على مواقعتهم ؛ ودعا بالأموال فصبّت بين يديه ، وقال لأصحابه : مَنْ أحبّ منكم الجائزة والمنزلة فليعرفنى أثره . وأقبل قريش بن شبل حتى صار قريبًا منه ، وقال لأصحابه : الزموا مواضعكم ومصافّكم ، وليكن أكثر ما قاتلتموهم وأنتم مريحون ، فقاتلوهم بنشاط وقوّة ؛ فلم يبق أحدٌ من أصحابه إلاّ جمع بين يديه ما قدر عليه من الحجارة ؛ فلم يعبر إليهم محمد بن يزيد ، حتى أوهنوهم بالحجارة ، وجرحوهم جراحات كثيرة بالنُّشاب ، وعبرت طائفة من أصحاب محمد بن يزيد ، فأمر قريشٌ أصحابَه أن ينزلوا إليهم فنزلوا إليهم ، فقاتلوهم قتالاشديداً حتى رجعوا ، وترادّ الناس بعضهم إلى بعض . والتفت محمد بن يزيد إلى نفر كانوا معه من مواليه ؛ فقال : ما رأيكم ؟ قالوا : ٣/٨٥٤ فيماذا ؟ قال : إنى أرى من معى قد انهزم ، ولست آمنُ من خذلانهم ، ولا آمُل رجعتهم ، وقد عزمت على النزول والقتال بنفسى ، حتى يقضى الله ما أحبّ ، فمن أراد منكم الانصراف فلينصرف ؛ فوالله لأن تبقوا أحبّ إلىّ من أن تعطبوا وتهلكوا . فقالوا : والله ما أنصفناك ، إذًا تكون أعتقتنا من الرّق

(١) ا : « لمعونته » .

ورفعتنا من الضّعة، ثم أغنيتنا بعد القلّة، ثم نخذلك على هذه الحال؛ بل نتقدّم أمامك ونموت تحت ركابك؛ فلعن الله الدنيا والعيش بعدك. ثم نزلوا فعرقبوا دوابّهم، وحملوا على أصحاب قريش حملةً منكَرة، فأكثروا فيهم القتل، وشدخوهم بالحجارة وغير ذلك؛ وانتهى بعض أصحاب طاهر إلى محمد بن يزيد، فطعنه بالرمح فصرعه؛ وتبادروا إليه بالضّرب والطعن حتى قتلوه؛ فقال بعض أهل البصرة يرثيه، ويذكر مقتله:

مَن ذاقَ طعم الرُّقادِ مِن فَرَحٍ ... فإننى قد أَضرَّ بى سَهَرى

ولَّى فتَى الرُّشدِ فافتَقَدتُ به ... قلبى وسمعى وغرّنى بصرى[1]

كانَ غِياثاً لذَى المُحولِ فقد ... ولَّى غمامُ الرَّبيعِ والمطَر

وَفى العُيَيْنِىُّ للإمامِ ولمْ[2] ... يُرهِبْهُ وقْعُ المُشَطَّبِ الذَّكَرِ

سَاوَرَ رَيبُ المَنونِ دَاهِيَةً ... لولا خُضُوعُ العِبادِ للقَدَرِ

فامضِ حميدًا فكلُّ ذى أَجلٍ ... يَسْعَى إلى ما سَعَيتَ بالأثَرِ

وقال بعض المهالبة؛ وجرح فى تلك الوقعة جراحات كثيرة وقطعت يده:

٣/٨٥٥

فما لمتُ نفسى غيرَ أَنّى لم أُطِقْ[3] ... حَرَاكًا وأنى كنتُ بالضَّرْب مثخَنا

ولو سَلِمَتْ كفَّاىَ قاتلتُ دونه ... وضارَبتُ عنه الطاهِرِىَّ المُلَعَّنا

فتًى لايَرَى أَنْ يَخذِلَ السيفَ فى الوغى ... إذَا ادَّرَعَ الهيجاءَ فى النقع واكتَنَى

وذكر عن الهيثم بن عدىّ، قال: لما دخل ابن أبى عيينة على طاهر فأنشده قوله:

مَن آنسَتْه البلادُ لم يَرِمِ ... منها ومَن أَوحشَتْهُ لم يُقِمِ

حتى انتهى إلى قوله:

ما ساءَ ظَنِّى إلا لواحـــدةٍ ... فى الصَّدرِ محصورةٍ عنِ الكلِمِ

فتبسّم طاهر، ثم قال: أماوالله لقد ساءنى من ذلك ما ساءك، وآلمنى ما آلمك؛ ولقد كنت كارهًا لما كان، غير أن الحتف واقع، والمنايا نازلة،

---

(١) ط: «وعزنى». (٢) ا: «العتيكى». (٣) ط: «أنى»، وصوابه من ا.

ولا بدّ من قَطْع الأواصر والتنكّر[1] للأقارب فى تأكيد الخلافة، والقيام بحقّ الطاعة ؛ فظننّا أنه يريد محمد بن يزيد بن حاتم .

وذكر عمر بن أسد ، قال : أقام طاهر بالأهواز بعد قتله محمد بن يزيد ابن حاتم ، وأنفذ عمّاله فى كُورها ، وولّى على اليمامة والبحرين وعُمان مما يلى الأهواز ، ومما يلى عمل البصرة ؛ ثم أخذ على طريق البرّ متوجّهًا إلى واسط ، وبها يومئذ السندىّ بن يحيى بن الحَرشىّ والهيثم خليفة خزيمة بن خازم ؛ فجعلت ٣/٨٥٦ المسالح والعمال تتقوّض ، مسلحة مسلحة ، وعاملا عاملا ، كلّما قرب طاهر منهم تركوا أعمالهم وهربوا عنها ؛ حتّى قرب من واسط ، فنادى السندىّ بن يحيى والهيثم بن شعبة فى أصحابهما ، فجمعاهم إليهما ؛ وهمّا بالقتال ، وأمر الهيثم بن شعبة صاحب مراكبه أن يسرج له دوابه ، فقرّب إليه فرسًا ، فأقبل يقسم طرفه بينها ، واستقبلته عدّة ، فرأى المراكبىّ التغيّر والفزع فى وجهه فقال : إنْ أردت الهرب فعليك بها ؛ فإنها أبسط فى الرّكض ، وأقوى على السفر . فضحك ثم قال : قرّب فرس الهرب ؛ فإنّه طاهر ، ولا عار علينا فى الهرب منه ، فتركا واسطاً ، وهربا عنها . ودخل طاهر واسطًا ، وتخوّف إن سبق الهيثم والسندىّ إلى فم الصِّلح فيتحصّنا بها . فوجّه محمدَ بن طالوت ، وأمره أن يبادرهما إلى فم الصِّلح ، ويمنعهما من دخولها إن أرادا ذلك ، ووجّه قائدًا من قوّاده يقال له أحمد بن المهلب نحو الكوفة . وعليها يومئذ العباس بن موسى الهادى ؛ فلمّا بلغ العباس خبر أحمد بن المهلب خلع محمداً ، وكتب بطاعته إلى طاهر وببيعته للمأمون ؛ ونزلت خيل طاهر فم النيل ، وغلب على ما بين واسط والكوفة ، وكتب المنصور بن المهدىّ — وكان عاملاً لمحمد على البصرة — إلى طاهر بطاعته ، ورحل طاهر حتّى نزل طرنايا ؛ فأقام بها يومين فلم يرها موضعًا للعسكر ، فأمر بجسر فعقد وخندق له ، وأنفذ كتبه بالتولية ٣/٨٥٧ إلى العمال .

وكانت بيعة المنصور بن المهدىّ بالبصرة وبيعة العباس بن موسى الهادى

---

(١) ط : « والشكر » .

بالكوفة ، وبيعة المطلب بن عبد الله بن مالك بالموصل للمأمون ، وخلعهم محمداً في رجب من سنة ست وتسعين ومائة .

وقيل : إنّ الذى كان على الكوفة حين نزل طاهر من قبَل محمد الفضل بن العباس بن موسى بن عيسى .

ولما كتب من ذكرت إلى طاهر ببيعتهم للمأمون وخلعهم محمداً ، أقرّهم طاهر على أعمالهم ، وولّى داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على الهاشمىّ مكة والمدينة ، ويزيد بن جرير البَجَلىّ اليَمن ، ووجّه الحارث بن هشام وداود ابن موسى إلى قصر ابن هبيرة .

* * *

[ذكر خبر استيلاء طاهر على المدائن ونزوله بصرصر]

وفى هذه السنة أخذ طاهر بن الحسين من أصحاب محمد المدائن ؛ ثم صار منها إلى صَرْصر ، فعقد جسراً ، ومضى إلى صَرْصر .

* ذكر الخبر عن سبب دخوله المدائن ومصيره إلى صرصر :

ذُكر أنّ طاهراً لما وجّه إلى قصر ابن هبيرة الحارث بن هشام وداود بن موسى ، وبلغ محمداً خبرُ عامله بالكوفة وخلعه إياه وبيعته للمأمون ، وجّه محمد ابن سليمان القائد ومحمد بن حماد البربرىّ ، وأمرهما أن يبيّتا الحارث وداود بالقَصْر ، فقيل لهما : إن سلكتما الطريق الأعظم لم يخفَ ذلك عليهما ؛ ولكن اختصر الطريق إلى فم الجامع ، فإنه موضع سوق ومعسكر ، فانزلاه وبيّتاهما إن أردتما ذلك ، وقد قربتما منهما ، فوجّها الرّجال من الياسريّة إلى فم الجامع . وبلغ الحارث وداود الخبر ، فركبا فى خيل مجرّد ، وتهيآ للرّجالة ، فعبرا من مخاضة فى سُوراء إليهم ؛ وقد نزلوا إلى جَنْبها ، فأوقعا بهم وقعة شديدة . ووجّه طاهر محمد بن زياد ونصير بن الخطاب مدداً للحارث وداود ، فاجتمعت العساكر بالجامع ، وساروا حتى لقوا محمد بن سليمان ومحمد بن حمّاد فيما بين نهر دُرْقيط والجامع ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وانهزم أهلُ بغداد ، وهرب

٨٥٨/٣

محمد بن سليمان حتّى صار إلى قرية شاهى ، وعبر الفرات . وأخذ على طريق البرّية إلى الأنبار ، ورجع محمد بن حماد إلى بغداد . وقال أبو يعقوب الخرّيمىّ فى ذلك :

هُمَا عَدَوا بالنّكث كى يَصدَعا به صفَا الحقّ فانفَضّا بجمعٍ مُبَدَّدِ
وأَفلتَنَا ابن البَربرىِّ مُضَمَّرٌ مِنَ الخيلِ يَسمُو للجيادِ ويَهتَدِى[1]

وذكر يزيد بن الحارث ، أنّ محمد بن حماد البربرىّ لما دخل بغداد ، وجّه محمدٌ المخلوع الفضلَ بن موسى بن عيسى الهاشمىّ إلى الكوفة ، وولاّه عليها ، وضمّ إليه أبا السلاسل وإياس الحرابىّ وجمهورًا النجارىّ ؛ وأمره بسرعة السير ؛ فتوجّه الفضل ؛ فلمّا عبر نهر عيسى عثَر به فرسُه ، فتحوّل منه إلى غيره وتطيّر ، وقال : اللهمّ إنى أسألك بركة هذا الوجه . وبلغ طاهراً الخبرُ ، فوجّه محمد بن العلاء ، وكتب إلى الحارث بن هشام وداود بن موسى بالطاعة له ، فلقى محمد بن العلاء الفضل بقرية الأعراب ، فبعث إليه الفضل : إنى سامع مطيع لطاهر ؛ وإنما كان مخرجى بالكيد منى لمحمد ؛ فخلّ لى الطريق حتى أصير إليه ، فقال له محمد : لستُ أعرف ما تقول ولا أقبله ولا أنكره ؛ فإن أردت الأمير طاهراً فارجع وراءك ؛ فخذ أسهلَ الطريق وأقصدَها . فرجع وقال محمد لأصحابه : كونوا على حذر ؛ فإنى لست آمن مكرَ هذا ؛ فلم يلبث أن كبّر وهو يرى أن محمد بن العلاء قد أمِنَه ، فوجده على عدّة وأهبة ؛ واقتتلوا كأشدّ ما يكون من القتال ، وكبا بالفضل فرسُه ؛ فقاتل عنه أبو السلاسل حتى ركب ، وقال : أذكر هذا الموقف لأمير المؤمنين . وحمل أصحابُ محمد ابن العلاء على أصحاب الفضل فهزموه ، ولم يزالوا يقتلونهم إلى كُوثَى ؛ وأُسِر فى تلك الوقعة إسماعيل بن محمد القرشىّ وجمهور النجارىّ . وتوجّه طاهر إلى المدائن ، وفيها جند كثير من خيول محمد ؛ عليهم البرمكىّ قد تحصن بها ، والمدد يأتيه فى كلّ يوم . والصِّلات والخلع من قِبَل محمد . فلما قرب طاهر من المدائن — وكان منها على رأس فرسخين — نزل فصلى ركعتين ، وسبّح فأكثر التسبيح ، فقال : اللهمّ إنا نسألك نصراً كنصرك المسلمين يوم المدائن . ووجّه

٣ / ٨٠٩

(١) ا : « يسمو للجياد » .

الحسَن بن علىّ المأمونىّ وقريش بن شبل ، ووجّه الهادى بن حفص على مقدّمته وسار . فلما سمع أصحابُ البرمكىّ صوتَ طبوله ، أسرجوا الدوابّ ، وأخذوا فى تعبيتهم ، وجعل مَنْ فى أوائل الناس ينضمّ إلى أواخرهم ، وأخذ البرمكىّ فى تسوية الصفوف ؛ فكلّما سوّى صفًّا انتقض واضطرب عليه أمرهم ، فقال : اللهمّ إنا نعوذ بك من الخذلان ؛ ثم التفت إلى صاحب ساقته ، فقال : خلّ سبيل الناس ؛ فإنّى أرى جنداً لا خير عندهم ؛ فركب بعضهم بعضًا نحو بغداد ، فنزل طاهر المدائن ، وقدّم منها قريش بن شبل والعباس بن بخار اخذاه إلى الدّرْزِيجان ، وأحمد بن سعيد الحَرَشىّ ونصر بن منصور بن نصر بن مالك معسكران بنهر ديالى ، فمنعا أصحاب البرمكىّ من الجواز إلى ٣/٨٦٠ بغداد ، وتقدم طاهر حتّى صار إلى الدرزيجان حيال أحمد ونصر بن منصور ، فسيّر إليهما الرجال ، فلم يجر بينهما كثيرُ قتال حتّى انهزموا ، وأخذ طاهر ذات اليسار إلى نهر صرصر ، فعقد بها جسراً ونزلها .

* * *

[ذكر خبر خلع داود بن عيسى الأمين]

وفى هذه السنة خلع داود بن عيسى عاملُ مكة والمدينة محمداً — وهو عامله يومئذ عليهما — وبايع للمأمون ، وأخذ البيعة بهما على الناس له ؛ وكتب بذلك إلى طاهر والمأمون ؛ ثم خرج بنفسه إلى المأمون .

* ذكر الخبر عن ذلك وكيف جرى الأمر فيه :

ذُكر أنّ الأمين لما أفضت الخلافة إليه ، بعث إلى مكة والمدينة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، وعزل عامل الرّشيد على مكة ؛ وكان عاملُه عليها محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومىّ ، وكان إليه الصلاة بها وأحداثها والقضاء بين أهلها ؛ فعُزل محمد عن ذلك كلّه بداود ابن عيسى ؛ سوى القضاء فإنه أقرّه على القضاء . فأقام داود واليًا على مكة والمدينة لمحمد ، وأقام للناس أيضًا الحجّ سنة ثلاث وأربع وخمس وتسعين ومائة ، فلمّا دخلت سنة ست وتسعين ومائة ، بلغه خلع عبد الله المأمون أخاه ،

٨٦١/٣ وما كان فعل طاهر بقوّاد محمد ، وقد كان محمد كتب إلى داود بن عيسى يأمره بخلع عبد الله المأمون والبيعة لابنه موسى ، وبعث محمد إلى الكتابين اللذيْن كان الرّشيد كتبهما وعلّقهما فى الكعبة فأخذهما ، فلما فعل ذلك جمع داود حَجَبة الكعبة والقرشيِّين والفقهاء ومَنْ كان شهد على ما فى الكتابيْن من الشهود — وكان داود أحدَهم — فقال داود : قد علمتم ما أخذ علينا وعليكم الرشيد من العهد والميثاق عند بيت الله الحرام حين بايعنا لابنيْه ؛ لنكوننّ مع المظلوم منهما على الظالم، ومع المبغىّ عليه على الباغى ، ومع المغدور به على الغادر ؛ فقد رأينا ورأيتم أنّ محمداً قد بدأ بالظلم والبغى والغدر على أخويه عبد الله المأمون والقاسم المؤتمن ، وخلعهما وبايع لابنه الطفل؛ رضيع صغير لم يفطم ، واستخرج الشرْطين من الكعبة عاصياً ظالماً ، فحرّقهما بالنار . وقد رأيت خلعه ، وأن أبايع لعبد الله المأمون بالخلافة ؛ إذ كان مظلوماً مبغيّاً عليه .
فقال له أهل مكة : رأيُنا تبعٌ لرأيك ، ونحن خالعوه معك؛ فوعدهم صلاة الظهيرة؛ وأرسل فى فجاج[1] مكة صائحاً يصيح : الصلاة جامعة ! فلمّا جاء وقت صلاة الظهر — وذلك يوم الخميس لسبع وعشرين ليلة خلت من رجب سنة ست وتسعين ومائة — خرج داود بن عيسى ، فصلّى بالناس صلاة الظهر ، وقد وضع له المنبر بين الرّكن والمقام ، فصعد فجلس عليه ، وأمر بوجوه الناس وأشرافهم فقربوا من المنبر ؛ وكان داود خطيباً فصيحاً جهير الصوت ؛ فلما اجتمع الناس قام خطيباً ، فقال :

الحمد لله مالك الملك؛ يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممّن يشاء، ويعزّ ٨٦٢/٣ من يشاء ويذلّ من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير . وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أرسله بالدين ، وختم به النبيين ، وجعله رحمةً للعالمين ، صلّى الله عليه فى الأولين والآخرين . أما بعد يا أهلَ مكة ؛ فأنتم الأصل والفرع ، والعشيرة والأسرة ، والشركاء فى النعمة ، إلى بلدكم نفد وفدُ الله، وإلى قبلتكم يأتمّ المسلمون، وقد علمتم ما أخذ عليكم الرّشيد هارون رحمة الله عليه وصلاتُه حين بايع لابنيه محمد وعبد الله بين أظهركم من العهد والميثاق

(١) ا : « إلى حجاج » .

لتنصُرنّ المظلوم منهما على الظالم ، والمبغىّ عليه على الباغى ، والمغدورَ به على الغادر ؛ ألا وقد علمتم وعلمنا أن محمد بن هارون قد بدأ بالظلم والبغى والغدر ، وخالف الشروط التى أعطاها من نفسه فى بطن البيت الحرام ؛ وقد حلّ لنا ولكم خلعُه من الخلافة وتصييرها إلى المظلوم المبغىّ عليه المغدور به . ألا وإنى أشهدكم أنى قد خلعت محمد بن هارون من الخلافة كما خلعت قَلنسوتى هذه من رأسى — وخلع قلنسوته عن رأسه فرمى بها إلى بعض الخدم تحته ، وكانت من برود حبرة مسلسلة حمراء ، وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فلبسها — ثم قال : قد بايعتُ لعبد الله عبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافة ، ألا فقوموا إلى البيعة لخليفتكم .

فصعد جماعة من الوجوه إليه إلى المنبر، رجل فرجل ، فبايعه لعبد الله المأمون بالخلافة ، وخلَع محمداً ، ثم نزل عن المنبر ، وحانت صلاة العصر ، فصلّى بالناس ، ثم جلس فى ناحية المسجد ، وجعل الناس يبايعونه جماعةً بعد جماعة ؛ يقرأ عليهم كتاب البَيْعة ، ويصافحونه على كفّه ، ففعل ذلك أياماً . ٣ / ٨٦٣

وكتب إلى ابنه[1] سليمان بن داود بن عيسى وهو خليفته على المدينة ، يأمره أن يفعل بأهل المدينة مثلَ ما فعل هو بأهل مكة ؛ من خلْع محمد والبيعة لعبد الله المأمون . فلما رجع جواب البيعة من المدينة إلى داود وهو بمكة ، رحَل من فوره بنفسه وجماعة من ولده يريد المأمون بمَرْو على طريق البصرة ، ثم على فارس ، ثم على كرْمان ؛ حتى صار إلى المأمون بمَرْو ، فأعلمه ببيعته وخلعه محمداً ومسارعة أهل مكة وأهل المدينة إلى ذلك ؛ فسرّ بذلك المأمون ، وتيمّن ببركة مكة والمدينة ؛ إذ كانوا أوّل من بايعه ، وكتب إليهم كتاباً ليّناً لطيفاً يَعِدهم فيه الخير ، ويبسط أمالهم . وأمر أن يُكتب لداود عهد على مكة والمدينة وأعمالها من الصلاة والمعاون والجباية ، وزيد له ولاية علكّ ، وعقد له على ذلك ثلاثة ألوية ، وكتب له إلى الريّ بمعونة خمسمائة ألف درهم ، وخرج داود بن عيسى مسرعا مُغذّا مبادراً لإدراك الحجّ ، ومعه ابن أخيه العباس بن موسى ابن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، وقد عقد

(١) ساقطة من ط .

المأمون للعباس بن موسى بن عيسى على ولاية الموسم ، فسار هو وعمّه داود حتّى نزلا
بغداد على طاهر بن الحسين ، فأكرمهما وقرّبهما ، وأحسن معونتهما ، ووجّه
معهما يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القَسْرىّ ، وقد عقد له ٣ / ٨٦٤
طاهر على ولاية اليمن ، وبعث معه خيلاً كثيفة ، وضمن لهم يزيد بن جرير
بن يزيد بن خالد بن عبد الله القَسْرىّ أن يستميل قومه وعشيرته من ملوك
أهل اليمن وأشرافهم ؛ ليخلعوا محمداً ويبايعوا عبد الله المأمون .

فساروا جميعًا حتّى دخلوا مكة . وحضر الحجّ ، فحجّ بأهل الموسم العباس
ابن موسى بن عيسى ؛ فلما صدروا عن الحجّ انصرف العباس حتّى أتى طاهر
ابن الحسين — وهو على حصار محمد — وأقام داود بن عيسى على عمله بمكة
والمدينة ؛ ومضى يزيد بن جرير إلى اليمن ، فدعا أهلها إلى خَلْع محمد
وبيعة عبد الله على المأمون ، وقرأ عليهم كتابًا من طاهر بن الحسين يَعدُهم
العدل والإنصاف ، ويرغّبهم فى طاعة المأمون ، ويعلّمهم ما بسط المأمون من
العَدل فى رعيّته ؛ فأجاب أهلُ اليمن إلى بَيْعة المأمون ، واستبشروا بذلك ،
وبايعوا للمأمون ، وخلعوا محمداً ، فسار فيهم يزيد بن جرير بن يزيد بأحسنِ سيرة ،
وأظهر عَدْلا وإنصافًا ، وكتب بإجابتهم وبيعتهم إلى المأمون وإلى طاهر
ابن الحسين .

* * *

وفى هذه السنة عقد محمد فى رجب وشعبان منها نحواً من أربعمائة لواء
لقوّاد شتّى ، وأمّر على جميعهم علىّ بن محمد بن عيسى بن نهيك ، وأمرهم
بالمسير إلى هرثمة بن أعين ، فساروا فالتقوْا بجَلُلْتا فى رمضان على أميال من
النّهروان ، فهزمهم هرثمة ، وأسر علىّ بن محمد بن عيسى بن نهيك ، وبعث
به هرثمة إلى المأمون ، وزحف هرثمة فنزل النهروان .

* * *

[ذكر خبر شغب الجند على طاهر بن الحسين]

وفى هذه السنة استأمن إلى محمد من طاهر جماعة كثيرة ، وشغب الجند ٣ / ٨٦٥

على طاهر ، ففرّق محمد فيمن صار إليه من أصحاب طاهر مالاً عظيماً ، وقوّد رجالا ، وغلّف لحاهم بالغالية ، فسمُّوا بذلك قوّاد الغالية .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وإلى ما آل إليه الأمر فيه :

ذكر عن يزيد بن الحارث ، قال : أقام طاهر على نهر صَرْصر لما صار إليها ، وشمّر فى محاربة محمد وأهل بغداد ، فكان لا يأتيه جيش إلاّ هزمه ، فاشتدّ على أصحابه ما كان محمد يعطى من الأموال والكُسا ، فخرج من عسكره نحو من خمسة آلاف رجل من أهل خُراسان ومَن التفّ إليهم ، فسُرّ بهم محمد ، ووعَدهم ومنّاهم ، وأثبت أسماءهم فى الثمانين . قال : فمكثوا بذلك أشهراً ، وقوّد جماعة من الحربية وغيرهم ممن تعرض لذلك وطلبه ، وعقد لهم ، ووجّههم إلى دسكرة الملك والنهروان ، ووجّه إليهم حبيب بن جهم النمرىّ الأعرابىّ فى أصحابه ؛ فلم يكن بينهم كثير قتال ، وندب محمد قوّاداً من قوّاد بغداد ، فوجّههم إلى الياسريّة والكوثريّة والسفينتَين[1] ، وحمل إليهم الأطعمة ، وقوّاهم بالأرزاق ، وصيّرهم ردءاً لمن خلفهم ، وفرّق الجواسيس فى أصحاب طاهر ، ودسّ إلى رؤساء الجند الكتب بالإطماع والترغيب ، فشغبوا على طاهر ، واستأمن كثير منهم إلى محمد ، ومع كل عشرة أنفس منهم طبل ، فأرعدوا وأبرقوا وأجلبوا ، ودنَوْا حتى أشرفوا على نهر صرصر ، فعبّى طاهر ٣/٨٦٦ أصحابه كراديس ، ثم جعل يمرّ على كلّ كردوس منهم ، فيقول : لا يغرّنّكم كثرة مَنْ ترون ، ولا يمنعكم استئمان من استأمن منهم ، فإنّ النصر مع الصدق والثبات ، والفتح مع الصبر ، وربّ فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين . ثم أمرهم بالتقدّم ، فتقدّموا واضطربوا بالسيوف مليًّا . ثم إن الله ضرب أكتاف أهل بغداد فولّوْا منهزمين ، وأخلوا موضع عسكرهم ، فانتهب أصحاب طاهر كلّ ما كان فيه من سلاح ومال . وبلغ الخبرُ محمداً ، فأمر بالعطاء فوُضع ، وأخرج خزائنه وذخائره ، وفرّق الصِّلات وجمع أهل الأرباض ، واعترض الناس على عينه ، فكان لا يرى أحداً وسيما حسن الرّواء إلا خلع عليه وقوّده ؛ وكان لا يقوّد أحداً إلاّ غلّفت لحيته بالغالية ؛ وهم الذين

---

(١) ط : « والسفيانيين » .

يسمّون قوّاد الغالية . قال : وفرّق فى قوّاده المحدثين لكل رجل منهم خمسمائة درهم وقارورة غالية ، ولم يعط جند القواد وأصحابهم شيئًا . وأتت عيون طاهر وجواسيسه طاهرًا بذلك ؛ فراسلهم وكاتبهم ، ووعدهم واستمالهم ، وأغرى أصاغرهم بأكابرهم ، فشغبوا على محمد يوم الأربعاء لست خلون من ذى الحجة سنة ست وتسعين ومائة ، فقال رجل من أبناء أهل بغداد فى ذلك :

قُلْ لِلأَمينِ اللهَ فى نَفسِهِ ... ما شتَّتَ الجندَ سِوَى الغاليهْ
وطاهرٌ نفسى تقِى طاهرًا ... برسلِه والعُدَّةِ الكافيَهْ
أَضحى زمامُ المُلكِ فى كفِّهِ ... مُقاتلا للفِئةِ الباغيهْ
يا ناكثاً أسلَمَهُ نَكثُه ... عُيوبُهُ مِنْ خُبثِهِ فاشِيَهْ
قد جَاءَك الليثُ بشَدّاته ... مُستَكلباً فى أُسْدٍ ضارِيَه
فاهرُبْ ولا مَهْرَبَ من مِثْلِهِ ... إلاَّ إلى النارِ أَو الهاويه

٨٦٧/٣

قال : ولمّا شغب الجند ، وصعب الأمر على محمد شاور قوّاده ، فقيل له : تدارك القوم ، فتلاف أمرك ؛ فإنّ بهم قوام ملكك ؛ وهم بعد الله أزالوه عنك أيام الحسين ، وهم ردّوه عليك ، وهم من قد عرفْتَ نجدَتهم وبأسهم . فلجّ فى أمرهم وأمر بقتالهم ، فوجّه إليهم التنوخىّ وغيره من المستأمنة والأجناد الذين كانوا معه ، فعاجل القوم القتال وراسلهم طاهر وراسلوه ؛ فأخذ رهائنهم على بذْل الطاعة له ، وكتب إليهم ، فأعطاهم الأمان ، وبذَل لهم الأموال ، ثم قدم فصار إلى البستان الذى على باب الأنبار يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة خلتْ من ذى الحجة ، فنزل البستان بقوّاده وأجناده وأصحابه ، ونزل مَنْ لحق بطاهر من المستأمنة من قوّاد محمد وجنده فى البستان وفى الأرباض ، وألحقهم جميعًا بالثمانين فى الأرزاق ، وأضعف للقواد وأبناء القوّاد الخواصّ ، وأجرى عليهم وعلى كثير من رجالهم الأموال ، ونقب أهل السجون السجون وخرجوا منها ، وفُتِن الناس ، ووثب على أهل الصلاح الدُّعار والشطار ، فعزّ الفاجر ، وذلّ المؤمن ، واختْلّ الصالح ، وساءت حالُ الناس إلاّ من كان فى

عسكر طاهر لتفقده أمرَهم ، وأخذه على أيدى سفهائهم وفساقهم ؛ واشتد في ذلك عليهم ، وغادى القتال وراوَحه ، حتى تواكل الفريقان ، وخربت الدار .

* * *

٣/٨٦٨ وحجّ بالناس فى هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ من قِبَل طاهر ، ودعا للمأمون بالخلافة ، وهو أوّل موسم دُعِىَ له فيه بالخلافة بمكة والمدينة .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فى هذه السنة لحق القاسم بن هارون الرشيد ومنصور بن المهدىّ بالمأمون من العراق ، فوجّه المأمون القاسم إلى جرجان .

* * *

[ذكر خبر حصار الأمين ببغداد]

وفيها حاصر طاهر وهَرْثمة وزهير بن المسيّب محمد بن هارون ببغداد .

ذكر الخبر عما آل إليه أمر حصارهم فى هذه السنة ، وكيف كان الحصار فيها :

ذكر محمد بن يزيد التميمىّ وغيرُه أنّ زهير بن المسيّب الضّبّىّ نزل قصر رقة كلواذى ، ونصب المجانيق والعرّادات[1] واحتفر الخنادق ، وجعل يخرج فى الأيام عند اشتغال الجند بحرب طاهر ، فيرمى بالعرّادات مَنْ أقبل وأدبر ، ويعشِر أموال التجار[2] ويجبِى السفن . وبلغ من الناس كلّ مبلغ ؛ وبلغ أمرُه طاهرًا وأتاه الناس فشكوا إليه ما نزلَ بهم من زهير بن المسيّب ، وبلغ ذلك هرثمة ، فأمدّه بالجند، وقد كاد يؤخذ، فأمسك عنه الناس . فقال الشاعر من أهل الجانب الشرقىّ — لم يعرّف اسمه— فى زهير وقتله الناسَ بالمجانيق :

٨٦٩ / ٣

لا تَقْرَبِ المَنجنيقَ والحجَرا ... فقد رأيْتَ القتيلَ إذ قُبِرَا

باكَرَ كىْ لا يفوتَه خبرٌ ... راحَ قتيلًا وخَلَّفَ الخبرَا

ماذا به كان من نشاطٍ. ومنْ ... صحّةِ جسمٍ به إذا ابتكرَا

أرادَ ألاَّ يقالَ كان له ... أمرٌ فلم يَدْرِ مَن به أمَرَا

(١) المنجنيق ، بفتح الميم وتكسر : آلة ترمى بها الحجارة (معربة) ، والعرادة : أصغر منه.
(٢) عشر القوم : أخذ العشر من أموالهم .

يا صاحبَ المِنجنيق ما فَعَلتْ كفَّاكَ ، لمْ تُبقيَا ولم تَذَرَا
كانَ هَوَاهُ سوَى الَّذى قُدِرا هَيْهَاتَ لَنْ يَغلِبَ الهوَى القدَرَا

ونزل هرثمة نهر بين ، وجعل عليه حائطًا وخندقًا ، وأعدّ المجانيق والعرّادات ، وأنزل عبيد الله بن الوضّاح الشمّاسيّة ، ونزل طاهر البُستان بباب الأنبار ، فذُكر عن الحسين الخليع أنه قال : لما تولّى طاهر البُستان بباب الأنبار ، دخل محمداً أمر عظيم من دخوله بغداد ، وتفرّق ما كان فى يده من الأموال ، وضاق ذَرْعًا ، وتحرّق صدراً ، فأمر ببيع كل ما فى الخزائن من الأمتعة ، وضرب آنية الذّهب والفضّة دنانير ودراهم ، وحملها إليه لأصحابه وفى نفقاته ، وأمر حينئذ برمى الحرّبية بالنِّفط والنيران والمجانيق والعرّادات ، يقتل بها المقبل والمدبر ، ففى ذلك يقول عمرو بن عبد الملك العِتْرىّ[1] الوراق :

٣/٨٧٠

يا رماةَ المنجنيق كُلُّكُمْ غيرُ شَفيقِ
ما تبالونَ صَـديقاً كانَ أو غيرَ صديقِ
وَيلَكم تَدْرونَ ما ترْ مونَ مُرَّارَ الطَّريقِ
رُبَّ خَوْدٍ ذَاتِ دَلٍّ وهْيَ كالغصنِ الوريقِ
أُخرِجَت مِنْ جَوْف دُنيَا هَا وَمِنْ عَيْشٍ أَنِيقِ
لم تَجِدْ مِن ذَاكَ بُدًّا أُبْرِزت يومَ الحريقِ

وذكر عن محمد بن منصور الباوَرْدىّ ، قال : لما اشتدّت شوكة طاهر على محمد ، وهزمت عساكره ، وتفرّق قواده كان فيمن استأمن إلى طاهر سعيد بن مالك بن قادم ، فلحق به ، فولاّه ناحية البغيِّين والأسواق هنالك وشاطئ دَجْلة ؛ وما اتّصل به أمامه إلى جسور دجلة ، وأمره بحفر الخنادق وبناء الحيطان فى كلّ ما غلب عليه من الدّور والدّروب ، وأمدّه بالنفقات والفَعلة والسلاح ، وأمر الحربيّة بلزومه على النوائب ، ووكّل بطريق دار الرقيق وباب الشأم واحداً بعد واحد ؛ وأمر بمثل الذى أمر به سعيد بن مالك ؛ وكثُر الخراب

---

(١) ا : العنبرى » .

والهدم حتّى درست محاسن بغداد ؛ فنى ذلك يقول العتّرىّ :

مَنْ ذا أصابكِ يا بغدادُ بالعَينِ ... أَلَمْ تَكُونى زماناً قُرَّةَ العينِ ! ٨٧١/٣

أَلم يَكُنْ فِيكِ قومٌ كان مسكنهمْ ... وكان قربهُمُ زيناً من الزَّيْنِ !

صَاحَ الغرابُ بهمْ بالْبيْن فَافترقُوا ... مَاذا لقيتُ بهم من لَوْعَةِ البَيْنِ!

أَستودِعُ اللهَ قوماً مَا ذكرتهمُ ... إلاَّ تحدَّرَ ماءُ العينِ من عَينِى

كَانُوا ففرَّقهمْ دهرٌ وَصَدَّعَهُمْ ... والدَّهْرُ يَصْدَعُ ما بينَ الفريقين

قال : ووكّل محمد عليًا فراهمرد؛ فيمن ضمّ إليه من المقاتلة، بقصر صالح وقصر سُليمان بن أبى جعفر إلى قُصور دِجلة وما والاها ، فألحّ فى إحْرَاق الدُّور والدُّرُوب وهَدْمها بالمجانيق والعرّادات على يَدَىْ رجل كان يعرف بالسَّمَرْقندىّ ؛ فكان يرمى بالمَنجنيق ، وفعل طاهر مثل ذلك ؛ وأرسل إلى أهل الأرْباض من طريق الأنبْار وباب الكوفة وما يليها ؛ وكلما أجابه أهلُ ناحية خندق عليهم ، ووضع مسالحه وأعلامه ، ومَنْ أبى إجابته والدخول فى طاعته ناصبه وقاتله ، وأحرق منزله ؛ فكان كذلكَ يغدو ويروح بقوّاده وفرسانه ورجّالته ؛ حتّى أوحشت بغداد ، وخاف الناس أن تبقى خرابًا ؛ وفى ٨٧٢/٣ ذلك يقول الحسين الخليع :

أَتُسْرِعُ الرِّحْلَة إغْذَاذا[1] ... عَنْ جَانِبيْ بغداذ أَمْ ماذَا !

أَلَمْ تَرَ الفتنـةَ قد أَلَّفتْ ... إلى أُولِى الفتنةِ شُذَّاذَا

وانتقضتْ بغداذُ عُمْرَانها ... عن رأى لا ذاك ولا هذا

هَدْماً وَحَرْقاً قد أُبِيدَ أهلُها ... عقوبة لاذَت بمَنْ لاذا

ما أَحسنَ الحالات إن لم تَعُدْ ... بغداذ فى القلَّة بَغْداذا

قال : وسمّى طاهر الأرباضَ التى خالفه أهلها ومدينةَ أبى جعفر الشرقية ، وأسواقَ الكرخ والخلد وما والاها دارَ النكث ، وقبض ضياع مَنْ

---

(١) ا وابن الأثير : « الرحلة » . والرجلة هنا : جمع رجل .

لم ينحز[١] إليه من بنى هاشم والقوّاد والموالى وغلاّتهم ،حيث كانت من عمله ، فذلّوا وانكسروا وانقادوا ، وذلّت الأجناد وتواكلت عن القتال ؛ إلا باعة الطريق والعُراة وأهل السجون والأوباش والرّعاع والطرّارين[٢] وأهل السوق . وكان حاتم بن الصقر قد أباحهم النّهب ، وخرج الهرش والأفارقة ، فكان طاهر يقاتلهم لا يفترُ عن ذلك ولا يمَلُّه ، ولا يني فيه فقال الخريمىّ يذكر بغداد ، ويصف ما كان فيها : ٨٧٣/٣

قالوا : ولم يلعبِ الزمانُ ببغ — دادَ وتَعثرْ بها عواثرها[٣]
إذ هى مثلُ العروس باطنها — مشوّقٌ للفتى وظاهِرُها[٤]
جنّــةُ خُلْدٍ ودارُ مَغبَطَةٍ — قلَّ من النائبات وَاتِرُها
دَرَّتْ خُلوفُ الدّنيا لساكنها — وقلَّ مَعسورُها وعاسِرُها
وانفرَجَتْ بالنعيمِ وانتجعَتْ — فيهــا بلذاتهــا حواضِرُها
فالقومُ منها فى روضةٍ أُنُفٍ — أشرَقَ غِبَّ القِطارِ زاهرُها
مَن غرَّهُ العيشُ فى بُلهْنِيَةٍ — لو أنَّ دُنيا يدُومُ عامرُها
دارُ ملوكٍ رَسَت قواعدها — فيهــا وقرَّت بها منابرُها
أهلُ العلا والندى وأندِيةُ الـ — فخرِ إذا عُدّدَت مَفاخرُها
أفراخُ نُعْمَى فى إرْثِ مَمْلَكَةٍ — شَــدَّ عُراها لها أكابِرُها
فلمْ يَزلْ والزّمان ذُو غِيَرٍ — يَقدَحُ فى مُلكِهَا أصاغِرُها
حتى تَساقتْ كأساً مُثَمِّلةً — من فتنةٍ لا يقال عاثِرُها
وافترقتْ بعدَ ألفَةٍ شِيَعاً — مقطوعــةً بينَها أواصِرُها
يا هل رأيتَ الأملاكَ ماصنعت — إذ لم يَرُعْها بالنصح زاجِرُها
أوْرَدَ أملاكُنا نفوسَهُمُ — هُوَّةَ غَىّ أعْيَتْ مَصادِرُها

(١) ط : « ينجز » ، تحريف . (٢) فى القاموس : « الطر : الخلس » .
(٣) انظر الشعر والشعراء ٨٣١ ، ٨٣٢ ، الحيوان ١ : ٢٢٥ ، ٥ : ٢٠٤ .
(٤) كذا فى ا ، وفى ط : « باديها مهول للفتى وحاضرها » .

ما ضرها لو وَفَتْ بمَوْثِقِهَا واستحكمتْ فى التُّقَى بصائرها

ولم تسافِك دماءَ شيعتها وتبتعِث[1] فِتيــةً تكابرها ٣ / ٨٧٤

وأقنعتها الدنيا التى جُمعَت لها وَرُغْبُ النفوسِ ضائرُها

ما زال حوض الأملاك يحفره مسجُورهُ بالهوى وساجرُها[2]

تبغِى فضولَ الدنيا مكاثَرَةً حتى أُبيحَت كَرْهًا ذَخائِرُها

تَبيعُ ما جمَّع الأُبُوَّةُ لِلْـ أبناء لا أَربحَت متاجِرُها

يا هل رأيت الجنانَ زاهرَةً يرُوقُ عينَ البصيرِ زاهرهُ !

وهل رأيتَ القُصورَ شارعةً تُكِنُّ مثلَ الدُّمى مقاصرُها

وهل رأيت القُرى التى غَرسَ الـ أملاكُ مخَضَّرةً دَساكِرُها

محفوفةً بالكرومِ والنخلِ والرَّ يحانِ ما يستغِلُّ طائرُها

فإنها أصبحت خلايا من الـ إنسانِ قد أُدْمِيَتْ محاجرها

قَفرًا خَلاءً تعوِى الكلابُ بها يُنكرُ منها الرسومَ زائرُها[3]

وأصبحَ البؤُسُ ما يفارقُها إلفاً لها والسُّرورُ هاجرُها

بِزَندوَرْدٍ والياسِرِيَّةِ والشَّط ين حيث انتهت معابرها

ويا ترلحى والخيزُرَانية الـ عليا التى أشرفت قناطرُها[4]

وقَصرِ عَبدوَيْه عبرةٌ وهُدًى لكلِّ نفسٍ زَكَتَ سَرائِرُها

فأَين حُرّاسُها وحارسُها وأين مجبورُها وجابرهــا !

وأَين خِصْيانها وحِشْوَتُها وأَين سكّانُها وعامرُها

أَين الجَرادِيَّةُ الصقالبُ والـ أحبُشُ تعدُو هُدْلاً مَشافرُها

ينصدعُ الجندُ عن مواكبها تعْدُو بها سُرَّباً ضَوامِرُها ٣ / ٨٧٥

(١) كذا فى ا وفى ط : « تبتعل » .

(٢) كذا فى ا .

(٣) ط : « دائرها » ، وما أثبته من ا .

(٤) ا : « أشرقت مناظرها » .

بالسِّندِ والهند والصقالِبِ وَالـ نُّوبَةِ شِيبَتْ بها بَرابرُها

طيرًا أَبابيلَ أَرسلَت عَبَثاً يقدُمُ سُودانَها أَحامِرُها

أَين الظِّباءُ الأَبكارُ فى روضه الـ ملكِ تَهادَى بها غَرائِرُها !

أَين غَضاراتُها وَلَذَّتها وأَين مَحبُورُها وَحابِرُها !

بالمسك والعنبرِ اليانِ والـ يلنجُوجِ مَشبُوبَةٌ مَجامِرُها

يَرفُلْن فى الخزِّ وَالمجَاسِدِ وَالـ مَوْشِيِّ محطومَةً مَزامِرُها

فأَين رقاصها وَزامِرُها يُجبْنَ حيثُ انتهت حناجرُها

تكادُ أَسماعُهم تُسَكُّ إذا عَارَضَ عِيدانَها مَزاهِرُها[1]

أَمسَت كَجَوف الحِمار خَاليَةً يَسعَرُها بالجحيم ساعرُها

كأَنَّما أَصبحتْ بساحتِهمْ عادٌ ومسَّتْهُمُ صراصرُها

لا تعلمُ النفسُ ما يُبايِتُها من حَادِث الدّهر أَو يُباكرُها

تُضحى وتُمسى دَريَّةً غَرَضاً حيث استقرّت بها شراشرها

لأَسْهُمِ الدّهرِ وهو يَرشُقُها مُحنِطُها مَرَّةً وَباقِرُها

يَابُؤسَ بَغدادَ دَار مَملَكَةٍ دارتْ على أَهلها دوائرُها

أَمهلَها اللهُ ثم عاقَبها لمَّا أَحاطت بها كبائرُها

بالخسف والقذف والحريق وَبالـ حربِ التى أَصبحت تساورُها[2]

كم قد رأَينا من المعاصى ببغدا دفهل ذو الجلال غافرها !

حلَّت ببَغدادَ وهىَ آمنةٌ داهيةٌ لم تكن تحاذِرُها

طالعَها السوءُ من مَطَالِعِهِ وأَدركت أَهلَها جرائرُها

رَقَّ بها الدينُ واسْتُخِفَّ بذى الـ فضل وَعَزَّ النُّسَّاكَ فاجرُها

وخَطَّمَ العبدُ أَنفَ سَيِّدِهِ بالرّغْمِ وَاستُعبِدَت حرائرها

٨٧٦/٣

(١) فى التصويبات : « مزاهرها » .

(٢) كذا فى ا .

وصار رَبَّ الجيران فَاسقَهُم وابتزَّ أَمرَ الدُّروب ذَاعِرُها
من يَرَ بغدادَ والجنودُ بها قد ربَّقَتْ حَوْلَها عَساكِرُها
كلُّ طَحونٍ شهباءَ بَاسِلَةٍ تَسْقِطُ أَحْبالَها زَماجِرُها
تُلْقِى بغىٍّ الرَّدَى أوانِسَها يُرْهِقُها للقَاءِ طَاهِرُها
والشيخ يَغدُو حَزماً كتائبه يُقدِمُ أعجازَها يعاوِرُها
وَلِزُهيرٍ بالفِرْك مأْسَدَةٌ مرقومهٔ صلبَةٌ مَكاسِرُها
كتائبُ الموتِ تحتَ أَلوِيَةٍ أَبْرَحَ منصورُها وَناصِرُها
يعلم أَن الأقدار واقعةٌ وَقعاً على ما أَحَبَّ قَادِرُها
فتلكَ بغدادُ ما يُبنَّى من الذ لَّةِ فى دُورِها عَصافِرُها
محفوفةٌ بِالرَّدَى مُنَطَّقَةٌ بِالصُّغر مَحْصُورَةٌ جَبابِرُها
ما بين شطِّ الفراتِ منه إلى دِجْلَةَ حيث انتهت معابِرُها
بارِك هادِى الشَّقْراءِ نافِرُهُ[1] تَرْكُضُ من حولِها أَشاقِرُها ٨٧٧/٣
يُحْرِقُها ذا وذاكَ يهدمها ويَشْتَفِى بالنهابِ شاطِرُها
والكَرْخُ أَسواقُها مُعَطَّلَةٌ يَستَنّ عَيَّارُها وعائرُها
أَخرجت الحربُ من سواقِطها آسادَ غِيلٍ غُلْبًا تُساوِرُها
من البوارى تِرَاسُها ومن الـ خُوصِ إذا استلأَمَت مَغافِرها
تَغدُو إلى الحرب فى جَواشنها الـ صُّوف إذا ما عُدَّت أَساوِرُها
كَتَائبُ الهِرْشِ تحت رايَتِهِ ساعَدَ طَرَّارَها مُقامِرُها
لا الرزقَ تبغى ولا العطاءَ ولا يَحشُرُها للِّقاء حاشِرُها
فى كلِّ دَرْبٍ وكلِّ ناحيةٍ خطَّارَةٌ يَستَهِلُّ خَاطِرُها
بمثِلِ هَامِ الرجالِ من فلَق الصَّـ خر يَزُودُ المِقلاعَ بَائرُها

---

(١) ط : « نافرة » .

كأنما فوقَ هَامِها فِرَقٌ ... من القطا الكُدْرِ هاج نافِرُها
والقومُ من تحتها لهم زَجَلٌ ... وهى ترامى بها خَواطِرُها
بل هل رأيتَ السيوفَ مُصلَتَةً ... أشهَرَها فى الأسواقِ شاهِرُها
والخيلَ تستَنُّ فى أزِقَّتِها ... بالتُّركِ مسنونةً خَناجِرُها
وَالنفطَ والنَّارَ فى طَرائِقِها ... وهابِيًا للدخَانِ عامِرُها

٣/٨٧٨

والنَّهبُ تَعدُو به الرِّجالُ وقَدْ ... أبدَتْ خَلاخيلها حَرائِرُها
مُعصَوصِباتٍ وسطَ الأزِقَّةِ قَدْ ... أبرَزَها للعيون ساتِرها
كلُّ رَقودِ الضُّحَى مخَبَّأَةٍ ... لم تَبدُ فى أهلها محاجِرُها
بَيْضَةُ خِدرٍ مكنونةٌ بَرَزَت ... للناس منشورةً غَدائِرُها
تَعثرُ فى ثوبها وَتُعْجلُها ... كَبَّةُ خَيلٍ رِيعَتْ حَوافِرُها
تسأَلُ أينَ الطريقُ وَالهةً ... والنَّارُ من خَلْفِها تُبَادِرُها
لم تَجتَلِ الشَّمسُ حُسنَ بَهجَتِها ... حتى اجتلتها حربٌ تباشِرُها
يا هَلْ رأيتَ الثَّكلى مُوَلوِلَةً ... فى الطُّرْق تسعى والجَهدُ بَاهِرُها!
فى إثرِ نَعشٍ عليهِ واحدُها ... فى صَدْرِهِ طعنةٌ يُساوِرُها
فَرغاءُ ينقِّى الشنار مربَدُها ... يَهزُّها بَالسنان شاجِرُها
تنظرُ فى وجهِهِ وتهتف بالثـ ... ـكلِ وجَارِى الدموع حادِرُها
غَرغَر بالنَّفس ثم أسلمها ... مَطلولَةً لا يُخاف ثائرها
وقد رأيت الفتيان فى عَرصَةِ الـ ... ـمَعرَك مَعفُورَة مَناخِرها
كلُّ فتًى مَانعٌ حَقيقَتَهُ ... تَشقَى بهِ فى الوَغَى مَساعِرها
باتَتْ عليهِ الكِلابُ تَنْهَشُهُ ... مخضُوبةً مِنْ دمٍ أظَافِرُها
أمَا رَأَيتَ الخُيولَ جائلَةً ... بالقَوْمِ مَنكُوبَةً دَوَائِرُها[1]

---

(١) ط: «دوابرها».

تعثرُ بالأَوجُهِ الحِسَانِ منَ ال قَتلى وغُلَّتْ دمًا أشاعِرُهَا

يطأْنَ أكبادَ فتيةٍ نُجُدٍ يَفْلِقْنَ هاماتِهِمْ حوافرُها

أَمَا رأَيت النساءَ تحتَ المجا نيق تعادَى شُعْثاً ضفائرُها

٣/٨٠٩

عقائل القومِ والعجائزَ وال عُنَّس لم تحتبَرْ معاصِرُها

يحمِلن قوتاً منَ الطَّحِينِ على الْ أكتافِ مَعْصُوبَةً مهاجِرُها

وذاتُ عيشٍ ضنكٍ ومُقعِسَةٌ تشدَخُها صَخرَةٌ تعاوِرُها

تسأَلُ عنْ أهلِها وقد سُلِبتْ وابْتُزَّ عنْ رأسِها غفائرُها

ياليتَ شِعْرى والدَّهْرُ ذُو دُوَلٍ يُرجَى وأُخرَى تُخْشَى بَوادرُها

هل تَرْجعنْ أرضُنا كما غنِيَتْ وقد تناهتْ بنا مصايرُها

منْ مُبلغٌ ذا الرياستيْنِ رسا لاتٍ تَأَتَّى للنُّصْحِ شاعِرُها

بأَنَّ خيْرَ الوُلاةِ قدْ علِمَ النَّ اسُ إذا عُدِّدت مآثِرُها

خليفةُ اللهِ فى بريَّتِهِ ال مأْمُونُ مُنْتَاشُها وجابرُها

سَمَتْ إليه آمالُ أُمَّتِهِ منقـادَةً بَرُّها وفاجرُها

شامُوا حيا العدْلِ من مخايلِهِ وأَصْحَرَتْ بالتُّقَى بَصَائرها

وأحمدُوا منك سيرة جلتِ ال شَّكَّ وأُخرى صَحَّتْ معاذِرُها

واستجمعتْ طاعة برفقكَ للمأ مونِ نجديُّها وغائرها

وأنتَ سمعٌ فى العالمينَ له ومُقـلةٌ ما يكلّ ناظرُها

فاشكرلذى الْعَرْشِ فضلَ نعمتِهِ أوجبَ فضلَ المزيدِ شاكرها

واحذَرْ فداءٌ لك الرَّعيةُ والْ أجنادُ مأْمورها وآمرهـا

لا تردن غمْرةً بنفسكَ لا يَصْدُرُ عنها بالرأى صادرُها

عليكَ ضحْضاحها فلا تلجِ الغَمْ رةَ ملتجَّةً زواخِرُها

والقصْدَ إنَّ الطريقَ ذو شُعبٍ أشأَمها وَعْثُها وَجَائرُها

٣/٨٨٠

أَصْبَحْتَ فى أمة أوائلها قد فارقت هَدْيَها أواخرُها
وأنتَ سُرْسُورُها وسَائِسُها فَهَلْ على الحقّ أنت قاسرها !
أدِّبْ رجالًا رأيتَ سِيرتَهُمْ خالفَ حُكْمَ الكِتابِ سائرها
وامدُدْ إلى الناس كفَّ مَرْحَمَةٍ تُسَدُّ منهم بها مفَاقِرها
أمكنكَ العَدْلُ إذ هَمَمْتَ به ووافقَتْ مَدَّه مقادرُها
وأبصرَ الناسُ قصدَ وجههمُ ومُلِّكَتْ أُمَّةٌ أخايرُها
تُشْرَعُ أعناقها إليكَ إذ السَّـــادات يومًا جَمَّتْ عَشائِرُها
كم عندنا من نصيحَةٍ لك فى اللـ ـهِ وقُرْبَى عَزَّتْ زوافرها
وحرمةٍ قرَّبتْ أواصِرُها منك،وأُخْرَى هل أنت ذاكرُها!
سعْىُ رجالٍ فى العلم مطلبُهُمْ رائحُها باكرٌ وباكرها
دونكَ غراءَ كالوَذِيلَةِ لا تُفقَدُ فى بلدةٍ سوائرها
لا طمعاً قُلتُها ولا بَطرًا لكلِّ نفسٍ هوًى يُؤَامرها
سيَّرَها الله بالنصيحَةِ والـ ـخَشيَةِ فاستدمجَت مرائرها
جاءتك تحكى لك الأمورَ كما يَنشُرُ بزَّ التِّجارِ ناشرها
حمَّلتُها صاحباً أخا ثقةٍ يظلُّ عُجباً بها يحاضرها

وفى هذه السنة استأمن الموكَّلون بقصر صالح من قبَل محمد .

* * *

[ذكر خبر وقعة قصر صالح]

وفيها كانت الوقعة التى كانت على أصحاب طاهر بقصر صالح .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

٣/٨٨١

ذكر عن محمد بن الحسين بن مصعب ، أنّ طاهرًا لم يزل مصابراً محمداً وجندَه على ما وصفت من أمرِه ؛ حتى ملّ أهلُ بغداد من قتاله ، وأن عليّ

فراهمرد الموكّل بقصرى صالح وسليمان بن أبى جعفر من قِبَل محمد ، كتب إلى طاهر يسأله الأمان ، ويضمن له أن يدفع ما فى يده من تلك الأموال ومن الناحية إلى الجسور وما فيهما من المجانيق والعرّادات إليه ، وأنه قَبِل ذلك منه . وأجابه إلى ما سأل ، ووجّه إليه أبا العباس يوسف بن يعقوب الباذغيسىّ صاحب شُرَطه فيمن ضُمّ إليه من قوّاده وذوى البأس من فُرسانه ليلاً . فسلم إليه كلّ ما كان محمد وكّله به من ذلك ليلة السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائة . واستأمن إليه محمد بن عيسى صاحب شُرْطة محمد ؛ وكان يقاتل مع الأفارقة وأهل السجون والأوباش ؛ وكان محمد بن عيسى غير مداهِن فى أمر محمد ؛ وكان مهيبًا فى الحرْب ، فلمّا استأمن هذان إلى طاهر ، أشفى محمد على الهلاك ؛ ودخله من ذلك ما أقامه وأقعده حتّى استسلم ؛ وصار على باب أم جعفر يتوقّع ما يكون ؛ وأقبلت الغُواة من العيّارين وباعة الطرق والأجناد ؛ فاقتتلوا داخل قصر صالح وخارجه إلى ارتفاع النهار .

قال : فقتل فى داخل القصر أبو العباس يوسف بن يعقوب الباذغيسىّ ومَنْ كان معه من القوّاد والرؤساء المعدودين ، وقاتل فراهمرد وأصحابه خارجاً من القَصْر حتى فُلّ وانحاز إلى طاهر ؛ ولم تكن وقعة قبلها ولا بعدها أشدّ على طاهر وأصحابه منها ، ولا أكثر قتيلا وجريحًا معقوراً من أصحاب طاهر من تلك الوقعة ؛ فأكثرت الشعراء فيها القول من الشّعر ، وذكر ما كان فيها من شدة الحرب[١] . وقال فيها الغوغاء والرّعاع ، وكان مما قيل فى ذلك قول الخليع[٢] :

٣ / ٨٨٢

أمينَ اللهِ ثِقْ باللّـ ـهِ تُعْطَ الصَّبْرَ والنُّصرَهْ[٣]
كِلِ الأَمرَ إلى اللهِ كَلاَكَ اللهُ ذو القُدْرَهْ
لَنَا النَّصْرُ بعَون اللّـ ـهِ والكَرَّةُ لا الفرَّهْ
وللمُـــرّاقِ أعدائـ ـك يومُ السوءِ والدَّبْرَهْ
وكأْسٍ تلفظ الموتَ[٤] كَريهٍ طَعْمُهَا مُرَّهْ

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « الحزب » .
(٢) هو الحسين بن الضحاك ، المعروف بالخليع .
(٣) الأغانى ٧ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ المسعودى ٣ : ٤١٣ . (٤) الأغانى : « تورد الموت » .

سُقينا وسقيناهُم[1] ولكن بِهِمُ الحِرّة
كذاك الحربُ أحياناً علينا ولنَا مرّة

فذُكر عن بعض الأبناء أن طاهراً بثّ رسلَه ، وكتب إلى القوّاد والهاشميّين وغيرهم بعد أن حاز ضياعهم وغلاّتِهم يدعوهم إلى الأمان والدّخول فى خلع محمد والبَيْعة للمأمون ؛ فلحق به جماعة ، منهم عبد الله بن حُميد بن قحطبة الطائىّ وإخوته ، وولد الحسن بن قحطبة ويحيى بن علىّ بن ماهان ومحمد بن أبى العاص[2] ، وكاتبه قوم من القوّاد والهاشميين فى السرّ ، وصارت قلوبهم وأهواؤهم معه .

قال : ولما كانت وقعة قصر صالح أقبل محمد على اللهو والشرب ، ووكل الأمرَ إلى محمد بن عيسى بن نهيك وإلى الهرْش ؛ فوضعا مما يليهما من الدّروب والأبواب وكلاءهما بأبواب المدينة والأرباض وسوق الكَرْخ . وفُرَض دجْلة وباب المحوّل والكناسة ؛ فكان لصوصها وفساقُها يسلبون مَنْ قدروا عليه من الرّجال والنساء والضعفاء من أهل الملّة والذمّة ؛ فكان منهم فى ذلك ما لم يبلغْنا أنّ مثله كان فى شىء من سائر بلاد الحروب .

٨٨٣/٣

قال : ولما طال ذلك بالناس ، وضاقت بغداد بأهلها ، خرج عنها مَنْ كانت به قوّة بعد الغُرْم الفادح والمضايقة الموجعة والخطر العظيم ؛ فأخذ طاهر أصحابَه بخلاف ذلك ، واشتدّ فيه ، وغلُظ على أهل الرِّيَب . وأمر محمد ابن أبى خالد بحفظ الضعفاء والنساء وتجويزهم وتسهيل أمرهم ؛ فكان الرّجل والمرْأة إذا تخلص من أيدى أصحاب الهرْش ، وصار إلى أصحاب طاهر ذهب عنه الرّوْع وأمن ، وأظهرت المرأة ما معها من ذهب وفضة أو متاع أو بزّ ؛ حتى قيل : إنّ مَثَل أصحاب طاهر ومَثَل أصحاب الهرْش وذويه ومثل الناس إذا تخلّصوا ، مثل السور الذى قال الله تعالى ذكره : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾[3] . فلما طال على الناس ما بُلُوا به ساءت حالهم ، وضاقوا به ذرعًا ؛ وفى ذلك يقول بعض فتيان بغداد :

---

(١) الأغانى : « سقونا » .

(٢) الأغانى : « محمد بن العباس الطائى » .

(٣) سورة الحديد ١٣ .

بكيتُ دمًا على بغدادَ لمَّا فَقَدتُ غَضارة العَيشِ الأنيقِ[1]

تَبَدَّلنا هُموماً من سُرور ومِن سَعة تَبَدَّلْنَا بضِيقِ

أَصابتها مِنَ الحُسَّادِ عَينٌ فأفنَت أهلها بالمَنجيقِ[2]

٨٨٤/٣

فَقَومٌ أحرِقوا بالنارِ قسرًا ونائحةٌ تنوحُ على غريقِ

وصائحةٌ تُنادى وَاصبَاحًا[3] وباكيةٌ لفقدانِ الشَّفيق

وحَوراءُ المَدامعِ ذاتُ دَلٍّ مضَمَّخَةُ المَجاسِدِ بالخَلوق

تَفِرُّ من الحريقِ إلى انتهابٍ ووالِدها يفرُّ إلى الحريق

وَسَالِبةُ الغزالةِ مُقلَتَيْها مَضاحكُها كَلأْلأةِ البرُوق

حَيَارَى كالهدايا مُفكِراتٌ عليهنَّ القلائدُ فى الحُلوق

يُنادينَ الشفيقَ ولا شفيقٌ وقد فُقِد الشَّقيق من الشَّقيقِ

وقومٌ أُخرِجُوا من ظلِّ دُنيا متاعُهُمُ يُباعُ بكلِّ سوقِ

٨٨٥/٣

ومُغتَرِبٌ قَريبُ الدارِ مُلقًى بلا رأسٍ بقَارعةِ الطريقِ

توسَّط مِنْ قتالهِمُ جميعاً فما يَدرُونَ مِنْ أىِّ الفريقِ

فلا ولدٌ يقيم على أَبيهِ وقد هَرَبَ الصديق بلاصديق

وَمَهْمَا أَنْسَ من شىءٍ تَولَّى فإنِّى ذاكرٌ دارَ الرَّقيقِ

وذُكر أنّ قائداً من قوّاد أهل خراسان ممن كان مع طاهر من أهل النجدة والبأس ، خرج يوماً إلى القتال ، فنظر إلى قوم عُراة ، لا سلاح معهم ، فقال لأصحابه : ما يقاتلنا إلا مَنْ أرى ؛ استهانة بأمرهم واحتقاراً لهم ؛ فقيل له : نعم هؤلاء الذين ترى هم الآفة ؛ فقال : أفٍّ لكم حين تنكصون عن هؤلاء وتخيمون عنهم ، وأنتم فى السلاح الظاهر ، والعُدّة والقوّة ؛ ولكم مالكم من

(١) المسعودى ٣ : ٤١٤ ، وفيه : « بكت عينى دمًا » .

(٢) المسعودى وابن الأثير : « أصابتنا » .

(٣) المسعودى : « يا صحابى » .

الشجاعة والنجدة ! وما عسى أن يبلغ كيد مَنْ أرى من هؤلاء ولا سلاح معهم ولا عُدّة لهم ولا جُنّة تقيهم ! فأوتر قوسه وتقدّم ، وأبصره بعضهم فقصد نحوه وفى يده بارِيّة مُقَيَّرة ، وتحت إبطه مخلاة فيها حجارة ، فجعل الخُراسانىّ كلّما رَمى بسهم استتر منه العيّار ، فوقع فى باريّته أو قريبًا منه ؛ فيأخذه فيجعله فى موضع من باريّته ، قد هيأه لذلك ، وجعله شبيهًا بالجُعبة . وجعل كلما وقع سهم أخذه ، وصاح : دانق ، أى ثمن النّشابة دانق قد أحرزه ؛ ولم يزل تلك حالة الخراسانىّ وحال العيّار حتى أنفذ الخراسانىّ سهامه ، ثم حمل على العيّار ليضربه بسيفه ؛ فأخرج من مخلاته حجرًا ؛ فجعله فى مقلاع ورماه فما أخطأ به عينه ، ثم ثناه بآخر ؛ فكاد يصرعه عن فرسه لولا تحاميه ؛ وكرّ راجعًا وهو يقول : ليس هؤلاء بإنس ؛ قال : فحدّثت أن طاهرًا حدّث بحديثه فاستضحك وأعفى الخراسانىّ من الخروج إلى الحرب ؛ فقال بعض شعراء بغداد فى ذلك : ٨٨٦/٣

خَرّجَتْ هذه الحروبُ رجالا ... لا لقحطانها ولا لنزارِ
معشرًا فى جواشِنِ الصوفِ يغدو ... ن إلى الحرْب كالأُسودِ الضّوارى
وعليهمْ مغافرُ الخوصِ تُجزِيـ ... ـهم عن البيضِ ، والتّراسُ البوارِى
ليس يدرونَ ما الفرارُ إذا الأَبْـ ... ـطالُ عاذوا من القَنا بالفرارِ
واحـدٌ منهمُ يَشُدُّ على أَلْـ ... ـفَينِ عُرْيانٌ مالَهُ من إزارِ
ويقول الفتى إذا طَعَن الطعـ ... ـنةَ : خذها مِن الْفَتَى العَيّارِ
كم شريف قد أَخملَتهُ وكم قد ... رفَعتْ من مُقامر طَرّارِ ٨٨٧/٣

* * *

[ذكر خبر منع طاهر الملاحين من إدخال شئ إلى بغداد]

[قال محمد بن جرير : وفى هذه السنة منع طاهر الملاحين وغيرهم من إدخال شئ إلى بغداد إلا إلى من كان من عسكره منهم ، ووضع الرصيد عليهم بسبب ذلك][1] .

---

(١) من ا .

* ذكر الخبر عمّا كان منه ومن أصحاب محمد المخلوع فى ذلك وعن السبب الذى من أجله فعل ذلك طاهر:

أما السبب فى ذلك فإنه — فيما ذُكر — كان أنّ طاهرًا لما قُتِل مَنْ قُتِل فى قصر صالح من أصحابه ، ونالهم فيه من الجراح ما نالهم ، مَضَّه ذلك وشقّ عليه ؛ لأنه لم يكن له وقعة إلا كانت له لا عليه ؛ فلما شقّ عليه أمر بالهدم والإحراق عند ذلك ، فهدم دور مَنْ خالفه ما بين دجْلة ودار الرقيق وباب الشأم وباب الكوفة ، إلى الصَّراة وأرجاء أبى جعفر وربَض حميد ونهر كرخايا والكناسة ؛ وجعل يبايت أصحاب محمد ويُداجهم ، ويحوى فى كلّ يوم ناحية ، ويخندق عليها المراصد من المقاتلة ؛ وجعل أصحاب محمد ينقصون ؛ ويزيدون ؛ حتى لقد كان أصحاب طاهر يهدمون الدّار وينصرفون ؛ فيقلع أبوابها وسقوفها أصحاب محمد ، ويكونون أضرّ على أصحابهم من أصحاب طاهر تعدياً ؛ فقال شاعر منهم — وذكر أنه عمرو بن عبد الملك الورّاق العترىّ — فى ذلك :

لنا كلَّ يومٍ ثُلمةٌ لا نَسُدُّها ... يزيدونَ فيما يَطلبونَ ونَنقُصُ

إذَا هَدموا دارًا أخذنا سُقوفَها ... ونحن لِأُخرى غيرِها نَتَربَّصُ ٣/ ٨٨٨

وإن حَرصوا يوماً على الشَّرِّ جُهْدَهمْ ... فغوغاؤنا منهمْ على الشرّ أَحرَصُ

فقد ضيَّقوا من أَرضنا كلَّ واسعٍ ... وصار لهم أهلٌ بها . وتَعرَّصوا

يُثيرونَ بالطبلِ القنيصَ فإن بدا ... لهم وجهُ صيدٍ من قريب تقنَّصوا

لقد أَفسدوا شَرْقَ البلادِ وغَربَها ... علينا فما ندرى إلى أينَ نشخَصُ!

إذا حضروا قالوا بما يَعرفونه[1] ... وإن يَرَوْا شيئاً قبيحاً تَخَرَّصوا

وما قتلَ الأَبطالَ مثلُ مجرّبٍ ... رســولِ المنايا ليلَهُ يتلصَّصُ[2]

ترى البطلَ المشهورَ فى كلِّ بلدة ... إذا ما رأَى العريانَ يوماً يُبَصبِصُ

---

(١) المسعودى : « يبصرونه » .

(٢) ط : « ليلة » ، والوجه ما أثبته من ا .

إذا مارآه الشَّمَّرِىُّ مُقَزِّلاً[1] على عقبَيْـهِ للمخافةِ يَنكُصُ
يبيعُك رأساً للصبىِّ بِدِرهمٍ فإن قال إنى مُرْخِصٌ فهو مرخِصُ
٣/٨٨٩ فكم قاتلٍ منا لِآخرَ منهمُ بمقتله عنه الذُّنوبُ تُمحَّصُ
تراه إذا نادى الأَمانَ مبارزًا ويَغمِزنا طَورًا وطورًا يخصِّص
وقد رخَّصت قُرّاؤنا فى قتالِهِمْ وما قتل المقتولَ إلَّا المرخِّصُ

وقال أيضا فى ذلك :

النَّاسُ فى الهدمِ وفى الانتقالْ قد عَرَّض النَّاسُ بقيلٍ وقالْ
يأيُّهـا السائل عن شأْنِهمْ عينك تكفيكَ مكانَ السُّؤالْ
قد كان للرحمن تكبيرُهُمْ فاليـوم تكبيرهمْ للقتالْ
اطرحْ بعينيك إلى جمعهمْ وانتظر الرَّوْحَ وعُدَّ الليالْ
لم يبق فى بغدادَ إلَّا امرؤٌ حالَفَهُ الفقر كثيرُ العيالْ
لا أمّ تحمِى عن حماها ولا خالٌ له يحمى ولاَ غيرُ خالْ
ليس له مالٌ سوى مِطْرَدٍ مِطْرَدُهُ فى كفِّه رأسُ مالْ
٣/٨٩٠ هـانَ على الله فأَجْرَى على كفَّيه للشِّقوةِ قتلَ الرجالْ
إنْ صارَ ذا الأَمر إلى واحـدٍ صارَ إلى القتلِ على كلّ حالْ
ما بالنا نُقتَلُ من أجْلِهِمْ سُبْحَانَكَ اللهمّ ياذَا الحلالْ !

وقال أيضًا :

ولستُ بتاركٍ بغدادَ يوماً تَرَحَّلَ مَن ترحَّل أَوْ أقَامَا
إذا ما العيشُ ساعَدنا فَلَسْنَا نُبالِى بعدُ مَنْ كان الإماما

قال عمرو بن عبد الملك العترىّ : لما رأى طاهر أنهم لا يحفلون بالقتل والهدْم والحرْق أمر عند ذلك بمنع التّجار أن يجوزوا بشىء من الدقيق وغيره من

(١) ا : « إذا ما رآه الوغد يوماً برأسه » .

المنافع من ناحيته إلى مدينة أبى جعفر والشرقية والكَرْخ ، وأمر بصرف سُفُن البصرة وواسط بطرنايا إلى الفرات ؛ ومنه إلى المحوّل الكبير وإلى الصَّراة ، ومنها إلى خندق باب الأنبار ؛ بما كان زهير بن المسيب يُبَذرقه إلى بغداد ، وأخذ من كلّ سفينة فيها حمولة ما بين الألف درهم إلى الألفين والثلاثة ، وأكثر وأقلّ ، وفعل عُمّال طاهر وأصحابه ببغداد فى جميع طرقها مثلَ ذلك وأشدّ ، فغلت الأسعار ، وصار الناس فى أشدّ الحصار ، فيئسوا أو كثير منهم من الفرج والرّوح ، واغتبط مَنْ كان خرج منها ، وأسف على مقامه من أقام . ٨٩١/٣

* * *

وفى هذه السنة استأمن ابن عائشة إلى طاهر ، وكان قد قاتل مع محمد حينًا بالياسرية .

* * *

[ذكر خبر وقعة الكناسة]

وفيها جعل طاهر قُوّاداً من قُوّاده بنواحى بغداد ، فجعل العلاء بن الوضّاح الأزدى فى أصحابه ومَن ضمّ إليه بالوضّاحية[1] على المحوّل الكبير ، وجعل نعيم بن الوضّاح أخاه فيمن كان معه من الأتراك وغيرهم مما يلى رَبض أبى أيوب على شاطئ الصَّراة ، ثم غادى القتال وراوح أشهرًا ، وصبر الفريقان جميعًا ؛ فكانت لهم فيها وقعة بالكُناسة ؛ باشرها طاهر بنفسه ، قُتل فيها بشرٌ كثير من أصحاب محمد ، فقال عمرو بن عبد الملك :

وَقْعَةُ يومِ الأَحَدِ صارت حَدِيثَ الأَبَدِ
كَمْ جسدٍ أبصرتَهُ مُلقًى وكَمْ مِن جَسَدِ
وناظرٍ كانت له مَنِيَّةٌ بالرَّصَدِ
أتاهُ سَهْمٌ عائرٌ فشكَّ جَوفَ الكَبِدِ
وصائحٍ يا والدى وصائحٍ يا ولدى !

---

(١) موضعها فى ط كلمة غير واضحة وما أثبته من ا .

وكم غريقٍ سابحٍ كان متينَ الجَلَدِ !
لم يَفتقدْه أحدٌ غيرُ بناتِ البلدِ
وكم فقيدٍ بئيسٍ عزَّ على المفتقِدِ
كَانَ مِن النَّظارةِ الـ أولى شديد الحَرَدِ[1]
لو أنه عايَن ما عاينَه لم يَعُدِ
لم يبقَ من كهلٍ لهُمْ فَاتَ وَلا مِنْ أمْرَدِ
وطاهرٌ ملتهِمٌ مثلَ التهامِ الأسدِ
خيَّمَ لا يَبْرَح فى الـ عرصَةِ مثلَ اللُّبَدِ
تقذِفُ عيناه لَدَى الـ حربِ بنارِ الوَقَد
فقائلٌ قد قَتَلوا ألفاً ولمَّا يزدِ
وقائلٌ أكثر بل ما لهُمُ من عدد
وهاربٌ نحوهُمُ يرهَبُ من خوفِ غدِ
هيهات لا تبصرُ مِمَّنْ قَدْ مَضَى من أحَدِ
لا يرجع الماضى إلى الْـ باقى طَوَالَ الأَبدِ
قلتُ لمطعونٍ وفيـ ـهِ رُوحُهُ لَمْ تبدِ
مَنْ أنت يا وَيْلكَ يا مِسكينُ من مُحَمَّدِ
فقالَ لا من نَسبٍ دانٍ وَلا مِنْ بَلدِ
لم أره قطّ ولمْ أجِدْ لهُ من صَفدِ
وقال لا لِلغنىِّ قَا تَلتُ ولا للرَّشَدِ
إلَّا لشىءٍ عاجلٍ يصيرُ مِنهُ فِى يدِى

٨٩٢/٣

---

(١) كذا فى ا.

٣/٨٩٣ وذكر عن عمرو بن عبد الملك أنّ محمداً أمر زُريحا غلامَه بتتبّع الأموال وطلبها عند أهل الودائع وغيرهم ؛ وأمر الهرش بطاعته ؛ فكان يهجُم على الناس فى منازلهم ، ويبيّتهم ليلا ، ويأخذ بالظِّنّة ، فجبى بذلك السبب أموالا كثيرة ، وأهلك خلقًا ، فهرب الناس بعلّة الحجّ ، وفرّ الأغنياء ، فقال القراطيسىّ فى ذلك :

أظهروا الحجّ وما ينوونَهُ ... بل من الهِرْشِ يُريدون الهربْ
كم أُناسٍ أصبحوا فى غبطة ... وكلَ الهِرْشُ عليهم بالعطب[1]
كلُّ مَن رادَ[2] زُريحٌ بيتَهُ ... لقِىَ الذُّلَّ ووَافاهُ الحرَبْ

* * *

[ذكر خبر وقعة درب الحجارة]

وفيها كانت وقعة درب الحجارة .

* ذكر الخبر عنها :

ذكر أن هذه الوقعة كانت بحضرة درب الحجارة ؛ وكانت لأصحاب محمد على أصحاب طاهر ، قُتل فيها خلق كثير ، فقال فى ذلك عمرو بن عبد الملك العترىّ :

وَقْعةُ السبتِ يومَ درب الحِجَارَهْ ... قطعَت قِطعَةً مِنَ النَّظّارَهْ
ذاك من بعد ما تفانَوا ولكِنْ ... أهلكتهمْ غوغاؤنا بالحجارهْ
قَدِم الشُّورَجِينَ للقتل عمدًا ... قال إنّى لكُمْ أُريد الإمَارَهْ[3]
فتلقّاه كلُّ لِصٍّ مُريبٍ ... عَمَر السجنَ دهرَه بالشَّطارَهْ ٣/٨٩٤
ما عليه شىءٌ يواريه مِنْهُ ... أَيْرُه قائمٌ كمثلِ المنارَهْ
فتَوَلّوْا عنهمْ وكانُوا قديماً ... يُحسنونَ الضِّرابَ فى كلِّ غارَهْ

---

(١) المسعودى : « ركض الليل عليهم بالعطب » .

(٢) المسعودى : « كل من زار » . (٣) ورد البيت فى ط ناقصاً وأكملته من ا .

هؤلا مثلُ هؤلاكَ لدينا ليس يَرعوْن حق جارٍ وجَارَهْ[1]

كُلّ مَنْ كَانَ خامِلًا صارَ رأساً مِنْ نَعيمٍ فى عيشِه وَغَضارَهْ

حاملٌ فى يمينِهِ كلَّ يومٍ مِطرَدًا فوقَ رأسه طَيَّارَهْ

أَخرجَتْهُ من بيتها أمٌّ سوءٍ طَلَبَ النَّهبَ أُمّه العَيَّارَهْ

يشتُمُ الناسَ ما يبالى بإفصا حٍ لذى الشَّتم لا يُشير إشارَهْ

ليْسَ هذا زمان حرٍّ كريمٍ ذا زمانُ الأَنذالِ أهلِ الزَّعارهْ

كان فيها مضى القتالُ قِتــالا فهُوَ اليومَ يا علىُّ تِجارَه

وقال أيضًا :

٨٩٥/٣

بــارِيَّةٌ قَيَّرْتَ ظَاهِرَها محمَّدٌ فيهــا وَمَنصُورُ

العِزُّ والأَمنُ أَحادِيثهمْ وَقَوْلُهمُ قد أَخِذَ السُّورُ

وأَىُّ نفعٍ لكَ فى سورهمْ وأَنتَ مَقتولٌ وَمَأْسورُ ؟

قد قُتِلَتْ فُرْسَانكُمْ عَنوَةً وَهُدِمَتْ من دُورِكُمْ دُورُ

هاتوا لكمْ من قائدٍ وَاحدٍ مهذَّبٍ فى وَجهِــه نُورُ

يأَيُّهــا السَّائل عَنْ شأْننا محمَّدٌ فى القَصْرِ مَحْصورُ

* * *

[ذكر خبر وقعة باب الشماسية]

وفيها أيضاً كانت وقعة بباب الشماسية ، أُسِرَ فيها هَرْثمة .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان وإلى ما آل الأمر فيه :

ذكر عن علىّ بن يزيد[2] أنه قال : كان ينزل هَرْثمة نهر بين ، وعليه حائط وخَنْدق ، وقد أعدّ المجانيق والعرّادات ، وأنزل عبيد الله بن الوضّاح الشَّماسيّة ، وكان يخرج أحيانًا ، فيقف بباب خُراسان مشفقًا من أهل

---

(١) ورد البيت فى ط محرفاً والصواب ما أثبته من ا . (٢) ط : « زيد » ، وانظر الفهرس

العسكر ، كارهًا للحرب ، فيدعو الناس إلى ما هو عليه فيشتمه ، ويستخفّ به ؛ فيقف ساعة ثم ينصرف . وكان حاتم بن الصقْر من قوّاد محمد ؛ وكان قد واعد أصحابه الغُزاة[1] والعيّارين أن يوافوا عبيدالله بن الوضّاح ليلا ، فمضَوْا إلى عبيد الله مفاجأة وهو لا يعلم ؛ فأوقعوا به وقعة أزالوه عن موضعه ، وولّى منهزمًا ، فأصابوا له خيلاً وسلاحًا ومتاعًا كثيراً ، وغلب على الشّمّاسيّة حاتم ابن الصقر . وبلغ الخبرُ هرثمة ، فأقبل فى أصحابه لنُصرته ، وليردّ العسكر عنه إلى موضعه ؛ فوافاه أصحاب محمد ، ونشب الحرب بينهم ، وأَسَر رجل من الغُزاة هرثمة ولم يعرفه ، فحمل بعض أصحاب هرثمة على الرّجل ، فقطع يده وخلّصه ، فمرّ منهزمًا ، وبلغ خبرُه أهلَ عسكره ، فتقوّض بما فيه ، وخرج أهله هاربين على وجوههم نحو حُلوان ، وحجز أصحاب محمد الليل عن الطلب ؛ وما كانوا فيه من النّهب والأسْر . فحُدِّثت أن عسكر هرثمة لم يتراجع أهله يومين ، وقويت الغزاة بما سار فى أيديهم .

وقيل فى تلك الوقعة أشعار كثيرة ، فمن ذلك قول عمرو[2] الورّاق :

عُرْيانُ ليس بذِى قَميصٍ ... يَغدُو على طلَبِ القَميصِ
يَعْـــدُو عَلى ذِى جوشَنٍ ... يُعْمِى العيونَ من البَصيصِ
فى كفّه طَـــرَّادَةٌ ... حمـــراءُ تلمعُ كالفُصوصِ
حَرِصاً عَلى طَلَبِ القِتَا ... لِ أشدّ من حِرْص الحريصِ
سلِسَ القِيـــادِ كأنَّما ... يَغـــدُو عَلى أكلِ الخبيصِ
لَيْثاً مُغِيرًا لَم يَزَلْ ... رَأْسًا يعدّ من اللصُوصِ
أَجْرى وأثبَتَ مَقْدَماً ... فى الحرْبِ من أسدٍ رَهيصِ
يدْنو على سَنَنِ الهَوَا ... نِ وَعِيصُهُ من شَرِّ عيصِ
يَنجُو إذا كانَ النَّجا ... ءُ على أخَفَّ من القَلُوصِ
ما للكَمِىِّ إذا لِمَقْ ... تَلِهِ تَعَرَّضَ من محيصِ

٨٩٦/٣
٨٩٧/٣

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « العراة » . وكذلك فيما يأتى .
(٢) هو عمرو بن عبد الملك العترى .

كَم من شُجاعٍ فارسٍ قد بَاعَ بالثَّمَن الرَّخيصِ
يدعُو : ألا مَنْ يَشترِى رأسَ الكمِىّ بكَفٍّ شيصِ !

وقال بعض أصحاب هرثمة :

يَفنَى الزَّمانُ وما يَفنَى قتالهُمُ والدُّور تُهدَمُ والأَموالُ تَنتَقِصُ
والناسُ لا يَستَطيعُونَ الذِى طَلَبُوا لا يدفَعُون الرَّدَى عنهمْ وإن حَرَصُوا
يـأتوننا بحديثٍ لا ضياءَ لَهُ فى كلّ يوم لأَولادِ الزِّنا قصصُ

قال : ولما بلغ طاهراً ما صنع الغُزاة وحاتم بن الصقر بعبيدالله بن الوضّاح وهرثمة اشتدّ ذلك عليه ، وبلغ منه ؛ وأمر بعقد جسر على دجلة فوق الشّماسيّة ، ووجّه أصحابه وعبّأهم ، وخرج معهم إلى الجسر ، فعبروا إليهم وقاتلوهم أشدّ القتال ، وأمدّهم بأصحابه ساعة بعد ساعة حتى ردّوا أصحاب محمد ، وأزالوهم عن الشّماسيّة ، وردّ المهاجر عبيد الله بن الوضّاح وهرثمة .

قال : وكان محمد أعطى بنقض قصوره ومجالسه الخيزرانية بعد ظفر الغزاة ألفى ألفَ درهم ، فحرقها أصحاب طاهر كلها ، وكانت السقوف مذهّبة ، وقتلوا من الغزاة والمنتهبين بشراً كثيراً ، وفى ذلك يقول عمرو الوراق :

ثَقَلان وطاهر بن الحسين صبّحونا صبيحةَ الإثنينِ
جمعوا جمعَهم بليل ونادَوا اطلبوا اليومَ ثـأركم بالحسين
ضربوا طبلَهُمْ فثارَ إليهمْ كلّ صُلبِ القَناة والسَّاعِدَيْنِ
ياقَتِيلاً بالقاعِ مُلقًى على الشطِّ هواه بِطَيِّئِ الجَبَلَيْنِ[1]
ماالَّذِى فِى يَدَيْك أنتَ إذاما اصْطلحَ النَّاسُ أنتَ بالخَلّتَيْنِ
أوَزيرٌ أم قائدٌ ، بَلْ بعيدٌ أنْتَ من ذَينِ مَوضع الفرقَدَينِ
كم بصيرٍ غَدَا بعينَيْنِ كى يُبْصِرَ ما حالهم فعادَ بعين
ليس يُخْطُونَ ما يريدون ما يَعْمِد راميهمُ سِوَى الناظِرَين

(١) المسعودى : « تطأه الخيول فى الجانبين » .

٨٩٨/٣

سائلي عنهمُ همُ شرُّ مَنْ أبـ ... صَرتُ فى النَّاس ليس غيرٌ كذين
شرٌّ باقٍ وشرٌّ ماضٍ منَ النا ... س مَضَى أو رأيتُ فى الثَّقَلَيْنِ

قال : وبلغ ذلك من فعل طاهر محمداً ، فشتدّ عنيه وغمّه وأحزنه ؛ فذكر كاتب لكوثر أن محمداً قال — أو قيل على لسانه هذه الأبيات : ٣ / ٨٩٩

مُنيتُ بِأَشْجعِ الثَّقَلَيْنِ قَلْباً ... إذا ما طالَ لَيْسَ كما يطولُ
له مَعْ كلِّ ذِى بَدَنٍ رقيبٌ ... يشاهدُه ويعلمُ ما يَقُولُ
فليس بمُغْتفلٍ أمرًا عِنادًا ... إذا ما الأَمر ضَيَّعه الغَفُولُ

* * *

وفى هذه السنة ضَعُف أمر محمّد ، وأيقن بالهلاك . وهرب عبد الله بن خازم بن خزيمة من بغداد إلى المدائن ؛ فذُكر عن الحسين بن الضحاك أنّ عبد الله بن خازم بن خزيمة ظهرت له التّهمة من محمد والتّحامل عليه من السّفْلة والغوغاء ، فهمّ على نفسه وماله ، فلحق بالمدائن ليلاً فى السفن بعياله وولده ، فأقام بها ولم يحضر شيئًا من القتال .

وذكر غيرُه أن طاهراً كاتبه وحذّره قبض ضياعه واستئصاله ، فحذّره ونجا من تلك الفتنة وسلم ؛ فقال بعض قرائبه فى ذلك :

وما جَبِنَ ابن خازمَ من رَعاعٍ ... وأوباشِ الطَّغامِ من الأنام
ولكنْ خاف صَولةَ ضَيغَمىٍّ ... هَصُورٍ الشّدِّ مشهور العُرام

فذاع أمرُه فى الناس ، ومشى تجّار الكرخ بعضهم إلى بعض . فقالوا : ينبغى لنا أن نكشف أمرنا لطاهر ونُظهر له براءتنا من المعُونة عليه ، فاجتمعوا وكتبوا كتابًا أعلموه فيه أنهم أهل السمْع والطاعة والحبّ له ؛ لما يبلغهم من إيثاره طاعة الله والعمل بالحقّ ، والأخذ على يد المريب ، وأنهم غيرُ مستحلّى النظر إلى الحرْب؛ فضلاعن القتال ، وأنّ الذى يكون حزبه من جانبهم ليس منهم ، قد ضاقت بهم طرق المسلمين ؛ حتى إنّ الرّجال[1] [الذين بلوا من حربه من جاز بهم ليس منهم] ، ولا[2] لهم بالكرخ دور ولا عقار ؛ وإنّما هم ٣ / ٩٠٠

(١) ط : « الرجل » . (٢) من ا .

بين طرّار وسوّاط ونطاف[١] ، وأهل السجون. وإنما مأواهم الحمامات والمساجد، والتّجار منهم إنما هم باعة الطريق يتّجرون فى محقرات [البيوع ، قد ضاقت بهم طرق المسلمين ، حتى إن الرجل ليستقبل][٢] المرأة فى زحمة[٣] الناس فيلتثان[٤] قبل التخلص ؛ وحتى إن الشيخ ليسقط لوجهه ضعفاً ؛ وحتى إن الحامل الكيس فى حجزته وكفه ليطرّ منه ، وما لنا بهم يدان ولا طاقة ؛ ولا نملك لأنفسنا معهم شيئاً ؛ وإن بعضنا يرفع الحجر عن الطريق لما جاء فيه من الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ فكيف لو اقتدرنا على مَنْ فى إقامته عن الطريق ، وتخليده السجن ، وتنفيته عن البلاد وحسم الشرّ والشّغْب ونفى الزّعارّة والطّرّ والسرَق ، وصلاحُ الدين والدنيا ، وحاش لله أن يحاربك منا أحد!

فذكر أنهم كتبوا بهذا قصّة ، واتّعد قوم على الانسلال إليه بها ، فقال لهم أهل الرّأى منهم والحزم : لا تظنّوا أن طاهراً غبىّ عن هذا أو قصّر عن إذكاء العيون فيكم وعليكم ؛ حتى كأنه شاهدكم ؛ والرأى ألا تشهروا أنفسكم بهذا ؛ فإنا لا نأمن إن رآكم أحد من السِّفْلة أن يكون به هلاككم وذهاب أموالكم ؛ والخوفُ من تعرّضكم لهؤلاء السِّفْلة أعظمُ من طلبكم براءة السّاحة عند طاهر خوفاً ، بل لو كنتم من أهل الآثام والذنوب لكنتم إلى صفحه وتغمّده وعفوه أقرب ، فتوكّلوا على الله تبارك وتعالى وأمسكوا . فأجابوهم وأمسكوا . وقال ابن أبى طالب المكفوف :

٩٠١/٣

دَعُوا أهلَ الطَّرِيقِ فَعَنْ قليلٍ[٥] ... تَنالهمُ مخاليبُ الهَصُورِ
فتهتِكُ حُجْبَ أفئدةٍ شِدادٍ[٦] ... وشيكاً ما تصير إلى القُبُورِ
فإنَّ الله مُهلِكُهُمْ جميعاً ... بأسباب التَّمنِّى والفُجُورِ[٧]

وذكر أن الهِرْش خرج ومعه الغوغاء والغُزاة ولفيفهم حتى صار إلى جزيرة

---

(١) فى اللسان : « الطر : القطع » وربما كان الطرار هنا هو قاطع الطريق . السواط : « الضارب بالسوط ؛ والنطاف » (٢) من ا
(٣) ط : « رحمة » ، وما أثبته من ا (٤) كذا فى ا ، وفى ط لمة غامضة
(٥) المسعودى : « عن قريب » (٦) المسعودى : « أكباد شداد » .
(٧) المسعودى : « التمرد والفجور »

العبّاس ، وخرجت عصابة من أصحاب طاهر ، فاقتتلوا قتالا شديداً ؛ وكانت ناحية لم يقاتل فيها ، فصار ذلك على الوجه بعد ذلك اليوم موضعاً لقتال ؛ حتى كان الفتح منه ؛ وكان أول يوم قاتلوا فيه استعلَى أصحاب محمد على أصحاب طاهر حتى بلغوا بهم دار أبى يزيد الشروىّ . وخاف أهلُ الأرباض فى تلك النّواحى مما يلى طريق باب الأنبار ؛ فذُكر أنّ طاهرًا لما رأى ذلك وجّه إليهم قائداً من أصحابه ، وكان مشتغلا بوجوه كثيرة يقاتل منها أصحاب محمد ، فأوقع بهم فيها وقعة صَعْبة ، وغرق فى الصَّرَاة بشرٌ كثير ، وقتِل آخرون ، فقال فى هزيمة طاهر فى أوّل [يوم][1] عمرو الوراق :

نَادَى مُنَادٍ طَاهِرٍ عِنْدَنَا ... يا قومُ كُفُّوا واجْلِسُوا فى ٱلْبُيُوتْ
فَسَوْفَ يَأْتِيكُمْ غَدٌ فاحْذَرُوا ... [ليثاهريت الشدق فيه عُيُوتْ][1]
فثارتِ الغوغاءُ فى وَجْهِهِ ... بَعْدَ انتِصَافِ اللَّيْلِ قَبْلَ الْقُنُوتْ
فى يومِ سبتٍ تَرَكُوا جَمْعَهُ ... فِى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سُمودًا خُفُوتْ

وقال فى الوقعة التى كانت على أصحاب محمد :

كم قتيل قد رأينا ... ما سألْنَاهُ لأيشٍ
دَارِعًا يَلْقَاهُ عُرْيَا ... نٌ بجهلٍ وبَطيشٍ
إن تَلَقَّاهُ برُمْحٍ ... يتلقَّاهُ بِفَيْشٍ
حَبشيًّا يَقتُلُ النَّا ... سَ على قِطْعَةِ خَيْشٍ
مُرتَدٍ بالشَّمْس راضٍ ... بالمُنَى مِن كلِّ عيشٍ
يَحْمِلُ الْحَمْلَةَ لا يَقْ ... تُل إلاَّ رَأسَ جَيْشٍ
كعلِىٍّ أفراهَمَرْدٍ ... أو عَلاءٍ أو قُرَيْش
احْذَرِ الرَّمْيةَ ياطا ... هرُ من كفِّ الحُبيشِى

٩٠٢/٣

(١) من ا .

وقال أيضًا عمرو الوراق فى ذلك :

ذَهَبَتْ بَهْجَةُ بَغْدَا دَ وَكَانَتْ ذَاتَ بَهْجَهْ
فَلَها فِى كلِّ يَوْمٍ رجَّةٌ مِنْ بَعْدِ رجَّهْ
ضَجَّتِ الأَرْضُ إلى اللهِ مِنَ المُنْكَرِ ضَجَّهْ
أيّها المقتولُ مَا أنْـ تَ عَلى دِينِ المحَجَّهْ
لَيْتَ شِعْرِى ما الَّذِى نِلْـ تَ وقَدْ أَدْلجتَ دَلجهْ
أَإلى الفردوسِ وُجِّهْـ تَ أَمِ النَّارِ تُوجَّهْ
حَجَرٌ أَرْدَاكَ أم أُرْ دِيتَ قسرًا بالأَزِجَّهْ
إن تَكُنْ قَاتَلْتَ بِرًّا فعلينَا ألفُ حَجَّهْ

وذكر عن علىّ بن يزيد أن بعض الخدم حدّثه أن محمداً أمر ببيع ما بقى فى الخزائن التى كانت أنهبت ، فكتم ولاتها[١] ما فيها لتسرق ، فتضايق على محمد أمره ، وفقد ما كان عنده ، وطلب الناس الأرزاق ، فقال يومًا وقد ضجر مما يردعليه : ودِدْت أن الله عزّ وجلّ قتل الفريقين جميعًا[٢] ، وأراح النّاس منهم ؛ فما منهم إلا عدو ممن معنا وممّن علينا ؛ أما هؤلاء فيريدون مالى ؛ وأما أولئك فيريدون نفسى . وذكرت أبياتًا قيل إنه قالها : ٩٠٣/٣

تَفَرَّقُوا وَدَعُونِى يَا مَعْشَرَ الأَعْوَانِ[٣]
فكُلُّكُمْ ذُو وُجوهٍ كَخلقَةِ الإِنسانِ[٤]
وما أرى غيرَ إفكٍ وتُرّهاتِ الأمانى
ولستُ أملك شيئاً فسائِلوا خُزّانى[٥]
فالويلُ لى ما دهانى[٦] من ساكنِ البُستانِ

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « فكتم » .
(٢) إلى هنا آخر الموجود من نسخة ا فى هذا الجزء .
(٣) المسعودى : ٣ : ٤١٩ .
(٤) المسعودى : « كثيرة الأعوان » .
(٥) المسعودى : « الإخوان » .
(٦) المسعودى : « فيما دهانى » .

قال : وضعف أمر محمد ، وانتشر جنده وارتاع فى عسكره ، وأحسّ من طاهر بالعلوّ عليه وبالظفر به .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بتوجيه طاهر إياه على الموسم بأمر المأمون بذلك .

وكان على مكة فى هذه السنة داود بن عيسى .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر استيلاء طاهر على بغداد]

فمن ذلك ما كان من خلاف خُزيمة بن خازم محمّدَ بن هارون ومفارقته إياه واستئمانه إلى طاهر بن الحسين ودخول هَرْثمة الجانب الشرقيّ .

* ذكر الخبر عن سبب فراقه إياه وكيف كان الأمر فى مصيره والدخول فى طاعة طاهر :

ذكر أن السبب فى ذلك كان أنّ طاهرًا كتب إلى خُزيمة يذكر له أنّ الأمر إن يقطع بينه وبين محمد ولم يكن له أثر فى نُصرته ، لم يقصر[1] فى أمره . فلما وصل كتابه إليه شاور ثقاتِ أصحابه وأهل بيته ، فقالوا له : نرى والله أنّ هذا الرّجل أخذ بقفا صاحبنا ، فاحتلْ لنفسك ولنا ؛ فكتبَ إلى طاهر بطاعته ، وأخبره أنه لو كان هو النازل فى الجانب الشرقىّ مكان هَرْثمة لكان يحمل نفسه له على كلّ هول ، وأعلمه قلّة ثقته بهرثمة ، ويناشده ألا يحمله على مكروه من أمره إلا أن يضمن له القيام دونه ، وإدخال هرثمة إليه ليقطع الجسور ، ويُتبِعَ هو أمراً يؤثر رأيه ورضاه ؛ وأنه إن لم يضمن له ذلك ؛ فليس يسعه تعريضه للسّفلة والغَوْغاء والرّعاع والتلف . فكتب طاهر إلى هَرْثمة يلومه ويعجّزه ، ويقول : جمعتَ الأجناد ، وأتلفت الأموال ، وأقطعتها دون أمير المؤمنين ودونى ، وفى مثل حاجتى إلى الكلف والنفقات ؛ وقد وقفتُ على قوم هيّنة شوكتُهم ، يسيرٌ أمرُهم ، وقوف المحجم الهائب ؛ إنّ فى ذلك جُرمًا ؛ فاستعدّ للدخول ؛ فقد أحكمتُ الأمر على دفع العسكر وقطع الجسور ؛

٩٠٤/٣

(١) ط : « ولم » ، والعبارة فى ابن الأثير : « ولم يكن لك فى نصرى ألا أقصر فى أمرك » .

وأرجو ألاّ يختلف عليك فى ذلك اثنان إن شاء الله .

قال : وكتب إليه هرثمة : أنا عارف ببركة رأيك ، ويُمْن مشورتك ؛ فمرْ بما أحببت ؛ فلن أخالفك ؛ قال : فكتب طاهر بذلك إلى خزيمة .

وقد ذُكر أن طاهراً لما كاتب خزيمة كتب أيضًا إلى محمد بن علىّ بن عيسى بن ماهان بمثل ذلك . قيل : فلما كانت ليلة الأربعاء لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وثب خزيمة بن خازم ومحمد بن علىّ بن عيسى على جسر دجلة فقطعاه ، وركزا أعلامهما عليه ، وخلعا محمداً ، ودعوا لعبد الله المأمون ؛ وسكن أهل عسكر المهدىّ ولزموا منازلهم وأسواقهم فى يومهم ذلك ؛ ولم يدخل هرثمة حتى مضى إليه نفر يسيرٌ غيرهما من القوّاد ، فحلفوا له أنه لا يرى منهم مكروهًا ، فقبل ذلك منهم ، فقال حسين الخليع فى قطع خزيمة الجسر : ٩٠٥/٣

عَلَيْنَا جَمِيعاً من خُزَيمةَ مِنَّةٌ ... بها أَخمدَ الرحمنُ ثائرةَ الحرْبِ
تولَّى أُمورَ المسلمين بنفسهِ ... فذَبَّ وحامى عنهمُ أَشرفَ الذَّبِّ
ولولا أَبو العباسِ ما انفكَّ دَهرُنا ... يبيتُ على عتبٍ ويَغدُو على عَتْبِ[1]
خزيمةُ لم يُنكَرْ له مثلُ هَذِه[2] ... إذا اضطَرَبَتْ شرْقُ البلادِ مع الغرْب
أَناخَ بجِسْرَيْ دجلةَ القَطعَ والقنا ... شوارعُ والأَرواحُ فى راحةِ العضْبِ[3]
وَأَمَّ المَنَايَا بالْمَنَايا مُخيلةً ... تَفجَّعُ عن خَطْبٍ .وتضحكُ عن خطبِ
فكانت كنارٍ مَا كَرَتها سَحَابَةٌ ... فأَطفأَت اللَّهْبَ المُلفَّفَ باللهْبِ
وما قتلُ نفسٍ فِى نفوسٍ كثيرةٍ ... إذا صارَت الدُّنيا إلى الأَمنِ والخصبِ
بلاءُ أَبِى العباسِ غيرُ مكفَّرٍ ... إذا فَزِعَ الكَرْبُ المقيمُ إلى الكربِ ٩٠٦/٣

فذكر عن يحيى بن سلمة الكاتب أنّ طاهراً غدا يوم الخميس على المدينة الشرقية وأرباضها ، والكَرْخ وأسواقها ، وهدم قنطرَتَىِ الصّراة العتيقة والحديثة

(١) ابن الأثير : « يبيت على عتب ويعدو على عتب » .
(٢) ابن الأثير : « لم يذكر » . (٣) ابن الأثير : « الغضب » .

واشتدّ عندهما القتال ، واشتدّ طاهر على أصحابه ، وباشر القتالَ بنفسه ، وقاتل مَنْ كان معه بدار الرقيق فهزمهم حتى ألحقهم بالكَرْخ ، وقاتل طاهر بباب الكَرْخ وقصر الوضاح ، فهزمهم أصحاب محمد ورُدّوا على وجوههم ، ومرّ طاهر لايلوى على أحد حتى دخل قسراً بالسيف. وأمر مناديه فنادى بالأمان لمن لزم منزله ، ووضع بقصر الوضّاح وسوق الكرخ والأطراف قوّاداً وجنداً فى كل موضع على قدر حاجته منهم ؛ وقصد إلى مدينة أبى جعفر ، فأحاط بها وبقصر زُبيدة وقصْر الخُلْد من لدن باب الجسر إلى باب خُراسان وباب الشأم وباب الكوفة وباب البصرة وشاطئ الصّراة إلى مصبّها فى دجلة بالخيول والعدّة والسلاح ، وثبت على قتال طاهر حاتم بن الصقر والهِرْش والأفارقة ، فنصب المجانيق خلف السور على المدينة وبإزاء قَصر زُبيدة وقصر الخُلْد ورمى ، وخرج محمد بأمه وولده إلى مدينة أبى جعفر ، وتفرّق عنه عامّة جنده وخصيانه وجواريه فى السّكك والطّرق ، لا يلوى منهم أحد على أحد ، وتفرّق الغوغاء والسّفْلة ، وفى ذلك يقول عمرو الوراق :

يا طاهر الظَّهر الَّذِى ... مثـاله لم يُوجَدِ
يا سيّدَ بن السيدِ بْـ ... ـن السَّيّد بنِ السيدِ ٣/٩٠٧
رجَعَتْ إلى أعمالها الأُ ... ولى غُـزاةُ محمّدِ
منْ بينِ نَطّافٍ وسوّ ... اطٍ وبَيْنَ مُقرّدِ
وَمُجَـرَّدٍ يأْوِى إلى ... عَيَّـارةٍ ومُجَـرَّدِ
ومُقَيَّـدٍ نَقَبَ السّجو ... ن فعادَ غيرَ مقيَّدِ
ومسوَّدٍ بالنَّهب سا ... دَ وكان غيرَ مسوَّدِ
ذَلُّوا لعزِّك واستكا ... نوا بعدَ طُولِ تمرّدِ

وذُكر عن علىّ بن يزيد ، أنه قال : كنتُ يومًا عند عمرو الوراق أنا وجماعة ، فجاء رجل ، فحدّثنا بوقعة طاهر بباب الكَرْخ وانهزام الناس عنه ،

فقال عمرو : ناولنى قدحًا ، وقال فى ذلك :

خُذهَا فلِلخَمْرةِ أسماءُ[1] لهــا دواءٌ ولَهَــا دَاءُ
يُصلِحها الماءُ إذا صُفِّقتْ يوماً وَقَدْ يُفسِدُها الماءُ
وقائلٍ كانت لهم وَقعَةٌ فى يومِنــا هذا وأشياءُ
قلتُ له : أنت امرؤ جاهلٌ فيكَ عن الخَيْرَاتِ إبطاءُ
اشْرَبْ ودَعْنَا مِن أحاديثِهِمْ يَصْطَلِحُ النَّاس إذا شاءوا

قال : ودخل علينا آخر ، فقال : قاتل فلان الغُزاة ، وأقدم فلان ، وانتهب فلان . قال : فقال أيضًا :

أىُّ دهرٍ نحنُ فيهِ مَاتَ فِيــهِ الكُبَراءُ
هذهِ السِّفْلَةُ والغَوْ غاءُ فينــا أُمناءُ
ما لنا شىءٌ من الأَشْ ياءِ إلَّا ما يشاءُ
ضجَّت الأَرض وقدضجَّ ت إلى الله السَّماءُ
رُفع الدِّينُ وقد ها نت على الله الدِّمــاءُ
يا أبا مُوسى لك الخير راتُ قَدْ حَانَ اللِّقَاءُ
هاكَهــا صِرْفًا عُقارًا قد أتاك النُّدَماءُ

٩٠٨/٣

وقال أيضًا عمرو الوراق فى ذلك :

إذا ما شِئتَ أن تُغْضِ بَ جُنــديًّا وتستامرْ
فقل : يا معشر الأَجنا دِ قد جاءَكُمُ طاهِرْ

* * *

قال وتحصّن محمد بالمدينة هو ومن يقاتل معه ، وحصره طاهر وأخذ عليه الأبواب ، ومنع منه ومن أهل المدينة الدقيقَ والماء وغيرهما .

(١) ابن الأثير : «فخذها» .

فذكر عن الحسين بن أبى سعيد أنّ طارقًا الخادم — وكان من خاصّة محمد ، وكان المأمون بعد مقدمه أخبره أنّ محمدًا سأله يومًا من الأيام وهو محصور ، أو قال فى آخر يوم من أيامه ، أن يطعمه شيئًا — قال : فدخلت المطبخ فلم أجد شيئًا ، فجئت إلى جمرة العطارة — وكانت جارية الجوهر — فقلت لها : إن أمير المؤمنين جائع ، فهل عندك شىء ، فإنى لم أجد فى المطبخ شيئًا ؟ فقالت لجارية لها يقال لها بنان : أىّ شىء عندك ؟ فجاءت بدجاجة ورغيف ، فأتيته بهما فأكل ، وطلب ماء يشربه فلم يوجد فى خزانة الشّراب ، فأمسى وقد كان عزم على لقاء هرثمة ؛ فما شرب ماء حتى أتى عليه .

وذكر عن محمد بن راشد أنّ إبراهيم بن المهدىّ أخبره أنه كان نازلاً مع محمد المخلوع فى مدينة المنصور فى قصره بباب الذّهب ، لما حصره طاهر . قال : فخرج ذاتَ ليلة من القصر يريد أن يتفرّج من الضّيق الذى هو فيه ، فصار إلى قصر القرار — فى قرْن الصّراة ، أسفل من قصر الخلد — فى جوف الليل ، ثم أرسل إلىّ فصرت إليه ، فقال : يا إبراهيم ، أما ترى طيبَ هذه الليلة ، وحسن القمر فى السماء ، وضوءه فى الماء ! ونحن حينئذ فى شاطئ دجلة ، فهل لك فى الشّرب ! فقلت : شأنَك ، جعلنى الله فداك ! فدعا برطل نبيذ فشربه ، ثم أمر فسُقيت مثله . قال : فابتدأتُ أغنّيه من غير أن يسألنى ؛ لعلمى بسوء خلقه ، فغنّيت ما كنت أعلم أنه يحبّه ، فقال لى : ما تقول فيمن يضرب عليك ؟ فقلت : ما أحوجنى إلى ذلك ؛ فدعا بجارية متقدّمة عنده يقال لها ضَعْف ، فتطيّرت من اسمها ؛ ونحن فى تلك الحال التى هو عليها ، فلما صارت بين يديه ، قال : تغنّىْ ، فغنّت بشعر النابغة الجعدىّ :

٩٠٩/٣

كُليبٌ لعَمرى كان أكثرَ ناصرًا وأيسر ذَنباً منك ضُرّجَ بالدَّم[1]

قال : فاشتدّ ما غنّت به عليه ، وتطاير منه ، وقال لها : غنّى غير هذا ، فتغنّت :

---

[1] ديوانه ١٤٣ .

أبكى فِراقهُمْ عَيْنِى وأرّقها[1] إنَّ التفرّقَ للأحباب بَكّاءُ
ما زالَ يَعْدُو عليهمْ ريبُ دهرهمُ حتى تَفانَوْا وريْبُ الدّهرِ عَدّاءُ

فقال لها : لعنك الله ! أما تعرفين من الغناء شيئًا غير هذا ! قالت : يا سيّدى ، ما تغنّيت إلا بما ظننت أنك تحبّه ؛ وما أردت ما تكرهه ؛ وما هو إلا شيء جاءنى . ثم أخذت فى غناء آخر : ٩١٠/٣

أَما وَرَبِّ السُّكُون والحَرَكِ إنَّ المنايا كثيرةُ الشَّرَكِ
ما اختلفَ الليلُ والنَّهار ولا[2] دارت نُجوم السَّماء فى الفَلَكِ
إلا لنقل النَّعيم من مَلِكٍ عانٍ بحُبِّ الدُّنيا إلى مَلِكِ
ومُلْكُ ذى العرشِ دائمٌ أبدًا ليس بفانٍ ولا بمشتَرَكِ

فقال لها : قومى غضب الله عليك ! قال : فقامت . وكان له قَدَحٌ بلّور حسن الصنعة ، وكان محمد يسميه زُبّ رُباح ، وكان موضوعًا بين يديه ، فقامت الجارية منصرفة فتعثّرت بالقَدَح فكسرته — قال إبراهيم : والعجب أنا لم نجلس مع هذه الجارية قطّ إلا رأينا ما نكره فى مجلسنا ذلك — فقال لى : ويحك يا إبراهيم ! ما ترى ما جاءت به هذه الجارية ؛ ثم ما كان من أمر القدح ! والله ما أظنّ أمرى إلا وقد قَرُب ، فقلت : يطيل الله عمرَك ، ويعزّ ملكك ، ويديم لك ، ويكبت عدوَّك . فما استمّ الكلام حتى سمعنا صوتًا من دِجْلة : ﴿قُضِىَ الأمرُ الّذِى فيه تَسْتَفْتيان﴾[3] ، فقال : يا إبراهيم ، ما سمعتَ ما سمعتُ ! قلت : لا والله ، ما سَمعتُ شيئًا — وقد كنتُ سمعت — قال : تسمع حسًّا ! قال : فدنوتُ من الشطّ فلم أر شيئًا ، ثم عاودنا الحديث ، فعاد الصوت : ﴿قُضِىَ الأمْرُ الّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ ، فوثب من مجلسه ذلك مغتمًّا ، ثم ركب فرجع إلى موضعه بالمدينة ، فما كان بعد هذا إلا ليلة أو ليلتان حتى حدث ما حدث من قتله ، وذلك يوم الأحد لستّ — أو لأربع — خلون من صفر ، سنة ثمان وتسعين ومائة . ٩١١/٣

(١) ابن الأثير : « أبكى فراقكم عينى فأرقها » .
(٢) ابن الأثير : « وما » . (٣) سورة يوسف : ٤١ .

وذكر عن أبى الحسن المدائنىّ ؛ قال : لما كان ليلة الجمعة لسبع بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ؛ دخل محمد بن هارون مدينة السلام هاربًا من القصر الذى كان يقال له الخُلْد ، ممّا كان يصل إليه من حجارة المنجنيق ، وأمر بمجالسه وبُسطه أن تحرق فأحرقت ؛ ثم صار إلى المدينة ؛ وذلك لأربع عشرة شهراً ، منذ ثارت الحرب مع طاهر إلا اثنى عشر يوماً .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل الأمين]

وفى هذه السنة قتل محمد بن هارون .

• ذكر الخبر عن مقتله :

ذُكر عن محمد بن عيسى الجُلُودىّ أنه قال : لما صار محمد إلى المدينة ، وقرّ فيها ، وعلم قوّاده أنه ليس لهم ولا له فيها عُدّة للحصار ، وخافوا أن يُظْفَر بهم ؛ دخل على محمد حاتم بن الصقر ومحمد بن إبراهيم بن الأغلب الإفريقىّ وقوّاده ، فقالوا : قد آلت حالُك وحالنا إلى ما ترى ؛ وقد رأينا رأيًا نعرضه عليك ؛ فانظر فيه واعتزم عليه ؛ فإنّا نرجو أن يكون صوابًا ، ويجعل الله فيه الخيرة إن شاء الله . قال : ما هو ؟ قالوا : قد تفرّق عنك الناس ، وأحاط بك عدوُّك من كلّ جانب ، وقد بَقِىَ من خيلك معك ألفُ فرس من خيارها وجيادها ؛ فنرى أن نختار مَن[1] قد عرفناه بمحبّتك من الأبناء سبعمائة رجل ، فنحملهم على هذه الخيل ونخرج ليلاً على باب من هذه الأبواب فإن الليل لأهله ؛ ولن يثبت لنا أحد إن شاء الله ؛ فنخرج حتى نلحق بالجزيرة والشأم فتفرض الفروض ، وتجبى الخراج ، وتصير فى مملكة واسعة ، ومُلْك جديد ، فيسارع إليك الناس ، وينقطع عن طلبك الجنود ، وإلى ذلك ما قد أحدث الله عزّ وجلّ فى مَكَرّ الليل والنهار أمورًا . فقال لهم : نعم ما رأيتم ؛ واعتزم على ذلك .

٩١٢/٣

وخرج الخبر إلى طاهر ؛ فكتب إلى سليمان بن أبى جعفر ، وإلى محمد بن

(١) ابن الأثير : « من » .

عيسى بن نَهيك وإلى السندىّ بن شاهك : والله لئن لم تـقرّوه وتردّوه عن هذا الرّأى لا تركت لكم ضَيْعةً إلا قبضتُها ، ولا تكون لى همّة إلا أنفسكم . فدخلوا على محمد ، فقالوا : قد بلغَنا الذى عزمتَ عليه ؛ فنحن نذكّرك الله فى نفسك ! إن هؤلاء صعاليك ، وقد بلغ الأمر إلى ما ترى من الحصار ، وضاق عليهم المذهب ، وهم يرْون ألا أمان لهم على أنفسهم وأموالهم عند أخيك وعند طاهر وهَرْثمة لما قد انتشر عنهم من مُباشرة الحرب والجدّ فيها ؛ ولسنا نأمن إذا برزوا بك ، وحصلتَ فى أيديهم أن يأخذوك أسيراً ، ويأخذوا رأسك فيتقرّبوا بك ، ويجعلوك سبَب أمانهم ؛ وضربوا له فيه الأمثال .

قال محمد بن عيسى الجُلُودىّ : وكان أبى وأصحابه قُعوداً فى رواق البيت الذى محمد وسليمان وأصحابه فيه . قال : فلما سمعوا كلامَهم ، ورأوا أنه قد قبله مخافة أن يكون الأمر على ما قالوا له ؛ همُّوا أن يدخلوا عليهم فيقتلوا سليمان وأصحابه ؛ ثم بدا لهم وقالوا : حَرْبٌ من داخل ، وحَربٌ من خارج . فكفُّوا وأمسكوا .

قال محمد بن عيسى : فلما نكت ذلك فى قلب محمد ، ووقع فى نفسه ما وقع منه ، أضرب عما كان عزم عليه ، ورجع إلى قبول ما كانوا بذلُوا له من الأمان والخروج ؛ فأجاب سليمان والسندىّ ومحمد بن عيسى إلى ما سألوه من ذلك ، فقالوا : إنما غايتك اليوم السلامة واللهو ، وأخوك يتركك حيثُ أحببت ، ويفردك فى موضع ، ويجعل لك كلَّ ما يصلحك وكلَّ ما تحبّ وتهوى ؛ وليس عليك منه بأس ولا مكروه . فركن إلى ذلك ، وأجابهم إلى الخروج إلى هرثمة .

٩١٣ ٣

قال محمد بن عيسى : وكان أبى وأصحابُه يكرهون الخروجَ إلى هرثمة ؛ لأنهم كانوا من أصحابه ، وقد عرفوا مذاهبه ، وخافوا أن يجفوهم ولا يخصّهم ، ولا يجعل لهم مراتب ، فدخلوا على محمد فقالوا له : إذ أبيتَ أن تقبل منا ما أشرنا عليك — وهو الصواب — وقبلتَ من هؤلاء المداهنين ، فالخروج إلى

طاهر خير لك من الخروج إلى هرثمة . قال محمد بن عيسى : فقال لهم : ويحكم! أنا أكره طاهراً ؛ وذلك أنى رأيت فى منامى كأنى قائم على حائط من آجرّ شاهق فى السماء ، عريض الأساس وثيق ، لم أر حائطاً يشبهه فى الطول والعرض والوثاقة ، وعلىّ سوادى ومنطقتى وسيفى وقلنسوتى وخفّى ؛ وكان طاهر فى أصل ذلك الحائط ، فما زال يضرب أصلَه حتى سقط الحائط وسقطتُ ، وندَرتْ قلنسوتى من رأسى ، وأنا أتطيّر من طاهر ، وأستوحش منه ، وأكره الخروج إليه لذلك ؛ وهرثمةُ مولانا وبمنزلة الوالد ، وأنا به أشدُّ أنساً وأشدّ ثقة .

وذُكِر عن محمد بن إسماعيل ، عن حفص بن أرميائيل ، أنّ محمداً لمّا أراد أن يعبُر من الدّار بالقرار إلى منزل كان فى بستان موسى — وكان له جسر فى ذلك الموضع — أمر أن يُفرش فى ذلك المجلس ويطيَّب . قال : فمكثتُ ليلتى أنا وأعوانى نتّخذ الروائح والطيب ونكتِّب[1] التفاح والرّمان والأترجّ ، ونضعه فى البيوت ؛ فسهرت ليلتى أنا وأعوانى ؛ ولمّا صليت الصبح دفعت إلى عجوز قطعةَ بخور من عنبر ، فيها مائة مثقال كالبِطّيخة ، وقلت لها : إنى سهرت ونعست نعاساً شديداً ؛ ولا بدّ لى من نومة ، فإذا نظرتِ إلى أمير المؤمنين قد أقبل على الجِسْر ، فضعى هذا العنبر على الكانون . وأعطيتُها كانوناً من فضة صغيراً عليه جمر ، وأمرتها أن تنفخ حتى تحرقها كلّها ، ودخلت حرّاقة فنمت ، فما شعرت إلا وبالعجوز قد جاءت فزِعة حتى أيقظتنى ، فقالت لى : قم يا حفص ؛ فقد وقعتَ فى بلاء ، قلت : وما هو ؟ قالت : نظرتُ إلى رجل مقبل على الجسر منفرد ، شبيه الجسم بجسم أمير المؤمنين ، وبين يديْه جماعة وخلفه جماعة ؛ فلم أشكّ أنه هو ؛ فأحرقت العنبرة ، فلما جاء ، فإذا هو عبد الله بن موسى ، وهذا أمير المؤمنين قد أقبل . قال : فشتمتُها وعنّفتها . قال : وأعطيتها أخرى مثل تلك لتحرقها بين يديه ، ففعلت ؛ وكان هذا من أوائل الإدبار .

٩١٤/٣

وذكر علىّ بن يزيد ، قال : لما طال الحصار على محمد ، فارقه سليمان بن أبى جعفر وإبراهيم بن المهدىّ ومحمد بن عيسى بن نهيك ، ولحقوا جميعاً

(١) نكتب : نجمع .

بعسكر المهدىّ ، ومكث محمد محصوراً فى المدينة يوم الخميس ويوم الجمعة والسبت . وناظر محمدٌ أصحابَه ومَنْ بقىَ معه فى طلب الأمان ؛ وسألهم عن الجهة فى النجاة من طاهر ؛ فقال له السندىّ : والله يا سيدى ؛ لئن ظفر بنا المأمون لعلَى رغْم منا وتَعْس جدودنا ؛ وما أرى فرجًا إلا هرثمة . قال له : وكيف بهرثمة ؛ وقد أحاط الموت بى من كلّ جانب ! وأشار عليه آخرون بالخروج إلى طاهر وقالوا : لو حلفتَ له بما يتوثّق به منك أنك مفوّض إليه ملكك ؛ فلعلّه كان سيرْكَنُ إليك. فقال لهم : أخطأتم وجهَ الرأى ، وأخطأتُ فى مشاورتكم ؛ هل كان عبد الله أخى لو جهد نفسه وولىَ الأمور برأيه بالغًا عشر ما بلغه له طاهر ! وقد محصّتُه وبحثت عن رأيه ، فما رأيته يميل إلى غدر به ؛ ولا طمع فيما سواه ؛ ولو أجاب إلى طاعتى ، وانصرف إلىّ ثم ناصبنى أهلُ الأرض ما اهتممت بأمر ؛ ولوددت أنه أجاب إلى ذلك ، فمنحته خزائنى وفوّضت إليه أمرى ، ورضيت أن أعيش فى كنفه ؛ ولكنى لا أطمع فى ذلك منه . فقال له السندىّ : صدقتَ يا أميرَ المؤمنين ؛ فبادر بنا إلى هرْثمة ؛ فإنه يرى ألاّ سبيل عليك إذا خرجت إليه من الملك ؛ وقد ضمن إلىّ أنه مقاتل دونك إنْ همّ عبد الله بقتلك ؛ فاخرج ليلاً فى ساعة قد نُوِّم الناس فيها ؛ فإنّى أرجُو أن يغبَى على الناس أمرُنا .

٩١٥/٣

وقال أبو الحسن المدائنىّ : لما همّ محمد بالخروج إلى هرْثمة ، وأجابه إلى ما أراد ، اشتدّ ذلك على طاهر ، وأبى أن يرفِّه عنه ويدَعه يخرج ، وقال : هو فى حيِّزى والجانب الذى أنا فيه ، وأنا أخرجتُه بالحصار والحرب ؛ حتى صار إلى طلب الأمان ؛ ولا أرضى أن يخرج إلى هرثمة دونى ؛ فيكون الفتح له .

٩١٦/٣

ولما رأى هرثمةُ والقوّاد ذلك ، اجتمعوا فى منزل خُزيمة بن خازم ؛ فصار إليهم طاهر وخاصّة قواده ، وحضرهم سليمان بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندىّ بن شاهك ، وأداروا الرّأىَ بينهم ، ودبّروا الأمر ، وأخبروا طاهراً أنه لا يخرج إليه أبداً ، وأنه إن لم يجَبْ إلى ما سأل لم يؤمن أن يكون الأمر فى أمره مثله فى أيام الحسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان ؛ فقالوا له :

يخرج ببدنه إلى هرثمة — إذْ كان يأمن به ويثق بناحيته ، وكان مستوحشًا منك ، ويدفع إليك الخاتم والقضيب والبُرْدة — وذلك الخلافة — ولا تفسدْ هذا الأمر واغتنمه إذ يسّره الله . فأجاب إلى ذلك ورضى به . ثم قيل : إن الهرْش لما علم بالخبر ، أراد التقرّب إلى طاهر ، فخبّره أنّ الذى جرى بينهم وبينه مكر ، وأنّ الخاتم والبردة والقضيب تحمل مع محمد إلى هرثمة . فقبل طاهر ذلك منه ، وظنّ أنه كما كتب به إليه ، فاغتاظ وكمّن حول قصر أم جعفر وقصور الخُلْد كمناء بالسلاح ومعهم العتَل والفؤوس ، وذلك ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، وفى الشهر السريانى خمسة وعشرون من أيلول .

فذكر الحسن بن أبى سعيد ، قال : أخبرنى طارق الخادم ، قال : لما همّ محمد بالخروج إلى هرْثمة عطش قبل خروجه ، فطلبتُ له فى خزانة شرابه ماء فلم أجده . قال : وأمسى فبادر يُريد هرثمة للوعْد الذى كان بينه وبينه ؛ ولبس ثياب الخلافة ؛ درّاعة وطيلسانًا والقلنسوة الطويلة ، وبين يديه شمعة . ٩١٧/٣ فلما انتهينا إلى دار الحرس من باب البصرة ، قال : اسقنى من جباب الحرس ، فناولته كوزًا من ماء ، فعافه لزُهوكته[1] فلم يشرب منه ؛ وصار إلى هرْثمة . فوثب به طاهر ، وأكمن له نفسه فى الخُلْد ؛ فلما صار إلى الحرّاقة[2] ؛ خرج طاهر وأصحابه فرموا الحرّاقة بالسهام والحجارة ، فمالوا ناحية الماء ، وانكفأت الحرّاقة ؛ فغرق محمد وهرثمة ومن كان فيها ، فسبح محمد حتى عبر وصار إلى بستان موسى ، وظنّ أن غرَقه إنما كان حيلة من هرثمة ، فعبر دجلة حتى صار إلى قرب الصّراة ، وكان على المسلحة إبراهيم بن جعفر البلخىّ ومحمد بن حُميد هو ابن أخى شكلة أم إبراهيم بن المهدى — وكان طاهر ولاه وكان إذا ولّى رجلاً من أصحابه خُراسانيًّا ضم إليه قومًا — فعرفه محمد بن حُميد وهو المعروف بالطاهرىّ ؛ وكان طاهر يقدّمه فى الولايات ، فصاح بأصحابه فنزلوا ، فأخذوه ، فبادر محمدًا لمًّا ، فأخذ بساقيه فجذبه ، وحُمل على

(١) الزهوكة : الرائحة الكريهة .

(٢) الحراقة : نوع من السفن ؛ فيها مرامى نيران يرمى بها .

بِرْذون ، وألقِىَ عليه إزار من أُزُر الجند غير مفتول ؛ وصار به إلى منزل إبراهيم بن جعفر البلخىّ ، وكان ينزل بباب الكوفة ، وأردف رجلا خلفَه يمسكه لئلا يسقط ، كما يُفعل بالأسير .

فذكر عن الحسن بن أبى سعيد، أن خطّاب بن زياد حدّثه أنّ محمدًا وهرثمة لما غرقا، بادر طاهر إلى بُستان مؤنسة، بإزاء باب الأنبار، موضع معسكره لئلا يُتّهم بغرق هَرْثمة. قال: فلما انتهى طاهر — ونحن معه فى الموكب والحسن ابن علىّ المأمونىّ والحسن الكبير الخادم للرشيد — إلى باب الشأم، لحقَنا محمد بن حميد ، فترجّل ودنا من طاهر ، فأخبره أنه قد أسر محمداً ، ووجّه به إلى باب الكوفة إلى منزل إبراهيم البلخىّ . قال : فالتفت إلينا طاهر ، فأخبرنا الخبر، وقال: ما تقولون ؟ فقال له المأمونى: «مَكِّن» ، أى لاتفعل فعْل حسين ابن علىّ . قال : فدعا طاهر بمولًى له يقال له قريش الدّندانىّ ، فأمره بقتل محمد . قال : واتّبعه طاهر يريد باب الكوفة إلى الموضع . ٩١٨/٣

وأما المدائنىّ فإنه ذكر عن محمد بن عيسى الجُلودىّ ، قال : لما تهيّأ للخروج — وكان بعد عشاء الآخرة من ليلة الأحد — خرج إلى صحن القصر ، فقعد على كرسىّ ، وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود ؛ فدخلنا عليه ، فقمنا بين يديه بالأعمدة . قال : فجاء كتلة الخادم، فقال: يا سيّدى، أبو حاتم يقرئك السلام ، ويقول : يا سيّدى وافيت للميعاد لحملك ، ولكنى أرى ألا تخرج الليلة ؛ فإنى رأيتُ فى دجلة على الشطّ أمراً قد رابنى ، وأخاف أن أغلَب فتؤخذ من يدى أو تذهب نفسك ؛ ولكن أقِمْ بمكانك حتى أرجع ثم أستعدّ ثم آتيك القابلةَ فأخرجك ؛ فإن حُوربت حاربتُ دونك ومعى عُدّتى . قال : فقال له محمد : ارجع إليه ، فقل له : لا تبرح ؛ فإنى خارج إليك الساعة لا محالة ، ولستُ أقيم إلى غد . قال : وقلق وقال : قد تفرّق عنى الناس ومَنْ على بابى من الموالى والحرَس ، ولا آمن إن أصبحت وانتهى الخبر بتفريقهم إلى طاهر أن يدخل علىّ فيأخذنى . ودعا بفرس له أدهم محذوف أغرّ محجّل، كان يسميه الزهرىّ[1] ، ثم دعا بابنيه فضمّهما إليه، وشمّهما وقبّلهما ،

---

(١) المسعودى : « الزهيرى » .

٣/٩١٩ وقال : أستودعكما الله ؛ ودمعتْ عيناه ، وجعل يمسح دموعه بكمِّه ، ثم قام فوثب على الفرس ، وخرجنا بين يديه إلى باب القصر ؛ حتى ركبنا دوابّنا ؛ وبين يديه شمعة واحدة . فلما صرنا إلى الطاقات ممّا يلى باب خراسان ، قال لى أبى : يا محمد، ابسط يدك عليه؛ فإنى أخاف أن يضربه إنسان بالسيف ؛ فإن ضُرب كان الضرب بك دونه . قال: فألقيتُ عنان فرسى بين معرّفته ، وبسطت يدى عليه حتى انتهينا إلى باب خُراسان، فأمرنا به ففتح ، ثم خرجنا إلى المشرعة ، فإذا حرّاقة هرثمة، فرَقِىَ إليها ، فجعل الفرس يتلكّأ وينفر ، وضربه بالسوط وحمله عليها ، حتى ركبها فى دجْلة ، فنزل فى الحرّاقة ، وأخذنا الفرس ، ورجعنا إلى المدينة ، فدخلناها وأمرنا بالباب فأغلق ؛ وسمعنا الواعيةَ ، فصعدنا على القبّة التى على الباب ؛ فوقفنا فيها نسمع الصوت .

فذُكر عن أحمد بن سلام صاحب المظالم أنه قال : كنت فيمن ركب مع هَرْثمة من القُوّاد فى الحرّاقة ، فلما نزلها محمد قمنا على أرجلنا إعظامًا ، وجثَى هَرْثمة على ركبتيه ، وقال له : يا سيّدى ، ما أقدر على القيام لمكان النِّقْرس الذى بى ، ثم احتضنه وصيّره فى حِجْره ، ثم جعل يقبّل يديه ورجليه وعينيه ، ويقول : يا سيدى ومولاى وابن سيدى ومولاى . قال : وجعل يتصفّح وجوهنا ، قال : ونظر إلى عبيد الله بن الوضّاح ، فقال له : أيّهم أنت ؟ قال : أنا عبيد الله بن الوضّاح ، قال : نعم ، فجزاك الله خيراً ، فما أشكرنى لِمَا كان منك من أمر الثلج ! ولو قد لقيت أخى أبقاه الله لم أدعْ أن أشكرك عنده ،

٣/٩٢٠ وسألته مكافأتك عنّى . قال : فبينا نحن كذلك — وقد أمر هرثمة بالحرّاقة أن تُدفع — إذ شدّ علينا أصحاب طاهر فى الزّواريق والشذَوات[١] وعَطْعطوا[٢] وتعلقوا بالسُّكان[٣] ، فبعضٌ يقطع السّكان، وبعضٌ ينقب الحرّاقة، وبعض يرمى بالآجرّ والنشاب . قال: فنقِبت الحرّاقة، فدخلها الماء فغرقت، وسقط هَرْثمة إلى الماء ، فأخرجه ملاّح ؛ وخرج كلّ واحد منا على حِيَلْه ؛ ورأيت

---

(١) الشذوات : ضرب من السفن ؛ واحده شذاة .

(٢) العطعطة : تتابع الأصوات واختلافها .

(٣) السكان : ذنب السفينة الذى به تعدل .

محمداً حين صار إلى تلك الحال قد شقّ عليه ثيابه ، ورمى بنفسه إلى الماء . قال : فخرجت إلى الشطّ ، فعلقنى رجل من أصحاب طاهر ؛ فمضى بى إلى رجل قاعد على كرسىّ من حديد على شطّ دجلة فى ظهر قصر أمّ جعفر ، بين يديه نار توقد ، فقال بالفارسية : هذا رجل خرج من الماء ممن غرق من أهل الحَرّاقة ، فقال لى : مَنْ أنت ؟ قلت : من أصحاب هرثمة ؛ أنا أحمد ابن سلاّم صاحب شُرطة مولى أمير المؤمنين ، قال : كذبتَ فاصدقنى ، قال : قلت. قد صدقتك ، قال : فما فعل المخاوع ؟ قلت : قد رأيتُه حين شقّ عليه ثيابه ، وقذف بنفسه فى الماء قال : قدّموا دابّتى ؛ فقدموا دابّته ، فركب وأمر بى أن أجنَب . قال : فجُعل فى عنقى حبل وجُنبت ؛ وأخذ فى درب الرشديّة ، فلما انتهى إلى مسجد أسد بن المرزبان ، انبهرتُ من العَدْو فلم أقدر أن أعدو ، فقال الذى يجنُبنى : قد قام هذا الرّجل ؛ وليس يعدو ، قال : انزل ، فحُزّ رأسه ، فقلت له : جعلت فداك ! لِمَ تقتلنى وأنا رجل علىّ من الله نعمة ، ولم أقدر على العدْو ، وأنا أفدى نفسى بعشرة آلاف درهم . قال : فلما سمع ذكر العشرة آلاف درهم ، قلت : تحبسنى عندك حتى تصبح وتدفع إلىّ رسولا حتى أرسله إلى وكيلى فى منزلى فى عسكر المهدىّ ، فإنْ لم يأتك بالعشرة آلاف فاضرب عنقى . قال : قد أنصفت ، فأمر بحملى ، فحُملت رِدْفًا لبعض أصحابه ، فمضى بى إلى دار صاحبه ، دار أبى صالح الكاتب ؛ فأدخلنى الدار ، وأمر غلمانه أن يحتفظوا بى ، وتقدّم إليهم ، وأوعز وتفهّم منى خبر محمد ووقوعَه فى الماء ، ومضى إلى طاهر ليخبره خبره ؛ فإذا هو إبراهيم البلخىّ . قال : فصيرّنى غلمانه فى بيت من بيوت الدار فيه بوارٍ ووسادتان أو ثلاث — وفى رواية حُصر مُدرّجة — قال : فقعدت فى البيت ، وصيّروا فيه سراجًا ، وتوثّقوا من باب الدار ، وقعدوا يتحدثون . قال : فلما ذهب من الليل ساعة ؛ إذا نحن بحركة الخيل فدقوا الباب ، ففتح لهم ، فدخلوا وهم يقولون : «يُسَرِ زبيدة». قال : فأدخِل علىّ رجل عُريان عليه سراويل وعمامة متلثّم بها ، وعلى كتفيه خرقة خلَقة ، فصيّروه معى ، وتقدموا إلى مَنْ فى الدار فى حفظه ، وخلفوا معهم قومًا آخرين أيضًا منهم .

٩٢١/٣

قال: فلما استقرّ فى البيت حسَر العمامة عن وجهه؛ فإذا هو محمد، فاستعبرت واسترجعت فيما بينى وبين نفسى. قال: وجعل ينظر إلىّ، ثم قال: أيهم أنت؟ قال: قلت: أنا مولاك يا سيّدى، قال: وأىّ الموالى؟ قلت: أحمد بن سلام صاحب المظالم، فقال: وأعرفك بغير هذا، كنت تأتينى بالرّقة؟ قال: قلت: نعم، قال: كنت تأتينى وتُلطفنى كثيراً، لست مولاىَ بل أنت أخى ومنّى. ثم قال: يا أحمد، قلت: لبّيك يا سيدى؛ قال: ادن منى وضُمّنى إليك، فإنى أجدُ وحشة شديدة. قال: فضممته إلىّ، فإذا قلبه يخفق خفَقْاً شديداً كاد أن يفرَج عن صدره فيخرج. قال: فلم أزل أضمّه إلىّ وأسكّنه. قال: ثم قال: يا أحمد، ما فعل أخى؟ قال: قلت: هو حىّ، قال: قبح الله صاحب بريدهم ما أكذبه! كان يقول: قد مات، شبه المعتذر من محاربته؛ قال: قلت: بل قبح الله وزراءك! قال: لا تقُل لوزرائى إلاّ خيراً، فما لهم ذنب؛ ولستُ بأوّل من طلب أمراً فلم يقدر عليه. قال: ثم قال: يا أحمد، ما تراهم يصنعون بى؟ أتراهم يقتلونى أو يفون لى بأيمانهم[1]؟ قال: قلت: بل يفون لك ياسيّدى. قال: وجعل يضمّ على نفسه الخرقةَ التى على كتفيه، ويضمها ويمسكها بعضُده يمْنةً ويسرة. قال: فنزعتُ مبطّنة كانت علىّ ثم قلت: يا سيدى، ألقِ هذه عليك. قال: ويحك! دعنى، هذا من الله عزّ وجلّ، لى فى هذا الموضع خير.

قال: فبينا نحن كذلك، إذ دقّ باب الدار، ففُتح، فدخل علينا رجل عليه سلاحه، فتطلّع فى وجهه مستثبتاً له، فلما أثبتَه معرفة، انصرف وغلّق الباب؛ وإذا هو محمد بن حميد الطاهرىّ، قال: فعلمت أن الرّجل مقتول. قال: وكان بقىَ علىّ من صلاتى الوتر، فخفت أن أقتلَ معه ولم أوتِر، قال: فقمت أوتر، فقال لى: يا أحمد، لا تتباعد منى، وصلّ إلى جانبى، أجد وحشة شديدة. قال: فاقتربت منه؛ فلما انتصف الليل أو قارب، سمعت حركة الخيل، ودقّ الباب، ففُتح، فدخل الدار قوم من العجم بأيديهم السيوف مسلّلة، فلما رآهم قام قائماً، وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! ذهبت والله

٩٢٢/٣

(١) ابن الأثير: «بأمانهم».

نفسى فى سبيل الله ! أما من حيلة ! أما مَنْ مغيث ! أما من أحد من الأبناء ! ٣/٩٢٣
قال : وجاءوا حتى قاموا على باب البيت الذى نحن فيه . فأحجموا عن الدخول ، وجعل بعضهم يقول لبعض : تقدَّم ، ويدفع بعضهم بعضاً . قال : فقمتُ فصرتُ خلف الحُصُر المدرَّجة فى زاوية البيت ، وقام محمد ، فأخذ بيده وسادة ، وجعل يقول : وَيْحكم ! إنى ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا ابن هارون ؛ وأنا أخو المأمون ، اللهَ اللهَ فى دمى ! قال : فدخل عليه رجل منهم يقال له خمارويه – غلام لقريش الدندانىّ مولى طاهر – فضربه بالسيف ضربة وقعت على مقدَّم رأسه ؛ وضرب محمد وجهه بالوسادة التى كانت فى يده ، واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده فصاح خمارويه : قتلنى قتلنى – بالفارسية قال : فدخل منهم جماعة ، فنخسه واحد منهم بالسيف فى خاصرته ، وركبوه فذبحوه ذبحاً من قفاه ، وأخذوا رأسه ، فمضوا به إلى طاهر ، وتركوا جثته .
قال : ولما كان فى وقت السحر جاءوا إلى جثته فأدرجوها فى جُلّ ، وحملوها .
قال : فأصبحت فقيل لى : هات العشرة آلاف درهم وإلا ضربنا عنقك .
قال : فبعثت إلى وكيلى فأتانى ، فأمرته فأتانى بها ، فدفعتها إليه . قال : وكان دخول محمد المدينة يوم الخميس ، وخرج إلى دِجْلة يوم الأحد .

وذكر عن أحمد بن سلاّم فى هذه القصة أنه قال : قلت لمحمد لمّا دخل علىّ البيت وسكن : لاجزى الله وزراءك خيراً ، فإنهم أوردوك هذا المورد ! فقال لى : يا أخى ؛ ليس بموضع عتاب . ثم قال : أخبرْنى عن المأمون أخى ، أحىٌّ هو ؟ قلت : نعم ؛ هذا القتال عمّن إذاً! هو إلا عنه ! قال : فقال لى : أخبرَنى يحيى أخو عامر بن إسماعيل بن عامر – وكان يلى الخبر فى عسكر ٣/٩٢٤ هرثمة – أن المأمون مات ، فقلت له : كذب . قال : ثم قلت له : هذا الإزار الذى عليك إزار غليظ فالبس إزارى وقميصى هذا فإنه ليِّن ، فقال لى : مَنْ كانت حاله مثل حالى فهذا له كثير . قال : فلقنته ذكرَ الله والاستغفار ، فجعل يستغفر . قال : وبينا نحن كذلك ، إذ هدّة تكاد الأرض ترجُف منها ؛ وإذا أصحاب طاهر قد دخلوا الدار وأرادوا البيت ، وكان فى الباب ضيق ، فدافعهم محمد بمِجنّة كانت معه فى البيت ؛ فما وصلوا إليه حتى عرقبوه ، ثم

هجموا عليه ، فحزُّوا رأسه . واستقبلوا به طاهراً ، وحملوا جُثّته إلى بستان مؤنسة إلى معسكره ؛ إذ أقبل عبد السلام بن العلاء صاحب حرس هَرْثمة فأذن له — وكان عبَر إليه على الجسر الذى كان بالشّماسيّة — فقال له : أخوك يقرئك السلام ، فما خبرك ؟ قال : يا غلام ؛ هات الطسّ ، فجاءوا به وفيه رأس محمد ، فقال : هذا خبَرى فاعلمه . فلمّا أصبح نصب رأس محمد على باب الأنبار ، وخرج من أهل بغداد للنظر إليه ما لا يحصى عددهم ، وأقبل طاهر يقول : رأس المخلوع محمد .

وذكر محمد بن عيسى أنه رأى المخلوع على ثوبه قَمْلة ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : شيء يكون فى ثياب الناس ، فقال : أعوذ بالله من زَوال النّعمة ! فقتِل من يومه .

وذكر عن الحسن بن أبى سعيد أن الجندين : جند طاهر وجند أهل بغداد ، ندموا على قتل محمد ، لما كانوا يأخذون من الأموال .

وذكر عنه أنه ذكر أنّ الخزانة التى كان فيها رأس محمد ورأس عيسى ابن ماهان ورأس أبى السرايا كانت إليه . قال : فنظرت فى رأس محمد ؛ فإذا فيه ضربة فى وجهه ، وشعر رأسه ولحيته صحيح لم يتَحاتّ[1] منه شيء ، ولونُه على حاله . قال : وبعث طاهر برأس محمد إلى المأمون مع البُرْدة والقضيب والمصلّى — وهو من سعف مبطّن — مع محمد بن الحسن بن مصعب ابن عمه ، فأمر له بألف ألف درهم ، فرأيت ذا الرّياستين ، وقد أدخل رأس محمد على ترس بيده إلى المأمون ، فلما رآه سجد .

٣/٩٢٥

قال الحسن : فأخبرنى ابن أبى حمزة ، قال : حدّثنى علىّ بن حمزة العلوىّ ، قال : قدم جماعة من آل أبى طالب على طاهر وهو بالبستان حين قتِل محمد بن زبيدة ونحن بالحَضْرة ، فوصلهم ووصلَنا ، وكتب إلى المأمون بالإذن لنا أو لبعضنا ، فخرجنا إلى مَرْو ، وانصرفنا إلى المدينة ، فهنئونا بالنعمة ، ولقينا مَنْ بها من أهلها وسائر أهل المدينة ، فوصفنا لهم قَتْل محمد ، وأن طاهر بن الحسين دعا مولًى يقال له قريش الدندانىّ ، وأمره بقتله . قال : فقال لنا شيخ منهم :

---

(١) ط : « ينجاب » ، تحريف .

كيف قلت ! فأخبرته ، فقال الشيخ : سبحان الله ! كنا نروى هذا أن قريشًا يقتله ؛ فذهبنا إلى القبيلة ، فوافق الاسم الاسم !

وذكر عن محمد بن أبى الوزير أن علىّ بن محمد بن خالد بن برْمك أخبره أن إبراهيم بن المهدىّ لما بلغه قتلُ محمد ، استرجع وبكى طويلا ، ثم قال :

عُوجا بِمغْنَى طللٍ داثِرٍ[1] بالخُلْدِ ذاتِ الصَّخْرِ والآجُرِ

والمرمَر المسنونِ يُطلَى به[2] والبـابِ باب الذَّهبِ النَّاضرِ ٩٢٦/٣

عوجا بهـا فاستَيقِنا عندها على يقينٍ قُدْرَةَ القادرِ

وأَبلِغَـا عنِّى مقالاً إلى الـ ـمَوْلَى على المأْمورِ والآمرِ

قولا له : يا بنَ ولىِّ الهدَى[3] طَهِّر بلادَ اللهِ من طاهِرِ

لم يكفه أَنْ حَزَّ أَوداجَه[4] ذَبْحَ الهدَايا بمُدَى الجازِرِ

حتَّى أَتى يَسْحَبُ أَوصاله فى شَطَنٍ يُغنِى مَدَى السائرِ[5]

قد بَرَّدَ الموتُ على جَنْبِه وطَـرفُه منكِسرُ الناظر

قال : وبلغ ذلك المأمون فاشتدّ عليه .

وذكر عن المدائنى أنّ طاهرًا كتب إلى المأمون بالفتح :

أما بعد ، فالحمدُ لله المتعالى ذى العزّة والجلال ، والملك والسلطان ، الذى إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .

كان فيما قدّر الله فأحكم ، ودبّر فأبرم ، انتكاثُ المخلوع ببيعته ، وانتقاضُه بعهده ، وارتكاسه فى فتنته ، وقضاؤه عليه القتل بما كسبتْ يداه وما الله بظلام للعبيد . وقد كتبت إلى أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — فى

---

(١) ابن الأثير : « الطلل الداثر » . (٢) ابن الأثير : « المرمر المنسوب » .
(٣) ابن الأثير : « يابن أبى الناصر » . (٤) ابن الأثير : « أوصاله » .
(٥) ط : « مدى الشابر » ، وما أثبته من ابن الأثير .

إحاطة جند الله بالمدينة والخُلْد(١)، وأخذهم بأفواهها وطرقها ومسالكها فى دِجلة ونواحى أزقّة مدينة السلام وانتظام المسالح حواليها وحَدْرى السّفن والزواريق بالعرّادات والمقاتلة ، إلى ما واجه الخُلْد وباب خراسان ، تحفُّظًا بالمخلوع ، وتخوّفًا من أن يروغ مراغًا ، ويسلك مسلكًا يجد به السبيل إلى إثارة فتنة ، وإحياء ثائرة(٢) ، ٣/٩٢٧ أو يهايج قتالا بعد أن حصَره الله عز وجلّ وخذله ، ومتابعة الرّسل بما يعرض عليه هرثمةُ بن أعين مولى أميرِ المؤمنين ، ويسألُنى من تخلية الطريق له فى الخروج إليه واجتماعى وهرثمة بن أعين ؛ لنتناظر فى ذلك ، وكراهتى ما أحدث وراءه من أمره بعد إرهاق الله إياه ، وقطعه رجاءه من كلّ حيلة ومتعلَّق ، وانقطاع المنافع عنه ؛ وحيل بينه وبين الماء ؛ فضلا عن غيره ؛ حتّى همّ به خدمُه وأشياعه من أهل المدينة ومَنْ نجا معه إليها ، وتحزّبُوا على الوثوب به للدَّفْع عن أنفسهم والنجاة بها ، وغير ذلك مما فسّرتُ لأمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أرجو أن يكون قد أتاه .

وإنى أخبر أمير المؤمنين أنى رَوّيت فيما دبّر هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين فى المخلوع ، وما عرَض عليه وأجابه إليه ، فوجدت الفتنة فى تخلّصه من موضعه الذى قد أنزله الله فيه بالذّلة والصَّغار وصيّره فيه إلى الضيق والحصار تزداد ، ولا يزيد أهل التربّص فى الأطراف إلا طمعًا وانتشارًا ، وأعلمت ذلك هرثمةَ بن أعين ، وكراهتى ما أطمعه فيه وأجابه إليه ؛ فذكر أنه لا يرى الرجوعَ عما أعطاه ، فصادرته — بعد يأس من انصرافه — عن رأيه ، على أن يقدم المخلوع رداءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفَه وقضيبَه قبل خروجه ؛ ثم أخلّى له طريق الخروج إليه ؛ كراهة أن يكون بينى وبينه اختلاف نصير منه إلى أمرٍ يُطمع الأعداء فينا ، أو فراقُ القلوب بخلاف ما نحن عليه من الائتلاف ٣/٩٢٨ والاتفاق على ذلك ، وعلى أن نجتمع لميعادنا عشية السبت .

فتوجّهت فى خاصة ثقاتى الذين اعتمدت عليهم ، وأثق بهم ، بربط الجأش ، وصدق البأس ، وصحة المناصحة ؛ حتّى طالعتُ جميعَ أمر كلّ

---

(١) المدينة ، أى بغداد ؛ وهى مدينة السلام . والخلد : قصر بناه المنصور بها ؛ ثم بنيت حواليه منازل ، فصارت محلة كبيرة عرفت بالخلد . (٢) الثائرة : العداوة والشحناء .

من كنت وكّلتُ بالمدينة والخُلْد برًّا وبحرًا، والتقدمة إليهم فى التحفّظ والتيقظ والحراسة والحذر، ثم انكفأت إلى باب خراسان، وكنت أعددت حَرّاقات وسفنًا؛ سوى العُدّة التى كانت لأركبها بنفسى لوقت ميعادى بينى وبين هرثمة، فنزلتها فى عدّة ممن كان ركب معى من خاصة ثقاتى وشاكريّتى[1]، وصيرت عدّة منهم فرسانًا ورجّالة بين باب خُراسان والمشرعة[2] وعلى الشطّ.

وأقبل هرثمة بن أعين حتى صار بقُرْب باب خراسان معدًّا مستعدًّا؛ وقد خاتلنى بالرسالة إلى المخلوع إلى أن يخرج إليه إذا وافى المشرَعة، ليحمله قبل أن أعلم، أو يبعث إلىّ بالرداء والسيف والقضيب؛ على ما كان فارقنى عليه من ذلك. فلما وافى خروجُ المخلوع على مَنْ وكلت بباب خراسان، نهضوا عند طلوعه عليهم ليعرفوا الطابَع لأمرى كان أتاهم، وتقدّمى إليهم ألاّ يَدَعُوا أحدًا يجوزهم إلا بأمرى. فبادرهم نحو المشرَعة، وقرّب هرثمةُ إليه الحرّاقة، فسبق الناكثَ أصحابى إليها، وتأخر كَوْثر[3]، فظفر به قريش مولاى، ومعه الرّداء والقضيب والسيف، فأخذه وما معه، فنفر أصحاب المخلوع عند ما رأوْا من إرادة أصحابى منع مخلوعهم من الخروج، فبادر بعضُهم حرّاقة هرثمة، فتكفّأت بهم حتى أغرقت فى الماء ورَسبتْ، فانصرف بعضهم إلى المدينة، ورمى المخلوع عند ذلك بنفسه من الحرّاقة فى دِجْلة متخلّصا إلى الشطّ، نادمًا على ما كان من خروجه، ناقضًا للعهد، داعيًا بشعاره، فابتدره عدّة من أوليائى الذين كنت وكلتهم بما بين مشرَعة باب خُراسان وركن الصراة، فأخذوه عَنْوة قهرًا بلا عهد ولا عقد؛ فدعا بشعاره، وعاد فى نَكْثه، فعرض عليهم مائة حبّة، ذكر أن قيمة كل حبة مائة ألف درهم، فأبوْا إلا الوفاء لخليفتهم أبقاه الله، وصيانة لدينهم، وإيثارًا للحقّ الواجب عليهم، فتعلقوا به، قد أسلمه[4] الله وأفرده؛ كلٌّ يرغبه، ويريد أن يفوز بالحظوة عندى دون صاحبه؛ حتى اضطربوا فيما بينهم، وتناولوه

٩٢٩/٣

(١) الشاكرى: الأجير والمستخدم، معرب «جاكر».
(٢) المشرعة: مورد الشاربة.
(٣) كوثر خادم الأمين.
(٤) أسلمه، أى خذله.

بأسيافهم منازعةً فيه، وتشاحاً عليه[١]، إلى أن أتيح له مَغيظٌ[٢] لله ودينه ورسوله وخليفته، فأتى عليه وأتاني الخبر بذلك، فأمرت بحمل رأسه إلىّ، فلما أتيت به تقدمت إلى من كنت وكلت بالمدينة والخُلْد وما حواليها وسائر مَنْ في المسالح، في لزوم مواضعهم، والاحتفاظ بما يليهم، إلى أن يأتيهم أمرى. ثم انصرفت. فأعظم الله لأمير المؤمنين الصنع والفتح عليه وعلى الإسلام به وفيه.

فلما أصبحتُ هاج الناس واختلفوا في المخلوع، فمصدّق بقتله، ومكذب وشاكّ وموقن، فرأيت أن أطرح عنهم الشبهة في أمره، فمضيت برأسه، لينظروا إليه فيصحّ بعينهم، وينقطع بذلك بَعَل[٣] قلوبهم، ودخَلُ التياث المستشرفين للفساد[٤] والمستوفزين للفتنة، وغدوت نحو المدينة فاستسلم مَنْ فيها، وأعطى أهلها الطاعة، واستقام لأمير المؤمنين شرقيّ ما يلي مدينة السلام وغربيّه وأرْباعه[٥] وأرْباضه ونواحيه؛ وقد وضعت الحربُ أوزارها وتلاقى بالسلام والإسلام أهله؛ وبعّد الله الدَّغَل[٦] عنهم، وأصارهم ببركة أمير المؤمنين إلى الأمن والسكون والدّعة والاستقامة والاغتباط؛ والصُّنْع من الله جلّ وعزّ والخيرة، والحمد لله على ذلك.

٣/٩٣٠

فكتبت إلى أمير المؤمنين حفظه الله، وليس قِبَلي داعٍ إلى فتنة؛ ولا متحرّك ولا ساعٍ في فساد، ولا أحد إلا سامع مطيع باخع حاضر؛ قد أذاقه الله حلاوة أميرِ المؤمنين ودَعَة ولايته؛ فهو يتقلّب في ظلها، يغدو في متجره ويروح في معايشه؛ والله وليّ ما صنع من ذلك، والمتمّم له، والمانّ بالزيادة فيه برحمته.

وأنا أسأل الله أن تُهنّئ أميرَ المؤمنين نعمتُه، ويتابع له فيها مزيدَه ويُوزعه عليها شكره؛ وأن يجعل منّته لديه متوالية دائمًا متواصلة؛ حتى يجمع الله له خير الدنيا والآخرة، ولأوليائه وأنصار حقه ولجماعة المسلمين ببركته وبركة ولايته ويُمْنِ خلافته، إنه وليّ ذلك منهم وفيه، إنه سميع لطيف لما يشاء.

---

(١) تشاحا على الأمر؛ أي لا يريدان أن يفوتهما. (٢) ط: «مغيظًا»، وهو خطأ.
(٣) البعل: الدهش والاضطراب. (٤) الدخل: ما داخل المرء من فساد في عقل أو جسم. والالتياث: الاختلاط والالتفاف. واستشرف إلى الشيء: رفع بصره إليه.
(٥) كانت بغداد مقسمة أرباعاً. (٦) الدغل: الفساد.

وكُتِب يوم الأحد لأربع بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة .

وذكر عن محمد المخلوع أنه قبل مقتله، وبعد ما صار فى المدينة، ورأى الأمر قد تولّى عنه ، وأنصاره يتسللون فيخرجون إلى طاهر ، قعد فى الجناح الذى كان عمله على باب الذهب — وكان تقدم فى بنائه قبل ذلك — وأمر بإحضار كلّ من كان معه فى المدينة من القواد والجند، فجمِعوا فى الرحبة ، فأشرف عليهم ، وقال :

٩٣١/٣ الحمدُ لله الذى يرفع ويضع ، ويعطى ويمنع ، ويقبض ويبسط ؛ وإليه المصير . أحمَده على نوائب الزّمان، وخذلان الأعوان، وتشتت الرجال، وذهاب الأموال ، وحلُول النوائب، وتوفّد المصائب ؛ حمداً يُدّخَر لى به أجزل الجزاء ، ويَرْفدنى أحسَن العزاء . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد لنفسه ، وشهدتْ له ملائكته، وأنّ محمداً عبده الأمين ، ورسوله إلى المسلمين ، صلى الله عليه وسلم، آمين رب العالمين .

أما بعد يا معشر الأبناء ، وأهلَ السبق إلى الهدى ، فقد علمتم غفْلتى كانت أيام الفضل بن الربيع وزيرٌ علىّ ومشير ، فمادّت به الأيام[1] بما لزمنى به من الندامة فى الخاصّة والعامة، إلى أن نبّهتمونى فانتبهت، واستعنتمونى فى جميع ما كرهتهم من نفسى وفيكم، فبذلت لكم ما حواه مُلكى ، ونالته مقدرتى، ممّا جمعته وورثته عن آبائى، فقوّدت[2] مَنْ لم يَجُز ، واستكفيت مَنْ لم يكْفِ ، واجتهدت —علِم الله— فى طلب رضاكم بكلّ ما قدرت عليه ، واجتهدتم — علم الله — فى مساءتى فى كلّ ما قدرتم عليه ؛ من ذلك توجيهى إليكم علىّ بن عيسى شيخكم وكبيركم وأهل الرأفة بكم والتحنّن عليكم؛ فكان منكم ما يطول ذكره؛ فغفرت الذنب ، وأحسنت واحتملت ، وعزّيت نفسى عند معرفتى بشرود[3] الظفر ، وحرصى على مُقامكم مَسْلحة بحلوان مع ابن كبير صاحب دعوتكم، ومَنْ على يدى أبيه كان فخركم، وبه تمّت طاعتكم: عبد الله بن حَميد بن قَحْطبة، فصرتم من التألّب عليه إلى ما لا طاقة

(١) مادت به الأيام : طاولته .
(٢) قودت ، أى اتخذته قائداً .
(٣) ط : « بشذوذ » .

٩٣٢/٣ له به ، ولا صبر عليه. يقودكم رجل منكم وأنتم عشرون ألفاً ؛ إلى عامدين[1] ، وعلى سيدكم متوثبين مع سعيد الفرد ، سامعين له مطيعين . ثم وثبتم مع الحسين على ، فخلعتمونى وشتمتمونى ، وانتهبتمونى وحبستمونى ، وقيدتمونى ؛ وأشياء منعتمونى من ذكرها ؛ حقد قلوبكم وتلكؤ طاعتكم أكبرُ وأكثر . فالحمد لله حمد من أسلم لأمره ، ورضى بقدره ؛ والسلام .

وقيل : لما قُتل محمد ، وارتفعت الثائرة ، وأعطى الأمانَ الأبيض والأسود ، وهدأ الناس ، ودخل طاهر المدينة يوم الجمعة ، فصلّى بالناس ، وخطبهم خطبة بليغة ، نزع فيها من قوارع القرآن ؛ فكان مما حُفظ من ذلك أن قال :

الحمد لله مالك الملك يُؤتى الملكَ من يشاء وينزعُ الملك ممّن يشاء ، ويُعزّ مَنْ يشاء ويُذلّ مَنْ يشاء بيده الخيرُ وهو على كلّ شىء قدير . فى آى من القرآن أتبع بعضُها بعضًا ، وحضّ على الطاعة ولزوم الجماعة ، ورغّبهم فى التمسك بحبل الطاعة . وانصرف إلى معسكره .

وذكر أنه لما صعد المنبر يوم الجمعة ، وحضره من بنى هاشم والقُوّاد وغيرهم جماعة كثيرة ، قال :

الحمد لله مالك الملك ، يؤتيه مَنْ يشاء ، ويعزّ من يشاء ، ويذلّ مَنْ يشاء ، بيده الخير ، وهو على كلّ شىء قدير . لا يُصلحُ عملَ المفسدين ، ولا يهدى كيد الخائنينَ ؛ إنّ ظهور غَلَبتنا لم يكن من أيدينا ولا كيدنا ، بل اختار الله للخلافة إذ جعلها عماداً لدينه ، وقوامًا لعباده ، وضبْط الأطراف

٩٣٣/٣ وسدّ الثغور ، وإعداد العُدّة ، وجمْع الفىء ، وإنفاذ الْحكْم ، ونشر العدْل ، وإحياء السنة ؛ بعد إذبال البَطالات ، والتلذذ بوبق الشهوات . والمُخْلدُ إلى الدنيا مستحسنٌ لداعى غرورها ، محتلبٌ درّة نعمتها ، ألفٌ لزهرة روضتها ، كلِفٌ برَوْنق بهجتها . وقد رأيتم من وفاء موعود الله عزّ وجلّ لمن بغى عليه ، وما أحلّ به من بأسه ونقمته ، لمّا نكب عن عهده ، وارتكب معصيته ، وخالف أمره ، وغيّره ناهيه ، وعظته مردية ؛ فتمسكوا بوثائق[2] عُصَم الطاعة ، واسلكوا مناحىَ سبيل الجماعة ، واحذروا مصارعَ أهل الخلاف

---

(١) ط : « عامين » .

(٢) ط : « بدقائق » .

والمعصية ؛ الذين قدحوا زناد الفتنة ، وصدّعوا شَعْب الألفة ، فأعقبهم الله خسار الدنيا والآخرة.

* * *

ولما فتح طاهر بغداد كتب إلى أبى إسحاق المعتصم – وقد ذكر بعضهم أنه إنما كتب بذلك إلى إبراهيم بن المهدىّ ، وقال الناس : كتبه إلى أبى إسحاق المعتصم :

أما بعد ، فإنه عزيز علىّ أن أكتبَ إلى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التأمير ؛ ولكنّه بلغنى أنك تميل بالرأى ، وتُصغى بالهوى ، إلى الناكث المخلوع ؛ وإن كان كذلك فكثير ما كتبتُ به إليك ، وإن كان غيرَ ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . وكتب فى أسفل الكتاب هذه الأبيات :

ركوبكَ الأمرَ ما لم تُبْلَ فرصتُهُ ... جهلٌ وَرَأيُكَ بالتَّغريرِ تَغريرُ[1]

أَقبحْ بِدُنيَا ينالُ المُخطئونَ بها[2] ... حَظَّ المُصِيبينَ والمَغْرورُ مغرورُ[3]

* * *

[وثوب الجند بطاهر بن الحسين بعد مقتل الأمين]

وفى هذه السنة وثب الجند بعد مقتل محمد بطاهر ، فهرب منهم وتغيّب أيامًا حتى أصلح أمرهم . ٩٣٤/٣

* ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به وإلى ما آل أمره وأمرهم :

ذُكر عن سعيد بن حميد ؛ أنه ذكر أنّ أباه حدّثه ؛ أنّ أصحاب طاهر

---

(١) العقد ٤ : ٢٤٢ ، ورواية البيت فيه :

رُكوبُكَ الهوْل مالمْ تُلْفِ فُرْصتَهُ ... جَهلٌ رمَى بِكَ بالإقحام تغريرُ

(٢) العقد : « يصيب المخطئون » .

(٣) بعدهما فى العقد :

فازرَعْ صواباً وَخُذْ بالحزمِ حَيْطَتَهُ ... فلنْ يُذَمّ لأَهل الحزمِ تدبيرُ

فإن ظفرتَ مصيباً أَو هلكْتَ به ... فأَنتَ عند ذوى الأَلبابِ معذورُ

وإنْ ظفِرتَ عَلى جهلٍ فَفُزْتَ بِهِ ... قَالُوا : جهولٌ أَعانتْهُ المقاديرُ

بعد مقتل محمد بخمسة أيام ، وثبوا به ؛ ولم يكن فى يديه مال ، فضاق به أمرُه ، وظنّ أن ذلك عن مواطأة من أهل الأرْباض إياهم ، وأنهم معهم عليه ، ولم يكن تحرّك فى ذلك من أهل الأرباض أحد ، فاشتدّت شوكة أصحابه ، وخشىَ على نفسه ، فهرب من البستان ، وانتهبوا بعضَ متاعه ، ومضى إلى عَقَرقوف[1] . وكان قد أمر بحفظ أبواب المدينة وباب القصر على أمّ جعفر ، وموسى وعبد الله ابنى محمد ، ثم أمر بتحويل زُبيدة وموسى وعبد الله ابنىْ محمد معها من قصر أبى جعفر إلى قصر الخُلْد ، فحوّلوا ليلة الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول ، ثم مضى بهم من ليلتهم فى حَرّاقة إلى هُمَيْنيا على الغربىّ من الزاب الأعلى ، ثم أمر بحمل موسى وعبد الله إلى عمّهما بخراسان على طريق الأهواز وفارس .

قال : ولما وثب الجند بطاهر ، وطلبوا الأرزاق ، أحرقوا باب الأنبار الذى على الخندق وباب البستان ، وشهروا السلاح ، وكانوا كذلك يومَهم ومن الغد ، ونادوا موسى : يا منصور . وصوّب الناس إخراجَ طاهر موسى وعبد الله ؛ وقد كان طاهر انحاز ومَنْ معه من القوّاد ، وتعبّأ لقتالهم ومحاربتهم ، فلما بلغ ذلك القوّاد والوجوه صاروا إليه واعتذروا ، وأحالوا على السفهاء والأحداث ، وسألوه الصّفْح عنهم وقبول عذرهم والرضا عنهم ، وضمنوا له ألاّ يعودوا لمكروه له ما أقام معهم . فقال لهم طاهر : والله ما خرجتُ عنكم إلا لوضع سيفى فيكم ، وأقسم بالله لئن عُدتم لمثلها لأعودنّ إلى رأيى فيكم ، ولأخرجنّ إلى مكروهكم ؛ فكسرهم بذلك ، وأمر لهم برزق أربعة أشهر ؛ فقال فى ذلك بعض الأبناء :

٣/٩٣٥

آلَى الأميرُ – وقولُهُ وَفِعَالُهُ حَقٌّ – بجَمْعِ معَاشِرِ الزُّعَّارِ
إن هاجَ هَائِجُهُمْ وشَغَّبَ شَاغِبٌ من كلِّ ناحيةٍ من الأقطارِ
ألّا يناظرَ مَعْشَرًا من جمْعِهِمْ إمهالَ ذى عَدْلٍ وذِى إنظارِ
حتى يُنيخَ عليهمُ بعَظيمَةٍ تدَعُ الدِّيارَ بَلاقِعَ الآثار

(١) ط : « عاقرقوف » ، تصحيف .

فذكر عن المدائنيّ أن الجند لما شَغَبُوا، وانحاز طاهر، ركب إليه سعيد ابن مالك بن قادم ومحمد بن أبى خالد وهبيرة بن خازم، فى مشيخة من أهل الأرباض، فحلفوا بالمغلّظة من الأيمان، أنه لم يتحرّك فى هذه الأيام أحدٌ من أبناء الأرباض، ولا كان ذلك عن رأيهم، ولا أرادوه، وضمنوا له صلاح نواحيهم من الأرْبَاض، وقيامَ كل إنسان منهم فى ناحيته بكلّ ما يجب عليه؛ حتى لا يأتيه من ناحية أمر يكرهه. وأتاه عَميرة — أبو شَيْخ بن عَميرة الأسديّ — وعليّ ابن يزيد؛ فى مشيخة من الأبناء، فلقوه بمثل ما لقيه به ابنُ أبى خالد وسعيد ابن مالك وهُبيرة، وأعلموه حسنَ رأى مَنْ خلْفَهم من الأبناء ولينَ طاعتهم له، وأنهم لم يدخلوا فى شىء مما صنع أصحابه فى البستان. فطابت نفسه إلاّ أنه قال لهم: إن القوم يطلبون أرزاقهم، وليس عندى مال. فضمن لهم سعيد ابن مالك عشرين ألف دينار، وحملها إليه، فطابت بها نفسه، وانصرف إلى معسكره بالبستان. وقال طاهر لسعيد: إنى أقبلها منك على أن تكون علىّ دَيْنًا، فقال له: بل هى إنما صلة وقليل لغلامك وفيما أوجب الله من حقك. فقبلها منه، وأمر للجند برزق أربعة أشهر، فرضُوا وسكنوا. ٩٣٦/٣

قال المدائنيّ: وكان مع محمد رجل يقال له السمرقنديّ، وكان يرمى عن مجانيق كانت فى سفن من باطن دجلة؛ وربما كان يشتدّ أمر أهل الأرباض على مَن بإزائهم من أصحاب محمد فى الخنادق، فكان يبعث إليه، فيجىء به فيرميهم — وكان راميًا لم يكن حجَرُه يخطئ — ولم يقتل الناس يومئذ بالحجارة كما قيل، فلما قتِل محمد قُطع الجسر، وأحرقت المجانيق التى كانت فى دجلة يرمى عنها، فأشفق على نفسه، وتخوّف من بعض مَنْ وتره أن يطلبه، فاستخفى، وطلبه الناس، فتكارى بغلا، وخرج إلى ناحية خُراسان هاربًا، فمضى حتى إذا كان فى بعض الطريق استقبله رجلٌ فعرفه؛ فلما جازه قال الرجل للمكارى: ويحك! أين تذهب مع هذا الرجل! والله لئن ظُفر بك معه لتُقتلنّ، وأهون ما هو مصيبُك أن تحبَس. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! قد والله عرفت اسمَه، وسمعت به قتله الله! فانطلق المكارى إلى أصحابه — أو مسلحة انتهى إليها — فأخبرهم خبره، وكانوا من أصحاب كُنْدُغوش من أصحاب هرثمة،

فأخذوه وبعثوا به إلى هرثمة ، وبعث به هرثمة إلى خزيمة بن خازم بمدينة السلام ، فدفعه خزيمة إلى بعض مَن° وتره فأخرجه إلى شاطىء دجلة من الجانب الشرقيّ فصُلب حيًّا ، فذكروا أنه لما أرادوا شدّه على خشبته ، اجتمع خلق كثير ، فجعل يقول قبل أن يشدّوه : أنتم بالأمس تقولون : لا قَطَع الله يا سمرقنديّ يدك ، ٩٣٧/٣ واليوم قد هيّأتم حجارتكم ونُشّابكم لترموني! فلما رفعت الخشبة أقبل الناس عليه رميًا بالحجارة والنشاب وطعنًا بالرماح حتى قتلوه ، وجعلوا يرمونه بعد موته ، ثم أحرقوه من غد ، وجاءوا بنار ليحرقوه بها ، وأشعلوها فلم تشتعل ، وألقوْا عليه قصبًا وحطبًا ، فأشعلوها فيه ، فاحترق بعضه ، وتمزّقت الكلاب بعضه ؛ وذلك يوم السبت لليلتين خلتا من صفر .

* * *

ذكر الخبر عن صفة محمد
ابن هارون وكنيته وقدر ما ولى ومبلغ عمره

قال هشام بن محمد وغيره : وَلِيَ محمد بن هارون وهو أبو موسى يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقتل ليلة الأحد لستّ بقين من صفر سنة سبع وتسعين ومائة . وأمه زبيدة ابنة جعفر الأكبر بن أبي جعفر ؛ فكانت خلافتُه أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام ؛ وقد قيل : كانت كنيتُه أبا عبد الله .

وأما محمد بن موسى الخُوارزميّ فإنه ذكر عنه أنه قال : أتت الخلافةُ محمّد بن هارون للنصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وحجّ بالناس في هذه السنة التي وَلِيَ فيها داود بن عيسى بن موسى ، وهو على مكة وأبو البختريّ على ولايته ، وبعد ولايته بعشرة أشهر وخمسة أيام وجّه[1] عصمة ابن أبي عصمة إلى ساوة ، وعقد ولايته لابنه موسى بولاية العهد لثلاث خلون من شهر ربيع الأول ؛ وكان على شُرَطه عليّ بن عيسى بن ماهان .

٩٣٨/٣ وحجّ بالناس سنة أربع وتسعين ومائة عليّ بن الرشيد ، وعلى المدينة إسماعيل بن العباس بن محمد ، وعلى مكة داود بن عيسى ، وكان بين أن

(١) ط : « وجهه » .

عقد لابنه إلى التقاء علىّ بن عيسى بن ماهان وطاهر بن الحسين وقتل علىّ بن عيسى بن ماهان سنة خمس وتسعين ومائة، سنةً وثلاثة أشهر وتسعة وعشرون يومًا. قال: وقتل المخلوع ليلة الأحد لخمس بقين من المحرّم، قال: فكانت ولايته مع الفتنة أربع سنين وسبعة أشهر وثلاثة أيام.

ولما قتل محمد ووصل خبره إلى المأمون فى خريطة من طاهر يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة أظهر المأمون الخبر، وأذن للقوّاد فدخلوا عليه. وقام الفضل بن سهل فقرأ الكتاب بالخبر، فهنِّئ بالظَّفَر، ودعوا الله له. وورد الكتاب من المأمون بعد قتل محمد على طاهر وهرثمة بخلْع القاسم بن هارون، فأظهرا ذلك، ووجّها كتبهما به، وقرئ الكتاب بخلعه يوم الجمعة لليلتين بقيّتا من شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين ومائة، وكان عمر محمد كله — فيما بلغنى — ثمانيًا وعشرين سنة.

وكان سَبْطًا أنزعَ أبيض صغير العينين أقنى، جميلا، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين. وكان مولده بالرُّصافة.

* * *

وذكر أن طاهراً قال حين قتله:

قَتَلتُ الخليفةَ فى دَارِهِ ... وأَنهبْتُ بالسَّيْف أموالَهُ

وقال أيضًا:

مَلَكْتُ النَّاسَ قَسْرًا واقتدارًا ... وَقَتَّلتُ الجبــابرَةَ الكِبَارا[1]

ووجَّهتُ الخلافة نحو مَرْوٍ ... إلى المأْمون تَبْتَدِرُ ابتدارًا

* * *

(١) ابن بدرون ٢٥٥.

٣/٩٣٩

ذكر ما قيل فى محمد بن هارون ومرثيته

فما قيل فى هجائه :

لِمْ نُبَكِّيكَ لِماذا ؟ للطَّربْ ! يا أبا موسى وَتَرْوِيجِ اللَّعِبْ

وَلِتَرْكِ الخمْسِ فى أوقاتِهَا حَرَصاً مِنكَ على ماءِ العِنَبْ

وَشَنيفٍ أنا لا أبكى لَهُ وَعلى كوثرَ لا أخشى الْعَطَبْ

لَمْ تَكُنْ تَعرفُ ما حدّ الرِّضا لا ولا تَعْرِفُ ما حَدُّ الغَضَبْ

لم تكن تَصلُحُ للمُلكِ ولَمْ تُعطكَ الطاعةَ بالمُلك الْعَرَبْ

أيُّها الباكِى عَلَيْهِ لا بكتْ عينُ مَنْ أبكاكَ إلاَّ لِلعَجَبْ

لِمْ نُبَكِّيكَ لِما عَرَّضتَنا للمجانيق وَطَوْرًا للسَّلَبْ

ولقومٍ صَيَّرونَا أعبُدًا لهمُ يَنزُوعلى الرأس الذَّنَب[1]

فى عــذابٍ وحصارٍ مُجهِد سَدُّدا الطُّرْقَ فَلاَ وَجْهَ طَلَبْ[2]

زَعمُوا أنَّكَ حىٌّ حاشِرٌ كُلُّ مَنْ قَالَ بهذَا قَدْ كَذَبْ

لَيْتَ مَنْ قَدْ قَالَهُ فى وَحْدَة[3] مِنْ جميعٍ ذاهبٌ حيثُ ذَهَبْ

أوجَبَ اللهُ عَلَيْنَا قَتلَهُ فإذا ما أوْجَبَ الأمرَ وَجَبْ

كانَ واللهِ علَينا فتنــةً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَكَتَبْ

وقال عمرو بن عبد الملك الوراق يبكى بغداد ، ويهجو طاهراً ويعرّض به :

مَنْ ذا أصابكِ يا بَغدادُ بالعينِ ألَمْ تَكُونِى زَماناً قرّة العينِ !

٣/٩٤٠

ألم يكن فِيكِ أقوامٌ لهم شرف بالصالحات وبالمعروف يلقونى

ألم يكن فيك قومٌ كان مسكنُهمْ وكان قربهُمُ زينًا من الزَّيْنِ

صاحَ الزمانُ بهمْ بالبيْن فانقرضُوا ماذَا الَّذِى فَجعَتْنى لوعةُ الْبَينِ

---

(١) ط : « يبدو » . (٢) ابن الأثير : « فلا وجه الطلب » .

(٣) ابن الأثير : « ليته قد قال فى وجده » .

أَستودِعُ اللّهَ قوماً ما ذكرتهُمُ ... إلا تحَدَّرَ ماءُ العيْن مِنْ عَيْنى
كانُوا ففرَّقهُمْ دهرٌ وصَدَّعَهمْ ... والدَّهْرُ يَصدَعُ ما بيْنَ الفريقين
كم كانَ لِى مُسعدٌ منهم على زَمَنى ... كم كان منهم على المَعروفِ من عوْنِ
للّهِ درٌّ زَمانٍ كان يجمعنُا ... أَينَ الزمانُ الّذى ولَّى ومِنْ أَينِ!
يا مَنْ يُخرِّبُ بغدادًا ليعْمُرَها ... أَهلكتَ نفسكَ ما بين الطريقيْن
كانت قلوبُ جميعِ الناس واحِدَةً ... عيْناً ، وليس لكون العيْنِ كالدَّيْنِ
لمَّا أَشَتَّهُمُ فرَّقتَهُمْ فِرَقًا ... والنَّاسُ طُرًّا جميعاً بينَ قَلْبَيْنِ

وذكر عمر بن شبّة أن محمد بن أحمد الهاشميّ حدثه ، أن لبانة ابنة عليّ ٣/٩٤١
ابن المهديّ قالت :

أَبكيكَ لا للنَّعيم والأُنْس ... بل للمعَالى والرُّمح والتُّرْسِ[١]
أَبكِى على هالكٍ فجعْتُ بهِ[٢] ... أَرْملَنى قبلَ ليْلة العُرسِ[٣]

وقد قيل إن هذا الشعر لابنة عيسى بن جعفر ، وكانت مُمْلكة بمحمد .

وقال الحسين بن الضّحاك الأشقر ، مولى باهلة ، يرثى محمداً ، وكان من نُدمائه ، وكان لا يصدّق بقتله ، ويطمع فى رجوعه :

يا خيرَ أُسْرتِهِ وإنْ زَعَمُوا ... إنِّى عليْكَ لمُثْبَتٌ أَسِفُ[٤]
اللّهُ يعلمُ أَنَّ لى كبدًا ... حَرَّى عليك ومُقلَةً تكِفُ
ولئنْ شَجِيتُ بما رُزِئْتُ به[٥] ... إنِّى لأُضمِرُ فوق ما أَصِفُ
هلَّا بَقيتَ لسَدِّ فاقتِنا ... أَبدًا ، وكان لغيرِكَ التلَفُ!

---

(١) المسعودى ٣ : ٤٢٤ .

(٢) المسعودى : « أبكى على سيد » .

(٣) بعده فى المسعودى :

يا مالكاً بالعراء مطَّرحاً ... خانتْه أَشراطه مع الحرس

(٤) انظر الأغانى ٧ : ١٤٨ .

(٥) ابن الأثير : « لما رزئت » .

فلقد خلَفْتَ خلائفاً سلَفُوا ... ولَسوفَ يُعْوِزُ بعَدكَ الخَلَفُ
لاباتَ رهطُكَ بَعدَ هفوتِهِمْ ... إنِّى لِرَهْطِكَ بعدها شَنِفُ
هَتكوا بِحُرمتِكَ التى هُتِكَتْ ... حَرَمَ الرَّسولِ ودُونَها السُّجُفُ
وثبَتْ أقارِبُكَ التى خذَلَت[1] ... وجميعها بالذُّلِّ معترفُ
لم يفعلوا بالشَّطِّ إذ حَضَرُوا ... ما تفعلُ الغيْرَانةُ الأَنِفُ
ترَكوا حَريمَ أبيهمُ نَفَلاً ... والمُحصَنَاتُ صوارِخٌ هُتُفُ
أَبْدَتْ مُخلخلها على دَهشٍ ... أبكارُهُنَّ ورَنَّتِ النَّصَفُ[2]
سُلِبَتْ معاجِرُهُنَّ واجتُلِيَتْ[3] ... ذاتُ النِّقابِ ونوزِعَ الشَّنَفُ
فكأَنهنَّ خِلالَ مُنتهَبٍ ... دُرٌّ تكَشَّفَ دُونَهُ الصَّدَفُ
مِلكٌ تخَوَّنَ مُلكَهُ قَدَرٌ[4] ... فوَهَى وصَرْفُ الدَّهْرِ مُختلِفُ
هيهاتَ بَعْدَكَ أن يَدُومَ لنا ... عِزٌّ وأن يَبقى لنا شَرَفُ
لا هَيَّبُوا صُحُفاً مُشرَّفَةً ... للغادِرِينَ وتحْتها الجدَفُ
أفبعدَ عهدِ اللهِ تقتلهُ ... والقتلُ بعد أمانِهِ سرفُ
فَستَعْرِفون غداً بعاقبَةٍ ... عزَّ الإله فأَورِدوا وَقِفُوا
يا من يُخَوِّنُ نومَهُ أَرَقٌ[5] ... هَدَتِ الشجُونُ وقلبُهُ لَهِفُ
قد كنتَ لى أملًا غنِيتُ به ... فمضَى وحلَّ محلَّهُ الأَسَفُ
مرِجَ النظامُ وعادَ منكَرُنا ... عُرْفاً وأُنكِرَ بَعدَكَ العُرُفُ[6]
فالشملُ مُنتشرٌ لفَقدكَ والدّ ... نيا سُدًى والبالُ مُنكسِفُ[7]

٩٤٢/٣

---

(١) ابن الأثير : « وبنت أقاربك » .
(٢) النصف : « المتوسطة العمر » .
(٣) ابن الأثير : « واختلست » .
(٤) ابن الأثير : « سلك تخوف نظمه قدر » .
(٥) ابن الأثير : « أرقا » .
(٦) ابن الأثير : « بعده » .
(٧) ابن الأثير : « والباب » .

وقال أيضًا يرثيه :

إذا ذُكِرَ الأَمينُ نعَى الأَمينا ... وإن رقَدَ الخليُّ حمَى الجُفونَا
وما برحت منازلُ بين بُصرَى ... وكَلْواذَى تهيّجُ لى شُجُونَا
عراصُ المُلك خاويةٌ تَهادَى ... بها الأَرواحُ تَنسُجُها فُنُونا
تخَوَّن عزَّ ساكِنها زمانٌ ... تلَعَّبَ بالقُرونِ الأَوَّلِينَا
فشتَّتَ شَمْلَهُمْ بعدَ اجتماعٍ ... وكُنتُ بِحُسْنِ أُلفتِهِمْ ضَنِينا
فلم أَرَ بعدَهمْ حُسْناً سواهُمْ ... ولمْ ترَهُمْ عُيُونُ النَّاظِرِينَا
فَوَا أَسفاً وإن شَمِتَ الأَعادِي ... وآهٍ عَلى أمير المُؤمنِينــا
أَضلَّ العُرْفَ بعدَكَ مُتبِعُوهُ ... وَزُفَّه عَنْ مَطَايَا الرَّاغِبينَا
وكنَّ إلى جَنابِكَ كلَّ يومٍ ... يَرُحْنَ على السُّعودِ ويغتَدِينا
هُوَ الجبَلُ الَّذى هَوَتِ المعالِى ... لِهَدَّتِه وَرِيعَ الصَّالحُونَا
ستندُبُ بعدَكَ الدنيا جوارًا ... وتندُبُ بعْدكَ الدِّينَ المصُونَا
فَقَدْ ذهَبَتْ بشَاشَةُ كلِّ شيءٍ ... وعادَ الدِّينُ مطرُوحاً مَهينَا
تعقَّد عِزٌّ متصلٍ بكِسْرى ... ومِلَّتِهِ وَذَلَّ المسلِمونَا

٩٤٣/٣

وقال أيضًا يرثيه :

أَسفاً عليكَ سلاكَ أَقربُ قرْبَةً ... مِنِّى وأَحزَانِى عليكَ تزيدُ

وقال عبد الرحمن بن أبى الهداهد يرثى محمّدًا :

يا غَرْبُ جودى قد بُتَّ من وذَمِهْ ... فَقَدْ فَقَدْنَا العزيزَ من دِيَمِهْ
أَلوَت بِدُنْياك كفُّ نائبةٍ ... وصِرْتَ مُغضًى لنا على نِقمهْ
أَصْبَحَ للموتِ عندنا علَمٌ ... يَضْحَكُ سِنُّ المَنُونِ من عَلَمِهْ
ما استنزَلَت دَرَّةُ المَنونِ على ... أَكرَمِ من حلَّ فى ثرَى رَحِمِهْ
خليفةُ الله فى بريَّتِه ... تَقصُر أَيدى المُلوكِ عن شِيمه

يفترّ عَنْ وجهِهِ سَنَا قمرٍ ينشقّ عن نُورِهِ دُجَى ظُلمِهْ

٩٤٤/٣ زُلزِلَتِ الأَرْضُ مِنْ جَوَانبِها إِذْ أُولِغَ السَّيْف مننجيعدَمِهْ

مَن سكَتَتْ نَفْسُهُ لمصْرَعِهِ من عُمُم النَّاس أَو ذَوِى رَحِمِهْ

رَأَيتُهُ مثلَ ما رَآهُ بِهِ حَتى تذوقَ الْأَمَرَّ مِنْ سقَمِهْ

كَمْ قَدْ رأَينا عزيزَ مملكَةٍ يُنقَلُ عن أَهلِهِ وعَنْ خَدَمِه

يا مَلِكاً لَيْسَ بَعْدَهُ ملِكٌ لخــاتَمِ الأَنبياءِ فى أُمَمِهْ

جادَ وحيَّا الذى أَقمتَ به سَحٌّ غَزِيرُ الوَكيفِ من دِيَمِهْ

لو أَحجَمَ الموتُ عن أَخِى ثقَة أُسْوِىَ فى العِزِّ مستَوَى قَدَمِهْ

أَو ملِكٍ لا تُرَامُ سطوَتُهُ إِلاَّ مُرامَ الشَّتِيمِ فى أَجَمِهْ

خلَّدَكَ العزُّ ما سَرَى سَدَفٌ أَو قامَ طِفلُ العشىِّ فى قدَمِهْ

أَصبحَ مُلكٌ إِذا اتَّزرْتَ به يقرَعُ سِنّ الشُّقاةِ من ندمه

أَثَّر ذوالعرش فى عِدَاكَ كما أَثَّر فى عادِهِ وفى إِرَمِه

٩٤٥/٣ لا يُبْعِــدِ الله سُورَةً تليتْ لخير داعٍ دعاه فى حرمِه

ما كنت إِلا كحُلم ذى حُلُمٍ أَولَج بابَ السُّرورِ فى حُلمِه

حتَّى إِذا أَطلَقتْهُ رَقدَتُه عادَ إِلى ما اعتراهُ من عَدَمِه

وقال أيضًا يرثيه :

أَقولُ وَقَدْ دنوتُ منَ الفِرارِ سُقيتَ الغيْثَ يا قصْرَ القَرارِ

رَمَتْكَ يدُ الزمانِبسَهم عينٍ فَصِرْتَ ملوَّحاً بِدخانِ نارِ

أَبِنْ لِى عَنْ جميعِكَ أَينَ حلُّوا وأَينَ مَزَارُهم بَعْدَ المزارِ

وأَينَ محمدٌ وابنــاهُ ما لِى أَرَى أَطلالَهُمْ سودَ الدّيارِ!

كأَن لم يؤنَسُوا بأَنيس مُلكٍ يصونُ على المُلُوك بخيْر جارِ

إِمامٌ كان فى الحِدثانِ عَوْناً لَنَا والغيثَ يَمْنَحُ بالقِطَارِ

لَقَدْ تَرَكَ الزَّمَانُ بنى أَبيهِ ... وقد غمرتهم سُودُ البِحَارِ
أَضاعُوا شمسهمْ فجرت بنَحْسٍ ... فصارُوا فى الظَّلَام بلا نهارِ
وأَجْـلَوْا عنهمُ قمرًا مُنيرًا ... وداستهمْ خُيُولُ بنى الشِّرار
ولو كانُوا لهمْ كفوًا ومِثْلاً ... إذًا ما تُوِّجُوا تِيجانَ عارِ
أَلا بانَ الإِمامُ ووارثاهُ ... لَقَدْ ضَرَما الحشَا منَّا بنار
وقالوا الخُلْدُ بيعَ فقلتُ ذلاًّ ... يَصيرُ ببائعيهِ إلى صَغَـارِ
كذاكَ المُلْكُ يُتبع أَوَّليهِ ... إذا قُطعَ القرَارُ منَ القرَارِ

٩٤٦/٣

وقال مقدّس بن صيفىّ يرثيه :

خليلى ما أَتَتكَ به الخُطوبُ ... فقد أَعطتكَ طاعتَهُ النَّحيبُ
تدلَّتْ مِنْ شَماريخِ المَنَايَا ... مَنَايا ما تقومُ لها القلوبُ
خِلالَ مقابرِ البُستانِ قبْرٌ ... يُجاورُ قبْرَهُ أَسدٌ غريبُ
لقد عَظمَتْ مُصيبتُه عَلى مَنْ ... له فى كلِّ مَكْرُمَةٍ نصيبُ
على أَمثَالِهِ العبَراتُ تُذْرَى ... وتُهتَكُ فى مآتمِهِ الجيوبُ
وما اذَّخرَتْ زُبَيْدَةُ عنهُ دَمعاً ... تُخَصُّ به النَّسيبةُ والنَّسيبُ
دعُوا مُوسى ابنَه لِبُكاءِ دَهرٍ ... على مُوسى ابنِهِ دَخل الحزِيبُ
رأَيتُ مشاهِدَ الخُلَفاءِ مِنهُ ... خَلاءً ما بساحتِها مُجيبُ
ليَهنِكَ أَنَّنى كَهْلٌ عليه ... أَذُوبُ ، وفى الحشا كَبِدٌ تذوبُ
أُصيبَ به البعيدُ فخرَّ حُزْناً ... وعاينَ يومَهُ فيهِ المُرِيبُ
أُنادى مِنْ بُطُونِ الأَرضِ شخصاً ... يحَرِّكُهُ النِّدَاءُ فما يُجيبُ
لئن نَعتِ الحُرُوبُ إليه نفساً ... لقَدْ فُجِعَتْ بمصْرَعِهِ الحُرُوبُ

وقال خزيمة بن الحسن يرثيه على لسان أم جعفر :

لخيْرِ إمامٍ قامَ من خيْرِ عُنصرٍ ... وأفضَل سامٍ فوقَ أعوادِ مِنْبرِ[1]

لِوارِثِ علمِ الأَوَّلينَ وفهمِهِم[2] ... وللمليكِ المأمونِ من أمِّ جعفرِ

كتبْتُ وعيني مُستَهلٌّ[3] دموعُها ... إليكَ ابنَ عَمِّي منْ جُفوني ومَحجرِى

٩٤٧/٣ وقد مسَّنى ضرٌّ وذلٌّ كآبةٌ ... وأرَّقَ عيني يا بنَ عمِّى تفكرِى

وهِمتُ لما لاقيْتُ بعدَ مُصابِه ... فأَمرى عظيمٌ منكرٌ جِدَّ منكرِ

سأَشكو الذِي لاقَيتُهُ بعدَ فقدِهِ ... إليْكَ شَكاةَ المُستَهامِ المُقَهَّرِ[4]

وأَرجُو لما قَد مرَّ بى مُذ فقدتُه ... فأَنت لبَثِّى خيْرُ ربٍّ مغيِّرِ

أتى طاهرٌ لا طهَّرَ اللهُ طاهرًا ... فما طاهرٌ فيما أتَى بمطَهَّرِ

فأَخرجنى مكشُوفَةَ الوْجهِ حاسرًا ... وأنهَبَ أموالى وأحرقَ آدُرِى[5]

يعزُّ على هارونَ ما قَدْ لقيتُهُ ... وما مَرَّ بى من ناقِص الخلقِ أعورِ[6]

فإن كانَ ما أسْدَى بأَمرٍ أمرتَه[7] ... صَبرتُ لأَمرٍ مِنْ قَديرٍ مقدَّرِ

تذكَّرْ أميرَ المؤمنينَ قرابتى ... فديتك من ذى حُرمةٍ متذكِّرِ

٩٤٨/٣ وقال أيضًا يرثيه :

سُبْحانَ ربِّكَ رَبِّ العِزَّةِ الصمَدِ ... ماذا أُصِبنَا بِهِ فى صُبْحَةِ الأَحَدِ

وَمَا أُصيبَ به الإِسلامُ قاطبةً ... من التَّضعْضُعِ فى ركنَيْهِ والأَوَدِ

مَنْ لم يُصَبْ بأَمير المؤمنين وَلَمْ ... يُصبِحْ بمهلُكةٍ والهَمُّ فى صُعُدِ

فَقَدْ أُصِبتُ به حتى تبيَّن فى ... عَقلِى ودينِى وفى دنياىَ والْجَسَدِ

ياليلةً يشتكى الإِسلامُ مُدَّتها ... والعالَمون جميعاً آخرَ الأَبدِ

---

(١) المسعودى ٣ : ٤٢٤ ، وفيه : « وأفضل راق » .

(٢) المسعودى : « ووارث » .

(٣) المسعودى : « تسهّل » .

(٤) ابن الأثير : « المستضيم المقتّر » .

(٥) ابن الأثير : « أدؤرى » .

(٦) المسعودى : « وما نالنى » .

(٧) ابن الأثير : « ما أبدى لأمر » .

غدرت بالملك الميمون طـائرهُ ... وبالإمـام وبالضرغامةِ الأسدِ
سارت إليه المنايا وهى ترهبه ... فواجهته بأوغادٍ ذوى عددِ
بشُمورجينَ وأغتـامٍ يقودُهُمُ ... قريش بالبيضِ فى قُمْصٍ من الزَّرَدِ
فصادفُوه وحيـدًا لا مُعينَ لَهُ ... عليهمُ غائبَ الأنصار بالمددِ
فجرَّعـوه المنَايَا غيرَ ممتنِعٍ ... فردًا فيالَكَ من مُستسْلم فَرِدِ
يَلْقَى الوُجُوهَ بوجهٍ غير مبتـذَلٍ ... أبْهى وأنقَى من القُوهيّةِ الجدُدِ ٣/٩٤٩
واحسرتَا وقريشٌ قد أحاطَ به ... والسَّيفُ مُرتعِدٌ فى كفِّ مرتعِد
فما تَحَرَّكَ بَلْ ما زالَ منتصباً ... منكَّسَ الرَّأس لم يُبْدِئْ ولمْ يُعِدِ
حتى إذا السيف وافى وَسْطَ مَفْرِقِهِ ... أذرَتْهُ عَنهُ يداه فعْلَ مُتَّئِد
وقام فاعتلقتْ كَفَّاهُ لَبَّتَه ... كَضَيْغمٍ شَرِسٍ مُستَبْسِلٍ لَبِدِ
فاحتزَّهُ ثم أهْوَىٰ فاستقلَّ به ... للأرضِ من كفِّ ليثٍ مُخرِجٍ حَرِدِ
فكادَ يقتُلُهُ لَوْ لمْ يكاثِرهُ ... وقام منفلتًا مِنْه ولم يكَدِ
هذا حديثُ أمير المؤمنينَ وما ... نقَصْتُ من أمرهِ حَرْفًا وَلَمْ أزِدِ
لا زلتُ أنْدُبه حتَّى المماتِ وإن ... أخْنَى عليْهِ الَّذِى أخْنَى على لُبَدِ

وذكر عن الموصلىّ أنه قال : لما بعث طاهر برأس محمد إلى المأمون بكى ذو الرياستين ، وقال : سلّ علينا سيوفَ الناس وألسنتهم ؛ أمرناه أن يبعث به أسيرًا فبعث به عقيراً ! وقال له المأمون : قد مضَى ما مضى فاحتلْ فى الاعتذار منه ؛ فكتب الناس فأطالوا ، وجاء أحمد بن يوسف بشبْر من قرطاس فيه : ٣/٩٥٠

أما بعدُ ؛ فإنّ المخلوعَ كان قسيمَ أمير المؤمنين فى النسب واللُّحمة، وقد فرّق الله بينه وبينه فى الولاية والحُرْمة ، لمفارقته عصم الدين ، وخروجه من الأمر الجامع للمسلمين ؛ يقول الله عزّ وجلّ حين اقتصّ علينا نبأ ابن نوح : ﴿ إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ إنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ [1] ، فلا طاعةَ لأحد فى معصية

(١) سورة هود ٤٦ .

الله ، ولا قطيعة إذا كانت القطيعة فى جنب الله . وكتابى إلى أمير المؤمنين وقد قتل الله المخلوع ، وردّاه رداء نكثه ، وأحصد[1] لأمير المؤمنين أمرَه ، وأنجز له وعده ، وما ينتظر من صادق وعده حين ردّ به الألفة بعد فرقتها ، وجمع الأمة بعد شتاتها ، وأحيا به أعلام الإسلام بعد دروسها .

* * *

ذكر الخبر عن بعض سيَر المخلوع محمد بن هارون

ذُكر عن حُميد بن سعيد ، قال : لما ملك محمد ، وكاتَبه المأمون ، وأعطاه بيعتَه ، طلب الخصيان وابتاعهم ، وغالَى بهم ، وصيّرهم لخلوته فى ليله ونهاره ، وقِوام طعامه وشرابه ، وأمره ونهيه ؛ وفرض لهم فرضًا سماهم الجراديّة ، وفرضًا من الحبشان سمّاهم الغُرابيّة ، ورفض النساء الحرائر والإماء حتى رُمِى بهن ؛ ففى ذلك يقول بعضهم :

٩٥١/٣

ألا يَا مُزمِنَ المثوى بطوسٍ[2] عَزيبـــاً ما يُفادَى بالنُّفُوسِ
لقد أبقيتَ للخصيانِ بعلاً[3] تحَمَّلَ منهمُ شؤمَ البَسُوسِ
فأمّا نوفلٌ فالشأنُ فِيهِ وفى بدرٍ ، فيالك من جَليس !
وما العُصميُّ بَشَّارٌ لديْهِ[4] إذا ذُكِروا بذى سهمٍ خَسيسِ
وما حَسَنُ الصغيرُ أخسُّ حالاً لديه عند مخترق الكئوسِ
لهمْ من عُمْره شَطرٌ وَشَطْرٌ يُعاقِرُ فيه شَربَ الخَنْدريسِ
وَمَا للغانيات لَدَيْهِ حظٌّ سِوَى التَّقْطِيبِ بالوَجْهِ العَبوسِ
إذَا كانَ الرئيسُ كَذَا سَقِيماً فكيفَ صَلاحُنا بعدَ الرئيسِ!
فلو علمَ المقيمُ بدارِ طُوسٍ لَعزَّ على المقيم بدارِ طُوسِ

قال حميد : ولما ملك محمد وجّه إلى جميع البلدان فى طلب الملهين وضمّهم إليه ، وأجرى لهم الأرزاق ، ونافس فى ابتياع فُرْه الدوابّ ، وأخذ

(١) أحصد أمره : أحكمه وقواه . (٢) ابن الأثير : « ألا أيها المثوى » .
(٣) ابن الأثير : « هقلا » والهقل فى الأصل : الفتى من النعام .
(٤) ابن الأثير : « وما للمعصمى شىء لديه » .

الوحوش والسباع والطيْر وغير ذلك ؛ واحتجب عن إخوته وأهل بيته وقوّاده ، واستخفّ بهم ، وقسم ما فى بيوت الأموال وما بحضرته من الجوهر فى خصيانه وجلسائه ومحدّثيه ، وحُمِل إليه ماكان فى الرّقّة من الجوهر والخزائن والسلاح ، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلوته ولهوه ولعبه بقصر الخُلْد والخَيْزرانيّة وبستان موسى وقصر عبدويه وقصر المعلّى ورقة كَلْواذى وباب الأنبار وبناورى[1] والهوب ؛ وأمر بعمل خمس حَرّاقات فى دجلة على خِلْقة الأسد والفيل والعُقاب والحيّة والفرس ، وأنفق فى عملها مالاً عظيماً ؛ فقال أبو نواس يمدحه : ٩٥٢/٣

سَخَّرَ اللّهُ لِلأَمينِ مَطَايَا ... لم تُسَخَّرْ لِصَاحِبِ المِحْرابِ[2]

فإذا ما رِكابُه سِرْنَ برًّا ... سارَ فى الماءِ راكباً ليثَ غَابِ

أَسداً باسطاً ذِرَاعيْهِ يَهوِى[3] ... أَهْرَتَ الشِّدْقِ كالحَ الأَنيَابِ

لا يعانيهِ باللِّجامِ ولا السَّو ... طِ ولا غمزِ رجلِهِ فى الرِّكابِ

عجِبَ الناسُ إذ رأَوكَ على صُو ... رةِ ليثٍ تمرّ مرَّ السَّحَابِ[4]

سبَّحوا إذ رَأَوكَ سِرْتَ عليه ... كيفَ لو أبصرُوكَ فوْقَ العُقابِ

ذاتِ زَورٍ ومِنْسرٍ وجَناحَـ ... ـينِ تَشُقّ العُبابَ بَعدَ العُبابِ

تَسْبِقُ الطيرَ فى السَّماءِ إذا ما اسْـ ... ـتَعجَلُوها بجَيئةٍ وذهابِ

بَارَكَ اللهُ للأَميرِ وأَبْقَا ... هُ وأَبْقَى لَهُ رِدَاءَ الشَّبابِ[5] ٩٥٣/٣

ملِكٌ تَقصُرُ المَدائحُ عنهُ ... هاشمىٌّ موفَّقٌ للصوابِ

وذُكر عن الحسين بن الضّحّاك ، قال : ابتنى الأمير سفينةً عظيمة ؛ أنفق عليها ثلاثة آلاف ألف درهم ، واتّخذ أخرى على خلقة شىء يكون فى البحر يقال له الدُّلْفين[6] ، فقال فى ذلك أبو نواس الحسن بن هانئ :

---

(١) فى ط من غير نقط ؛ وانظر الفهرس .

(٢) ديوانه ١١٦ .

(٣) الديوان : « يعدو » .

(٤) الديوان : « يمر » .

(٥) الديوان : « بارك الله للأمين » .

(٦) فى القاموس : « الدلفين ، بالضم : دابة بحرية تنجى الغريق » .

قد ركبَ الدُّلفينَ بَدرُ الدجى مقتحماً فى الماءِ قَدْ لَجَّجا[١]

فأشْرَقَتْ دِجلةُ فى حُسْنِهِ وأشرَقَ الشَّطَّان واستَبْهجا[٢]

لم ترَ عينى مثلَهُ مَرْكَباً أحسنَ إن سَارَ وإن أحنجا

إذا استَحثثْتهُ مجادِيفُهُ أعنَقَ فَوْقَ الماءِ أو هَمْلَجا[٣]

خصَّ به اللهُ الأمين الَّذِى أضحى بتاج الملك قد تُوِّجا

وذكر عن أحمد بن إسحاق بن برصوما المغنّى الكُوفىّ أنه قال : كان العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبى جعفر من رجالات بنى هاشم جَلَداً وعقلا وصنيعًا ؛ وكان يتّخذ الخَدَم ، وكان له خادم من آثر خَدَمه عنده يقال له منصور ، فوجَد الخادم عليه ، فهرب إلى محمد ، وأتاه وهو بقصر أم جعفر المعروف بالقرار ، فقبله محمد أحسن قبول ، وحظِى عنده حُظوةً عجيبة. قال : فركب الخادم يومًا فى جماعة خدم كانوا لمحمد يقال لهم السَّيافة ، فمرّ بباب العباس بن عبد الله ؛ يريد بذلك أن يُرِىَ خدم العباس هيئته وحاله التى هو عليها . وبلغ ذلك الخبر العباس ، فخرج محضرًا[٤] فى قميص حاسرًا ، فى يده عمود عليه كيمُخت ، فلحقه فى سويقة أبى الورد ، فعلِق بلجامه ، ونازعه أولئك الخدم ، فجعل لا يضرب أحداً منهم إلا أوْهنه ، حتى تفرّقوا عنه ، وجاء به يقوده حتى أدخله داره . وبلغ الخبرُ محمداً ، فبعث إلى داره جماعةً ، فوقفوا حيالها[٥] ، وصفّ العباس غلمانه ومواليه على سور داره ، ومعهم التَّرسة والسهام ، فقام أحمد بن إسحاق : فخفنا والله النار أن تحرق منازلنا ؛ وذلك أنهم أرادوا أن يحرقوا دار العباس . قال : وجاء رشيد الهارونىّ ، فاستأذن عليه فدخل إليه ، فقال : ما تصنع ! أتدرى ما أنت فيه وما قد جاءك ! لو أذن لهم لاقتلعوا دارك بالأسنّة ، ألستَ فى الطاعة ! قال : بلى ، قال : فقم فاركب . قال : فخرج فى سَواده ، فلما صار على باب داره ، قال : ياغلام ؛ هلمّ دابتى

٩٥٤/٣

---

(١) ديوانه ١١٧ .

(٢) ط : « السكان » ، والصواب ما أثبته من الديوان .

(٣) الديوان : « عرجا » .

(٤) محضرًا ، أى مسرعاً .

(٥) ط : « أخيالها » .

فقال رشيد : لا ولا كرامة ! ولكن تمضى راجلاً . قال : فمضى ، فلما صار إلى الشارع نظر ؛ فإذا العالمون قد جاءوا ، وجاءه الجُلودىّ والإفريقىّ وأبو البطّ وأصحاب الهِرْش. قال : فجعل ينظر إليهم ، وأنا أراه راجلاً ورشيد راكب .

قال : وبلغ أمّ جعفر الخبرُ ، فدخلت على محمد ، وجعلت تطلب إلى محمد ، ٩٥٥/٣ فقال لها : نُفيتُ من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم أقتله ! وجعلتْ تلحّ عليه ، فقال لها : والله إنى لأظننى سأسطو بك .قال : فكشفت شعرَها ، وقالت : ومن يدخل علىّ وأنا حاسر ! قال : فبينا محمد كذلك — ولم يأت العباس بعدُ — إذ قدم صاعد الخادم عليه بقتل علىّ بن عيسى بن ماهان ، فاشتغل بذلك ، وأقام العباس فى الدّهليز عشرة أيام ، ونسيه ثم ذكره ، فقال : يُحبَس فى حُجْرة من حُجَر داره ، ويدخل عليه ثلاثة رجال من مواليه من مشايخهم يَخْدُمونه ، ويُجعل له وظيفة فى كلّ يوم ثلاثة ألوان. قال : فلم يزل على هذه الحال حتى خرج حسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان ، ودعا إلى المأمون ، وحبس محمد . قال : فمرّ إسحاق بن عيسى بن علىّ ومحمد بن محمد المعبدىّ بالعباس بن عبدالله وهو فى منظرة ، فقالا له : ما قعودك ؟ اخرج إلى هذا الرجل — يعنيان حسين بن علىّ — قال : فخرج فأتى حسينًا ، ثم وقف عند باب الجسر ؛ فما ترك لأم جعفر شيئًا من الشتم إلا قاله ، وإسحاق بن موسى يأخذ البيعة للمأمون . قال : ثم لم يكن إلاّ يسيراً حتى قتِل الحسين ، وهرب العباس إلى نهر بين إلى هَرْثمة ، ومضى ابنه الفضل بن العباس إلى محمد ، فسعى إليه بما كان لأبيه ، ووجّه محمد إلى منزله ، فأخذ منه أربعة آلاف ألف درهم وثلثمائة ألف دينار ، وكانت فى قماقم فى بئر ، وأُنْسوا قمقميْن من تلك القماقم ، فقال : ما بقى من ميراث أبى سوى هذين القمقمين ، وفيهما سبعون ألف دينار . فلما انقضت الفتنة وقُتِل محمد رجع إلى منزله فأخذ القمقمين وجعلهما ... [1]

وحجّ فى تلك السنة ، وهى سنة ثمان وتسعين ومائة . ٩٥٦/٣

قال أحمد بن إسحاق : وكان العباس بن عبد الله يحدّث بعد ذلك ؛

---

(١) بياض فى أصول ط .

فيقول : قال لى سليمان بن جعفر ونحن فى دار المأمون : أمّا قتلت ابنك بعدُ ؟ فقلت : يا عمّ ، جعلت فداك ! ومن يقتل ابنه ! فقال لى : اقتله ؛ فهو الذى سعى بك و بمالك فأفقرك .

وذُكر عن أحمد بن إسحاق بن برصوما ، قال : لمّا حُصِر محمد وضغطه الأمر ، قال : ويحكم ! ما أحد يستراح إليه ! فقيل له : بلى ، رجل من العرب من أهل الكوفة ، يقال له وضّاح بن حبيب بن بديل التميمىّ ؛ وهو بقيّة من بقايا العرب ، وذو رأى أصيل ، قال : فأرسلوا إليه ، قال : فقدم علينا ، فلمّا صار إليه قال له : إنى قد خُبّرت بمذهبك ورأيك ، فأشِرْ علينا فى أمرنا ، قال له : يا أميرَ المؤمنين ، قد بطل الرأى اليوم وذهب ؛ ولكن استعمل الأراجيف ؛ فإنها من آلة الحرب ؛ فنصب رجلا كان ينزلُ دُجيلا يقال له بكير بن المعتمر ؛ فكان إذا نزلت بمحمد نازلة وحادثة هزيمة قال له : هات ؛ فقد جاءنا نازلة ، فيضع له الأخبار ، فإذا مشى الناس تبيّنوا بُطلانها . قال أحمد بن إسحاق : كأنى أنظر إلى بكير بن المعتمر شيخ عظيم الخلْق .

وذكر عن العباس بن أحمد بن أبان الكاتب ، قال : حدّثنا إبراهيم بن الجرّاح ، قال : حدّثنى كوثر ، قال : أمر محمد بن زُبيدة يومًا أن يفرَش له على دُكان فى الخُلْد ، فبسط له عليه بساط زَرَعىّ ، وطُرِحت عليه نمارق وفُرُش مثله ، وهُيّئ له من آنية الفضة والذهب والجوهر أمر عظيم ، وأمر قيّمةَ جواريه أن تهيّئ له مائة جارية صانعة ، فتُصْعَد إليه عشرًا عشرًا ، بأيديهنّ العيدان يغنّين بصوت واحد ؛ فأصعدت إليه عشرًا ، فلما استوين على الدكان اندفعن فغنّين :

٩٥٧/٣

هُمُ قَتَلُوهُ كَى يَكُونوا مَكَانَهُ كَمَا غدَرَتْ يوماً بِكِسْرَى مرازِبُهْ[1]

قال : فتأفّف من هذا ، ولعنها ولعن الجوارى ، فأمر بهنّ فأنزلن ، ثم لبث هنيهة وأمرها أن تُصعد عشراً ، فلما استوين على الدكان اندفعن فغنّين :

---

(١) من أبيات للوليد بن عقبة ، يخاطب بها بنى هاشم حين قتل عثمان . الكامل ٣ : ٢٨ .

مَنْ كانَ مَسْرورًا بمقتلِ مالكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوتَنا بِوَجْهِ نَهار[1]
يجدِ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَلطُمْن قَبْلَ تبلّج الأَسْحَارِ

قال : فضجر وفعل مثل فَعْلته الأولى ، وأطرق طويلا ، ثم قال : أصعدى عشراً ، فأصعدتهن ، فلما وقفن على الدكان ، اندفعن يغنّين بصوت واحد :

كُلَيبٌ لَعَمْرِى كَانَ أكثر نَاصِرًا وأَيْسرَ ذَنباً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ[2]

قال : فقام من مجلسه ، وأمر بهدم ذلك المكان تَطَيُّراً مما كان .

وذُكر عن محمد بن عبد الرحمن الكِنْديّ ، قال : حدّثنى محمد بن دينار ، قال : كان محمد المخلوع قاعداً يومًا ، وقد اشتدّ عليه الحصار ، فاشتدّ اغتمامه ، وضاق صدره ؛ فدعا بندمائه والشراب ليتسلّى به ، فأُتِى به ، وكانت له جارية يتحظّاها من جواريه ، فأمرها أن تُغَنّى ، وتناول كأسًا ليشربه ؛ فحبس الله لسانها عن كل شىء ، فغنّت :

٩٥٨/٣

كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كَانَ أَكثرَ نَاصِرًا وأَيْسَرَ ذَنباً مِنكَ ضُرِّجَ بالدمِ

فرماها بالكأس الذى فى يده ، وأمر بها فطُرحت للأسد ، ثم تناول كأسًا أخرى ، ودعا بأخرى فغنّت :

هُمُ قَتَلُوهُ كَىْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا غَدَرَتْ يَوْماً بكِسْرَى مَرازِبُهْ

فرمى وجهها بالكأس ، ثم تناول كأسًا أخرى ليشربها ، وقال لأخرى : غَنّى ، فغنت :

* قَوْمِى هُمُ قَتَلُوا أُمَيم أخِى[3] *

---

(١) للربيع بن زياد ، ديوان الحماسة ٢ بشرح التبريزى ٣ : ٣٧ .
(٢) للنابغة الجعدى ، ديوانه ١٤٣ .
(٣) بقيته :

* فإذا رَمَيْتُ يصيبنى سَهْمِى *

من أبيات للحارث بن وعلة الذهلى . ديوان الحماسة بشرح التبريزى ١ : ١٩٩ .

قال : فرمى وجهها بالكأس ، ورمى الصينيّة برجله ، وعاد إلى ما كان فيه من همّه ، وقُتِل بعد ذلك بأيام يسيرة .

وذُكر عن أبي سعيد أنه قال : ماتت فَطِيم – وهى أمّ موسى بن محمد بن هارون المخلوع – فجزع عليها جزعًا شديداً ، وبلغ أمّ جعفر ، فقالت : احملونى إلى أمير المؤمنين ، قال : فحملتْ إليه ، فاستقبلها ، فقال : يا سيّدتى ، ماتت فَطِيم ، فقالت :

نَفْسى فداؤك لايذهبْ بك اللّهَفُ ... فى بقائِكَ مِمَّن قَدْ مَضَى خَلَفُ[1]

عُوِّضْتَ مُوسى فهانتْ كلُّ مَرْزِئةٍ ... ما بَعْدَ مُوسى على مفقودةٍ أَسَفُ

وقالت : أعظم الله أجرك ، ووفّر صبرك ، وجعل العزاء عنها ذخرك !

وذكر عن إبراهيم بن إسماعيل بن هانئ ، ابن أخى أبي نواس ، قال : حدّثنى أبي قال : هجا عمُّك أبو نواس مُضَر فى قصيدته التى يقول فيها : ٣/٩٥٩

أَمَّا قريشٌ فَلاَ افتخارَ لَهَا ... إلّا التِّجاراتُ مِنْ مَكَاسِبِها[2]

وأنّها إن ذكرتَ مكْرُمةً ... جاءت قريشٌ تسعى بغالِبِها

إنَّ قُريشاً إذا هى انتَسبت ... كان لها الشَّطرُ من مناسبها

قال : يريد أن أكرمها يُغالب . قال : فبلغ ذلك الرّشيدَ فى حياته ، فأمر بحبسه ؛ فلم يزل محبوسًا حتى ولىَ محمد ، فقال يمدحه ، وكان انقطاعه إليه أيام إمارته ، فقال :

تَذَكَّرْ أَمينَ اللهِ والعهدُ يُذكَرُ ... مُقامِى وإنشادِيكَ والنَّاسُ حُضَّرُ[3]

ونثرى عليك الدُّرَّ يادرّ هاشمٍ ... فيامَنْ رَأَى دُرًّا على الدرّ يُنثر !

أَبُوك الَّذِى لم يملكِ الأَرضَ مثلُه ... وعمُّك مُوسى عَدْلُهُ المتخَيَّرُ

وجدّك مهدىّ الهُدَى وشقيقهُ ... أَبو أُمّك الأَدنى أَبو الفضل جعفر

(١) المسعودى ٣ : ٤٠٢ ، وفيه : « مما قد مضى » .

(٢) ديوانه ١٥٧ .

(٣) ديوانه ١٠٦ .

وما مثلُ منصوريْك: منصورِ هاشمٍ ومنصورِ قحطانٍ إذا عُدَّ مفخَر
فَمنْ ذَا الَّذِى يرمى بسهمَيْك فى العلا وعَبْدِ منافٍ والدَاكَ وحِمْيَرُ

قال : فتغنّت بهذه الأبيات جارية بين يدى محمد ، فقال لها : لمن الأبيات ؟ فقيل له : لأبى نواس ، فقال : وما فعل ؟ فقيل له : محبوس ، فقال : ليس عليه بأس . قال : فبعث إليه إسحاق بن فِراشة وسعيد بن جابر أخا محمد من الرضاعة ، فقالا : إن أمير المؤمنين ذكرك البارحة فقال : ليس عليه بأس ، فقال أبياتًا ، وبعث بها إليه ، وهى هذه الأبيات : ٣/ ٩٦٠

أَرِقتُ وطَارَ عَنْ عَيْنِى النُّعَاسُ وَنَامَ السَّامِرُون وَلَمْ يُوَاسُوا[1]
أَمينَ الله قد مُلِّكتَ مُلْكًا عَلَيْكَ مِن التُّقَى فِيهِ لِبَاسُ[2]
ووجهك يَستهلُّ نَدًى فَيحيا به فى كلّ ناحيةٍ أُناسُ
كأَنَّ الخلقَ فى تمثالِ رُوحٍ لَهُ جَسَدٌ وأَنْتَ عَلَيْهِ رَاسُ
أَمينَ الله إنَّ السِّجْنَ بأْسٌ وقَدْ أَرْسَلتَ :ليس عليك باسُ

فلما أنشده قال : صدَق ، علىّ به ، فجىء به فى الليل ، فكسرتْ قيوده ، وأخرِج حتى أدخل عليه ، فأنشأ يقول :

مَرحباً مَرحباً بخير إمامٍ صِيغَ من جَوْهَرِ الخلافةِ نَحْتَا[3]
يا أَمينَ الإله يكلؤكَ الله ه مُقِيماً وظاعناً حيث سِرْتا
إنَّما الأَرض كلُّها لَكَ دارٌ فلَكَ الله صاحبٌ حَيْثُ كُنْتَا[4]

(١) ديوانه ١٠٧ .

(٢) بعده فى الديوان :

تُسَاسُ من السَّماءِ بكلّ صُنْعٍ وأَنتَ به تَسُوس كما تُسَاسُ

(٣) ديوانه ١١٤ ، وفيه : « بحتا » .

(٤) الديوان : « صاحبا » ، وذكر بعده :

يا شبيهَ المهدىّ جودًا وبـذلًا وشبيه المنصورِ هدياً وسَمْتَا

٣/٩٦١ قال : فخلع عليه ، وخلّى سبيله ، وجعله فى ندمائه .

وذُكر عن عبد الله بن عمرو التميمىّ ، قال : حدّثنى أحمد بن إبراهيم الفارسىّ ، قال : شرب أبو نواس الخمر ، فرُفع ذلك إلى محمد فى أيامه ، فأمر بحبسه ، فحبسه الفضل بن الربيع ثلاثة أشهر ، ثم ذكره محمد ، فدعا به وعنده بنو هاشم وغيرهم ، ودعا له بالسيف والنِّطَع يهدّده بالقتل ، فأنشده أبو نواس هذه الأبيات :

تَذَكَّرْ أمينَ اللهِ والْعَهْدُ يُذْكَرُ *

الشعر الذى ذكرناه قبل ، وزاد فيه :

تَحسَّنتِ الدُّنْيا بِحُسْنِ خليفةٍ هُو الْبَدْرُ إلاَّ أنَّهُ الدَّهرَ مُقمِرُ
إمامٌ يسُوسُ الناسَ سَبْعِين حِجَّةً عليه لَهُ منها لباسٌ ومئزر
يُشير إليه الجودُ من وَجَناتِهِ وَيَنْظُرُ من أعطافِه حِينَ يَنْظُرُ
أيا خيرَ مأمولٍ يرجَّى ، أنا امرؤٌ رهِينٌ أسِيرٌ فى سُجُونك مُقفِرُ
مَضَى أشهرٌ لى مُذْ حبِسْتُ ثلاثةٌ كأنِّىَ قد أذنبتُ ما ليس يُغْفَرُ
٣/٩٦٢ فإن كنتُ لم أُذْنِبْ ففيمَ تَعَقُّبِى ! وإن كُنتُ ذا ذنبٍ فعفوُك أكثرُ

قال : فقال له محمد: فإن شربتَها؟ قال: دمى لك حلال يا أمير المؤمنين ، فأطلقه . قال : فكان أبو نواس يشمّها ولا يشربها وهو قوله :

* لا أذُوقُ المُدامَ إلّا شمِيا *

وذكر عن مسعود بن عيسى العبدىّ ، قال : أخبرنى يحيى بن المسافر القَرْقِسائىّ ، قال : أخبرنى دُحَيْم غلام أبى نواس ؛ أن أبا نواس عتب عليه محمد فى شرب الخمر ، فطبق به — وكان للفضل بن الربيع خالٌ يستعرض أهل السجون ويتعاهدُهم ويتفقّدهم — ودخل فى حبس الزنادقة ، فرأى فيه أبا نواس — ولم يكن يعرفه — فقال له : يا شابّ ، أنت مع الزنادقة ! قال : معاذ الله ، قال : فلعلك ممّن يعبد الكبش ! قال : أنا آكل الكَبْش بصوفه ،

قال : فلعلك ممّن يعبد الشمس ؟ قال : إنى لأتجنب القعود فيها بغضًا لها ، قال : فبأىّ جرم حبِست ؟ قال : حبست بتهمة أنا منها برىء ، قال : ليس إلا هذا ؟ قال : والله لقد صدقتُك . قال : فجاء إلى الفضل ، فقال له : يا هذا ، لاتحسنون جوار نعم الله عزّ وجلّ ! أيُحْبَسُ الناس بالتّهمة ! قال : وما ذاك ؟ فأخبره بما ادّعى من جُرمه ، فتبسّم الفضل ، ودخل على محمد ، فأخبره بذلك ، فدعا به ، وتقدّم إليه أن يجتنب الخمر والسكر ، قال : نعم ، قيل له : فبعهدالله ! قال : نعم ، قال : فأخرِج ، فبعث إليه فتيان من قريش فقال لهم : إنى لا أشرب ، قالوا : وإن لم تشرب فآنِسْنا بحديثك ، فأجاب ، فلما دارت الكأس بينهم ، قالوا : ألم ترتح لها ؟ قال : لا سبيل والله إلى شربها ، وأنشأ يقول : ٩٦٣/٣

أيهـا الرّائِحَانِ باللوم لُومَا ... لا أذُوق المُدامَ إلا شميما[1]

نَالَنِى بالمَلام فيها إمامٌ ... لا أرَى فى خلافِهِ مستقيما[2]

فَاصْرِفَاهَا إلى سِوَاىَ فإنى ... لَسْتُ إلاَّ على الحديث نَدِيمَا

إنَّ حظّى منهاإذا هىَ دارَتْ[3] ... أن أرَاهَا وأن أشَمَّ النَّسيما

فكأنّى وَمَا أحَسِّنُ منْها ... قَعَدِىٌّ يُزَيّنُ التَّحكيما

كَلَّ عن حَمْلةِ السِّلاح إلى الحَرْ[4] ... بِ فأوصى المطيقَ ألا يُقيما

وذُكر عن أبى الورد السَّبْعىّ أنه قال : كنت عند الفَضْل بن سهل بخُراسان ، فذكر الأمين ، فقال : كيف لا يُسْتَحلّ قتال محمد وشاعره يقول فى مجاسه :

ألا سَقّنِى خَمْرًا وقلْ لى هِىَ الْخَمْرُ ... وَلاتَسْقِنِى سرًّا إذا أمكَنَ الجهْرُ[5]

قال : فبلغت القصّةُ محمدًا ، فأمر الفضل بن الربيع فأخذ أبا نواس فحبسه .

---

(١) ديوانه ٣٢٥ .

(٢) الديوان : « لا أرى لى » .

(٣) الديوان : « كبر حظى » .

(٤) الديوان : « عن حمله » .

(٥) ديوانه ٢٧٣ .

٩٦٤/٣ وذكر كامل بن جامع عن بعض أصحاب أبي نواس ورواته ، قال : كان أبو نواس قال أبياتًا بلغت الأمين في آخرها :

وقد زَادَنى تِيهاً على النَّاسِ أَنَّنى أَرانِى أَغنَاهُمْ إذا كنتُ ذَا عُسرِ[1]

وَلَوْ لمْ أَنلْ فَخرًا لكانت صيانَتِى[2] فمِى عن جميعِ الناسِ حَسْبِى من الفخرِ[3]

ولا يَطمَعَنْ فى ذَاكَ منِّىَ طامِعٌ ولا صَاحِبُ التَّاجِ المحجَّبُ فى القصرِ

قال : فبعث إليه الأمين — وعنده سليمان بن أبي جعفر — فلما دخل عليه ، قال : يا عاضٌ بَظْرِ أمِّه العاهرة ! يابن اللخناء — وشتمه أقبح الشتم — أنت تكسب بشعرك أوساخ أيدى اللئام ، ثم تقول :

* ولا صاحبُ التاج المحجب فى القصر *

أما والله لانلتَ منى شيئًا أبدًا . فقال له سليمان بن أبي جعفر : والله يا أمير المؤمنين ، وهو من كبار الثنويَّة ، فقال محمد : هل يشهد عليه بذلك شاهد ؟ فاستشهد سليمان جماعة ، فشهد بعضهم أنه شرب فى يوم مطير ، ووضع قَدَحه تحت السماء ، فوقع فيه القطر ، وقال : يزعمون أنه ينزل مع كلِّ قطرة مَلَك ، فكم ترى أنى أشرب الساعة من الملائكة ! ثم شرب ما فى القَدَح ، فأمر محمد بحبسه ، فقال أبو نواس فى ذلك :

يَا رَبِّ إنَّ القَوْمَ قد ظَلَمُونِى وَبِلاَ اقتِرافِ تَعطُّلٍ حَبَسُونِى

وإلى الجُحودِ بمَا عَرفتَ خلافَهُ مِنِّى إليه بكيدهِمْ نَسَبُونِى

٩٦٥/٣ ما كان إلا الجرْىُ فى مَيْدانِهِمْ فى كلِّ جَرْىٍ والمخافةُ دِينِى

لا العذرُ يُقبل لى فَيَفرقَ شَاهِدِى منهم ولا يرضَوْن حَلفَ يَمينِى

ولكان كوثرُ كان أَوْلى مَحْبِسًا فى دار مَنقَصَةٍ ومنزل هُونِ

أَمّا الأَمينُ فلست أَرجو دفعَهُ عنِّى ، فمن لِى اليومَ بالمأْمـــون !

---

(١) ديوانه ١٤٧ وفيه : « وإن كنت ذا فقر » . (٢) الديوان : « ولَمْ لَم أرث » .
(٣) الديوان : سؤال الناس » .

قال : وبلغت المأمونَ أبياته، فقال : والله لئن لحقتُه لأغنِيَنَّه غنى لا يؤمّله، قال : فمات قبل دخول المأمون مدينة السلام .

قال : ولما طال حبسُ أبى نواس، قال فى حبسه — فيما ذكر — عند دِعامة :

إحْمدُوا اللهَ جميعاً يا جَمِيعَ المُسْلِمينا
ثم قولوا لا تَمَلُّوا رَبَّنَا أبقِ الأَمينَا
صيَّر الخِصيَانَ حتَّى صيَّر التَّعْنِينَ دِينَا
فاقتدَى النَّاس جميعاً بأَميرِ المؤمنينا

قال : وبلغت هذه الأبيات أيضًا المأمون وهو بخراسان، فقال : إنّى لأتوكَّفُه أن يهرب إلىّ .

وذكر يعقوب بن إسحاق، عمّن حدّثه، عن كوثر خادم المخلوع، أنّ محمدًا أرِقَ ذات ليلة، وهو فى حَرْبه مع طاهر، فطلب مَنْ يسامره فلم يقرب إليه أحد من حاشيته، فدعا حاجبه، فقال : ويلك ! قد خطرت بقلبى خطرات فأحضِرْنى شاعراً ظريفًا أقطع به بقيّة ليلتى، فخرج الحاجب، فاعتمد أقرب مَنْ بحضرته، فوجد أبا نواس، فقال له : أجب أمير المؤمنين، فقال له : لعلك أردتَ غيرى ! قال : لم أرد أحدًا سواك . فأتاه به، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : خادمك الحسن بن هانئ، وطليقك بالأمس، قال : لَا تُرَعْ؛ إنه عرضتْ بقلبى أمثال أحببت أن تجعلها فى شعر، فإن فعلتَ ذلك أجزتُ حكمك فيما تطلب، فقال : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : قولهم : عفا الله عمّا سلف، وبئس والله ما جَرَى فرسِى، واكسرى عوداً على أنفكِ، وتمنّعى أشهى لك. قال : فقال أبو نواس. حكمى أربع وصائف مقدودات، فأمر بإحضارهنّ، فقال : ٩٦٦/٣

فقَدتِ طُولَ اعتلالِكْ وما أَرَى فى مِطالكْ
لَقَدْ أَرَدْتِ جفائى وقد أردتُ وصالكْ

ما ذا أردت بهـذا ! تمنعى أشهى لكْ

وأخذ بيد وصيفة فعزلها ، ثم قال :

قد صحّت الأيمانُ من حَلْفِكِ وصحْتُ حتى متُّ مِنْ خلفِكِ
بالله يا ستّى احنثى مَـرّةً ثم اكسِرى عُودًا على أنفِكِ

ثم عزل الثانية ، ثم قال :

فديْتُكِ مَاذا الصَّلفْ وشتْمُكِ أهلَ الشرَفْ !
صِلِى عاشقاً مدنفاً قَد اعتب ممّا اقترفْ
ولا تَذكُرِى ما مضَى عَفَا اللهُ عما سَلَفْ

٩٦٧/٣

ثم عزل الثالثة ، وقال :

وَبَاعِثَـاتٍ إلىَّ فى الغلَسِ أَنِ ائتِنَا واحترسْ من العَسَسِ
حتى إذا نُومَ العُدَاةُ ولمْ أَخشَ رقيباً ولا سَنَا قبَسِ
ركبتُ مُهرِى وقد طربتُ إلى حُورٍ حِسانٍ نوَاعِمٍ لعُسِ
فجئتُ والصبْح قد نهضت له فَبئسَ واللهِ ما جرَى فَرَسِى

فقال : خذهنّ لا بارك الله لك فيهنّ !

وذكر عن الموصلىّ ، عن حسين خادم الرّشيد، قال: لما صارت الخلافة إلى محمد هيّىء له منزلٌ من منازله على الشطّ ، بفرش أجود ما يكون من فرش الخلافة وأسواه ، فقال : يا سيّدى ؛ لم يكن لأبيك فرش يباهى به الملوك والوفود الذين يردون عليه أحسن من هذا ؛ فأحببت أن أفرشه لك ، قال : فأحببت أن يفرش لى فى أوّل خلافتى المردراج ، وقال : مزّقوه ، قال: فرأيت والله الخدم والفراشين قد صيّرُوه ممزقًا وفرّقوه .

وذكر عن محمد بن الحسن ، قال : حدثنى أحمد بن محمد البرمكىّ أن إبراهيم بن المهدىّ غنّى محمد بن زبيدة :

هَجَرْتُك حَتى قِيلَ لا يَعْرِفُ القِلى وزُرْتكِ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ له صَبرُ[1]

فطرب محمد . وقال : أوقروا زورقه ذهبًا .

وذُكر عن علىّ بن محمد بن إسماعيل ، عن مخارق ، قال : إنى لعند محمد بن زُبيدة يومًا ماطرًا ، وهو مصطبح ، وأنا جالس بالقرب منه . وأنا أغنّى وليس معه أحد ، وعليه جبّة وَشْى ؛ لا والله مارأيت أحسن منها . فأقبلت أنظر إليها ، فقال : كأنك استحسنتَها يا مخارق ! قلت : نعم يا سيدى ؛ عليك لأنّ وجهك حسن فيها ، فأنا أنظر إليه وأعوّذك . قال : يا غلام ، فأجابه الخادم ، قال : فدعا بجُبّة غير تلك ، فلبسها وخلع التى عليه علىّ ، ومكثت هنيهة ثم نظرت إليه ، فعاودنى بمثل ذلك الكلام ، وعاودته ، فدعا بأخرى حتى فعل ذلك بثلاث جباب ظاهرتُ بينها . قال : فلما رآها علىّ ندم وتغيّر وجهه ، وقال : يا غلام ، اذهب إلى الطباخين فقل لهم : يطبخوا لنا مصليّة ، ويجيدوا صنعتها ، وأتنى بها الساعة ، فما هو إلا أن ذهب الغلام حتى جاء الخِوان ، وهو لطيف صغير ، فى وسطه غضّارة ضَخْمة ورغيفان ، فوضعت بين يديه ، فكسر لقمة فأهوى بها إلى الصحيفة ، ثم قال : كُلْ يا مخارق ، قلت : يا سيّدى ، أعفِنى من الأكل ، قال : لست أعفيك فكلْ ، فكسرت لقمة ، ثم تناولت شيئًا ، فلما وضعته فى فمى ، قال : لعنك الله ! ما أشرهك ! نغّصتَها علىّ وأفسدتَها ، وأدخلت يدك فيها ؛ ثم رفع الغضّارة بيده ، فإذا هى فى حِجْرى ، وقال : قم لعنك الله ! فقمت ، وذاك الودك والمرَق يسيل من الجباب ، فخلعتها وأرسلت بها إلى منزلى ، ودعوت القصّارين والوشائين ، فجهدت جهدى أن تعود كما كانت فما عادت .

٣/٩٦٨

وذُكر عن البحترىّ أبى عبادة ، عن عبيدالله بن أبى غسّان ، قال : كنت عند محمد فى يوم شات شديد البرْد ؛ وهو فى مجلس له مفرد مفروش بفرش ؛ قلّما رأيت أرفع قيمةً مثله ولا أحسن ، وأنا فى ذلك اليوم طاوٍ ثلاثة أيام ولياليهنّ إلاّ من النبيذ ؛ والله لا أستطيع أن أتكلّم ولا أعقل ، فنهض نهضة

٣/٩٦٩

(١) لأبى صخر الهذلى ، أمالى القالى ١ : ١٥٠ .

البول ، فقلت لخادم من خدم الخاصّة : ويلك ! قد والله متّ ، فهل من حيلة إلى شيء تلقيه فى جوفى يبرد عنّى ما أنا فيه ! فقال : دعنى حتى أحتال لك وأنظر ما أقول ، وصدّق مقالتى ، فلما رجع محمد وجلس نظر الخادم إلىّ نظرة ، فتبسّم ، فرآه محمد ، فقال : مِمّ تبسّمت ؟ قال : لا شيء يا سيدى ، فغضب . قال البحترىّ : فقال : شيء فى عبيد الله بن أبى غسان ؛ لا يستطيع أن يشمّ رائحة البطيخ ولا يأكله ، ويجزع منه جزعًا شديداً . فقال : ياعبيد الله هذا فيك ؟ قال : قلت : إى والله يا سيّدى ، ابتليت به ، قال : ويحك ! مع طيب البطّيخ وطيب ريحه ! قال : فقلت : أنا كذا ، قال : فتعجّب ثم قال : علىّ ببِطيخ ؛ فأُتِىَ منه بعدّة ، فلما رأيته أظهرت القشعريرة منه ، وتنحّيت . قال : خذوه ، وضعوا البِطّيخ بين يديه ، قال : فأقبلت أريه الجزع والاضطراب من ذلك ، وهو يضحك ، ثم قال : كُلْ واحدة ، قال : فقلتُ : يا سيّدى ، تقتلنى وترمى بكلّ شيء فى جوفى وتهيّج علىّ العلل ، الله الله فىّ ! قال : كلْ بِطيخة ولك فرش هذا البيت ؛ علىّ عهد الله بذلك وميثاقه ، قلت : ما أصنع بفرش بيت ، وأنا أموت إن أكلت ! قال : فتأبّيت ، وألحّ علىّ ، وجاء الخادم بالسكاكين فقطعوا بطيخة ، فجعلوا يحشونها فى فمى ، وأنا أصرُخ وأضطرب ؛ وأنا مع ذلك أبلع ، وأنا أريه أنى بِكرْه أفعل ذلك وألطم رأسى ، وأصيح وهو يضحك ، فلما فرغت تحوّل إلى بيت آخر ، ودعا الفرّاشين ، فحملوا فرش ذلك البيت إلى منزلى ، ثم عاودنى فى فرش ذلك البيت فى بطيخة أخرى ، ثم فعل كفعله الأول ، وأعطانى فرش البيت ؛ حتى أعطانى فرش ثلاثة أبيات ؛ وأطعمنى ثلاث بِطّيخات ، قال : وحسنت والله حالى ، واشتدّ ظهرى .

٣/٩٧٠

قال : وكان منصور بن المهدىّ يريه أنه ينصح له ، فجاء وقد قام محمد يتوضّأ ، وعلمت أن محمدًا سيعقبنى بشرّ ندامة على ما خرج من يديه ؛ فأقبل علىّ منصور ومحمد غائب عن المجلس ، وقد بلغه الخبر ، فقال : يابن الفاعلة ، تخدع أمير المؤمنين ، فتأخذ متاعه ! والله لقد هممتُ أفعل وأفعل ، فقلت : يا سيّدى ، قد كان ذاك ؛ وكان السبب فيه كذا وكذا ، فإن أحببتَ أن

تقتلني فتأثم فشأنك ، وإن تفضّلت فأهلٌ لذلك أنت ، ولستُ أعود . قال : فإني أتفضّل عليك . قال: وجاء محمد، فقال: افرشوا لنا على تلك البرْكة، ففرشوا له عليها ، فجلس وجلسنا وهي مملوءة ماء ، فقال : يا عمّ ، اشتهيتُ أن أصنع شيئًا ؛ أرمي بعبيد الله إلى البرْكة وتضحك منه . قال : يا سيّدي إن فعلتَ هذا قتلتَه لشدة برد الماء وبرد يومنا هذا ؛ ولكني أدلك على شيء خبرتُ به، طيّب ، قال : ما هو ؟ قال : تأمر به يُشدّ في تخت، ويُطرح على باب المتوضأ ، ولا يأتي بابَ المتوضّأ أحد إلا بال على رأسه. فقال : طيّب والله؛ ثم أُتيَ بتخت فأمر فشُددت فيه ، ثم أمر فحمِلت وألقيتُ على باب المتوضأ ، وجاء الخدم فأرخوا الرِّباط[1] عني ، وأقبلوا يرونه أنهم يبولون عليّ وأنا أصرخ ، فمكث بذلك ما شاء الله وهو يضحك. ثم أمر بي فحُلِلتُ وأريته أني تنظّفت وأبدلت ثيابي وجاوزت عليه .

٩٧١/٣

وذكر عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع عن أبيه — وكان حاجبَ المخلوع — قال : كنتُ قائمًا على رأسه، فأُتيَ بغداء فتغدّى وحده ، وأكل أكلا عجيبًا ، وكان يومًا يعدّ للخلفاء قبله على هيئة ما كان يُهيَّأ لكلّ واحد منهم يأكل من كلّ طعام ، ثم يؤتَى بطعامه . قال : فأكل حتى فرغ ثم رفع رأسه إلى أبي العنبر — خادم كان لأمه — فقال : اذهب إلى المطبخ ، فقل لهم يهيئون لي بزْماورْد ، ويتركونه طوالا لا يقطّعونه ، ويكون حشوه شحوم الدّجاج والسمن والبقْل والبيض والجبن والزيتون والجوز ، ويكثرون منه ويعجلونه ؛ فما مكث إلا يسيراً حتى جاءوا به في خوان مربّع ، وقد جعل عليه البزْماورد الطوال ، على هيئة القبة العبدصمديّة ، حتى صيّر أعلاها بزماوردة واحدة ، فوُضع بين يديه ، فتناول واحدةً فأكلها ، ثم لم يزل كذلك حتى لم يُبقِ على الخوان شيئًا .

وذكر عن عليّ بن محمد أنّ جابر بن مصعب حدّثه ، قال : حدّثني مخارق ، قال : مرّت بي ليلة ما مرّت بي مثلها قطّ ، إني لفي منزلي بعد ليلٍ ؛

(١) ط : « الرياط » ، تحريف .

إذ أتانى رسول محمد — وهو خليفة— فركض بى ركضًا ، فانتهى بى إلى داره ، فأدخلت فإذا إبراهيم بن المهدىّ قد أرسل إليه كما أرسل إلىّ ، فوافينا جميعًا ، فانتهى إلى باب مُفضٍ إلى صحن ، فإذا الصحن مملوء شمعًا من شمع محمد العظام ، وكأنّ ذلك الصحن فى نهار ، وإذا محمد فى كُرّج ، وإذا الدار مملوءة وصائف وخدمًا ، وإذا اللعّابون يلعبون ، ومحمد وسطهم فى الكُرّج يرقص فيه ، فجاءنا رسول يقول: قال لكما: قُوما فى هذا الموضع على هذا الباب مما يلى الصحن ، ثم ارفعا أصواتكما معبّراً ومقصّرًا عن السورناى ، واتبعاه فى لحنه قال : وإذا السورناى والجوارى واللعابون فى شىء واحد : ٩٧٢/٣

*هذى دنانير تنسانى وأذكرها *

تتبع الزّمار . قال : فوالله ما زلتُ وإبراهيم قائمين نقولها ، نشقّ بها حلوقنا حتى انفلاق الصبح ، ومحمد فى الكرّج ما يسأمه ولا يملّه حتى أصبح يدنو منا ، أحيانًا نراه ، وأحيانًا يحول بيننا وبينه الجوارى والخدم .

وذكر الحسين بن فراس مولى بنى هاشم ، قال : غزا الناس فى زمان محمد على أن يردّ عليهم الخُمس ، فرُدّ عليهم ، فأصاب الرجل ستة دنانير ، وكان ذلك مالا عظيمًا .

* * *

وذكر عن ابن الأعرابىّ ، قال : كنت حاضر الفضل بن الربيع ، وأتِىَ بالحسن بن هانئ ، فقال : رُفع إلى أمير المؤمنين أنك زنديق ، فجعل يبرأ من ذلك ويحلف ، وجعل الفضل يكرّر عليه ، وسأله أن يكلّم الخليفة فيه ، ففعل وأطلقه ، فخرج وهو يقول :

أَهلى أَتيتكُمُ منَ القبْرِ ... والناسُ محْتَبَسونَ للحَشرِ
لولا أَبو العباسِ ما نظرَتْ ... عينى إلى ولدٍ ولا وفرِ
فالله أَلبسنى به نعمًا ... شَغَلَتْ حسابَتَها يدَىْ شكرِى
لقِيتُهــا من مُفهِّمٍ فَهِمٍ ... فمددتهــا بأَناملٍ عشْرِ

٩٧٣/٣ وذكر عن الرياشيّ أن أبا حبيب الموشيّ حدّثه ، قال : كنت مع مؤنس ابن عمران ، ونحن نريد الفضل بن الربيع ببغداد ، فقال لى مؤنس : لو دخلنا على أبى نواس ! فدخلنا عليه السجن ، فقال لمؤنس : يا أبا عمران، أين تريد؟ قال : أردت أبا العباس الفضل بن الربيع ، قال : فتبلّغه رقعة أعطيكها ؟ قال : نعم ، قال : فأعطاه رقعة فيها :

ما من يدٍ فى الناسِ واحدَةٍ إلا أبو العباسِ مولاها
نامَ الثقاتُ على مضاجعهِمْ وسرى إلى نفسى فأحيَاها
قد كنتُ خفتُكَ ثم أمّنَنى من أن أخافكَ خوفُكَ اللهَ
فَعفوتَ عنّى عفوَ مُقتدِرٍ وجبَت له نقَمٌ فألغَـاها

قال : فكانت هذه الأبيات سببَ خروجه من الحبس .

وذُكر عن محمد بن خلاد الشروِيّ ، قال : حدثنى أبى قال : سمع محمد شعر أبى نواس وقوله :

* ألا اسقِنى خَمْرا وقل لى هى الخَمْرُ *

وقوله :

اسقنيهــا يا ذُفافهْ مُزّةَ الطَّعْمِ سُلافهْ
ذَلّ عندِى مَنْ قلاها لِرَجَــاءٍ أو مخافَهْ
مثلَ ما ذَلّتْ وضاعَتْ بعد هارونَ الخِلافهْ

قال : ثم أنشد له :

٩٧٤/٣ فجاءَ بهــا زَيتِيّــةً ذَهَبيّةً فلم نستطِع دُونَ السُّجُودِ لها صَبْرًا

قال : فحبسه محمد على هذا ، وقال : إيه ! أنت كافر ، وأنت زنديق.

فكتب فى ذلك إلى الفضل بن الربيع :

أَنتَ يابنَ الرَّبيع علَّمتَنِى الخيْـ رَ وعوَّدتَنيهِ والخيْرُ عادَهْ

فارعَوَى باطِلِى وأَقصَرَ جَهْـ لى وأَظهرتُ رهبَةً وَزَهـادَهْ

لو ترَانى شبَّهْتَ بِى الحسَنَ البَصـ رىَّ فى حالِ نُسْكِهِ وقتَادَهْ

بركُوعٍ أَزِينُهُ بسُجُودٍ واصفِرارٍ مثلِ اصفرار الجرادهْ

فادعُ بِى لا عَدِمتَ تقوِيمَ مثلى فتأَمَّل بعينكَ السَّجَّاده

لو رآها بعْضُ المُرَائينَ يوماً لاشترَاها يُعِدُّها للشَّهادَهْ

خلافة المأمون عبد الله بن هارون

٩٧٥/٣

وفى هذه السنة وضعت الحرب – بين محمد وعبد الله ابنى هارون الرّشيد – أوزارها ، واستوسَق الناس بالمشرق والعراق والحجاز لعبد الله المأمون بالطاعة .

وفيها خرج الحسن الهِرْش فى ذى الحجة منها يدعو إلى الرضىّ من آل محمد – بزعمه – فى سفْلة الناس، وجماعة كثيرة من الأعراب ؛ حتى أتى النّيل، فجبى الأموالَ ، وأغار على التجّار ، وانتهب القرى ، واستاق المواشى .

وفيها ولّى المأمون كلّ ما كان طاهر بن الحسين افتتحه من كُوَر الجبال وفارس والأهواز والبَصْرة والكوفة والحجاز واليمن الحسنَ بن سهل أخا الفضل ابن سهل ؛ وذلك بعد مقتل محمد المخلوع ودخول الناس فى طاعة المأمون .

وفيها كتب المأمون إلى طاهر بن الحسين ، وهو مقيم ببغداد بتسليم جميع ما بيده من الأعمال فى البلدان كلّها إلى خلفاء الحسن بن سهل، وأن يشخص عن ذلك كلّه[1] إلى الرقّة ، وجعل إليه حرب نصر بن شبث ، وولاّه الموصل والجزيرة والشأم والمغرب .

وفيها قدم علىّ بن أبى سعيد العراق خليفةً للحسن بن سهل على خراجها، فدافع طاهر عليًّا بتسليم الخراج إليه؛ حتى وفّى الجند أرزاقهم، فلما وفّاهم سلّم إليه العمل .

وفيها كتب المأمون إلى هَرْثمة يأمره بالشُّخوص إلى خُراسان .

* * *

٩٧٦/٣

وحجّ بالناس فى هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ .

---

(١) ط : « كلها » .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث المشهورة

فمن ذلك قدومُ الحسن بن سهل فيها بغدادَ من عند المأمون، وإليه الحرب والخراج ، فلمّا قدمها فرّق عماله فى الكُور والبلدان .

وفيها شخص طاهر إلى الرّقة فى جُمادى الأولى، ومعه عيسى بن محمد بن أبى خالد . وفيها شخص أيضًا هرْثمة إلى خُراسان .

وفيها خرج أزهر بن زهير بن المسيّب إلى الهرْش، فقتله فى المحرّم .

وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسن بن علىّ بن أبى طالب يوم الخميس لعشر خلوْن من جُمادى الآخرة يدعو إلى الرضىّ من آل محمد والعمل بالكتاب والسنّة ، وهو الذى يقال له ابن طباطبا ، وكان القيّمَ بأمره فى الحرب وتدبيرها وقيادة جيوشه أبو السرايا ، واسمه السرىّ بن منصور ، وكان يذكر أنه من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيبان .

* * *

ذكر الخبر عن سبب خروج محمد بن إبراهيم بن طباطبا

٩٨٧/٣ اختُلف فى ذلك، فقال بعضهم : كان سببُ خروجه صرف المأمون طاهر ابن الحسين عمّا كان إليه من أعمال البلدان التى فتحها وتوجيهه إلى ذلك الحسن بن سهل؛ فلمّا فعل ذلك تحدّث الناس بالعراق بينهم أن الفَضْل بن سهل قد غلب على المأمون ، وأنه قد أنزله قصرًا حجبه فيه عن أهل بيته ووجوه قوّاده من الخاصّة والعامة ، وأنه يُبرم الأمور على هواه ، ويستبدّ بالرأى دونه . فغضب لذلك بالعراق مَنْ كان بها من بنى هاشم ووجوه الناس ، وأنفوا من

غلَبة الفضل بن سهل على المأمون ، واجترءوا على الحسن بن سهل بذلك ، وهاجت الفتن فى الأمصار ؛ فكان أوّل مَنْ خرج بالكوفة ابن طباطبا الذى ذكرت .

وقيل كان سبب خروجه أن أبا السرّايا كان من رجال هرثمة ، فمطله بأرزاقه وأخّره بها ، فغضب أبو السرايا من ذلك ، ومضى إلى الكوفة فبايع محمد بن إبراهيم وأخذ الكوفة ، واستوسق له أهلها بالطاعة ، وأقام محمد بن إبراهيم بالكوفة ، وأتاه الناس من نواحى الكوفة والأعراب وغيرهم .

[ذكر الوقعة بين أهل الكوفة وزهير بن المسيّب]

وفيها وجّه الحسن بن سهل زُهير بن المسيّب فى أصحابه إلى الكوفة — وكان عامل الكوفة يومئذ حين دخلها ابن طباطبا سليمان بن أبى جعفر المنصور من قبَل الحسن بن سهل ، وكان خليفة سليمان بن أبى جعفر بها خالد بن محجّل الضبّىّ — فلما بلغ الخبر الحسن بن سهل عنّف سليمان وضعّفه ، ووجّه زهير بن المسيّب فى عشرة آلاف فارس وراجل ؛ فلما توجّه إليهم وبلغهم خبرُ شخوصه إليهم تهيّئوا للخروج إليه ؛ فلم تكن لهم قوّة على الخروج ، فأقاموا حتى إذا بلغ زهير قرية شاهى خرجوا فأقاموا حتى إذا بلغوا القنطرة أتاهم زُهير ، فنزل عشية الثلاثاء صعنْبا ، ثم واقعهم من الغد فهزموه واستباحوا عسكره ، وأخذوا ما كان معه من مال وسلاح ودوابّ وغير ذلك يوم الأربعاء . ٩٧٨/٣

فلما كان من غد اليوم الذى كانت فيه الوقعة بين أهل الكوفة وزهير ابن المسيّب — وذلك يوم الخميس لليلة خلت من رجب سنة تسع وتسعين ومائة — مات محمد بن إبراهيم بن طباطبا فجاءةً ؛ فذُكر أن أبا السرايا سمّه ، وكان السبب فى ذلك — فيما ذُكر — أنّ ابن طباطبا لما أحرز ما فى عسكر زهير من المال والسلاح والدوابّ وغير ذلك منعه أبا السرايا ، وحظره عليه ؛ وكان النّاس له مطيعين ، فعلم أبو السرايا أنه لا أمر له معه فسمّه ؛ فلما مات ابن طباطبا أقام أبو السّرايا مكانَه غلاما أمردَ حَدَثًا يقال له محمد بن محمد بن زيد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ؛ فكان أبو السرايا هو الذى ينفّذ

الأمور ، ويولّى مَنْ رأى ، ويعزل من أحبّ ؛ وإليه الأموركلها ، ورجع زهير من يومه الذى هُزم فيه إلى قصر ابن هبيرة ، فأقام به . وكان الحسن بن سهل قد وجّه عبدوس بن محمد بن أبى خالد المروَرُّوذىّ إلى النِّيل حين وُجّه زهير إلى الكوفة ، فخرج بعد ما هُزِم زهير عبدوس يريد الكوفة بأمر الحسن بن سهل ؛ حتّى بلغ الجامع هو وأصحابه ، وزهير مقيم بالقصر ، فتوجّه أبوالسرايا إلى عبدوس ، فواقعه بالجامع ، يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من رجب فقتله ، وأسرَ هارون بن محمد بن أبى خالد ، واستباح عسكره . وكان عبدوس — فيما ذكر — فى أربعة آلاف فارس ، فلم يفلت منهم أحد ، كانوا بين قتيل وأسير ، وانتشر الطالبيّون فى البلاد ، وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة ، ونقش عليها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾[1] ، ولما بلغ زهيرًا قتلُ أبى السرايا عبدوسًا وهو بالقصر ، انحاز بمن معه إلى نهر الملك . ٣/٩٧٩

ثم إن أبا السرايا أقبل حتى نزل قصر ابن هبيرة بأصحابه ، وكانت طلائعه تأتى كُوثَى ونهر الملك ، فوجّه أبو السرايا جيوشًا إلى البصرة وواسط فدخلوهما ، وكان بواسط ونواحيها عبد الله بن سعيد الحَرَشىّ واليًا عليها من قِبَل الحسن ابن سهل ، فواقعه جيش أبى السرايا قريبًا من واسط فهزموه ، فانصرف راجعًا إلى بغداد ، وقد قتل من أصحابه جماعة وأسر جماعة . فلما رأى الحسن ابن سهل أنّ أبا السرايا ومَنْ معه لايلقَوْن له عسكراً إلا هزموه ، ولا يتوجّهون إلى بلدة إلا دخلوها ؛ ولم يجد فيمن معه من القوّاد مَنْ يكفيه حربه ، اضطر إلى هرثمة — وكان هرثمة حين قدم عليه الحسن بن سهل العراقَ واليًا عليها من قِبَل المأمون ، سلّم ما كان بيده من الأعمال ، وتوجه نحو خُراسان مغاضبًا للحسن ، فسار حتى بلغ حُلوان — فبعث إليه السندىّ وصالحًا صاحب المصلّى يسأله الانصراف إلى بغداد لحرب أبى السرايا ، فامتنع وأبى. وانصرف الرسول إلى الحسن بإبائه ؛ فأعاد إليه السندىّ بكتب لطيفة ، فأجاب ، وانصرف إلى

(١) سورة الصف آية ٤

بغداد ، فقدمها فى شعبان ؛ فتهيّأ للخروج إلى الكوفة : وأمر الحسن بن سهل
علىّ بن أبى سعيد أن يخرج إلى ناحية المدائن وواسط والبصرة ، فتهيّئوا لذلك. ٣/٩٨٠
وبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة ، فوجّه إلى المدائن ، فدخلها أصحابه
فى رمضان ، وتقدّم هو بنفسه وبمن معه حتى نزل نهر صَرْصَر مما يلى طريق
الكوفة فى شهر رمضان . وكان هرثمة لمّا احتبس قدومه على الحسن ببغداد أمر
المنصور بن المهدىّ أن يخرج فيعسكر بالياسريّة إلى قدوم هرثمة ، فخرج
فعسكر ، فلما قدم هَرْثمة خرج فعسكر بالسفينتين بين يدى منصور ، ثم
مضى حتى عسكر بنهر صَرْصر بإزاء أبى السرايا ، والنهر بينهما ؛ وكان علىّ
ابن أبى سعيد معسكراً بكلْواذى ، فشخص يوم الثلاثاء بعد الفطْر بيوم ،
ووجّه مقدّمته إلى المدائن ، فقاتل بها أصحاب أبى السرايا غداة الخميس إلى
اللّيل قتالا شديداً . فلمّا كان الغد غدا وأصحابه على القتال فانكشف أصحاب
أبى السرايا وأخذ ابن أبى سعيد المدائن . وبلغ الخبر أبا السرايا وأخذ ابن
أبى سعيد المدائن ؛ فلمّا كان ليلة السبت لخمس خلَوْن من شوّال رجع
أبو السرايا من نهر صرصر إلى قصر ابن هبيرة ؛ فنزل به ، وأصبح هرثمة فجدّ فى
طلبه ، فوجد جماعة كثيرة من أصحابه فقتلهم ، وبعث برءوسهم إلى الحسن ٣/٩٨١
ابن سهل ، ثم صار هرثمة إلى قصر ابن هبيرة ؛ فكانت بينه وبين أبى السرايا
وقعة قتل فيها من أصحاب أبى السرايا خلْق كثير ، فانحاز أبو السّرايا إلى
الكوفة ، فوثب محمد بن محمد ومن معه من الطالبيين على دور بنى العباس
ودور مواليهم وأتباعهم بالكوفة ، فانتهبوها وخرّبوها وأخرجوهم من الكوفة ،
وعملوا فى ذلك عملا قبيحًا ، واستخرجوا الودائع التى كانت لهم عند الناس
فأخذوها . وكان هَرْثمة — فيما ذكر — يخبر الناس أنه يريد الحجّ ، فكان
قد حبس من يريد الحجّ من خُراسان والجبال والجزيرة وحاجّ بغداد وغيرهم ؛
فلم يدَع أحدًا يخرج ،رجاء أن يأخذ الكوفة ، ووجّه أبو السرايا إلى مكة والمدينة
مَنْ يأخذهما ، ويقيم الحجّ للناس .

وكان الوالى على مكة والمدينة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن
علىّ بن عبد الله بن العباس ، وكان الذى وجّهه أبو السرايا إلى مكة

حسينُ بن حسن الأفطس بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب والذى وجّهه إلى المدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب ، فدخلها ولم يقاتله بها أحد ، ومضى حسين بن حسن يريد مكة فلمّا قرب منها وقف هُنيهة لمن فيها . وكان داود بن عيسى لمّا بلغه توجيه أبى السرايا حسينَ بن حسن إلى مكة لإقامة الحجّ للناس جمع موالى بنى العبّاس ٩٨٢/٣ وعبيد حوائطهم ، وكان مسرور الكبير الخادم قد حجّ فى تلك السنة فى مائتى فارس من أصحابه ، فتعبّأ للحرب مَنْ يريد دخول مكة وأخذها من الطالبيّين ، فقال لداود بن عيسى : أقم لى شخصَك أو شخص بعض ولدك ، وأنا أكفيك قتالَهم ، فقال له داود : لا أستحلّ القتال فى الحرم ؛ والله لئن دخلوا من هذا الفجّ لأخرجنّ من هذا الفجّ الآخر ، فقال له مسرور : تُسلّم ملكك وسلطانك إلى عدوّك ومن لا يأخذه فيك لومة لائم فى دينك ولا حرمك ولا مالك! قال له داود : أىّ مُلْك لى ! والله لقد أقمتُ معهم حتى شيّخْت فما ولّونى ولايةً حتى كبرتْ سنى ، وفنىَ عمرى ، فولّونى من الحجاز ما فيه القوت ؛ إنما هذا الملك لك وأشباهك ؛ فقاتل إن شئت أو دَعْ. فانحاز داود من مكة إلى ناحية المُشاش ، وقد شدّ أثقالَه على الإبل ، فوجّه بها فى طريق العراق ، وافتعل كتابًا من المأمون بتولية ابنه محمد بن داود على صلاة الموسم ، فقال له : اخرج فصلّ بالناس الظهر والعصر بمنىً ، والمغرب والعشاء ، وبتْ بمنًى ، وصلّ بالناس الصبح ، ثم اركب دوابّك فانزل طريق عَرَفة ، وخُذْ على يسارك فى شعب عمرو ؛ حتى تأخذ طريق المشاش ، حتى تلحقنى ببستان ابن عامر . ففعل ذلك ، وافترق الجمع الذى كان داود بن عيسى معهم بمكّة من موالى بنى العباس وعبيد الحوائط ، وفتّ ذلك فى عضد مسرور الخادم ، وخشى إن ٩٨٣/٣ قاتلهم أن يميل أكثر الناس معهم ؛ فخرج فى أثر داود راجعًا إلى العراق ، وبقى الناس بعرفة ؛ فلمّا زالت الشمس وحضرت الصّلاة ، تدافعها قوم من أهل مكة ، فقال أحمد بن محمد بن الوليد الردمىّ — وهو المؤذن وقاضى الجماعة والإمام بأهل المسجد الحرام : إذ [1] لم تحضر الولاة — لقاضى مكة محمد بن عبد الرحمن

---

(١) ط : « إذا » .

المخزومىّ: تقدم فاخطب بالناس ، وصلّ بهم الصلاتين؛ فإنك قاضى البلد .
قال : فلمن أخطبُ وقد هرب الإمام ؛ وأطلّ هؤلاء القوم على الدخول !
قال : لا تدْعُ لأحد، قال له محمد : بل أنت فتقدّمْ واخطب ، وصلّ بالناس ،
فأبى ؛ حتى قدّموا رجلا من عُرْض أهل مكة، فصلى بالناس الظهر والعصر
بلا خطبة ، ثم مضوا فوقفوا جميعًا بالموقف من عَرَفة حتى غربت الشمس ،
فدفع الناس لأنفسهم من عرفة بغير إمام، حتى أتوْا مزدلفة، فصلّى بهم المغرب
والعشاء رجلٌ أيضًا من عُرْض الناس وحسين بن حسن يتوقف بسرف يرهب
أن يدخل مكة ، فيُدفع عنها ويقاتَل دونها ، حتى خرج إليه قوم من أهل مكة
ممّن يميل إلى الطالبيّين ، ويتخوّف من العباسيين ، فأخبروه أن مكة ومنًى
وعَرفة قد خلتْ ممن فيها من السلطان، وأنهم قد خرجوا متوجّهين إلى العراق .
فدخل حسين بن حسن مكة قبل المغرب من يوم عرفة ، وجميع من معه
لا يبلغون عشرة ، فطافوا بالبيت وسعوْا بين الصفا والمروة ، ومضوا إلى عرفة فى
الليل ، فوقفوا بها ساعة من الليل، ثم رجع إلى مُزدلفة فصلّى بالناس الفجر ،
ووقف على قُزَح ، ودفع بالناس منه . ٣/٩٨٤

وأقام بمنى أيامَ الحجّ ، فلم يزل مقيماً حتى انقضت سنة تسع وتسعين
ومائة، وأقام محمد بن سليمان بن داود الطالبىّ بالمدينة السنة أيضًا ، فانصرف
الحاج ومَنْ كان شهد مكة والموسم، على أن أهل الموسم قد أفاضوا من عَرَفة
بغير إمام .

وقد كان هرثمة لما تخوّف أن يفوته الحجّ — وقد نزل قرية
شاهى — واقع أبا السرايا وأصحابه فى المكان الذى واقعه فيه زهير ، فكانت
الهزيمة على هرثمة فى أول النهار ، فلما كان آخر النهار كانت الهزيمةُ على
أصحاب أبى السرايا ، فلما رأى هرثمة أنه لم يصر إلى ما أراد ، أقام بقرية
شاهى، وردّ الحاج وغيرهم ، وبعث إلى المنصور بن المهدىّ فأتاه بقرية
شاهى ، وصار يكاتب رؤساء أهل الكوفة، وقد كان علىّ بن أبى سعيد لما أخذ
المدائن توجّه إلى واسط فأخذها، ثم إنه توجّه إلى البصرة فلم يقدر على أخذها حتى
انقضت سنة تسع وتسعين ومائة .

ثم دخلت سنة مائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن هرب أبى السرايا وما آل إليه أمره]

فمما كان فيها من ذلك هرب أبى السرايا من الكوفة ودخول هرثمة إليها .

ذُكِر أن أبا السرايا هرب هو ومن معه من الطالبيّين من الكوفة ليلةَ الأحد لأربع عشرة ليلة بقيتْ من المحرم من سنة مائتين ، حتى أتى القادسيّة. ودخل منصور ابن المهدىّ وهرثمة الكوفة صبيحةَ تلك الليلة ، وآمنوا أهلَها ، ولم يعرضوا لأحد منهم ، فأقاموا بها يومهم إلى العصر ، ثم رجعوا إلى معسكرهم ، وخلّفوا بها رجلاً منهم يقال له غسان بن أبى الفرج أبو إبراهيم بن غسان صاحب حرس صاحب خراسان ، فنزل فى الدار التى كان فيها محمد بن محمد وأبو السرايا . ٩٨٥/٣

ثم إنّ أبا السرايا خرج من القادسيّة هو ومَنْ معه حتى أتوْا ناحية واسط ، وكان بواسط علىّ بن أبى سعيد، وكانت البصرة بيد العلويّين بعد ، فجاء أبو السرايا حتى عبر دِجْلة أسفل من واسط ، فأتى عبْدَسِى ؛ فوجد بها مالاً كان حُمِل من الأهواز ، فأخذه ثم مضى حتى أتى السوس ، فنزلها ومَن معه ، وأقام بها أربعة أيام ، وجعل يعطى الفارس ألفًا والراجل خمسمائة ، فلما كان اليوم الرابع أتاهم الحسن بن على الباذغيسىّ المعروف بالمأمونىّ . فأرسل إليهم : اذهبوا حيث شئتم ، فإنه لا حاجةَ لى فى قتالكم ، وإذا خرجتم من عملى فلست أتبعكم . فأبى أبو السرايا إلا القتال ، فقاتلهم ، فهزمهم الحسن ، واستباح عسكرهم ، وجُرح أبو السرايا جراحة شديدة ، فهرب ، واجتمع هو ومحمد بن محمد وأبو الشوْك ، وقد تفرّق أصحابهم ، فأخذوا ناحية طريق الجزيرة يريدون منزل أبى السرايا برأس العين ؛ فلما انتهوا إلى جلولاء عُثِر بهم ، فأتاهم حماد الكُنْدُغُوش فأخذهم ، فجاء بهم إلى الحسن بن سهل ، وكان مقيماً بالنهْروان

حين طردته الحربية ، فقدم بأبى السرايا ، فضرب عنقه يوم الخميس لعشر خلوْن من ربيع الأول . وذكروا أنّ الذى تولّى ضرب عنقه هارون بن محمد بن أبى خالد، وكان أسيرًا فى أيدى أبى السرايا . وذكروا أنه لم يروا أحداً عند ٩٨٦/٣ القتل أشدّ جزعًا من أبى السرايا ، كان يضطرب بيديه ورجليه ، ويصيح أشدّ ما يكون من الصياح ؛ حتى جُعل فى رأسه حبل، وهو فى ذلك يضطرب ويلتوى ويصيح ؛ حتى ضربت عنقه . ثم بعث برأسه فطيف به فى عسكر الحسن بن سهل ، وبعث بجسده إلى بغداد ، فصُلِب نصفين على الجسر ، فى كلّ جانب نصف ، وكان بين خروجه بالكوفة وقتله عشرة أشهر .

وكان علىّ بن أبى سعيد حين عبر أبو السرايا توجّه إليه، فلمّا فاته توجه إلى البصرة فافتتحها. والذى كان بالبصرة من الطالبيّين زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب ومعه جماعة من أهل بيته ، وهو الذى يقال له زيد النار — وإنما سمى زيد النار لكثرة ما حرّق من الدور بالبصرة من دور بنى العباس وأتباعهم؛ وكان إذا أُتِىَ برجل من المسوّدة كانت عقوبته عنده أن يحرقه بالنار — وانتهبوا بالبصرة أموالا ، فأخذه علىّ بن أبى سعيد أسيراً . وقيل إنه طلب الأمان فآمنه . وبعث علىّ بن أبى سعيد ممن كان معه من القواد عيسى بن يزيد الجُلودىّ وورقاء بن جَميل وحمدويه بن علىّ بن عيسى بن ماهان وهارون بن المسيّب إلى مكة والمدينة واليمن، وأمرهم بمحاربة مَنْ بها من الطالبيين . وقال التميمىّ فى قتل الحسن بن سهل أبا السرايا :

أَلم ترَ ضَرْبةَ الحَسَنِ بن سهْلٍ ... بسيفِكَ يا أَميرَ المُؤْمنينَا

أَدَارت مَرْوَ رأْسَ أَبى السرايا ... وأَبقت عِبْرَةً للعابرينا ٩٨٧/٣

وبعث الحسن بن سهل محمد بن محمد حين قتل أبو السرايا إلى المأمون بخراسان.

* * *

[ذكر الخبر عن خروج إبراهيم بن موسى باليمن]

وفى هذه السنة خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب باليمن .

* ذكر الخبر عنه وعن أمره :

وكان إبراهيم بن موسى – فيما ذُكر – وجماعة من أهل بيته بمكّة حين خرج أبو السرايا وأمْرُه وأمر الطالبيين بالعراق ما ذُكر. وبلغ إبراهيم بن موسى خبرهم، فخرج من مكة مع مَنْ كان معه من أهل بيته يريد اليمن، ووالى اليمن يومئذ المقيم بها من قِبَل المأمون إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس. فلما سمع بإقبال إبراهيم بن موسى العلويّ وقربه من صنعاء، خرج منصرفًا عن اليمن، في الطريق النجدية بجميع مَنْ في عسكره من الخيل والرَّجْل، وخلّى لإبراهيم بن موسى بن جعفر اليمن وكره قتاله، وبلغه ما كان من فعل عمّه داود بن عيسى بمكة والمدينة؛ ففعل مثل فعله، وأقبل يريد مكة؛ حتى نزل المُشاش، فعسكر هناك، وأراد دخول مكة، فمنعه مَن كان بها من العلويّين، وكانت أم إسحاق بن موسى بن عيسى متوارية بمكة من العلويّين، وكانوا يطلبونها فتوارت منهم، ولم يزل إسحاق بن موسى معسكراً بالمشاش، وجعل مَن كان بمكة مستخفياً يتسللون من رءوس الجبال، فأتوا بها ابنها في عسكره. وكان يقال لإبراهيم بن موسى: الجزّار؛ لكثرة مَن قتل باليمن من الناس وسبَى وأخذ من الأموال.

٣/٩٨٨

* * *

[ذكر ما فعله الحسين بن الحسن الأفطس بمكة]

وفي هذه السنة في أول يوم من المحرّم منها بعد ما تفرّق الحاجّ من مكة جلس حسين بن حسن الأفطس خلف المقام على نُمرقة مثنيّة، فأمر بثياب الكعبة التي عليها فجُرّدت منها حتى لم يُبق عليها من كسوتها شيئًا، وبقيت حجارة مجرّدة، ثم كساها ثوبين من قَزّ رقيق، كان أبو السرايا وجّه بهما معه مكتوب عليهما: أمرَ به الأصفر بن الأصفر أبو السرايا داعية آل محمد، لكسوة بيت الله الحرام، وأن يطرح عنه كُسوة الظلَمة من ولد العباس، لتطّهر من كُسوتهم. وكتب في سنة تسع وتسعين ومائة.

ثم أمر حسين بن حسن بالكسوة التي كانت على الكعبة فقسمت بين أصحابه من العلويّين وأتباعهم على قدر منازلهم عنده، وعمَد إلى ما في خزانة

الكعبة من مالٍ فأخذه ، ولم يسمع بأحد عنده وديعة لأحد من ولد العباس وأتباعهم إلا هجم عليه فى داره ؛ فإن وجد من ذلك شيئًا أخذه وعاقب الرجل ؛ وإن لم يجد عنده شيئًا حبسه وعذّبه حتى يفتدى نفسه بقدر طوله ، ويقرّ عند الشهود أن ذلك للمسوّدة من بنى العباس وأتباعهم ، حتى عمّ هذا خلقًا كثيراً . ٣/٩٨٩

وكان الذى يتولى العذابَ لهم رجلاً من أهل الكوفة يقال له محمد بن مسلمة ، كان ينزل فى دار خالصة عند الحنّاطين ؛ فكان يقال لها دار العذاب ، وأخافوا الناس ؛ حتى هرب منهم خلْق كثير من أهل النّعم ، فتعقبوهم بهدم دورهم حتى صاروا من أمر الحرم ، وأخذ أبناء الناس فى أمر عظيم ، وجعلوا يحكّون الذهب الرقيق الذى فى رءوس أساطين المسجد ، فيخرج من الأسطوانة بعد التعب الشديد قدْر مثقال ذهب أو نحوه ، حتى عمّ ذلك أكثر أساطين المسجد الحرام ، وقلعوا الحديد الذى على شبابيك زمزم ، ومن خشب الساج ، فبيع بالثّمن الخسيس . فلما رأى حسين بن حسن ومَنْ معه من أهل بيته تغيّر الناس لهم بسيرتهم ، وبلغهم أن أبا السرايا قد قُتل ، وأنه قد طرد من الكوفة والبصرة وكور العراق من كان بها من الطالبيين ، ورجعت الولاية بها لولد العباس ، اجتمعوا إلى محمد بن جعفر بن محمد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب — وكان شيخًا وَدّاعًا محبّبًا فى الناس ، مفارقًا لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة ، وكان يروى العلم عن أبيه جعفر بن محمد ، وكان الناس يكتبون عنه ، وكان يظهر سَمْتًا وزهدًا — فقالوا له : قد تعلم حالك فى الناس ، فأبْرِزْ شخصك نبايعْ لك بالخلافة ؛ فإنك إن فعلت ذلك لم يختلف عليك رجلان ؛ فأبى ذلك عليهم ، فلم يزل به ابنه علىّ بن محمد بن جعفر وحسين بن حسن الأفطس حتى غلبا الشيخ على رأيه ؛ فأجابهم . فأقاموه يوم صلاة الجمعة بعد الصلاة لستّ خلون من ربيع الآخر ، فبايعوه بالخلافة ، وحشروا إليه الناسَ من أهل مكة والمجاورين ، فبايعوه طوعًا وكرهًا ، وسمّوْه بإمرة المؤمنين ، فأقام بذلك أشهراً ، وليس له من الأمر إلا اسمه ، وابنه علىّ وحسين بن حسن وجماعة منهم أسوأ ما كانوا سيرة ، وأقبح ما كانوا فعلاً ، فوثب حسين بن حسن على امرأة من قريش من بنى فهر — وزوْجها رجل من بنى مخزوم ، وكان لها ٣/٩٩٠

جمال بارع — فأرسل إليها لتأتيَه ، فامتنعت عليه ، فأخاف زوْجها وأمر بطلبها فتوارت منه ، فأرسل ليلا جماعة من أصحابه فكسروا بابَ الدار ، واغتصبوها نفسها ، وذهبوا بها إلى حسين ، فلبثت عنده إلى قرب خروجه من مكة ، فهربت منه ، ورجعت إلى أهلها وهم يقاتلون بمكة. ووثب عليّ بن محمد بن جعفر على غلام من قريش ، ابن قاض بمكة يقال له إسحاق بن محمد ، وكان جميلا بارعًا فى الجمال — فاقتحم عليه بنفسه نهاراً جهاراً فى داره على الصفا مشرفًا على المسعى ؛ حتى حمله على فرسه فى السرْج . وركب عليّ بن محمد على عجُز الفرس ، وخرج به يشق السوق حتى أتى بئر ميمون — وكان ينزل

٩٩١/٣ فى دار داود بن عيسى فى طريق منًى — فلما رأى ذلك أهلُ مكة ومَنْ بها من المجاورين ، خرجوا فاجتمعوا فى المسجد الحرام ، وغلقت الدكاكين ، ومال معهم أهلُ الطواف بالكعبة ؛ حتى أتوا محمد بن جعفر بن محمد ، وهو نازل دار داود ، فقالوا : والله لنخلعنك ولنقتلنّك ، أو تردنّ إلينا هذا الغلام الذى ابنك أخذه جهرة . فأغلق باب الدار ، وكلمهم من الشباك الشارع فى المسجد ، فقال : والله ما علمت ، وأرسل إلى حسين بن حسن يسأله أن يركب إلى ابنه عليّ فيستنقذ الغلام منه . فأبى ذلك حسين ، وقال : والله إنك لتعلمُ أنى لا أقوى على ابنك ، ولو جئتُه لقاتلنى وحاربنى فى أصحابه . فلما رأى ذلك محمد قال لأهل مكة : آمنونى حتى أركب إليه وآخذ الغلام منه . فآمنوه وأذنوا له فى الركوب ، فركب بنفسه حتى صار إلى ابنه ، فأخذ الغلام منه وسلمه إلى أهله . قال : فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى أقبل إسحاق بن موسى بن عيسى العباسى مقبلاً من اليمن حتى نزل المُشاش ، فاجتمع العلويّون إلى محمد بن جعفر بن محمد ، فقالوا له : يا أميرَ المؤمنين ، هذا إسحاق بن موسى مقبلاً إلينا فى الخيل والرجال ، وقد رأينا أن نخندق خندقًا بأعلَى مكة ، وتبرز شخصك ليراك الناس ويحاربوا معك . وبعثوا إلى مَنْ حولهم من الأعراب ، ففرضوا لهم ، وخندقوا على مكة ليقاتلوا إسحاق بن موسى من ورائه ، فقاتلهم إسحاق أيامًا . ثم إن إسحاق كره القتال والحرب ، وخرج يريد العراق ،

٩٩٢/٣ فلقيه ورقاء بن جميل فى أصحابه ومنْ كان معه من أصحاب الجُلودىّ ، فقالوا : ارجع معنا إلى مكة ونحن نكفيك القتال . فرجع معهم حتى أتوْا مكة

فنزلوا المُشاش . واجتمع إلى محمد بن جعفر من كان معه من غوغائها ، ومن سودان أهل المياه ، ومَن فرض له من الأعراب ، فعبّأهم ببئر ميمون ، وأقبل إليهم إسحاق بن موسى وورقاء بن جميل بمَن معه من القوّاد والجند ، فقاتلهم ببئر ميمون ، فوقعت بينهم قتلى وجراحات . ثم رجع إسحاق وورقاء إلى معسكرهم ، ثم عاودهم بعد ذلك بيوم فقاتلهم ، فكانت الهزيمة على محمد بن جعفر وأصحابه ؛ فلما رأى ذلك محمد ، بعث رجالاً من قريش فيهم قاضى مكة يسألون لهم الأمان ؛ حتى يخرجوا من مكة ، ويذهبوا حيث شاءوا ، فأجابهم إسحاق وورقاء بن جميل إلى ذلك ، وأجّلوهم ثلاثة أيام ، فلما كان فى اليوم الثالث ، دخل إسحاق وورقاء إلى مكة فى جمادى الآخرة وورقاء الوالى على مكة للجلودىّ ، وتفرّق الطالبيون من مكة ، فذهب كلّ قوم ناحية ؛ فأمّا محمد بن جعفر فأخذ ناحية جُدّة ، ثم خرج يريد الجُحفة ، فعرض له رجل من موالى بنى العباس يقال له محمد بن حكيم بن مروان ، قد كان الطالبيون انتهبوا داره بمكة ، وعذّبوه عذاباً شديداً ؛ وكان يتوكّل لبعض العباسيين بمكة لآل جعفر بن سليمان ، فجمع عبيد الحوائط من عبيد العبّاسيين حتى لحق محمد بن جعفر بين جُدّة وعُسْفان ، فانتهب جميع ما معه مما خرج به من مكة ، وجرّده حتى تركه فى سراويل ، وهمّ بقتله ، ثم طرح عليه بعد ذلك قميصاً وعمامة ورداء ودريهمات يتسبّب بها ، فخرج محمد بن جعفر حتى أتى بلاد جهينة على الساحل ، فلم يزل مقيماً هنالك حتى انقضى الموسم ، وهو فى ذلك يجمع الجموع . وقد وقع بينه وبين هارون بن المسيّب والى المدينة وقعات عند الشجرة وغيرها ، وذلك أن هارون بعث ليأخذه ، فلما رأى ذلك أتاه بمن اجتمع حتى بلغ الشجرة ، فخرج إليه هارون فقاتله ، فهزم محمد بن جعفر ، وفقئت عينه بنشابة ، وقتل من أصحابه بشر كثير ، فرجع حتى أقام بموضعه الذى كان فيه ينتظر ما يكون من أمر الموسم ، فلم يأته مَن كان وعده . فلما رأى ذلك وانقضى الموسم ، طلب الأمان من الجُلودىّ ومن رجاء ابن عمّ الفضل بن سهل ، وضمن له رجاء على المأمون وعلى الفضل بن سهل ألاّ يُهاج ، وأن يُوَفّى له بالأمان ، فقبل ذلك ورضيه ، ودخل به إلى مكة ، يوم الأحد بعد النفْر الأخير بثمانية أيام لعشر بقين من ذى الحجة ، فأمر عيسى بن يزيد

٩٩٣/٣

الجُلودى ورجاء بن أبى الضحاك ابن عمّ الفضْل بن سهل بالمنبر ؛ فوضع بين الركن والمقام حيث كان محمد بن جعفر بويع له فيه ، وقد جمع الناس من القريشيين وغيرهم ، فصعد الجُلوديّ رأسَ المنبر ، وقام محمد بن جعفر تحته بدرجة ، وعليه قَباء أسود وقَلنسوة سوداء ؛ وليس عليه سيف ليخلع نفسه . ثم قام محمد ، فقال :

٣/٩٩٤ أيها الناس مَنْ عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا محمد بن جعفر بن محمد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب ؛ فإنه كان لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين فى رقَبتى بيعة بالسمع والطاعة ، طائعاً غير مُكْرَه ، وكنت أحد الشهود الذين شهدوا فى الكعبة فى الشرطين لهارون الرشيد على ابنيه : محمد المخلوع وعبد الله المأمون أمير المؤمنين . ألا وقد كانت فتنة غشيت عامة الأرض منّا ومن غيرنا . وكان نُمِىَ إلىّ خبر ؛ أن عبدَ الله عبدالله المأمون أمير المؤمنين كان توفِّىَ ؛ فدعانى ذلك إلى أن بايعوا لى بإمرة المؤمنين ، واستحللت قبول ذلك لما كان علىّ من العهود والمواثيق فى بيعتى لعبد الله عبد الله الإمام المأمون ، فبايعتمونى — أو من فعل منكم — ألا وقد بلغنى وصحّ عندى أنه حىّ سوىّ . ألا وإنى أستغفر الله مما دعوتكم إليه من البيعة ، وقد خلعت نفسى من بَيْعتى التى بايعتمونى عليها ؛ كما خلعت خاتمى هذا من أصبعى ، وقد صرت كرجل من المسلمين فلا بيعة لى فى رقابهم ، وقد أخرجت نفسى من ذلك ، وقد ردّ الله الحق إلى الخليفة المأمون عبد الله عبد الله المأمون أمير المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين ؛ والصلاة على محمد خاتم النبيين والسلام عليكم أيها المسلمون .

ثم نزل . فخرج به عيسى بن يزيد الجلوديّ إلى العراق ، واستخلف على مكة ابنه محمد بن عيسى فى سنة إحدى ومائتين ، وخرج عيسى ومحمد بن جعفر حتى سلّمه إلى الحسن بن سهل ، فبعث به الحسن بن سهل إلى المأمون بمَرْو مع رجاء بن أبى الضحاك . ٣/٩٩٥

* * *

وفى هذه السنة وجّه إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد الطالبىّ بعض ولد عقَيل بن أبى طالب من اليمن فى جند كثيف إلى مكة ليحجّ بالناس ، فحورب العقَيلىّ فهزم ، ولم يقدر على دخول مكة .

ذكر الخبر عن أمر إبراهيم والعقيلىّ الذى ذكرنا أمره

ذكر أن أبا إسحاق بن هارون الرشيد حجّ بالناس فى سنة مائتين ، فسار حتّى دخل مكة ، ومعه قوّاد كثير ، فيهم حمدويه بن علىّ بن عيسى بن ماهان ، وقد استعمله الحسن بن سهل على اليمن ، ودخلوا مكة ، وبها الجلودىّ فى جنده وقواده ، ووجه إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد العلوىّ من اليمن راجلاً من ولد عـَقيل بن أبى طالب ، وأمره أن يحجّ بالناس ، فلما صار العقيلىّ إلى بستان ابن عامر ، بلغه أن أبا إسحاق بن هارون الرشيد قد ولى الموسم ، وأن معه من القواد والجنود مالا قِبَل لأحد به ، فأقام ببستان ابن عامر ، فمرّت به قافلة من الحاجّ والتجار ، فيها كسوة الكعبة وطيبها ، فأخذ أموال التجار وكسوة الكعبة وطيبها ، وقدم الحاجّ والتجار مكة عراة مسلّبين ، فبلغ ذلك أبا إسحاق بن الرشيد وهو نازل بمكة فى دار القوارير ، فجمع إليه القوّاد فشاورهم ، فقال له الجلودىّ — وذلك قبل التّروية بيومين أو ثلاثة : أصلح الله الأمير ! أنا أكفيكهم ، أخرج إليهم فى خمسين من نخبة أصحابى ، وخمسين أنتخبهم من سائر القوّاد . فأجابوه إلى ذلك ، فخرج الجُلودىّ فى مائة حتى صبـّح العقيلىّ وأصحابه ببستان ابن عامر ، فأحدق بهم ، فأسر أكثرهم وهرب من هرب منهم يسعى على قدميه ، فأخذ كسوة الكعبة إلاّ شيئاً كان هرب به من هرب قبل ذلك بيوم واحد ، وأخذ الطيب وأموال التجار والحاجّ ، فوجّه به إلى مكة ، ودعا بمَنْ أسر من أصحاب العقيلىّ ، فأمر بهم فقُنِّع كلّ رجل منهم عشرة أسواط ، ثم قال : اعزبوا يا كلاب النار ؛ فوالله ما قتلكم وعِز ، ولا فى أسركم جمال . وخلّى سبيلـَهم ، فرجعوا إلى اليمن يستطعمون فى الطريق حتى هلك أكثرهم جوعاً وعرياً . ٩٩٦/٣

وخالف ابن أبى سعيد على الحسن بن سهل ، فبعث المأمون بسراج الخادم ، وقال له : إن وضع علىّ يده فى يد الحسن أو شخص إلىّ بمرْو وإلا فاضرب عنقه . فشخص إلى المأمون مع هـَرْثمة بن أعين .

وفى هذه السنة شخص هرثمة فى شهر ربيع الأول منها من معسكره إلى المأمون بمرو .

ذكر الخبر عن شخوص هرثمة إلى المأمون وما آل إليه أمره فى مسيره ذلك

ذُكر أنّ هرثمة لما فَرَغ من أمر أبى السرايا ومحمد بن محمد العلوىّ ، ودخل الكوفة ، أقام فى معسكره إلى شهر ربيع الأول ؛ فلما أهلّ الشهر خرج حتى أتى نهر صَرْصر ، والناس يرون أنه يأتى الحسن بن سهل بالمدائن ؛ فلما بلغ نهر صرصر خرج على عقَرْقَوف ، ثم خرج حتى أتى البرَدَان ، ثمّ أتى النّهرَوان ، ثم خرج حتى أتى إلى خُراسان ؛ وقد أتته كتب المأمون فى غير منزل ، أن يرجع فيَلِىَ الشأم أو الحجاز ، فأبى وقال : لا أرجع حتى ألْقَى أمير المؤمنين ؛ إدلالاً منه عليه ؛ لما كان يعرف من نصيحته له ولآبائه ، وأراد أن يعرّف المأمون ما يدبّر عليه الفضل بن سهل ، وما يكتم عنه من الأخبار ، وألاّ يدَعه حتى يردّه إلى بغداد ، دار خلافة آبائه وملكهم ليتوسط سلطانه ، ويُشرف على أطرافه . فعلم الفضل ما يريد ، فقال للمأمون : إنّ هرثمة قد أنْغَل عليك البلاد والعباد[1] ، وظاهَر عليك عدوّك ، وعادى وليّك ، ودسّ أبا السرايا ، وهو جندىّ من جنده حتى عمل ما عمل ، ولو شاء هرثمة ألاّ يفعل ذلك أبو السرايا ما فعله . وقد كتب إليه أمير المؤمنين عدّة كتب ؛ أن يرجع فيَلِىَ الشأم أو الحجاز فأبى ، وقد رجع إلى باب أمير المؤمنين عاصياً مشاقًّا ، يُظهر القوْل الغليظ ، ويتواعد بالأمر الجليل ، وإن أطلِق هذا[2] كان مفسدة لغيره . فأشرب[3] قلب أمير المؤمنين عليه .

وأبطأ هرثمة فى المسير فلم يصل إلى خُراسان حتى كان ذو القعدة ؛ فلما بلغ مَرْو خشى أن يكتم المأمون قدومه ، فضرب بالطبول[4] لكى يسمعها المأمون ، فسمعها فقال : ما هذا ؟ قالوا : هرثمة قد أقبل يُرعد ويبرِق ، وظنّ هرثمةُ أنّ قوله المقبول . فأمر بإدخاله ، فلما أدخل — وقد أشرِب قلبه ما

٩٩٧/٣

٩٩٨/٣

(١) أنغل عليك البلاد : أفسدها . وفى ابن الأثير : « أثقل » .
(٢) كذا فى ابن الأثير ، وفى ط : « وهذا »
(٣) ابن الأثير : « فتغير » .
(٤) ابن الأثير : « فأمر بضرب الطبول » .

أشرب — قال له المأمون : مالأتَ أهل الكوفة والعلويّين وداهنت ودَسست إلى أبى السرايا حتى خرج وعمل ما عمل ؛ وكان رجلا من أصحابك ؛ ولو أردت أن تأخذهم جميعًا لفعلت ؛ ولكنّك أرخيت خناقهم ، وأجررت لهم رَسَنهم . فذهب هرثمةُ ليتكلم ويعتذر ، ويدفع عن نفسه ما قُرِف به فلم يُقْبَل ذلك منه ، وأمرَ به فوجِئ على أنفه [1] ، وديس بطنه ، وسُحب من بين يديه . وقد تقدّم الفضل بن سهل إلى الأعوان بالغلظ عليه والتّشديد حتى حبس ، فمكث فى الحبس أيامًا ، ثم دسوا إليه فقتلوه وقالوا له : إنه مات .

* * *

[ذكر الخبر عن وثوب الحربية ببغداد]

وفى هذه السنة هاج الشّغْب ببغداد بين الحربيّة والحسن بن سهل .

* ذكر الخبر عن ذلك وكيف كان :

ذُكر أنّ الحسن بن سهل كان بالمدائن حين شخص هرْثمة إلى خُراسان ، ولم يزل مقيمًا بها إلى أن اتّصل بأهل بغداد والحربية ما صُنع به ، فبعث الحسن ابن سهل إلى علىّ بن هشام — وهو والى بغداد ، من قبَله : أن أمطل الجندَ من الحربيّة والبغداديين أرزاقَهم ، ومنّهم ولا تُعطهم . وقد كان الحسن قبل ذلك اتّعدَهم أن يعطيَهم أرزاقهم ، وكانت الحربيّة حين خرج هرثمة إلى خُراسان وثبوا وقالوا : لا نرضى حتى نطرد الحسن بن سهل عن بغداد ؛ وكان من عمّاله بها محمد بن أبى خالد وأسد بن أبى الأسد ، فوثبت الحربية عليهم فطردوهم ، وصيّروا إسحاق بن موسى بن المهدىّ خليفة للمأمون ببغداد ؛ فاجتمع أهل الجانبين على ذلك ، ورضُوا به ، فدسّ الحسنُ إليهم ، وكاتب قوّادهم حتى وثبوا من جانب عسكر المهدىّ ، وجعل يعطى الجندَ أرزاقهم لستة أشهر عطاء نزْرًا ؛ فحوّل الحربية إسحاق إليهم ، وأنزلوه على دُجيل . ٩٩٩/٣

وجاء زهير بن المسيّب فنزل فى عسكر المهدىّ ، وبعث الحسن بن سهل علىّ بن هشام ، فجاء من الجانب الآخر؛ حتى نزل نهرصَرْصر ، ثم جاء هو

(١) ابن الأثير : « وضرب أنفه » .

ومحمد بن أبى خالد وقوّادهم ليلا ؛ حتى دخلوا بغداد، فنزل علىّ بن هشام دارَ العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخُزاعىّ على باب المحوّل لثمان خلوْن من شعبان ؛ وقبل ذلك ما كان الحربية حين بلَغهم أنّ أهلَ الكرخ يريدون أن يُدخلوا زهيراً وعلىّ بن هشام، شدّوا على باب الكرخ فأحرقوه ، وأنهبوا من حدّ قصر الوضّاح إلى داخل باب الكرْخ إلى أصحاب القراطيس ليلةَ الثلاثاء ، ودخل علىّ بن هشام صبيحةَ تلك الليلة، فقاتل الحربية ثلاثة أيام على قنطرة الصّراة العتيقة والجديدة والأرحاء .

ثم إنه وعد الحربيّة أن يعطيَهم رزق ستة أشهر إذا أدركت الغلّة ، فسألوه أن يعجّل لهم خمسين درهمًا لكل رجل لينفقوها فى شهر رمضان ، فأجابهم إلى ذلك ، وجعل يعطى، فلم يُتمّ لهم إعطاءهم ؛ حتى خرج زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب، الخارج بالبَصْرة المعروف بزيد النار ؛ كان أفلت من الحبْس عند علىّ بن أبى سعيد ، فخرج فى ناحية الأنبار ومعه أخو أبى السرايا فى ذى القعدة سنة مائتين ، فبعثوا إليه، فأخذ، فأتِىَ به علىّ بن هشام، فلم يلبث إلاّ جمعة حتى هرب من الحربيّة، فنزل نهر صرصر ، وذلك أنه كان يكذِبهم ، ولم يفِ لهم بإعطاء الخمسين ؛ إلى أن جاء الأضحى ؛ وبلغهم خبرُ هرثمة وما صُنع به ، فشدّوا على علىّ فطردوه . ١٠٠٠/٣

وكان المتولى ذلك والقائم بأمر الحرْب محمد بن أبى خالد ؛ وذلك أن علىّ ابن هشام لما دخل بغداد كان يُستخفّ به ، فوقع بين محمد بن أبى خالد وبين زُهير بن المسيّب إلى أن قنّعه زهير بالسوط. فغضب محمد من ذلك ، وتحوّل إلى الحربية فى ذى القعدة ، ونصب لهم الحرْب ، واجتمع إليه الناس فلم يقْوَ بهم علىّ بن هشام حتى أخرجوه من بغداد ؛ ثم اتبعه حتى هزمهم من نهر صرصر .

* * *

وفى هذه السنة وجّه المأمون رجاء بن أبى الضّحاك وفرناس الخادم لإشخاص علىّ بن موسى بن جعفر بن محمد ومحمد بن جعفر .

وأُحْصِيَ فى هذه السنة ولدالعباس ؛ فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفًا ما بين ذكرٍ وأنثى .

* * *

وفى هذه السنة قتلت الروم ملكها ليون[1] ، فكان قد ملك عليهم سبع سنين وستة أشهر ، وملكوا عليهم ميخائيل بن جورجس[2] ثانية .

وفيها قَتَل المأمون يحيى بن عامر بن إسماعيل ؛ وذلك أن يحيى أغلظ له ، ٣/١٠٠١ فقال له : يا أميرَ الكافرين ؛ فقتِل بين يديه .

وأقام للناس الحجّ فى هذه السنة أبو إسحاق بن الرّشيد .

(١) ابن الأثير : « اليون » .
(٢) ابن الأثير : « جورجيش » .

ثم دخلت سنة إحدى ومائتين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

* * *

[ولاية منصور بن المهدىّ ببغداد]

فمما كان فيها من ذلك مراوَدة أهل بغداد منصورَ بن المهدىّ على الخلافة وامتناعه عليهم ؛ فلما امتنع من ذلك راودوه على الإمْرة عليهم ، على أن يدعوَ للمأمون بالخلافة ؛ فأجابهم إلى ذلك .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه :

قد ذكرنا قبل ذلك سببَ إخراج أهل بغداد علىّ بن هشام من بغداد . ويُذكر عن الحسن بن سهل أنّ الخبر عن إخراج أهل بغداد علىّ بن هشام من بغداد لما اتّصل به وهو بالمدائن، انهزم حتّى صار إلى واسط ؛ وذلك فى أوّل سنة إحدى ومائتين .

وقد قيل إن سبب إخراج أهل بغداد علىّ بن هشام من بغداد ، كان أنّ الحسن بن سهل وجّه محمد بن خالد المرورّوذىّ بعد ما قُتل أبو السرايا ، أفسده[1] وولّى علىّ بن هشام الجانب الغربىّ من بغداد وزهير بن المسيّب يلى الجانب الشرقىّ ، وأقام هو بالخيزرانيّة ، وضرب الحسنُ عبدَ الله بن علىّ بن عيسى ابن ماهان حدًّا بالسياط ، فغضب الأبناء ، فشغب الناس ، فهرب إلى بربْسَخا ثم إلى باسَلاَمَا ، وأمر بالأرزاق لأهل عسكر المهدىّ ، ومنع أهل الغربىّ ، واقتتل أهل الجانبين ، ففرّق محمد بن أبى خالد على الحربيّة مالاً ، فهُزم علىّ ابن هشام ، فانهزم الحسن بن سهل بانهزام علىّ بن هشام ، فلحق بواسط ، فتبعه محمد بن أبى خالد بن الهندوان مخالفاً له ؛ وقد تولّى القيام بأمر الناس ، وولّى سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب الغربىّ ونصر بن حمزة بن مالك الشرقىّ ، وكنفه ببغداد منصور بن المهدىّ وخزيمة بن خازم والفضل بن الربيع .

٣/١٠٠٢

(١) كذا وردت العبارة فى أصول ط ، وفيها غموض .

وقد قيل إنّ عيسى بن محمد بن أبي خالدقدم في هذه السنة من الرّقّة، وكان عند طاهر بن الحسين ، فاجتمع هو وأبوه على قتال الحسن ، فمضيا حتى انتهيا ومَنْ معهما من الحربيّة وأهل بغداد إلى قرية أبي قريش قرب واسط ، وكان كلما أتيا موضعاً فيه عسكر من عساكر الحسن فيكون بينهما فيه وقعة، تكون الهزيمة فيه على أصحاب الحسن .

ولما انتهى محمد بن خالد إلى دير العاقول ، أقام به ثلاثاً، وزهير بن المسيّب حينئذ مقيم بإسكاف بني الجُنَيد، وهو عامل الحسن على جوخى مقيم في عمله ؛ فكان يكاتب قوّاد أهل بغداد . فبعث ابنه الأزهر ، فمضى حتى انتهى إلى نهر النهروان، فلقي محمد بن أبي خالد، فركب إليه، فأتاه بإسكاف ، فأحاط به فأعطاه الأمان ، وأخذه أسيراً ، فجاء به إلى عسكره بدير العاقول ، وأخذ أمواله ومتاعه وكلّ قليل وكثير وجد له . ثم تقدّم محمد بن أبي خالد ، فلما صار إلى واسط بعث به إلى بغداد ، فحبسه عند ابن له مكفوف، يقال له جعفر؛ فكان الحسن مقيماً بجرْجرايا ، فلما بلغه خبر زهير ، وأنه قد صار في يد محمد بن أبي خالد ارتحل حتى دخل واسط ، فنزل بفم الصِّلح ، ووجه محمّد من دير العاقول ابنَه هارون إلى النيل وبها سعيد بن الساجور الكوفيّ ، فهزمه هارون، ثم تبعه حتى دخل الكوفة، فأخذها هارون، وولّى عليها . وقدم عيسى ابن يزيد الجلُوديّ من مكّة؛ ومعه محمد بن جعفر ، فخرجوا جميعاً حتى أتوْا واسط في طريق البرّ ، ثم رجع هارون إلى أبيه ، فاجتمعوا جميعاً في قرية أبي قريش ليدخلوا واسط ، وبها الحسن بن سهل، فتقدّم الحسن بن سهل ، فنزل خلف واسط في أطرافها . ١٠٠٣/٣

وكان الفضل بن الربيع مختفياً من حين قتل المخلوع ، فلما رأى أن محمد ابن أبي خالد قد بلغ واسطَ بعث إليه يطلب الأمان منه ، فأعطاه إياه وظهر . ثم تعبّأ محمد بن أبي خالد للقتال ، فتقدّم هو وابنه عيسى وأصحابهما ، حتى صاروا على ميلين من واسط ، فوجّه إليهم الحسن أصحابَه وقوّاده، فاقتتلوا قتالا شديداً عند أبيات واسط . فلما كان بعد العصر هبّت ريح شديدة وغُبْرة حتى اختلط القوم بعضهم ببعض ؛ وكانت الهزيمة على أصحاب محمد بن

أبى خالد ، فثبت للقوم فأصابته جراحات شديدة فى جسده ، فانهزم هو وأصحابه هزيمة شديدة قبيحة ، فهزم أصحابه الحسن ؛ وذلك يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى ومائتين .

٣/١٠٠٤ فلما بلغ محمد فم الصلْح خرج عليهم أصحابُ الحسن[1] فصافّهم للقتال ، فلما جنّهم الليل ، ارتحل هو وأصحابه حتى نزلوا المبارك ؛ فأقاموا به ؛ فلمّا أصبحوا غدًا عليهم أصحابُ الحسن فصافوهم ، واقتتلوا .

فلما جنّهم الليل ارتحلوا حتى أتوا جَبُّل ، فأقاموا بها ، ووجّه ابنه هارون إلى النيل ، فأقام بها ، وأقام محمد بجَرْجَرايا ، فلما اشتدّت به الجراحات خلّف قوّاده فى عسكره ، وحمله ابنه أبو زنبيل حتى أدخله بغداد ليلة الاثنين لستّ خلوْن من شهر ربيع الآخر ، فدخل أبو زنبيل ليلة الاثنين ، ومات محمد بن أبى خالد من ليلته من تلك الجراحات ، ودفن من ليلته فى داره سرًّا .

وكان زهير بن المسيّب محبوسًا عند جعفر بن محمد بن أبى خالد ، فلما قدم أبو زنبيل أتى خزيمة بن خازم يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الآخر ، فأعلمه أمر أبيه ، فبعث خزيمة إلى بنى هاشم والقوّاد وأعلمهم ذلك ، وقرأ عليهم كتاب عيسى بن محمد بن أبى خالد ، وأنه يكفيهم الحرب . فرضوا بذلك ، فصار عيسى مكان أبيه على الحرْب ، وانصرف أبو زنبيل من عند خزيمة حتى أتى زهير بن المسيّب ، فأخرجه من حبْسه ، فضرب عنقه .

٣/١٠٠٥ ويقال : إنه ذبحه ذبحًا وأخذ رأسه ، فبعث به إلى عيسى فى عسكره ، فنصبه على رمح وأخذوا جسده ، فشدّوا فى رجليه حبلاً ، ثم طافوا به فى بغداد ، ومرّوا به على دوره ودور أهل بيته عند باب الكوفة ، ثم طافوا به فى الكرْخ ، ثم ردّوه إلى باب الشأم بالعشىّ ؛ فلما جنّهم الليل طرحوه فى دجلة ، وذلك يوم الاثنين لثمان خلوْن من شهر ربيع الآخر .

ثم رجع أبو زنبيل حتى انتهى إلى عيسى فوجّهه عيسى إلى فم الصّراة .

وبلغ الحسن بن سهل موت محمد بن أبى خالد ، فخرج من واسط حتى

---

(١) ابن الأثير : « وأتاهم الحسن » .

انتهى إلى المُبارك، فأقام بها. فلما كان جمادى الآخرة وجّه حميد بن عبد الحميد الطوسيّ ومعه عركو الأعرابيّ وسعيد بن الساجور وأبو البطّ ومحمد بن إبراهيم الإفريقيّ، وعدّة سواهم من القوّاد، فلقوا أبا زنبيل بفم الصّراة فهزموه، وانحاز إلى أخيه هارون بالنّيل، فالتقوْا عند بيوت النيل، فاقتتلوا ساعة، فوقعت الهزيمة على أصحاب هارون، وأبي زنبيل، فخرجوا هاربين حتى أتوا المدائن؛ وذلك يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الآخرة.

ودخل حميد وأصحابه النّيل فانتهبوها ثلاثة أيام؛ فانتهبوا أموالهم وأمتعتهم، وانتهبوا ما كان حوْلهم من القرى؛ وقد كان بنو هاشم والقوّاد حين مات محمد بن أبي خالد تكلّموا في ذلك؛ وقالوا: نصيّر بعضنا خليفة ونخلع المأمون. فكانوا يتراضَوْن في ذلك؛ إذ بلغهم خبر هارون وأبي زنبيل وهزيمتهم، فجدّوا فيما كانوا فيه، وأرادوا منصور بن المهديّ على الخلافة؛ فأبى ذلك عليهم، فلم يزالوا به حتى صيّروه أميراً خليفة للمأمون ببغداد والعراق، وقالوا: لا نرضى بالمجوسيّ ابن المجوسيّ الحسن بن سهل، ونطرده حتى يرجع إلى خراسان. ١٠٠٦/٣

وقد قيل: إنّ عيسى بن محمد بن أبي خالد لمّا اجتمع إليه أهل بغداد، وساعدوه على حرب الحسن بن سهل، رأى[1] الحسن أنه لا طاقة له بعيسى، فبعث إليه وهب بن سعيد الكاتب، وبذل له المصاهرة ومائة ألف دينار والأمان له ولأهل بيته ولأهل بغداد وولاية أيّ النواحي أحبّ، فطلب كتاب المأمون بذلك بخطّه، فردّ الحسن بن سهل وهبًا بإجابته، فغرق وهب بين المُبارك وجَبُّل؛ فكتب عيسى إلى أهل بغداد: إني مشغول بالحرب عن جباية الخراج، فولّوا رجلا من بني هاشم، فولوْا منصور بن المهديّ، وعسكر منصور بن المهديّ بكَلْواذَى، وأرادوه على الخلافة فأبى، وقال: أنا خليفة أمير المؤمنين حتى يقدم أو يولّي مَنْ أحبّ، فرضي بذلك بنو هاشم والقوّاد والجند؛ وكان القيّم بهذا الأمر خزيمة بن خازم، فوجّه القوّاد في كلّ ناحية، وجاء حميد الطوسي من فوره في طلب بني محمد حتى انتهى إلى المدائن، فأقام بها يومه، ثم انصرف إلى النيل.

(١) ابن الأثير: «علم».

فلما بلغ منصورًا خبرُه خرج حتى عسكر بكَلْواذى ، وتقدّم يحيى بن علىّ بن عيسى بن ماهان إلى المدائن .

ثم إن منصوراً وجّه إسحاق بن العباس بن محمد الهاشمىّ من الجانب الآخر ، فعسكر بنهر صَرْصر ، ووجّه غسان بن عباد بن أبى الفرج أبا إبراهيم بن غسان صاحب حرس صاحب خُراسان ناحية الكوفة ، فتقدّم حتى أتى قصرَ ابن هبيرة ، فأقام به . فلما بلغ حُميداً الخبرلم يعلم غسان إلا وحُميد قد أحاط بالقصر ، فأخذ غسانَ أسيرًا ، وسلب أصحابه ، وقتل منهم ؛ وذلك يوم الاثنين لأربع خلوْن من رجب .

٣/١٠٠٧

ثم لم يزل كلُّ قوم مقيمين فى عساكرهم ؛ إلاّ أن محمد بن يقطين بن موسى كان مع الحسن بن سهل ، فهرب منه إلى عيسى ، فوجّهه عيسى إلى منصور ، فوجّهه منصور إلى ناحية حُميد؛ وكان حُميد مقيماً بالنيل إلاّ أنّ له خيلا بالقَصْر .

وخرج ابن يقطين من بغداد يوم السبت لليلتين خلَتا من شعبان حتى أتى كُوثى . وبلغ حُميداً الخبر ، فلم يعلم ابن يقطين حتى أتاه حُميد وأصحابه إلى كُوثى ، فقاتلوه فهزموه ، وقتلوا من أصحابه ، وأسروا ، وغرق منهم بشر كثير ، وانتهب حميد وأصحابه ما كان حول كُوثى من القُرى وأخذوا البقر والغنم والحمير وما قدَروا عليه من حَلْىٍ ومتاع وغير ذلك ؛ ثم انصرف حتى النّيل ، وراجع ابنُ يقطين ، فأقام بنهر صَرصَر .

وفى محمد بن أبى خالد قال أبو الشدّاخ :

هَوَى خيلُ الأَبناءِ بعدَ محمَّدٍ ... وأَصْبحَ منها كاهِلُ العِزِّ أَخضَعَا

فلا تَشمَتُوا يا آلَ سهلٍ بموْتِه ... فإنَّ لكم يوماً من الدهرِ مَصْرَعَا

وأحْصَى عيسى بن محمد بن أبى خالد ما كان فى عسكره ، فكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفًا بين فارس وراجل ؛ فأعطى الفارس أربعين درهمًا ، والرّاجل عشرين درهمًا .

٣/١٠٠٨

* * *

[ذكر خبر خروج المطوّعة للنكير على الفساق]

وفى هذه السنة تجرّدت المطوّعة[١] للنكير على الفساق ببغداد، ورئيسهم خالد الدريوش وسهل بن سلامة الأنصاريّ أبو حاتم من أهل خُراسان .

* ذكر الخبر عن السبب الذى من أجله فعلت المطوّعة ما ذكرت :

كان السبب فى ذلك أن فساق الحربيّة والشطار الذين كانوا ببغداد والكَرْخ آذوا الناس أذى شديداً ، وأظهروا الفسق وقطع الطريق وأخذ الغلمان والنساء علانيةً من الطرق ؛ فكانوا يجتمعون فيأتُون الرّجل ، فيأخذون ابنَه ، فيذهبون به فلا يقدر أن يمتنع ؛ وكانوا يسألون الرَّجُل أن يُقرضهم أو يصلهم فلا يقدر أن يمتنع عليهم ؛ وكانوا يجتمعون فيأتُون القرى ، فيكاثرون أهلَها ، ويأخذون ما قدروا عليه من متاع ومال وغير ذلك ؛ لا سلطانَ يمنعهم ، ولا يقدر على ذلك منهم ؛ لأن السلطان كان يعتزّ بهم[٢] ،وكانوا بطانته، فلا يقدر أن يمنَعهم من فسق يركبونه ، وكانوا يَجْبُون المارّة فى الطرق وفى السفن وعلى الظهر ويخفرون البساتين ، ويقطعون الطرق علانية ، ولا أحد يعدو عليهم ، وكان الناس منهم فى بلاء عظيم ؛ ثم كان آخر أمرهم أنهم خرجوا إلى قُطْرَبُّل ، فانتهبوها علانيةً ، وأخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر والحمير وغير ذلك ، وأدخلوها بغداد ، وجعلوا يبيعونها علانية ، وجاء أهلها فاستعدَوْا السلطان عليهم ، فلم يمكنه إعداؤهم[٣] عليهم ، ولم يردّ عليهم شيئاً مما كان أخذ منهم ، وذلك آخر شعبان .

٣/١٠٠٩

فلما رأى الناس ذلك وما قد أخذ منهم ؛ وما بيع من[٤] متاع الناس فى أسواقهم ، وما قد أظهروا من الفساد فى الأرض والظلم والبغى وقَطْع الطريق ، وأن السلطان لا يغيِّر عليهم ، قام صُلحاء كل ربَض وكلّ دَرْب ، فمشى بعضهم إلى بعض ، وقالوا : إنما فى الدّرب الفاسق والفاسقان إلى العشرة ، وقد غلبوكم وأنتم أكثر منهم ؛ فلو اجتمعتم حتى يكون أمركم واحداً[٥] ، لقمعتم هؤلاء

(١) ابن الأثير: « المتطوعة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » . (٢) ابن الأثير : « يغريهم » .
(٣) إعداؤهم ؛ أى نصرهم ، وفى ط : « تعديهم » .
(٤) ط : « من بيع متاع الناس » ، وأثبت ما فى الحواشى . (٥) ط : « واحد » .

الفُساق ، وصاروا لا يفعلون ما يفعلون من إظهار الفسق بين أظهركم .

فقام رجل من ناحية طريق الأنبار يقال له خالد الدريوش ، فدعا جيرانه وأهل بيته وأهل محلّته على أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فأجابوه إلى ذلك ، وشدّ على مَنْ يليه من الفساق والشطار ، فمنعهم مما كانوا يصنعون ، فامتنعوا عليه ، وأرادوا قتاله ، فقاتلهم فهزمهم وأخذ بعضهم ، فضربهم وحبسهم ورفعهم إلى السلطان ؛ إلا أنه كان لا يرى أن يُغَيِّر على السلطان شيئًا ، ثم قام من بعده رجلٌ من أهل الحربيّة ، يقال له سهل بن سلامة الأنصاريّ من أهل خُراسان ؛ يكنى أبا حاتم ؛ فدعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعمل بكتاب الله جلّ وعزّ وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلّق مصحفًا فى عنقه ، ثم بدأ بجيرانه وأهل محلّته ، فأمرهم ونهاهم فقبلوا منه ، ثم دعا الناس جميعًا إلى ذلك ؛ الشريفَ منهم والوضيعَ ؛ بنى هاشم ومَنْ دونهم ، وجعل له ديوانًا يثبت فيه اسم من أتاه منهم ، فبايعه على ذلك ، وقتال مَنْ خالفه وخالف ما دعا إليه كائنًا من كان ؛ فأتاه خلق كثير ، فبايعوا .

١٠١٠/٣

ثمّ إنه طاف ببغداد وأسواقها وأرباضها وطرقها ، ومنع كلّ من يخفر ويجبى المارّة والمختلفة ، وقال : لا خفارة فى الإسلام — والخفارة أنه كان يأتى الرجل بعض أصحاب البساتين فيقول : بستانك فى خَفَرى ، أدفع عنه من أراده بسوء ، ولى فى عُنقك كلّ شهر كذا وكذا درهمًا ، فيعطيه ذلك شائيًا وآبيًا — فقوى على ذلك إلا أن الدريوش خالفه ، وقال : أنا لا أعيبُ على السلطان شيئاً ولا أغيِّره ، ولا أقاتله ، ولا آمره بشيء ولا أنهاه . وقال سهل بن سلامة : لكنى أقاتل كلّ من خالف الكتاب والسنة كائنًا من كان ؛ سلطانًا أو غيره ؛ والحق قائم فى الناس أجمعين ، فمن بايعنى على هذا قبلتُه ، ومن خالفنى قاتلته . فقام فى ذلك سهل يوم الخميس لأربع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين فى مسجد طاهر بن الحسين ؛ الذى كان بناه فى الحربيّة .

وكان خالد الدريوش قام قبله بيومين أو ثلاثة ، وكان منصور بن المهدىّ مقيمًا بعسكره بجَبُّل ، فلما كان من ظهور سهل بن سلامة وأصحابه ما كان ، وبلغ ذلك منصورًا وعيسى — وإنما كان عُظم أصحابهما الشّطار ، ومن لاخير فيه — كسرهما ذلك ، ودخل منصور بغداد .

١٠١١/٣ وقد كان عيسى يكاتب الحسن بن سهل ، فلما بلغه خبر بغداد ، سأل الحسن بن سهل أن يعطيَه الأمان له ولأهل بيته ولأصحابه ؛ على أن يعطى الحسن أصحابه وجنده وسائر أهل بغداد رزق ستة أشهر إذا أدركتْ له الغلّة ، فأجابه الحسن ، وارتحل عيسى من مُعسكره ، فدخل بغداد يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من شوّال ، وتقوّضت جميع عساكرهم ، فدخلوا بغداد ، فأعلمهم عيسى ما دخل لهم فيه من الصّلح ، فرضوا بذلك .

ثم رجع عيسى إلى المدائن ، وجاء يحيى بن عبد الله، ابن عمّ الحسن بن سهل ، حتى نزل دير العاقول ، فولّوْه السواد ، وأشركوا بينه وبين عيسى فى الولاية ، وجعلوا لكلّ عدّة من الطّساسيج[1] وأعمال بغداد . فلمّا دخل عيسى فيما دخل فيه — وكان أهل عسكر المهدىّ مخالفين له — وثب المطلب بن عبد الله بن مالك الخُزاعىّ يدعو إلى المأمون وإلى الفضل والحسن ابنى سهل ؛ فامتنع عليه سهل بن سلامة ، وقال : ليس على هذا بايعتنى .

وتحوّل منصور بن المهدىّ وخزيمة بن خازم والفضل بن الربيع — وكانوا يوم تحوّلوا بايعوا سهل بن سلامة على ما يدعو إليه من العمل بالكتاب والسنة — فنزلوا بالحربية فراراً من الطالب ، وجاء سهل بن سلامة إلى الحسن ، وبعث إلى المطلب أن يأتيه ، وقال : ليس على هذا بايعتنى ، فأبى المطلب أن يجيئه ، فقاتله سهل يومين أو ثلاثة قتالا شديداً ؛ حتى اصطلح عيسى والمطلب ، ١٠١٢/٣ فدسّ عيسى إلى سهل ممّن اغتاله فضربه ضربة بالسيف ؛ إلا أنها لم تعمل فيه ؛ فلما اغتيل سهل رجع إلى منزله ، وقام عيسى بأمر الناس ، فكفّوا عن القتال .

وقد كان حميد بن عبد الحميد مقيماً بالنيل ، فلما بلغه هذا الخبر

---

(١) الطسوج : الناحية ، معرب .

دخل الكوفة ، فأقام بها أياماً . ثم إنه خرج منها حتى أتى قصر ابن هبيرة ، فأقام به ، واتخذ منزلا وعمل عليه سورًا وخندقًا ؛ وذلك فى آخر ذى القعدة ، وأقام عيسى ببغداد يعرض الجند ويصحّحهم ، إلى أن تدرك الغلّة ، وبعث إلى سهل بن سلامة فاعتذر إليه مما كان صنع به ، وبايعه وأمره أن يعود إلى ما كان عليه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ وأنه عونه على ذلك ، فقام سهل بما كان قام به أولا من الدعاء إلى العمل بالكتاب والسنّة .

* * *

[ذكر خبر البيعة لعلىّ بن موسى بولاية العهد]

وفى هذه السنة جعل المأمون علىّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ولىّ عهد المسلمين والخليفة من بعده ، وسماه الرّضِيّ من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمر جنده بطرح السّواد ولبس ثياب الخُضرة ، وكتب بذلك إلى الآفاق .

* ذكر الخبر عن ذلك وعما كان سبب ذلك وما آل الأمر فيه إليه :

ذُكر أن عيسى بن محمد بن أبى خالد ، بينما هو فيما هو فيه من عَرْض أصحابه بعد منصرَفه من عسكره إلى بغداد ، إذ ورد عليه كتاب من الحسن بن سهل يُعلمه أنّ أمير المؤمنين المأمون قد جعل علىّ بن موسى بن جعفر بن محمد ولىّ عهده من بعده ؛ وذلك أنه نظر فى بنى العباس وبنى علىّ ، فلم يجد أحداً هو أفضل ولا أورَع ولا أعلم منه ؛ وأنه سمّاه الرضِيّ من آل محمد ، وأمره بطرح لُبْس الثياب السود ولبس ثياب الخضرة ؛ وذلك يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ، ويأمره أن يأمر مَنْ قبله من أصحابه والجند والقوّاد وبنى هاشم بالبيعة له ، وأن يأخذهم بلبس الخُضْرة فى أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم ، ويأخذ أهل بغداد جميعًا بذلك . ١٠١٣/٣

فلما أتى عيسى الخبر دعا أهلَ بغداد إلى ذلك على أن يعجِّل لهم رزق شهر ، والباقى إذا أدركت الغلّة ، فقال بعضهم : نبايع ونلبس الخضرة ، وقال

بعضهم : لا نبايع ولا نلبس الخُضرة ، ولا نُخرِج هذا الأمر من ولد العباس ؛ وإنما هذا دسيس من الفضل بن سهل ، فمكثوا بذلك أيامًا . وغضب ولد العباس من ذلك ، واجتمع بعضهم إلى بعض ، وتكلموا فيه ، وقالوا : نولّى بعضَنا ، ونخلع المأمون ؛ وكان المتكلم فى هذا والمختلف والمتقلّد له إبراهيم ومنصور ابنا المهدىّ .

* * *

[ذكر الدعوة لمبايعة إبراهيم بن المهدىّ وخلع المأمون]

وفى هذه السنة بايع أهلُ بغداد إبراهيم بن المهدىّ بالخلافة وخلعوا المأمون .

* ذكر السبب فى ذلك :

قد ذكرنا سببَ إنكار العباسيين ببغداد على المأمون ما أنكروا عليه ، واجتماع مَن اجتمع على محاربة الحسن بن سهل منهم ؛ حتى خرج عن بغداد . ولمّا ١٠١٤/٣ كان من بيعة المأمون لعلىّ بن موسى بن جعفر — وأمره الناس بلبس الخضرة ما كان ، وورود كتاب الحسن على عيسى بن محمد بن أبى خالد يأمره بذلك ، وأخْذ الناس به ببغداد ، وذلك يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذى الحجة — أظهر العباسيون ببغداد أنهم قد بايعوا إبراهيم بن المهدىّ بالخلافة ، ومن بعده ابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدىّ ؛ وأنهم قد خلعوا المأمون ، وأنهم يعطون عشرة دنانير كل إنسان ، أوّل يوم من المحرّم أول يوم من السنة المستقبلة . فقبل بعض ولم يقبل بعض حتى يعطَى ؛ فلما كان يوم الجمعة وأرادوا الصلاة أرادوا أن يجعلوا إبراهيم خليفة للمأمون مكان منصور ، فأمروا رجلا يقول حين أذّن المؤذن : إنا نريد أن ندعوَ للمأمون ومن بعده لإبراهيم يكون خليفة ؛ وكانوا قد دسُّوا قومًا ، فقالوا لهم : إذا قام يقول : ندعو للمأمون ، فقوموا أنتم فقولوا : لا نرضى إلا أن تبايعوا لإبراهيم ومَن بعده لإسحاق ، وتخلعوا المأمون أصلاً ، ليس نريد أن تأخذوا أموالنا كما صنع منصور ، ثم تجلسوا فى بيوتكم . فلما قام مَن يتكلم أجابه هؤلاء ، فلم يُصَلِّ بهم تلك الجمعة صلاة الجمعة ، ولا خطب أحد ، إنما صلى الناس أربع ركعات ثم انصرفوا ؛ وذلك يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة إحدى ومائتين .

١٠١٥/٣

وفى هذه السنة افتتح عبد الله بن خُرْداذْبه وهو والى طبرستان اللارز والشيرز[1]، من بلاد الديلم، وزادهما فى بلاد الإسلام، وافتتح جبال طبرستان، وأنزل شهريار بن شَروين عنها، فقال سلاّم الخاسر :

إنا لنأْمُلُ فتْحَ الرومِ والصِّين بمن أدال لنا من مُلك شَرْوِينِ[2]
فاشدُدْ يديك بعبدِ اللهِ إنَّهُ[3] مع الأمانةِ رأْىٌ غيرُ مَوهُونِ

وأشخص مازيار بن قارن إلى المأمون، وأسر أبا ليلى ملك الديلم بغير عهد فى هذه السنة .

وفيها مات محمد بن محمد صاحب أبى السرايا .

وفيها تحرّك بابك الخرّمىّ فى الجاويذانيّة أصحاب جاويذان بن سهل، صاحب البذّ، وادّعى أن رُوح جاويذان دخلت فيه، وأخذ فى العيْث والفساد .

وفيها أصابَ أهلَ خراسان والرىّ وإصبهان مجاعة، وعزّ الطعام، ووقع الموت .

* * *

وحجّ بالناس فيها إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ .

(١) ابن الأثير : « البلاذر والشيزر » .
(٢) ط : « أذل » .
(٣) ط : « لعبد الله » .

ثم دخلت سنة اثنتين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر بيعة إبراهيم بن المهدىّ]

فممّا كان فيها من ذلك بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدىّ بالخلافة ، وتسميتهم إيّاه المُبارك . وقيل إنهم بايعوه فى أوّل يوم من المحرّم بالخلافة . ٣ / ١٠١٦
وخلعوا المأمون ؛ فلمّا كان يوم الجمعة صعد إبراهيم المنبر ؛ فكان أوّل من بايعه عُبيد الله بن العباس بن محمد الهاشمىّ ، ثم منصور بن المهدىّ ، ثم سائر بنى هاشم ، ثم القوّاد . وكان المتولّى لأخذ البيعة المطلب بن عبدالله بن مالك ؛ وكان الذى سعى فى ذلك وقام به السندىّ وصالح صاحب المصلّى ومنْجاب ونُصير الوصيف وسائر الموالى ؛ إلا أن هؤلاء كانوا الرؤساء والقادة غضبًا منهم على المأمون حين أراد إخراج الخلافة من ولد العباس إلى ولد علىّ ، ولتركه لباس آبائه من السّواد ولبسه الخُضرة .

ولما فرغ من البيعة وعد الجند أن يعطيَهم أرزاق ستة الأشهر ، فدافعهم بها ، فلما رأوا ذلك شَغَبُوا عليه ، فأعطاهم مائتى درهم لكل رجل ، وكتب لبعضهم إلى السواد بقيمة بقيّة مالهم حنطة وشعيرا . فخرجوا فى قَبْضها فلم يمرّوا بشىء إلا انتهبوه ، فأخذوا النّصيبيْن جميعًا ؛ نصيب أهل البلاد ونصيب السلطان . وغلب إبراهيم مع أهل بغداد على أهل الكوفة والسّواد كله ، وعسكر بالمدائن . وولّى الجانب الشرقىّ من بغداد العباس بن موسى الهادى والجانب الغربىّ إسحاق بن موسى الهادى . وقال إبراهيم بن المهدىّ :

أَلم تعلَمُوا يا آل فهرٍ بأَنّنى ... شَرَيْتُ بنفسى دُونَكُمْ فى المهالكِ

* * *

[خبر تحكيم مهديّ بن علوان الحَرُوريّ]

وفى هذه السنة حكّم مهديّ بن عُلوان الحروريّ ، وكان خروجه ببزُرجسابور ، وغلب على طساسيج هنالك . وعلى نهر بوق والراذانين . وقد قيل : إن خروج مهديّ كان فى سنة ثلاث ومائتين فى شوّال منها ، فوجّه إليه إبراهيم بن المهدى أبا إسحاق بن الرشيد فى جماعة من القوّاد ، منهم أبو البطّ وسعيد بن الساجور ، ومع أبى إسحاق غلمان له أتراك ؛ فذُكر عن شُبَيل صاحب السلبة ، أنه كان معه وهو غلام ، فلقوا الشُّراة ، فطعن رجل من الأعراب أبا إسحاق ، فحامى عنه غلام له تركىّ ، وقال له : أشناس مرَا ، أى اعرفْنى ، فسماه يومئذ أشناس ؛ وهو أبو جعفر أشناس ، وهُزم مهدىّ إلى حَوْلايا .

١٠١٧/٣

وقال بعضهم : إنما وجّه إبراهيم إلى مهديّ بن علوان الدهقانىّ الحروريّ المُطّلبَ ، فسار إليه ، فلمّا قرب منه أخذ رجلا من قعد الحروريّة يقال له أقْذَى ، فقتله ، واجتمعت الأعراب فقاتلوه فهزموه حتى أدخلوه بغداد .

وفى هذه السنة وثب أخو أبى السرايا بالكوفة ، فبيّض ، واجتمعت إليه جماعة ، فلقيه غسّان بن أبى الفرج فى رَجب فقتله ، وبعث برأسه إلى إبراهيم ابن المهديّ .

* * *

ذكر الخبر عن تبييض أخى أبى السرايا وظهوره بالكوفة

ذكر أن الحسن بن سهل أتاه وهو مقيم بالمبارَك فى معسكره كتاب المأمون يأمره بلبس الخضرة ، وأن يبايع لعلىّ بن موسى بن جعفر بن محمد بولاية العهد من بعده ، ويأمره أن يتقدّم إلى بغداد حتى يحاصر أهلها ، فارتحل حتى نزل سمَرّ ، وكتب إلى حميد بن عبد الحميد أن يتقدّم إلى بغداد حتى يحاصر أهلها من ناحية أخرى ، ويأمره بلباس الخُضرة ، ففعل ذلك حميد . وكان سعيد بن

١٠١٨/٣

الساجور وأبو البطّ وغسان بن أبي الفرج ومحمد بن إبراهيم الإفريقيّ وعِدّة من قوّاد حُميد كاتبوا إبراهيم بن المهديّ ، على أن يأخذوا له قصر ابن هبيرة . وكان قد تباعد ما بينهم وبين حميد ، فكانوا يكتبون إلى الحسن بن سهل يخبرونه أن حُميدًا يكاتب إبراهيم ، وكان يكتب فيهم بمثل ذلك ، وكان الحسن يكتب إلى حُميد يسأله أن يأتيَه فلم يفعل ، وخاف إن هو خرج إلى الحسن أن يثب الآخرون بعسكره ؛ فكانوا يكتبون إلى الحسن أنّه ليس يمنعه من إتيانك إلاّ أنه مخالف لك ، وأنه قد اشترى الضياع بين الصّراة وسُورا والسواد. فلما ألحّ عليه الحسن بالكُتب ، خرج إليه يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الآخر ، فكتب سعيد وأصحابه إلى إبراهيم يعلمونه ، ويسألون أن يبعث إليهم عيسى بن محمد بن أبي خالد ، حتّى يدفعوا إليه القصر وعسكر حميد ؛ وكان إبراهيم قد خرج من بغداد يوم الثلاثاء حتّى عسكر بكَلْواذى يريد المدائن ، فلما أتاه الكتاب وجّه عيسى إليهم .

فلما بلغ أهلَ عسكر حميد خروجُ عيسى ونزوله قرية الأعراب على فرسخ من القصر تهيّئوا للهرب ؛ وذلك ليلة الثلاثاء ، وشدّ أصحاب سعيد وأبي البطّ والفضل بن محمد بن الصباح الكنديّ الكوفيّ على عسكر حميد ؛ فانتهبوا ما فيه ، وأخذوا لحميد — فيما ذكر — مائة بَدْرة أموالا ومتاعًا ، وهرب ابنٌ لحُميد ومعاذ بن عبد الله ، فأخذ بعضهم نحو الكوفة وبعض نحو النيل ؛ فأمّا ابنُ حميد ، فإنه انحدر بجواري أبيه إلى الكوفة ، فلما أتى الكوفة اكترى بغالا ثم أخذ الطريق ، ثم لحق بأبيه بعسكر الحسن ، ودخل عيسى القصر وسلّمه له سعيد وأصحابه ، وصار عيسى وأخذه منهم ، وذلك يوم الثلاثاء لعشر خلون من ربيع الآخر . وبلغ الحسن بن سهل وحميد عنده ، فقال له حميد: ألم أعلمك بذلك ! ولكن خُدعت ، وخرج من عنده حتّى أتى الكوفة ، فأخذ أموالا له كانت هنالك ومتاعًا . وولّى على الكوفة العباس بن موسى بن جعفر العلويّ ، وأمره بلباس الخضرة ، وأن يدعوَ للمأمون ومن بعده لأخيه عليّ بن موسى ؛ وأعانه بمائة ألف درهم ، وقال له: قاتل عن أخيك ، فإن أهل الكوفة يُجيبونك إلى ذلك ؛ وأنا معك .

١٠١٩/٣

فلمّا كان الليل خرج حميد من الكوفة وتَرَكه ، وقد كان الحسن وجّه حكيماً الحارثيّ حين بلغه الخبر إلى النيل ، فلما بلغ ذلك عيسى وهو بالقصر تهيّأ هو وأصحابه ، حتى خرجوا إلى النّيل ؛ فلما كان ليلة السبت لأربع عشرة ليلة خلتْ من ربيع الآخر طلعت حُمرة فى السماء ، ثم ذهبت الحمرة ، وبقى عمودان أحمران فى السماء إلى آخر الليل ؛ وخرج غداة السبت عيسى وأصحابه من القصر إلى النيل ، فواقعهم حكيم ، وأتاهم عيسى وسعيد وهم فى الوقعة ، فانهزم حكيم ، ودخلوا النّيل .

١٠٢٠/٣

فلما صاروا بالنّيل ، بلغهم خبر العباس بن موسى بن جعفر العلوىّ ، وما يدعو إليه أهل الكوفة ، وأنه قد أجابه قوم كثير منهم ، وقال له قوم آخرون : إن كنتَ تدعو للمأمون ثم من بعده لأخيك فلا حاجةَ لنا فى دعوتك ، وإن كنت تدعو إلى أخيك أو بعض أهل بيتك أو إلى نفسك أجبناك . فقال : أنا أدعو إلى المأمون ثمّ من بعده لأخى ؛ فقعد عنه الغالية من الرّافضة وأكثر الشيعة . وكان يُظهر أن حميداً يأتيه فيعينه ويقوّيه ، وأن الحسن يوجّه إليه قوماً من قِبَله مدداً ، فلم يأته منهم أحد ، وتوجّه إليه سعيد وأبو البطّ من النيل إلى الكوفة ؛ فلما صاروا بديْر الأعور ، أخذوا طريقاً يخرج بهم إلى عسكر هرثمة عند قرية شاهى .

فلمّا التأم إليه أصحابه ، خرجوا يوم الاثنين لليلتين خلَتا من جمادى الأولى . فلما صاروا قرب القنطرة خرج عليهم علىّ بن محمد بن جعفر العلوىّ ، ابن المبايع له بمكة . وأبو عبد الله أخو أبى السرايا ومعهم جماعة كثيرة ، وجّههم مع على بن محمد ابنُ عمه صاحب الكوفة العباسُ بن موسى بن جعفر ، فقاتلوهم ساعة ، فانهزم علىّ وأصحابه حتى دخلوا الكوفة ، وجاء سعيد وأصحابه حتى نزلوا الحيرة ؛ فلمّا كان يوم الثلاثاء غدوْا فقاتلوهم مما يلى دار عيسى بن موسى ، وأجابهم العباسيون ومواليهم ، فخرجوا إليهم من الكوفة ، فاقتتلوا يومهم إلى الليل ، وشعارهم : «يا إبراهيم يا منصور ، لا طاعة للمأمون» ، وعليهم السّواد ، وعلى العباس وأصحابه من أهل الكوفة الخُضْرة .

١٠٢١/١

فلما كان يوم الأربعاء اقتتلوا فى ذلك الموضع ، فكان كلّ فريق منهم إذا

ظهروا على شيء أحرقوه. فلما رأى ذلك رؤساء أهل الكوفة، أتوا سعيداً وأصحابه، فسألوه الأمان للعباس بن موسى بن جعفر وأصحابه؛ على أن يخرج من الكوفة، فأجابوهم إلى ذلك، ثم أتوا العباس فأعلموه، وقالوا: إن عامة مَن معك غوغاء، وقد ترى ما يلقى الناس من الحرْق والنهب والقتل؛ فاخرج من بين أظهرنا، فلا حاجةَ لنا فيك. فقبل منهم، وخاف أن يُسلموه، وتحوّل من منزله الذى كان فيه بالكُناسة، ولم يعلم أصحابه بذلك، وانصرف سعيد وأصحابه إلى الحيرة، وشدّ أصحاب العباس بن موسى على مَنْ بقى من أصحاب سعيد وموالى عيسى بن موسى العباسىّ، فهزموهم حتى بلغوا بهم الخندق، ونهبُوا ربَض عيسى بن موسى، فأحرقوا الدّور، وقتلوا من ظهروا به. فبعث العباسيّون ومواليهم إلى سعيد يعلمونه بذلك، وأنّ العباس قد رجع عما كان طلب من الأمان. فركب سعيد وأبو البطّ وأصحابهما حتى أتوا الكوفة عَتَمةً، فلم يظفروا بأحد منهم ينتهب إلاّ قتلوه، ولم يظهروا على شيء مما كان فى أيدى أصحاب العباس إلا أحرقوه؛ حتى بلغوا الكُناسة، فمكثوا بذلك عامة الليل حتى خرج إليهم رؤساء أهل الكوفة، فأعلموهم أنّ هذا من عمل الغوغاء، وأن العباس لم يرجع عن شيء. فانصرفوا عنهم.

فلمّا كان غداة الخميس لخمس خلون من جمادى الأولى، جاء سعيد وأبو البطّ حتى دخلوا الكوفة، ونادى مناديهم: أمِن الأبيض والأسود؛ ولم يعرضوا لأحد من الخلق إلا بسبيل خير، وولّوْا على الكوفة الفضلَ بن محمد بن الصباح الكندىّ، من أهلها. فكتب إليهم إبراهيم بن المهدىّ يأمرهم بالخروج إلى ناحية واسط، وكتب إلى سعيد أن يستعمل على الكوفة غير الكندىّ، لميله إلى أهل بلده؛ فولاّها غسان بن أبى الفرج، ثم عزله بعد ما قتل أبا عبد الله أخا أبى السرايا، فولاها سعيدٌ ابنَ أخيه الهوْل؛ فلم يزل والياً عليها حتى قدمها حميد ابن عبد الحميد، وهرب الهوْل منها، وأمر إبراهيم بن المهدىّ عيسى بن محمد ابن أبى خالد أن يسيرَ إلى ناحية واسط على طريق النيل، وأمر ابن عائشة الهاشمىّ ونعيم بن خازم أن يسيرا جميعًا، فخرجا مما يلى جُوخَى، وبذلك

١٠٢٢/٣

أمرهما ، وذلك فى جمادى الأولى . ولحق بهما سعيد وأبو البطّ والإفريقى حتّى عسكروا بالصيّادة قرب واسط ؛ فاجتمعوا جميعًا فى مكان واحد ، وعليهم عيسى بن محمد بن أبى خالد ، فكانوا يركبون حتّى يأتوا عسكر الحسن وأصحابه بواسط فى كلّ يوم ، فلا يخرج إليهم من أصحاب الحسن أحد ، وهم متحصّنون بمدينة واسط .

ثم إن الحسن أمر أصحابه بالتهيّؤ للخروج للقتال ، فخرجوا إليهم يوم السبت لأربع بقينَ من رجب ، فاقتتلوا قتالا شديداً إلى قريب الظهر . ثم وقعت الهزيمة على عيسى وأصحابه ، فانهزموا حتّى بلغوا طرنايا والنيل ، وأخذ أصحاب الحسن جميع ما كان فى عسكرهم من سلاح ودوابّ وغير ذلك . ١٠٢٣/٣

* * *

[ظفر إبراهيم بن المهدىّ بسهل بن سلامة المطوّعىّ]

وفى هذه السنة ظفر إبراهيم بن المهدىّ بسهل بن سلامة المطوّعىّ فحبسه وعاقبه .

* ذكر الخبر عن سبب ظفره به وحبسه إياه :

ذُكر أنّ سهل بن سلامة كان مقيماً ببغداد ، يدعو إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فلم يزل كذلك حتّى اجتمع إليه عامةُ أهل بغداد ونزلوا عنده ؛ سوى مَنْ هو مقيم فى منزله ، وهواه ورأيه معه ؛ وكان إبراهيم قد همّ بقتاله قبل الوقعة ، ثم أمسك عن ذلك ، فلمّا كانت هذه الوقعة وصارت الهزيمة على أصحاب عيسى ومَنْ معه أقبل على سهل بن سلامة ، فدسّ إليه وإلى أصحابه الذين بايعوه على العمل بالكتاب والسنة ، وألاّ طاعةَ لمخلوق فى معصية الخالق ؛ فكان كلُّ مَنْ أجابه إلى ذلك قد عمل على باب داره بُرجًا بجصّ وآجرّ ، ونصب عليه السلاح والمصاحف ؛ حتّى بلغوا قرب باب الشأم ؛ سوى مَنْ أجابه من أهل الكرْخ وسائر الناس ؛ فلما رجع عيسى من الهزيمة إلى بغداد ، أقبل هو وإخوته وجماعة أصحابه نحو سهل

ابن سلامة ؛ لأنه كان يذكّرهم بأسواء أعمالهم وفعالهم، ويقول: الفسّاق[١] ؛ لم يكن لهم عنده اسم غيره ، فقاتلوه أياماً ؛ وكان الذى تولى قتاله عيسى ابن محمد بن أبى خالد ؛ فلمّا صار إلى الدّروب التى قرب سهل أعطى أهلَ الدروب الألف الدرهم والألفين درهماً؛ على أن يتنحوْا له عن الدروب، فأجابوه إلى ذلك ؛ فكان نصيبُ الرجل الدرهم والدرهمين ونحو ذلك ؛ فلما كان يوم السبت لخمس بقين من شعبان تهيئوا له من كلّ وجه ، وخذَله أهل الدروب حتى وصلوا إلى مسجد طاهر بن الحسين وإلى منزله ؛ وهو بالقرب من المسجد ؛ فلما وصلوا إليه اختفى منهم ، وألقى سلاحه ، واختلط بالنظارة ، ودخل بين النساء فدخلوا منزله .

٣/١٠٢٤

فلمّا لم يظفروا به جعلوا عليه العيون ؛ فلمّا كان الليل أخذوه فى بعض الدّروب التى قرب منزله ، فأتوا به إسحاق بن موسى الهادى — وهو ولىّ العهد بعد عمّه إبراهيم بن المهدىّ وهو بمدينة السلام— فكلّمه وحاجّه، وجمع بينه وبين أصحابه ، وقال له : حرّضت علينا الناس ، وعبتَ أمرنا ! فقال له : إنما كانت دعوتى عباسيّة؛ وإنما كنتُ أدعو إلى العمل بالكتاب والسنة ؛ وأنا على ما كنْت عليه أدعوكم إليه الساعة . فلم يقبلوا ذلك منه . ثم قالوا له : اخرج إلى الناس ، فقل لهم: إنّ ما كنتُ أدعوكم إليه باطلٌ . فأخرِج[٢] إلى الناس وقال : قد علمتم ما كنتُ أدعوكم إليه من العمل بالكتاب والسنة ، وأنا أدعوكم إليه الساعة . فلما قال لهم هذا وجئوا عنقه ، وضربوا وجهه ؛ فلما صنعوا ذلك به قال : المغرور مَنْ غررتموه يا أصحاب الحربيّة ؛ فأخذ فأدخل إلى إسحاق، فقيّده، وذلك يوم الأحد. فلما كان ليلة الاثنين خرجوا به إلى إبراهيم بالمدائن ؛ فلما دخل عليه كلمه بما كلم به إسحاق ، فردّ عليه مثل ما ردّ على إسحاق . وقد كانوا أخذوا رجلا من أصحابه يقال له محمد الرواعىّ ، فضربه إبراهيم ، ونتف لحيته ، وقيّده وحبسه ؛ فلما أخذ سهل ابن سلامة حبسوه أيضاً، وادّعوْا أنه كان دُفع إلى عيسى ، وأنّ عيسى قتله ؛

٣/١٠٢٥

(١) ابن الأثير : « ويسميهم الفساق » .

(٢) ابن الأثير : « فخرج » .

وإنما أشاعوا ذلك تخوّفاً من الناس أن يعلموا بمكانه فيخرجوه ؛ فكان بين خروجه وبين أخذه وحبسه اثنا عشر شهراً .

* * *

[ذكر خبر شخوص المأمون إلى العراق]

وفى هذه السنة شخص المأمون من مَرْو يريد العراق .

* ذكر الخبر عن شخوصه منها :

ذُكر أن علىّ بن موسى بن جعفر بن محمد العلوىّ أخْبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل أخوه ، وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من الأخبار ، وأنّ أهل بيته والناس قد نقَموا عليه أشياء ؛ وأنهم يقولون إنه مسحور مجنون ، وأنهم لما رأوا ذلك بايعوا لعمّه إبراهيم بن المهدىّ بالخلافة . فقال المأمون : إنهم لم يبايعوا له بالخلافة ؛ وإنما صيّروه أميراً يقوم بأمرهم ، على ما أخبره به الفضل ، فأعلمه أن الفضل قد كذَبه وغشّه ، وأن الحرب قائمة بين إبراهيم والحسن بن سهل ، وأنّ الناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه ومكانى ومكان بيعتك لى من بعدك ، فقال : ومَنْ يعلم هذا من أهل عسكرى ؟ فقال له : يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وعدّة من وجوه أهل العسكر ، فقال له : أدخلهم علىّ حتى أسائلهم عمّا ذكرْت ، فأدخلهم عليه ؛ وهم يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وموسى وعلىّ بن أبى سعيد — وهو ابن أخت الفضل — وخلف المصرىّ ، فسألهم عما أخبره ، فأبوْا أن يخبروه حتى يجعل لهم الأمان من الفضل بن سهل ؛ ألا يعرض لهم ، فضمن ذلك لهم ، وكتب لكلّ رجل منهم كتاباً بخطه ، ودفعه إليهم ، فأخبروه بما فيه الناس من الفتن ، وبيّنوا ذلك له ، وأخبروه بغضب أهل بيته ومواليه وقوّاده عليه فى أشياء كثيرة ، وبما موّه عليه الفضل من أمر هرثمة ، وأنّ هرثمة إنما جاءه لينصحه وليبين له ما يعمل عليه ، وأنه إن لم يتدارك أمره خرجت الخلافة منه ومن أهل بيته ، وأنّ الفضل دسّ إلى هرثمة مَنْ قتله ، وأنه أراد

١٠٢٦/٣

نصحه ؛ وأن طاهر بن الحسين قد أبلى فى طاعته ما أبلى ، وافتتح ما افتتح ، وقاد إليه الخلافة مزمومة ، حتّى إذا وطّأ الأمر أخرج من ذلك كله ، وصُيِّر فى زاوية من الأرض بالرّقة ، قد حُظِرت عليه الأموال حتّى ضعف أمرُه فشغب عليه جنده ، وأنه لو كان على خلافتك ببغداد لضبط الملك ، ولم يجترأ عليه بمثل ما اجتُرِئ به على الحسن بن سهل ، وأنّ الدنيا قد تفتّقت من أقطارها ، وأن طاهر بن الحسين قد تنُوسِيَ فى هذه السنين منذ قتل محمد فى الرّقة ، لا يُستعان به فى شىء من هذه الحروب ؛ وقد استعين بمن هو دونه أضعافًا ، وسألوا المأمون الخروج إلى بغداد فى بنى هاشم والموالى والقواد ، والجندُ لو رأوا عزّتك سكنوا إلى ذلك ، وبخَعُوا بالطاعة[1] .

٣/١٠٢٧

فلما تحقق ذلك عند المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد ؛ فلمّا أمر بذلك علم الفضل بن سهل ببعض ذلك من أمرهم ، فتعنّتهم حتّى ضرب بعضهم بالسياط وحبس بعضًا ، ونتف لحى بعض ؛ فعاوده علىّ بن موسى فى أمرهم ، وأعلمه ما كان من ضمانه لهم ؛ فأعلمه أنه يدارى ما هو فيه . ثم ارتحل من مَرْو فلما أتى سرَخْس شدّ قوم على الفضل بن سهل وهو فى الحمام ، فضربوه بالسيوف حتّى مات ؛ وذلك يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان سنة اثنتين ومائتين . فأخذوا . وكان الذين قتلوا الفضل من حشم المأمون وهم أربعة نفر : أحدهم غالب المسعودىّ الأسود ، وقسطنطين الرومىّ ، وفرج الديلمىّ ، وموفّق الصّقلبىّ ، وقتلوه وله ستون سنة ؛ وهربوا . فبعث المأمون فى طلبهم ، وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار ، فجاء بهم العباس بن الهيثم بن بزُرْجمهر الدينورىّ ، فقالوا للمأمون : أنت أمرتَنا بقتله ، فأمر بهم فضربت أعناقهم . وقد قيل : إن الذين قتلوا الفضل لمّا أخذوا ساءلهم المأمون ؛ فمنهم من قال : إن علىّ بن أبى سعيد ، ابن أخت الفضل دسّهم ، ومنهم من أنكر ذلك . وأمر بهم فقتلوا . ثم بعث إلى عبد العزيز بن عمران وعلىّ وموسى وخلف فساءلهم فأنكروا أن يكونوا علموا بشىء من ذلك ؛ فلم يقبل ذلك منهم وأمر بهم فقتلوا ، وبعث برءوسهم إلى الحسن بن سهل إلى واسط ، وأعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل ، وأنه قد صيّره مكانه . ووصل الكتاب بذلك إلى الحسن

٣/١٠٢٨

(١) بخعوا بالطاعة ؛ أى خضعوا وأقروا بالحق له .

فى شهر رمضان ، فلم يزل الحسن وأصحابه حتى أدركت الغلّة وجُبىَ بعض الخراج ، ورحل المأمون من سَرَخْس نحو العراق يوم الفطْر ، وكان إبراهيم ابن المهدىّ بالمدائن وعيسى وأبو البطّ وسعيد بالنيل وطرنايا يراوحون القتال ويغادونه ؛ وقد كان المطلب بن عبد الله بن مالك بن عبد الله قدِم من المدائن ، فاعتلّ بأنه مريض ، وجعل يدعو فى السرّ إلى المأمون ؛ على أن المنصور بن المهدىّ خليفة المأمون ، ويخلعون إبراهيم ، فأجابه إلى ذلك منصور وخزيمة بن خازم وقوّاد كثير من أهل الجانب الشرقىّ ، وكتب المطلب إلى حُميد وعلىّ ابن هشام أن يتقدّما فينزل حُميد نهر صرصر وعلىّ النهروان ؛ فلما تحقق عند إبراهيم الخبر خرج من المدائن إلى بغداد ، فنزل زَنْدَوَرْد يوم السبت لأربع عشرة خلت من صفر ، وبعث إلى المطلب ومنصور وخزيمة ، فلما أتاهم رسولُه اعتلّوا عليه ؛ فلما رأى ذلك بعث إليهم عيسى بن محمد بن أبى خالد وإخوته ؛ فأما منصور وخزيمة فأعطوْا بأيديهما ، وأما المطلب فإن مواليه وأصحابه قاتلوا عن منزله حتى كثُر الناس عليهم ، وأمر إبراهيم مناديًا فنادى : من أراد النهب فليأت دار المطّلب ، فلما كان وقت الظهر وصلوا إلى داره ، فانتهبوا ما وجدوا فيها ، وانتهبوا دورَ أهل بيته ، وطلبوه فلم يظفروا به ، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من صفر . ١٠٢٩/٣

فلما بلغ حميدًا وعلىّ بن هشام الخبر بعث حميد قائداً فأخذ المدائن ، وقَطَع الجسر ، ونزل بها ، وبعث علىّ بن هشام قائداً فنزل المدائن ، وأتى نهرَدَيالى فقطَعه ، وأقاموا بالمدائن ، وندم إبراهيم حيث صنع بالمطّلب ما صنع ، ثم لم يظفر به .

* * *

وفى هذه السنة تزوّج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل .

وفيها زوّج المأمون علىّ بن موسى الرضىّ ابنته أم حبيب ، وزوّج محمد ابن علىّ بن موسى ابنته أم الفضل .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد ؛ فدعا لأخيه بعد المأمون بولاية العهد .

وكان الحسن بن سهل كتب إلى عيسى بن يزيد الجُلُودىّ . وكان بالبصرة فوافى مكة فى أصحابه ، فشهد الموسم ، ثم انصرف ومضى إبراهيم بن موسى إلى اليمن ؛ وكان قد غلب عليها حمدويه بن علىّ بن عيسى بن ماهان .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[موت علىّ بن موسى الرضىّ]

ذكر أن مما كان فيها موت علىّ بن موسى بن جعفر

ذكر الخبر عن سبب وفاته :

١٠٣٠/٣ ذُكر أنّ المأمون شخص من سَرَخْس حتى صار إلى طُوس ، فلما صار بها أقام بها عند قبر أبيه أيامًا . ثم إنّ علىّ بن موسى أكل عنبًا فأكثر منه ، فمات فجأة ؛ وذلك فى آخر صفَر ؛ فأمر به المأمون فدفن عند قبر الرّشيد ، وكتب فى شهر ربيع الأول إلى الحسن بن سهل يعلمه أن علىّ بن موسى بن جعفر مات ، ويعلمه ما دخل عليه من الغمّ والمصيبة بموته ؛ وكتب إلى بنى العباس والموالى وأهل بغداد يعلمهم موتَ علىّ بن موسى ، وأنهم إنما نقَموا بيعته له من بعده ؛ ويسألهم الدخول فى طاعته . فكتبوا إليه وإلى الحسن جوابَ الكتاب بأغلظِ ما يُكتَب به إلى أحد . وكان الذى صلّى على علىّ بن موسى المأمون [١] .

* * *

ورحل المأمون فى هذه السنة من طوس يريد بغداد ، فلما صار إلى الرّىّ أسقط من وظيفتها ألفى ألف درهم .

وفى هذه السنة غلبت السوداء على الحسن بن سهل ، فذُكر سبب ذلك أنه كان مرض مرضًا شديداً ، فهاج به من مرضه تغيّر عقله ، حتى شُدّ فى الحديد وحبس فى بيت . وكتب بذلك قوّاد الحسن إلى المأمون ، فأتاهم

---

(١) ابن الأثير : « وكان مولد على بن موسى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة » .

جواب الكتاب أن يكون على عسكره دينار بن عبدالله، ويعلمهم أنه قادم على أثر كتابه .

* * *

[خبر حبس إبراهيم بن المهدىّ عيسى بن محمد بن أبى خالد]

وفى هذه السنة ضرب إبراهيم بن المهدىّ عيسى بن محمد بن أبى خالد وحبسه .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذُكر أن عيسى بن محمد بن أبى خالد كان يكاتب حُميداً والحسن ؛ وكان الرّسول بينهم محمد بن محمد المعبدىّ الهاشمىّ ، وكان يُظهر لإبراهيم الطاعة والنصيحة ، ولم يكن يقاتل حُميدًا ولا يعرض له فى شىء من عمله ؛ ١٠٣١/٣ وكان كلّما قال إبراهيم : تهيّأ للخروج لقتال حُميد، يعتلّ عليه بأنّ الجند يريدون أرزاقهم ، ومرة يقول : حتى تُدرك الغلّة ؛ فما زال بذلك حتى إذا توثق مما يريد مما بينه وبين الحسن وحُميد فارقهم ، على أن يدفع إليهم إبراهيم بن المهدىّ يوم الجمعة لانسلاخ شوّال . وبلغ الخبر إبراهيم ؛ فلما كان يوم الخميس ، جاء عيسى إلى باب الجسر ، فقال للناس : إنى قد سالمت حُميداً ، وضمنت له ألاّ أدخل عمله ، وضمن لى ألاّ يدخل عملى . ثم أمر أن يُحفَر خندق بباب الجسر وباب الشأم ، وبلغ إبراهيمَ ما قال وما صنع ، وقد كان عيسى سأل إبراهيم أن يصلّىَ الجمعة بالمدينة ، فأجابه إلى ذلك ، فلمّا تكلم عيسى بما تكلم به ، وبلغ إبراهيمَ الخبر وأنه يريد أخذه حذر .

وذُكر أنّ هارون أخا عيسى أخبر إبراهيم بما يريد أن يصنع به عيسى ؛ فلمّا أخبره، بعث إليه أن يأتيَه حتى يناظره فى بعض ما يريد، فاعتلّ عليه عيسى ، فلم يزل إبراهيم يعيد إليه الرّسل حتى أتاه إلى قصره بالرّصافة ، فلما دخل عليه حُجب الناس ، وخلا إبراهيم وعيسى ، وجعل يعاتبه ، وأخذ عيسى يعتذر إليه مما يعتبه به ، وينكر بعض ما يقول ؛ فلما قرّره بأشياء أمر به فضرب . ثم إنه حبسه وأخذ عدّة من قوّاده فحبسهم ، وبعث إلى منزله ، فأخذ أم ولده

وصبيانًا له صغاراً ؛ فحبسهم ؛ وذلك ليلة الخميس لليلة بقيت من شوال .

٣/١٠٣٢ وطلب خليفة له يقال له العباس فاختفى . فلما بلغ حبسُ عيسى أهلَ بيته وأصحابه ، مشى بعضهُم إلى بعض ، وحرّض أهلَ بيته وإخوته الناس على إبراهيم واجتمعوا ؛ وكان رأسَهُم عباس خليفة عيسى ، فشدّوا على عامل إبراهيم على الجسر فطردوه ، وعبرَ إلى إبراهيم فأخبره الخبر ، وأمر بقطع الجسر فطردوا كلَّ عامل كان لإبراهيم في الكرخ وغيره ، وظهر الفسّاق والشطار ، فقعدوا في المسالح . وكتب عباس إلى حُميد يسأله أن يقدم إليهم حتى يسلموا إليه بغداد ؛ فلمّا كان يوم الجمعة صلّوا في مسجد المدينة أربع ركعات ، صلّى بهم المؤذن بغير خطبة .

* * *

[ذكر خبر خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهديّ]

وفي هذه السنة خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهديّ ، ودعوا للمأمون بالخلافة .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

قد ذكرنا قبل ما كان من إبراهيم وعيسى بن محمد بن أبي خالد وحبْس إبراهيم إياه ، واجتماع عباس خليفة عيسى وإخوة عيسى على إبراهيم ، وكتابهم إلى حُميد يسألونه المصيرَ إليهم ليُسلّموا بغداد إليه ؛ فذكر أنّ حُميداً لما أتاه كتابُهم ، وفيه شرْط منهم عليه أن يعطيَ جند أهل بغداد ؛ كلّ رجل منهم خمسين درهمًا ، فأجابهم إلى ذلك ، وجاء حتى نزل صَرْصر بطريق الكوفة يوم الأحد ، وخرج إليه عباس وقوّاد أهل بغداد ، فلقُوه غَداة الاثنين ، فوعدهم ومنّاهم ، وقبلوا ذلك منه ، فوعدهم أن يضع لهم العطاء يوم السبت في

٣/١٠٣٣ الياسريّة ، على أن يصلّوا الجمعة فيدعو للمأمون ، ويخلعوا إبراهيم ؛ فأجابوه إلى ذلك . فلما بلغ إبراهيمَ الخبرُ أخرج عيسى وإخوته من الحبس ، وسأله أن يرجع إلى منزله ، ويكفيه أمر هذا الجانب ، فأبى ذلك عليه .

فلما كان يوم الجمعة بعث عباس إلى محمد بن أبي رجاء الفقيه ، فصلّى بالناس الجمعة ، ودعا للمأمون ، فلما كان يوم السبت جاء حُميد إلى الياسريّة

فعرض حُميد جند أهل بغداد ، وأعطاهم الخمسين التى وعدهم ، فسألوه أن ينقصهم عشرة عشرة ، فيعطيَهم أربعينَ أربعين درهمًا لكل رجل منهم ؛ لما كانوا تشاءموا به من علىّ بن هشام حين أعطاهم الخمسين. فغَدر بهم ، وقطع العطاء عنهم ، فقال لهم حميد : لا بل أزيدكم وأعطيكم ستين درهمًا لكل رجل . فلما بلغ ذلك إبراهيم دعا عيسى فسأله أن يقاتل حُميدًا ، فأجابه إلى ذلك ، فخلّى سبيله ، وأخذ منه كُفلاء ، فكلم عيسى الجند أن يعطيَهم مثل ما أعطى حميد ؛ فأبوا ذلك عليه ؛ فلما كان يوم الاثنين عبر إليهم عيسى وإخوته وقوّاد أهل الجانب الشرقىّ ، فعرضوا على أهل الجانب الغربىّ أن يزيدُوهم على ما أعطى حُميد ، فشتموا عيسى وأصحابه ، وقالوا : لا نريد إبراهيم . فخرج عيسى وأصحابه حتى دخلوا المدينة ، وأغلقوا الأبواب ، وصعدوا السور ، وقاتلوا الناس ساعة . فلما كثر عليهم الناس انصرفوا راجعين ؛ حتى أتوا باب خُراسان ، فركبوا فى السفن ، ورجع عيسى كأنه يريد أن يقاتلهم ، ثم احتال حتى صار فى أيديهم شبه الأسير ، فأخذه بعض قواده فأتى به منزله ، ورجع الباقون إلى إبراهيم فأخبروه الخبر ، فاغتمّ لذلك غمًّا شديداً ؛ وقد كان المطلب ابن عبد الله بن مالك اختفى من إبراهيم ، فلما قدم حُميد أراد العبور إليه فأخذه المعبِّر[1] ، فذهب إلى إبراهيم فحبسه عنده ثلاثة أيام أو أربعة ، ثم إنه خلّى عنه ليلة الاثنين لليلة خلت من ذى الحجّة . ١٠٣٤/٣

* * *

[ذكر خبر اختفاء إبراهيم بن المهدىّ]

وفى هذه السنة اختفى إبراهيم بن المهدىّ ، وتغيّب بعد حربٍ بينه وبينَ حميد بن عبد الحميد، وبعد أن أطلق سعد بن سلامة من حبسه .

* ذكر الخبر عن اختفائه والسبب فى ذلك :

ذُكر أنّ سهل بن سلامة كان الناس يذكرون أنه مقتول ، وهو عند إبراهيم محبوس ؛ فلمّا صار حُميد إلى بغداد ودخلها أخرجه إبراهيم . وكان

(١) ط : « المعبد » ، تحريف .

يدعو فى مسجد الرُّصافة كما كان يدعو ، فإذا كان الليل ردّه إلى حبسه ؛ فمكث بذلك أيامًا ، فأتاه أصحابه ليكونوا معه ، فقال لهم : الزموا بيوتكم ، فإنى أرْزَأ هذا — يعنى إبراهيم — فلما كان ليلة الاثنين لليلة خلت من ذى الحجّة خلّى سبيله ، فذهب فاختفى ، فلما رأى أصحاب إبراهيم وقوّاده أن حُميداً قد نزل فى أرحاء عبد الله بن مالك ، تحوّل عامّتهم إليه ، وأخذوا له المدائن ؛ فلمّا رأى ذلك إبراهيم، أخرج جميع مَنْ عنده حتى يقاتلوا ، فالتقوْا على جسر نهر ديالى ، فاقتتلوا ، فهزمهم حُميد ، فقطعوا الجسر ، فتبعهم أصحابُه حتى أدخلوهم بيوت بغداد ، وذلك يوم الخميس لانسلاخ ذى القعدة .

فلما كان يوم الأضحى أمر إبراهيم القاضىَ أن يصلّىَ بالناس فى عيساباذ ، فصلّى بهم فانصرف الناس ، واختفى الفضل بن الربيع ، ثم تحوّل إلى حُميد ، ٣/١٠٣٥ ثم تحوّل علىّ بن ريطة إلى عسكر حُميد ، وجعل الهاشميون والقوّاد يلحقون بحُميد واحداً بعد واحد ؛ فلما رأى ذلك إبراهيم أسقط فى يديه ، فشقّ عليه . وكان المطّلب يكاتب حميداً على أن يأخذ له الجانب الشرقىّ ، وكان سعيد ابن الساجور وأبو البطّ وعبدويه وعدّة معهم من القواد يكاتبون علىّ بن هشام ، على أن يأخذوا له إبراهيم ؛ فلمّا علم إبراهيم بأمرهم وما اجتمع عليه كلّ قوم من أصحابه ، وأنهم قد أحدقوا به ، جعل يُداريهم ؛ فلما جنّه الليل اختفى ليلة الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة سنة ثلاث ومائتين ، وبعث المطلب إلى حُميد يعلمه أنه قد أحدق بدار إبراهيم هو وأصحابه ؛ فإن كان يريده فليأته .

وكتب ابن الساجور وأصحابه إلى علىّ بن هشام ، فركب حُميد من ساعته ؛ وكان نازلا فى أرحاء عبد الله ، فأتى باب الجسر ، وجاء علىّ بن هشام حتى نزل نهر بَيْن ، وتقدّم إلى مسجد كَوْثر ، وخرج إليه ابن الساجور وأصحابه ، وجاء المطلب إلى حُميد ، فلقوه بباب الجسر ، فقرّبهم ووعدهم ونبّأهم أن يُعلِم المأمون ما صنعوا ، فأقبلوا إلى دار إبراهيم ، وطلبوه فيها فلم يجدوه ، فلم يزل إبراهيم متوارياً حتى قدم المأمون وبعد ما قدم ؛ حتى كان من أمره ما كان .

وقد كان سهل بن سلامة حيث اختفى وتحوّل إلى منزله وظهر ، وبعث إليه حُميد ، فقرّبه وأدناه ، وحمله على بغل ، ورده إلى أهله ؛ فلم يزل مقيماً حتى قدم المأمون ، فأتاه فأجازه ووصله ، وأمره أن يجلس فى منزله . ١٠٣٦/٣

* * *

وفى هذه السنة انكسفت الشمس يوم الأحد لليلتين بقيتا من ذى الحجة حتى ذهب ضوءها ، وكان غاب أكثر من ثلثيها ، وكان انكسافها ارتفاع النهار ، فلم يزل كذلك حتى قرب الظهر ثم انجلت .

فكانت أيام إبراهيم بن المهدى كلها سنة وأحَدَ عشر شهراً واثنى عشر يومًا .

وغلب علىّ بن هشام على شرقىّ بغداد وحميد بن عبد الحميد على غربيها ، وصار المأمون إلى همَذان فى آخر ذى الحجة

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علىّ .

ثم دخلت سنة أربع ومائتين

ذكر الأحداث التى كانت فيها

* * *

[خبر قدوم المأمون إلى بغداد]

فممّا كان فيها من ذلك قدوم المأمون العراق، وانقطاع مادّة الفتن ببغداد .

* ذكر الخبر عن مقْدمه العراق وما كان فيه بها عند مقدمه :

ذُكر عن المأمون أنه لمّا قدِم جُرجان أقام بها شهراً ، ثم خرج منها ، فصار إلى الريّ فى ذى الحجة ، فأقام بها أيّامًا ، ثم خرج منها ، فجعل يسير المنازل ، ويقيمُ اليوم واليومين حتى صار إلى النهروان ؛ وذلك يوم السبت ، فأقام فيه ثمانية أيام ، وخرج إليه أهلُ بيته والقوّاد ووجوه الناس ، فسلّموا عليه ؛ وقد كان كتب إلى طاهر بن الحسين من الطريق وهو بالرّقة ، أن يوافيَه إلى النّهروان ، فوافاه بها ، فلمّا كان السبت الآخر دخل بغداد ارتفاعَ النهار ، لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر سنة أربع ومائتين ، ولباسه ولباس أصحابه ؛ أقبيتُهم وقلانسهم وطرّاداتهم وأعلامهم كلُّها الخضرة . فلما قدم نزل الرّصافة ، وقدم معه طاهر ، فأمره بنزول الخيزرانيّة مع أصحابه ، ثم تحوّل فنزل قصره على شطّ دِجْلة ، وأمر حميد بن عبد الحميد وعلىّ بن هشام وكلّ قائد كان فى عسكره أن يقيم فى عسكره ؛ فكانوا يختلفون إلى دار المأمون فى كلّ يوم ؛ ولم يكن يدخل عليه أحد إلاّ فى الثياب الخُضْر ، ولبس ذلك أهل بغداد وبنو هاشم أجمعون ، فكانوا يخرقون كلّ شىء يروْنه من السواد على إنسان إلا القلنسوة ؛ فإنه كان يلبسها الواحد بعد الواحد على خوف ووجَل ؛ فأما قَباء أو علم فلم يكن أحد يجترئ أن يلبس شيئًا من ذلك ولا يحمله . فمكثوا بذلك ثمانية أيام ؛ فتكلم فى ذلك بنو هاشم وولد العباس خاصةً ، وقالوا له :

١٠٣٧/٣

يا أمير المؤمنين ، تركت لباس آبائك وأهل بيتك ودولتهم ، ولبست الخضرة . وكتب إليه فى ذلك قوّاد أهل خراسان .

وقيل إنه أمر طاهر بن الحسين أن يسأله حوائجه ، فكان أوّل حاجة سأله أن يطرح لباس الخضرة ، ويرجع إلى لبس السواد وزىّ دولة الآباء ؛ فلمّا رأى طاعةَ الناس له فى لبس الخُضرة وكراهتَهم لها ، وجاء السّبت قعد لهم وعليه ثياب خُضْر ، فلما اجتمعوا عنده دعا بسَواد فلبسه ، ودعا بخلْعة سواد فألبسها طاهراً ، ثم دعا بعدّة من قوّاده ، فألبسهم أقبية وقلانس سوداً[1] ؛ فلما خرجوا من عنده وعليهم السواد ، طرح سائر القواد والجند لبْس الخضرة ، ولبسوا السّواد ، وذلك يوم السبت لسبع بقين من صفر. ١٠٣٨/٣

وقد قيل : إن المأمون لبس الثياب الخضر بعد دخوله بغداد سبعة وعشرين ، ثم مزّقت .

وقيل : إنه لم يزل مقيماً ببغداد فى الرّصافة حتى بنى منازل على شطّ دجلة عند قصره الأول ؛ وفى بستان موسى .

و ذكر عن إبراهيم بن العباس الكاتب ، عن عمرو بن مسعدة ، أن أحمد ابن أبى خالد الأحول قال : لمّا قدمنا من خُراسان مع المأمون وصرْنا فى عقبة حُلوان — وكنت زميله — قال لى : يا أحمد ، إنى أجد رائحة العراق ، فأجبتُ بغير جوابه ، وقلت : ما أخلقه ! قال : ليس هذا جوابى ، ولكنى أحسبك سهوت أو كنت مفكراً ، قال : قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فيم فكرت ؟ قال : قلت : يا أميرَ المؤمنين ، فكرت فى هجومنا على أهل بغداد وليس معنا إلا خمسون ألف درهم ، مع فتنة غلبت على قلوب الناس ، فاستعذبوها ، فكيف يكون حالنا إن هاج هائج ، أو تحرّك متحرّك ! قال : فأطرق مليًّا ، ثم قال : صدقت يا أحمد ، ما أحسن ما فكرت ؛ ولكنى أخبرك ؛ الناسُ على طبقات ثلاث فى هذه المدينة : ظالم ، ومظلوم ، ولا ظالم ولا مظلوم ؛ فأما الظالم فليس يتوقع إلا عفوَنا وإمساكَنا ، وأما المظلوم فليس يتوقع أن ينتصف إلاّ بنا ، ومَنْ كان لا ظالما ولا مظلومًا فبيتُه يسعه . فوالله ما كان إلا كما قال . ١٠٣٩/٣

(١) ط : « سواد » ، وما أثبته من ا .

وأمر المأمون فى هذه السنة بمقاسمة أهل السواد على الخُمسين ؛ وكانوا يقاسمون على النصف ، واتخذ القفيز الملجم[1] — وهو عشرة مكاكيك بالمكّوك الهارونىّ — كيلا مرسَلا .

* * *

وفى هذه السنة واقع يحيى بن معاذ بابك ، فلم يظفر واحد منهما بصاحبه .

وولّى المأمون صالح بن الرشيد البصرة ، وولّى عبيد الله بن الحسن[2] بن عبيد الله بن العباس بن علىّ بن أبى طالب الحرَمين .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبيد الله بن الحسن .

---

(١) ابن الأثير : « الملحم » .
(٢) ابن الأثير : « الحسين » .

ثم دخلت سنة خمس ومائتين

ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الأحداث *

* * *

[ولاية طاهر بن الحسين خراسان]

فمن ذلك تولية المأمون فيها طاهر بن الحسين من مدينة السلام إلى أقصى عمل المشرق ؛ وقد كان قبل ذلك ولاّه الجزيرة والشُّرَط وجانبى بغداد ومعاون السواد ، وقعد للناس .

ذكر الخبر عن سبب توليته :

وكان سبب توليته إياه خُراسان والمشرق ، ما ذُكر عن حماد بن الحسن ، عن بشر بن غياث المريسىّ ، قال : حضرتُ عبدالله المأمون أنا وثمامة ومحمد ابن أبى العباس وعلىّ بن الهيثم ، فتناظروا فى التشيّع ، فنصر محمد بن أبى العباس الإمامة ، ونصر علىّ بن الهيثم الزيديّة ، وجرى الكلام بينهما ؛ إلى أن قال محمد لعلىّ : يا نَبَطىّ ، ما أنت والكلام ! قال : فقال المأمون — وكان متّكئاً فجلس : الشتم عىّ ، والبذاء لؤم ؛ إنا قد أبحنا الكلام ، وأظهرنا المقالات ، فمن قال بالحق حمدناه ، ومن جهل ذلك وقّفناه ، ومن جهل الأمرين حكّمنا فيه بما يجب ؛ فاجعلا بينكما أصلا ، فإنّ الكلام فروع ؛ فإذا افترعتم شيئاً رجعتم إلى الأصول . قال : فإنا نقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وذكرا الفرائض والشرائع فى الإسلام ، وتناظرا بعد ذلك. فأعاد محمد لعلىّ بمثل المقالة الأولى ، فقال له علىّ : والله لولا جلالةُ مجلسه وما وهب الله من رأفته ، ولولا ما نهى عنه لأعرقتُ جبينك ؛ وبحسبك من جهلك غَسْلُك المنبر بالمدينة ؟ ١٠٤٠/٣

قال : فجلس المأمون — وكان متّكئاً — فقال : وما غَسْلُك المنبر ؟ ألتقصير منى فى أمرك أو لتقصير المنصور كان فى أمر أبيك ؟ لولا أن الخليفة

* من هنا تبدأ المقابلة على نسخة د .

إذا وهب شيئًا استحيا أن يرجع فيه لكان أقرَب شيء بيني وبينك إلى الأرض رأسك ، قمْ وإياك ما عدت .

٣/١٠٤١ قال : فخرج محمد بن أبي العباس ، ومضى إلى طاهر بن الحسين — وهو زوج أخته — فقال له : كان من قصّتي كيت وكيت ؛ وكان يحجب المأمون على النبيذ فتْح الخادم ، وياسر يتولى الخِلَع ، وحسين يسقي ، وأبو مريم غلام سعيد الجوهريّ يختلف في الحوائج . فركب طاهر إلى الدار ؛ فدخل فتح ، فقال : طاهر بالباب ؛ فقال : إنه ليس من أوقاته ، ائذن له : فدخل طاهر فسلّم عليه ، فردّ عليه السلام ، وقال : اسقوه رِطلا ، فأخذه في يده اليمنى ، وقال له : اجلس ، فخرج فشربه ثم عاد ، وقد شرب المأمون رطلا آخر ، فقال : اسقوه ثانيًا ، ففعل كفعله الأول ، ثم دخل ، فقال له المأمون : اجلس ، فقال يا أميرَ المؤمنين ؛ ليس لصاحب الشرطة أن يجلس بين يدى سيّده ، فقال له المأمون : ذلك في مجلس العامة ، فأما مجلس الخاصة فطلقٌ ، قال : وبكى المأمون ، وتغرغرت عيناه ، فقال له طاهر : يا أميرَ المؤمنين ؛ لِمَ تبكي لا أبكى الله عينيك! فوالله لقد دانتْ لك البلاد ، وأذعن لك العباد ، وصرتَ إلى المحبّة في كلّ أمرك . فقال : أبكي لأمر ذِكرُه ذلّ ، وستره حزن ، ولن يَخلُوَ أحد من شَجَن ؛ فتكلّم بحاجة إن كانت لك ، قال : يا أمير المؤمنين ، محمد بن أبي العباس أخطأ فأقِلْه عثرتَه ، وارض عنه . قال : قد رضيت عنه ، وأمرتُ بصلته ، ورَددتُ عليه مرتبته ؛ ولولا أنّه ليس من أهل الأنس لأحضرتُه .

٣/١٠٤٢ قال : وانصرف طاهر ، فأعلم ابن أبي العباس ذلك ، ودعا بهارون بن جبغويه[1] ؛ فقال له : إن للكتّاب عشيرة ، وإن أهل خُراسان يتعصّب بعضهم لبعض ؛ فخذ معك ثلثمائة ألف درهم ، فأعطِ الحسين الخادم مائتى ألف ، وأعط كاتبه محمد بن هارون مائة ألف ، وسلْه أن يسأل المأمون : لم بكى؟ قال : ففعل ذلك ، قال : فلما تغدّى قال : يا حسين اسقنى ، قال : لا والله

(١) ط : « جيغوبه » ، تصحيف ، وفي ابن الأثير : « جيعونه » .

لأسقينّك أو تقول لى : لِمَ بكيت حين دخل عليك طاهر ؟ قال : يا حسين ، وكيف عُنيتَ بهذا حتى سألتَنى عنه ! قال : لغمّى بذاك ، قال : يا حسين هو أمرٌ إن خرج من رأسك قتلتُك ، قال : يا سيّدى ، ومتى أخرجتُ لك سرًّا ! قال : إنى ذكرت محمداً أخى ، وما ناله من الذلة ، فخنقتنى العَبْرة فاسترحت إلى الإفاضة ، ولن يفوت طاهرًا منّى ما يكره . قال : فأخبر حسين طاهرًا بذلك ؛ فركب طاهر إلى أحمد بن أبى خالد ، فقال له : إن الثناء منّى ليس برخيص ، وإنّ المعروف عندى ليس بضائع ، فغيِّبْنِى عن عينه ، فقال له : سأفعل ، فبكِّرْ إلىّ غدًا . قال : فركب ابنُ أبى خالد إلى المأمون ، فلما دخل عليه قال : ما نمتُ البارحة ، فقال : لِمَ ويحك ! فقال : لأنك ولّيتَ غسّان خراسان ، وهو ومَنْ معه أكَلَةُ رأس ، فأخاف أن يخرج عليه خارجة من الترك فتصطلمه ، فقال له : لقد فكرتُ فيما فكرتَ فيه ، قال : فمن ترى ؟ قال : طاهر بن الحسين ، قال : ويلك يا أحمد ! هو والله خالع ، قال : أنا الضامن له ، قال : فأنفذْه ، قال : فدعا بطاهر من ساعته ، فعقد له ؛ فشخص من ساعته ، فنزل فى بستان خليل بن هاشم ، فحمل إليه فى كلّ يوم ما أقام فيه مائة ألف . فأقام شهراً ، فحمل إليه عشرة آلاف ألف ، التى تحمَل إلى صاحب خراسان . ١٠٤٣/٣

قال أبوحسان الزيادىّ : وكان قد عقد له على خُراسان والجبال من حلوان إلى خُراسان ، وكان شخوصُه من بغداد يوم الجمعة لليلة بقيت من ذى القعدة سنة خمس ومائتين ، وقد كان عسكر قبل ذلك بشهرين ، فلم يزل مقيماً فى عسكره . قال أبو حسان : وكان سبب ولايته — فيما اجتمع الناس عليه — أن عبدَ الرحمن المطّوّعىّ جمع جموعًا بنيسابور ليقاتل بهم الحروريّة بغير أمر والى خراسان ، فتخوّفوا أن يكون ذلك لأصل عمله عليه . وكان غسان بن عبّاد يتولى خراسان من قبَل الحسن بن سهل ، وهو ابن عم الفضل بن سهل .

وذكر عن علىّ بن هارون أن طاهر بن الحسين قبل خروجه إلى خُراسان وولايته لها ، ندبه الحسن بن سهل للخروج إلى محاربة نصر بن شبث ، فقال :

حاربتُ خليفة ، وسقتُ الخلافة إلى خليفة ، وأومر بمثل هذا ! وإنما كان ينبغي أن توجّه لهذا قائداً من قوّادي ؛ فكان سبب المصارمة بين الحسن وطاهر .

١٠٤٤/٣ قال : وخرج طاهر إلى خراسان لما تولاّها ، وهو لا يكلم الحسن بن سهل ، فقيل له في ذلك ، فقال : ما كنت لأحلّ عقدة عقدها لي في مصارمته .

* * *

وفي هذه السنة ورد عبد الله بن طاهر بغداد منصرفاً من الرّقة ، وكان أبوه طاهر استخلفه عليها ، وأمره بقتال نصر بن شبث ، وقدم يحيى بن معاذ فولاّه المأمون الجزيرة .

وفيها ولّى المأمون عيسى بن محمد بن أبي خالد أرمينيَةَ وأذربيجان ومحاربة بابك .

وفيها مات السريّ بن الحَكَم بمصر ، وكان واليها .

وفيها مات داود بن يزيد عامل السند ، فولاّها المأمون بشر بن داود علَى أن يحمَل إليه في كلّ سنة ألف ألف درهم .

وفيها ولّى المأمون عيسى بن يزيد الجُلوديّ محاربة الزّطّ .

وفيها شخص طاهر بن الحسين إلى خُراسان في ذي القعدة ، وأقام شهرين حتى بلغه خروج عبد الرحمن النيسابوريّ المطوّعيّ بنيسابور ، فشخص ووافى التّغُرغُزيّة أشْرُوسنَةَ .

وفيها أخذ فرج الرُّخّجيّ عبد الرحمن بن عمار النيسابوريّ .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عبيد الله بن الحسن ، وهو والي الحَرمين .

ثم دخلت سنة ست ومائتين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك تولية المأمون داود بن ماسجور محاربة الزّطّ وأعمال البصرة وكُور دجلة واليمامة والبحرين . ٣/١٠٤٥

وفيها كان المدّ الذى غرق منه السواد وكَسْكر وقطيعة أم جعفر وقطيعة العباس وذهب بأكثرها .

وفيها نَكَبَ بابك بعيسى بن محمد بن أبى خالد .

* * *

[ولاية عبد الله بن طاهر على الرّقة]

وفيها ولّى المأمون عبد الله بن طاهر الرّقة لحرب نصر بن شَبَث ومُضَر.

* ذكر الخبر عن سبب توليته إياه :

وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر — أن يحيى بن معاذ كان المأمون ولاّه الجزيرة؛ فمات فى هذه السنة، واستخلف ابنه أحمد على عمله ، فذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، أنّ المأمون دعا عبد الله بن طاهر فى شهر رمضان ، فقال بعض : كان ذلك فى سنة خمس ومائتين، وقال بعض: فى سنة ست . وقال بعض: فى سنة سبع . فلما دخل عليه ، قال: يا عبد الله أستخير الله منذ شهر ، وأرجو أن يخير الله لى ، ورأيت الرّجل يصف ابنه ليطرّيه لرأيه فيه ، وليرفعه ، ورأيتُك فوق ما قال أبوك فيك ، وقد مات يحيى ابن معاذ، واستخلف ابنه أحمد بن يحيى ، وليس بشىء ، وقد رأيت توليتَك مُضر ومحاربة نصر بن شبث، فقال : السمع والطاعة يا أميرَ المؤمنين ، وأرجو أن يجعل الله الخيرة لأمير المؤمنين وللمسلمين .

قال : فعقَد له ، ثم أمر أن تقطع حبال القصّارين عن طريقه، وتُنحّى عن الطرقات المظالّ ، كيلا يكون فى طريقه ما يردّ لواءه ،ثم عقد له لواء ٣/

مكتوبًا عليه بصُفرة ما يكتب على الألوية؛ وزاد فيه المأمون: «يا منصور»، وخرج ومعه الناس فصار إلى منزله؛ ولما كان من غدٍ ركب إليه الناس، وركب إليه الفضل بن الربيع؛ فأقام عنده إلى الليل؛ فقام الفضل، فقال عبد الله: يا أبا العباس، قد تفضّلت وأحسنت، وقد تقدّم أبى وأخوك إلىّ ألاّ أقطَع أمرًا دونَك، وأحتاج أن أستطلع رأيك، وأستضىء بمشورتك؛ فإن رأيتَ أن تقيم عندى إلى أن نُفطر فافعل.

فقال له: إن لى حالات ليس يمكننى معها الإفطار ها هنا. قال: إنْ كنت تكره طعام أهل خُراسان فابعث إلى مطبخك يأتون بطعامك، فقال له: إن لى ركعات بين العشاء والعَتَمة، قال: ففى حفظ الله؛ وخرج معه إلى صحن داره يشاوره فى خاصّ أموره.

وقيل: كان خروج عبد الله الصحيح إلى مُضر؛ لقتال نصر بن شبث بعد خروج أبيه إلى خراسان، بستّة أشهر.

* * *

[وصية طاهر إلى ابنه عبد الله]

وكان طاهر حينَ ولى ابنُه عبد الله ديار ربيعة، كتب إليه كتابًا نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

عليك بتقوى الله وحدَه لا شريك له، وخشيته ومراقبته ومزايلةَ سخطه وحفظ رعيّتك، والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك، وما أنت صائر إليه؛ وموقوف عليه، ومسئول عنه؛ والعمل فى ذلك كله بما يعصمك الله، وينجّيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه؛ فإنّ الله قد أحسن إليك وأوجبَ عليك الرّأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده، وألزمك العدل عليهم، والقيام بحقه وحدوده فيهم، والذّب عنهم، والدّفع عن حريمهم وبَيْضتهم، والحقن لدمائهم، والأمن لسبيلهم، وإدخال الرّاحة عليهم فى معايشهم، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك، وموقِفك عليه، ومُسائلك عنه، ومُثيبك عليه بما قدّمتَ

وأخـرتَ ؛ ففرِّغ لذلك فكرَك وعقلَك وبصرَك ورؤيتَك، ولايذْهلك[1] عنه ذاهل ، ولا يَشْغَلك عنه شاغل ؛ فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأوّل ما يوفّقك الله به لرشدك .

وليكن أوّل ما تلزم به نفسَك، وتَنسب إليه فعالك ؛ المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس، والجماعة عليها بالناس قبَلك في مواقيتها على سننها؛ في إسباغ الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها . وترتّل في قراءتك ، وتمكّن في ركوعك وسجودك وتشهّدك ، ولتصْدُق فيها لربك نيّتُك[2] . واحضض عليها جماعةَ مَنْ معك وتحت يدك ، وادأب عليها فإنها ٣/١٠٤٨ تَأمُرُ بالمَعْروفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنكَرِ . ثم أتْبعْ ذلك الأخذ بسُنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ؛ وإذا ورد عليك أمر فاستعنْ عليه باستخارة الله وتقواه ولزوم ما أنزل الله في كتابه ؛ من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وائتمام ما جاءت به الآثار على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قم فيه بما يحقّ لله عليك، ولا تَمِلْ عن العدل فيما أحببتَ أو كرهتَ لقريب من الناس أو بعيد . وآثر الفقه وأهله ، والدِّين وحَمَلته ، وكتاب الله والعاملين به ؛ فإن أفضل ما تَزيَّن به المرء الفقهُ في دين الله ، والطلب له ، والحثّ عليه ، والمعرفة بما يتقرب فيه منه إلى الله؛ فإنه الدّليل على الخير كله ، والقائد له ، والآمر به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها . وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفةً بالله عزّ وجلّ ، وإجلالا له ، ودركاً للدرجات العلا في المعاد ؛ مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك ، والهيبة لسلطانك ، والأنَسة بك والثقة بعدلك .

وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها ؛ فليس شيء أبينَ نفعاً ، ولا أحضر[3] أمناً ، ولا أجمعَ فضلاً من القصد ، والقصدُ داعية إلى الرشد ، والرشد دليل على التّوفيق ، والتوفيق منقاد إلى السّعادة. وقوامُ الدين والسنن الهادية بالاقتصاد ،

(١) ذهلت على الشيء : غفلت ، وقد يتعدى بنفسه .
(٢) ابن الأثير : « وليصدق فيه رأيك ونيتك » .
(٣) ابن الأثير : « أخص » .

فآثره فى دنياك كلها ، ولا تقصّر فى طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ، ومعالم الرّشد فلا غايةَ للاستكثار من البرّ والسعى له ؛ إذا كان يُطلَب به وجه الله ومرضاته ، ومرافقة أوليائه فى دار كرامته .

واعلم أن القصد فى شأن الدنيا يورث العزّ ، ويحصّن من الذنوب ، وإنك لن تحوط نفسك ومَنْ يليك ، ولا تستصلح أمورَك بأفضلَ منه ، فأته واهتدِ به ، تتمّ أمورك ، وتزْدَدْ مقدرتُك ، وتصلح خاصّتك وعامتك .

وأحسن الظنّ بالله عزّ وجلّ تستقمْ لك رعيّتك ، والتمس الوسيلة إليه فى الأمور كلّها تستدم به النعمة عليك ؛ ولا تُنهض[1] أحداً من الناس فيما تولّيه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمة ؛ فإنّ إيقاع التّهم بالبرآء[2] والظنون السيئة بهم مأثم . واجعل من شأنك حسن الظنّ بأصحابك . واطرد عنهم سوء الظنّ بهم ، وارفضه عنهم يُعنك[3] ذلك على اصطناعهم ورياضتهم . ولا يجدنّ عدوّ الله الشيطان فى أمرك مغمَزاً ، فإنه إنما يكتفى بالقليل من وَهنك فيدخل عليك من الغمّ فى سوء الظنّ ما ينغصك لذاذة عيشك .

٣/١٠٥٠

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوةً وراحة ، وتكفى به ما أحببت كفايته من أمورك ، وتدعو به الناس إلى محبّتك والاستقامة فى الأمور كلها لك . ولا يمنعنْك حسن الظنّ بأصحابك والرأفة برعيّتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك ، والمباشرة لأمور الأولياء ، والحياطة للرّعيّة والنظر فيما يقيمها ويصلحها ؛ بل لتكن المباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية والنظر فى حوائجهم وحمل مؤناتهم آثرَ عندك مما سوى ذلك ؛ فإنه أقوم للدين ، وأحيا للسنة .

وأخلص نيّتك فى جميع هذا ، وتفرّد بتقويم نفسك تفرّدَ من يعلم أنه مسئولٌ عما صنع ، ومجزىٌّ بما أحسن ، ومأخوذ بما أساء ؛ فإن الله جعل الدين حرْزًا وعزًّا ، ورفع من اتّبعه وعزّزه ، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهجَ الدين وطريقة الهدى . وأقم حدود الله فى أصحاب الجرائم على قدر منازلهم ، وما استحقّوه . ولا تُعَطّلْ ذلك ولا تهاون به . ولا تؤخّر عقوبة أهل العقوبة ؛ فإنّ فى تفريطك

(١) ابن الأثير : « ولا تتهمن » .
(٢) ابن الأثير : « بالبداء » .
(٣) ابن الأثير : « يغنك » .

فى ذلك لمَا يفسد عليك حسنَ ظنك .

واعزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة ، وجانب الشُّبَه والبدعات ، يسلَمْ لك دينك ، وتقم لك مروءتك . وإذا عاهدتَ عهداً فَفِ به ،وإذا وعدت الخير فأنجزه ؛ واقبل الحسنة ، وادفع بها ؛ واغمض عن عيْب كلّ ذى عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزُّور ، وابغض أهلَه ، وأقص أهلَ النميمة ؛ فإنّ أوّل فساد أمرك فى عاجل الأمور وآجلها تقريب الكذوب والجرأة على الكذب ؛ لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنميمة خاتمتها ؛ لأن النميمة لا يسلم صاحبها ؛ وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم لمطيعها أمر .

٣/١٠٥١

وأحبّ أهلَ الصدق والصلاح ، وأعن الأشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل الرّحِم ؛ وابتغ بذلك وجْه الله وعزّة أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة .

واجتنب سوءَ الأهواء والجور . واصرف عنهما رأيَك ، وأظهر براءتك من ذلك لرعيّتك ؛ وأنعم بالعدل سياستهم ، وقم بالحقّ فيهم وبالمعرفة التى تنتهى بك إلى سبيل الهدى . واملُك نفسك عند الغضب ؛ وآثر الوقار والحلْم ، وإيّاك والحدّة والطّيْرة والغرور فيما أنت بسبيله .

وإياك أن تقول إنّى مسلّط أفعل ما أشاء ؛ فإن ذلك سريع فيك إلى نقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له . وأخلص لله النيّة فيه واليقين به ؛ واعلم أن الملك لله يعطيه من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ولن تجد تغيّر النعمة وحلول النقمة إلى أحد أسرع منه إلى حملة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم فى الدولة إذا كفروا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله . ودعْ عنك شرَه نفسك . ولتكن ذخائرك وكنوزك التى تدّخر وتكنز البرَّ والتقوى والمعدلة واستصلاح الرّعية ، وعمارة بلادهم ، والتفقد لأمورهم ، والحفظَ لدهمائهم ، والإغاثة لملهوفهم .

٣/١٠٥٢

واعلم أن الأموال إذا كثُرت وذُخّرتْ فى الخزائن لا تثمر ؛ وإذا كانت فى إصلاح الرّعية وإعطاء حقوقهم وكفّ المؤْنة عنهم نمتْ وربتْ ، وصلَحت

به العامة ، وتزيّنت الولاة ، وطاب به الزمان ، واعتقد فيه العزّ والمَنَعة ؛ فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال فى عمارة الإسلام وأهله ، ووفّرْ منه على أولياء أمير المؤمنين قِبَلك حقوقَهم ، وأوْفِ رعيّتك من ذلك حصصَهم ، وتعهّد ما يصلح أمورهم ومعايشهم ؛ فإنك إذا فعلتَ ذلك قرّت النعمة عليك ، واستوجبتَ المزيد من الله ، وكنتَ بذلك على جباية خراجك وجمع أموال ٣/١٠٥٣ رعيّتك وعملك أقدَر ، وكان الجمع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك ، وأطيب أنفسًا لكلّ ما أردت .

فاجهد[١] نفسك فيما حددتُ لك فى هذا الباب ، ولتعظم حسبتك[٢] فيه ؛ فإنما يبقى من المال ما أنفق فى سبيل حقه ، واعرف للشاكرين شكرَهم وأثبهم عليه . وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورُها هولَ الآخرة فتتهاون بما يحقّ عليك ؛ فإنّ التهاون يوجب التفريط ، والتفريط يورث البوار . وليكن عملك لله وفيه تبارك وتعالى ، وارجُ الثوابَ ؛ فإنّ الله قد أسبغ عليك نعمته فى الدنيا ، وأظهر لديك فضلَه ؛ فاعتصم بالشكر ، وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً وإحسانًا ، فإنّ الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ؛ وقضِ الحقّ فيما حمل من النّعم ، والبس من العافية والكرامة . ولا تحقرنّ ذنبًا ، ولا تمايلن حاسداً ، ولا ترحمنّ فاجراً ، ولا تصلنّ كَفُوراً ، ولا تداهننّ عدوًّا ، ولا تصدقنّ نماماً ، ولا تأمننّ غدّاراً ؛ ولا توالينّ فاسقًا ، ولا تتبعنّ غاوياً[٣] ، ولا تحمدَنّ مرائيًا ، ولا تحقرنّ إنسانًا ، ولا تردنّ سائلا فقيراً ، ولا تجيبنّ[٤] باطلا ، ولا تلاحظنّ مضحكًا ، ولا تخلفنّ وعدًا ، ولا ترهبنّ فُجّراً[٥] ، ولا تعملنّ ٣/١٠٥٤ غضبًا ، ولا تأتينّ بذخًا ، ولا تمشينّ مَرَحًا[٦] ، ولا تركبنّ سفهاً ، ولا تفرّطنّ فى طلب الآخرة ، ولا تدفع الأيام عيانًا[٧] ، ولا تغمضنّ عن الظالم رهبةً أو مخافة ، ولا تطلبنّ ثواب الآخرة بالدنيا . وأكثرْ مشاورةَ الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلْم ، وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرّأى والحكمة ؛

---

(١) ابن الأثير : « واجهد » .
(٢) ابن الأثير : « حسنتك » .
(٣) ابن الأثير : « ولا تبتغين عاديًا » .
(٤) ابن الأثير : « ولا تجبن » .
(٥) ابن الأثير : « فاجراً » .
(٦) ابن الأثير : « لا تأسن مدحاً » .
(٧) ابن الأثير : « ولا تدفع الأنام عتاباً » .

ولا تُدخلنّ فى مشورتك أهل الدّقة(١) والبخل ، ولا تسمعنّ لهم قولاً ؛ فإنّ ضرَرَهم أكثر من منفعتهم . وليس شىء أسرع فساداً لما استقبلت فى أمر رعيتك من الشحّ . واعلم أنك إذا كنت حريصًا كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ؛ وإذا كنت كذلك لم يستقمْ لك أمرك إلاّ قليلا ؛ فإن رعيّتك إنما تعتقد على محبّتك بالكفّ عن أموالهم وترك الجوْر عنهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك بالإفضال عليهم وحسن العطيّة لهم ، فاجتنب الشحّ ، واعلم أنه أول ما عَصَى به الإنسان ربّه ، وأن العاصى بمنزلة خزى ؛ وهو قول الله عز وجل : ﴿ ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئكَ هُمُ المفلحون ﴾(٢) ؛ فسهّل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيّتك حظًّا ونصيبًا ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فاعدده لنفسك خُلقاً ، وارض به عملا ومذهبًا . ٣/١٠٥٥

وتفقّد أمور الجند فى دواوينهم ومكاتبهم ، وأدرر عليهم أرزاقهم ، ووسّع عليهم فى معايشهم ؛ ليُذهبَ بذلك الله فاقتهم ، ويقومَ لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم فى طاعتك وأمرك خلوصًا وانشراحًا ، وحسب ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيّته رحمةً فى عدله وحيطته وإنصافه وعنايته وشفقته وبرّه وتوسعته ؛ فزايل مكروه إحدى البابَيْن باستشعار تكملة الباب الآخر ، ولزوم العمل به تلقَ إن شاء الله نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً .

واعلم أنّ القضاء من الله بالمكان الذى ليس به شىء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذى تعتدل عليه الأحوال فى الأرض ، وبإقامة العدل فى القضاء والعمل ، تصلح الرعيّة ، وتأمن السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ، ويؤدّى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجرى السنن والشرائع ، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل فى القضاء .

واشتدّ فى أمر الله ، وتورّع عن النَّطَف(٣) وامض لإقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وأبعد من الضّجر والقلق ، واقنع بالقَسْم ، ولتسكن ريحك ، ويقرّ جدُّك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه فى صمتك ، واسددْ فى منطقك ، وأنصف الخصم ، ٣/١٠٥٦

---

(١) ابن الأثير : « أهل الذمة » . (٢) سورة التغابن ١٦ .

(٣) النطف : العيب والفساد ، وفى ابن الأثير « القصف » .

وقف عند الشُّبهة ، وأبلغ فى الحجة ، ولا يأخذْك فى أحدٍ من رعيتك محاباة ولا محاماة ، ولا لوم لائم ، وتثبّت وتأنّ ، وراقب وانظر ، وتدبَّرْ وتفكر ، واعتبر ، وتواضع لربك ، وارأف بجميع الرعية ، وسلّط الحقّ على نفساك[١] ، ولا تُسرعنّ إلى سفك دم — فإن الدماء من الله بمكان عظيم — انتهاكًا لها بغير حقها .

وانظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعيّة ، وجعله الله للإسلام عزًّا ورفعة ، ولأهله سعة[٢] ومنعة ، ولعدوّه وعدوهم كَبْتًا وغيظًا ، ولأهل الكفر من معاهدتهم[٣] ذلاًّ وصَغارًا ، فوزّعه بين أصحابه بالحقّ والعدْل ، والتسوية والعموم فيه ، ولا ترفعنّ منه شيئًا عن شريف لشرفه ، وعن غنىٍّ لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أحدٍ من خاصّتك . ولا تأخذنّ منه فوق الاحتمال له ، ولا تكلفنّ أمرًا فيه شطط . واحمل الناس كلّهم على مرّ الحق ؛ فإنّ ذلك أجمعُ لألفتهم[٤] وألزمُ لرضا العامة . واعلم أنك جُعلت بولايتك خازنًا وحافظًا وراعياً ، وإنما سُمِّى أهل عملك رعيّتك ؛ لأنك راعيهم وقيّمهم ؛ تأخذ منهم ما أعطوْك من عفوهم ومقدرتهم ، وتنفقه فى قوام أمرهم وصلاحهم ، وتقويم أوَدهم ؛ فاستعمل عليهم فى كُور عملك ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعَفاف ، ووسِّع عليهم فى الرزق ؛ فإنّ ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلّدت وأسند إليك ، ولا يشغلنّك عنه شاغل ، ولا يصرفنّك عنه صارف ؛ فإنك متى آثرته وقُمْت فيه بالواجب استدعيتَ به زيادة النعمة من ربّك ، وحسن الأحدوثة فى أعمالك ، واحترزتَ النصيحة[٥] من رعيّتك ، وأعنت على الصلاح ، فدرّت الخيرات ببلدك ، وفشت العمارة بناحيتك ، وظهر الخِصْب فى كُورك ، فكثر خراجُك ، وتوفّرت أموالك ، وقويتَ بذلك على ارتباط جندك ، وإرضاء العامة بإقامة[٦] العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمودَ السياسة ، مرضىّ العدل فى ذلك عند عدوّك ، وكنت فى أمورك كلها

٣/١٠٥٧

(١) ابن الأثير : « فتسلط الحق على نفسك » .
(٢) ابن الأثير : « توسعة » .
(٣) ابن الأثير : « من معانديهم » .
(٤) ابن الأثير : « لآفهم » .
(٥) ابن الأثير : « المحبة » .
(٦) ابن الأثير : « بإفاضة » .

ذا عدل وقوّة ، وآلة وعدّة ، فنافس فى هذا ولا تقدّم عليه شيئًا تحمد مغبة أمرك إن شاء الله .

واجعل فى كلّ كورة من عملك أمينًا يخبرك أخبارَ عمّالك ، ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم ؛ حتى كأنك مع كلّ عامل فى عمله ، معاينٌ لأمره كلّه . وإن أردت أن تأمره بأمر فانظر فى عواقب ما أردت من ذلك ؛ فإن رأيت السّلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسنَ الدفاع والنصح والصنع فأمضه ؛ وإلا فتوقّف عنه . وراجع أهل البصر والعلم ، ثم خذ فيه عدّته ؛ فإنه ربما نظر الرجل فى أمرٍ من أمره قد واتاه[1] على ما يهوى ، فقوّاه[2] ذلك وأعجبه ، وإن لم ينظر فى عواقبه أهلكه ، ونقضَ عليه أمرَه . ١٠٥٨/٣

فاستعمل الحزْم فى كلّ ما أردت ، وباشره بعد عون الله بالقوّة ، وأكثر استخارة ربّك فى جميع أمورك ، وافرغ من عمل يومك ولا تؤخّره لغدك ؛ وأكثر مباشرته بنفسك ؛ فإن لغدٍ أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى أخّرْت . واعلم أنّ اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، وإذا أخّرت عمله اجتمع عليك أمر يومين ، فشغلك ذلك حتى تعرض عنه ؛ فإذا أمضيتَ لكلّ يوم عملَه أرحْتَ نفسَك وبدَنك ، وأحكمت أمور سلطانك .

وانظر أحرارَ الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقنْ صفاء طويّتهم وتهذيبَ مودّتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك ؛ فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهَدْ أهلَ البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مؤْنتهم ، وأصلح حالهم ؛ حتى لا يجدوا لخلّتهم[3] مسًّا . وأفرد نفسك للنظر فى أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظلمة إليك . والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه ؛ فاسأل عنه أحفَى مسألة ، ووكّل بأمثاله أهلَ الصلاح من رعيّتك ، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله أمرهم . وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقًا من بيت المال اقتداءً بأمير المؤمنين أعزّه الله ، فى العطْف عليهم ، والصلة لهم ، ليصلح ١٠٥٩/٣

(١) ابن الأثير : « أتاه » . (٢) ابن الأثير : « فأغواه » .
(٣) الخلة : الحاجة .

الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة . وأجْرِ للأضرّاء من بيت المال ، وقدّم حمَلة القرآن منهم والحافظين لأكثره فى الجراية[1] على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم ، وقُوّامًا يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤدّ ذلك إلى سرف فى بيت المال . واعلم أنّ الناس إذا أعطُوا حقوقَهم وأفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ، ولم تطِب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى وُلاتهم طمعًا فى نيل الزيادة ، وفضل الرفق منهم ، وربما برِم[2] المتصفح لأمور الناس لكثرة ما يرد عليه ، ويشغل فكره وذهنه منها ما يناله به مؤنة ومشقة ؛ وليس مَنْ يرغب فى العدل ، ويعرف محاسن أموره فى العاجل وفضل ثواب الآجل ؛ كالذى يستقبل ما يقرّبه إلى الله ، ويلتمس رحمته به . وأكثر الإذن للناس عليك ، وأبرز لهم وجهَك ، وسكِّنْ لهم أحراسك[3] ، واخفض لهم جناحك ، وأظهر لهم بشرَك ، ولِنْ لهم فى المسألة والمنطق ، واعطف عليهم بجودك وفَضْلك ؛ وإذا أعطيتَ فأعْطِ بسماحة وطيب نفس ، والتمس الصنيعة والأجر غيرَ مكدّر ولامنّان ؛ فإن العطيّة على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله . ٣/١٠٦٠

واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومَن مضى من قَبْلك من أهل السلطان والرياسة فى القرون الخالية والأمم البائدة ؛ ثم اعتصم فى أحوالك كلّها بأمر الله ، والوقوف عند محبّته ، والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه ؛ واجتنب ما فارق ذلك وخالفَه ، ودعا إلى سخط الله . واعرف ما يَجمع عُمّالُك من الأموال وينفقون منها . ولا تجمعْ حرامًا ، ولا تنفق إسرافًا ، وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتَهم ومخالطتهم . وليكن هواك اتّباع السنن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأمور ومعاليها ؛ وليكن أكرم دُخلائك وخاصّتك عليك مَنْ إذا رأى عيبًا فيك لم تمنعه هيبتُك من إنهاء ذلك إليك فى سرّ ، وإعلامك ما فيه من النقص ؛ فإن أولئك أنصحُ أوليائك ومظاهريك .

وانظر عمّالك الذين بحضرتك وكتّابَك ؛ فوقّتْ لكلّ رجل منهم فى كلّ

(١) ابن الأثير : « الجرائد » .
(٢) ابن الأثير : « تبرم » .
(٣) ابن الأثير : « حراسك » .

يوم وقتًا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامرته ، وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر كُورك ورعيتك ، ثم فرّغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك ، وكرّر النظر إليه والتدبير له ؛ فما كان موافقًا للحزم والحق فأمضه واستخر الله فيه ، وما كان مخالفًا لذلك فاصرفه إلى التثبّت فيه ، والمسألة عنه . ١٠٦١/٣

ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم ؛ ولا تقبل من أحد منهم إلاّ الوفاء والاستقامة والعوْن فى أمور أمير المؤمنين ؛ ولا تَضَعنّ المعروف إلاّ على ذلك .

وتفهم كتابى إليك ، وأكثر النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره ، فإن الله مع الصلاح وأهله ؛ وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله رضًا ولدينه نظامًا ، ولأهله عزًّا وتمكينًا ؛ وللذمة والملة عدلاً وصلاحًا .

وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك[1] ، وأن يُنزل عليك فضله ورحمتَه بتمام فضله عليك وكرامته لك ؛ حتى يجعلك أفضَل مثالك نصيبًا ، وأوفرهم حظًّا ، وأسناهم ذكراً ، وأمراً ، وأن يهلك عدوّك ومَنْ ناوأك وبغى عليك ، ويرزقك من رعيّتك العافية ، ويحجز الشّيطان عنك وساوسه ، حتى يستعلى أمرُك بالعزّ والقوّة والتوفيق ، إنه قريب مجيب .

* * *

وذكر أن طاهراً لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه ، وتدارسوه وشاع أمره ؛ حتى بلغ المأمون فدعا به وقرئ عليه ، فقال : ما بقّى أبو الطيّب شيئًا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة وإصلاح الملك والرعيّة وحفظ البيْضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلاّ وقد أحكَمه ، وأوصى به وتقدم ؛ وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال فى نواحى الأعمال . ٢/٣

وتوجّه عبد الله إلى عمله فسار بسيرته ، واتبع أمره وعمل بما عهد إليه .

---

(١) ابن الأثير : « وكلاءتك » .

وفى هذه السنة ولّى عبد الله بن طاهر إسحاق بن إبراهيم الجسرين ، وجعله خليفتَه على ما كان طاهر أبوه استخلفه فيه من الشُّرَط وأعمال بغداد ؛ وذلك حينَ شخص إلى الرَّقة لحرب نصر بن شبث .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبيد الله بن الحسن ؛ وهو والى الحرميْن .

ثم دخلت سنة سبع ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خروج عبد الرحمن بن أحمد العلوىّ باليمن]

فمن ذلك خروجُ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب ببلاد علكّ من اليمن يدعو إلى الرضىّ من آل محمد صلى الله عليه وسلم .

* ذكر الخبر عن سبب خروجه :

وكان السبب فى خروجه أنّ العمال باليمن أساءوا السيرة ، فبايعوا عبدالرحمن هذا ، فلما بلغ ذلك المأمون وجّه إليه دينار بن عبد الله فى عسكر كثيف ، وكتب معه بأمانه ، فحضر دينار بن عبد الله الموسم وحجّ ، فلما فرغ من حجّه سار إلى اليمن حتى أتى عبد الرحمن ، فبعث إليه بأمانه من المأمون ؛ ١٠٦٢/٣ فقبل ذلك ، ودخل ووضع يده فى يد دينار ، فخرج به إلى المأمون ، فمنع المأمون عند ذلك الطالبين من الدخول عليه ، وأمر بأخذهم بلبس السواد ؛ وذلك يوم الخميس لليلة[1] بقيت من ذى القعدة .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة طاهر بن الحسين]

وفى هذه السنة كانت وفاة طاهر بن الحسين .

* ذكر الخبر عن وفاته :

ذكر عن مطهّر بن طاهر ، أنّ وفاة ذى اليمينين كانت من حمّى وحرارة أصابته ، وأنه وُجد فى فراشه ميّتاً .

---

(١) ابن الأثير : « لليلتين » .

وذكر أن عمّيه عليّ بن مصعب وأخاه أحمد بن مصعب ، صارا إليه يعودانه ، فسألا الخادم عن خبره — وكان يغلّس[1] بصلاة الصّبح — فقال الخادم : هو نائم لم ينتبه ، فانتظراه ساعة ، فلما انبسط الفجر ، وتأخّر عن الحركة فى الوقت الذى كان يقوم فيه للصلاة ، أنكرا ذلك ، وقالا للخادم : أيقظه ، فقال الخادم : لست أجسرُ على ذلك ، فقالا له : اطرق لنا لندخل إليه ، فدخلا فوجداه ملتفًّا فى دُواج[2] ، قد أدخله تحته ، وشدّه عليه من عند رأسه ورجليه ، فحركاه فلم يتحرّك ، فكشفا عن وجهه فوجداه قد مات . ولم يعلما الوقت الذى توفّيَ فيه ، ولا وقف أحد من خدمه على وقت وفاته ؛ وسألا الخادم عن خبره وعن آخر ما وقف عليه منه ؛ فذكر أنه صلى المغرب والعشاء الآخرة ، ثم التفّ فى دُواجه . قال الخادم : فسمعتُه يقول بالفارسية كلامًا وهو «دِرْمَرْك بنزمَرْدِى وَيَمَذْ» ؛ تفسيره أنه يحتاج فى الموت أيضًا إلى الرّجلة . ١٠٦٤/٣

وذُكر عن كلثوم بن ثابت بن أبى سعد — وكان يكنى أبا سعدة — قال : كنت على بَريد خُراسان ، ومجلسى يوم الجمعة فى أصل المنبر ، فلما كان فى سنة سبع ومائتين ، بعد ولاية طاهر بن الحسين بسنتين ، حضرت الجمعة ، فصعد طاهر المنبر ، فخطب ، فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أمسك عن الدّعاء له ، فقال : اللهمّ أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك ، واكفها مؤونة مَنْ بغى فيها ، وحشد عليها ، بلمّ الشعث ، وحقْن الدّماء ، وإصلاح ذات البين . قال : فقلت فى نفسى : أنا أوّل مقتول ؛ لأنى لا أكتم الخبر ؛ فانصرفت واغتسلت بغسل الموتى ، وائتزرت بإزار الموتى ، ولبست قميصًا ، وارتديت رداء ، وطرحت السواد ، وكتبت إلى المأمون . قال : فلمّا صلى العصر دعانى ، وحدَث به حادث فى جفن عينه وفى مأقه ، فخرّ ميتًا . قال : فخرج طلحة ابن طاهر ، فقال : ردّوه ردّوه — وقد خرجت — فردّونى ، فقال : هل كتبت

(١) يغلس بالصبح : يصليه فى الغلس : وهو آخر ظلمة الليل .
(٢) الدواج ، كرمان وغراب : اللحاف .

بما كان ؟ قلت : نعم ، قال : فاكتب بوفاته ، وأعطانى خمسمائة ألف ومائتى ثوب ، فكتبت بوفاته وبقيام طلحة بالجيش .

قال : فوردت الخريطة على المأمون بخلعه غدْوة ، فدعا ابنَ أبى خالد فقال له : اشخص : فأتِ به — كما زعمت ، وضمنت — قال : أبيتُ ليلتى ، قال : لا لعمرى لا تبيت إلا على ظَهْر . فلم يزل يناشده حتّى أذن له فى المبيت . قال : ووافت الخريطة بموته ليلا ، فدعاه فقال : قد مات ، فمن ترى ؟ قال : ابنه طلحة ، قال : الصواب ما قلت ، فاكتب بتوليته . فكتب بذلك ، وأقام طلحة واليًا على خراسان فى أيام المأمون سبع سنين بعد موت طاهر ، ثم توفّىَ ، وولى عبد الله خُراسان — وكان يتولى حرب بابك — فأقام بالدينور ، ووجّه الجيوش ، ووردت وفاة طلحة على المأمون ؛ فبعث إلى عبد الله يحيى بن أكثم يعزّيه عن أخيه ويهنئه بولاية خراسان ، وولّى علىّ بن هشام حرب بابك . ١٠٦٥/٣

وذكِر عن العباس أنه قال : شهدت مجلساً للمأمون ، وقد أتاه نعىّ الطاهر ، فقال : لليدين وللفم ! الحمد لله الذى قدّمه وأخّرنا .

وقد ذُكر فى أمر ولاية طلحة خراسان بعد أبيه طاهر غير هذا القول ؛ والذى قيل من ذلك ، أنّ طاهراً لما مات — وكان موته فى جمادى الأولى — وثب الجند ، فانتهبوا بعض خزائنه ، فقام بأمرهم سلاّم الأبرش الخصىّ ، فأمر فأعطوا رزق ستة أشهر . فصيّر المأمون عمله إلى طلحة خليفة لعبد الله بن طاهر ؛ وذلك أنّ المأمون ولّى عبد الله فى قول هؤلاء بعد موت طاهر عمل طاهر كله — وكان مقيماً بالرّقة على حرب نصر بن شبَث — وجمع له مع ذلك الشأم ، وبعث إليه بعهده على خُراسان وعمل أبيه ؛ فوجّه عبد الله أخاه طلحة بخراسان ، واستخلف بمدينة السلام إسحاق بن إبراهيم ، وكاتب المأمونَ طلحةُ باسمه ، فوجّه المأمون أحمد بن أبى خالد إلى خُراسان للقيام بأمر طلحة ، فشخص أحمد إلى ما وراء النهر ، فافتتح أشْروسَنة ، وأسر كاوس بن خاراخره وابنه الفضل ، وبعث بهما إلى المأمون ، ووهب طلحة لابن أبى خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعَروضًا بألفى ألف ، ووهب لإبراهيم بن العباس كاتب أحمد بن أبى خالد خمسمائة ألف درهم . ١٠٦٦/٣

وفى هذه السنة غلا السعر ببغداد والبصرة والكوفة حتى بلغ سعر القفيز من الحنطة بالهارونىّ أربعين درهمًا إلى الخمسين بالقفيز الملجَم .

وفى هذه السنة وُلِّىَ موسى بن حفص طبرستان والرُّويان ودُنْباوَنْد .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة أبو عيسى بن الرشيد .

ثم دخلت سنة ثمان ومائتين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مصير الحسن بن الحسين بن مصعب من خُراسان إلى كرمان ممتنعًا بها . ومصير أحمد بن خالد إليه حتى أخذه ، فقدِم به على المأمون ، فعفا عنه .

وفيها ولّى المأمون محمد بن عبد الرحمن المخزومىّ قضاءَ عسكر المهدىّ فى المحرّم .

وفيها استعفى محمد بن سماعة القاضى من القضاء فأعفِىَ ، وولّى مكانه إسماعيل بن حمّاد بن أبى حنيفة .

وفيها عُزل محمد بن عبد الرحمن عن القضاء بعد أن وُلِّيَه فيها فى شهر ربيع الأول ، ووليَه بشر بن الوليد الكندىّ ، فقال بعضهم :

يأيُّها الملِكُ الموحِّدُ ربَّهُ ... قاضيكَ بشرُ بنُ الوليدِ حِمارْ ٣/١٠٦٧

يَنفِى شَهادَةَ مَن يَدِينُ بما بِهِ ... نطَقَ الكتابُ وجاءَتِ الأَخبارْ

ويَعُدُّ عدلاً مَن يقولُ بأَنَّهُ ... شيخٌ يُحيط بجسمه الأَقطارْ

ومات موسى بن محمد المخلوع فى شعبان ، ومات الفضل بن الربيع فى ذى القعدة .

* * *

وحجَّ بالناس فى هذه السنة صالح بن الرشيد .

ثم دخلت سنة تسع ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر الظفر بنصر بن شبث]

فمن ذلك ما كان من حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شبَث وتضييقه عليه؛ حتّى طلب الأمان ، فذُكر عن جعفر بن محمد العامريّ أنه قال : قال المأمون لثُمامة : ألا تدلّني على رجل من أهل الجزيرة له عقل وبيان ومعرفة، يؤدّي عنّي ما أوجّهه به إلى نصر بن شبَث ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، رجل من بني عامر يقال له جعفر بن محمد ، قال له : أحضرنيه ، قال جعفر : فأحضرني ثمامة ، فأدخلني عليه ، فكلّمني بكلام كثير ، ثم أمرني أن أبلغه نصر بن شبَث . ١٠٦٨/٣ قال : فأتيت نصْراً وهو بكفر عزُون بسَروج ، فأبلغته رسالتَه ، فأذعن وشرط شروطاً ، منها ألا يطأ له بساطاً . قال : فأتيتُ المأمون فأخبرته ، فقال : لا أجيبه والله إلى هذا أبداً ، ولو أفضيت إلى بيع قميصي حتى يطأ بساطي ؛ وما باله ينفر منّي! قال : قلتُ : لجرْمه وما تقدّم منه ، فقال : أتراه أعظم جُرْماً عندي من الفضل بن الربيع ومن عيسى بن أبي خالد ! أتدري ما صنع بي الفضل ! أخذ قوّادي وجنودي وسلاحي وجميع ما أوْصى به لي أبي ، فذهب به إلى محمد وتركني بمرْو وحيداً فريداً وأسلمني ، وأفسد عليّ أخي ؛ حتى كان من أمره ما كان ؛ وكان أشدّ عليّ من كلّ شيء . أتدري ما صنع بي عيسى بن أبي خالد ! طرد خليفتي من مدينتي ومدينة آبائي ، وذهب بخراجي وفيْئي ، وأخرب عليّ دياري ، وأقعد إبراهيم خليفة دوني ، ودعاه باسمي . قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في الكلام فأتكلم ؟ قال : تكلم ، قلتُ : الفضل بن الربيع رضيعكُم ومولاكم ، وحال سلفه حالكم ، وحال سلفكم حاله ، ترجع عليه بضروب كلّها تردّك إليه ، وأما عيسى بن أبي خالد فرجُلٌ

من أهل دولتك ، وسابقتُه وسابقة مَنْ مضى من سلفه سابقتهم[1] ترجع عليه ١٠٦٩/٣
بذلك ؛ وهذا رجل[2] لم تكن له يد قطّ فيُحمل عليها ، ولا لمن مضى من سلفه ؛ إنما كانوا من جند بنى أمية . قال : إن كان ذلك كما تقول ، فكيف بالحنق والغيظ ؛ ولكنى لستُ أقلع عنه حتى يطأ بساطى ، قال : فأتيت نصراً فأخبرته بذلك كلّه ، قال : فصاح بالخيل صيحة فجالت ، ثم قال : ويلى عليه ! هو لم يقْوَ على أربعمائة ضفدع تحت جناحه — يعنى الزّط — يقوى على حَلْبة العرب !

فذُكر أن عبد الله بن طاهر لما جادّه القتال وحصره وبلغ منه ، طلب الأمان فأعطاه ، وتحوّل من معسكره إلى الرّقّة سنة تسع ومائتين ، وصار إلى عبد الله بن طاهر ، وكان المأمون قد كتب إليه قبل ذلك بعد أن هزم عبد الله ابن طاهر جيوشَه كتاباً يدعوه إلى طاعته ومفارقة معصيته ، فلم يقبل ، فكتب عبد الله إليه — وكان كتاب المأمون إليه من المأمون كتبه عمرو بن مسعدة :

أما بعد ؛ فإنك يا نصر بن شبَث قد عرفتَ الطاعة وعزّها وبَرْد ظلّها وطيب مَرْتعها وما فى خلافها من النّدم والخَسار ، وإن طالت مدّة الله بك ، فإنه إنما يُملى لمن يلتمس مظاهرة الحجّة عليه لتقع عِبَرُه بأهلها على قَدْر إصرارهم[3] واستحقاقهم . وقد رأيتُ إذكارك وتبصيرك لما رجوتُ أن يكون لما أكتب به إليك موقع منك ؛ فإنّ الصدق صدق والباطل باطل ؛ وإنما القول بمخارجه وبأهله الذين يُعنَوْن به ، ولم يعاملك من عمّال أمير المؤمنين أحد أنفع ١٠٧٠/٣
لك فى مالك ودينك ونفسك ، ولا أحرصَ على استنقاذك والانتياش لك من خطائك منى ؛ فبأىّ أوّل أو آخر أو سِطَة أو إمْرة إقدامُك يا نصر على أمير المؤمنين ! تأخذ أموالَه ، وتتولى دونه ما ولاّه الله ، وتريد أن تبيت آمنًا أو مطمئنًا ، أو وادعًا أو ساكنًا أو هادئًا ! فوعالِم السرّ والجهر ، لئن لم تكن للطاعة مراجعًا وبها خانعًا ، لتستوبلنّ وخَمَ العاقبة ؛ ثم لأبدأنّ بك قبل كل عمل ، فإنّ قرون الشيطان[4] إذا لم تُقطَع كانت فى الأرض فتنة وفسادًا

---

(١) ابن الأثير : « معروفة » .
(٢) ابن الأثير : « وأما نصر فرجل » .
(٣) ف : « احترازهم » .
(٤) ف : « الشياطين » .

كبيراً ، ولأطأنّ بمن معى من أنصار الدولة كواهلَ رعاع أصحابك ، ومَنْ تأشّب[1] إليك من أدانى البلدان وأقاصيها وطَغامها وأوباشها ، ومَن انضوى إلى حوْزتك من خُرّاب الناس ، ومن لفظه بلدُه ، ونفته عشيرته ؛ لسوء موضعه فيهم . وقد أعذَرَ من أنذَر . والسلام .

٣/١٠٧١

وكان مقام عبد الله بن طاهر على نصر بن شبَث محاربًا له — فيما ذكر — خمس سنين حتى طلب الأمان ؛ فكتب عبد الله إلى المأمون يعلمه أنه حصره وضيّقَ عليه ، وقتل رؤساء مَنْ معه ، وأنه قد عاذ بالأمان وطلبه ، فأمره أن يكتب له كتاب أمان ، فكتب إليه ، أماناً نسختُه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ؛ فإنّ الإعذار بالحقّ حجة الله المقرون بها النصر ، والاحتجاج بالعدل دعوة الله الموصول بها العزّ ؛ ولا يزال المعذِر بالحق ، المحتجّ بالعدل فى استفتاح أبواب التأييد ، واستدعاء أسباب التمكين ؛ حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين ، ويمكّن وهو خير الممكّنين ؛ ولستَ تعدو أن تكون فيما لهجتَ به أحد ثلاثة : طالب دِين ، أو ملتمس دنيا ، أو متهوّراً يطلبُ الغلَبة ظلمًا ؛ فإن كنت للدين تسعى بما تصنع ، فأوضح ذلك لأمير المؤمنين يغتنم قبوله إن كان حقًّا ، فلعمرى ما همّته الكبرى ، ولا غايته القصوى إلاّ الميل مع الحقّ حيث مال ، والزوال مع العدل حيث زال ؛ وإن كنت للدنيا تقصد ، فأعلم أمير المؤمنين غايتَك فيها ؛ والأمر الذى تستحقها به ؛ فإن استحققتها وأمكنه ذلك فعلَه بك . فلعمرى ما يستجيز مَنْع خلق ما يستحقه وإن عظُم ، وإن كنت متهوّرًا فسيكفى الله أميرَ المؤمنين مؤنتكَ ، ويعجّل ذلك[2] كما عجّل كفايته مؤن قوم سلكوا مثلَ طريقك كانوا أقوى يدًا ، وأكثف جنداً ، وأكثر جمعًا وعدداً ونصراً منك فيما أصارهم إليه من مصارع الخاسرين . وأنزل بهم من جوائح الظالمين . وأمير المؤمنين يختم كتابه بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وضمانه لك فى دينه وذِمّتِه الصفح عن سوالف جرائمك ، ومتقدمات جرائرك ، وإنزالك ما تستأهل من منازل العزّ والرفعة إن أتيتَ وراجعتَ ؛ إن شاء الله . والسلام .

٣/١٠٧٢

(١) ف : « ومن إليك » .
(٢) ف : « ويعجل فى ذلك » .

ولما خرج نصر بن شبث إلى عبد الله بن طاهر بالأمان هدم كيسوم وخرّبها .

* * *

وفى هذه السنة ولّى المأمون صدقة بن علىّ المعروف بـزريق أرمينيّة وأذْرَبيجان ومحاربة بابك ، وانتدب للقيام بأمره أحمد بن الجنيد بن فرزندى الإسكافى ، ثم رجع أحمد بن الجنيد بن فرزندى إلى بغداد ، ثم رجع إلى الخُرَّميّة ، فأسره بابك ، فولّى إبراهيم بن الليث بن الفضل التجيبىّ أَذْرَبيجان .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن العباس بن محمد بن علىّ ، وهو والى مكة . ١٠٧٢/٣

وفيها مات ميخائيل بن جورجس صاحب الروم ، وكان ملكه تسع سنين ، وملكت الروم عليهم ابنه توفيل بن ميخائيل .

ثم دخلت سنة عشر ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك وصول نصر بن شبث فيها إلى بغداد ، وجه به عبدالله بن طاهر إلى المأمون ، فكان دخوله إليها يوم الاثنين لسبع خلون من صفر ، فأنزله مدينة أبي جعفر ووكل به من يحفظه .

* * *

[ذكر الخبر عن ظفر المأمون بابن عائشة ورفقائه]

وفيها ظهر المأمون على إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ، الذي يقال له ابن عائشة ومحمد بن إبراهيم الأفريقي ومالك بن شاهي وفرج البغواري ومن كان معهم ممن كان يسعى في البيعة لإبراهيم بن المهدي ، وكان الذي أطلعه عليهم وعلى ما كانوا يسعون فيه من ذلك عمران القطربلي ؛ فأرسل إليهم المأمون يوم السبت — فيما ذكر — لخمس خلون من صفر سنة عشر ومائتين ؛ فأمر المأمون بإبراهيم بن عائشة أن يقام ثلاثة أيام في الشمس على باب دار المأمون ، ثم ضربه يوم الثلاثاء بالسياط ، ثم حبسه في المطبق ، ثم ضرب [1] مالك بن شاهي وأصحابه ، وكتبوا للمأمون أسماء من دخل معهم في هذا الأمر من القواد والجند [2] وسائر الناس ، فلم يعرض المأمون لأحد ممن كتبوا له ؛ ولم يأمن أن يكونوا قد قذفوا [3] أقواماً برآء ، وكانوا اتعدوا أن يقطعوا الجسر إذا خرج الجند يتلقون نصر بن شبث ، فغمر بهم فأخذوا ، ودخل نصر بن شبث بعد ذلك وحده ؛ ولم يوجه إليه أحد من الجند ، فأنزل عند إسحاق بن إبراهيم ، ثم حول إلى مدينة أبي جعفر .

١٠٧٤/٣

* * *

(١) س : « وضرب » .
(٢) ف : « ومن الجند » .
(٣) س : « قرفوا قوماً » .

[ذكر خبر الظفر بإبراهيم بن المهدىّ]

وفيها أخذ إبراهيم بن المهدىّ ليلة الأحد لثلاث عشرة من ربيع الآخر ، وهو متنقّب مع امرأتين فى زىّ امرأة ؛ أخذه حارس أسود ليلا ، فقال : مَن أنتنّ ؟ وأين تردْن فى هذا الوقت ؟ فأعطاه إبراهيم – فيما ذكر – خاتم ياقوت كان فى يده ، له قدر عظيم ؛ ليخلّيهنّ[1] ، فلما نظر الحارس إلى الخاتم استراب بهنّ ، وقال : هذا خاتم رجل له شأن ، فرفعهنّ إلى صاحب المسلحة ، فأمرهنّ أن يسفرن ، فتمنّع إبراهيم ، فجبذه صاحب المسلّحة ، فبدت لحيته ، فرفعه إلى صاحب الجسر فعرفه ؛ فذهب به إلى باب المأمون ، فأعلِم به ؛ فأمر بالاحتفاظ به فى الدار ؛ فلما كان غداة الأحد أقعد فى دار المأمون لينظر إليه بنو هاشم والقوّاد والجند ، وصيّروا المقنعة التى كان متنقبًا بها فى عُنقه ، والملحفة التى كان ملتحفًا بها فى صدره ، ليراه الناس ويعلموا كيف أخذ . فلما كان يوم الخميس حوّله المأمون إلى منزل أحمد بن أبى خالد فحبسه عنده ، ثم أخرجه المأمون معه حيث خرج إلى الحسن بن سهل بواسط ، فقال الناس : إن الحسن كلّمه فيه ، فرضىَ عنه وخلّى سبيله ، وصيره عند أحمد بن أبى خالد ، وصيّر معه أحمد بن[2] يحيى بن معاذ وخالد بن يزيد بن مزْيَد يحفظانه ؛ إلا أنه موسّع عليه ، عنده أمّه وعياله ، ويركب إلى دار المأمون ، وهؤلاء معه يحفظونه . ١٠٧٥/٣

* * *

[ذكر خبر قتل ابن عائشة]

وفى هذه السنة قتل المأمون إبراهيم بن عائشة وصلبه .

* ذكر الخبر عن سبب قتله إياه :

كان السبب فى ذلك أن المأمون حبس ابن عائشة ومحمد بن إبراهيم الأفريقىّ ورجلين من الشّطّار ، يقال لأحدهما أبو مسمار وللآخر عمّار ، وفرج البغوارىّ ومالك بن شاهى وجماعة معهم ممّن كان سعى فى البيعة لإبراهيم ؛ بعد أن

(١) ف : « ليخليه » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « ابن يحيى » .

ضُربوا بالسياط ما خلا عمّاراً ، فإنه أومن لما كان من إقراره على القوم فى المطبّق ، فرفع بعض أهل المطبّق أنهم يريدون أن يشغبوا وينقبُوا السجن — وكانوا قبل ذلك بيوم قد سدّوا باب السجن من داخل فلم يدَعُوا أحداً يدخل عليهم — فلما كان الليل وسمعوا شغْبهم ، بلغ المأمونَ خبرُهم ، فركب إليهم من ساعته بنفسه ، فدعا بهؤلاء الأربعة فضرب أعناقهم صبراً ، وأسمعه ابن عائشة شتماً قبيحًا ؛ فلما كانت الغداة صُلبوا على الجسر الأسفل ؛ فلما كان من الغداة يوم الأربعاء أنزل إبراهيم بن عائشة ، فكُفِّن وصلى عليه ، ودفن فى مقابر قريش ، وأنزل ابن الأفريقى فدفن فى مقابر الخيزران وتُرك الباقون . ١٠٧٦/٣

* * *

[العفو عن إبراهيم بن المهدىّ]

وذكر أن إبراهيم بن المهدىّ لما أخذ صير به إلى دار أبى إسحاق بن الرشيد — وأبو إسحق عند المأمون — فحُمل رديفاً لفرج التركىّ ؛ فلما أدخل على المأمون قال له : هيه يا إبراهيم ! فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ولىّ الثأر محكّم فى القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، ومن تناوله الاغترار بما مُدّ له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه ؛ وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب ؛ كما جعل كلّ ذى ذنب دونك ، فإن تعاقب فبحقّك ، وإن تعفُ فبفضلك ، قال : بل أعفو يا إبراهيم ، فكبّر ثمّ خرّ ساجداً .

وقيل إن إبراهيم كتب بهذا الكلام إلى المأمون وهو مختفٍ ، فوقّع المأمون فى حاشية رقعته : «القُدرة تذهب الحفيظة ، والندم توبة ، وبينهما عفو الله ، وهو أكبر ما نسأله » ، فقال إبراهيم يمدح المأمون[1] :

١٠٧٧/٣

يا خيرَ من ذَمَلَت يمانيةٌ به[2]	بعد الرسول لآيسٍ ولطامعٍ[3]
وأبرَّ من عَبَدَ الإله على التقى	عيناً وأقْوَله بحقٍّ صادعِ
عَسلُ الفوارعِ ما أطِعتَ فإن تُهَجْ	فالصَّابُ يُمزَجُ بالسِّمامِ الناقعِ

(١) الأغانى : ١٠ : ١١٧ (٢) ابن الأثير : « رقلت » .
(٣) الأغانى « أو طامع » ابن الأثير : « أو طائع » .

متيقظاً حَذِرًا وما يخشى العِدَى ... نَبْهانُ من وسَنَاتِ ليل الهاجعِ [1]

مُلئت قلوبُ الناس منك مخافةً ... وتَبيتُ تكلؤهم بقلبٍ خاشعِ

بأبى وأُمّى فديةٌ وبنيهمَا [2] ... من كُلِّ مُعضِلةٍ وريْبٍ واقعِ [3]

ما أليَنَ الكَنَفَ الذى بوَّأتَنِى ... وَطناً وأمرعَ رتعَهُ للراتعِ ١٠٧٨/٣

للصالحات أخاً جُعِلت وللتقى ... وأباً رءوفاً للفقيرِ القانعِ

نفسى فِداؤك إذ تضلُّ معاذرِى ... وألوذُ منك بفضلِ حلمٍ واسعِ [4]

أمَلاً لفضلك والفواضلُ شِيمةٌ ... رفَعَت بناءَك بالمحلِّ اليافعِ [5]

فَبَذَلتَ أفضلَ مايضيقُ ببذْلِه ... وُسعُ النفوسِ من الفَعَالِ البارع

وعفوتَ عمّن لم يكن عن مثلهِ ... عفوٌ، ولم يشفع إليك بشافع

إلاَّ العلوَّ عن العقوبة بعدما ... ظَفرَت يداك بمستكين خاضع

فرَحمتَ أطفالا كأفراخ القَطَا ... وعَويلَ عَانِسَةٍ كقَوْسِ النازع ١٠٧٩/٣

وَعَطَفت آصِرَةً علىَّ كما وَعَى ... بعد انهيَاضِ الوشْىِ عَظمُ الظالع [6]

الله يعلَم ما أقولُ فإنّها ... جَهدُ الأَلِيَّةِ من حَنيفٍ راكع

ما إن عصيتك والغُوَاة تقُودنى [7] ... أسبابها إلا بِنِيَّةِ طَائع

حتى إذا علِقَت حَبَائلُ شقوتى ... بِرَدًى إلى حُفَرِ المهالك هَائعِ [8]

لم أدرِ أنَّ لمثل جُرمِى غافرًا ... فوقفتُ أنظر أىّ حَتفٍ صارعى

ردَّ الحياةَ علىَّ بعد ذَهَابِها ... وَرَعُ الإمام القَادِرِ المتواضعِ ١٠٨٠/٣

أحياك مَنْ وَلاَّك أطولَ مُدَّةٍ ... ورمى عَدُوَّكَ فى الوَتِينِ بقَاطعِ

كَمْ من يَدٍ لك لم تُحَدِّثْنى بها ... نفسى إذَا آلَتْ إلىَّ مطامعِى

---

(١) ابن الأثير : « وسنان » .

(٢) ابن الأثير : « وأبيهما » .

(٣) ابن الأثير : « وذنب واقع » .

(٤) ف : « حكم » ، س : « خاشع » .

(٥) ابن الأثير : « للمحل » .

(٦) لم يرد فى رواية الأغانى .

(٧) الأغانى : « تمدنى » .

(٨) الأغانى : « على حفر » .

أسديتَها عفوًا إلىَّ هنيئةً فشكرتُ مُصطَنعاً لأكرم صانِعِ
إلاَّ يسيرًا عند ما أوليتَنى وهو الكثيرُ لدىَّ غيرُ الضائع
إن أنت جدتَ بها علىَّ تكن لها أهلاً ، وإن تمنع فأعدَلُ مانعِ
إنَّ الذى قَسَم الخلافةَ حَازَها فى صُلبِ آدَمَ للإمام السابعِ (١)
جَمَعَ القلوبَ عليك جَامعُ أمرِها وحَوَى رِدَاؤك كلَّ خيرٍ جامع

١٠٨١/٣ فذكر أن المأمون حين أنشده إبراهيم هذه القصيدة ، قال : أقول ما قال يوسف لإخوته : ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٢)

* * *

[ذكر الخبر عن بناء المأمون ببوران]

وفى هذه السنة بنى المأمون ببُوران بنت الحسن بن سهل فى رمضان منها .

* ذكر الخبر عن أمر المأمون فى ذلك وما كان فى أيام بنائه :

ذُكر أنّ المأمون لمّا مضى إلى فم الصِّلح إلى معسكر الحسن بن سهل ، حمل معه إبراهيمَ بن المهدىّ ، وشخص المأمون من بغداد حين شخص إلى ما هنالك للبناء ببوران ، راكبًا زورقًا ، حتى أرْسَى (٣) على باب الحسن ؛ وكان العباس بن المأمون قد تقدّم أباه على الظَّهْر ، فتلقّاه الحسن خارجًا عسكره فى موضع قد اتُّخذ له على شاطئ دجلة ، بُنِىَ له فيه جوسق ؛ فلما عاينه العبّاس ثنى رجله لينزل ، فحلّف عليه الحسن ألاّ يفعل ، فلمّا ساواه ثنى رجلَه الحسن لينزل ، فقال له العباس : بحقّ أميرِ المؤمنين لا تنزل ؛ فاعتنقه الحسن وهو راكب . ثم أمر أن يقدّم إليه دابّته ، ودخلا جميعًا منزل الحسن ، ووافى المأمون فى وقت العشاء ، وذلك فى شهر رمضان من سنة عشر ومائتين ، فأفطر هو

١٠٨٢/٣ والحسن والعباس — ودينار بن عبد الله قائم على رجله — حتى فرغوا من الإفطار ،

---

(١) الأغانى : « قسم الفضائل » .
(٢) سورة يوسف ٩٢ .
(٣) أرسى د : « أرفأ » .

وغسلوا أيديهُم ، فدعا المأمون بشراب ، فأتِىَ بجام ذهب فصُبَّ فيه وشرب ، ومدّ يده بجام فيه شراب إلى الحسن ؛ فتباطأ عنه الحسن ؛ لأنه لم يكن يشرب قبل ذلك ؛ فغمز دينار بن عبد الله الحسَن ، فقال له الحسن : يا أميرَ المؤمنين ، أشربه بإذنك وأمرك ؟ فقال له المأمون : لولا أمرى لم أمدد يدى إليك ، فأخذ الجام فشربه . فلما كان فى الليلة الثانية ، جمع بين محمد بن الحسن بن سهل والعباسة بنت الفضل ذى الرئاستين ، فلمّا كان فى الليلة الثالثة دخل على بوران ، وعندها حمدونة وأمّ جعفر وجدّتها ؛ فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدّتها ألف درّة كانت فى صينيّةِ ذهب ، فأمر المأمون أن تُجمع ، وسألها عن عدد ذلك الدرّ كم هو ؟ فقالت : ألف حبّة ، فأمر بعدّها فنقصَت عشرًا ، فقال : مَنْ أخذها منكم فليردّها ، فقالوا : حُسين زجلة ، فأمره بردّها ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنما نُثِر لنأخذه ، قال : ردّها فإنى أخلفها عليك ، فردّها . وجمع المأمون ذلك الدرّ فى الآنية كما كان ، فوُضع فى حجْرها ، وقال : هذه نحلتك[1] ، وسَلِى حوائجك ؛ فأمسكت . فقالت لها جدّتها : كلّمى سيدك ، وسليه حوائجك فقد أمرك ، فسألته[2] الرّضا عن إبراهيم بن المهدىّ ، فقال : قد فعلت ، وسألته الإذن لأمّ جعفر فى الحجّ ، فأذن لها . وألبستها أم جعفر البَدَنة الأمويّة ؛ وابتنى بها فى ليلته ، وأوقد فى تلك الليلة شمعة عنبر ؛ فيها أربعونَ منًّا فى تور[3] ذهب . فأنكر المأمون ذلك عليهم ، وقال : هذا سَرَف ؛ فلمّا كان من الغد دعا بإبراهيم بن المهدىّ فجاء يمشى من شاطئ دِجلة ، عليه مُبطّنةُ ملحَم ، وهو معتمّ بعمامة ، حتى دخل ؛ فلما رُفع الستر[4] عن المأمون رمى[5] بنفسه ، فصاح المأمون : يا عمّ ، لا بأس عليك ، فدخل فسلم عليه تسليمَ الخلافة ، وقبّل يده ، وأنشد شعره ، ودعا بالخلَع فخلع عليه خلعة ثانية ، ودعا له بمركَب وقلّده سيفًا ، وخرج فسلّم الناس ، ورُدّ إلى موضعه .

١٠٨٣/٣

---

(١) د ، ف : « الحليك » .

(٢) ف : « فقالت » .

(٣) التور فى الأصل : إناء يشرب فيه .

(٤) ف : « فلما دخل ورفع الستر » .

(٥) س : « أرمى بنفسه » .

وذُكر أنّ المأمون أقام عند الحسن بن سهل سبعة عشر يومًا يعدّ له فى كلّ يوم لجميع مَنْ معه جميع ما يُحتاج إليه ، وأنّ الحسن خلع على القوّاد على مراتبهم ، وحملهم ووصلهم ؛ وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم . قال : وأمر المأمون غسان بن عبّاد عند منصرَفه أن يدفع إلى الحسن عشرة آلاف ألف من مالِ فارس ، وأقطعه الصِّلح[1] فحمِلت إليه على المكان ؛ وكانت معدّة عند غسان بن عباد ، فجلس الحسن ففرّقها فى قُوّاده وأصحابه وحشمه وخدمه ؛ فلمّا انصرف المأمون شيّعه الحسن ، ثم رجع إلى فم الصِّلح .

فذُكر عن أحمد بن الحسن بن سهل ، قال : كان أهلنا يتحدّثون أنّ الحسن بن سهل كتب رقاعًا فيها أسماء ضياعه ، ونثرها على القوّاد وعلى بنى هاشم ؛ فمَنْ وقعت فى يده رقعة منها فيها اسم ضَيْعة بعث فتسلمها .

٣/١٠٨٤

وذكِر عن أبى الحسن علىّ بن الحسين بن عبد الأعلى الكاتب ، قال : حدّثنى الحسن بن سهل يومًا بأشياء كانت فى أم جعفر ، ووصف رجاحة عقلها وفهمها ، ثمّ قال : سألها يومًا المأمون بفم الصِّلح حيث خرج إلينا عن النفقة على بُوران ، وسأل حمدونة بنت غَضيض عن مقدار ما أنفقت فى ذلك الأمر . قال : فقالت حمدونة : أنفقتُ خمسة وعشرين ألف ألف ، قال : فقالت أم جعفر : ما صنعتِ شيئًا ، قد أنفقت ما بين خمسة وثلاثين ألف ألف إلى سبعة وثلاثين ألف ألف درهم . قال : وأعددنا له شمعتين من عَنبر ، قال : فدخل بها ليلاً ، فأوقدتا بين يديه ؛ فكثر دخانهما . فقال : ارفعوهما قد أذانا الدّخان ، وهاتوا الشمع . قال : ونحلتْها أمّ جعفر فى ذلك اليوم الصِّلح قال : فكان سبب عود الصِّلح إلى مُلكى ، وكانت قبل ذلك لى ، فدخل علىّ يوماً حُميد الطوسىّ فأقرأنى أربعة أبيات امتدح بها ذا الرياستين . فقلت له : ننفذها لك ذى الرّياستين ، وأقطعك الصِّلح فى العاجل إلى أن تأتىَ مكافأتك

---

(١) الصلح ، بالكسر والحاء المهملة : كورة فوق واسط ، لها نهر يستمد من دجلة على الجانب الشرقى يسمى فم الصلح . بها كانت منازل الحسن بن سهل ، وكانت للحسن هناك منازل وقصور أخنى عليها الزمان فلا يعرف لها مكان . ياقوت .

من قِبَله . فأقطعته إياها ، ثم ردّها المأمون على أمّ جعفر فنحلتْها بُوران .

٣/١٠٨٥ وروى عليّ بن الحسين أنّ الحسن بن سهل كان لا ترفع السُّتور عنه ، ولا يرفع الشَّمع من بين يديه حتى تطلع الشمس ويتبيّنها إذا نظر إليها . وكان متطيّرًا يحبّ أن يقال له إذا دخل عليه : انصرفنا من فرح وسرور ، ويكره أن يذكر له جنازة أو موت أحد . قال : ودخلتُ عليه يومًا فقال له قائل : إن عليّ بن الحسين أدخل ابنه الحسن اليوم الكتّاب ، قال : فدعا لى وانصرفت ، فوجدت فى منزلى عشرين ألف درهم هبةً للحسن وكتابًا بعشرين ألف درهم . قال : وكان قد وهب لى من أرضه بالبصرة ما قوّم بخمسين ألف دينار ، فقبضه عنّى بُغا الكبير ، وأضافه إلى أرضه .

وذكر عن أبى حسان الزيادىّ أنه قال : لما صار المأمون إلى الحسن بن سهل ، أقام عنده أيامًا بعد البناء ببُوران ، وكان مقامه فى مسيره وذهابه ورجوعه أربعين يومًا . ودخل إلى بغداد يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلتْ[1] من شوال .

وذكر عن محمد بن موسى الخُوارزمىّ أنه قال : خرج المأمون نحو الحسن ابن سهل إلى فم الصِّلح لثمانٍ خلوْن من شهر رمضان ، ورحل من فم الصِّلْح لتسع بقين من شوال سنة عشر ومائتين .

وهلك حُميد بن عبد الحميد يوم الفطر من هذه السنة ؛ وقالت جاريته عَذَل :

٣/١٠٨٦
مَنْ كَانَ أَصْبَحَ يومَ الفطرِ مُغْتَبِطاً ... فمَا غَبْطُنَـــا به والله محمودُ
أَو كان منتظرًا فى الفطر سَيِّدَهُ ... فإن سَيِّدَنا فى التربِ ملحودُ

* * *

وفى هذه السنة افتتح عبد الله بن طاهر مصر ؛ واستأمن إليه عبيدالله بن السرىّ بن الحكم .

---

(١) س : « مضت » .

ذكر الخبر عن سبب شخوص عبد الله بن طاهر من الرّقة إلى مصر وسبب خروج ابن السرىّ إليه فى الأمان

ذُكر أن عبد الله بن طاهر لمّا فرغ من نصر بن شبَث العُقَيلىّ ، ووجّهه إلى المأمون فوصل إليه ببغداد كتب المأمون يأمره بالمصير إلى مصر ؛ فحدّثنى أحمد بن محمد بن مَخْلَد ، أنه كان يومئذ بمصر ، وأن عبد الله بن طاهر لما قَرُب منها ، وصار منها على مرحلة ، قدّم قائداً من قوّاده إليها ليرتاد لمعسكره موضعًا يعسكر فيه ، وقد خندق ابن السرىّ عليها خندقًا ، فاتّصل الخبر بابن السرىّ عن مصير القائد إلى ما قرب منها ، فخرج بمن استجاب له من أصحابه إلى القائد الذى كان عبد الله بن طاهر وجّهه لطلب موضع معسكره ؛ فالتقى[1] جيش ابن السرىّ وقائد عبد الله وأصحابه وهم فى قلّة ، فجال القائد وأصحابه جولةً ، وأبرد القائد إلى عبدالله بريداً يخبره بخبره وخبر ابن السرىّ ، فحمل رجاله على البغال ؛ على كلّ بغل رجلين بآلتهما وأدواتهما ، وجَنَبُوا[2] الخيل ، وأسرعوا السير حتى لحقوا القائد وابن السرىّ ؛ فلم تكن من عبد الله وأصحابه إلاّ حمْلة واحدة حتى انهزم[3] ابن السرىّ وأصحابه ، وتساقطتْ عامّة أصحابه — يعنى ابن السرىّ — فى الخندق ، فمن هلك منهم بسقوط بعضهم على بعض فى الخندق كان أكثرَ ممّن قتله الجند بالسيف ، وانهزم ابن السرىّ ، فدخل الفسطاط ، وأغلق على نفسه وأصحابه ومَنْ فيها[4] الباب ، وحاصره عبدالله بن طاهر ؛ فلم يعاوده ابن السرىّ الحربَ بعد ذلك حتى خرج إليه فى الأمان .

١٠٨٧/٣

وذكر عن ابن ذى القلمين ، قال : بعث ابن السرىّ إلى عبدالله بن طاهر لمّا ورد مصْر ومانعه من دخولها بألف وَصيف ووصيفة ؛ مع كلّ وصيف ألف دينار فى كيس حرير ، وبعث بهم ليلا . قال : فردّ ذلك عليه عبد الله وكتب إليه : لو قبلت هديّتك نهاراً لقبلتُها ليلا ﴿بل أنتم بهديّتكُم تَفْرَحُون *

---

(١) س : « والتى » .
(٢) يقال : جنب الفرس ، أى قادها إلى جنبه .
(٣) س : « فانهزم » .
(٤) ف : « فيه » .

ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [1] قال : فحينئذ طلب الأمان منه ، وخرج إليه .

وذكَر أحمد بن حفص بن عمر ، عن أبي السمراء ، قال : خرجنا مع الأمير عبدالله بن طاهر متوجّهين إلى مصر ؛ حتى إذا كنّا بين الرَّمْلة ودمشق ؛ إذا نحن بأعرابيّ قد اعترض ؛ فإذا شيخ فيه بقيّة على بعير له أوْرَق ، فسلّم علينا فرددنا عليه السلام . قال أبو السمراء : وأنا وإسحاق بن إبراهيم الرافقيّ وإسحاق بن أبي ربعيّ ، ونحن نساير الأميرَ ، وكنّا يومئذ أفرَه من الأمير دوابّ ، وأجود منه كُسًا . قال : فجعل الأعرابيّ ينظر في وجوهنا ، قال : فقلتُ : يا شيخ ؛ قد ألححْتَ في النظر ، أعرفت شيئًا أم أنكرته ؟ قال : لا والله ما عرفتُكم قبل يومى هذا ، ولا أنكرتُكم لسوء أراه فيكم ؛ ولكني رجلٌ حسن الفراسة في الناس ، جيّد المعرفة بهم ، قال : فأشرت له إلى إسحاق بن أبي ربْعيّ ، فقلت : ما تقول في هذا ؟ فقال : ٣/١٠٨٨

أَرَى كاتِباً دَاهِي الكتابَةِ بيّنٌ ... عليه وتأْدِيبُ العرَاقِ مُنيرُ
له حرَكاتٌ قد يشاهِدْنَ أنّه ... عليمٌ بتقسِيطِ الخَراجِ بصِيرُ

ونظر إلى إسحاق بن إبراهيم الرافقيّ ، فقال :

ومُظهِر نُسْكٍ ما عليه ضميرُهُ ... يُحِبُّ الهدايا ، بالرِّجالِ مَكورُ
إخالُ بهِ جُبْناً وبُخْلاً وشيمَةً ... تُخبِّرُ عنهُ أنّه لَوزيرُ ٣/١٠٨٩

ثم نظر إليّ وأنشأ يقول :

وهذا نديمٌ للأَمير ومؤنِسٌ ... يكونُ لهُ بالقرْبِ منهُ سرورُ
إخالُه للأشعارِ والعِلمِ رَاوِياً [2] ... فبعْضُ نديمٍ مرّةً وسميرُ

---

(١) سورة النمل ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) ابن الأثير : « وأحسبه للشعر والعلم راوياً » .

ثم نظر إلى الأمير وأنشأ يقول :

وهذا الأَميرُ المُرتجَى سيبُ كَفِّهِ فمَا إن له فيمنْ رأَيْتُ نظيرُ[١]

عليه رِدَاءٌ من جمالٍ وهيْبَةٍ ووجهٌ بإدراكِ النجاحِ بشِيرُ

لقَد عُصِم الإسلامُ مِنه بذَابِدٍ[٢] به عاشَ معرُوفٌ وماتَ نكيرُ

ألا إنمــا عبدُ الإلهِ بنُ طاهِرٍ لنا وَالدٌ بَرٌّ بنــا ، وأَميرُ

١٠٩٠/٣ قال : فوقع ذلك من عبدالله أحسَن موقع ، وأعجبه ما قال الشيخ ، فأمر له بخمسمائة دينار ، وأمره أن يصحبه .

وذكر عن الحسن بن يحيى الفهرىّ ، قال: لقينا البُطيْن الشاعر الحمصىّ ، ونحن مع عبدالله بن طاهر فيما بين سَلَمْية وحِمْص ، فوقف على الطريق ، فقال لعبد الله بن طاهر :

مَرْحَباً مَرحَباً وأَهلاً وسَهْلاً بابنِ ذِى الجودِ طاهِرِ بن الحُسينِ

مَرْحباً مَرحباً وأهلاً وسَهْلاً بابن ذِى الغُرَّتينِ فى الدَّعوَتينِ

مَرْحباً مرحباً بمن كفُّهُ البَحْ رُ إذا فاضَ مُزبدَ الرَّجَوَين

ما يُبالِى المأْمونُ أَيَّدهُ اللـ ـه إذا كنْتُما له باقيَيْنِ

أنتَ غَرْبٌ وذَاكَ شرقٌ مقيمًا أَىُّ فَتقٍ أَتَى منَ الجانبَيْنِ

وحقيقٌ إذ كُنتُما فى قديمٍ لزُرِيْق ومُصعب وحُسين

أن تنالا ما نلتُماهُ مِن المجـ ـدِ وأَن تعْلُوَا على الثَّقَلَيْنِ

١٠٩١/٣ قال : من أنت ثكلتك أمك ! قال: أنا البُطَين الشاعر الحمصىّ ، قال : اركب يا غلام وانظر كم بيتاً ؟ قال : قال: سبعة ، فأمر له بسبعة آلاف درهم أو بسبعمائة دينار ، ثم لم يزل معه حتى دخلوا مصر والإسكندرية ، حتى انخسف به وبدابته مخرَجٌ ، فمات فيه بالإسكندرية .

* * *

(١) ابن الأثير : « فى العالمين نظير » . (٢) ابن الأثير : « بذى يد » .

[ذكر الخبر عن فتح عبد الله بن طاهر الإسكندرية]

وفى هذه السنة فتح عبدالله بن طاهر الإسكندرية — وقيل كان فتحه إياها فى سنة إحدى عشرة ومائتين— وأجلَى مَنْ كان تغلّب عليها من أهل الأندلس عنها .

* ذكر الخبر عن أمره وأمرهم :

حدّثنى غير واحد من أهل مصر ، أنّ مراكبَ أقبلت من بحر الروم من قِبَل الأندلس ، فيها جماعة كبيرة أيام شغل الناس قِبَلهم بفتنة الجَرَوىّ وابن السرىّ ، حتى أرسوا مراكبَهم بالإسكندرية ، ورئيسهم يومئذ رجل يدعَى أبا حفص ؛ فلم يزالوا بها مقيمين حتّى قدم عبدالله بن طاهر مصر . قال لى يونس بن عبد الأعلى : قدم علينا مِنْ قِبَل المشرق[1] فتًى حدَث — يعنى عبد الله بن طاهر — والدُّنيا عندنا مفتونة ، قد غلب على كلّ ناحية من بلادنا غالب ، والناس منهم فى بلاء ؛ فأصلح الدنيا ، وأمَّن البرىء ، وأخاف السقيم ؛ واستوسقتْ له الرعيّة بالطاعة . ثم قال : أخبرنا عبدالله بن وهب ، قال : أخبرنى عبد الله بن لهيعة ، قال : لا أدرى رَفعَه إلىّ قَبِيلُ أم لا! فلم نجد فيما قرأنا من الكتب أن لله بالمشرق جندًا لم يَطغَ عليه أحدٌ من خلقه إلاّ بعثهم عليه ، وانتقم بهم[2] منه — أو كلامًا هذا معناه — فلما دخل عبدالله بن طاهر بن الحسين مصر ، أرسل إلى مَنْ كان بها من الأندلسيّين ، وإلى من كان انضوى إليهم ، يؤذنهم بالحرب إن[3] هم لم يدخلوا فى الطاعة ، فأخبرونى أنهم أجابوه إلى الطاعة ، وسألوه الأمان ، على أن يرتحلوا من الإسكندرية إلى بعض أطراف الرّوم التى ليست من بلاد الإسلام ، فأعطاهم الأمان على ذلك ، وأنهم رحلوا عنها ، فنزلوا جزيرة من جزائر البحر ؛ يقال لها إقْريطش ، فاستوطنوها وأقاموا بها ، وفيها بقايا أولادهم إلى اليوم . ٣/١٠٩٢

* * *

(١) ف : « الشرق » .

(٢) ف : « فانتقم » .

(٣) ف : « إذهم » .

[ذكر الخبر عن خروج أهل قمّ على السلطان]

وفى هذه السنة خلع أهل قمّ السلطان ومنعوا الخراج .

* ذكر الخبر عن سبب خلعهم السلطان ومآل أمرهم فى ذلك :

ذكر أن سبب خلعهم إياه كان أنهم كانوا استكثروا ما عليهم من الخراج ، وكان خراجهم ألفىْ ألف درهم ، وكان المأمون قد حطّ عن أهل الرّىّ حين دخلها منصرفًا من خراسان[1] إلى العراق ، ما قد ذكرت قبلُ ، فطمع أهل قُمّ من المأمون فى الفعل بهم فى الحطّ عنهم والتخفيف مثل الذى فعل من ذلك بأهل الرّىّ ، فرفعوا إليه يسألونه الحطّ ، ويشكون إليه ثقله عليهم ؛ فلم يجبْهم المأمون إلى ما سألوه ، فامتنعوا[2] من أدائه ، فوجّه المأمون إليهم علىّ بن هشام ، ثم أمده بعُجَيف بن عَنْبسة ، وقدم قائد لحمَيد يقال له محمد بن يوسف الكج بعرض[3] من خُراسان ، فكتب إليه بالمصير إلى قمّ لحرب أهلها مع علىّ بن هشام ، فحاربهم علىّ فظفر بهم ، وقتل يحيى بن عمران وهدم سور قمّ ، وجباها سبعة آلاف ألف درهم بعد ما كانوا يتظلّمون من ألفى ألف درهم . ٣/١٠٩٣

* * *

ومات فى هذه السنة شهريار ، وهو ابن شروين ، وصار فى موضعه ابنه سابور ، فنازعه مازيار بن قارن فأسره وقتله ، وصارت الجبال فى يدى مازيار ابن قارن .

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن العباس بن محمد وهو يومئذ والى مكة .

---

(١) س : « عن خراسان » .
(٢) س : « وامتنعوا » .
(٣) كذا فى ا : وفى ط : « بقوص » .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[أمر عبيد الله بن السرىّ]

فمن ذلك خروج عبيد الله بن السرىّ إلى عبدالله بن طاهر بالأمان ، ودخول عبد الله بن طاهر مصر – وقيل إن ذلك فى سنة عشر ومائتين – وذكر بعضهم أن ابن السرىّ خرج إلى عبد الله بن طاهر يوم السبت لخمس بقين من صفر سنة إحدى عشرة ومائتين ، وأدخل بغداد لسبع بقين من رجب سنة إحدى عشرة ومائتين ، وأنزل مدينة أبى جعفر ، وأقام عبدالله بن طاهر بمصر واليًا عليها وعلى سائر الشأم والجزيرة ؛ فذُكر عن طاهر بن خالد ابن نزار الغسانى ، قال : كتب المأمون إلى عبد الله بن طاهر وهو بمصر حين فتحها فى أسفل كتاب له : ٣/١٠٩٤

أخى أنت ومولاىَ ومَنْ أشكُرُ نُعمَاهُ
فما أحبَبْتَ من أمرٍ فإنِّى الدَّهْرَ أهْوَاهُ
وما تكرَهُ مِنْ شَىْءٍ فإنّى لسْتُ أرْضَاهُ
لك اللهُ على ذاكَ لَكَ اللهُ لَكَ اللهُ

وذُكر عن عطاء صاحب مظالم عبدالله بن طاهر ، قال : قال رجل من إخوة المأمون للمأمون : يا أميرَ المؤمنين ، إن عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد أبى طالب ، وكذا كان أبوه قبله . قال : فدفع المأمون ذلك وأنكره ، ثم عاد بمثل هذا القول ، فدسّ إليه رجلا ثم قال له : امض فى هيئة القرّاء والنسّاك إلى مصر ، فادع جماعةً من كبرائها إلى القاسم بن إبراهيم بن طباطبا ، واذكر مناقبه وعلمه وفضائله ، ثم صِرْ بعد ذلك إلى بعض بطانة عبدالله بن طاهر ، ثم ائته فادْعُه ورغّبه فى استجابته له ، وابحث عن دفين نيّته بحثًا شافيًا ، وائتنى بما تسمع[1] منه . قال : ففعل الرجل ما قال[2] له ، وأمره به ؛ حتى إذا

(١) ف : « تسمعه » .
(٢) ف : « قاله » .

دعا جماعة من الرؤساء والأعلام ، قعد يوماً بباب عبد الله بن طاهر ، وقد ركب إلى عبيدالله بن السرىّ بعد صلحه وأمانه ، فلما انصرف قام إليه الرجل ، فأخرج من كمّه رقعةً فدفعها إليه[١] ، فأخذها بيده ؛ فما هو إلا أن دخل فخرج الحاجب إليه ، فأدخله عليه وهو قاعد على بساطه ؛ ما بينه وبين الأرض غيره ، وقد مدّ رجليه ، وخُفّاه فيهما ، فقال له : قد فهمت ما فى رقعتك من جملة كلامك ، فهاتِ ماعندك ، قال : ولى أمانُك وذمّة الله معك[٢] ؟ قال : لك ذلك ، قال : فأظهر له ما أراد ، ودعاه إلى القاسم ، وأخبره بفضائله وعلمه وزهده ، فقال له عبدالله : أتُنصِفنى ؟ قال : نعم ، قال : هل يجب شكر الله على العباد ؟ قال : نعم ، قال : فهل يجب شكر بعضهم لبعض عند الإحسان والمنّة والتفضّل ؟ قال : نعم ، قال : فتجىء إلىّ وأنا فى هذه الحالة التى ترى ، لى خاتمٌ فى المشرق جائز وفى المغرب كذلك ؛ وفيما بينهما أمرى مطاع ، وقولى مقبول ، ثم ما التفتّ يمينى ولا شمالى وورائى وقدّامى إلاّ رأيت نعمة لرجل أنعمها علىّ ، ومنّة ختم بها رقبتى ، ويداً لائحة بيضاء ابتدأنى بها تفضّلا وكرماً ، فتدعونى إلى الكفر بهذه النعمة وهذا الإحسان ، وتقول : اغدر بمن كان أولا لهذا وآخراً ، واسْعَ فى إزالة خيْط عنقه وسفك دمه ! تراكَ لو دعوتَنى إلى الجنة عياناً من حيث أعلم ؛ أكان الله يحبّ أن أغدر به ، وأكفر إحسانه ومنّته ، وأنكث بيعتَه ! فسكت الرجل ، فقال له عبدالله : أما إنه قد بلغنى أمرُك ، وتالله ما أخاف عليك إلاّ نفْسَك ؛ فارحل عن هذا البلد ؛ فإنّ السلطان الأعظم إن بلغه أمرُك — وما آمنُ ذلك عليك — كنت الجانى على نفسك ونفس غيرك. فلمّا أيسَ الرجل مما عنده جاء إلى المأمون ، فأخبره الخبر ، فاستبشر وقال : ذلك غرس يدى ، وإلْف أدبى ، وتِرْب تلقيحى ، ولم يُظهر من ذلك لأحدٍ شيئاً ، ولا علم به عبد الله إلا بعد موت المأمون .

وذُكر عن عبد الله بن طاهر أنه قال وهو محاصِر بمصر عبيد الله بن السرىّ :

---

(١) ف : « عبد الله بن طاهر » .

(٢) س : « لك » .

بكَرَتْ تُسْبِلُ دَمْعاً أَنْ رأت وشْكَ بَراحِى
وتَبَدَّلتُ صـقِيلاً عنيًّـا بِوِشَاحِى
وتمـادَيْتُ بسَيْرٍ لِغُـدُوٍّ ورَواحِ
زعمَتْ جَهـلا بأنِّى تَعِبٌ غيْرُ مُراحِ
أَقصِرِى عنِّى فإِنِّى سالكٌ قَصْدَ فلاحِى
أنا للمأْمونِ عبدٌ مِنْهُ فى ظلِّ جَنَاحِ
إن يُعافِ اللهُ يوماً فَقَـريب مُسْتَرَاحى
أَوْ يكنْ هُلكٌ فقُولِى بِعَـويلٍ وصِياحِ :
حلَّ فى مصرَ قَتيلٌ وَدعِى عنكِ التَّلاحِى

وذُكر عن عبد الله بن أحمد بن يوسف أنّ أباه كتب إلى عبد الله بن طاهر عند خروج عبيد الله بن السرىّ إليه يهنئه بذلك الفتح :

بلغنى أعزّ الله الأمير ما فتح الله عليك ، وخروجُ ابن السرىّ إليك ؛ فالحمد لله الناصر لدينه ، المعزّ لدولة خليفته على عباده ، المذلّ لمن عَنَد عنه وعن حقه ، ورغب عن طاعته . ونسأل الله أن يظاهرَ له النِّعم ، ويفتح له بلدان الشِّرْك ، والحمد لله على ما وليك به مذ ظعنتَ لوجهك ؛ فإنّا ومَنْ قبلنا نتذاكر سيرتَك فى حرْبك وسلمك ، ونكثر التعجّب لما وُفِّقت له من الشدّة واللِّيان فى مواضعهما ، ولا نعلم سائس جند ورعيّة عدل بينهم عدلَك ، ولا عفا بعد القدرة عمن آسفه وأضغنه عفوك ؛ ولَقَلّ ما رأينا ابن شَرف لم يُلْقِ بيده متّكلا على ما قدّمتْ له أبوّته ، ومَنْ أوتىَ حظًّا وكفاية وسلطانًا وولاية لم يخلد إلى ما عفا حتى يخلّ بمساماة ما أمامه . ثم لا نَعلم سائسًا استحقّ النُّجح لحسن السيرة وكفّ معرّة الأتباع استحقاقَك . وما يستجيز أحد ممن قبلنا أن يقدّم عليك أحداً يهوى عند الحاقة[1] والنازلة المعضلة[2] ٣/١٠٩٧

(١) س : « المحافة » ، ف : « الحاجة » .
(٢) ف : « والمعضلة » .

فليهنك منّة الله ومزيده، ويسوّغك(١) الله هذه النعمة التى حواها لك بالمحافظة على ما به تمّت لك؛ من التّمسك بحبل إمامك ومولاك ومولى جميع المسلمين، وملاّك وإيانا العيش ببقائه.

وأنت(٢) تعلم أنك لم تزل عندنا وعند من قبلنا مكرّمًا مقدّمًا معظماً؛ وقد زادك الله فى أعين الخاصّة والعامة جلالة وّجلالة؛ فأصبحوا يرجونك لأنفسهم، ويعدّونك لأحداثهم ونوائبهم؛ وأرجو أن يوفّقك الله لمحابّه كما وفق لك صنعه وتوفيقه؛ فقد أحسنت جوار النعمة فلم تطغك، ولم تزدد إلا تذلّلاً وتواضعاً؛ فالحمد لله على ما أنالك وأبلاك، وأودع فيك. والسلام. ١٠٩٨/٣

* * *

وفى هذه السّنة قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين مدينة السلام من المغرب، فتلقّاه العباس بن المأمون وأبو إسحاق المعتصم وسائر الناس، وقدم معه بالمتغلّبين على الشأم كابن السرّج وابن أبى الجمل وابن أبى الصقر.

ومات موسى بن حفص، فولى محمد بن موسى طبرستان مكان أبيه.

وولى حاجب بن صالح الهند فهزمه بشر بن داود، فانحاز إلى كرمان.

وفيها أمر المأمون مناديًا فنادى(٣): برئت الذمّة ممّن ذكر معاوية بخير، أو فضّله على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن العباس وهو والى مكة.

وفيها مات أبو العتاهية الشاعر.

---

(١) س: «وسوغك».

(٢) س: «وإنك».

(٣) ف: «ينادى».

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من توجيه المأمون محمد بن حميد الطوسىّ إلى بابك لمحاربته[١] على طريق الموصل وتقويته إياه ، فأخذ محمد بن حُميد يعلَى بنَ مرّة ونظراءه من المتغلبة بأذْرَبيجان ، فبعث بهم إلى المأمون .

وفيها خلع أحمد بن محمد العمرىّ المعروف بالأحمر العين باليمن .

وفيها ولّى المأمون محمد بن عبد الحميد المعروف بأبى الرازى اليمن .

وفيها أظهر المأمون القولَ بخلق القرآن وتفضيل علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وقال : هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك فى شهر ربيع الأول منها .

* * *

وحج بالنّاس فى هذه السنة عبدالله بن عبيد الله بن العباس بن محمد .

---

(١) س : « ومحاربته » .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خلْع عبد السلام وابن جَليس بمصر فى القيسية واليمانيّة ووثوبهما بها .

وفيها مات طلحة بن طاهر بخُراسان .

٣/١١٠٠ وفيها ولّى المأمون أخاه أبا إسحاق الشأم ومصر ، وولّى ابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم ، وأمر لكل واحد منهما ومن عبدالله[1] بن طاهر بخمسمائة ألف دينار .

وقيل : إنه لم يفرّق فى يوم من المال مثل ذلك .

* * *

[ذكر الخبر عن ولاية غسان بن عباد السند]

وفيها ولّى غسان بن عباد السند .

* ذكر الخبر عن سبب توليته إيّاه السند :

وكان السبب فى ذلك — فيما بلغنى — أن بشر بن داود بن يزيد خالف المأمون ، وجَبَى الخراج فلم يحمل إلى المأمون شيئًا منه ؛ فذُكر أن المأمون قال يومًا لأصحابه : أخبرونى[2] عن غسّان بن عباد ؛ فإنى أريده لأمر جسيم — وكان قد عزم على أن يولّيَه السند لما كان من أمر بشر بن داود — فتكلم مَنْ حضر ، وأطنبوا[3] فى مدحه ، فنظر المأمون إلى أحمد بن يوسف وهو ساكت ، فقال له : ما تقول يا أحمد ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ذاك[4] رجل محاسنه أكثر من مساويه ؛ لا تصرف به إلى طَبَقة إلا انتصف منهم ؛ فمهما تخوّفت

---

(١) س وابن الأثير : « ولعبد الله » .
(٢) ف : « خبرونى » .
(٣) ف : « فأطنبوا » .
(٤) س وابن الأثير : « ذلك » .

عليه ؛ فإنه لن يأتى أمراً يُعتذر منه ؛ لأنه قسّم أيامَه بين أيام الفضل ، فجعل لكل خلُق نوْبة ، إذا نظرت فى أمره لم تدر أىّ حالاته أعجب! إما هداه إليه عقله ؛ أم إما اكتسبه بالأدب ، قال : لقد مدحتَه على سوء رأيك فيه ! قال : لأنّه فيما قلت[1] كما قال الشاعر : ١١٠١/٣

كفى شكرًا بما أسْدَيتَ أنّى مدَحتُك فى الصَّديق وفى عِداتِى[2]

قال : فأعجب المأمونَ كلامُه ، واسترجح أدبه .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد .

(١) بعدها فى ابن الأثير : « فيه » . (٢) ابن الأثير : « صدقتك » .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مقتل محمد بن حُميد الطوسيّ ، قتله بابك بهَشْتَادَسَر ، (١)يوم السبت لخمس ليال(١) بقين من شهر ربيع الأول ، ورفض عسكره ، وقتل جمعاً كثيراً ممن كان معه .

وفيها قُتل أبو الرازيّ باليمن .

وفيها قُتل عُمَير بن الوليد الباذَغيسيّ عامل أبي إسحاق بن الرشيد بمصر بالحوْف في شهر ربيع الأول ، فخرج أبو إسحاق إليها فافتتحها ، وظفر بعبد السلام وابن جَليس ، فقتلهما فضرب المأمونُ بن الحَروريّ وردّه إلى مصر .

وفيها خرج بلال الضِّبابيّ الشارى ، فشخص المأمون إلى العَلْث ، ثم رجع إلى بغداد ، فوجّه عباساً ابنه في جماعة من القوّاد ، فيهم عليّ بن هشام وعُجيف وهارون بن محمد بن أبي خالد ، فقتلَ هارون بلالا .　　٣/١١٠٢

وفيها خرج عبد الله بن طاهر إلى الدِّينَوَر ، فبعث المأمون إليه إسحاق ابن إبراهيم ويحيى بن أكثم يخيّرانه بين خُراسان والجبال وأرمينيَة وأذْرَبيجان ، ومحاربة بابك ، فاختار خُراسان ، وشخص إليها .

وفيها تحرّك جعفر بن داود القُمّيّ ، فظفر به عزيز مولى عبد الله بن طاهر ، وكان هرب من مصر فرُدّ إليها .

وفيها ولّى عليّ بن هشام الجبل وقُمّ وإصبهان وأذرَبيجان .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة إسحاق بن العباس بن محمد .

(١ - ١) « يوم الخميس لليال » .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر شخوص المأمون لحرب الروم]

وفى هذه السنة شخص المأمون من مدينة السّلام لغزو الروم ؛ وذلك يوم السبت — فيما قيل — لثلاث بقينْ من المحرّم — وقيل كان ارتحاله من الشماسيّة إلى البَرَدان يوم الخميس بعد صلاة الظهر، لستّ بقين من المحرّم سنة خمس عشرة ومائتين — واستخلف حين رحل عن مدينة السلام عليها إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب، ووَلّى مع ذلك السواد وحُلْوان وكُور دِجْلة. فلما صار المأمون بتَكْريت قدم عليه محمد بن علىّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب رحمه الله: من المدينة فى صفر ليلة الجمعة من هذه السنة، ولقيَه بها فأجازه، وأمره أن يدخل بابنته أم الفضل ١١٠٣/٣ وكان زوّجها منه ؛ فأدخلت عليه فى دار أحمد بن يوسف التى على شاطئ دِجْلة، فأقام بها ؛ فلما كان أيام الحجّ خرج بأهله وعياله حتى أتى مكة، ثم أتى منزله بالمدينة؛ فأقام بها، ثم سلك المأمون طريق الموصل؛ حتى صار إلى منْبِج، ثم إلى دابق، ثم إلى أنطاكية، ثم إلى المَصّيصة، ثم خرج منها إلى طَرَسُوس، ثمّ دخل من طَرَسوس إلى بلاد الرّوم للنصف من جمادى الأولى. ورحل العباس بن المأمون من ملَطْيَة ؛ فأقام المأمون على حصن يقال له قُرّة؛ حتى فتحه عَنْوة ؛ وأمر بهدمه؛ وذلك يوم الأحد لأربع بقينْ من جُمادى الأولى ؛ وكان قد افتتح قبل ذلك حصنًا يقال له ماجدة؛ فمنّ على أهلها.

وقيل إن المأمون لما أناخ على قُرّة، فحارب أهلها طلبوا الأمان، فآمنهم المأمون، فوجه أشناس إلى حصن سندس، فأتاه برئيسه، ووجّه عُجيفًا وجعفرًا

الخياط إلى صاحب حصن سنان ، فسمع وأطاع .

* * *

وفى هذه السنة انصرف أبو إسحاق بن الرشيد من مصر ، فلقى المأمون قبل دخوله الموصل ، ولقيه مَنْوِيل وعباس ابنه برأس العين .

وفيها شخص المأمون بعد خروجه من أرض الروم إلى دمشق .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد .

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين

١١٠٤/٣

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[عود إلى ذكر غزو المأمون أرض الروم]

فمن ذلك كرّ المأمون إلى أرض الروم .

* ذكر السبب فى كرّه إليها :

اختُلف فى ذلك ، فقيل : كان السبب فيه ورودُ الخبر على المأمون بقتل ملك الرّوم قومًا من أهل طَرَسوس والمَصِّيصَة ؛ وذلك — فيما ذُكر — ألف وستمائة . فلما بلغه ذلك شخص حتى دخل أرض الرّوم يوم الاثنين لإحدى عشرة بقيتْ من جُمادى الأولى من هذه السنة ، فلم يزل مقيمًا فيها إلى النّصف من شعبان .

وقيل : إن سبب ذلك أن تَوْفيل بن ميخائيل كتب إليه ، فبدأ بنفسه ، فلمّا ورد الكتاب عليه لم يقرأه ، وخرج إلى أرض الرُّوم ، فوافاه رسل تَوْفيل بن ميخائيل بأذَنَة ، ووجّه بخمسمائة رجل من أسارى المسلمين إليه ؛ فلما دخل المأمون أرضَ الروم ، ونزل على أنطيغوا ، فخرج أهلها على صلح وصار إلى هِرَقْلَةَ : فخرج أهلها إليه على صلح ، ووجّه أخاه أبا إسحاق ، فافتتح ثلاثين حصنًا ومطمورة . ووجّه يحيى بن أكثم من طُوانة ، فأغار وقتل وحرّق ، وأصاب سبْيًا ورجع إلى العسكر . ثم خرج المأمون إلى كيسوم ، فأقام بها يومين أو ثلاثة ، ثم ارتحل إلى دمشق .

* * *

١١٠٥/٣

وفى هذه السنة ظهر عَبْدوُس الفِهْرىّ ، فوثب بمن معه على عمّال أبى إسحاق ، فقتل بعضهم ؛ وذلك فى شعبان ، فشخص المأمون من دِمشق يوم الأربعاء لأربعَ عشرة بقيتْ من ذى الحجّة إلى مصر .

وفيها قدم الأفشين من بَرْقة منصرفًا عنها ، فأقام بمصر .

وفيها كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم يأمره بأخذ الجند بالتكبير إذا صلّوا ، فبدءوا بذلك فى مسجد المدينة والرّصافة يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيتْ من شهر رمضان من هذه السنة ، حين قضوا الصلاة ، فقاموا قياماً ، فكبّروا ثلاث تكبيرات ، ثم فعلوا ذلك فى كلّ صلاة مكتوبة .

وفيها غضب المأمون على علىّ بن هشام ، فوجّه إليه عُجيف بن عنبسة وأحمد بن هشام ، وأمر بقبض أمواله وسلاحه .

وفيها ماتت أمّ جعفر ببغداد فى جمادى الأولى .

وفيها قدم غسان بن عباد من السِّنْد ، وقد استأمن إليه بشر بن داود المهلبىّ ، وأصلح السند ، واستعمل عليها عمران بن موسى البرمكىّ[1] ، فقال الشاعر :

سيفُ غسانَ رَونَقُ الحربِ فيه ... وسِهامُ الحُتوفِ فى ظُبَتَيْهِ

فإذا جرّه إلى بلدِ السند ... دِ فألْقَى المَقادَ بِشرٌ إليهِ

مُقسِماً لا يعودُ ما حجَّ للـ ... ـه مُصَلٍّ وما رمى جَمرَتَيْهِ

غادِراً يَخلَعُ الملوكَ ويغتا ... لُ جُنودًا تأْوى إلى ذِروَتَيْهِ

١١٠٦/١

فرجع غسان إلى المأمون ، وهرب جعفر بن داود القمىّ إلى قمّ ، وخلع بها .

وفى هذه السنة كان البَرْد الشديد .

* * *

وحجّ بالناس — فى قول بعضهم — فى هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علىّ بن عبد الله بن عباس . وفى قول بعضهم : حجّ بهم فى هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علىّ بن عبدالله بن العباس ؛ وكان المأمون ولاّه اليمن ، وجعل إليه ولاية كلّ بلدة يدخلها حتى يدخل إلى اليمَن ، فخرج من دمشق حتى قدم بغداد ، فصلّى بالناس بها يوم الفِطْر ، فشخص من بغداد يوم الاثنين لليلةٍ خلَتْ من ذى القَعْدة ، وأقام الحجّ للناس .

---

(١) ابن الأثير : « العتكى »

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ظَفَرُ الأفشيْن فيها بالبِيَما [1] ؛ وهى من أرض مصر ، ونزَل أهلها بأمان على حُكْم المأمون ، قُرِئ كتاب فتحها لليلة بقيت من شهر ربيع الآخر. ٣ ١١٠٠

وورد المأمون فيها مصرفى المحرّم ، فأُتِىَ بعبدوس الفهرىّ فضرب عنقه ، وانصرف إلى الشأم .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل علىّ وحسين ابنى هشام]

وفيها قتل المأمون ابنى هشام عليًّا وحُسينًا بأذَنَة فى جمادى الأولى .

* ذكر الخبر عن سبب قتله عليًّا :

وكان سبب ذلك ، أنّ المأمون للّذى بلغه من سوء سيرته فى أهل عمله الذى كان المأمون ولاّه — وكان ولاّه كُور الجبال — وقتله الرجال ، وأخذه الأموال ؛ فوُجّه إليه عُجيف ، فأراد أن يفتك به ويلحق ببابك ، فظفر به عُجيف ، فقدم به على المأمون ، فأمر بضرب عنقه ، فتولى قتله ابن الجليل . وتولّى ضربَ عُنُق الحسين محمد بن يوسف ابن أخيه بأذَنَة ، يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيتْ من جمادى الأولى ، ثم بعث رأس علىّ بن هشام إلى بغداد وخُراسان ، فطيف به ، ثم رُدّ إلى الشأم والجزيرة فطيف به كورةً كورةً ، فقدم به دمشق فى ذى الحجة ، ثم ذهب به إلى مصر ، ثم أُلقِىَ بعدذلك فى البحر.

وذُكر أن المأمون لما قتل علىّ بن هشام ، أمر أن يكتب رقعة وتُعلّق على رأسه ليقرأها الناس ؛ فكتب :

---

(١) ابن الأثير : « بالفرما » .

٣/١١٠٨ أما بعد ، فإن أمير المؤمنين كان دعا علىّ بن هشام فيمن دعا من أهل خُراسان أيام المخلوع ، إلى معاونته والقيام بحقه ، وكان فيمن أجاب وأسرع الإجابة ، وعاون فأحسن المعاونة . فرعى أمير المؤمنين ذلك له واصطنعه[1] ، وهو يظنّ به تقوى الله وطاعتَه والانتهاء إلى أمر أمير المؤمنين فى عمل إن أسند إليه فى حسن السيرة وعفاف الطُّعْمة[2] ، وبدأه أمير المؤمنين بالإفضال عليه ، فولاّه الأعمال السنيّة ، ووصله بالصلات الجزيلة التى أمر أمير المؤمنين بالنظر فى قدرها ، فوجدها أكثر من خمسين ألف ألف درهم ، فمدّ يده إلى الخيانة والتضييع لما استرعاه من الأمانة ، فباعده عنه وأقصاه ، ثم استقال أميرَ المؤمنين عثرَته فأقاله إيّاها ، وولاّه الجبل وأذرَبيجان وكُور أرمينيَة ، ومحاربة أعداء الله الخرّميّة ، على ألا يعود لما كان منه ؛ فعاود أكثر ما كان بتقديمه الدينار والدّرهم على العمل لله ودينه ، وأساء السيرة وعسَف الرعيّة وسفك الدماء المحرّمة ، فوجّه أمير المؤمنين عُجيف بن عَنْبسة مباشراً لأمره ، وداعياً إلى تلافى ما كان منه ؛ فوثب بعُجَيف يريد قتله ، فقوّى الله عُجيفاً بنيّته الصادقة فى طاعة أمير المؤمنين ؛ حتى دفعه عن نفسه ، ولو تمّ ما أراد بعُجَيف لكان فى ذلك ما لا يستدرك ولا يستقال ؛ ولكنّ الله إذا أراد أمراً كان مفعولا . فلما أمضى

٣/١١٠٩ أميرُ المؤمنين حكم الله فى علىّ بن هشام ، رأى ألا يؤاخذ مَنْ خلفه بذنبه ، فأمر أن يجرى لولده ولعياله ولمن اتصل بهم ومَنْ كان يجرى عليهم مثل الذى كان جارياً لهم فى حياته ؛ ولولا أن علىّ بن هشام أراد العُظمى بعُجيف ، لكان فى عداد مَنْ كان فى عسكره ممن خالف وخان ، كعيسى بن منصور ونظرائه . والسلام :

وفى هذه السنة دخل المأمونُ أرضَ الرّوم ، فأناخ على لؤلؤة مائة يوم ، ثم رحل عنها وخلّف عليها عُجَيفاً ، فاختدعه أهلُها وأسروه ؛ فمكث أسيراً فى أيديهم ثمانية أيام ، ثم أخرجوه ، وصار تَوْفيل إلى لؤلؤة ، فأحاط بعُجَيف ، فصرف المأمون الجنود إليه ، فارتحل تَوْفيل قبل موافاتهم ، وخرج أهل لؤلؤة إلى عُجيَف بأمان .

---

(١) اصطنعه : اختاره لخاصة أمره . (٢) الطعمة : المأكلة ووجه الكسب .

[كتاب توفيل إلى المأمون وردّ المأمون عليه]

وفيها كتب تَوْفيل صاحب الرُّوم إلى المأمون يسأله الصلح، وبدأ بنفسه فى كتابه ، وقدم بالكتاب الفضل وزير توْفيل يطلب الصلح، وعرض الفدية .
وكانت نسخة كتاب توفيل إلى المأمون :

أما بعد، فإن اجتماع المختلفين على حظّهما أوْلى بهما فى الرأى مما عاد بالضّرر عليهما ؛ ولستَ حريًّا أن تَدَع لحظٍّ يصل إلى غيرك حظًّا تحوُزه إلى نفسك، وفى علمك كافٍ عن إخبارك؛ وقد كنت كتبت إليك داعيًا إلى المسالمة ، راغبًا فى فضيلة المهادنة ، لتضع أوزار الحرب عنا ، ونكون كلّ واحد لكل واحد وليًّا وحزبًا ؛ مع اتصال المرافق والفُسَح[1] فى المتاجر، وفكّ المستأسر ، وأمن الطرق والبَيْضة ؛ فإن أبيتَ فلا أدبّ لك فى الخمَر[2] ، ولا أزخرف لك فى القول ؛ فإنى لخائض إليك غمارها ، آخذ عليك أسدادها[3] ؛ شانٌّ خيلَها ورجالها، وإن أفعل فبعد أن قدّمت المعذرة، وأقمت بينى وبينك علَم الحجّة. والسلام . ٣/١١١٠

فكتب إليه المأمون :

أما بعد ؛ فقد بلغنى كتابُك فيما سألتَ من الهدنة ، ودعوتَ إليه من الموادَعة ، وخلطت فيه من اللّين والشدّة؛ مما استعطفتَ به؛ من شرح المتاجر واتصال المرافق، وفكّ الأسارى، ورفع القَتْل والقتال، فلولا ما رجعت إليه من أعمال التؤَدة والأخذ بالحظّ فى تقليب الفكرة ، وألاّ أعتقد الرأى فى مستقبله إلا فى استصلاح ما أوثره فى معتقبه، لجعلت جوابَ كتابك خيلاً تحمل رجالا

(١) الفسح : جمع فسحة أو هى السعة .
(٢) الخمر ، بالتحريك : كل ما وارك من شجر أو بناء أو غيره . وخمر كفرح : توارى ومن أمثال العرب : « يدب له الضراء ويمشى الخمر » . والضراء كسحاب : الشجر الملتف فى الوادى ؛ يقال : توارى الصيد فى ضراء ، وفلان يمشى الضراء ؛ إذا مشى مستخفيًا فيما يوارى من الشجر ، مثل يضرب للرجل يختل صاحبه .
(٣) الأسداد : جمع سد وهو الحاجز .

من أهل البأس والنّجدة والبصيرة ينازعونكم عن ثُكلكم[1] ويتقرّبون إلى الله بدمائكم ، ويستقلّون فى ذات الله ما نالهم من ألم شوكتكم ، ثم أوصل إليهم من الأمداد ، وأبلغ لهم كافيًا من العُدّة والعتاد ، هم أظمأ إلى موارد المنايا منكم إلى السلامة من مخوف معرّتهم عليكم ؛ موعدُهم إحدى الحسنيين : عاجل غلبة ، أو كريم منقلَب ؛ غير أنى رأيت أن أتقدّم إليك بالموعظة التى يثبت الله بها عليك الحجة ؛ من الدعاء لك ولمن معك إلى الوحدانية والشريعة الحنيفيّة ؛ فإن أبيتَ ففدية توجب ذمّة ، وتُثبت نَظرة ، وإن تركتَ ذلك ، ففى يقين المعاينة لنعوتنا ما يُغنى عن الإبلاغ فى القول والإغراق فى الصفة . والسلام على من اتبع الهدى . ٣/١١١١

* * *

وفيها صار المأمون إلى سَلَغُوس .

وفيها بعث علىّ بن عيسى القمىّ جعفر بن داود القمىّ فضرب أبو إسحاق ابن الرّشيد عنقَه .

وحجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علىّ .

---

(١) الثكل : الموت والهلاك .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من شخوص المأمون من سلَغُوس إلى الرّقة ، وقتله بها ابنَ أخت الدارى .

وفيها أمر بتفريغ الرّافقة لينزلها حشمه ، فضجّ من ذلك أهلها فأعفاهم .

وفيها وجّه المأمون ابنَه العباس إلى أرض الرّوم ، وأمره بنزول الطُّوانة وبنائها ، وكان قد وجّه الفَعَلة والفروض ، فابتدأ البناء ، وبناها ميلاً في ميل ، وجعل سورَها على ثلاثة فراسخ ، وجعل لها أربعة أبواب ، وبنى على كلّ باب حصْنًا ؛ وكان توجيهُه ابنَه العباس في ذلك في أوّل يوم من جمادى . ٣/١١١٢

وكتب إلى أخيه أبي إسحاق بن الرّشيد ؛ أنه قد فرض على جُند دمشق وحمْص والأردُنّ وفلسطين أربعة آلاف رجل ، وأنه يجرى على الفارس مائة درهم ، وعلى الرّاجل أربعين درهماً ، وفرضَ على مصر فَرْضًا ، وكتب إلى العباس بمَنْ فَرضَ على قِنَّسرين والجزيرة ، وإلى إسحاق بن إبراهيم بمن فرض على أهل بغداد وهم ألفا رجل ، وخرج بعضهم حتى وافَى طُوانة ونزلها مع العباس.

* * *

[ذكر خبر المحنة بالقرآن]

وفى هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم فى امتحان القضاة والمحدّثين ، وأمر بإشخاص جماعة منهم إليه إلى الرّقّة ؛ وكان ذلك أوّل كتاب كتب فى ذلك ، ونسخة كتابه إليه :

أما بعد ؛ فإن حقّ الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهادُ فى إقامة دين الله الذى استحفظهم ، ومواريث النبوّة التى أورثهم ، وأثْر العلم الذى استودعهم ، والعملُ بالحقّ فى رعيّتهم والتشمير لطاعة الله فيهم ، واللهَ

يسألَ أميرُ المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرّشد وصريمته[1] والإقساط فيما ولاّه الله من رعيّته برحمته ومنّته . وقد عرف أمير المؤمنين أنّ الجمهور الأعظم والسواد ١١١٣/٣ الأكبر من حَشْو الرعية وسِفْلة العامة ممن لا نظَر له ولا روّية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته والاستضاءة بنور العلم وبرهانه فى جميع الأقطار والآفاق أهلُ جهالة بالله، وعمًى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به. ونكوبٍ عن واضحات أعلامه وواجب سبيله، وقصورٍ أن يقدروا الله حقّ قدره، ويعرفوه كنهَ معرفته، ويفرّقوا بينه وبين خلقه، لضعف آرائهم ونقص عقولهم وجفائهم عن التفكّر والتذكر ؛ وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن، فأطبقوا مجتمعين، واتّفقوا غير متعاجمين، على أنه قديم أوّل لم يخلقه الله ويُحْدِثه ويخترعه ، وقد قال الله عز وجل فى محكم كتابه الذى جعله لما فى الصدور شفاءً ، وللمؤمنين رحمةً وهدًى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [2] ، فكلُّ ما جعله الله فقد خلقه، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرضَ وَجَعَلَ الظُّلماتِ وَالنُّورَ ﴾[3] ، وقال عزّ وجلّ : ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِن أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبق ﴾[4] ، فأخبر أنه قصص لأمور ١١١٤/٣ أحدثه بعدها وتلا به متقدّمها ، وقال : ﴿ الٓرٰ * كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُن حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[5] ، وكل محكَمٍ مفصَّل فله محكِمٌ مفصِّل ، والله محكِم كتابه ومفصله ؛ فهو خالقه ومبتدعه .

ثم هم الذين جادلوا بالباطل فدعوا إلى قولهم، ونسبوا أنفسهم إلى السنة، وفى كلّ فصل من كتاب الله قصَص من تلاوته مبطل قولهم، ومكذِّب دعواهم، يرد عليهم قولهم ونِحْلتهم . ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحقّ والدين والجماعة، وأن مَنْ سواهم أهل الباطل والكفر والفُرْقة ، فاستطالوا بذلك على النّاس، وغرّوا به الجهّال حتى مال قوم من أهل السَّمْت الكاذب، والتخشع لغير الله، والتقشّف لغير الدين إلى موافقتهم عليه ، ومواطأتهم على سيِّئ آرائهم ، تزيّناً

---

(١) الصريمة : العزيمة وقطع الأمر ، وفى ف : « وصريمة » .
(٢) سورة الزخرف ٣ .
(٣) سورة الأنعام ١
(٤) سورة طه ٩٩ .
(٥) سورة هود ١ ، ٢ .

بذلك عندهم وتصنعاً للرياسة والعدالة فيهم ، فتركوا الحق إلى باطلهم ، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالتهم ، فقبلت بتزكيتهم لهم شهادتهم ، ونفذت أحكام الكتاب بهم على دَغَل دينهم ، ونغَل أديمهم ، وفساد نياتهم ويقينهم . وكان ذلك غايتهم التي إليها أجروْا ، وإياها طلبوا في متابعتهم والكذب على مولاهم ، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ألاّ يقولوا على الله إلا الحق ، ودرسوا ما فيه ، أولئك الذين أصمّهم الله وأعمى أبصارهم ، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1] . ٣/١١١٥

فرأى أمير المؤمنين أنّ أولئك شرّ الأمة ورءوس الضلالة ، المنقوصون من التوحيد حظّاً ، والمخسوسون من الإيمان نصيباً ، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ولسان إبليس الناطق في أوليائه ، والهائل على أعدائه ؛ من أهل دين الله ، وأحقّ من يُتّهم في صدقه ، وتطرح شهادته ، لا يوثَق بقوله ولا عمله ؛ فإنه لا عمل إلا بعد يقين ، ولا يقينَ إلاّ بعد استكمال حقيقة الإسلام ، وإخلاص التوحيد ، ومن عَمِيَ عن رُشْده وحظّه من الإيمان بالله وبتوحيده ؛ كان عمّا سوى ذلك من عمله والقصد في شهادته أعمَى وأضلّ سبيلا . ولعمرُ أمير المؤمنين إنّ أحجى[2] الناس بالكذب في قوله ، وتخرّص الباطل في شهادته ، من كذب على الله ووحيه ، ولم يعرف الله حقيقة معرفته ، وإنّ أولاهم بردّ شهادته في حكم الله ودينه من ردّ شهادة الله على كتابه ، وبَهت حق الله بباطله .

فاجمعْ من بحضْرتك من القُضاة ، واقرأ عليهم كتابَ أمير المؤمنين هذا إليك ، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون وتكشيفهم عما يعتقدون ، في خلق الله القرآن وإحداثه ، وأعلمهم أنّ أمير المؤمنين غير مستعين في عمله ، ولا واثق فيما قلده الله ، واستحفظه من أمور رعيّته بمن لا يوثَق بدينه وخلوص توحيده ويقينه ؛ فإذا أقرّوا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه ، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة . فرهم بنصّ[3] من يحضُرهم من الشهود على الناس ومسألتهم عن علمهم في القرآن ، وترك إثبات شهادة من لم يقرّ أنه مخلوق محدَث ولم يره ، والامتناع من توقيعها ٣/١١١٦

(١) سورة محمد ٢٤ .
(٢) أحجى : أحق وأجدر .
(٣) نصه : استقصى مسألته عن الشيء .

عنده . واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك فى مسألتهم ؛ والأمر لهم بمثل ذلك ؛ ثم أشرف عليهم وتَفَقَّد آثارهم حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر فى الدّين والإخلاص للتوحيد [١] ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون فى ذلك . إن شاء الله .

وكتب فى شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة ومائتين .

وكتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم فى إشخاص سبعة نفر ، منهم محمد ابن سعد كاتب الواقدىّ ، وأبو مسلم مستملى يزيد بن هارون ، ويحيى بن معين ، وزهير بن حرب أبو خيثمة ، وإسماعيل بن داود ، وإسماعيل بن أبى مسعود ، وأحمد بن الدّوْرقىّ ؛ فأشخصوا إليه ، فامتحنهم وسألهم عن خلْق القرآن ، فأجابوا جميعاً إن القرآن مخلوق ، فأشخصهم إلى مدينة السلام وأحضرهم إسحاق بن إبراهيم دارَه ، فشهر أمرهم وقولهم بحضْرة الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث ، فأقرّوا بمثل ما أجابوا به المأمون ، فخلّى سبيلهم . وكان ما فعل من ذلك إسحاق بن إبراهيم بأمر المأمون . ٣/١١١٧

وكتب المأمون بعد ذلك إلى إسحاق بن إبراهيم :

أما بعدُ ، فإنّ من حق الله على خلفائه فى أرضه ، وأمنائه على عباده ، الذين ارتضاهم لإقامة دينه ، وحمّلهم رعايةَ [٢] خلْقه وإمضاء حكمه وسُنَنه [٣] والائتمام بعدله فى بريته ، أن يُجهدوا لله أنفسهم ، وينصحوا له فيما استحفظهم وقلدهم ، و يدلوا عليه — تبارك اسمه وتعالى — بفضل العلم الذى أودعهم ، والمعرفة التى جعلها فيهم ، ويهدوا إليه من زاغ عنه ، ويردّوا مَنْ أدبر عن أمره ، وينهجوا لرعاياهم سَمْت نجاتهم [٤] ، ويقفوهم [٥] على حدود إيمانهم وسبيل فوزهم وعصمتهم ويكشفوا لهم مغطّيات أمورهم ومشتبهاتها عليهم ، بما يدفعون الرّيْب [٦] عنهم ، ويعود بالضياء والبيّنة على كافّتهم ، وأن يؤثِروا ذلك من إرشادهم وتبصيرهم ، إذْ كان جامعاً لفنون مصانعهم ، ومنتظماً لحظوظ عاجلتهم

---

(١) ف : « للتوحيد » .
(٢) ف : « وجعلهم رعاة » .
(٣) سن : « سننه » .
(٤) ف : « سبل نجاته » .
(٥) س : « ويفقهوهم » .
(٦) ف : « مايدفعون به العيب » .

وآجلتهم ، ويتذكّروا ما الله مُرصدٌ من مساءلتهم عمّا حُمِّلوه ، ومجازاتهم بما[١] أسلفوه وقدموا عنده ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله وحدَه ، وحسبه الله وكفى به . ومما بيّنه أمير المؤمنين برويّته ، وطالعه بفكره ، فتبيّن عظيم خطره، ٣/١١١٨ وجليل ما يرجع فى الدين من وكْفه[٢] وضرره ، ما ينال المسلمون[٣] بينهم من القول فى القرآن الذى جعله الله إماماً لهم ، وأثراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفيّه محمد صلى الله عليه وسلم باقياً لهم ، واشتباهه على كثير منهم ؛ حتى حسن عندهم ، وتزيّن فى عقولهم ألا يكون مخلوقاً ، فتعرّضوا بذلك لدفع خلق الله الذى بان[٤] به عن خلقه ، وتفرّد بجلالته ؛ من ابتداع[٥] الأشياء كلها بحكمته وإنشائها بقدرته ، والتقدّم عليها بأوليّته[٦] التى لا يُبلَغ أولاها ، ولا يدرك مداها ؛ وكان كل شىء دونه خَلْقاً من خلقه ، وحدَثاً هو المحدِث له ؛ وإن كان القرآن ناطقاً به ودالاً عليه ، وقاطعاً للاختلاف فيه ، وضاهَوْا به قول النصارى فى دعائهم فى عيسى بن مريم : إنه ليس بمخلوق ؛ إذ كان كلمة الله ، والله عزّ وجل يقول : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾[٧] ، وتأويل ذلك أنا خلقناه كما قال جلّ جلاله : ﴿ وَجَعَلَ مِنهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيهَا ﴾[٨] وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً ﴾[٩] ، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[١٠] فسوّى عزّ وجلّ بين القرآن وبين هذه الخلائق التى ٣/١١١٩ ذكرها فى شية الصنعة ، وأخبر أنه جاعله وحده ، فقال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾[١١] ، فدل ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن ، ولا يحاط إلا بمخلوق ، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾[١٢] وقال : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ ﴾[١٣] ،

---

(١) س : «عما أسلفوه» .
(٢) أى من إيذائه .
(٣) س : «المسلمين» .
(٤) ف : «ابتاز» .
(٥) ف : «بابتداع» .
(٦) ف : «بازليته» .
(٧) سورة الزخرف ٣ .
(٨) سورة الأعراف ١٨٩ .
(٩) سورة النبأ ١١ .
(١٠) سورة الأنبياء ٣٠ .
(١١) سورة البروج ٢١-٢٢
(١٢) سورة القيامة ١٦
(١٣) سورة الأنبياء ٢ .

وقال : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بآيَاتِهِ﴾[١] ، وأخبر عن قوم ذمّهم بكذبهم أنهم قالوا : ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَىءٍ﴾[٢] ، ثم أكذبهم على لسان رسوله فقال لرسوله : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسى﴾[٣] ، فسمّى الله تعالى القرآن قرآناً وذكرًا وإيماناً ونورًا وهدًى ومباركاً وعربيًا وقصصاً ، فقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآن﴾[٤] ، وقال: ﴿قُل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ على أَن يَأْتُوا بِمثلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يأتُونَ بِمثْلِهِ﴾[٥] ، وقال: ﴿قُلْ فأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفتَرَيَات﴾[٦] ، وقال : ﴿لاَ يأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْه وَلاَ مِنْ خَلْفِه﴾[٧] فجعل له أولا وآخرًا ، ودلّ عليه أنه محدود مخلوق

وقد عظّم هؤلاء الجهلة بقولهم فى القرآن الثَّلْمَ فى دينهم ، والحرجَ فى أمانتهم[٨] ، وسهّلوا السبيلَ لعدوّ الإسلام ، واعترفوا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم[٩] حتى عرّفوا ووصفوا خلْق الله وفعله بالصّفة التى هى لله وحده ، وشبّهوه[١٠] به ، والاشتباهُ أولى بخلقه . وليس يرى أميرُ المؤمنين لمن قال بهذه المقالة حظًّا فى الدّين ، ولا نصيبًا من الإيمان واليقين ، ولا يرى أن يحلّ أحداً منهم محلّ الثقة فى أمانة ، ولا عدالة ولا شهادة[١١] ولا صدق فى قول ولا حكاية ، ولا تولية لشىء من أمر الرّعيّة ، وإن ظهر قصْد بعضهم ، وعُرف بالسداد مسدّدٌ فيهم ؛ فإن الفروع مردودة إلى أصولها ، ومحمولة فى الحمْد والذمّ عليها ؛ ومن كان جاهلا بأمر دينه الذى أمره الله به من وحدانيته فهو بما سوّاه أعظم جهلا ، وعن الرّشد فى غيره أعمى وأضلّ سبيلا .

١١٢٠/٣

فاقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق القاضى كتاب

(١) سورة الأنعام ٢١ .
(٢) سورة الأنعام ٩١ .
(٣) سورة الأنعام ٩١ .
(٤) سورة يوسف ٣ .
(٥) سورة الإسراء ٨٨ .
(٦) سورة هود ١٣ .
(٧) سورة فصلت ٤٢ .
(٨) س : « أماناتهم » .
(٩) ف : « أنفسهم » .
(١٠) س : « وشهدوا » .
(١١) ف : « ولا أمانته ولا عدالته ولا شهادته » .

أمير المؤمنين بما كتب به إليك، وانصصها عن(١) علمهما فى القرآن، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين على شىء من أمور المسلمين إلا بمن وثق بإخلاصه وتوحيده، وأنه لا توحيد(٢) لمن لم يقرّ بأن القرآن مخلوق(٣) فإن قالا بقول أمير المؤمنين فى ذلك، فتقدّمْ إليهما فى امتحان مَنْ يحضر مجالسهما بالشّهادات على الحقوق، ونصِّهم عن قولهم فى القرآن؛ فمن لم يقلْ منهم إنه مخلوق أبطلا شهادته، ولم يقطعا حكماً بقوله؛ وإن ثبت عفافُه بالقصد والسّداد فى أمره. وافعل ذلك بمن فى سائر عملك من القضاة، وأشرف عليهم إشرافًا يزيد الله به ذا البصيرة فى بصيرته، ويمنع المرتاب من إغفال دينه. واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك فى ذلك. إن شاء الله.

قال: فأحضر إسحاقُ بن إبراهيم لذلك جماعة من الفقهاء والحكام والمحدّثين، وأحضر أبا حسان الزيادىّ وبشر بن الوليد الكندىّ وعلىّ بن أبى مقاتل والفضل ابن غانم والذيّال بن الهيثم وسجّادة والقواريرىّ وأحمد بن حنبل وقُتيبة وسعدويه الواسطىّ وعلىّ بن الجعد وإسحاق بن أبى إسرائيل وابن الهرْش وابن عُليّة الأكبر ويحيى بن عبد الرحمن العمرىّ وشيخاً آخر من ولد عمر بن الخطاب — كان قاضى الرقة — وأبا نصر التمّار وأبا معْمَر القطيعىّ ومحمد بن حاتم بن ميمون ومحمد بن نوح المضروب وابن الفرُّخان، وجماعة منهم النضْر بن شُميل وابن علىّ بن عاصم وأبو العوام البزّاز وابن شجاع وعبد الرحمن بن إسحاق؛ فأدخلوا جميعًا على إسحاق، فقرأ عليهم كتاب المأمون هذا مرتيْن حتى فهموه، ثم قال لبشر بن الوليد: ما تقولُ فى القرآن؟ فقال: قد عرّفتُ مقالتى لأمير المؤمنين غير مرّة؛ قال: فقد تجدّد من كتاب أمير المؤمنين ما قد ترى، فقال: أقول: القرآن كلام الله، قال: لمْ أسألك عن هذا، أمخلوق هو؟ ٣/١١٢٢ قال: الله خالق كلّ شىء، قال: ما القرآن شىء؟ قال: هو شىء، قال: فمخلوق؟ قال: ليس بخالق، قال: ليس أسألك عن هذا، أمخلوق هو؟ قال: ما أحسِنُ غيرَ ما قلت لك، وقد استعهدتُ أمير المؤمنين ألاّ أتكلم

---

(١) ف: «على».
(٢) ف: «ولا توحيد».
(٣) س: «ليس بمخلوق».

فيه ، وليس عندى غير ما قلت لك . فأخذ إسحاق بن إبراهيم رقعةً كانت بين يديه ، فقرأها عليه ، ووقّفه عليها ، فقال : أشهدأن لا إله إلا الله أحداً فرْداً ، لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ، ولا يشبهه شيء من خلقه فى معنًى من المعانى ، ولا وجه من الوجوه ، قال : نعم ؛ وقد كنت أضرب الناس على دون هذا ، فقال للكاتب : اكتب ما قال .

ثم قال لعلىّ بن أبى مقاتل : ما تقول يا علىّ ؟ قال : قد سمّعتُ كلامى لأمير المؤمنين فى هذا غير مرّة وما عندى غير ما سمع ، فامتحنه بالرقعة فأقرّ بما فيها ، ثم قال : القرآن مخلوق ؟ قال : القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، قال : هو كلام الله ؛ وإن أمَرَنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا . فقال للكاتب : اكتب مقالته .

ثم قال للذيّال نحواً من مقالته لعلىّ بن أبى مقاتل ، فقال له مثل ذلك.

ثم قال لأبى حسان الزيادىّ : ما عندك ؟ قال : سلْ عما شئت ، فقرأ عليه الرّقعة ووقّفه عليها ، فأقرّ بما فيها ، ثم قال : من لم يقل هذا القول فهو كافر ، فقال : القرآن مخلوق هو ؟ قال : القرآن كلام الله والله خالق كلّ شيء ، وما دون الله مخلوق ، وأمير المؤمنين إمامنا وبسببه سمعنا عامّة العلم ، وقد سمع ما لم نسمع ، وعلم ما لم نعلم ، وقد قلّده الله أمرنا ، فصار يقيم حجنا وصلاتنا ، ونؤدى إليه زكاة أموالنا ، ونجاهد معه ، ونرى إمامته إمامةً ، إن أمَرَنا ائتمرنا ، وإن نهانا انتهينا ، وإن دعانا أجبنا . قال : القرآن مخلوق هو ؟ فأعاد عليه أبو حسان مقالته ، قال : إن هذه مقالة أمير المؤمنين ، قال : قد تكونُ مقالة أمير المؤمنين ولا يأمرُ بها الناس ولا يدعوهم إليها ؛ وإن أخبرتَنى أن أمير المؤمنين أمَرَك أن أقول ، قلتُ ما أمرتَنى به ؛ فإنك الثقة المأمون فيما أبلغتَنى عنه من شيء ؛ فإن أبلغتَنى عنه بشيء صرت إليه ، قال : ما أمرنى أن أبلغك شيئاً. قال علىّ ابن أبى مقاتل : قد يكون قولُه كاختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفرائض والمواريث ، ولم يحملوا الناس عليها ، قال له أبو حسان : ما عندى إلا السمع والطاعة ، فمرنى آتمر ، قال : ما أمرنى أن آمرك[1] ؛ وإنما أمرنى أن أمتحنَك[2] .

١١٢٣/٣

---

(١) ا : « آمركم » . (٢) ا : « أمتحنكم » .

ثم عاد إلى أحمد بن حنبل ، فقال له : ما تقول فى القرآن ؟ قال : هو كلام[١] الله ، قال : أمخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد عليها ، فامتحنه بما فى الرّقعة[٢] ، فلما أتى على « ليس كمثله شىء » ، قال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[٣] وأمسك عن لا يشبهه شىء من خلقه فى معنى من المعانى ، ولا وجه من الوجوه ، فاعترض عليه ابن البكّاء الأصغر ، فقال : أصلحك الله ! إنه يقول : سميع من أذن ، بصير من عين ، فقال إسحاق لأحمد بن حنبل : ما معنى قوله[٤] : ﴿ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ؟ قال : هو كما وصف نفسه ، قال : فما معناه ؟ قال : لا أدرى ، هو كما وصف نفسه . ١١٢٤/٣

ثم دعا بهم رجلا رجلا ، كلهم يقول : القرآن كلام الله ، إلا هؤلاء النّفر : قتيبة وعبيدالله بن محمد بن الحسن وابن عليّة الأكبر وابن البكّاء وعبدالمنعم ابن إدريس ابن بنت وهب بن منبّه والمظفّر بن مُرَجّا ، ورجلا ضريراً ليس من أهل الفقه ، ولا يعرف بشىء منه ، إلا أنه دُسّ فى ذلك الموضع ، ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضى الرّقة ، وابن الأحمر ؛ فأما ابنُ البكاء الأكبر فإنه قال : القرآن مجعول لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[٥] والقرآن محدَث لقوله : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ ﴾[٦] قال له إسحاق : فالمجعول مخلوق ؟ قال : نعم ، قال : فالقرآن مخلوق ؟ قال : لا أقول مخلوق ، ولكنه مجعول ؛ فكتب مقالته .

فلمّا فرغ من امتحان القوم ، وكتب مقالاتهم[٧] اعترض ابن البكّاء الأصغر ، فقال : أصلحك الله ! إنّ هذين القاضيين أئمة ، فلو أمرتَهما فأعادا الكلام! قال له إسحاق : هما ممّن يقوم بحجة أمير المؤمنين ، قال : فلو أمرتَهما أن يُسمعانا مقالتهما ، لنحكى ذلك عنهما ! قال له إسحاق : إنْ شهدت ١١٢٥/٣

---

(١) س : « قال : « القرآن » .
(٢) ف : « بالرقعة وما فيها » .
(٣) سورة الشورى ١١ .
(٤) ف : « قولك » .
(٥) سورة الزخرف ٣ .
(٦) سورة الأنبياء ٢ .
(٧) ف : « مقالهم » .

عندهما بشهادة ، فستعلم مقالتهما إن شاء الله .

فكتب مقالة القوم رجلا رجلا[1] ، ووُجِّهت إلى المأمون، فمكث القوم تسعة أيام ؛ ثم دعا بهم وقد ورد كتاب المأمون[2] جواب كتاب إسحاق بن إبراهيم فى أمرهم، ونسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ؛ فقد بلغ أميرَ المؤمنين كتابُك جواب كتابه كان إليك ، فيما ذهب إليه متصنّعةُ أهل القِبْلة وملتمسو الرّئاسة ، فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة من القول فى القرآن ، وأمرك به أمير المؤمنين من امتحانهم ، وتكشيف أحوالهم وإحلالهم محالّهم . تذكر إحضارك جعفر بن عيسى وعبد الرحمن ابن إسحاق عند ورود كتاب أمير المؤمنين مع من أحضرت ممّن كان ينسب إلى الفقه ، ويعرف بالجلوس للحديث ، وينصب نفسه للفُتْيا بمدينة السلام ، وقراءتك عليهم جميعًا كتابَ أمير المؤمنين ، ومسألتك إياهم عن اعتقادهم فى القرآن ، والدلالة لهم على حظّهم ، وإطباقهم على نفى التشبيه واختلافهم فى القرآن ، وأمرك مَنْ لم يقل منهم إنه مخلوق بالإمساك عن الحديث والفتوى[3] فى السرّ والعلانية ، وتقدّمك إلى السندىّ وعباس مولى أمير المؤمنين بما تقدّمت به فيهم إلى القاضيَيْن بمثل ما مثّل لك أمير المؤمنين من امتحان مَنْ يحضر مجالسهما من الشهود ، وبثّ الكتب إلى القضاة فى النواحى من عملك بالقدوم عليك ، لتحملهم وتمتحنهم على ما حدّه أميرُ المؤمنين ، وتثبيتك فى آخر الكتاب أسماء مَنْ حضر ومقالاتهم ، وفهم أمير المؤمنين ما اقتصصتَ .

١١٢٦/٣

وأمير المؤمنين يحمَد الله كثيراً كما هو أهله ، ويسأله أن يصلّىَ على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ويرغبُ إلى الله فى التوفيق لطاعته ، وحسن المعونة على صالح نيّته برحمته . وقد تدبّر أميرُ المؤمنين ما كتبتَ به من أسماء مَنْ سألت عن القرآن ، وما رجع إليك فيه كلّ امرئ منهم ، وما شرحت[4] من مقالتهم .

فأمّا ما قال المغرور بشر بن الوليد فى نفى التشبيه ، وما أمسك عنه من أنّ القرآن

---

(١) ب : « رجل رجل » .
(٢) ف : « أمير المؤمنين » .
(٣) ف : « الفتاوى » .
(٤) س : « وشرحت » .

مخلوق ، وادّعى من تركه الكلام في ذلك واستعهاده أميرَ المؤمنين ؛ فقد كذب بشر في ذلك وكفر ، وقال الزور والمنكر ، ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه في ذلك ولا في غيره عهدٌ ولا نظرٌ أكثر من إخباره أميرَ المؤمنين من اعتقاده كلمةَ الإخلاص ، والقول بأنّ القرآن مخلوق ، فادعُ به إليك ، وأعلمه ما أعلمك به أميرُ المؤمنين من ذلك ، وأنصصْه عن قوله في القرآن ، واستتبْه منه ؛ فإنّ أمير المؤمنين يرى أن تستتيب مَن قال بمقالته ؛ إذ كانت تلك المقالة الكفر الصّراح ، والشّرْك المحض عند أمير المؤمنين ؛ فإن تاب منها فأشهر أمره ، وأمسك عنه ؛ وإن أصرّ على شركه ، ودفع أن يكون القرآن مخلوقاً بكفره وإلحاده ، فاضرب عنقه ، وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه ؛ إن شاء الله .

وكذلك إبراهيم بن المهديّ فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشراً ؛ فإنه كان يقول بقوله . وقد بلغتْ أميرَ المؤمنين عنه بوالغ ؛ فإن قال : إنّ القرآن مخلوق فأشهرْ أمره واكشفه ؛ وإلاّ فاضرب عنقه وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه ؛ إن شاء الله . ١١٢٧/٣

وأما عليّ بن أبي مقاتل ، فقلْ له : ألستَ القائلَ لأمير المؤمنين : إنّك تُحلّل وتحرّم ، والمكلّم له بمثل ما كلّمتَه به ؛ مما لم يذهب عنه ذكره !

وأما الذّيال بن الهيثم ؛ فأعلمه أنه كان في الطعام الذي كان يسرقه في الأنبار[1] وفيما يستولي[2] عليه من أمر مدينة أمير المؤمنين أبي العباس مايشغله ؛ وأنّه لو كان مقتفياً آثار سلفه ، وسالكاً مناهجهم ، ومحتذياً سبيلَهم[3] لما خرج إلى الشرك بعد إيمانه .

وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبي العوّام ، وقوله إنه لا يحسن الجواب في القرآن ، فأعلمه[4] أنه صبيّ في عقله لا في سنّه ، جاهل ، وأنه إن كان[5] لا يحسن الجواب في القرآن فسيُحسنه إذا أخذه التأديب ، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك ؛ إن شاء الله .

وأما أحمد بن حنبل وما تكتب عنه ؛ فأعلمه أنّ أمير المؤمنين قد عرف

---

(١) س : « بالأنبار » .
(٢) س : « استولى » .
(٣) س : « سبلهم » .
(٤) س : « فاعلم » .
(٥) ف : « أنكر » .

فحوى تلك المقالة وسبيلَه فيها ، واستدلّ على جهله وآفته بها .

وأما الفضلُ بن غانم ؛ فأعلمه أنه لم يخفَ على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر ، وما اكتسب من الأموال فى أقلّ من سنة ، وما شجَر بينه وبين المطّلب ابن عبدالله فى ذلك ؛ فإنه مَنْ كان شأنه شأنَه ، وكانت رغبته فى الدّينار والدرهم رغبته ، فليس بمستنكَر[1] أن يبيع إيمانَه طمعًا فيهما ، وإيثاراً لعاجل نفعهما ، وأنه مع ذلك القائل لعلىّ بن هشام ما قال ، والمخالف له فيما خالفه فيه ؛ فما الذى حال به عن ذلك ونقله إلى غيره !

١١٢٨/٣

وأما الزّيادىّ ، فأعلمه أنه كان منتحلاً ، ولا كأوّل دَعىّ كان فى الإسلام خولف فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان جديراً أن يسلك مسلكه ، فأنكر أبو حسّان أن يكون مولًى لزياد أو يكون مولًى لأحد من الناس ؛ وذُكر أنه إنما نسب إلى زياد لأمر من الأمور .

وأما المعروف بأبى نصر التمّار ؛ فإن أمير المؤمنين شبّه خساسة عقله بخساسة متجره .

وأما الفضل بن الفرّخان ، فأعلمه أنه حاول بالقول الذى قاله فى القرآن أخذ الودائع التى أودعها إياه عبدالرحمن بن إسحاق وغيره تربّصًا بمن استودعه ، وطمعًا فى الاستكثار لما صار فى يده ، ولا سبيلَ عليه عن تقادم عهده ، وتطاول الأيام به ، فقلْ لعبد الرحمن بن إسحاق : لا جزاك الله خيراً عن تقويتك[2] مثل هذا واتّمانك[3] إياه ، وهو معتقد للشرك منسلخ من التوحيد .

وأما محمد بن حاتم وابن نوح والمعروف بأبى معمَر ؛ فأعلمهم أنهم مشاغيل بأكل الرّبا عن الوقوف على التوحيد ، وأن أمير المؤمنين لو لم يستحلّ محاربتهم فى الله ومجاهدتهم إلا لإربائهم ، وما نزل به كتاب الله فى أمثالهم ، لاستحلّ ذلك ، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شرْكًا ، وصار للنصارى مثلاً !

١١٢٩/٣

وأما أحمد بن شجاع ؛ فأعلمه أنك صاحبه بالأمس ، والمستخرج منه

---

(١) ف : « مستكثر » . (٢) ف : « تقويتكم » .
(٣) س : « وإيمانك » .

ما استخرجته من المال الذى كان استحلّه من مال علىّ بن هشام ؛ وأنه ممّن الدينار والدرهم دينُه .

وأما سعدويه الواسطىّ ، فقل له : قبح الله رجلا بلغ به التصنّع للحديث ، والتزين به ، والحرْص على طلب الرئاسة فيه ؛ أن يتمنّى وقت المحنة ، فيقول بالتقرّب بها متى يمتحن ، فيجلس للحديث !

وأما المعروف بسجّادة ؛ وإنكاره أن يكون سمع ممّن كان يجالس من أهل الحديث وأهل الفقه القول بأنّ[1] القرآن مخلوق ، فأعلمه أنه فى شغله بإعداد النّوى وحكّه لإصلاح سجادته وبالودائع التى دفعها إليه علىّ بن يحيى وغيره ما[2] أذهله عن التوحيد وألهاه ، ثم سله عما كان يوسف بن أبى يوسف ومحمد ابن الحسن يقولانه ؛ إن كان شاهدهما وجالسهما .

وأما القواريرىّ ؛ ففيما تكشّف من أحواله وقبوله الرّشا والمصانعات ، ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته وسخافة عقله ودينه ؛ وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أنه يتولّى لجعفر بن عيسى الحسنىّ مسائله ، فتقدّم إلى جعفر بن عيسى فى رفضه ، وترك الثقة به والاستنامة إليه . ١١٣٠/٣

وأما يحيى بن عبد الرحمن العمرىّ ؛ فإن[3] كان من ولد عمر بن الخطاب ، فجوابه معروف .

وأما محمد بن الحسن بن علىّ بن عاصم ، فإنه لو كان مقتديًا بمن مضى من سلفه ، لم ينتحل النّحلة التى حُكيت عنه ، وإنه بعدُ صبىّ يحتاج إلى تعلم .

وقد كان أمير المؤمنين وجّه إليك المعروف بأبى مسهر بعد أن نصّه أميرُ المؤمنين عن محنته فى القرآن ، فجمجم عنها ولجلج فيها ، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف ، فأقرّ ذميمًا ، فأنْصِصْه عن إقراره ؛ فإن كان مقيمًا عليه فأشهِرْ ذلك وأظهره ؛ إن شاء الله .

ومن لم يرجع عن شركه ممّن سميتَ لأمير المؤمنين فى كتابك ، وذكره

---

(١) ف : « من أن » . (٢) ف : « فما » . (٣) ف : « نإنه » .

أمير المؤمنين لك ، أو أمسك عن ذكره فى كتابه هذا ؛ ولم يقل إن القرآن مخلوق ، بعد بشر بن الوليد وإبراهيم بن المهدىّ فاحملهم أجمعين [١] موثَقين إلى عسكر أمير المؤمنين ، مع من يقوم بحفظهم وحراستهم فى طريقهم ؛ حتى يؤدّيهم إلى عسكر أمير المؤمنين ، ويُسلّمهم إلى مَنْ يؤمَن بتسليمهم إليه ، لينصّهم أمير المؤمنين ؛ فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعًا على السيف ، إن شاء الله ، ولا قوّة إلا بالله .

وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابه هذا فى خريطة بُنداريّة ؛ ولم ينظر به اجتماع الكتب الخرائطيّة ، معجّلا به ، تقرّباً إلى الله عزّ وجلّ بما أصدر من الحكم ورجاء ما اعتمد ، وإدراك ما أمّل من جزيل ثواب الله عليه ؛ فأنفذ لما أتاك من أمر المؤمنين ، وعجّل إجابة أمير المؤمنين بما يكون منك فى خريطة بُنْداريّة مفردة عن سائر الخرائط ، لتعرّف أمير المؤمنين ما يعملونه إن شاء الله . ١١٣١/٣

وكتب سنة ثمان عشرة ومائتين .

فأجاب القوم كلّهم حين أعاد القول عليهم إلى أنّ القرآن مخلوق ، إلاّ أربعة نفر ؛ منهم أحمد بن حنبل وسجّادة والقواريرىّ ومحمد بن نوح المضروب . فأمر بهم إسحاق بن إبراهيم فشدّوا فى الحديد ؛ فلما كان من الغد دعا بهم جميعاً يساقون فى الحديد ، فأعاد عليهم المحنة ، فأجابه سجّادة إلى أن القرآن مخلوق ، فأمر بإطلاق قيده وخلّى سبيله ، وأصرّ الآخرون على قولهم ؛ فلمّا كان من بعد الغد عاودهم أيضا ، فأعاد عليهم القول ، فأجاب القواريرىّ إلى أن القرآن مخلوق ، فأمر بإطلاق قيده ، وخلّى سبيله ، وأصرّ أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما ، ولم يرجعا ، فشُدّا جميعًا فى الحديد ، ووُجّها إلى طَرَسُوس ، وكتب معهما كتاباً بإشخاصهما ، وكتب كتابًا مفرداً بتأويل القوم فيما أجابوا إليه . فمكثوا أيامًا ، ثمّ دعا بهم فإذا كتابٌ قد ورد من المأمون على إسحاق بن إبراهيم ، أن قد فهم أمير المؤمنين ما أجاب القوم إليه ، وذكر سليمان بن يعقوب صاحب الخبر أنّ بشر بن الوليد تأوّل الآية التى أنزلها الله تعالى فى عمار بن ياسر : ﴿ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مطمئِنٌّ بالإيمان ﴾ [٢] ١١٣٢/٣

(١) ف : « جميعاً » . (٢) سورة النحل ١٦٠

وقد أخطأ التأويل ؛ إنما عنى الله عزّ وجلّ بهذه الآية مَنْ كان[1] معتقد الإيمان ، مظهرَ الشرك[1] ، فأما مَنْ كان معتقدَ الشرك مظهر الإيمان ؛ فليس هذه[2] له . فأشخصْهم جميعًا إلى طَرَسُوس ؛ ليقيموا بها إلى خروج أمير المؤمنين من بلاد الروم .

فأخذ إسحاق بن إبراهيم من القوم الكُفلاء ليوافُوا العسكر بطَرسوس ، فأشخص أبا حسان وبشر بن الوليد والفضل بن غانم وعليّ بن أبى مقاتل والذّيال بن الهيثم ويحيى بن عبد الرحمن العمريّ وعليّ بن الجَعْد وأبا العوّام وسجّادة والقواريريّ وابن الحسن بن عليّ بن عاصم وإسحاق بن أبى إسرائيل والنّضْر بن شُميل وأبا نصر التمار وسعدويه الواسطيّ ومحمد بن حاتم بن ميمون وأبا معمَر وابن الهرْش وابن الفرُّخان وأحمد بن شجاع وأبا هارون بن البكّاء . فلما صاروا إلى الرّقة بلغتهم وفاة المأمون ؛ فأمر بهم عنبسة بن إسحاق — وهو والى الرّقة — أن يصيروا إلى الرّقة ، ثم أشخصهم إلى إسحاق بن إبراهيم بمدينة السلام مع الرسول المتوجّه بهم إلى أمير المؤمنين ، فسلّمهم إليه ، فأمرهم إسحاق بلزوم منازلهم ، ثم رخّص لهم بعد ذلك فى الخروج ، فأما بشر بن الوليد والذّيال وأبو العوّام وعلى بن أبى مقاتل ؛ فإنهم شخصوا من غير أن يؤذَن لهم حتى قدموا بغداد ، فلقوا من إسحاق بن إبراهيم فى ذلك أذًى ، وقدم الآخرون مع رسول إسحاق بن إبراهيم ؛ فخلى سبيلهم . ٣/١١٣٢

* * *

[كتب المأمون إلى عماله ووصيته فى كتبه]

وفى هذه السنة نُفّذت كتبُ المأمون إلى عمّاله فى البلدان : من عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده أبى إسحاق بن أمير المؤمنين الرّشيد . وقيل إنّ ذلك لم يكتبه المأمون كذلك ؛ وإنما كتب فى حال إفاقة من غَشْيَةٍ أصابته فى مرضه بالبَدَنْدُون[3] ، عن أمر المأمون إلى

(١ – ١) س : « معتقداً الإيمان مظهراً للشرك » . (٢) ف : « هذا » .
(٣) فى ياقوت : « بذندون ، بفتحتين وسكون النون ودال مهملة وواو ساكنة ونون : قرية بينها وبين طرطوس يوم من بلاد الثغر ، مات بها المأمون ، فنقل إلى طرسوس ، ودفن بها » .

العباس بن المأمون ، وإلى إسحاق وعبد الله بن طاهر ؛ أنه إن حدَث به حدَث الموت فى مرضه هذا، فالخليفة من بعده أبو إسحاق بن أمير المؤمنين الرّشيد . فكتب بذلك محمد بن داود ، وختم الكتب وأنفذها .

فكتب أبو إسحاق إلى عمّاله : من أبى إسحاق أخِى أمير المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين .

فورد كتاب من أبى إسحاق محمد بن هارون الرشيد إلى إسحاق بن يحيى بن مُعاذ عامله على جند دمَشق يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلتْ من رجب ، عنوانه : من عبدالله عبدالله الإمام المأمون أمير المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين أبى إسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد : أما بعد ؛ فإنّ أميرَ المؤمنين أمر بالكتاب إليك فى التقدّم إلى عمالك فى حسن السيرة وتخفيف المئونة وكف الأذى عن أهل عملك ، فتقدّم إلى عمّالك فى ذلك أشدّ التقدمة ، واكتب إلى عمّال الخراج بمثل ذلك .

١١٣٤/٣

وكتب إلى جميع عمّاله فى أجناد الشأم ؛ جند حِمْص والأردنّ وفلسطين بمثل ذلك ؛ فلما كان يوم الجمعة لإحدى عشرة بقيتْ من رجَب صلى الجمعة إسحاق بن يحيى بن مُعاذ فى مسجد دمشق ، فقال فى خطبته بعد دعائه لأمير المؤمنين : اللهمّ وأصلح الأميرَ أخا المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين أبا إسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المأمون]

وفى هذه السنة توفّىَ المأمون .

* ذكر الخبر عن سبب المرض الذى كانت فيه وفاته :

ذُكر عن سعيد العلاّف القارئ ، قال : أرسل إلىّ المأمون وهو ببلاد الرّوم – وكان دخلَها من طَرسُوس يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة – فحُملتُ إليه وهو فى البَدَنْدون ؛ فكان يستقرئنى ، فدعانى يومًا ، فجئتُ فوجدتُه جالسًا على شاطئ البَدَنْدُون ، وأبو إسحاق المعتصم جالس عن يمينه ، فأمرنى فجلست نحوه منه ؛ فإذا هو وأبو إسحاق مدلّيان

٣/١١٣٥ أرجلهما فى ماء البَدَنْدُون ، فقال : يا سعيد ، دَلِّ رجليك فى هذا الماء وذقه ؛ فهل رأيت ماء قطّ أشد برداً ، ولا أعذب ولا أصفى صفاء منه ! ففعلت وقلت : يا أميرَ المؤمنين ، ما رأيت مثل هذا قطّ ، قال : أىّ شىء يطيب أن يؤكل ويشرب هذا الماء عليه ؟ فقلت : أمير المؤمنين أعلم ، فقال : رُطَب الآزاد [١] ؛ فبينا هو يقول هذا إذا سمع وقع لجُم البريد فالتفتَ ، فنظر فإذا بغالٌ من بغال البريد ، على أعجازها حقائب فيها الألطاف ، فقال لخادم له [٢] : اذهب فانظر : هل فى هذه الألطاف رُطَب ؟ فانظره ، فإن كان آزاذ فأت به ؛ فجاء يسعى بسلّتين فيهما رطب آزاذ ، كأنما جُنِى من النخل تلك الساعة ؛ فأظهر شكراً لله تعالى ؛ وكثُر تعجُّبنا منه ، فقال : ادن فكل ، فأكل هو وأبو إسحاق ، وأكلت معهما ، وشرِبْنا جميعًا من ذلك الماء ؛ فما قام منا أحد إلا وهو محمومٌ ؛ فكانت منيّة المأمون من تلك العلّة ؛ ولم يزل المعتصم عليلاً حتّى دخل العراق ، ولم أزل عليلا حتّى كان قريبًا .

ولما اشتدّت بالمأمون علّته بعث إلى ابنه العباس ، وهو يظنّ أن لن يأتيَه ، فأتاه وهو شديد المرض متغيّر العقل ، قد نُفّذت الكتب بما نُفذت له [٣] فى أمر أبى إسحاق بن الرشيد ، فأقام العباس عند أبيه أيامًا ، وقد أوصى قبل ذلك إلى أخيه أبى إسحاق . ٣/١١٣٦

وقيل : لم يوص إلاّ والعباس حاضر ، والقضاة والفقهاء والقوّاد والكتاب ، وكانت وصيته : هذا ما أشهد عليه عبدالله بن هارون أمير المؤمنين بحضْرة مَنْ حضره ؛ أشهدهم جميعًا على نفسه أنه يَشهد ومَنْ حضره أن الله عز وجلّ وحده لا شريك له فى ملكه ، ولا مدبّر لأمره غيره ، وأنه خالقٌ وما سواه مخلوق ، ولا يخلو القرآن أن يكون شيئًا له مثل ؛ ولا شىء مثله تبارك وتعالى ؛ وأن الموت حقّ ، والبعث حقّ ، والحساب حقّ ، وثواب المُحسن الجنة وعقاب المُسىء النار ، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد بلّغ عن ربّه شرائعَ دينه ، وأدّى نصيحته إلى أمته ؛ حتّى قبضه الله إليه صلى الله عليه أفضلَ صلاة

---

(١) ذكره الجواليقى فى المعرب ٣٤ (٢) ف : « لغلام من غلمانه » .
(٣) ف : « فيه من » .

صلاّها على أحد من ملائكته المقرّبين وأنبيائه والمرسلين ، وأنى مقرّ مذنب ، أرجو وأخاف ؛ إلا أنّى إذا ذكرت عفْوَ الله رجوتُ ؛ فإذا أنا متّ فوجّهونى وغمّضونى ، وأسبغوا وَضوئى وطهورى ، وأجيدوا كَفَنى ؛ ثم أكثروا حَمْد الله على الإسلام ومعرفة حقه عليكم فى محمد ؛ إذ جعلَنا من أمّته المرحومة ، ثم أضجعونى على سريرى ، ثم عجّلوا بى ؛ فإذا أنتم وضعتمونى للصلاة ؛ فليتقدّم بها من هو أقربكم بى نسبًا ، وأكبركم سنًّا ، فليكبّر خمسًا ، يبدأ فى الأولى فى أولها بالحمد لله والثناء عليه والصّلاة على سيدّى وسيد المرسلين جميعًا ، ثم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات ؛ الأحياء منهم والأموات ، ثم الدّعاء للذّين سبقونا بالإيمان ، ثم ليكبّر الرابعة ، فيحمد الله ويهلّله ويكبّره ويسلم فى الخامسة ، ثم أقلّونى فأبلغوا بى حُفرتى ، ثم لينزل أقربكم إلىّ قرابةً ، وأودّكم محبة ، وأكثروا من حمد الله وذكره ، ثم ضَعُونى على شقّى الأيمن واستقبلوا بىَ القبلةَ ، وحُلُّوا كفنى عن رأسى ورجلىّ ، ثم سدّوا اللحد باللَّبِن ، واحْثُوا ترابًا علىّ[1] ، واخرجوا عنى وخلُّونى وعملى ؛ فكلكم لا يغنى عنى شيئاً ، ولا يدفع عنى مكروهًا ، ثم قفوا بأجمعكم فقولوا[2] خيراً إن علمتم ، وأمسكوا عن ذكر شرّ إن كنتم عرفتم ، فإنى مأخوذٌ من بينكم بما تقولون وما تلفظون به ، ولا تدَعُوا باكيةً عندى ؛ فإن المعْوَل عليه يعذّب . رحمَ الله امرأ اتّعظ وفكر فيما حتّم الله على جميع خلقه من الفناء ، وقضى عليهم من الموت الذى لا بدّ منه ، فالحمد لله الذى توحّد بالبقاء ، وقضى على جميع خلقه الفناء . ثم ليَنظر ما كنتُ فيه من عزّ الخلافة ؛ هل أغنى ذلك عنى شيئًا إذ جاء أمر الله ! لا والله ، ولكن أضعِف علىّ به الحسابُ ، فياليت عبد الله بن هارون لم يكن بشرًا ، بل ليته لم يكن خلقًا ! يا أبا إسحاق ، ادنُ منّى ، واتّعظ بما ترى ، وخذ بسيرة أخيك فى القرآن ، واعمل فى الخلافة إذا طوّقكها الله عمل المريد لله ، الخائف من عقابه وعذابه ؛ ولا تغترّ بالله ومهلته[3] ؛ فكأن قد نزل بك الموت . ولا تغفل أمر الرّعيّة ، الرعيةَ الرعيةَ ! العوامّ العوامّ ! فإن المُلْك بهم وبتعهّدك[4] المسلمين والمنفعة لهم . اللهَ اللهَ فيهم وفى غيرهم من المسلمين !

١١٣٧/٣

١١٣٨/٣

---

(١) ف : « التراب » .

(٢) س : « وقولوا » .

(٣) س وابن الاثير : « وتمهيله » .

(٤) ف : « وتعهدك » .

ولا يُنهيَنَّ إليك أمر فيه صلاح للمسلمين[1] ومنفعة لهم إلا قدّمته وآثرته على غيره من هواك ، وخذ من أقويائهم لضعفائهم ، ولا تحمل عليهم فى شىء ، وأنصف بعضهم من بعض بالحقّ بينهم ، وقرّبهم وتأنّهم ، وعجل الرّحلة عنّى ، والقدوم إلى دار مُلْكِك بالعراق ، وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم فى كل وقت . والخُرَّمية فأغزهم ذا حزامة وصرامة وجلَد ، وأكْنِفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرّجالة ؛ فإن طالت مدتهم فتجرّد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك ، واعمل فى ذلك عمل مقدّم النيّة فيه ، راجيًا ثواب الله عليه . واعلم أنّ العِظة إذا طالت أوجبتْ على السامع لها والموصى بها الحجّة ؛ فاتق الله فى أمرك كله ، ولا تُفْتَنَن .

ثم دعا أبا إسحاق بعد ساعة حين اشتدّ به الوجَع ، وأحسّ بمجىء أمر الله فقال له : يا أبا إسحاق ، عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومنّ بحق الله فى عباده ، ولتؤثرنّ طاعته على معصيته ؛ إذ أنا[2] نقلتُها من غيرك إليك ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فانظر مَنْ كنت تسمعنى أقدّمه على لسانى فأضعِف له التّقدمة ؛ عبد الله بن طاهر أقرّه على عمله ولا تهجْه ، فقد عرفتَ الذى سلفَ منكما أيام حياتى وبحضرتى ، استعطفه بقلبك ، وخُصّه ببرّك ، فقد عرفتَ بلاءه وغَناءه عن أخيك . وإسحاق بن إبراهيم فأشركْه فى ذلك ؛ فإنه أهلٌ له . وأهل بيتك ، فقد علمتَ أنه لا بقيّة فيهم وإن كان بعضهم يظهر الصّيانة لنفسه . عبد الوهاب عليك به من بين أهلك ، فقدّمه عليهم ، وصيّر أمرهم إليه . وأبو عبد الله بن أبى داود فلا يفارقْك ، وأشركه فى المشورة فى كلّ أمرك ؛ فإنه موضع لذلك منك ، ولا تتخذنّ بعدى وزيراً تلقى إليه شيئًا ؛ فقد علمتَ ما نكبنى به يحيى بن أكثم فى معاملة الناس وخبْث سيرته[3] حتى أبان الله ذلك منه فى صحّة منى ، فصرتُ إلى مفارقته! قاليًا له غير راضٍ بما صنع فى أموال الله وصدقاته ، لا جزاه الله عن الإسلام خيراً ! وهؤلاء بنو عمّك من ولد أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ،

١١٣٩/٣

(١) ف : « المسلمين » . (٢) س وابن الأثير : « إذا » .
(٣) ف : « سريرته » .

فأحسن صحبتهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، واقبل من محسنهم ، وصلاتهم فلا تغفلها فى كل سنة عند محلها ، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى . اتقوا الله ربكم حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. اتقوا الله واعملوا له ، اتقوا الله فى أموركم كلها . أستودعكم[1] الله ونفسى وأستغفر الله مما سلف ، وأستغفر الله مما كان منى ، إنه كان غفاراً ، فإنه ليعلم كيف ندمى على ذنوبى ، فعليه توكلت من عظيمها[2] ، وإليه أنيب ولا قوة إلا بالله ، حسبى الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد نبى الهدى والرحمة ! ١١٤٠/٣

* * *

ذكر الخبر عن وقت وفاته والموضع الذى دفن فيه ومن صلى عليه ومبلغ سنه وقدر مدة خلافته

قال أبو جعفر[3] : وأما وقت وفاته ، فإنه اختلف فيه ، فقال بعضهم : توفى يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب بعد العصر سنة ثمان عشرة ومائتين .

وقال آخرون : بل توفى فى هذا اليوم مع الظهر ، ولما توفى حمله ابنه العباس وأخوه أبو إسحاق محمد بن الرشيد إلى طرسوس ، فدفناه[4] فى دار كانت لخاقان خادم الرشيد ، وصلى عليه أخوه أبو إسحاق المعتصم ، ثم وكلوا[5] به حرساً من أبناء أهل طرسوس وغيرهم مائة رجل ، وأجرى على كل رجل منهم تسعون درهماً .

وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ؛ وذلك سوى سنتين كان دعى له فيهما بمكة وأخوه الأمين محمد بن الرشيد محصور ببغداد .

وكان ولد للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة .

---

(١) ابن الأثير ، ف : « استودعتكم » . (٢) س : « عظمها » .
(٣) من ف (٤) س : « ودفناه » .
(٥) ف : « ووكلوا » .

وكان يكنى – فيما ذكر ابن الكلبي – أبا العباس .

وكان رَبْعة[١] أبيض جميلا ، طويل اللحية ، قد وخطه الشيب[٢]. وقيل كان أسمر تعلوه صفرة ، أحْنَى أعْيَن[٣] طويل اللحية رقيقها ، أشيب ، ضيّق الجبهة ، بخدّه خالٌ أسود . ٣/١١٤١

واستُخلِف يوم الخميس لخمس ليال بقين من المحرم .

* * *

ذكر بعض أخبار المأمون وسِيَره

ذُكر عن محمد بن الهيثم بن عدىّ ، أن إبراهيم بن عيسى بن بُريهَة بن المنصور ، قال : لما أراد المأمون الشخوصَ إلى دمشق هيّأتُ له كلامًا ، مكثت فيه يومين وبعض آخر ، فلما مثلتُ بين يديه قلتُ : أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، فى أدوم العزّ وأسبغ الكرامة ، وجعلنى من كلّ سوء فداه ! إنّ من أمسى وأصبح يتعرّف من نعمة الله ، له الحمد كثيراً عليه برأى أمير المؤمنين أيّده الله فيه ، وحُسْن تأنيسه له ، حقيق بأن يستديم هذه النعمة ، ويلتمس الزيادة فيها بشكر الله وشكر أمير المؤمنين ، مدّ الله فى عمره عليها . وقد أحبّ أن يعلم أميرُ المؤمنين أيّده الله أنى لا أرغب بنفسى عن خدمته أيده الله بشىء من الخَفْض والدّعة ؛ إذ كان هو أيّده الله يتجشّم خُشونة السفر ونصَب الظَّعْن ، وأوْلى الناس بمواساته فى ذلك وبذل نفسه فيه أنا ، لما عرّفنى اللهُ من رأيه ، وجعل عندى من طاعته ومعرفة ما أوجب الله من حقه ؛ فإن رأى أميرُ المؤمنين أكرمه الله أن يكرمنى بلزوم خدمته ، والكينونة معه فعل . فقال لى مبتدئًا من غير تروية : لم يعزم أميرُ المؤمنين فى ذلك على شىء ، وإن استصحب أحداً من أهل بيتك بدأ بك ؛ وكنت المقدَّم عنده فى ذلك ؛ ولا سيّما إذْ أنزلتَ نفسك بحيث أنزلكَ أمير المؤمنين من نفسه ؛ وإن ترك ذلك فمن غير قِلاً لمكانك ؛ ولكن بالحاجة إليك . قال : فكان واللهِ ابتداؤه أكثرَ من تَرْويتى . ٣/١١٤٢

---

(١) يقال : فلان ربعة ومربوع ، أى ما بين الطويل والقصير .

(٢) وخطه الشيب ، أى خالطه وفشا فيه ، أو استوى سواده وبياضه .

(٣) رجل أحنى ، أى فى ظهره احديداب . وأعين : واسع العين .

وذكر عن محمد بن عليّ بن صالح السرخسيّ، قال: تعرّض رجلٌ للمأمون بالشأم مراراً، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، انظر لعرب الشأم كما نظرت لعجم أهل خراسان! فقال: أكثرت عليّ يا أخا أهل الشأم؛ والله ما أنزلت قيساً عن ظهور الخيل إلاّ وأنا أرى أنه لم يبقَ في بيتِ مالي درهم واحد؛ وأما اليمن فوالله ما أحببتُها ولا أحبّتني قطّ؛ وأما قُضاعة فسادتُها تنتظر السفيانيّ وخروجَه فتكونُ من أشياعه، وأمّا رَبيعة فساخطةٌ على الله منذ بعث نبيَّه من مُضَر؛ ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شاريًا، اعزُبْ فعل الله بك!

وذُكر عن سعيد بن زياد أنه لما دخل على المأمون بدمشق قال له: أرِني الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم، قال: فأريته، قال: فقال: إنى لأشتهى أن أدرى أيّ شيء هذا الغشاء على هذا الخاتم؟ قال: فقال له أبو إسحاق: حُلّ العقد حتى تدرى ما هو، قال: فقال: ما أشكّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم عقد هذا العقد، وما كنت لأحلّ عقداً عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال للواثق: خذه فضعه على عينك؛ لعلّ الله أن يشفيَك. قال: وجعل المأمون يضعه على عينه ويبكى.

١١٤٣/٣

وذُكر عن العَيْشيّ صاحب إسحاق بن إبراهيم، أنه قال: كنت مع المأمون بدمشق، وكان قد قلّ المالُ عندَه حتى ضاق، وشكا ذلك إلى أبى إسحاق المعتصم، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، كأنك بالمال وقد وافاكَ بعد جمعة. قال: وكان حمل إليه ثلاثون ألف ألف مِنْ خراج ما يتولاه له، قال: فلما وردَ عليه ذلك المال، قال المأمون ليحيى بن أكثم: اخرج بنا ننظر إلى هذا المال، قال: فخرجا حتى أصحرا، ووقفا ينظرانه؛ وكان قد هُيِّئَ بأحسن هيئة، وحُلِّيَتْ أباعرُه، وألبست الأحلاس الموشّاة والجلال المصبّغة وقُلِّدت العهنَ، وجعلت البدر بالحرير الصينيّ الأحمر والأخضر والأصفر، وأبديت رءوسها. قال: فنظر المأمون إلى شيء حسن، واستكثر ذلك، فعظم فى عينه، واستشرفه الناس ينظرون إليه، ويعجبون منه، فقال المأمون ليحيى: يا أبا محمد، ينصرف أصحابنا هؤلاء الذين تراهم الساعة خائبين إلى منازلهم،

ونصرف بهذه الأموال قد ملكناها دونهم ! إنا إذاً للئام . ثم دعا محمد بن يزداد ، فقال له : وقّع لآل فلان بألف ألف ، ولآل فلان بمثلها ، ولآل فلان بمثلها . قال : فوالله إن[1] زال كذلك حتى فرّق أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله فى الركاب ، ثم قال : ادفع الباقى إلى المعلّى يعطى جندنا . قال العيشىّ : فجئت حتى قمت نصب عينه ، فلم أردّ طرفى عنها ، لا يلحظنى إلا رآنى بتلك الحال . فقال : يا أبا محمد ، وقّع لهذا بخمسين ألف درهم من الستة الآلاف ألف ؛ لا يختلس ناظرى . قال : فلم يأت على ليلتان حتى أخذت المال . ٣/١١٤٤

وذكر عن محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان ؛ أنه كان بالبصرة رجلٌ من بنى تميم ، وكان شاعراً ظريفاً خبيثاً منكراً ؛ وكنت أنا والى البصرة ، آنسُ به وأستحليه ؛ فأردتُ أن أخدَعه وأستنزله ، فقلت له : أنت شاعر وأنت ظريف ، والمأمون أجودُ من السحاب الحافل والريح العاصف ؛ فما يمنعك منه ؟ قال : ما عندى ما يُقلّنى ، قلت : فأنا أعطيك نجيباً فارهاً ، ونفقة سابغة ، وتخرج إليه وقد امتدحتَه ؛ فإنك إن حظيتَ بلقائه ، صرْت إلى أمنيّتك . قال : والله أيها الأمير ما إخالك أبعدت ؛ فأعدّ لى ما ذكرت . قال : فدعوتُ له بنجيب فاره ، فقلت : شأنك به فامتطه ؛ قال : هذه إحدى الحُسْنَيَيْن ، فما بال الأخرى! فدعوت له بثلثمائة درهم ، وقلت : هذه نفقتك ؛ قال : أحسبك أيها الأمير قصَّرْت فى النفقة ، قلت : لا ، هى كافية ، وإن قصّرت عن السَّرف . قال : ومتى رأيت فى أكابر سعد سرفاً حتى تراه فى أصاغرها ! فأخذ النجيب والنفقة ، ثم عمل أرجوزه ليست بالطويلة ، فأنشد فيها وحذف منها ذكرى والثناء علىّ — وكان مارداً — فقلت له : ما صنعتَ شيئاً . قال : وكيف ؟ قلت : تأتى الخليفةَ ولا تُثْنى على أميرك! قال : أيّها الأمير أردت أن تخدعنى فوجدتنى خدّاعاً ، ولمثلها ضرب هذا المثل : « من يَنِك العَيْر يَنِك نيّاكاً » ؛ أما والله ما لكرامتى حملتَنى على نجيبك ، ولا جُدْت لى بمالك الذى ما رامه أحد قطّ إلا جعل الله خدّه الأسفل ؛ ولكن لأذكرك ٣/١١٤٥

(١) ف : « لم يزل » .

فى شعرى وأمدحك عند الخليفة ، أفهم هذا . قلت : قد صدقت ، فقال : أمّا إذْ أبديتَ ما فى ضميرك ، فقد ذكرتك، وأثنيت عليك، فقلت: فأنشدنى ما قلتَ ، فأنشدنيه ، فقلت : أحسنتَ ؛ ثم ودّعنى وخرج فأتى الشام ؛ وإذا المأمون بسلَغوس . قال : فأخبَرَنى . قال: بينا أنا فى غَزاة قُرَّة [1] ، قد ركبتُ نجيبِى ذاك ، ولبستُ مقطّعاتى ، وأنا أروم العسكر ؛ فإذا أنا بكهل على بَغْل فاره ما يُقَرّ قراره ، ولا يدرك خطاه . قال : فلتقّانى مكافحة ومواجهة ، وأنا أردّد نشيد أرجوزتى ، فقال : سلام عليكم — بكلام جَهْورىّ ولسان بسيط — فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته،قال : قف إن ١١٤٦/٣ شئت ، فوقفت فتضوّعتْ منه رائحة العَنْبر والمسك الأذفر ، فقال : ما أوّلك؟ قلت : رجل من مُضَر ، قال : ونحن من مُضَر ، ثم قال : ثمّ ماذا ؟ قلت : رجلٌ من بنى تميم ، قال : وما بعد تميم ؟ قلت : من بنى سعد ، قال : هيه ، فما أقدَمك هذا البلد؟ قال : قلت: قصدتُ هذا الملك الذى ما سمعت بمثله أندى رائحةً ، ولا أوسعَ راحة ، ولا أطولَ باعًا ، ولا أمدّ يفاعاً [2] منه. قال : فما الذى قصدتَهُ به؟ قلت : شعر طيب يلذّ على الأفواه ، وتقتفيه الرّواة ، ويحلو فى آذان المستمعين ، قال : فأنشدْنيه ، فغضبتُ وقلت : يا ركيك ، أخبرتُك أنى قصدتُ الخليفة بشعر قلتُه، ومديح حبّرتُه ، تقول: أنشدْنيه ! قال : فتغافل والله عنها ، وتطأمن لها ، وألغى عن جوابها ، قال : وما الذى تأمل منه ؟ قلت : إن كان على ما ذُكر لى عنه فألف دينار ، قال : فأنا أعطيكَ ألفَ دينار إن رأيتُ الشعرَ جيّداً والكلام عذباً وأضع عنك العناء ، وطول التّرداد ؛ ومتى تصلُ إلى الخليفة وبينك وبينه عشرة آلاف رامحٍ ونابل ! قلت : فلى الله عليك أن تفعَل ! قال : نعم لك الله علىّ أن أفعل ، قلت : ومعك الساعة مال ؟ قال : هذا بغلى وهو خيرٌ ١١٤٧/٣ من ألف دينار ، أنزلُ لك عن ظهره ، قال : فغضبتُ أيضًا وعارضنى نَزَق سعْد وخفّة أحلامها ، فقلت : ما يساوى هذا البغل هذا النجيب ! قال :

(١) ف : «عداة فر» .

فدعْ عنك البغل ، ولك الله علىّ أن أعطيَك الساعة ألف دينار : قال : فأنشدته :

مأمونُ ياذاالمِنَنِ الشريفَهْ[1] وصاحبَ المرتبةِ المُنيفَهْ
وقائدَ الكتيبةِ الكثيفَهْ هل لك فى أرجوزةٍ ظريفَهْ
أظرَفَ مِن فقهِ أبى حنيفَهْ لا والذى أنت له خليفَهْ
ما ظُلِمَتْ فى أرضنا ضعيفَهْ أميرُنا مُؤْنتُهُ خفيفَهْ
وما اجتبى شيئاً سوى الوظيفَهْ فالذئبُ والنعجةُ فى سَقيفَهْ
* واللصّ والتاجرُ فى قَطيفَهْ *

قال : فوالله ما عدا أن أنشدته ، فإذا زُهاء عشرة آلاف فارس قد سدوا الأفق ، يقولون : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! قال : فأخذنى أفكلٌ[2] ، ونظر إلىّ بتلك الحال ، فقال : لا بأس عليك أى أخى ، قلت : يا أميرَ المؤمنين ، جعلنى الله فداك ! أتعرف لغات العرب ؟ قال : إى لعمر الله ، قلت : فمن جعل الكاف منهم مكانَ القاف ؟ قال : هذه حميَر ، قلت : لعنها الله ، ولعن من استعمل هذه اللغة بعد اليوم ! فضحك المأمون ، وعلم ما أردتُ ، والتفت إلى خادم إلى جانبه ، فقال : أعطه ما معك ، فأخرج إلىّ كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار . فقال : هاك ، ثم قال : السلام عليك ؛ ومضى فكان آخر العهد به . ٣/١١٤٨

وقال أبو سعيد المخزومى :

هل رأيتَ النُّجومَ أغنَت عنِ المأْ مونِ شيئاً أو ملكِهِ المأْسوسِ[3]
خلَّفوهُ بِعَرْصتىْ طرسوسٍ مثلَ ما خلَّفوا أباه بطوس

وقال علىّ بن عبيدة الرّيحانىّ :

ما أقلَّ الدموعَ للمأْمونِ لستُ أرضى إلا دماً مِن جفونى

(١) ابن الأثير : « المنزلة الشريفة » .
(٢) الأفكل : الرعدة .
(٣) المسعودى ، ٤ : ٤٥ ، وفيه : « المأنوس » .

٣/١١٤٩ وذكر أبو موسى هارون بن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادى أنّ علىّ ابن صالح حدّثه ، قال : قال لى المأمون يومًا : أبغنى رجلاً من أهل الشأم ، له أدب ، يجالسنى ويحدّثنى ، فالتمستُ ذلك فوجدته ، فدعوته فقلت له : إنى مدخلك على أمير المؤمنين ، فلا تسأله عن شىء حتى يبتدئك ، فإنى أعرفُ الناس بمسألتكم يا أهل الشأم ، فقال: ما كنت متجاوزًا ما أمرتنى به . فدخلت على المأمون ، فقلت له : قد أصبت الرّجل يا أمير المؤمنين ، فقال : أدخله ، فدخل فسلم ، ثم استدناه — وكان المأمون على شغله من الشراب — فقال له : إنى أردتك لمجالستى ومحادثتى ، فقال الشأمىّ : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن الجليس إذا كانت ثيابه دون ثياب جليسه دخله لذلك غضاضة ، قال : فأمر المأمون أن يخلَع عليه ؛ قال : فدخلنى من ذلك ما الله به أعلم ، قال : فلما خلع عليه ، ورجع إلى مجلسه ، قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّ قلبى إذا كان متعلّقًا بعيالى لم تنتفع بمحادثتى ، قال: خمسون ألفاً تحمَل إلى منزله ، ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، وثالثة ، قال : وما هى ؟ قال : قد دعوت بشىء يحول بين المرء وعقله ؛ فإن كانت منّى هنةٌ فاغتفرها ، قال : وذاك ! قال علىّ : فكأنّ الثالثة جلتْ عنى ما كان بى .

وذكر أبو حشيشة محمد بن علىّ بن أمية بن عمرو ، قال : كنا قدّام أمير المؤمنين المأمون بدمشق ، فغنى علّوَيه :

٣/١١٥٠ بَرِئت مِنَ الإسلامِ إن كَانَ ذا الذِى ... أتاكِ به الواشوانَ عنِّى كما قالوا[1]
ولكنَّهمْ لمَّا رأَوْكِ سَريعَةً ... إلىَّ ، تَواصَوْا بالنَّميمَةِ واحتالوا

فقال : يا علّويه ، لمن هذا الشعر ؟ فقال : للقاضى ، قال : أىّ قاض ويحك ! قال : قاضى دمشق ، فقال : يا أبا اسحاق ، اعزله ، قال : قد عزلته ، قال : فيُحضَر الساعة . قال : فأحضر شيخ مخضوب قصير ؛ فقال له المأمون : من تكون ؟ قال : فلان ابن فلان الفلانىّ ، قال : تقول الشعر ؟ قال : قد كنت أقوله ، فقال : يا علّويه ، أنشده الشعر ، فأنشده ، فقال :

(١) الشعر والخبر فى الأغانى ١١ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

هذا الشعرُ لك ؟ قال : نعمْ يا أمير المؤمنين ، ونساؤه طوالِق وكلّ ما يملك في سبيل الله إن كان قال الشعر منذ ثلاثون سنة إلا في زُهد أو معاتبة صديق ، فقال : يا أبا إسحاق اعزله ؛ فما كنت أولّي رقابَ المسلمين مَن يبدأ في هزله بالبراءة من الإسلام . ثمّ قال : اسقوه ؛ فأتِيَ بقدح فيه شراب ، فأخذه وهو يرتعد ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ما ذقته قطّ ، قال : فلعلك تريد غيره ! قال : لم أذق منه شيئاً قطّ ، قال : فحرام هو ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : أوْلى لك ! بها نجوت ، اخرج . ثمّ قال : يا علّويه ، لاتقل : « برئت من الإسلام » ، ولكن قل :

حُرِمْتُ منايَ منكِ إن كان ذاالّذى ... أتاك به الواشون عَنّى كما قالوا

قال : وكنّا مع المأمون بدمشق ، فركب يريد جبل الثلج ، فمرّ ببركة عظيمة من بِرَك بنى أميّة ، وعلى جوانبها أربع سَرَوات ، وكان الماء يدخلها سيْحاً ، ويخرج منها ؛ فاستحسن المأمون الموضع ، فدعا ببزْما ورد ورطْل ، وذكَر بنى أميّة ، فوضع منهم وتنقّصهم ؛ فأقبل علّويه على العُود ، واندفع يغنّى : ٣/١١٥١

أولئك قومى بعد عزٍّ وثروةٍ ... تَفَانَوْا فإلّا أذرفُ العينَ أكمدَا

فضرب المأمونُ الطعام برجله ، ووثب وقال لعلّويه : يابن الفاعلة ، لم يكن لك وقت تذكر فيه مواليك إلاّ في هذا الوقت ! فقال : مولاكم زرياب عند موالىّ يركب في مائة غلام ؛ وأنا عندكم أموت من الجوع ! فغضب عليه عشرين يوماً ، ثم رضى عنه .

قال : وزرياب مولى المهدىّ ، صار إلى الشأم ثم صار إلى المغرب ، إلى بنى أمية هناك .

وذكر السّليطىّ أبو علىّ ، عن عُمارة بن عقيل ، قال : أنشدتُ المأمون قصيدةً فيها مديح له ، هى مائة بيت ؛ فأبتدئ بصدر البيت فيبادرنى إلى قافيته

كما قفّيتُه ، فقلت : والله يا أمير المؤمنين ؛ ما سمعها منى أحد قطّ ، قال : هكذا ينبغى أن يكون ؛ ثم أقبل علىّ ، فقال لى : أما بلغك أنّ عمر بن أبى ربيعة أنشد عبد الله بن العباس قصيدته التى يقول فيها .

* تشُطُّ غداً دارُ جيراننا *

١١٥٢/٣ فقال ابنُ العباس

* وللدارُ بعد غد أبعد (١) *

حتى أنشده القصيدة ، يقفّيها ابن عباس ! ثم قال : أنا ابنُ ذاك .

وذُكر عن أبى مروان كازر بن هارون ، أنه قال : قال المأمون :

بعثتُكَ مُرتادًا ففزتَ بِنظْرةٍ ... وأغفَلْتَنِى حتى أسأْتُ بكَ الظَّنّا

فناجيتَ مَن أهْوَى وكنتُ مباعَدًا ... فياليتَ شعرِى عَن دُنوِّك ما أغنى !

أَرَى أثرًا منهُ بعينَيكَ بَيِّناً ... لقد أخذَت عيناكَ مِن عينه حُسنا

قال أبو مروان : وإنما عوّل المأمون فى قوله فى هذا المعنى على قول العباس ابن الأحنف ، فإنه اخترع :

إن تَشْقَ عينى بها فقد سَعِدَتْ ... عينُ رسولى ، وفُزتُ بالخَبَرِ (٢)

وكلَّمـا جاءَنى الرسولُ لهَا ... ردَّدتُ عمدًا فى طرفه نَظرِى

تَظْهَرُ فى وجهِهِ محاسنُها ... قد أثَّرَتْ فيه أحسنَ الأثَرِ

خُذ مقلتِى يا رسولُ عاريةً ... فانظر بها واحتَكِمْ على بصرِى

١١٥٣/٣ قال أبو العتاهية : وجّه إلىّ المأمون يومًا ، فصرتُ إليه ، فألفيتُه مطرقًا مفكّرًا ، فأحجمتُ عن الدنوّ منه فى تلك الحال ؛ فرفع رأسه ؛ فنظر إلىّ وأشار بيده ؛ أن ادنُ ، فدنوتُ ثم أطرق مليًّا ، ورفع رأسه ، فقال : يا أبا إسحاق ؛ شأنُ النفس الملل وحُبّ الاستطراف ؛ تأنس بالوحدة كما تأنس بالألْفة ، قلت : أجَل يا أمير المؤمنين ، ولى فى هذا بيت ، قال : وما هو ؟ قلت :

---

(١) ديوانه ٣٠٨ .

(٢) ديوانه ١٥٣ ، ١٥٤ .

لا يُصلِح النفسَ إذ كانت مُقَسَّمَةً إلَّا التَّنَقُّلُ من حالٍ إلى حالِ[1]

وذُكر عن أبى نزار الضّرير الشاعر أنه قال : قال لى علىّ بن جَبَلَة : قلتُ لحُميد بن عبد الحميد : يا أبا غانم ، قد امتدحتُ أميرَ المؤمنين بمدْح لا يحسِن مثله أحدٌ من أهل الأرض ؛ فاذكرنى له ، فقال : أنشدْنيه ، فأنشدته ، فقال : أشهد أنك صادق ؛ فأخذ المديح فأدخله على المأمون، فقال : يا أبا غانم ، الجواب فى هذا واضح ، إن شاء عفوْنا عنه وجعلنا ذلك ثوابًا بمديحه ؛ وإن شاء جمعنا بين شعره فيك وفى أبى دُلف القاسم بن عيسى ؛ فإن كان الذى قال فيك وفيه أجودُ من الذى مدحَنا به ضربنا ظهره ، وأطلْنا حبسَه ، وإن كان الذى قال فينا أجود أعطيتُه بكلّ بيت من مديحه ألف درهم ، وإن شاء أقلناه . فقلت : يا سيّدى ، ومن أبو دُلف! ومن أنا حتى يمدحنا بأجود من مديحك ! فقال : ليس هذا الكلام من الجواب عن المسألة فى شىء ، فاعرضْ ذلك على الرجل . قال علىّ بن جبلة : فقال لى حُميد : ما ترى ؟ قلت : الإقالة أحبُّ إلىّ ، فأخبر المأمون ، فقال : هو أعلم ، قال حميد : فقلت لعلىّ بن جَبَلة : إلى أىّ شىء ذهب فى مدحك أبا دُلف[2] وفى مدحك لى ؟ قال : إلى قولى فى أبى دلف : ١١٥٤/٣

إنَّمـــا الدّنيا أبو دُلَفٍ بينَ مغزاهُ ومُحتَضَرِهْ
فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ وَلَّتِ الدّنيا على أَثَرِهْ

وإلى قولى فيك :

لولا حميدٌ لم يكُنْ حسبٌ يُعَدُّ ولا نَسَبْ
يا واحِدَ العَرَبِ الَّذى عَزَّتْ بعِزَّته العربْ

قال : فأطرق حُميد ساعة ، ثم قال : يا أبا الحسن ، لقد انتقد عليك أمير المؤمنين . وأمر لى بعشرة آلاف درهم وحُملان وخلعة وخادم ، وبلغ ذلك

---

(١) البيت والخبر فى المسعودى ٤ : ١٧ .
(٢) الأغانى : « أى شىء يعنى من مدائحك » .

أبا دُلَف فأضعف لى العطية، وكان ذلك منهما فى ستر لم يعلم به أحد إلى أن حدّثتك يا أبا نزار بهذا[1] .

قال أبو نزار : وظننتُ أنّ المأمون تعقّد عليه هذا البيت فى أبى دُلَف :

١١٥٥/٣ تحَدَّرَ ماءُ الجُودِ من صُلبِ آدمٍ فأثبتَهُ الرَّحمنُ فى صُلب قاسِمٍ[2]

وذُكر عن سليمان بن رَزين الخزاعىّ ، ابن أخى دِعْبِل ، قال : هجا دِعْبل المأمونَ ، فقال :

ويَسُومُنى المأمُونُ خُطَّةَ عارِفٍ أوَ مَارأى بالأمسِ رأسَ محمدِ[3]

يُوفى على هامِ الخلائفِ مثلَ مَا يُوفى الجبالُ على رءُوسِ القَرددِ[4]

وَيَحِلُّ فى أكنافِ كلِّ ممنَّعٍ حتى يُذَلّلَ شاهِقاً لم يُصْعَدِ[5]

إنّ التِّراتِ مُسَهِّدٌ طُلاّبُها فاكفف لُعَابكَ عن لعابِ الأسودِ

فقيل للمأمون : إن دعبلا هجاك ، فقال : هو يهجو أبا عبّاد لا يهجونى . يريد حدّة أبى عبّاد ، وكان أبو عبّاد إذا دخل على المأمون كثيراً ما يضحك المأمون ، ويقول له : ما أراد دِعبل منك حين يقول :

١١٥٦/٣ وكأنه من دَيرِ هِزْقِلَ مفلِتٌ حَرِدٌ يجُرُّ سلاسلَ الأقيادِ[6]

---

(١) الخبر والشعر فى الأغانى ١٨ : ١٠٥ (ساسى) والشعر والشعراء ٨٤٠ .

(٢) س : « من ظهر آدم » .

(٣) ديوانه ٦٩ والشعر والشعراء ٨٢٦ ، وفيه « خطة عاجز » .

(٤) الديوان : « يوفى على روس الخلائق » . والقردد : المكان الغليظ المرتفع .

(٥) بعده فى الشعر والشعراء .

إنى من القَوْمِ الَّذِين سُيُوفُهُمْ فقدتْ أخاكَ وشرَّفُوك بِمَقْعدِ

(٦) دير هزقل : دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم ؛ وذكره الثعالبى فى المضاف المنسوب ٥٢٨ ، وقال : « يضرب به المثل لمجتمع المجانين . ويقال للمجنون : كأنه من دير هزقل ، وذلك أنه مأوى المجانين بإحدى الديارات ، يشدون هناك ويداوون . والخبر كما فى معجم البلدان ٤ : ١٨١ ، ١٨٢ : « غضب أبو عباد ثابت بن يحيى كاتب المأمون يوماً على بعض كتابه ، فرماه بدواة كانت بين يديه ، فلما رأى الدم يسيل ، ندم وقال : صدق الله عز وجل : « والذين إذ ما غضبوا هم يتجاوزون » ؛ فبلغ ذلك المأمون، فانتبه وعتب عليه ، وقال : ويحك ! أنت أحد أعضاء المملكة وكتاب الخليفة ، ماتحسن أن تقرأ آية من كتاب الله ! فقال : بلى يأمير المؤمنين ، إنى لأقرأ من سورة =

وكان المأمون يقول لإبراهيم بن شَكْلة إذا دخل عليه : لقد أوجعك دِعْبل حين يقول :

إن كانَ إبراهيمُ مضطلعًا بِهَا ... فلَتَصلُحَنْ من بَعده لِمُخارِقِ

ولَتَصلُحَنْ من بعد ذاكَ لِزُلزُلٍ ... وَلَتَصْلُحَنْ مِنْ بعدِهِ للمَارِقِ

أَنَّى يكُونُ ولا يكونُ وَلَمْ يكُنْ ... لِينَالَ ذَلِكَ فاسقٌ عن فاسقِ!

وذكر محمد بن الهيثم الطائىّ أنّ القاسم بن محمد الطَّيْفورىّ حدّثه ، قال : شكا اليزيدىّ إلى المأمون خلّةً أصابته ، ودَيْنًا لحقه ، فقال : ما عندنا فى هذه الأيام ما إن أعطيناكه بلغتَ به ما تريد ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّ الأمرَ قد ضاق علىّ ، وإنّ غُرَمائى قد أرهقونى . قال : فرُمْ لنفسك أمراً تنال به نفعًا فقال : لك منادمون فيهم مَن إنْ حرّكتُه نلتُ منه ما أحبّ ، فأطلق لىَ الحيلةَ فيهم ، قال : قل ما بدالك ، قال : فإذا حضرُوا وحضرتُ فمُر فلانًا الخادم أنْ يوصلَ إليك رقعتى ؛ فإذا قرأتَها ، فأرسل إلىّ : دخولُك فى هذا الوقت متعذّر ؛ ولكن اختر لنفسك مَنْ أحببت . قال : فلما علم أبو محمد بجلُوس المأمون واجتماع ندمائه إليه ، وتيقّن أنهم قد ثملوا من شُرْبهم ، أتى الباب ، فدفع إلى ذلك الخادم رُقعة قد كتبها ، فأوصلها له إلى المأمون ، فقرأها فإذا فيها : ٣/١١٥٧

يا خيرَ إخوانى وأَصْحَابى ... هَذَا الطُّفَيلىُّ لَدَى البابِ

خُبِّرَ أَنَّ القَومَ فى لَذَّةٍ ... يَصْبُو إليها كلُّ أَوَّابِ

فصيِّرونى واحدًا منكمُ ... أو أخرجوا لِى بعضَ أترابِى

= واحدة ألف آية وأكثر؛ فضحك المأمون وقال : من أى سورة ؟ قال : من أيها شئت ؛ فازداد ضحكه وقال : قد شئت من سورة الكوثر ؛ وأمر بإخراجه من ديوان الكتابة ، فبلغ ذلك دعبلا الشاعر : فقال :

أَوْلَى الأُمورِ بضَيْعَةٍ وفسادِ ... أَمرٌ يدبِّرُه أبو عَبَّادِ

خرْق على جلسائه بدَواتِهِ ... ومُضمَّخ ومُرَمَّل بمدادِ

فكأنَّهُ من ديْر هِزْقلَ مُفْلِتٌ ... حَرِدٌ يجُرُّ سلاسِلَ الأَقيادِ

وانظر ديوان دعبل ٧١ .

قال : فقرأها المأمون على مَنْ حضره ، فقالوا : ما ينبغى أن يدخُل هذا الطفيليّ على مثل هذه الحال . فأرسل إليه المأمون : دخولُك فى هذا الوقت متعذّر ، فاخترْ لنفسك مَنْ أحببت تنادمه ، فقال : ما أرى لنفسى اختياراً غير عبد الله بن طاهر ، فقال له المأمون : قد وقع اختياره عليك ، فصِرْ إليه ، قال : يا أميرَ المؤمنين ، فأكونُ شريكَ الطفيليّ ! قال : ما يمكن ردّ أبى محمد عن أمرين ؛ فإن أحببت أن تخرج ، وإلاّ فافتدِ نفسك ، قال : فقال : يا أميرَ المؤمنين ، له علىّ عشرة آلاف درهم ، قال : لا أحسب ذلك يقنعه منك ومن مجالستك ، قال : فلم يزل يزيدُه عشرة عشرة ، والمأمون يقول له : لا أرضى له بذلك ، حتى بلغ المائة ألف . قال : فقال له المأمون : فعجّلْها له ، قال : فكتب له بها إلى وكيله ، ووجّه معه رسولا ، فأرسل إليه المأمون : قبضُ هذه فى هذه الحال أصلحُ لك من منادمته على مثل حاله ، وأنفع عاقبة . ١١٥٨/٣

وذُكر عن محمد بن عبد الله صاحب المراكب قال : أخبرَنى أبى عن صالح بن الرشيد ، قال : دخلتُ على المأمون ، ومعى بيتان للحسين بن الضّحاك ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، أحبّ أن تسمع منّى بيتين ، قال : أنشدهما ، قال : فأنشده صالح :

حَمِدْنا الله شكرًا إذ حَبَانا بِنَصْرِكَ يا أميرَ المؤمنينا (١)
فأنتَ خليفةُ الرَّحْمَنِ حقًّا جَمَعْتَ سَماحةً وجَمعتَ دينا

فاستحسنهما المأمون ، وقال : لمن هذان البيتان يا صالح ؟ قلت : لعبدك يا أميرَ المؤمنين الحسين بن الضحاك ، قال : قد أحسن ، قلت : وله يا أمير المؤمنين ما هو أجود من هذا ، قال : وما هو ؟ فأنشدته :

١١٥٩/٣ أَيَبْخَلُ فردُ الحُسنِ فَرْدُ صفاتِه علىَّ ، وقد أفردْتُه بهوًى فَرْدِ ! (٢)
رَأَى اللهُ عبدَ اللهِ خيرَ عِبادِهِ فَمَلَّكَهُ واللهُ أعلمُ بالعبدِ

وذُكر عن عُمارة بن عقيل ، أنه قال : قال لى عبد الله بن أبى السّمط :

(١) ديوانه ١١٩ .
(٢) ديوانه ٤٦ .

علمت أنّ المأمون لا يبصر الشعر ، قال : قلت : ومَنْ ذا يكون أعلم منه ! فوالله إنك لترانا نُنشده أوّلَ البيت فيسبِقنا إلى آخره ، قال : أنشدتُه بيتا أجدتُ فيه ، فلم أره تحرّك له ، قال : قلتُ : وما الذى أنشدته ؟ قال : أنشدته :

أضحى إمامُ الهدى المأمونُ مشتغلًا[1] بالدينِ والناسُ بالدنيا مشاغيلُ

قال : فقلت له : إنك والله ما صنعتَ شيئًا ، وهل زِدتَ على أن جعلته عجوزاً فى محْرابها ، فى يدها سُبحتها ! فمن القائمُ بأمر الدنيا إذا تشاغل عنها ، وهو المطوّق بها ! هلاّ قلتَ فيه كما قال عمّك جرير فى عبد العزيز ابن الوليد :

فَلاَ هُوَ فى الدُّنْيا مُضيعٌ نَصيبَهُ[2] وَلا عَرَضُ الدُّنيا عَن الدِّين شاغِلُهْ

فقال : الآن علمتُ أنى قد أخطأت .

وذُكِر عن محمد بن إبراهيم السَّيّارىّ[3] قال : لما قدِم العتابىّ على المأمون مدينة السلام أذن له ، فدخل عليه ، وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ — وكان شيخًا جليلاً — فسلّم عليه ، فردّ عليه السلام ، وأدناه وقرّبه حتى قرُب منه ، فقبّل يده ، ثم أمره بالجلوس فجلس ، وأقبل عليه يسائله عن حاله ، فجعل يجيبه بلسان طلْق ؛ فاستَطرف[4] المأمون ذلك . فأقبل عليه بالمداعبة والمُزاح ، فظنّ الشيخ أنه استخفّ به ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، الإبساس قبل الإيناس[5] قال : فاشتبه على المأمون الإبساس ، فنظر إلى إسحاق بن إبراهيم ، ثم قال : نعم ، يا غلام ألف دينار[6] ؛ فأُتِيَ بها ، ثم صبّت بين يدى العتابىّ ، ثم ٣/١١٦٠

(١) ابن الأثير : « أمير الهدى » .
(٢) ديوانه ٤٣٥ ؛ وفى ابن الأثير : « بضيع » .
(٣) فى الأغانى : « اليسارى » . (٤) الأغانى : « فاستظرف » .
(٥) كذا فى أصول الطبرى ؛ وفى الميدانى : « الإيناس قبل الإبساس » ؛ قال فى شرحه : « يقال : آنسه ، أى أوقعه فى الأنس ، وهو نقيض أوحشه . والإبساس : الرفق بالناقة عند الحلب ؛ وهو أن يقال : بس بس ؛ يضرب فى المداراة عند الطلب » .
(٦ - ٦) الأغانى : « فاشتبه على المأمون قوله ، فنظر إلى إسحاق مستفهمًا ، فأومأ إليه ، وغمزه على معناه حتى فهم ، فقال : يا غلام ، ألف دينار » .

أخذوا فى المفاوضة والحديث ، وغمز[1] عليه إسحاق بن إبراهيم ، فأقبل لا يأخذ العتابىّ فى شىء إلاّ عارضه إسحاق بأكثر منه ، فبقىَ متعجِّبًا ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إيذن لى فى مسألة هذا الشيخ عن اسمه ، قال : نعم ، سله ، قال : يا شيخ ، مَنْ أنت ؟ وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس ، واسمى كلْ بصل ، قال : أما النسبة[2] فمعروفة ، وأما الاسم فمنكر ، وما كلْ بصَل من الأسماء ؟ فقال له إسحاق : ما أقلّ[3] إنصافك ! وما كلْ ثوم من الأسماء ! البصل أطيب من الثوم[3] ، فقال العتابىّ : لله درّك ! ما أحجّك[4] ! يا أمير المؤمنين ، ما رأيتُ كالشيخ قطّ ، أتأذنُ لى فى صلته بما وصلنى به أمير المؤمنين ؛ فقد والله غلبنى ! فقال المأمون : بل هذا موفّر عليك ؛ ونأمر له بمثله ، فقال له إسحاق : أما إذا أقررت بهذه فتوهّمْنى تجدْنى ، فقال : والله ما أظنّك إلا الشيخ الذى يتناهَى[5] إلينا خبره من العراق ؛ ويعرف بابن الموصلىّ ! قال : أنا حيث ظننتَ ، فأقبل عليه بالتحيّة والسلام ، فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما : أما إذ اتفقتما على الصلح والمودة ، فقوما فانصرفا متنادميْن ؛ فانصرف العتابىّ إلى منزل إسحاق فأقام عنده[6] .

٣/١١٦١

وذُكِر عن محمد بن عبد الله بن جشم الرَّبَعىّ أن[7] عُمارة بن عقيل قال : قال لى المأمون يومًا وأنا أشرب عنده : ما أخبثَك يا أعرابىّ ! قال : قلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ وهمتّنى نفسى ، قال : كيف قلت :

قالت مُفَدَّاةُ لَمَّا أن رأَتْ أَرَقى ... والهمُّ يَعتَادُنى من طيفِه لَمَمُ

نَهَّبْتَ مالك فى الأَدْنينَ آصِرَةً ... وفى الأَباعِدِ حتى حفَّكَ العَدمُ

(١) غمز عليه ، أى أشار. (٢) الأغانى : « أما أنت » .

(٣ – ٣) الأغانى : « ما أقل إنصافك ، أتنكر أن يكون اسمى كل بصل ، واسمك كل ثوم ، وكل ثوم من الأسماء ، أوليس البصل أطيب من الثوم ! » .

(٤) ما أحجك ، أى ما أقوى حجتك . (٤) الأغانى : « تناهى » .

(٦) الخبر فى الأغانى ١٣ : ١١١ ، ١١٢ .

(٧) الخبر فى الأغانى ٢٠ : ١٨٤ ، ١٨٥ (ساسى) ، عن محمد بن عبد الله ، وصدره : « حدثنى عمارة قال : رحت إلى المأمون ؛ فكان ربما قرب إلى الشىء من الشراب أشربه بين يديه ، وكان يأمرنى بكتب كثير مما أقول ، فقال لى يوماً : كيف قلت : قالت مفداة . . . ؟ قال : هى امرأتى نظرت إلى وقد افتقرت ، وساءت حالى ، قال : فكيف قلته ، فأنشدته » :

فاطلبْ إليهم ترى ما كنتَ من حَسَنٍ تُسدِى إليهم فقد باتَتْ لهمْ صِرَمُ[1]

فقلتُ عَذلَكِ قد أكثَرْتِ لائمتى[2] ولمْ يَمُتْ حاتم هُزْلاً ولا هرِمُ ١١٦٢/٣

فقال لى المأمون : أين رميتَ بنفسك إلى هَرِم بن سنان سيد العرب وحاتم الطائىّ ! فعلا كذا وفعلا كذا[3] ، وأقبل ينثال علىّ بفضلهما ، قال : فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، أنا خيرٌ منهما ، أنا مسلم وكانا كافرين ، وأنا رجل من العرب .

وذُكر عن محمد بن زكرياء بن ميمون الفرْغانىّ ، قال : قال المأمون لمحمد بن الجَهْم : أنشدنى ثلاثة أبيات فى المديح والهجاء والمراثى ؛ ولك بكل بيت كُورة ، فأنشده فى المديح :

يجودُ بالنفسِ إذ ضنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجودِ[4]

وأنشده فى الهجاء :

قَبُحَتْ مناظرُهُمْ فحينَ خَبَرْتُهمْ حَسُنَتْ مناظرهم لِقُبحِ المخبَرِ[5]

وأنشده فى المراثى :

أرادُوا ليُخفُوا قبْرَه عَنْ عدُوّهِ فطِيبُ تُرابِ القبرِ دَلَّ على القبرِ[6]

وذكر عن العباس بن أحمد بن أبان بن القاسم الكاتب ، قال : أخبرنى الحسينُ بن الضحاك ، قال : قال لى علَّوَيه : أخبرُكَ أنه مرّ بى مرة ما أيستُ من نفسى معه لولا كرم المأمون ؛ فإنه دعا بنا ؛ فلمّا أخذ فيه النبيذ ؛ قال : غنّونى ، فسبقنى مخارق ، فاندفع فغنّى صوتًا لابن سُرَيج فى شعر جرير : ١١٦٣/٣

---

(١) الأغانى : « حرم » . (٢) الأغانى : « فقلت عاذل » .

(٣ - ٣) الأغانى : « قال : فنظر إلى المأمون مغضباً ، وقال : لقد علت همتك أن ترقى بنفسك إلى هرم ، وقد خرج من ماله فى إصلاح قومه » .

(٤) لمسلم بن الوليد من ديوانه ١٦٤ ، من قصيدة يمدح فيها داود بن يزيد بن حاتم بن خالد ابن المهلب ؛ وروايته فيه : « إذ أنت الضنين بها » . (٥) لمسلم ، ملحق ديوانه ٣٢١ .

(٦) لمسلم ، ملحق ديوانه ٣٢٠ .

لمَّا تَذَكَّرت بالدَّيريْنِ أرَّقنِى صوتُ الدَّجاج وضربٌ بالنَّواقِيسِ[١]
فقلتُ لِلرَّكبِ إذ جَدَّ المَسيرُ بنا يا بُعْدَ يَبْرِينَ من باب الفراديس!

قال : فحُيِّنَ لى أن تغنّيتُ ، وكان قدهم بالخروج إلى دمشق يريد الثغر:

الحَينُ ساقَ إلى دمشق ومَا كانتْ دمشق لأهلها بلدا[٢]

فضرب بالقدح الأرض ، وقال : ما لك ! عليك لعنة الله. ثم قال : يا غلام ، أعطِ مخارقاً ثلاثة آلاف درهم ؛ وأخذ بيدى فأقمتُ وعيناه تدمعان ، وهو يقول للمعتصم : هو والله آخر خروج ، ولا أحسبنى أن أرى العراق أبداً ، فكان والله آخرَ عهدِه بالعراق عند خروجه كما قال .

(١) ديوانه ٣٢٠ ، وفيه : « وقرع بالنواقيس » .
(٢) من أصوات الأغانى ١١ : ٣٥٨ ، وفيه : « لأهلنا بلدا » وبعده :

قادتْكَ نَفْسكَ فاستعدتَ لها وأريتَ أمْرَ غوايةٍ رَشَدَا

٣/١١٦٤

خلافة أبى إسحاق
المعتصم محمد بن هارون الرشيد

وفى هذه السنة بُويع لأبى إسحاق محمد بن هارون الرّشيد بن محمد المهدىّ ابن عبد الله المنصور بالخلافة ؛ وذلك يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين. وذُكر أنّ الناس كانوا قد أشفقوا من منازعة العباس بن المأمون له[١] فى الخلافة[١]، فسلِمُوا من ذلك.

ذُكر أنّ الجند شغبوا لمّا بُويع لأبى إسحاق بالخلافة، فطلبوا العباس ونادوه باسم الخلافة، فأرسل أبو إسحاق إلى العباس فأحضره، فبايعه ثمّ خرج إلى الجند، فقال: ما هذا الحبّ البارد! قد بايعتُ عمّى؛ وسلّمت الخلافة إليه؛ فسكن الجند.

وفيها أمر المعتصم بهدْم ما كان المأمون أمر ببنائه بطُوانة، وحمّل ما كان بها من السلاح والآلة وغير ذلك مما قدّر على حمله، وأحرق ما لم يقدر على حمله؛ وأمرَ بصرف مَنْ كان المأمون أسكن ذلك[٢] من الناس إلى بلادهم.

وفيها انصرف المعتصم إلى بغداد، ومعه العباس بن المأمون؛ فقدمها — فيما ذكر — يوم السبت مستهلّ شهر رمضان.

* * *

٣/١١٦٥

وفيها دخل — فيما ذكر — جماعة كثيرة من أهل الجبال من همَذان وأصبهان وماسبذان ومهْرجانقذَق فى دين الخرّميّة؛ وتجمّعوا، فعسكروا فى عمل همَذان؛ فوجّه المعتصم إليهم عساكر؛ فكان[٣] آخرَ عسكر وجّه إليهم

(١–١) س: «إياه».

(٢) ف «أسكنه من الناس ذلك».

(٣) ف: «كان».

عسكرٌ وجهه مع إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، وعقد له على الجبال فى شوّال فى هذه السنة ، فشخص إليهم فى ذى القعدة ، وقرئ كتابه بالفتح يوم التّروية ، وقتل[1] فى عمل هَمَذان ستين ألفاً ، وهرب باقيهم إلى بلاد الروم .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن العباس بن محمد ، وضحّى أهلُ مكة يوم الجمعة ، وأهل بغداد يوم السبت .

* * *

تمّ بحمد الله الجزء الثامن من تاريخ الطبرى

ويليه الجزء التاسع ، وأوله :

ذكر حوادث سنة تسع عشرة ومائتين

(١) س : « وقتله » .

فهرس الموضوعات

* * *

السنة الثانية والخمسون بعد المائة

* * *

السنة الثالثة والخمسون بعد المائة

* * *

السنة الرابعة والخمسون بعد المائة

* * *

السنة الخامسة والخمسون بعد المائة

* * *

السنة السادسة والخمسون بعد المائة

* * *

السنة السابعة والخمسون بعد المائة

* * *

السنة الثامنة والخمسون بعد المائة

* * *

السنة التاسعة والخمسون بعد المائة

* * *

السنة الستون بعد المائة

* * *

السنة الحادية والستون بعد المائة

* * *

السنة الثانية والستون بعد المائة

* * *

السنة الثالثة والستون بعد المائة

* * *

السنة الرابعة والستون بعد المائة

* * *

السنة الخامسة والستون بعد المائة

* * *

السنة السادسة والستون بعد المائة

* * *

السنة السابعة والستون بعد المائة

* * *

السنة الثامنة والستون بعد المائة

* * *

السنة التاسعة والستون بعد المائة

* * *

السنة السبعون بعد المائة

* * *

السنة الحادية والسبعون بعد المائة

* * *

السنة الثانية والسبعون بعد المائة

* * *

السنة الثالثة والسبعون بعد المائة

* * *

السنة الرابعة والسبعون بعد المائة

* * *

السنة الخامسة والسبعون بعد المائة

* * *

السنة السادسة والسبعون بعد المائة

* * *

السنة السابعة والسبعون بعد المائة

* * *

السنة الثامنة والسبعون بعد المائة

* * *

السنة التاسعة والسبعون بعد المائة

* * *

السنة الثمانون بعد المائة

* * *

السنة الحادية والثمانون بعد المائة

* * *

السنة الثانية والثمانون بعد المائة

* * *

السنة الثالثة والثمانون بعد المائة

* * *

السنة الرابعة والثمانون بعد المائة

* * *

السنة الخامسة والثمانون بعد المائة

* * *

السنة السادسة والثمانون بعد المائة

* * *

السنة السابعة والثمانون بعد المائة

* * *

السنة الثامنة والثمانون بعد المائة

* * *

السنة التاسعة والثمانون بعد المائة

* * *

السنة التسعون بعد المائة

* * *

السنة الحادية والتسعون بعد المائة

* * *

السنة الثانية والتسعون بعد المائة

* * *

السنة الثالثة والتسعون بعد المائة

* * *

السنة الرابعة والتسعون بعد المائة

* * *

السنة الخامسة والتسعون بعد المائة

* * *

السنة السادسة والتسعون بعد المائة

* * *

السنة السابعة والتسعون بعد المائة

* * *

السنة الثامنة والتسعون بعد المائة

* * *

السنة التاسعة والتسعون بعد المائة

* * *

السنة المائتان

* * *

السنة الحادية بعد المائتين

* * *

السنة الثانية بعد المائتين

* * *

السنة الثالثة بعد المائتين

* * *

السنة الرابعة بعد المائتين

* * *

السنة الخامسة بعد المائتين

* * *

السنة السادسة بعد المائتين

* * *

السنة السابعة بعد المائتين

* * *

السنة الثامنة بعد المائتين

* * *

السنة التاسعة بعد المائتين

* * *

السنة العاشرة بعد المائتين

* * *

السنة الحادية عشرة بعد المائتين

* * *

السنة الثانية عشرة بعد المائتين

* * *

السنة الثالثة عشرة بعد المائتين

* * *

السنة الرابعة عشرة بعد المائتين

* * *

السنة الخامسة عشرة بعد المائتين

* * *

السنة السادسة عشرة بعد المائتين

* * *

السنة السابعة عشرة بعد المائتين

* * *

السنة الثامنة عشرة بعد المائتين



رقم الإيداع	١٩٧٩/٤٥٣١
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٨١٥ - ٣

١/٧٩/٢٤٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)






Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

